البداية والنهاية

للإمام الحافظ أبو الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

الجزء الحادي عشر

خرج أحاديثه

الشيخ / محمد بيومى — أ/ عبد الله المنشاوى

أ/ محمد رضوان مهنا

الناشر
مكتبة الإيمان
المنصورة ☏ ٢٥٧٨٨٢

الناشر

مكتبة الإيمان

المنصورة ☏ ٢٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾

(سورة الحشر : آية ٧)

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

خلافة المستعين بالله

وهو أبو العباس أحمد بن محمد المعتصم — بويع له بالخلافة يوم مات المنتصر ، بايعه عموم الناس ، ثم خرجت عليه شرذمة من الأتراك ، يقولون: يا معتز يا منصور، فالتف عليهم خلق ، وقام بنصر المستعين جمهور الجيش ، فاقتتلوا قتالاً شديداً أياما ، فقتل منهم خلق من الفريقين ، وانتهبت أماكن كثيرة من بغداد ، وجرت فتن منتشرة كثيرة جداً ، ثم استقر الأمر للمستعين ، فعزل وولّى ، وقطع ووصل ، وأمر ونهى أياماً ومدة غير طويلة. وفيها مات بغا الكبير في جمادى الآخرة منها ، فولى الخليفة مكانه ولده موسى بن بغا ، وقد كانت له همم عالية وآثار سامية ، وغزوات في المشارق والمغارب متوالية ، وكان له من المتاع والضياع ما قيمته عشرة آلاف ألف دينار، وترك عشر حبات جوهر قيمتها ثلاثة آلاف دينار، وثلاث حبات سلا[1] ذهباً وورقا.

وفيها عدا[2] أهل حمص على عاملهم ، فأخرجوه من بين أظهرهم ، فأخذ منهم المستعين مائة رجل من سراتهم [3]، وأمر بهدم سورهم. وفيها حج بالناس محمد بن سليمان الزينبي.

وفيها توفي من الأعيان : أحمد بن صالح ، والحسين بن علي الكرابيسي ، وعبد الجبار بن العلاء ، وعبد الملك بن شعيب ، وعيسى بن حماد ، ومحمد بن حميد الرازي ومحمد بن زينور ، ومحمد بن العلاء أبو كريب ، ومحمد بن يزيد أبو هشام الرفاعي .

وأبو حاتم السجستاني

واسمه سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمي أبو حاتم النحوي اللغوي، صاحب المصنفات الكثيرة ، وكان بارعاً في اللغة اشتغل فيها على أبي عبيد ، والأصمعي ، وأكثر الرواية عن أبي زيد الأنصاري . وأخذ عنه المبرّد ، وابن دريد ، وغيرهما ، وكان صالحاً ، كثير الصدقة والتلاوة، وكان يتصدق كل يوم بدينار، ويقرأ في كل أسبوع ختمة[4]، وله شعر كثير فمن قوله:

أبـــرزوا وجهَـــهُ الجميلَ ثم لامُـــوا مَـــنِ افْتتنْ
لَو أرادوا صِـــيَـــانَتِـــي ســـتَروا وجهَهُ الحســـنْ

كانت وفاته في المحرم ، وقيل: في رجب من هذه السنة .

---

(١) السلا : الخالص من الشيء .
(٢) عدا : ثار .
(٣) سَرَاتهم : سادتهم .
(٤) الختمة : قراءة القرآن الكريم بكامله .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائتين

في يوم الجمعة ، للنصف من رجب ، التقى جمع من المسلمين ، وخلق من الروم بالقرب من ملطية ، فاقتتلوا قتالاً شديدًا ، قُتل من الفريقين خلق كثير ، وقُتل أمير المسلمين عمر بن عبد الله ابن الأقطع، وقُتل معه ألفا رجل من المسلمين ، وكذلك قُتل على بن يحيى الأرمني ، وكان أميرًا في طائفة من المسلمين أيضًا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وقد كان هذان الأميران من أكبر أنصار الإسلام. ووقعت فتنة عظيمة ببغداد في أول يوم من صفر من هذه السنة، وذلك أن العامة كرهوا جماعة من الأمراء الذين قد تغلبوا على أمر الخلافة ، وقتلوا المتوكل ، واستضعفوا المنتصر، والمستعين بعده ، فنهضوا إلى السجن ، فأخرجوا من كان فيه ، وجاءوا إلى أحد الجسرين ، فقطعوه ، وضربوا الآخر بالنار ، فأحرقوا ، ونادوا بالنفير[1] ، فاجتمع خلق كثير ، وجم غفير ، ونهبوا أماكن متعددة ، وذلك بالجانب الشرقي من بغداد. ثم جمع أهل اليسار[2] من أهل بغداد أموالاً كثيرة ، لتصرف إلى من ينهض إلى ثغور المسلمين ، عوضا عن من قتل من المسلمين هناك ، فأقبل خلق كثير من نواحي الجبال ، والأهواز ، وفارس ، وغيرها ، لغزو الروم، وذلك أن الخليفة والجيش لم ينهضوا إلى بلاد الروم ، وقتال أعداء الإسلام ، وقد ضعف جانب الخلافة ، واشتغلوا بالقيان ، والملاهي ، فعند ذلك غضبت العامة من ذلك ، وفعلوا ما ذكرنا.ولتسع بقين من ربيع الأول ، نهض عامة أهل سامرا إلى السجن، فأخرجوا من فيه أيضاً كما فعل أهل بغداد، وجاءهم قوم من الجيش ــ يقال لهم: الزرافة ــ فهزمتهم العامة، فعند ذلك ركب وصيف، وبغا الصغير ، وعامة الأتراك، فقتلوا من العامة خلقاً كثيراً، وجرت فتن طويلة، ثم سكنت .

وفي منتصف ربيع الآخر وقعت فتنة بين الأتراك ، وذلك أن المستعين قد فوض أمر الخلافة، والتصرف في أموال بيت المال ، إلى ثلاثة وهم أتامش التركي ــ وكان أخص مَنْ عنده وهو بمنـــزلة الوزير ، وفي حجره العباس بن المستعين يربيه ويعلمه الفروسية . وشاهك الخادم ، وأم الخليفة ــ وكان لا يمنعها شيئاً تريده ، وكان لها كاتب يقال له: سلمة بن سعيد النصراني ــ فأقبل أتامش فأسرف في أخذ الأموال، حتى لم يُبق ببيت المال شيئًا ، فغضب الأتراك من ذلك ، وغاروا منه ، فاجتمعوا وركبوا عليه ، وأحاطوا بقصر الخلافة ، وهو عند المستعين ، ولم يمكنه منعه منهم ، ولا دفعهم عنه ، فأخذوه صاغراً فقتلوه ، وانتهبوا أمواله ، وحواصله ، ودوره ، واستوزر الخليفة بعده أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، وولّى بغا الصغير فلسطين ، وولّى وصيفًا الأهواز ، وجرى خبط[3] كثير ، وشر كثير ، ووهن الخليفة وضعف وتحركت المغاربة بسامرا في يوم الخميس لثلاث خلون من جمادى الآخرة ، فكانوا

---

(١) النَّفير : الحرب .

(٢) اليسار : الغنى : أى الذين يملكون أموالاً ويعيشون فى رغد من العيش .

(٣) الخبط : الفوضى والاضطراب .

يجتمعون ، فيركبون ، ثم يتفرقون. وفي يوم الجمعة لخمس بقين من جمادى الأولى ، وهو اليوم السادس عشر من تموز ، مُطِر أهل سامرا مطراً عظيماً برعد شديد ، وبرق متصل ، وغيم منعقد مطبق ، والمطر مستهل كثير من أول النهار إلى اصفرار الشمس ، وفي ذي الحجة أصاب أهل الري زلزلة شديدة جدًا ، وتبعتها رجفة هائلة ، تهدمت منها الدور ، ومات منها خلق كثير ، وخرج بقية أهلها إلى الصحراء ، وفي هذه السنة حج بالناس عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام ــ وهو والي مكة ــ وفيها توفي من الأعيان : أيوب بن محمد الوزان. والحسن ابن الصباح البزار ــ صاحب كتاب "السنن"، ورجاء بن مرجا الحافظ ، وعبد بن حميد ــ صاحب التفسير الحافل ، وعمرو بن على الفلاس .

وعلي بن الجهم

ابن بدر بن مسعود بن أسد القرشي السامي ــ من ولد سامة ــ بن لؤي الخراساني ، ثم البغدادي ، أحد الشعراء المشهورين وأهل الديانة المعتبرين وله ديوان شعر ــ فيه أشعار حسنة ــ وكان فيه تحامل عَلَى عَليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان له خصوصية بالمتوكل ، ثم غضب عليه فنفاه إلى خراسان ، وأمر نائبه بها أن يضربه مجرداً ، ففعل به ذلك، ومن مستجاد شعره قوله:

بلاءُ ليس يعــــدلُهُ بــلاءُ ... عــداوة غيـــر حســـب وديـــنِ
يُبيحكَ [1] منه عرضاً لم يصنْهُ ... ويرتفـــعُ منـــك في عـــرضٍ مصونِ

قال ذلك في مروان بن حفصة حين هجاه فقال في هجائه له :

لعمرُك ما الجهمُ بنُ بدر بشاعر ... وهـــذا علـــى بُعده يدَّعـــي الشـــعرا
ولكنّ أبي قدْ كان جاراً لأُمّـــهِ ... فلما ادّعى الأشعـــار أوهمـــني أمـــرا

كان علي بن الجهم قد قدمَ الشام، ثم عاد قاصداً العراق ، فلما جاوز حلب ثار عليه أناس من بني كلب، فقاتلهم، فجرح جرحاً بليغاً،فكان فيه حتفه، فوجد في ثيابه رقعة مكتوب فيها:

يا رحمتاً للغريب بالبلـــد النـــا ... زح مـــاذا بنفســـه صنـــعـــا؟ [2]
فارق أحبابَه فما انتفعـــــوا ... بالعيـــش مـــن بعـــدهِ وما انتفعا

كانت وفاته بهذا السبب في هذه السنة رحمه الله .

ثم دخلت سنة خمسين ومائتين من الهجرة

فيها كان ظهور أبي الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب ، وأمه أم الحسين فاطمة بنت الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله

---

(١) يبيحك : يظهر لك ويكشف . ويرتع : يعيش فى متسع ووفرة .
(٢) النازح : البعيد .

ابن جعفر بن أبي طالب وذلك أنه أصابته فاقة شديدة ، فرحل إلى سامرا ، فسأل وصيفاً أن يجري عليه رزقاً ، فأغلظ له القول فرجع إلى أرض الكوفة ، فاجتمع عليه خلق من الأعراب ، وخرج إليه خلق من أهل الكوفة ، فنــزل على الفلوجة ، وقد كثر الجمع معه ، فكتب محمد ابن عبد الله بن طاهر نائب العراق إلى عامل الكوفة ـــ وهو أبو أيوب بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان ـــ يأمره بقتاله ودخل يحيى بن عمر قبل ذلك في طائفة من أصحابه إلى الكوفة ، فاحتوى على بيت مالها ، فلم يجد فيه سوي ألفي دينار وسبعين ألف درهم ، وظهر أمره بالكوفة ، وفتح السجنين ، وأطلق من فيهما ، وأخرج نواب الخليفة منها وأخذ أموالهم واستحوذ عليها ، واستحكم أمره بها ، والتف عليه خلق من الزيدية ، وغيرهم ، ثم خرج من الكوفة إلى سوادها ، ثم كرّ راجعاً إليها ، فتلقاه عبدالرحمن بن الخطاب الملقب وجه الفلس ، فقاتله قتالاً شديداً ، فانهزم وجه الفلس ، ودخل يحيى بن عمر الكوفة ، ودعا إلى الرضى من آل محمد ، وقوى أمره جدًا ، وصار إليه جماعة كثيرة من أهل الكوفة ، وتولاّه أهل بغداد من العامة وغيرهم ممن ينسب إلى التشيع ، وأحبوه أكثر من كل من خرج قبله من أهل البيت ، وشرع في تحصيل السلاح ، وإعداد آلات الحرب ، وجمع الرجال وقد هرب نائب الكوفة منها إلى ظاهرها ، واجتمع إليه أمداد كثيرة من جهة الخليفة مع محمد بن عبد الله بن طاهر ، واستراحوا وجمعوا خيولهم ، فلما كان اليوم الثاني عشر من رجب أشار من أشار على يحيى بن عمر ممن لا رأي له ، أن يركب ، ويناجز الحسين بن إسماعيل ، ويكبس جيشه ، فركب في جيش كثير فيه خلق من الفرسان، والمشاة أيضاً من عامة أهل الكوفة بغير أسلحة فساروا إليهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً في ظلمة آخر الليل ، فما طلع الفجر إلا وقد انكشف أصحاب يحيى بن عمر وقد تقنطر به فرسه ثم طعن في ظهره فخر أيضاً فأخذوه وحزوا رأسه ، وحملوه إلى الأمير، فبعثوه إلى ابن طاهر فأرسله إلى الخليفة من الغد مع رجل يقال له : عمر بن الخطاب ، أخي عبد الرحمن بن الخطاب ، فنصب بسامرا ساعة من النهار ، ثم بعث به إلى بغداد فنصب عند الجسر، ولم يمكن نصبه من كثرة العامة فجعل في خزائن السلاح ولما جيء برأس يحيى بن عمر إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، دخل الناس يهنونه بالفتح والظفر ، فدخل عليه أبو هاشم داود ابن الهيثم الجعفري ، فقال له: أيها الأمير! إنك لتهنّى بقتل رجل لو كان رسول ﷺ حيًا لعزّي به، فما رد عليه شيئاً، ثم خرج أبو هاشم الجعفري وهو يقول :

يـــا بني طاهرٍ كـــلوهُ وبيّـــا[٢] | إن لحـــم النبي غـــيرُ مــــــري
إن وتراً يكونُ طـــالبُهُ اللـــ | ـــهُ لَوتـــرٌ نجاحـــهُ بالحـــري[١]

---

(١) الوتر : الثأر ، الحريّ: الجدير .

(٢) الوبى : المرض .

وكان الخليفة المستعين قد وجه أميراً إلى الحسين بن إسماعيل نائب الكوفة، فلما قتل يحيى ابن عمر ودخلوا الكوفة ، فأراد ذلك الأمير أن يضع في أهلها السيف ، فمنعه الحسين بن إسماعيل ، وأمن الأسود والأبيض ، وأطفأ الله هذه الفتنة.

فلما كان رمضان من هذه السنة خرج الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسين بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب بناحية طبرستان، وكان سبب خروجه أنه لما قُتل يحيى بن عمر أقطع المستعين لمحمد بن عبد الله بن طاهر طائفة من أرض تلك الناحية ، فبعث كاتباً له يقال له : جابر بن هارون ، وكان نصرانياً ، ليتسلم تلك الأراضي ، فلما انتهى إليهم كرهوا ذلك جداً وأرسلوا إلى الحسن بن زيد هذا ، فجاء إليهم فبايعوه ، والتفت عليه جلة الديلم ، وجماعة الأمراء في تلك النواحي ، فركب فيهم ، ودخل آمل طبرستان ، وأخذها قهراً ، وجبى خراجها واستفحل[1] أمره جداً ، ثم خرج منها طالباً لقتال سليمان بن عبد الله أمير تلك النواحي ، فالتقيا هنالك ، وكانت بينهما حروب ، ثم انهزم سليمان هزيمة منكرة ، وترك أهله وماله ، ولم يرجع دون جرجان ، فدخل الحسن بن زيد سارية ، فأخذ ما فيها من الأموال والحواصل ، وسير أهل سليمان إليه مكرمين على مراكب ، واجتمع للحسن بن زيد إمرة طبرستان بكمالها ثم بعث إلى الري فأخذها أيضا وأخرج منها الطاهرية ، وصار إلى حند همذان ولما بلغ خبره المستعين — وكان مدبر ملكه يومئذ وصيف التركي — اغتم لذلك جداً واجتهد في بعث الجيوش والأمداد لقتال الحسن بن زيد هذا .

وفي يوم عرفة من هذه السنة ظهر بالري أحمد بن عيسى بن حسين الصغير بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وإدريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن ابن حسن بن علي بن أبي طالب ، فصلى بالناس يوم العيد أحمد بن عيسى هذا ، ودعا إلى الرضى من آل محمد ، فحاربه محمد بن علي بن طاهر ، فهزمه أحمد بن عيسى هذا ، واستفحل أمره .

وفي هذه السنة وثب أهل حمص على عاملهم الفضل بن قارن ، فقتلوه في رجب ، فوجه المستعين إليهم موسى بن بغا الكبير ، فاقتتلوا بأرض الرستن [2]، فهزمهم وقتل جماعة من أهلها، وأحرق أماكن كثيرة منها ، وأسر أشراف أهلها وفيها وثبت الشاكرية والجند في أرض فارس على عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم فهرب منهم ، فانتهبوا داره ، وقتلوا محمد بن الحسن بن قارن وفيها غضب الخليفة على جعـــفر بن عبد الواحد ونفاه إلى البصرة وفيها أسقطت مرتبة جماعة من الأمويين في دار الخلافة، وفيها حج بالناس جعفر بن الفضل أمير مكة .

وفيها توفي من الأعيان : أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح ، والبزّي أحد القراء المشاهير ، والحارث بن مسكين ، وأبو حاتم السجستاني ، وقد تقدم ذكره في التي قبلها ، وعياد

---

(١) استفحل : عظم واستطار .

(٢) رستن : قرية فى سوريا على مسافة ٢١ كم جنوبى حمص .

ابن يعقوب الرواجي، وعمرو بن بحر الجاحظ صاحب الكلام والمصنفات، وكثير بن عبيد الحمصي، ونصر بن على الجهضمي .

ثم دخلت سنة إحدي وخمسين ومائتين

فيها : اجتمع رأي المستعين وبغا الصغير ووصيف على قتل باغر التركي ، وكان من قواد الأمراء الكبار الذين باشروا قتل المتوكل ، وقد اتسع إقطاعه ، وكثرت عماله ، فقُتل ونُهبت دار كاتبه دليل بن يعقوب النصراني، ونهبت أمواله وحواصله، فركب الخليفة في حراقة من سامرا إلى بغداد فاضطربت الأمور بسبب خروجه إليها، وذلك في المحرم ، فنـــزل دار محمد بن عبد الله بن طاهر، وفي هذه السنة وقعت فتنة شنعاء بين جند بغداد ، وجند سامرا، ودعا أهل سامرا إلى بيعة المعتز ، واستقر أمر أهل بغداد على المستعين ، وأخرج المعتز وأخوه المؤيد من السجن ، فبايع أهل سامرا المعتز ، واستحوذ على حواصل بيت المال بها ، فإذا فيها خمسمائة ألف دينار ، وفي خزانة أم المستعين ألف ألف دينار ، وفي حواصل العباس بن المستعين ستمائة ألف دينار، واستفحل أمر المعتز بسامرا وأمر المستعين لمحمد بن عبد الله بن طاهر أن يحصن بغداد ، ويعمل في السورين ، والخندق ، وغرم على ذلك ثلثمائة ألف دينار ، وثلاثين ألف دينار ، ووكل بكل باب أميراً يحفظه ، ونصب على السور خمسة مجانيق[1] ، منها واحد كبير جدًا ، يقال له: الغضبان ، وست عرادات[2] ، وأعدوا آلات الحرب ، والحصار ، والعدد ، وقطعت القناطر من كل ناحية ، لئلا يصل الجيش إليهم وكتب المعتز إلى محمد بن عبد الله بن طاهر يدعوه إلى الدخول معه في أمره ، ويذكره ما كان أخذه عليهم أبوه المتوكل من العهود والمواثيق ، من أنه ولى العهد بعده، فلم يلتفت إليه بل رد عليه واحتج بحجج يطول ذكرها. وكتب كل واحد من المستعين والمعتز إلى موسى بن بغا الكبير وهو مقيم بأطراف الشام لحرب أهل حمص ، يدعوه إلى نفسه ، وبعث إليه بألوية يعقدها لمن اختار من أصحابه ، وكتب إليه المستعين يأمره بالمسير إليه إلى بغداد ، ويأمره أن يستنيب في عمله ، فركب مسرعاً فسار إلى سامرا ، فكان مع المعتز على المستعين وكذلك هرب عبد الله بن بغا الصغير من عند أبيه من بغداد إلى المعتز ، وكذلك غيره من الأمراء والأتراك ، وعقد المعتز لأخيه أبي أحمد بن المتوكل على حرب المستعين ، وجهز معه جيشاً لذلك ، فسار في خمسة آلاف من الأتراك ، وغيرهم نحو بغداد ، وصلىّ بعكبرا يوم الجمعة ، ودعا لأخيه المعتز ، ثم وصل إلى بغداد ليلة الأحد لسبع حلون من صفر، فاجتمعت العساكر هنالك ، وقد قال رجل ـــ يقال له باذنجانة ـــ كان في عسكر أبي أحمد :

---

(١) المجانيق : جمع منجنيق وهى آلة حربية من آلات الحرب ترمى بها الحجارة وغيرها من القذائف وهى فى لغة العصر : المدافع .

(٢) عرادات : مفردها عرادة : آلة حربية كالمنجنيق لدك الحصون ورمى الحجارة.فى لغة العصر : الدبابة.

يا بني طـاهرٍ أنتم جنودُ اللـــ ـــه والموتُ بـينها مـنـشـورُ
وجيوشٌ أمامهنَّ أبو أحـــمـــ ـــدَ نعمَ المـولى ونعـمَ النصيرُ

ثم جرت بينهما حروب طويلة وفتن مهولة جداً وقد ذكرها ابن جرير مطولة ، ثم بعث المعتز مع موسى بن أرشناس ثلاثة آلاف مدداً لأخيه أبي أحمد ، فوصلوا لليلة بقيت من ربيع الأول ، فوقفوا في الجانب الغربي عند باب قطربل[1] ، وأبو أحمد ، وأصحابه على باب الشماسية ، والحرب مستعرة ، والقتال كثير جداً ، والقتل واقع، قال ابن جرير: وذكر أن المعتز كتب إلى أخيه أبي أحمد يلومه على التقصير في قتال أهل بغداد ، فكتب إليه أبو أحمد :

لأمرِ المنــايا علينـا طريـقُ وللدهرِ فينا اتســاعٌ وضيقُ
وأيامُنــا عــبرٌ للأنـــام فمنها البكورُ ومنها الطروقُ[2]
ومنها هنـاتٌ[4] تشيبُ الوليدَ ويخذلُ فيها الصديقَ الصـديقُ
وســورٌ عــريضٌ لـه ذروةٌ تفوتُ العيونَ وبحرٌ عميــقُ
قتالٌ مبيدٌ وســيفٌ عتيــدٌ وخوفٌ شديدٌ وحصنٌ وثيـقُ
وطولُ صياحٍ لداعي الصباحِ الـ ـسلاحَ السلاحَ فما يستفيقُ
فهذا طـريحٌ وهذا جـريحٌ وهذا حريقٌ وهـذا غـريقُ
وهذا قتيلٌ وهـذا تليـلٌ وآخرُ يشـدخُه[3] المنجنيـقُ
هناك اغتصابٌ وثَـمّ انتهابٌ ودورٌ خرابٌ وكـانتْ تروقُ
إذا ما سمَـونا إلى مسـلكٍ وجدناه قد سُدّ عنّا الطريـقُ
فبـالله نبـلغُ مـا ترتجيهِ وبالله نـدفعُ مـا لا نطيقُ

قال ابن جرير: هذا الشعر ينشد لعلي بن أمية في فتنة المخلوع والمأمون، وقد استمرت الفتنة والقتال ببغداد بين أبي أحمد أخي المعتز ، وبين محمد بن عبد الله بن طاهر نائب المستعين ، والبلد محصور ، وأهله في ضيق شديد جداً، بقية شهور هذه السنة ، وقتل من الفريقين خلق كثير في وقعات متعددات ، وأيام نحسات ، فتارة يظهر أصحاب أبي أحمد ، ويأخذون بعض الأبواب ، فتحمل عليهم الطاهرية ، فيزيحوهم عنها ، ويقتلون منهم خلقاً ثم يتراجعون إلى مواقفهم ويصابرونهم[5] مصابرة عظيمة ، لكن أهل بغداد كلما هم إلى ضعف بسبب قلة الميرة[6] والجلب إلى داخل البلد ، ثم شاع بين العامة أن محمد بن عبدالله بن طاهر يريد أن يخلع

(١) بلد اشتهرت بالخمر .
(٢) الطروق : النازل ليلاً.
(٣) التليل : الصريع . ويشدخه : يشجّه .
(٤) هنّات : الدواهي ونوازل الدهر.
(٥) يصابرونهم : يقاتلونهم بحزم وثبات .
(٦) الميرة : المؤونة .

المستعين ، ويبايع للمعتز ، وذلك في أواخر السنة ، فتنصل من ذلك واعتذر إلى الخليفة وإلى العامة وحلف بالأيمان الغليظة، فلم تبرأ ساحته من ذلك حق البراءة عند العامة ، واجتمعت العامة والغوغاء إلى دار ابن طاهر ، والخليفة نازل بها ، فسألوا أن يبرز لهم الخليفة ليروه ، ويسألوه عن ابن طاهر أهو راض عنه أم لا ؟ وما زالت الضجة والأصوات مرتفعة ، حتى برز لهم الخليفة من فوق المكان الذي هم فيه — وعليه السواد ومن فوقه البردة النبوية وبيده القضيب- وقال لهم فيما خاطبهم به: أقسمت عليكم بحق صاحب هذه البردة والقضيب لما رجعتم إلى منازلكم ورضيتم عن ابن طاهر ، فإنه غير متهم لدي، فسكت الغوغاء ورجعوا إلى منازلهم ، ثم انتقل الخليفة من دار ابن طاهر إلى دار رزق الخادم ، وذلك في أوائل ذي الحجة ، وصلى بهم العيد يوم الأضحى في الجزيرة التي بحذاء دار ابن طاهر ، وبرز الخليفة يومئذ للناس ، وبين يديه الحربة ، وعليه البردة ، وبيده القضيب ، وكان يوماً مشهوداً ببغداد على ما بأهلها من الحصار ، وغلاء الأسعار ، وقد اجتمع على الناس الخوف ، والجوع المترجمان لباس الجوع والخوف ، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.

ولما تفاقم الأمر ، واشتد الحال ، وضاق المجال ، وجاع العيال ، وجَهَد الرجال، شرع ابن طاهر يظهر ما كان كامناً في نفسه من خلع المستعين ، فجعل يعرض له في ذلك ، ولا يصرح ، ثم كاشفه به ، وأظهره له وناظره فيه وقال له: إن المصلحة تقتضي أن تصالح عن الخلافة على مال تأخذه سلفاً وتعجيلاً ، وأن يكون لك من الخراج في كل عام ماتختاره وتحتاجه ، ولم يزل يفتل في الذروة والغارب[1] ، حتى أجاب إلى ذلك وأناب ، فكتب فيما اشترطه المستعين في خلعه نفسه من الخلافة كتاباً ، فلما كان يوم السبت لعشر بقين من ذي الحجة ركب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى الرصافة وجمع القضاة والفقهاء ، وأدخلهم على المستعين فوجًا فوجاً وأشهدهم عليه ، أنه قد صير أمره إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، وكذلك جماعة الحجاب والخدم ، ثم تسلم منه جوهر الخلافة ، وأقام عند المستعين إلى هويّ[2] من الليل وأصبح الناس يدوكون ويتنوعون فيما يقولون من الأراجيف[3] وأما ابن طاهر، فإنه أرسل بالكتاب مع جماعة من الأمراء إلى المعتز بسامرا ، فلما قدموا عليه بذلك أكرمهم ، وخلع عليهم وأجازهم فأسنى جوائزهم ، وسيأتي ماكان من أمره أول السنة الداخلة.

وفيها: كان ظهور رجل من أهل البيت أيضًا بأرض قزوين وزنجان[4] في ربيع الأول منها وهو الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأرقط بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب،ويعرف بالكوكبي. وسيأتي ماكان من أمره هناك . - وفيها: خرج إسماعيل

---

(١) أعلى كلّ شيء .

(٢) هويّ من الليل : قسم منه .

(٣) الأراجيف : مفردها : إرجاف : خاضوا في الفتنة والأخبار السيئة اللسان (رجف) .

(٤) قزوين : مدينة في إيران . زنجان : مدينة في إيران الشمالية كانت مركزا من مراكز البابيين .

ابن يوسف العلوي ، وهو ابن أخت موسى بن عبيد الله الحسني وسيأتي ماكان من أمره أيضاً ، وفيها: خرج بالكوفة أيضا رجل من الطالبيين وهو الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن حسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، فوجّه إليه المستعين مزاحم بن خاقان ، فاقتتلا فهزم العلوي ، وقتل من أصحابه بَشَرٌ كثير ، ولما دخل مزاحم الكوفة حرق بها ألف دار، ونهب أموال الذين خرجوا معه، وباع بعض جواري الحسين بن محمد هذا، وكانت معتقة.

وفيها: ظهر إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب بمكة ، فهرب منه نائبها جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى ، فانتهب منـــزله ، ومنازل أصحابه ، وقتل جماعة من الجند وغيرهم من أهل مكة ، وأخذ ما في الكعبة من الذهب، والفضة ، والطيب، وكسوة الكعبة، وأخذ من الناس نحوًا من مائتي ألف دينار ، ثم خرج إلى المدينة النبوية ، فهرب منه عاملها علي بن الحسين بن علي بن إسماعيل ، ثم رجع إسماعيل بن يوسف إلى مكة في رجب ، فحصر أهلها ، حتى هلكوا جوعًا وعطشاً ، فبيع الخبز ثلاث أواق بدرهم ، واللحم الرطل بأربعة ، وشربة الماء بثلاثة دراهم ، ولقي منه أهل مكة كل بلاء ، فترحل عنهم إلى جدة ـــ بعد مقامه عليهم سبعة وخمسين يوماً ، فانتهب أموال التجار هنالك، وأخذ المراكب ، وقطع الميرة عن أهل مكة ، ثم عاد إلى مكةـــ لا جزاه الله خيرًا عن المسلمين ـــ ، فلما كان يوم عرفة لم يمكن الناس من الوقوف نهاراً ولا ليلاً ، وقتل من الحجيج ألفًا ومائة ، وسلبهم أموالهم ، ولم يقف بعرفة عامئذ سواه ، ومن معه منَ الحرامية ، ولا تقبل الله منهم صرفا ولا عدلاً [1] ، وفيها وهن أمر الخلافة جدا .

وفيها توفي من الأعيان : إسحاق بن منصور الكوننج ، وحميد بن زنجويه، وعمرو بن عثمان بن كثير بن دينار الحمصي ، وأبو البقي هشام بن عبد الملك اليزني .

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومائتين

ذكر خلافة المعتز بالله بن المتوكل على الله بعد خلع المستعين نفسه

استهلت هذه السنة ، وقد استقرت الخلافة باسم أبي عبد الله محمد المعتز بن جعفر المتوكل ابن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، وقيل: إن اسم المعتز أحمد وقيل: الزبير وهو الذي عول عليه ابن عساكر وترجمه في تاريخه . فلما خلع المستعين نفسه من الخلافة ، وبايع للمعتز دعا الخطباء يوم الجمعة ـــ رابع المحرم من هذه السنة ـــ بجوامع بغداد على المنابر للخليفة المعتز بالله، وانتقل المستعين من الرصافة إلى قصر الحسن بن سهل هو وعياله وولده وجواريه ، ووكّل بهم

(١) " صرفا ولا عدلا " الصَّرْفُ : التَّوْبَةُ ، والعدل : الفدية ومنه قوله تعالى : ﴿ وإن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤخذ منها ﴾ أى : وإن تَفْدِ كُلَّ فِدَاءٍ .

سعيد بن رجاء في جماعة معه ، وأخذ من المستعين البردة[١] ، والقضيب ، والخاتم، وبعث بذلك إلى المعتز ، ثم أرسل إليه المعتز يطلب منه خاتمين من جوهر ثمين عنده يقال لأحدهما: برج وللآخر جبل . فأرسلهما وطلب المستعين أن يسير إلى مكة ، فلم يمكن ، فطلب البصرة ، فقيل له: إنها وبيئة[٢] . فقال: إن ترك الخلافة أوبأ منها . ثم أذن له في المسير إلى واسط، فخرج ومعه حرس يوصلونه إليها نحوا من أربعمائة. واستوزر المعتز أحمد بن أبي إسرائيل ، وخلع عليه ، وألبسه تاجاً على رأسه. ولما تمهد أمر بغداد ، واستقرت البيعة للمعتز بها ، ودان[٣] له أهلها ، وقدمتها الميرة من كل جانب ، واتسع الناس في الأرزاق والأطعمة ، ركب أبو أحمد منها في يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة من المحرم إلى سامرا ، وشيّعه ابن طاهر في وجوه الأمراء ، فخلع أبو أحمد علي بن طاهر خمس خلع ، وسيفًا ، ورده من الطريق إلى بغداد. وقد ذكر ابن جرير مدائح الشعراء في المعتز ، وتشفّيهم[٤] بخلع المستعين ، فأكثر من ذلك جدًا ، فمن ذلك قول محمد بن مروان بن أبي الجنوب بن مروان في مدح المعتز وذم المستعين كما جرت به عادة الشعراء :

إنّ الأمورَ إلى المعتـــز قــد رجعتْ	والمســتعينُ إلى حــالتــه رَجَعَــــا
وكانَ يعلمُ أن الملـــكَ ليــس لــه	وأنّهُ لكَ لكـــنّ نفســَه خـــدعا
ومالكُ الملك مــؤتيه ونــــازعــهُ	آتاكَ ملكاً ومنهُ الملكُ قــد نــزعــا
إنّ الخلافةَ كَــانــتْ لا تلائمـــهُ	كانتْ كذات حليلٍ زوّجت مُتُعا[٥]
ما كــــان أقبحَ عنــد الناس بيعتُه	وكان أحسنَ قولِ الناس : قد خلعــا
ليتَ الســفينَ إلى قــاف دفعنَ بــه	نفسي الفداءُ لــملّاحٍ بـــه دفعــــا
كم ساسَ قبلك أمرَ الناسِ من مَلـكٍ	لو كانَ حُمِّلَ ما حُملتــــه ظَلَعا[٦]
أمسى بكَ الناسُ بعد الضيق في سـَعةٍ	والله يجعلُ بعد الضيــــق متّســعــا
والله يـــدفعُ عنك السوءَ من ملكٍ	فإنّه بك عنا الســوءَ قــد دفعـــــا

وكتب المعتز من سامرا إلى نائب بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر أن يسقط اسم وصيف وبغا ومن كان في رسمهما في الدواوين ، وعزم على قتلهما ، ثم استرضي عنهما فرضي عنهما. وفي رجب من هذه السنة خلع المعتز أخاه إبراهيم الملقب بالمؤيد من ولاية العهد وحبسه ، وأخاه أبا أحمد ، بعدما ضرب المؤيد أربعين مقرعة . ولما كان يوم الجمعة خطب بخلعه، وأمره

---

(١) البردة : بردة النبيّ عليه الصلاة والسلام .

(٢) وبيئة : فاسدة المناخ .

(٣) دان : خضع .

(٤) تشفّيهم : من نُكِيَ في عدوه نكاية تَسُرُّه . وهنا الهجاء المعتمد على الشماتة .

(٥) المقصود هنا زواج المتعة .

(٦) الظلع : العرج ، أو ضاق بحمله .

أن يكتب كتاباً على نفسه بذلك، وكانت وفاته بعد ذلك بخمسة عشر يومًا ، فقيل إنه أدرج في لحاف سمور[1] وأمسك طرفاه حتى مات غماً ، وقيل: بل ضُرِب بحجارة من ثلج حتى مات برداً وبعد ذلك أخرج من السجن ولا أثر به ، فأحضر القضاة والأعيان ، فشهدوا على موته من غير سبب وليس به أثر ، ثم حمل على حمار ، ومعه كفنه إلى أمه ، فدفنته.

ذكر مقتل المستعين

في شوال منها كتب المعتز إلى نائبه محمد بن عبد الله بن طاهر يأمره بتجهيز جيش نحو المستعين فجهز أحمد بن طولون التركي فوافاه فأخرجه لست بقين من رمضان فقدم به القاطول لثلاث مضين من شوال ، ثم قتل ، فقيل: ضرب حتى مات، وقيل: بل غرق في دجيل، وقيل بل : ضربت عنقه.وقد ذكر ابن جرير أن المستعين سأل من سعيد بن صالح التركي حين أراد قتله أن يمهله حتى يصلي ركعتين، فأمهله، فلما كان في السجدة الأخيرة قتله وهو ساجد ، ودفن جثته في مكان صلاته ، وعفا أثره وحمل رأسه إلى المعتز ، فدخل به عليه وهو يلعب بالشطرنج ، فقيل: هذا رأس المخلوع . فقال : ضعوه حتى أفرغ من الدست[2] . فلما فرغ نظر إليه وأمر بدفنه ، ثم أمر لسعيد بن صالح الذي قتله بخمسين ألف درهم ، وولاه معونة البصرة وفيها مات إسماعيل بن يوسف العلوي الذي فعل بمكة ما فعل كما تقدم من إلحاده في الحرم ، فأهلكه الله في هذه السنة عاجلاً ولم يُنظره .

وفيها: مات أحمد بن محمد المعتصم وهو المستعين بالله كما تقدم ، وإسحاق بن بهلول ، وزياد ابن أيوب ، ومحمد بن بشار، وغندر، وموسى بن المثنى الزمن ، ويعقوب بن إبراهيم الدورقي .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائتين

في رجب منها عقد المعتز لموسى بن بغا الكبير على جيش قريب من أربعة آلاف، ليذهبوا إلى قتال عبد العزيز بن أبي دلف بناحية همذان ، لأنه خرج عن الطاعة وهو في نحو من عشرين ألفاً بناحية همذان ، فهزموا عبدالعزيز في أواخر هذه السنة هزيمة فظيعة ، ثم كانت بينهما وقعة أخرى في رمضان عند الكرج ، فهزم عبد العزيز أيضاً ، وقتل من أصحابه بشر كثير ، وأسروا ذراري كثيرة ، حتى أسروا أم عبد العزيز ، وبعثوا إلى الخليفة المعتز تسعين حملاً من الرؤوس ، وأعلاماً كثيرة ، وأخذ من عبد العزيز ما كان استحوذ عليه من البلاد . وفي رمضان منها خلع على بغا الشرابي ، وألبسه التاج والوشاحين ، وفي يوم عيد الفطر كانت وقعة هائلة عند مكان يقال له البوازيج ، وذلك أن رجلاً يقال له: مساور بن عبد الحميد حكم فيها، والتف عليه نحو من سبعمائة من الخوارج ، فقصد له رجل يقال له: بندار الطبري في ثلاثمائة من

(١) سمور : من فراء السَّمّور وهو حيوان بَرِّيّ تُتَّخَذُ من جلده فراءُ ثمينةُ ، وأطلق السمور على جلده .
(٢) الدست : المجلس .

أصحابه ، فالتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً ! فقتل من الخوارج نحواً من خمسين ، وقتل من أصحاب بندار مائتان ، وقيل: وخمسون رجلاً وقتل بندار فيمن قتل رحمه الله ثم صمد مساور إلى حلوان، فقاتله أهلها وأعانهم حجاج أهل خراسان ، فقتل مساور منهم نحوًا من أربعمائة قبّحه الله وقتل من أصحابة جماعة كثيرون أيضاً ، ولثلاث بقين من شوال قتل وصيف التركي ، وأرادت العامة نهب داره في سامرا ، ودور أولاده ، فلم يمكنهم ذلك ، وجعل الخليفة المعتز ما كان إليه إلى بغا الشرابي؛ وفي ليلة أربع عشرة من ذي القعدة من هذه السنة كسف القمر ، حتى غاب أكثره وغرق نوره ، وعند انتهاء كسوفه مات محمد بن عبد الله بن طاهر نائب العراق ببغداد وكانت علّته قروحاً في رأسه وحلقه، فذبحته ، ولما أُتي به لُيصلي عليه ، اختلف أخوه عبيد الله ، وابنه طاهر أيهما يصلي عليه، وتنازعا ، حتى جذبت السيوف ، وترامى الناس بالحجارة ، وصاحت الغوغاء يا طاهر يا منصور : فمال عبيد الله إلى الشرقية ، ومعه القواد وأكابر الناس ، فدخل داره ، وصلى عليه ابنه وكان أبوه قد أوصى إليه .

وحين بلغ المعتز ما وقع بعث بالخلع والولاية إلى عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن طاهر ، فأطلق عبيدالله للذي قدم بالخلع خمسين ألف درهم . وفيها نفى الخليفة المعتز أخاه أبا أحمد منْ (سُرَّمَنْ رَأى) إلى واسط ، ثم إلى البصرة ، ثم رد إلى بغداد أيضاً. وفي يوم الاثنين منها سلَخ ذي القعدة التقى موسى بن بغا الكبير ، والحسين ابن أحمد الكوكبي الطالبي – الذي خرج في سنة إحدى وخمسين عند قزوين فاقتتلا قتالاً شديداً، ثم هزم الكوكبي ، وأخذ موسى قزوين ، وهرب الكوكبي إلى الديلم وذكر ابن جرير عن بعض من حضر هذه الوقعة أن الكوكبي حين التقى أمر أصحابه أن يتترسوا بالجحف[1] – وكانت السهم لا تعمل فيهم – فأمر موسى بن بغا أصحابه عند ذلك أن يطرحوا ما معهم من النفط ، ثم حاولوهم وأروهم أنهم قد انهزموا منهم ، فتبعهم أصحاب الكوكبي ، فلما توسطوا الأرض التي فيها النفط ، أمر عند ذلك بإلقاء النار ، فيه فجعلت النار تحرق أصحاب الكوكبي، ففروا سراعاً هاربين، وكر عليهم موسى وأصحابه، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وهرب الكوكبي إلى الديلم، وتسلم موسى بن بغا قزوين. وفيها: حج بالناس عبد الله بن محمد بن سليمان الزينبي .

وفيها توفى من الأعيان : أبو الأشعث. وأحمد بن سعيد الدارمي .

وسرى السقطى

أحد كبار مشايخ الصوفية تلميذ معروف الكرخي ، حدّث عن هُشيم ، وأبي بكر بن عياش ، وعلي بن عراب، ويحيى بن يمان ، ويزيد بن هارون ، وغيرهم . وعنه ابن أخته الجنيد ابن محمد ، وأبو الحسن النوري ، ومحمد بن الفضل بن جابر السقطي وجماعة . وكانت له

---

(١) الجحف : الجُحْفَةُ : موضع بين مكة والمدينة وهى ميقات أهل الشام وكان اسمها مَهْيَعَةُ .

دكان يتجر فيها ، فمرت به جارية قد انكسر إناء كان معها تشتري فيه شيئاً لسادتها - فجعلت تبكي ، فأعطاها سري شيئاً تشتري به بدله ، فنظر معروف إليه ، وما صنع بتلك الجارية فقال له : بغَّض الله إليك الدنيا، فوجد الزهد من يومه .

وقال سري : مررت في يوم عيد ، فإذا معروف ، ومعه صغير شعث الحال[١] ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : هذا كان واقفاً عند صبيان يلعبون بالجوز ، وهو مفكر[٢] ، فقلت له : ما لك لا تلعب كما يلعبون ؟ فقال : أنا يتيم ولا شيء معي أشتري به جوزاً ألعب به ، فأخذته لأجمع له نوى يشتري به جوزاً يفرح به ، فقلت: ألا أكسوه ، وأعطيه شيئاً يشتري به جوزاً ؟ فقال: أو تفعل؟ فقلت : نعم . فقال: خذه أغنى الله قلبك . قال سري : فصغرت عندي الدنيا ، حتى هي أقلّ شيء . وكان عنده مرة لوز ، فساومه رجل على الكرّ[٣] بثلاثة وستين ديناراً ، ثم ذهب الرجل فإذا اللوز يساوي الكرّ تسعين ديناراً فقال له : إني أشتري منك الكرّ بتسعين ديناراً فقال له: إني إنما ساومتك بثلاثة وستين ديناراً ، وإني لا أبيعه إلا بذلك، فقال الرجل: أنا أشتري منك بتسعين ديناراً، فقال : لا أبيعه إلا بما ساومتك عليه ، فقال له الرجل : إن من النصح أن لا أشتري منك إلا بتسعين ديناراً ، وذهب فلم يشتر منه؛ وجاءت امرأة يومًا إلى سري فقالت: إن ابني قد أخذه الحرسي ، وإني أحب أن تبعث إلى صاحب الشرطة لئلا يضرب، فقام فصلّى، فطوّل الصلاة وجعلت المرأة تحترق في نفسها ، فلما انصرف من الصلاة قالت المرأة: الله الله في ولدي ، فقال لها : إني إنما كنت في حاجتك، فما رام مجلسه الذي صلى فيه حتى جاءت امرأة إلى تلك المرأة فقالت لها: أبشريّ ، فقد أطلق المتولي ولدك وها هو في المنـــزل ، فانصرفت إليه ، وقال السري : أشتهي أن آكل أكلة ليس لله فيها عليّ تبعة ولا لأحد عليّ فيها منّة فما أجد إلى ذلك سبيلا . وفي رواية عنه أنه قال : إني لأشتهي البقل من ثلاثين سنة فما أقدر عليه . وقال : احترق سوقنا، فقصدت المكان الذي فيه دكاني ، فتلقاني رجل فقال : أبشر فإن دكانك قد سلمت ، فقلت : الحمد لله . ثم ذكرت ذلك التحميد إذ حمدت الله على سلامة دنياي ، وإني لم أواس الناس فيما هم فيه ، فأنا أستغفر الله منذ ثلاثين سنة رواها الخطيب عنه وقال : صليت وردي[٤] ذات ليلة ، ثم مددت رجلي في المحراب ، فنوديت : ياسري هكذا تجالس الملوك ؟ قال فضممت رجلي وقلت: وعزّتك لا مددت رجلي أبدًا .

وقال الجنيد : ما رأيت أعبد من سريّ السقطي ، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعًا إلا في علة الموت .

---

(١) تبدو عليه علامات الفقر في الملبس والهيئة وتشعث شعر رأسه .

(٢) منكسر متحير حزين .

(٣) الكُرُّ: مكيال يقال : إنه أربعون إردباً أو غير ذلك .

(٤) الورد : الجزء من القرآن يقرأه الإنسان كلّ ليلة .

وقال الخطيب ، عن أبي نعيم ، عن جعفر الخلدي ، عن الجنيد بن محمد قال : دخلت عليه أعوده فقلت : كيف تجدك ؟ فقال:

كيف أشكُو إلى طبيبـــي ما بي ... والذي قد أصابني من طبيـــبي

قال : فأخذت المروحة لأروح عليه فقال : كيف يجد روح المروحة مَن جوفه يحترق من داخل ؟ ثم أنشأ يقول:

القلــبُ محترقٌ والـــدمــعُ مستبقٌ ... والكربُ مجتمعٌ والصبـــرُ مفتـــرقُ
كـــيفَ القرارُ على مَنْ لا قرارَ لهُ ... مما جناهُ الهوى والشوقُ والقـــلقُ ؟
يـــاربُّ إنْ كـــان شيءٌ لي به فرجٌ ... فامْنُنْ عليّ به ما دامَ بي رمقُ [1]

قال : فقلت له : أوصني ، قال : لا تصحب الأشرار ، ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأبرار الأخيار . وقد ذكر الخطيب وفاته ، يوم الثلاثاء ، لست خلون من رمضان ، سنة ثلاث وخمسين ومائتين، بعد أذان الفجر، ودفن بعد العصر بمقبرة الشونيـــزي ، وقبره ظاهر معروف، وإلى جنبه قبر الجنيد ، وروى عن أبي عبيدة بن حريوبة. قال : رأيت سريا في المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : غُفر لي ، ولكل من شهد جنازتي ، قلت: فإنني ممن حضر جنازتك ، وصلى عليك قال : فأخرج درجاً ، فنظر فيه ، فلم ير فيه اسمي ، فقلت : بلى ! قد حضرت ، فإذا اسمي في الحاشية . وحكى ابن خلكان قولاً: أن سريّا توفي سنة إحدى وخمسين ، وقيل: سنة ست وخمسين ، فالله أعلم قال ابن خلكان : وكان السري ينشد كثيراً :

ولما ادعيتُ الحبَّ قالت: كذبــتني ... فمالي أرى الأعضاء منــكَ كواسيا
فلا حبَّ حتى يلصقَ الجلدُ بالحشـــى ... وتذهلَ حتى لا تجيـــبَ المنـــاديـــا

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائتين

فيها: أمر الخليفة المعتز ، بقتل بغا الشرابي ، ونصب رأسه بسامرا ، ثم ببغداد ، وحرُقت جثته ، وأخذت أمواله وحواصله وفيها ولّي الخليفة أحمد بن طولون الديار المصرية ، وهو باني الجامع المشهور بها .

وحج بالناس فيها علي بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد .

وتوفي فيها من الأعيان : زياد بن أيوب الحسياني ، وعلي بن محمد بن موسى الرضي ، يوم الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة ببغداد وصلى عليه أبو أحمد المتوكل في الشارع المنسوب إلى أبي أحمد ، ودفن بداره ببغداد ومحمد بن عبد الله المخرمي ، وموهل بن إهاب .

---

(١) الرمق : بقية الروح .

وأما أبو الحسن على الهادي

[فهو] ابن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب ، أحد الأئمة الاثني عشرية، وهو والد الحسن بن علي العسكري المنتظر عند الفرقة الضالة الجاهلة الكاذبة الخاطئة . وقد كان عابداً زاهداً نقله المتوكل إلى سامرا ، فأقام بها أزيد من عشرين سنة بأشهر ومات بها في هذه السنة وقد ذكر للمتوكل أن بمنـــزله سلاحًا ، وكتبًا كثيرة من الناس ، فبعث فكبسة ، فوجدوه جالسًا مستقبل القبلة ، وعليه مدرعة[1] من صوف ، وهو على التراب ليس دونه حائل، فأخذوه كذلك فحملوه إلى المتوكل وهو على شرابه فلما مثل بين يديه أجلّه ، وأعظمه، وأجلسه إلى جانبه ، وناوله الكأس الذي في يده. فقال : يا أمير المؤمنين لم يدخل باطني ، ولم يخالط لحمي ودمي قط ، فاعفني منه ، فأعفاه ، ثم قال له : أنشدني شعراً فأنشده :

بـــاتوا على قُلَلِ الأجبـــال تحرسُهمْ ... غُلْبُ الرجال فمـــا اغنتهم القُللُ[2]
واسْتنـــزلُوا بعـــدَ عزٍّ عن معاقلهم ... فأُودِعُوا حُفَرًا يـــا بئـــسَ مـــا نزلوا
ناداهم صارخٌ من بعـــد مـــا قُبِروا ... أينَ الأسرَّةُ والتيجـــــانُ والحلـــلُ؟
أينَ الوجوهُ التي كانتْ منعّمـــــةً ... من دونها تضربُ الأستار والكلـــلُ[3]
فافصـــحَ القبرُ عنهمُ حين ســـاءَلَهم ... تلك الوجـــوهُ عليهـــا الدودُ يقتتـــلُ
قد طالَ ما أكلوا دهرًا ومـــا شربوا ... فأصبحوا بعـــدَ طول الأكلِ قد أُكِلُوا

قال : فبكى المتوكل ، حتى بلّ الثرى ، وبكى من حوله بحضرته ، وأمر برفع الشراب، وأمر له بأربعة آلاف دينار، وتحلل منه ، ورده إلى منـــزله مكرمًا رحمه الله .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائتين

فيها: كانت وقعة بين مفلح وبين الحسن بن زيد الطالبي ، فهزمه مفلح ، ودخل آمل طبرستان وحرق منازل الحسن بن زيد ، ثم سار وراءه إلى الديلم. وفيها كانت محاربة شديدة بين يعقوب بن الليث ، وبين علي بن الحسين بن قريش بن شبل ، فبعث علي بن الحسين رجلاً من جهته يقال له : طوق بن المغلس ، فصابره أكثر من شهر ثم ظفر يعقوب بطوق فأسرّه فأسرّ وجوه أصحابه ، ثم صار إلى علي بن الحسين هذا فأسره أيضا ـــ وأخذ بلاده ـــ وهي كرمان ـــ فأضافها إلى ما بيده من مملكة خراسان سجستان ، ثم بعث يعقوب بن الليث بهدية سنية إلى المعتز بالله : دواب ، وبازات، وثياب فاخرة ، وفيها ولّى الخليفة سليمان بن عبد الله

(١) المدرعة : ثوب من صوف يستر الجسد .
(٢) القلل : القمم وأعالي الجبال .
(٣) الكلل : الستر الرقيق .

ابن طاهر نيابة بغداد والسواد في ربيع الأول منها ، وفيها أخذ صالح بن وصيف أحمد بن إسرائيل كاتب المعتز والحسن بن مخلد كاتب قبيحة أم المعتز ، وأبا نوح عيسي بن إبراهيم ، وكانوا قد تمالئوا [١] على أكل بيت المال ، وكانوا دوّاوين وغيرهم ، فضربهم وأخذ خطوطهم بأموال جزيلة يحملونها ، وذلك بغير رضى من المعتز في الباطن ، واحتيط على أموالهم وحواصلهم وضياعهم وسموا الكتّاب الخونة ، وولّى الخليفة عن قهر غيرهم .

وفي رجب منها ظهر عيسى بن جعفر ، وعلي بن زيد الحسنيان بالكوفة وقتلا بها عبد الله ابن محمد بن داود بن عيسى ، واستفحل أمرهما بها .

موت الخليفة المعتز بن المتوكل

ولثلاث بقين من رجب من هذه السنة خلع الخليفة المعتز بالله ، ولليلتين مضتا من شعبان أظهر موته وكان سبب خلعه أن الجند اجتمعوا ، فطلبوا منه أرزاقهم ، فلم يكن عنده ما يعطيهم ، فسأل أمه أن تقرضه مالا يدفعهم عنه به فلم تعطه وأظهرت أنه لاشيء عندها ، فاجتمع الأتراك على خلعه، فأرسلوا إليه ليخرج إليهم، فاعتذر بأنه قد شرب دواء وأن عنده ضعفاً ، ولكن ليدخل إليّ بعضكم ، فدخل إليه بعض الأمراء ، فتناولوه بالدبابيس [٢] يضربونه ، وجروا برجله وأخرجوه وعليه قميص مخرق ملطخ بالدم ، فأقاموه في وسط دار الخلافة في حرٍّ شديد ، حتى جعل يراوح [٣] بين رجليه من شدة الحر ، وجعل بعضهم يلطمه ، وهو يبكي ويقول له الضارب : اخلعها والناس مجتمعون ، ثم أدخلوه حجرة مضيّقاً عليه فيها ، ومازالوا عليه بأنواع العذاب، حتى خلع نفسه من الخلافة ، فولي بعده المهتدي بالله كما سيأتي ، ثم سلموه إلى من يسومه سوء العذاب بأنواع المثلات [٤] ، ومنع من الطعام والشراب ثلاثة أيام ، حتى جعل يطلب شربة من ماء البئر ، فلم يُسق ، ثم أدخلوه سربًا فيه جص جير ، فدسوه فيه ، فأصبح ميتا ، فاستلوه من الجص سليم الجسد ، وأشهدوا عليه جماعة من الأعيان أنه مات وليس به أثر ، وكان ذلك في اليوم الثاني من شعبان من هذه السنة ، وكان يوم السبت ، وصلى عليه المهتدي بالله ، ودفن مع أخيه المنتصر إلى جانب قصر الصوامع ، عن أربع وعشرين سنة . وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يومًا ، وكان طويلاً جسيمًا وسيما أقنى الأنف مدور الوجه ،حسن الضحك أبيض أسود الشعر مجعده ، كثيف اللحية ، حسن العينين والوجه ، ضيق الجبين أحمر الوجه ، وقد أثنى عليه الإمام أحمد بن حنبل فى جودة ذهنه ، وحسن فهمه ، وأدبه حين دخل عليه في حياة أبيه المتوكل ، كما قدمنا في ترجمة الإمام أحمد . وروى

(١) اتفقوا فيما بينهم .

(٢) الدبابيس : واحدها الدُبوُّس : المِقْمَعَةُ : عصا من خشب أو حديد فى رأسها شيء كالكرة . (فارسية). اللسان (دبس) .

(٣) يراوح : يخرج الغائط .

(٤) المثلات : أى التمثيل والتفنن فى التعذيب .

الخطيب عن علي بن حرب قال : دخلت على المعتز فما رأيت خليفة أحسن وجهًا منه ، فلما رأيته سجدت ، فقال : يا شيخ تسجد لأحد من دون الله ؟ فقلت : حدثنا أبو عاصم الضحاك ابن مخلد النبيل ، ثنا بكار بن عبدالعزيز بن أبي بكرة ، عن أبيه ، عن جده : « أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى ما يفرح به أو بُشر بما يسره سجد شكرا لله عزَّ وجلَّ » ، وقال الزبير بن بكار: سرت إلى المعتز وهو أمير ، فلما سمع بقدومي خرج مستعجلا إلي فعثر فأنشأ يقول:—

يموتُ الفتى مِنْ عثــــرةٍ بلســـانه وليسَ يموتُ المرءُ من عثرة[1] الرِّجْلِ
فــعثرتــهُ من فيهِ تــرمي بــرأسه وعثرتُهُ في الرجـــلِ تبرأ[2] على مهلِ

وذكر ابن عساكر أن المعتز لما حذق القرآن في حياة أبيه المتوكل ، اجتمع أبوه والأمراء لذلك ، وكذلك الكبراء ، والرؤساء (بسر من رأى) ، واختلفوا لذلك أيامًا عديدة ، وجرت أحوال عظيمة . ولما جلس وهو صبي على المنبر ، وسلم على أبيه بالخلافة ، وخطب الناس نثرت الجواهر ، والذهب، والدراهم على الخواص والعوام بدار الخلافة، وكان قيمة ما نثر من الجواهر يساوي مائة ألف دينار، ومثلها ذهباً ، وألف ألف درهم غير ما كان من خلع ، وأسمطة ، وأقمشة مما يفوت الحصر ، وكان وقتاً مشهوداً لم يكن سروراً بدار الخلافة أبهج منه ولا أحسن. وخلع الخليفة على أم ولده المعتز وهي قبيحة خلعاً سنية ، وأعطاها وأجزل لها العطاء ، وكذلك خلع على مؤدب ولده وهو محمد بن عمران ، أعطاه من الجوهر ، والذهب، والفضة ، والقماش شيئاً كثيراً جداً ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

خلافة المهتدي بالله

أبي محمد عبد الله محمد بن الواثق بن المعتصم بن هارون ، وكانت بيعته يوم الأربعاء لليلة بقيت من رجب من هذه السنة ، بعد خلع المعتز نفسه بين يديه ، وإشهاده عليه بأنه عاجز عن القيام بها ، وأنه قد رغب إلى من يقوم بأعبائها وهو محمد بن الواثق بالله ، ثم مد يده ، فبايعه قبل الناس كلهم ، ثم بايعه الخاصة ، ثم كانت بيعة العامة على المنبر ، وكتب على المعتز كتاباً أشهد عليه فيه بالخلع ، والعجز ، والمبايعة للمهتدي وفي آخر رجب وقعت في بغداد فتنة هائلة وثبت فيها العامة على نائبها سليمان بن عبد الله بن طاهر ، ودعوا إلى بيعة أحمد بن المتوكل – أخي المعتز – ، وذلك لعدم علم أهل بغداد بما وقع بسامرا من بيعة المهتدي، وقتل من أهل بغداد وغرق منهم خلق كثير ، ثم لما بلغهم بيعة المهتدي سكنوا ، وإنما بلغتهم في سابع شعبان– فاستقرت الأمور ، واستقر المهتدي في الخلافة ، وفي رمضان من هذه السنة ، ظهر عند قبيحة أم المعتز أموال عظيمة ، وجواهر نفيسة كان من جملة ذلك ما يقارب ألفي ألف دينار ، ومن

(١) العثرة : الذلّة .
(٢) تبرأ : تشفى .

الزمرد الذي لم ير مثله مقدار مكوك [١] ، ومن الحب الكبار مكوك ، وكيلجة [٢] ياقوت أحمر، مما لم ير مثله أيضا وقد كان الأمراء طلبوا من ابنها المعتز خمسين ألف دينار ، تصرف في أرزاقهم وضمنوا له أن يقتلوا صالح بن وصيف ، فلم يكن عنده من ذلك شيء ، فطلب من أمه قبيحة هذه — قبّحها الله — فامتنعت أن تقرضه ذلك ، فأظهرت الفقر والشح وأنه لا شيء عندها ثم لما قتل ابنها ، وكان ما كان ، ظهر عندها من الأموال ما ذكرنا . وكان عندها من الذهب ، والفضة ، والآنية شيء كثير ، وقد كان لها من الغلات في كل سنة ، ما يعدل عشرة آلاف دينار ، وقد كانت قبل ذلك مختفية عند صالح بن وصيف عدو ولدها ، ثم تزوجت به ، وكانت تدعو عليه تقول : اللهم اخز صالح بن وصيف كما هتك ستري وقتل ولدي ، وبدّد شملي ، وأخذ مالي ، وغرّبني عن بلدي ، وركب الفاحشة منّي ، ثم استقرت الخلافة باسم المهتدي بالله وكانت بحمد الله خلافة صالحة قال يومًا للأمراء : إني ليست لي أم لها من الغلات ما يقاوم عشرة آلاف دينار ، ولست أريد إلا القوت فقط لا أريد فضلاً على ذلك ، إلا لإخوتي ، فإنهم قد مستهم الحاجة .

وفي يوم الخميس لثلاث بقين من رمضان أمر صالح بن وصيف بضرب أحمد بن إسرائيل الذي كان وزيراً ، وأبي نوح عيسى بن إبراهيم الذي كان نصرانياً ، فأظهر الإسلام ، وكان كاتب قبيحة ، فضرب كل واحد منهما خمسمائة سوط — بعد استخلاص أموالهم — ، ثم طيف بهما على بغلين منكسين فماتا وهما كذلك ، ولم يكن ذلك عن رضى المهتدي ولكن لا يقدر على الإنكار على صالح بن وصيف في بادئ الأمر ، وفي رمضان فى هذه السنة وقعت فتنة ببغداد أيضا بين محمد بن أوس ، ومن تبعه من الشاكرية والجند وغيرهم ، وبين العامة والرعاع، فاجتمع من العامة نحو من مائة ألف ، وكان بين الناس قتال بالنبال ، والرماح ، والسيوف، فقُتل خلق كثير ، ثم انهزم محمد بن أوس وأصحابه ، فنهبت العامة ما وجدوا من أمواله ، وهو ما يعادل ألفي ألف فرنك أو نحو ذلك . ثم اتفق الحال على إخراج محمد بن أوس من بغداد إلى أين أراد ، فخرج منها خائفاً طريداً وذلك لأنه لم يكن عند الناس مرضيَّ السيرة ، بل كان جباراً عنيداً ، وشيطاناً مريداً [٣] وفاسقاً شديداً ، وأمر الخليفة بأن ينفي القيان ، والمغنون من سامرا ، وأمر بقتل السباع ، والنمور التي في دار السلطان، وقتل الكلاب المعدة للصيد أيضًا وأمر بإبطال الملاهي ، ورد المظالم، وأن يؤمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، وجلس للعامة . وكانت ولايته في الدنيا كلها من أرض الشام ، وغيرها مفترقة ثم استدعى الخليفة المهتدي موسى بن بغا الكبير إلى حضرته ليتقوى به على من عنده من الأتراك ، ولتجتمع كلمة الخلافة فاعتذر إليه من استدعائه ، بما هو فيه من الجهاد في تلك البلاد .

---

(١) المكوك : طاسٌ يشرب به ، أو هو آلة فى الحياكة .

(٢) الكيلجة : مكيال .

(٣) المريد : الخبيث المتمّرد الشرير .

ذكر خارجي آخر ادعى أنه من أهل البيت بالبصرة

وفي النصف من شوّال ظهر رجل بظاهر البصرة ، زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، و لم يكن صادقًا ، وإنما كان عسيفا- يعني أجيرًا - من عبد القيس ، واسمه علي بن محمد بن عبد الرحيم ، وأمه قرة بنت علي بن رحيب من محمد بن حكيم من بني أسد بن خزيمة ، وأصله من قرية من قرى الري . قاله ابن جرير. قال : وقد خرج أيضاً في سنة تسع وأربعين ومائتين بالنحدين ، فادعى أنه علي بن محمد ابن الفضل بن الحسين بن عبد الله بن عباس بن علي بن أبي طالب ، فدعا الناس بهجَرَ إلى طاعته، فاتبعه جماعة من أهل هجر ، ووقع بسببه قتال كثير ، وفتن كبار ، وحروب كثيرة ، ولما خرج خرجته هذه الثانية بظاهر البصرة التف عليه خلق من الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ [١] ، فعبر بهم دجلة ، فنـــزل الديناري ، وكان يزعم لبعض الجهلة من أتباعه أنه يحيى ابن عمر أبو الحسين ـــ المقتول بناحية الكوفة ـــ وكان يدعي أنه يحفظ سورًا من القرآن في ساعة واحدة جرى بها لسانه لا يحفظها غيره في مدة دهر طويل ، وهنّ : " سبحان ، والكهف، وص ، وعَمّ " . وزعم أنه فكر يومًا وهو في البادية إلى أي بلد يسير ، فخوطب من سحابة أن يقصد البصرة ، فقصدها ، فلما اقترب منها وجد أهلها مفترقين على شعبتين ، سعدية ، وبلالية ، فطمع أن ينضم إلى إحداهما فيستعين بها على الأخرى فلم يقدر على ذلك ، فارتحل إلى بغداد، فأقام بها سنة ، وانتسب بها إلى محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد ، وكان يزعم بها أنه يعلم ما في ضمائر أصحابه ، وأن الله يُعلّمه بذلك ، فتبعه على ذلك جهلة من الطغام [٢] ، وطائفة من الرعاع العوام . ثم عاد إلى أرض البصرة في رمضان، فاجتمع معه بشر كثير ، ولكن لم يكن معهم عدد يقاتلون بها ، فأتاهم جيش من ناحية البصرة ، فاقتتلوا جميعًا ، و لم يكن في جيش هذا الخارجي سوى ثلاثة أسياف ، وأولئك الجيش معهم عدد، وعُدد ، ولبوس ، ومع هذا هزم أصحاب هذا الخارجي ذلك الجيش ، وكانوا في أربعة آلاف مقاتل ، ثم مضى نحو البصرة بمن معه فأهدى له رجل من أهل جبى فرسًا فلم يجد لها سرجًا ولا لجامًا ، وإنما ألقى عليها حبلاً وركبها ، وسنّف [٣] حنكها بليف ،ثم صادر رجلا وهدده بالقتل فأخذ منه مائة وخمسين ديناراً وألف درهم ، وكان هذا أول مال غنمه من هذه البلاد ،وأخذ من آخر ثلاثة براذين [٤] ، ومن موضع آخر شيئًا من الأسلحة والأمتعة ، ثم سار في جيش قليل السلاح والخيول ، ثم جرت بينه وبين نائب البصرة وقعات متعددة ، يهزمهم فيها وكل ما لأمره يقوى

(١) السباخ : ما لم يفلح من الأرض و لم يَعْمُرْ .
(٢) الطغام : أراذل الناس .
(٣) سنّف :شده بالسّناف ، وهو حزام يُشدّ به الرحل .
(٤) البراذين : جمع برذون ، وهو دابة دون الحصان غليظة الأعضاء ضخمة تتخذ للحمل .

وتزداد أصحابه ، ويعظم أمره ، ويكثر جيشه ، وهو مع ذلك لا يتعرض لأموال الناس ، ولا يؤذي أحداً وإنما يريد أخذ أموال السلطان . وقد انهزم أصحابه في بعض تلك الحروب هزيمة فظيعة، ثم تراجعوا إليه ،واجتمعوا عليه ، ثم كرّوا على أهل البصرة ، فهزموهم وقتلوا منهم خلقًا وأسروا آخرين، فكان لا يؤتى بأحد من الأسرى إلا قتله ثم قوي أمره وخافه أهل البصرة، وبعث الخليفة إليها مددًا ليقاتلوا هذا الخارجي، وهو صاحب الزنج قبحه الله ، ثم أشار عليه بعض أصحابه أن يهجم بمن معه على أهل البصرة ،فيدخلوها عنوة فهجّن آراءهم وقال : بل نكون منها قريبا ،حتى يكون هم الذين يطلبوننا إليها ،ويخطبوننا عليها . وسيأتي ما كان من أمره وأمر أهل البصرة في السنة المستقبلة إن شاء الله. وحج بالناس في هذه السنة علي بن الحسين ابن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

وفيها توفى :

الجاحظ المتكلم المعتزلي

وإليه تنسب الفرقة الجاحظية [1] لجحوظ عينيه ، ويقال له : الحدقي ، وكان شنيع المنظر ، سيئ المخبر رديء الاعتقاد ، ينسب إلى البدع ، والضلالات ، وربما جاز به بعضهم إلى الانحلال ، حتى قيل في المثل : يا ويح من كفره الجاحظ والله أعلم بحاله . وكان بارعًا فاضلاً قد أتقن علومًا كثيرة، وصنف كتبًا جمة تدل على قوة ذهنه وجودة تصرفه — ومن أجلّ كتبه : كتاب (الحيوان) ، وكتاب (البيان والتبيين) . قال ابن خلكان : وهما أحسن مصنفاته وأمتعها ، وقد أطال ترجمته بحكايات ذكرها عنه وذكر أنه أصابه الفالج في آخر عمره ، وحكي أنه قال : أنا من جانبي الأيسر مفلوج لو قرض بالمقاريض ما علمت ، وجانبي الأيمن منضرس [2] فلو مرت به ذبابة لألمت ، وبي حصاة ، وأشد ما علي ست وتسعون سنة. وكان ينشد : –

أترجــو أن تكونَ وأنتَ شـيخٌ	كمـا قـد كنـتَ أيـامَ الشبـابِ
لقد كذبتْكَ نفسـُكَ ليس ثوبٌ	دريـسٌ[3] كالـجديدِ مـن الثيابِ

وفيها: توفي عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي ، وعبد الله بن هاشم الطوسي، والخليفة أبو عبد الله المعتز بن المتوكل، ومحمد بن عبدالرحيم الملقب صاعقة .

محمد بن كرّام

الذي تنسب إليه الفرقة الكرّامية ، وقد نسب إليه جواز وضع الأحاديث على الرسول وأصحابه ، وغيرهم ، وهو محمد بن كرام – بفتح الكاف وتشديد الراء، على وزن جمّال –

---

(١) وهو منهم : أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي البصري المعروف بالجاحظ .
(٢) منقرس : متآكل .
(٣) دريس : بالى .

ابن عراف بن حزامة بن البراء ، أبو عبد الله السجستاني العابد ، يقال : إنه من بني تراب ، ومنهم من يقول : محمد بن كِرَّام بكسر الكاف وتشديد الراء [١] وهو الذي سكن بيت المقدس إلى أن مات، وجعل الآخر شيخًا من أهل نيسابور. والصحيح الذي يظهر من كلام أبي عبد الله الحاكم وابن عساكر أنهما واحد ، وقد روى ابن كرام ، عن علي بن حجر ، وعلي بن إسحاق الحنظلي السمرقندي ، سمع منه التفسير ، عن محمد بن مروان ، عن الكلبي ، وإبراهيم ابن يوسف الماكناني ، ومالك بن سليمان الهروي ، وأحمد بن حرب ، وعتيق بن محمد الجسري، وأحمد بن الأزهر النيسابوري ، وأحمد بن عبد الله الجوساري ، ومحمد بن تميم القاريـاني ـــ وكانا كذابين وضاعين ـــ وغيرهم وعنه محمد بن إسماعيل بن إسحاق، وأبو إسحاق بن سفيان، وعبد الله بن محمد القيراطي ، وإبراهيم بن الحجاج النيسابوري ، وذكر الحاكم أنه حبس في حبس طاهر بن عبد الله، فلما أطلقه ، ذهب إلى ثغور الشام ، ثم عاد إلى نيسابور ، فحبسه محمد بن طاهر بن عبد الله ، وأطال حبسه ، وكان يتأهب لصلاة الجمعة ، ويأتي إلى السجان فيقول : دعني أخرج إلى الجمعة ، فيمنعه السجان فيقول : اللهم إنك تعلم أن المنع من غيري . وقال غيره : أقام ببيت المقدس أربع سنين ، وكان يجلس للوعظ عند العمود الذي عند مشهد عيسى عليه السلام ، واجتمع عليه خلق كثير ، ثم تبين لهم أنه يقول : إن الإيمان قول بلا عمل، فتركه أهلها ، ونفاه متوليها إلى غور زغر ، فمات بها ، ونقل إلى بيت المقدس ، مات في صفر من هذه السنة . وقال الحاكم : توفي ببيت المقدس ليلاً ، ودفن بباب أريحا ، عند قبور الأنبياء عليهم السلام ، وله ببيت المقدس من الأصحاب نحو من عشرين ألفا والله أعلم .

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائتين

في صبيحة يوم الإثنين الثاني عشر من المحرم ، قدم موسى بن بغا الكبير إلى سامرا ، فدخلها في جيش هائل ، قد عباه ميمنة وميسرة وقلبًا وجناحين ، فأتوا دار الخلافة التي فيها المهتدي بالله جالس لكشف المظالم ، فاستأذنوا عليه، فأبطأ الإذن ساعة ، وتأخر عنهم ، فظنوا في أنفسهم أن الخليفة إنما طلبهم خديعة منه ، ليسلط عليهم صالح بن وصيف ، فدخلوا عليه هجماً ، فجعلوا يراطنونهم [٢] بالتركي ، ثم عزموا ، فأقاموه من مجلسه ، وانتهبوا ما كان فيه ، ثم أخذوه مهانا إلى دار أخرى ، فجعل يقول لموسى بن بغا : ما لك ويحك ؟ إني إنما أرسلت إليك لأتقوى بك على صالح بن وصيف ، فقال له موسى : لا بأس عليك ، احلف لي أنك لا تريد بي خلاف ما أظهرت. فحلف له المهتدي ، فطابت أنفسهم ، وبايعوه بيعة ثانية ، مشافهة، وأخذوا عليه العهود والمواثيق ، أن لا يمالئ صالحا عليهم ، واصطلحوا على ذلك . ثم بعثوا إلى

---

(١) تجمع كريم وفرق البيهقى بينهما فجعل الذى ينسب إليه الكرامية بفتح الكاف وتشديد الراء .
(٢) المراطنة : التكلّم بالكلام الأعجمى .

صالح بن وصيف ليحضرهم ، للمناظرة في أمر المعتز ، ومن قتله صالح بن وصيف من الكتاب وغيرهم ، فوعدهم أن يأتيهم ، ثم اجتمع بجماعة من الأمراء من أصحابه ، وأخذ يتأهب لجمع الجيوش عليهم ، ثم اختفى من ليلته، فلم يدر أحد أين ذهب في تلك الساعة ، فبعثوا المنادية عليه في أرجاء البلد ، وتهددوا من أخفاه ، فلم يزل مختفياً إلى آخر صفر على ما سنذكر ، وورد سليمان بن عبد الله بن طاهر إلى نيابة بغداد ، وسلم الوزير عبد الله بن محمد بن يزداد إلى الحسن بن مخلد الذي كان أراد صالح بن وصيف قتله مع ذينك الرجلين ، فبقي في السجن حتى رجع إلى الوزارة .

ولما أبطأ خبر صالح بن وصيف على موسى بن بغا وأصحابه ، قال بعضهم لبعض : اخلعوا هذا الرجل يعني الخليفة المهتدي بالله ــ فقال بعضهم : أتقتلون رجلًا صوّاما قواما لا يشرب الخمر ولا يأتي الفواحش ؟ والله إن هذا ليس كغيره من الخلفاء ، ولا تطاوعكم الناس عليه . وبلغ ذلك الخليفة ، فخرج إلى الناس ، وهو متقلد سيفا ، فجلس على السرير ، واستدعى بموسى بن بغا وأصحابه ، فقال : قد بلغني ما تمالأتم [1] عليه من أمري ، وإني والله ما خرجت إليكم إلا وأنا متحنّط [2] ، وقد أوصيت أخي بولدي ، وهذا سيفي ، والله لأضربن به ما استمسك قائمه [3] بيدي ، والله لئن سقط من شعري شعرة ليهلكن بدلها منكم ، أو ليذهبن بها أكثركم أما دين ؟ أما حياء ؟ أما تستحيون ؟ كم يكون هذا الإقدام على الخلفاء ، والجرأة على الله عزَّ وجلَّ ، وأنتم لا تبصرون ؟ سواء عندكم من قصد الإبقاء عليكم ، والسيرة الصالحة فيكم ، ومن كان يدعو بأرطال الشراب المسكر ، فيشربها بين أظهركم ، وأنتم لا تنكرون ذلك ، ثم يستأثر بالأموال عنكم ، وعن الضعفاء ، هذا منـــزلي ، فاذهبوا ، فانظروا فيه ، وفي منازل إخوتي ، ومن يتصل بي ، هل ترون فيها من آلات الخلافة شيئا ، أو من فرشها أو غير ذلك ؟ وإنما في بيوتنا ما في بيوت آحاد الناس ، ويقولون : إني أعلم علم صالح ابن وصيف ، وهل هو إلا واحد منكم ؟ فاذهبوا ، فاعلموا علمه فابلغوا شفاء نفوسكم فيه ، وأما أنا فلست أعلم علمه . قالوا : فاحلف لنا على ذلك ، قال: أما اليمين فإني أبذلها لكم ، ولكن أدخرها لكم حتى تكون بحضرة الهاشميين والقضاة والمعدلين وأصحاب المراتب في غد إذا صليت صلاة الجمعة قال : فكأنهم لانوا لذلك قليلا فلما كان يوم الأحد لثمان بقين من صفر ، ظفروا بصالح بن وصيف ، فَقُتلَ وجيء برأسه إلى المهتدي بالله ، وقد انفتل [4] من صلاة

---

(١) تمالأتم : اتفقتم وتآمرتم .
(٢) متحنّط : مستعد للموت ، والحنوط: كلّ طيب يخلط للميت .
(٣) يقصد : مقبض السيف .
(٤) انفتل : انتهى .

المغرب ، فلم يزد على أن قال : واروه [١] . ثم أخذ في تسبيحه وذكره . ولما أصبح الصباح من يوم الاثنين رُفعَ الرأس على رمح ونودي عليه في أرجاء البلد : هذا جزاء من قتل مولاه . وما زال الأمر مضطربا متفاقما ، وعظم الخطب حتى أفضى إلى خلع الخليفة المهتدي وقتله رحمه الله.

خلع المهتدي بالله وولاية المعتمد أحمد بن المتوكل

وإيراد شيء من فضائل المهتدي

لما بلغ موسى بن بغا أن مساور الشاري قد عاث بتلك الناحية فساداً ، ركب إليه في جيش كثيف ، ومعه مفلح وبايكباك التركي ، فاقتتلوا هم ومساور الخارجي، ولم يظفروا به ، بل هرب منهم ، وأعجزهم ، وكان قد فعل قبل مجيئهم الأفاعيل المنكرة ، فرجعوا ، ولم يقدروا عليه ثم إن الخليفة أراد أن يخالف بين كلمة الأتراك ، فكتب إلى بايكباك أن يتسلم الجيش من موسى بن بغا،ويكون هو الأمير على الناس، وأن يقبل بهم إلى سامرا ، فلما وصل إليه الكتاب أقرأه موسى بن بغا ، فاشتد غضبه على المهتدي ، واتفقا عليه ، وقصدا إليه إلى سامرا ، وتركا ما كانا فيه فلما بلغ المهتدي ذلك ، استخدم من فوره جنداً من المغاربة والفراغنة والأشروسية والأرزكشية والأتراك أيضا ، وركب في جيش كثيف ، فلما سمعوا به ، رجع موسى بن بغا إلى طريق خراسان ، وأظهر بايكباك السمع والطاعة ، فدخل في ثاني عشر رجب إلى الخليفة سامعا مطيعا ، فلما أوقف بين يديه وحوله الأمراء والسادة من بني هاشم شاورهم في قتله ، فقال له صالح بن علي بن يعقوب بن أبي جعفر المنصور : يا أمير المؤمنين لم يبلغ أحد من الخلفاء في الشجاعة ما بلغت، وقد كان أبو مسلم الخراساني شراً من هذا وأكثر جندًا ، ولما قتله المنصور سكنت الفتنة ، وخمد صوت أصحابه فأمر عند ذلك المهتدي بالله بضرب عنق بايكباك ثم ألقى رأسه إلى الأتراك، فلما رأوا ذلك أعظموه وأصبحوا من الغد مجتمعين على أخي بايكباك طغوتيا، فخرج إليهم الخليفة فيمن معه، فلما التقوا ، خامرت [٢] الأتراك الذين مع الخليفة إلى أصحابهم ، وصاروا إلباً [٣]واحدًا على الخليفة وأصحابه ، فحمل الخليفة فقتل منهم نحواً من أربعة آلاف ثم حملوا عليه فهزموه ومن معه فانهزم الخليفة وبيده السيف صلتا [٤] ، وهو ينادي: يأيها الناس انصروا خليفتكم فدخل دار أحمد بن جميل صاحب المعونة، فوضع فيها سلاحه ولبس البياض وأراد أن يذهب فيختفي ، فعاجله أحمد بن خاقان منها فأخذه قبل أن يذهب ، ورماه بسهم ، وطعن في خاصرته به وحمل على دابة وخلفه سائس وعليه قميص وسراويل ،

---

(١) واروه : ادفنوه .
(٢) خامرت : انضمت .
(٣) إلباً : جماعة .
(٤) صلتًا : مشهرًا .

حتى أدخلوه دار أحمد بن خاقان ، فجعل من هناك يصفعونه ويبزقون في وجهه ، وأخذ خطه بستمائة ألف دينار ، وسلموه إلى رجل ، فلم يزل يجأ [1] خصيتيه ويطؤهما حتى مات رحمه الله وذلك يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب .

وكانت خلافته أقل من سنة بخمسة أيام ، وكان مولده في سنة تسع عشرة ، وقيل : خمس عشرة ومائتين ، وصلى عليه جعفر بن عبد الواحد ، ودفن بمقبرة المنتصر بن المتوكل وكان أسمر رقيقاً أحنى [2] حسن اللحية أشهب عظيم البطن عريض المنكبين قصيراً طويل اللحية يكنى أبا عبد الله .

قال الخطيب : وكان من أحسن الخلفاء مذهباً ، وأجودهم طريقة ، وأكثرهم ورعاً وعبادة وزهادة . قال : وروى حديثا واحدًا قال : حدثني علي بن هشام بن طراح ، عن محمد ابن الحسن الفقيه ، عن ابن أبي ليلي — وهو داود بن علي — عن أبيه عن ابن عباس قال : قال العباس : يا رسول الله ما لنا في هذا الأمر ؟ قال : « لي النبوة ، ولكم الخلافة ، بكم يفتح هذا الأمر، وبكم يختم » وقال للعباس : « من أحبك نالته شفاعتي ، ومن أبغضك لا نالته شفاعتي » وروى الخطيب أن رجلا استعان المهتدي على خصمه فحكم بينهما بالعدل فأنشأ الرجل يقول:

حكّمتموهُ فقضى بينكمْ أبلجُ [3] مثلَ القمرِ الزاهرِ
لا يقبلُ الرشوةَ في حكمه ولا يبالي غُبن [4] الخاسرِ

فقال له المهتدي : أما أنت أيها الرجل فأحسن الله مقالتك ، ولست أغتر بما قلت . وأما أنا فإني ما جلست مجلسي هذا حتى قرأت ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وإن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] قال : فبكى الناس حوله فما رئي أكثر باكيًا من ذلك اليوم ، وقال بعضهم : سرد [5] المهتدي الصوم من حين تولى إلى حين قتل رحمه الله وكان يحب الاقتداء بما سلكه عمر بن عبد العزيز الأموي في خلافته ، من الورع ، والتقشف ، وكثرة العبادة ، وشدة الاحتياط ، ولو عاش ووجد ناصراً لسار سيرته ما أمكنه، وكان من عزمه أن يبيد الأتراك الذين أهانوا الخلفاء وأذلوهم، وانتهكوا منصب الخلافة.

وقال أحمد بن سعيد الأموي : كنا جلوسًا بمكة ، وعندي جماعة ، ونحن نبحث في النحو وأشعار العرب ، إذ وقف علينا رجل نظنه مجنونا فأنشأ يقول :

أما تستحيون الله يا معدنَ النحو شُغلتُمْ بذا والناسُ في أعظم الشغْل

---

(١) يجأ : يضرب ويطعن .
(٢) أحنى : أحدب .
(٣) الأبيض الحسن الوجه .
(٤) الغبن : الانتقاص والخداع في البيع والشراء .
(٥) سرد : واصل وتابع.

إمامكُـــمُ أضحى قتيـــلا مجنـــدلا وقد أصبحَ الإسلامُ مفترقَ الشملِ
وأنتم على الأشعارِ والنحـــوِ عكّفًا تصيحون بالأصواتِ في أحسنِ السّبْلِ

قال فنظرنا ، وأرخنا ذلك اليوم فإذا المهتدي بالله قد قتل في ذلك اليوم ، وكان يوم الإثنين لأربع عشرة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين .

خلافة المعتمد على الله

وهو أحمد بن المتوكل على الله ويعرف بابن فتيان، بويع له بالخلافة يوم الثلاثاء، لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب، في هذه السنة في دار الأمير يارجوخ ، وذلك قبل خلع المهتدي بأيام، ثم كانت بيعة العامة يوم الإثنين ، لثمان بقين من رجب ، قيل : ولعشرين بقين من رجب، دخل موسى بن بغا ومفلح إلى (سر من رأى) ، فنـــزل موسى في داره ، وسكن ، وخمدت الفتنة هنالك ، وأما صاحب الزنج المدّعي أنه علوي ، فهو محاصر للبصرة ، وجيوش الخليفة في وجهه دونها ، وهو في كل يوم يقهرهم ،ويغنم أموالهم ، وما يفد إليهم في المراكب من الأطعمة وغيرها ، ثم استحوذ بعد ذلك على الأبلة ، وعبادان ، وغيرهما من البلاد ، وخاف منه أهل البصرة خوفا شديداً وكلما لأمره في قوة، وجيوشه في زيادة ، ولم يزل ذلك دأبه إلى انسلاخ هذه السنة .

وفيها : خرج رجل آخر بالكوفة ، يقال له : علي بن زيد الطالبي ، وجاءه جيش من جهة الخليفة فكسره الطالبي ، واستفحل أمره بالكوفة ، وقويت شوكته ، وتفاقم أمره وفيها وثب محمد بن واصل التميمي على نائب الأهواز الحارث بن سيما الشرابي ، فقتله ، واستحوذ على بلاد الأهواز . وفي رمضان منها تغلب الحسن بن زيد الطالبي على بلاد الري ، فتوجه إليه موسى بن بغا في شوال ، وخرج الخليفة لتوديعه وفيها كانت وقعة عظيمة على باب دمشق ، بين أماجور نائب دمشق – ولم يكن معه إلا قريب من أربعمائة فارس – وبين ابن عيسى بن الشيخ ، وهو في قريب من عشرين ألفاً ، فهزمه أماجور، وجاءت ولاية من الخليفة لابن الشيخ على بلاد أرمينية ، على أن يترك أهل الشام ، فقبل ذلك ، وانصرف عنهم وفيها: حج بالناس محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور، وكان في جملة الحجاج أبو أحمد بن المتوكل فتعجل وعجل السير إلى سامرا، فدخلها، ليلة الأربعاء لثلاث بقيت من ذي الحجة من هذه السنة .

فيها توفي من الأعيان المهتدي بالله الخليفة كما تقدم رحمه الله تعالى .

والزبير بن بكار

ابن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الزبيري قاضي مكة وقدم بغداد وحدث بها ، وله كُتاب (أنساب قريش) ، وكان من أهل العلم بذلك ،

وكتابه في ذلك حافل جداً. وقد روى عنه ابن ماجه وغيره ، وثقه الدارقطني ، والخطيب ، وأثنى عليه وعلى كتابه ، وتوفي بمكة ، عن أربع وثمانين سنة في ذي القعدة من هذه السنة .

الإمام محمد بن إسماعيل البخارى

صاحب الصحيح ، وقد ذكرنا له ترجمة حافلة في أول شرحنا صحيحه ، ولنذكر ها هنا نبذة يسيرة من ذلك فنقول : هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري الحافظ ، إمام أهل الحديث في زمانه ، والمقتدي به في أوانه ، والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه ، وكتابه الصحيح يستقى بقراءته الغمام ، وأجمع العلماء على قبوله وصحة ما فية ، وكذلك سائر أهل الإسلام ، ولد البخاري — رحمه الله — في ليلة الجمعة الثالثة عشرة من شوال ، سنة أربع وتسعين ومائة ، ومات أبوه وهو صغير ، فنشأ في حجر أمه، فألهمه الله حفظ الحديث وهو في المكتب ، وقرأ الكتب المشهورة وهو ابن ست عشرة سنة ، حتى قيل : إنه كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سرداً ، وحج وعمره ثماني عشرة سنة فأقام بمكة يطلب بها الحديث ، ثم ارتحل بعد ذلك إلى سائر مشايخ الحديث ، في البلدان التي أمكنته الرحلة إليها ، وكتب عن أكثر من ألف شيخ وروى عنه خلائق وأمم وقد روى الخطيب البغدادي عن الفربري أنه قال : سمع الصحيح من البخاري معي نحو من سبعين ألفاً لم يبق منهم أحد غيري. وقد روى البخاري من طريق الفربري كما هي رواية الناس اليوم من طريقه ، وحماد بن شاكر ، وإبراهيم بن معقل ، وطاهر بن مخلد وآخر من حدث عنه أبو طلحة منصور بن محمد بن علي البردي النسفي ، وقد توفي النسفي هذا في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة. ووثقه الأمير أبو نصر بن ماكولا. وممن روى عن البخاري مسلم في غير الصحيح ، وكان مسلم يتلمذ له ويعظمه ، وروى عنه الترمذي في جامعه، والنسائي في سننه في قول بعضهم وقد دخل بغداد ثمان مرات ، وفي كل منها يجتمع بالإمام أحمد بن حنبل ، فيحثه أحمد على المقام ببغداد ، ويلومه على الإقامة بخراسان . وقد كان البخاري يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه، فيوري السراج ، ويكتب الفائدة تمر بخاطره ثم يطفئ سراجه ، ثم يقوم مرة أخرى وأخرى ، حتى كان يتعدد منه ذلك قريباً من عشرين مرة. وقد كان أصيب بصره وهو صغير ، فرأت أمه : إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، فقال : يا هذه،قد رد الله على ولدك بصره بكثرة دعائك - أو قال : بكائك - فأصبح وهو بصير .

وقال البخاري : فكرت البارحة ، فإذا أنا قد كتبت لي مصنفات نحواً من مائتي ألف حديث مسندة وكان يحفظها كلها. ودخل مرة إلى سمرقند فاجتمع بأربعمائة من علماء الحديث بها، فركبوا له أسانيد وأدخلوا إسناد الشام في إسناد أهل العراق ، وخلطوا الرجال في الأسانيد، وجعلوا متون الأحاديث على غير أسانيدها ، ثم قرأوها على البخاري، فرد كل حديث إلى إسناده وقوّم تلك الأسانيد كلها ، وما تعنتوا عليه فيها ، ولم يقدروا أن يعلقوا عليه سقطة في

إسناد [1] ولا متن [2] وكذلك صنع في بغداد وذكروا أنه كان ينظر في الكتاب مرة واحدة ، فيحفظه من نظرة واحدة والأخبار عنه في ذلك كثيرة .

وقد أثنى عليه علماء زمانه من شيوخه وأقرانه : فقال الإمام أحمد : ما أخرجت خراسان مثله . وقال علي بن المديني : لم ير البخاري مثل نفسه . وقال إسحاق بن راهويه : لو كان في زمن الحسن ، لاحتاج الناس إليه في الحديث ، ومعرفته ، وفقهه . وقال أبو بكر بن أبي شيبة ، ومحمد بن عبد الله بن نمير: ما رأينا مثله ، وقال علي بن حجر: لا أعلم مثله . وقال محمود بن النظر بن سهل الشافعي: دخلت البصرة ، والشام ، والحجاز ، والكوفة ، ورأيت علماءها كلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل البخاري ، فضلوه على أنفسهم .

وقال أبو العباس الدعولي: كتب أهل بغداد إلى البخاري :

المسلمونُ بخير ما حييت لهم — وليسَ بعدك خيرٌ حينَ تفتقدُ

وقال الفلاس: كل حديث لا يعرفه البخاري فليس بحديث. وقال أبو نعيم أحمد بن حماد: هو فقيه هذه الأمة . وكذلك قال يعقوب بن إبراهيم الدورقي . ومنهم من فضله في الفقه والحديث على الإمام أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه .

وقال قتيبة بن سعيد: رحل إليّ من شرق الأرض وغربها خلق ، فما رحل إلي مثل محمد ابن إسماعيل البخاري .

وقال مرجّي بن رجاء: فضل البخاري على العلماء ، كفضل الرجال على النساء – يعني في زمانه– وأما قبل زمانه مثل قرب الصحابة والتابعين فلا، وقال: هو آية من آيات الله تمشي على الأرض.

وقال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: محمد بن إسماعيل البخاري ، أفقهنا ، وأعلمنا ، وأغوصنا ، وأكثرنا طلباً. وقال إسحاق بن راهويه: هو أبصر مني . وقال أبو حاتم الرازي: محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق . وقال عبد الله العجلي: رأيت أبا حاتم ، وأبا زرعة ، يجلسان إليه ، يسمعان ما يقول ، ولم يكن مسلم يبلغه ، وكان أعلم من محمد بن يحيى الذهلي بكذا وكذا ، وكان حيياً فاضلا يحسن كل شيء ، وقال غيره: رأيت محمد بن يحيى الذهلي يسأل البخاري عن الأسامي، والكنى ، والعلل ، وهو يمر فيه كالسهم ، كأنه يقرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص : ١] .

وقال أحمد بن حمدون القصار: رأيت مسلم بن الحجاج ، جاء إلى البخاري ، فقبل بين عينيه، وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين ، وطبيب الحديث في

---

(١) الإسناد : ذكر الرجال الذين رووا الحديث واحدًا بعد واحد " سلسلة الرواة ".

(٢) المتن : النصَّ : نص ألفاظ الحديث .

علله، ثم سأله عن حديث كفارة المجلس ، فذكر له علّته ، فلما فرغ ، قال مسلم: لا يبغضك إلا حاسد ، وأشهد أن ليس في الدنيا مثلك .

وقال الترمذي : لم أر بالعراق ، ولا في خراسان ، في معنى العلل ، والتاريخ ، ومعرفة الأسانيد ، أعلم من البخاري. وكنا يوما عند عبد الله بن منير ، فقال البخاري: جعلك الله زين هذه الأمة . قال الترمذي: فاستجيب له فيه . وقال ابن خزيمة: ما رأيت تحت أديم السماء، أعلم بحديث رسول الله ﷺ ، ولا أحفظ له، من محمد بن إسماعيل البخاري ولو استقصينا ثناء العلماء عليه ، في حفظه ، وإتقانه ، وعلمه، وفقهه ، وورعه ، وزهده ، وعبادته ، لطال علينا ، ونحن على عجل من أجل الحوادث ، والله سبحانه المستعان. وقد كان البخاري رحمه الله في غاية الحياء ، والشجاعة ، والسخاء والورع ، والزهد في الدنيا دار الفناء ، والرغبة في الآخرة دار البقاء ، وقال البخاري: إني لأرجو أن ألقى الله ، وليس أحد يطالبني أني اغتبته فذكر له التاريخ، وما ذكر فيه من الجرح ، والتعديل [١] ، وغير ذلك فقال : ليس هذا من هذا ، قال النبي ﷺ : « إيذنوا له ، فلبئس أخو العشيرة »[٢] ونحن إنما روينا ذلك رواية ، ولم نقله من عند أنفسنا ، وقد كان رحمه الله يصلي في كل ليلة ثلاث عشرة ركعة ، وكان يختم القرآن في كل ليلة من رمضان ختمة ، وكانت له جدة ومال جيد ينفق منه سراً وجهراً ، وكان يكثر الصدقة بالليل والنهار ، وكان مستجاب الدعوة ، مسدد الرمية، شريف النفس ، بعث إليه بعض السلاطين ليأتيه ، حتى يسمع أولاده عليه ، فأرسل إليه: في بيته العلم ، (والعلم) [٣] يؤتي - يعني إن كنتم تريدون ذلك فهلموا إلي - وأبى أن يذهب إليهم والسلطان خالد بن أحمد الذهلي نائب الظاهرية ببخاري ، فبقي في نفس الأمير من ذلك، فاتفق أن جاء كتاب من محمد بن يحيى الذهلي ، بأن البخاري يقول : لفظه بالقرآن مخلوق -وكان قد وقع بين محمد بن يحيى الذهلي ، وبين البخاري في ذلك كلام ، وصنف البخاري في ذلك كتاب أفعال العباد - فأراد أن يصرف الناس عن السماع من البخاري ، وقد كان الناس يعظمونه جداً ، وحين رجع إليهم ، نثروا على رأسه الذهب والفضة ، يوم دخل بخاري عائداً إلى أهله ، وكان له مجلس ، يجلس فيه للإملاء بجامعها ، فلم يقبلوا من الأمير ، فأمر عند ذلك بنفيه من تلك البلاد ، فخرج منها ، ودعا على خالد بن أحمد ، فلم يمض شهر ، حتى أمر ابن طاهر ، بأن ينادي على خالد بن أحمد على أتان ، وزال ملكه ، وسجن في بغداد ، حتى مات ، ولم يبق أحد يساعده على ذلك ، إلا ابتلي ببلاء شديد ، فنـــزح البخاري من بلده إلى بلدة يقال لها : خرتنك ، على فرسخين من

---

(١) الجرح : رد الشهادة وانتقاص صاحبها : أى الراوى به علة الكذب مثلا أو ماشابه ذلك . التعديل : الشهادة للراوى : بالثقة والأمانة فى النقل بنص ألفاظ المتن

(٢) متفق عليه : رواه البخارى فى الأدب (٦٠٣٢، ٦٠٥٤) ومسلم فى كتاب البر والصلة والآداب (٢٥٩١/ ٧٣) .

(٣) (العلم) بدل (الحلم) والصواب ما أثبتناه .

سمرقند ، فنــزل عند أقارب له بها ، وجعل يدعو الله أن يقبضه إليه ، حين رأى الفتن في الدين، لما جاء في الحديث: « وإذا أردت بقوم فتنة فتوفنا إليك غير مفتونين »[1] ثم اتفق مرضه على إثر ذلك فكانت وفاته ليلة عيد الفطر - وكان ليلة السبت -عند صلاة العشاء، وصلى عليه يوم العيد بعد الظهر من هذه السنة - أعني سنة ست وخمسين ومائتين - وكفن في ثلاثة أثواب بيض ، ليس فيها قميص ولا عمامة، وفق ما أوصى به ، وحين ما دفن ، فاحت من قبره رائحه غالية ، أطيب من ريح المسك ، ثم دام ذلك أياماً ، ثم جعلت ترى سواري بيض بحذاء قبره وكان عمره يوم مات اثنتين وستين سنة ، وقد ترك رحمه الله علما نافعاً لجميع المسلمين ، فعلمه لم ينقطع ، بل هو موصول بما أسداه من الصالحات في الحياة، وقد قال رسول الله ﷺ :« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، علم ينتفع به »[2] الحديث رواه مسلم، وشرطه في صحيحه هذا، أعزُّ من شرط كل كتاب صنف في الصحيح، لا يوازيه فيه غيره، ولا صحيح مسلم ولا غيره. وما أحسن ما قال بعض الفصحاء من الشعراء :

صحيحُ البخارى لو أنصــفوه ... لما خُـــطَّ إلا بمـــاءِ الذهـــبْ
هو الفرقُ بين الهـــدى والعَمـــى ... هو السـدُّ بين الفـتى والعطبْ
أسانيدُ مثلُ نجـــوم السمــــاء ... أمـــامَ متون لهـــا كـــالشُّهُبْ
بها قام ميزانُ ديـــــنِ الرّســـولَ ... ودانَ بـــه العُجْـــمُ بعـــدَ العربْ
حجـــابٌ من النار لا شكَّ فيه ... يميزُ بينَ الرضـــى والغضـــبْ
وستْرٌ رقيـــقٌ إلى المصـــطفى ... ونصٌ مبينٌ لكشـــفِ الريـــبْ
فيا عالمًا اجـــمعَ العـــالمون ... على فضـــلِ رتبته فى الـــرتبْ
سبقت الأئمة فيما جـــمعت ... وفزتَ عـــلى زعمهم بالقصبْ
نفيتَ الضعيف مـــن النّاقـــلِ ... ينَ ومنْ كانَ مُتهمـــاً بالكـــذب
وأبرزتَ في حســـن ترتيـــبه ... وتبويبه عجبـــــاً للعجـــبْ
فأعطاكَ مولاك مـــا تشتهـــيه ... وأجزلَ حظّكَ فيمـــا وهـــبْ

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائتين

فيها ولي الخليفة المعتمد ليعقوب بن الليث ، بلخ ، وطخارستان ، وما يلي ذلك من كرمان ، وسجستان ، والسند ، وغيرها وفي صفر منها ، عقد المعتمد لأخيه أبي أحمد ، على الكوفة ، وطريق مكة ، والحرمين ، واليمن ، وأضاف إليه في رمضان ، نيابة بغداد ، والسواد

---

(١) صحيح : رواه الترمذى فى التفسير (٣٢٣٣، ٣٢٣٥) وأحمد (٤/٦٦) ومالك فى الموطأ فى القرآن ١/ ١٩٠(٤٠) .

(٢) رواه مسلم فى الوصية (١٦٣١) .

وواسط، وكور دجلة ، والبصرة ، والأهواز، وفارس ، وأذن له أن يستنيب في ذلك كله. وفيها تواقع سعيد الحاجب ، وصاحب الزنج ، في أراضي البصرة ، فهزمه سعيد الحاجب ، واستنقذ من يده خلقاً من النساء والذرية ، واسترجع منه أموالا جزيلة وأهان الزنج غاية الإهانة والمذلة. ثم إن الزنج بيتوا سعيداً وجيشه ، فقتلوا منهم خلقا كثيراً ، ويقال : إن سعيد بن صالح قتل أيضاً ثم إن الزنج التقى مع منصور بن جعفر الخياط ، في جيش كثيف ، فهزمهم صاحب الزنج المدعي أنه طالبي ، وهو كاذب .

قال ابن جرير: وفيها ظفر ببغداد ، بموضع يقال له : بركة زلزل ، برجل خناق قد قتل خلقا من النساء ، كان يؤلف المرأة ثم يخنقها ، ويأخذ ما عليها، فحمل إلى المعتمد فضرب بين يديه بألفي سوط وأربعمائة ، فلم يمت حتى ضربه الجلادون على أنثييه بخشب العُقابين [1] ، فمات ، ورد إلى بغداد وصلب هناك، ثم أحرقت جثته، وفي ليلة الرابع عشر من شوال من هذه السنة كسف القمر ، وغاب أكثره وفي صبيحة هذا اليوم، دخل جيش الخبيث الزنجي إلى البصرة قهرا، فقتل من أهلها خلقا، وهرب نائبها بغراج ومن معه، وأحرق الزنج جامع البصرة، ودوراً كثيرة ، وانتهبوها ، ثم نادى فيهم إبراهيم بن المهلبي أحد أصحاب الزنجي الخارجي : من أراد الأمان فليحضر فاجتمع عنده خلق كثير من أهل البصرة ، فرأى أنه قد أصاب فرصة ، فغدر بهم ، وأمر بقتلهم ، فلم يفلت منهم إلا الشاذ ، كانت الزنج تحيط بجماعة من أهل البصرة ، ثم يقول بعضهم لبعض : كيلوا - وهي الإشارة بينهم إلى القتل - فيحملون عليهم بالسيوف ، فلا يسمع إلا قول : أشهد أن لا إله إلا الله ، من أولئك المقتولين ، وضجيجهم عند القتل - أي صراخ الزنج وضحكهم - فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وهكذا كانوا يفعلون في كل محال البصرة ، في عدة أيام نحسات ، وهرب الناس منهم كل مهرب ، وحرقوا الكلأ من الجبل إلى الجبل ، فكانت النار تحرق ما وجدت من شيء من إنسان، أو بهيمة ، أو أثاث ، أو غير ذلك ، وأحرقوا المسجد الجامع ، وقد قتل هؤلاء ، جماعة كثيرة من الأعيان ، والأدباء ، والفضلاء ، والمحدثين والعلماء فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وكان هذا الخبيث قد أوقع في أهل فارس وقعة عظيمة ثم بلغه أن أهل البصرة قد جاءهم من الميرة شيء كثير ، وقد اتسعوا بعد الضيق ، فحسدهم على ذلك ، فروى ابن جرير عن سمعه يقول : دعوت الله على أهل البصرة، فخوطبت ، فقيل : إنما أهل البصرة خبزة لك ، تأكلها من جوانبها ، فإذا انكسر نصف الرغيف ، خرجت البصرة ، فأوّلتُ ذلك بانكساف القمر وانكسارهُ - انكسافه - وقد كان هذا شائعا في أصحابه - حتى وقع الأمر طبق ما أخبر به. ولا شك أن هذا كان معه شيطان يخاطبه، كما كان يأتي الشيطان مسيلمة وغيره ، قال: ولما وقع ما وقع من الزنج بأهل البصرة ، قال هذا الخبيث لمن معه: إني صبيحة ذلك ، دعوت الله على أهل البصرة ،فرفعت لي البصرة بين

---

(١) نوع من الشجر .

السماء والأرض ، ورأيت أهلها يقتلون ، ورأيت الملائكة تقاتل مع أصحابي ، وإني لمنصور على الناس، والملائكة تقاتل معي، وتثبت جيوشي، ويؤيدوني في حروبي. ولما صار إليه العلوية الذين كانوا بالبصرة، انتسب هو حينئذ إلى يحيى بن زيد، وهو كاذب في ذلك بالإجماع، لأن يحيى بن زيد لم يعقب إلا بنتا ماتت وهي ترضع، فقبَّح الله هذا اللعين ، ما أكذبه ، وأفجره ، وأغدره .

وفيها: في مستهل ذي القعدة، وجه الخليفة من سامرا جيشاً كثيفا مع الأمير محمد- المعروف بالمولد- لقتال صاحب الزنج، فقبض في طريقه على سعد بن أحمد الباهلي الذي كان قد تغلب على أرض البطائح، وأخاف السبيل، وفيها خالف محمد بن واصل الخليفة، بأرض فارس، وتغلب عليها، وفيها وثب رجل من الروم يقال له: بسيل الصقلبي، على ملك الروم ميخائيل بن توفيل ، فقتله ، واستحوذ على مملكة الروم، وقد كان لميخائيل في الملك على الروم أربع وعشرون سنة، وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن إسحاق بن إسماعيل بن محمد بن علي .

و فيها توفي من الأعيان :

الحسن بن عرفة بن يزيد

صاحب الجزء المشهور المروي ، وقد جاوز المائة بعشر سنين ، وقيل : بسبع ، وكان له عشرة من الولد سماهم بأسماء العشرة. وقد وثقه يحيى بن معين وغيره ، وكان يتردد إلى الإمام أحمد بن حنبل ، ولد في سنة خمسين ومائة ، وتوفي في هذه السنة عن مائة وسبع سنين.

وأبو سعيد الأشج ، ويزيد بن أخرم الطائي ، والرواسي ، ذبحهما الزنج في جملة من ذبحوا من أهل البصرة وعلي بن خشرم ، أحد مشايخ مسلم الذي يكثر عنهم الرواية ، والعباس بن الفرج أبو الفضل الرياشي النحوي اللغوي ، كان عالما بأيام العرب والسير وكان كثير الاطلاع، ثقة عالما، روى عن الأصمعي، وأبي عبيدة، وغيرهما ، وعنه إبراهيم الحربي ، وأبو بكر ابن أبي الدنيا وغيرهما ، قتل بالبصرة، قتله الزنج فيمن قتلوا. ذكره ابن خلكان في الوفيات،وحكى عنه الأصمعي أنه قال: مَرّ بنا أعرابي ينشد ابنه، فقلنا له صفه لنا. فقال:كأنه دنينير فقلنا: لم نره،فلم نلبث أن جاء يحمله على عنقه أسيود كأنه سفل قدر.فقلت:لو سألتنا عن هذا لأرشدناك إليه،إنه منذ اليوم يلعب ههنا مع الغلمان ثم أنشد الأصمعي:

نــعْمَ ضجــيعُ الفتى إذا بــرَدَ ... الليلُ ســحَيراً وقَرْقَفَ العردُ [1]

زيّنَها اللهُ في الفــؤادِ كــمــا ... زُيِّنَ في عــيْـــنِ والــدٍ ولَــدُ

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائتين

في يوم الإثنين ، لعشر بقين من ربيع الأول ، عقد الخليفة المعتمد على الله لأخيه أبي أحمد على ديار مصر ، وقنسرين ، والعواصم ، وجلس يوم الخميس في مستهل ربيع الآخر ، فخلع

---

(١) يقال: يرتف من البرد: يرعد ؛ وقرقف : أرعد ؛ والعرد : الصلب الشديد المنتصب-القاموس.

على أخيه، وعلي مفلح، وركبا نحو البصرة، في جيش كثيف، في عدد وعُدَد، فاقتتلوا هم والزنج قتالاً شديداً، فقُتل مفلح، للنصف من جمادى الأولى، أصابه سهم بلا نصل في صدره فأصبح ميتًا، وحملت جثته إلى سامرا، فدفن بها. وفيها أسر يحيى بن محمد البحراني أحد أمراء صاحب الزنج الكبار، وحمل إلى سامرا، فضرب بين يدي المعتمد مائتي سوط، ثم قطعت يداه ورجلاه من خلاف، ثم أُخذَ بالسيوف، ثم ذبح ، ثم أحرق، وكان الذين أسروه ، جيش أبي أحمد ، في وقعة هائلة مع الزنج قبّحهم الله ، ولما بلغ خبره صاحب الزنج أسف على ذلك ثم قال : لقد خوطبت فيه فقيل لي : قتله كان خيراً لك لأنه كان شرها، يخفي من المغانم خيارها ، وقد كان صاحب الزنج يقول لأصحابه: لقد عرضت علي النبوة ، فخفت أن لا أقوم بأعبائها، فلم أقبلها.

وفي ربيع الآخر منها ، وصل سعيد بن أحمد الباهلي ، إلى باب الخليفة فضرب سبعمائة سوط ، حتى مات ، ثم صلب وفيها قُتل قاض ، وأربعة وعشرون رجلاً من أصحاب صاحب الزنج ، عند باب العامة بسامرا . وفيها رجع محمد بن واصل إلى طاعة السلطان ، وحمل خراج فارس ، وتمهدت الأمور هناك: وفيها في أواخر رجب ، كان بين أبي أحمد ، وبين الزنج وقعة هائلة ، فقتل منها خلق من الفريقين ، ثم استوخم أبو أحمد منـــزله فانتقل إلى واسط فنـــزلها في أوائل شعبان فلما نزلها وقعت هناك زلزلة شديدة ، وهدة عظيمة ، تهدمت فيها بيوت ودور كثيرة ، ومات من الناس نحو من عشرين ألفاً. وفيها: وقع في الناس وباء شديد وموت عريض ببغداد وسامرا وواسط وغيرها من البلاد. وحصل للناس ببغداد داء يقال له : القفاع. وفي يوم الخميس لسبع خلون من رمضان أخذ رجل من باب العامة بسامرا ، ذكر عنه أنه يسب السلف ، فضرب ألف سوط حتى مات ، وفي يوم الجمعة ثامنه توفي الأمير يارجوخ ، فصلى عليه أخو الخليفة أبو عيسى، وحضره جعفر بن المعتمد على الله ، وفيها كانت وقعة هائلة بين موسى بن بغا ، وبين أصحاب الحسين بن زيد ببلاد خراسان ، فهزمهم موسى بن بغا هزيمة فظيعة. وفيها كانت وقعة بين مسرور البلخي ، وبين مساور الخارجي ، فكسره مسرور ، وأسر من أصحابه جماعة كثيرة ، وفيها حج بالناس الفضل بن إسحاق المتقدم ذكره . وفيها توفي من الأعيان أحمد بن بديل ، وأحمد بن حفص ، وأحمد بن سنان القطان، ومحمد بن يحيى الذهلي ، ويحيى بن معاذ الرازي.

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائتين

في يوم الجمعة لأربع بقين من ربيع الآخر ، رجع أبو أحمد بن المتوكل من واسط إلى سامرا، وقد استخلف على حرب الزنج محمد الملقب بالمولد ، وكان شجاعاً شهماً ، وفيها بعث الخليفة إلى نائب الكوفة ، جماعة من القواد، فذبحوه ، وأخذوا ما كان معه من المال ، فإذا هو أربعون ألف دينار ، وفيها: تغلب رجل جمال ، يقال له : شركب الجمال ، على مدينة مرو

فانتهبها وتفاقم أمره ، وأمر أتباعه هناك ، ولثلاث عشرة بقيت من ذي القعدة ، توجه موسى ابن بغا إلى حرب الزنج ، وخرج الخليفة المعتمد لتوديعه ، وخلع عليه عند مفارقته له ، وخرج عبد الرحمن بن مفلح إلى بلاد الأهواز نائبا عليها ، وليكون عونا لموسى بن بغا على حرب صاحب الزنج الخبيث، فهزم عبد الرحمن بن مفلح جيش الخبيث ، وقتل من الزنج خلقاً كثيراً ، وأسر طائفة كبيرة منهم ، وأرعبهم رعباً كثيرا ، بحيث لم يتجاسروا على مواقفته مرة ثانية ، وقد حرضهم الخبيث كل التحريض ، فلم ينجع ذلك فيهم ، ثم تواقع عبد الرحمن بن مفلح ، وعلي بن أبان المهلبي ، وهو مقدم جيوش صاحب الزنج ، فجرت بينهما حروب يطول شرحها، ثم كانت الدائرة على الزنج ولله الحمد. فرجع علي بن أبان إلى الخبيث مغلوبا مقهوراً، وبعث عبد الرحمن بالأساري إلى سامرا ، فبادر إليهم العامة فقتلوا أكثرهم ، وسلبوهم ، قبل أن يصلوا إلى الخليفة .

وفيها: دنا ملك الروم - لعنه الله - إلى بلاد سُميساط، ثم إلى ملطية فقاتله أهلها ، فهزموه، وقتلوا بطريق البطارقة من أصحابه، ورجع إلى بلاده خاسئاً وهو حسير، وفيها دخل يعقوب بن الليث إلى نيسابور ، وظفر بالخارجي ، الذي كان بهراة ينتحل الخلافة منذ ثلاثين سنة ، فقتله ، وحمل رأسه على رمح ، وطيف به في الآفاق ومعه رقعة مكتوب فيها ذلك .

وفيها: حج بالناس إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن يعقوب بن سليمان بن إسحاق بن علي بن عبد الله بن عباس.

وفيها توفى من الأعيان : إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق أبو إسحاق الجوزجاني خطيب دمشق ، وإمامها ، وعالمها ، وله المصنفات المشهورة المفيدة منها المترجم فيه علوم غزيرة وفوائده كثيرة .

ثم دخلت سنة ستين ومائتين

فيها وقع غلاء شديد ببلاد الإسلام كلها ، حتى أجلى أكثر أهل البلدان منها إلى غيرها ، ولم يبق بمكة أحد من المجاورين ، حتى ارتحلوا إلى المدينة ، وغيرها من البلاد ، وخرج نائب مكة منها وبلغ كُرّ الشعير ببغداد مائة وعشرين ديناراً ، واستمر ذلك شهوراً ، وفيها قتل صاحب الزنج علي بن زيد صاحب الكوفة ، وفيها أخذ الروم من المسلمين حصن لؤلؤة . وفيها: حج بالناس إبراهيم بن محمد بن إسماعيل المذكور قبلها.

وفيها توفي من الأعيان : الحسن بن محمد الزعفراني ، وعبد الرحمن بن شرف ، ومالك بن طوق التي تنسب إليه وهو مالك بن طوق ويقال للرحبة : رحبة مالك بن طوق، وحنين بن إسحاق العبادي، الذي عرّب كتاب إقليدس ، وحرره ، بعد ثابت بن قرة وعرب حنين أيضاً كتاب المجسطي ، وغير ذلك من كتب الطب من لغة اليونان إلى لغة العرب ، وكان المأمون

شديد الاعتناء بذلك جداً، وكذلك جعفر البرمكي قبله ، ولحنين مصنفات كثيرة في الطب ، وإليه تنسب مسائل حنين ، وكان بارعا في فنه جداً ، توفي يوم الثلاثاء لست خلون من صفر من هذه السنة ، قاله ابن خلكان .

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائتين

فيها انصرف الحسن بن زيد من بلاد الديلم إلى طبرستان ، وأحرق مدينة شالوس ، لممالأتهم يعقوب بن الليث عليه. وفيها قتل مساور الخارجي يحيى بن حفص الذي كان يلي طريق خراسان ، في جمادى الآخرة ، فشخص إليه مسرور البلخي، ثم تبعه أبو أحمد بن المتوكل، فهرب مساور فلم يلحق، وفيها: كانت وقعة بين ابن واصل ، الذي تغلب على فارس، وبين عبد الرحمن بن مفلح، فكسره ابن واصل، وأسره، وقتل طاشتمر، واصطلم [1] الجيش الذين كانوا معه، فلم يفلت منهم إلا اليسير، ثم سار ابن واصل إلى واسط يريد حرب موسى بن بغا ، فرجع موسى إلى نائب الخليفة وسأل أن يعفى من ولاية بلاد المشرق لما بها من الفتن فعزل عنها وولاها الخليفة إلى أخيه أبي أحمد. وفيها سار أبو الساج إلى حرب الزنج ، فاقتتلوا قتالا شديداً، وغلبتهم الزنج ، ودخلوا الأهواز ، فقتلوا خلقاً من أهلها ، وأحرقوا منازل كثيرة ، ثم صرف أبو الساج عن نيابة الأهواز ، وخربها الزنج ، وولىَّ الخليفة ذلك إبراهيم بن سيما وفيها تجهز مسرور البلخي في جيش لقتال الزنج أيضا . وفيها ولّى الخليفة نصر بن أحمد بن أسد ما وراء نهر بلخ ، وكتب إليه بذلك في شهر رمضان منها، وفي شوال من هذه السنة قصد يعقوب بن الليث إلى ابن واصل ، فالتقيا في ذي القعدة ، فهزمه يعقوب وفلّ [2] عسكره ، وأسر رجاله ، وطائفة من حريمه ، وأخذ من أمواله ما قيمته أربعون ألف ألف درهم. وقتل من كان يمالئه ، وينصره من أهل تلك البلاد ، وأصلح الله به تلك الناحية .

ولاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال من هذه السنة ، ولي المعتمد على الله ولده جعفراً العهد من بعده وسماه المفوض إلى الله ، وولاّه المغرب ، وضم إليه موسى بن بغا وولاية إفريقية ، ومصر والشام ، والجزيرة ، والموصل ، وأرمينية، وطريق خراسان ، وغير ذلك ، وجعل الأمر من بعد ولده لأبي أحمد المتوكل ، ولقبه الموفق بالله ، وولاّه المشرق ، وضم إليه مسرور البلخي وولاه بغداد ، والسواد، والكوفة، وطريق مكة ، والمدينة واليمن ، وكسكر، وكور دجلة والأهواز ، وفارس ، وأصبهان، والكرخ ، والدينور والري وزنجان ، والسند. وكتب بذلك مكاتبات وقرئت في الآفاق، وعلق منها نسخة في الكعبة. وحج بالناس فيها الفضل بن إسحاق.

---

(١) اصطلم : قطعه من أصله وقضى عليه .

(٢) يقال : قوم فل أي منهزمون ، وجمعها فلول . القاموس (فَلّ) .

وفيها توفي من الأعيان: أحمد بن سليمان الرهاوي، وأحمد بن عبد الله العجلي، والحسن ابن أبي الشوارب بمكة ، وداود بن سليمان الجعفري ، وشعيب بن أيوب ، وعبد الله بن الواثق- أخو المهتدي بالله - وأبو شعيب السوسي ، وأبو يزيد البسطامي - أحد أئمة الصوفية - وعلي ابن إشكاب ، وأخوه أبو محمد ، ومسلم بن الحجاج صاحب الصحيح .

ترجمة الإمام مسلم على سبيل الاختصار

هو مسلم أبو الحسين القشيري النيسابوري، أحد الأئمة من حفاظ الحديث ، صاحب الصحيح ، الذي هو تلو صحيح البخاري ، عند أكثر العلماء ، وذهب المغاربة وأبو علي النيسابوري من المشارقة إلى تفضيل صحيح مسلم على صحيح البخاري ، فإن أرادوا تقديمه عليه في كونه ليس فيه شيء من التعليقات إلا القليل ، وأنه يسوق الأحاديث بتمامها في موضع واحد ، ولا يقطعها كتقطيع البخاري لها في الأبواب ، فهذا القدر لا يوازي قوة أسانيد البخاري ، واختياره في الصحيح لها ما أورده في جامعه ، معاصرة الراوي لشيخه ، وسماعه منه، وفي الجملة فإن مسلماً لم يشترط في كتابه الشرط الثاني، كما هو مقرر في علوم الحديث، وقد بسطت ذلك في أول شرح البخاري، والمقصود أن مسلما دخل إلى العراق ، والحجاز ، والشام، ومصر ، وسمع من جماعة كثيرين ، قد أوردهم شيخنا الحافظ المزي في تهذيبه مرتبين على حروف المعجم ، وروى عنه جماعة كثيرون منهم الترمذي في جامعه حديثا واحداً ، وهو حديث محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «**أحصوا هلال شعبان لرمضان** »[1] وصالح بن محمد حرره، وعبد الرحمن بن أبي حاتم، وابن خزيمة، وابن صاعد، وأبو عوانة الأسفراييني. وقال الخطيب البغدادي : أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب ، أخبرنا أحمد بن نعيم الضبي ، أخبرنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم ، سمعت أحمد بن سلمة يقول : رأيت أبا زرعة ، وأبا حاتم يقدمان مسلم بن الحجاج ، في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما. وأخبرني ابن يعقوب أخبرنا محمد بن نعيم سمعت الحسين بن محمد الماسرخسي يقول : سمعت أبي يقول : سمعت مسلما بن الحجاج يقول : صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة ، وروى الخطيب قائلا : حدثني أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن علي السودرجاني - بأصبهان - سمعت محمد بن إسحاق بن منده ، سمعت أبا علي الحسين بن علي النيسابوري يقول : ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم بن الحجاج في علم الحديث ، وقد ذكر مسلم عند إسحاق بن راهويه قال بالعجمية ما معناه : أي رجل كان هذا ؟ .

وقال إسحاق بن منصور لمسلم : لن نعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين، وقد أثنى عليه جماعة من العلماء من أهل الحديث وغيرهم . وقال أبو عبد الله محمد بن يعقوب الأخرم : قلّ ما

---

(١) **حسن** : رواه الترمذى (٦٨٧) والدارقطنى (١٦٣/٢) والحاكم (٤٢٥/١) والبيهقى (٢٠٦/٤) والبغوى فى " شرح السنة" (١٧٢٢). وانظر " الصحيحة " (٥٦٥) .

يفوت البخاري ، ومسلماً ما يثبت من الحديث ، وروى الخطيب ، عن أبي عمرو محمد بن حمدان الحيري قال: سألت أبا العباس أحمد بن سعيد بن عقدة الحافظ عن البخاري ومسلم أيهما أعلم ؟ فقال : كان البخاري عالما ، ومسلم عالما فكررت ذلك عليه مراراً ، وهو يرد على هذا الجواب. ثم قال : يا أبا عمرو ، قد يقع للبخاري الغلط في أهل الشام ، وذلك أنه أخذ كتبهم ، فنظر فيها ، فربما ذكر الواحد منهم بكنيته ، ويذكره في موضع آخر باسمه ، ويتوهم أنهما اثنان ، وأما مسلم فَقَلَّ ما يقع له الغلط لأنه كتب المقاطيع والمراسيل . قال الخطيب : إنما قفا مسلم طريق البخاري ، ونظر في علمه ، وحذا حذوه ولما ورد البخاري نيسابور في آخر أمره لازمه مسلم، وأدام الاختلاف إليه ، وقد حدثني عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي قال : سمعت أبا الحسن الدارقطني يقول : لو لا البخاري ، ما ذهب مسلم ، ولا جاء .

قال الخطيب : وأخبرني أبو بكر المنكدر ، حدثنا محمد بن عبد الله الحافظ حدثني أبو نصر ابن محمد الزراد ، سمعت أبا حامد وأحمد بن حمدان القصار ، سمعت مسلم بن الحجاج ، وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري ، فقبَّل بين عينيه وقال : دعني حتى أقبل رجليك ، يا أستاذ الأستاذين ، وسيد المحدثين ، وطبيب الحديث في علله حدثك محمد بن سلام ، ثنا مخلد بن يزيد الحراني ، حدثنا ابن جريج ، عن موسى بن عقبة ، عن سهيل ، عن أبيه، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ في كفارة المجلس فما علته ؟ فقال البخاري : هذا حديث مليح ، ولا أعلم في الدنيا في هذا الباب غير هذا الحديث ، إلا أنه معلول ، ثنا به موسى بن إسماعيل ، ثنا وهيب ، عن سهيل، عن عون بن عبد الله قوله قال البخاري : وهذا أولى ، فإنه لا يعرف لموسى بن عقبة سماع من سهيل ، قلت : وقد أفردت لهذا الحديث جزءاً على حدة ، وأوردت فيه طرقه وألفاظه، ومتنه ، وعلله. قال الخطيب: وقد كان مسلم يناضلّ [1] عن البخاري. ثم ذكر ما كان وقع بين البخاري ومحمد بن يحيى الذهلي في مسألة اللفظ بالقرآن في نيسابور ، وكيف نودي على البخاري بسبب ذلك بنيسابور ، وأن الذهلي قال يوماً لأهل مجلسه ، وفيهم مسلم ابن الحجاج : ألا من كان يقول بقول البخاري في مسألة اللفظ بالقرآن ، فليعتزل مجلسنا فنهض مسلم من فوره إلى منـــزله ، وجمع ما كان سمعه من الذهلي جميعه ، وأرسله إليه ، وترك الرواية عن الذهلي بالكلية، فلم يرو عنه شيئا لا في صحيحه ولا في غيره ، واستحكمت الوحشة بينهما هذا و لم يترك البخاري محمد بن يحيى الذهلي ، بل روى عنه في صحيحه ، وغيره وعذره رحمه الله .

وقد ذكر الخطيب سبب موت مسلم رحمه الله ، أنه عقد له مجلس للمذاكرة ، فسئل يوماً عن حديث ، فلم يعرفه ، فانصرف إلى منـــزله ، فأوقد السراج ، وقال لأهله: لا يدخل أحد الليلة علي ، وقد أهديت له سلة من تمر، فهي عنده يأكل تمرة، ويكشف عن حديث ، ثم يأكل أخرى ، ويكشف عن آخر ، فلم يزل ذلك دأبه حتى أصبح ، وقد أكل تلك السلة ، وهو لا

---

(١) يناضلّ : يدافع ويردّ اللسان (نضل) .

يشعر فحصل له بسبب ذلك ثقل ، ومرض من ذلك ، حتى كانت وفاته عشية يوم الأحد ، ودفن يوم الاثنين ، لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين وذلك بنيسابور ، وكان مولده في السنة التي توفي فيها الشافعي، وهي سنة أربع ومائتين، فكان عمره سبعا وخمسين سنة رحمه الله تعالى .

أبو يزيد البسطامى

اسمه طيفور بن عيسى بن علي ، أحد مشايخ الصوفية ، وكان جده مجوسياً فأسلم ، وكان لأبي يزيد أخوات صالحات عابدات ، وهو أجلهم ، قيل لأبي يزيد: بأي شيء وصلت إلى المعرفة ؟ فقال: ببطن جائع ، وبدن عار. وكان يقول: دعوت نفسي إلى طاعة الله ، فلم تجبني، فمنعتها الماء سنة ، وقال: إذا رأيتم الرجل قد أعطي من الكرامات ، حتى يرتفع في الهواء ، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود ، والوقوف عند الشريعة. قال القاضي ابن خلكان: وله مقامات، ومجاهدات مشهورة ، وكرامات ظاهرة.توفي سنة إحدى وستين ومائتين. قلت: وقد حكى عنه شطحات ناقصات، وقد تأولها كثير من الفقهاء، والصوفية ، وحملوها على محامل بعيدة،وقد قال بعضهم : إنه قال ذلك في حال الاصطلام [1] والغيبة. ومن العلماء ،من بدعه ، وخطأه ، وجعل ذلك من أكبر البدع ، وأنها تدل على اعتقاد فاسد ، كامن في القلب ، ظهر في أوقاته والله أعلم .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائتين

فيها قدم يعقوب بن الليث في جحافل، فدخل واسط قهرًا ، فخرج الخليفة المعتمد بنفسه، من سامرا لقتاله ، فتوسط بين بغداد وواسط ، فانتدب له أبو أحمد الموفق بالله أخو الخليفة ، في جيش عظيم على ميمنته موسى بن بغا ، وعلى ميسرته مسرور البلخي ، فاقتتلوا في رجب من هذه السنة أياماً قتالاً عظيماً هائلاً، ثم كانت الغلبة على يعقوب وأصحابه ، وذلك يوم عيد الشعانين ، فقتل منهم خلق كثير ، وغنم منهم أبو أحمد شيئا كثيراً من الذهب والفضة ، والمسك ، والدواب ، ويقال : إنهم وجدوا في جيش يعقوب هذا رايات عليها صلبان. ثم انصرف المعتمد إلى المدائن، ورد محمد بن طاهر إلى نيابة بغداد ، وأمر له بخمسمائة ألف درهم وفيها غلب يعقوب بن الليث على بلاد فارس ، وهرب ابن واصل منها ، وفيها كانت حروب كثيرة بين صاحب الزنج وجيش الخليفة ، وفيها ولي القضاء علي بن محمد بن أبي الشوارب ، وفيها جمع للقاضي إسماعيل بن إسحاق قضاء جانبي بغداد . وفيها حج بالناس الفضل بن إسحاق العباسي .

قال ابن جرير: وفيها وقع بين الخياطين، والخرازين بمكة، فاقتتلوا يوم التروية ، أو قبله بيوم فقتل منهم سبعة عشر نفساً، وخاف الناس أن يفوتهم الحج بسببهم، ثم توادعوا إلى ما بعد الحج .

---

(١) الاصطلام : القطع من أصله : ويقال : اصطلمهم الدهر : أى استأصلهم وأبادهم . اللسان مادة (صلم) .

وفيها توفي فيها من الأعيان: صالح بن علي بن يعقوب بن المنصور في ربيع الآخر منها ، وعمر ابن شبة النميري ، ومحمد بن عاصم ، ويعقوب بن شيبة صاحب المسند الحافل المشهور والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائتين

فيها جرت حروب كثيرة ، منتشرة في بلاد شتى ، فمن ذلك مقتلة عظيمة في الزنج – لعنهم الله – حصرهم في بعض المواقف ، بعض الأمراء ، من جهة الخليفة ، فقتل الموجودين عنده عن آخرهم، وفيها: سلمت الصقالبة حصن لؤلؤة إلى طاغية الروم .

وفيها تغلب أخو شركب الجمال على نيسابور ، وأخرج منها عاملها الحسين بن طاهر ، وأخذ من أهلها ثلث أموالهم مصادرة – قبحه الله – وحج بالناس فيها الفضل بن إسحاق العباسي.

وفيها توفي الأعيان : مساور بن عبد الحميد الشاري الخارجي ، وقد كان من الأبطال المذكورين والشجعان المشهورين ، والتف عليه خلق من الأعراب وغيرهم ، وطالت مدته حتى قصمه الله ، ووزير الخلافة عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، صدمه في الميدان خادم يقال له : رشيق، فسقط عن دابته على أم رأسه، فخرج دماغه من أذنيه، وأنفه، فمات بعد ثلاث ساعات وصلى عليه أبو أحمد الموفق بن المتوكل، ومشى في جنازته ، وذلك يوم الجمعة لعشر خلون من ذي القعدة من هذه السنة ، واستوزر من الغد الحسن بن مخلد ، فلما قدم موسى بن بغا سامرا، عزله ، واستوزر مكانه سليمان بن وهب ، وسلمت دار عبد الله بن يحيى بن خاقان إلى الأمير المعروف بَكيطلغ، وفيها توفي أحمد بن الأزهر، والحسن بن أبي الربيع، ومعاوية بن صالح الأشعري .

ثم دخلت سنة أربع وستين ومائتين

في المحرم منها عسكر أبو أحمد ، وموسى بن بغا ، بسامرا ، وخرجا منها لليلتين مضتا من صفر ، وخرج المعتمد لتوديعهما ، وسار إلى بغداد ، فلما وصلا إلى بغداد، توفي الأمير موسى ابن بغا ، وحمل إلى سامرا فدفن بها ، وفيها: ولّي محمد بن المولد واسطاً لمحاربة سليمان بن جامع نائبها من جهة صاحب الزنج ، فهزمه ابن المولد بعد حروب طويلة. وفيها سار ابن الديراني إلى مدينة الدينور واجتمع عليه دلف بن عبد العزيز بن أبي دلف ، وابن عياض، فهزماه، ونهبا أمواله ، ورجع مغلولا ، ولما توفي موسى بن بغا ، عزل الخليفة الوزير الذي كان من جهته، وهو سليمان بن حرب ، وحبسه مقيداً ، وأمر بنهب دوره ودور أقربائه ، ورد الحسن ابن مخلد إلى الوزارة، فبلغ ذلك أبا أحمد ، وهو ببغداد ، فسار بمن معه إلى سامرا ، فتحصن منه أخوه المعتمد بجانبها الغربي ، فلما كان يوم التروية ، عبر جيش أبي أحمد إلى الجانب الذي فيه المعتمد، فلم يكن بينهم قتال ، بل اصطلحوا على رد سليمان بن وهب إلى الوزارة ، وهرب الحسن بن مخلد ، فنهبت أمواله ، وحواصله ، واختفى أبو عيسى بن المتوكل ، ثم ظهر ، وهرب جماعة من الأمراء إلى الموصل ، خوفا من أبي أحمد . وفيها: حج بالناس هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي الكوفي .

وفيها توفي من الأعيان : أحمد بن عبدالرحمن بن وهب ، وإسماعيل بن يحيى المزني ، أحد رواة الحديث عن الشافعي من أهل مصر ، وقد ترجمناه في طبقات الشافعيين .

وأبو زرعة

عبيد الله بن عبد الكريم الرازي أحد الحفاظ المشهورين ، قيل : إنه كان يحفظ سبعمائة ألف حديث ، وكان فقيها ، ورعا ، زاهداً ، عابداً ، متواضعًا، خاشعًا ، أثنى عليه أهل زمانه بالحفظ ، والديانة. وشهدوا له بالتقدم على أقرانه، وكان في حال شبيبته ، إذا اجتمع بأحمد بن حنبل، للمذاكرة يقتصر أحمد على الصلوات المكتوبات، ولا يفعل المندوبات ، اكتفاء بمذاكرته، وكانت وفاته في يوم الإثنين سلخ ذي الحجة من هذه السنة وكان مولده سنة مائتين، وقيل : سنة تسعين ومائة ، وقد ذكرنا ترجمته مبسوطة في التكميل .

ومحمد بن إسماعيل بن علية قاضي دمشق ، ويونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري ، وهو ممن روى عن الشافعي ، وقد ذكرناه في التكميل وفي الطبقات ، وقبيحة أم المعتز إحدى حظايا المتوكل على الله ، وقد جمعت من الجواهر ، واللآلئ والذهب والمصاغ ما لم يعهد لمثلها ثم سلبت ذلك كله ، وقتل ولدها المعتز؛ لأجل نفقات الجند ، وشحَّت عليه بخمسين ألف دينار تداري بها عنها. وكانت وفاتها في ربيع الأول من هذه السنة .

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائتين

فيها كانت وقعة بين ابن ليثويه ، عامل أبي أحمد ، وبين سليمان بن جامع ، فظفر بها ابن ليثويه بابن جامع نائب صاحب الزنج ، فقتل خلقًا من أصحابه ، وأسر منهم سبعة وأربعين أسيراً ، وحرق له مراكب كثيرة ، وغنم منهم أموالا جزيلة، وفي المحرم من هذه السنة ، حاصر أحمد بن طولون ، نائب الديار المصرية ، مدينة أنطاكية ، وفيها سيما الطويل ، فأخذها منه ، وجاءته هدايا ملك الروم وفي جملتها أسارى من أسارى المسلمين ، مع كل أسير مصحف ، منهم عبد الله بن رشيد بن كاوس ، الذي كان عامل الثغور ، فاجتمع لأحمد بن طولون ملك الشام بكماله مع الديار المصرية ، لأنه لما مات نائب دمشق أماخور ، ركب ابن طولون من مصر ، فتلقاه ابن أماخور إلى الرملة ، فأقره عليها ، وسار إلى دمشق ، فدخلها ثم إلى حمص ، فتسلمها ، ثم إلى حلب ، فأخذها ، ثم ركب إلى أنطاكية ، فكان من أمره ما تقدم وكان قد استخلف على مصر ابنه العباس ، فلما بلغه قدوم أبيه عليه من الشام ، أخذ ما كان في بيت المال من الحواصل ووازره جماعة على ذلك ، ثم ساروا إلى برقة ، خارجاً عن طاعة أبيه، فبعث إليه من أخذه ذليلا حقيراً، وردوه إلى مصر ، فحبسه ، وقتل جماعة من أصحابه .

وفيها: خرج رجل يقال له : القاسم بن مهاة ، على دلف بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي ، فقتله ، واستحوذ على أصبهان ، فانتصر أصحاب دلف له، فقتلوا القاسم ، ورأسوا عليهم أحمد بن عبد العزيز ، وفيها لحق محمد المولد بيعقوب بن الليث فسار إليه في المحرم ، فأمر الخليفة بنهب حواصله ، وأمواله وأملاكه. وفيها دخل صاحب الزنج إلى النعمانية ، فقتل ،

وحرق ، ثم سار إلى جرجرايا ، فانزعج الناس منه. ودخل أهل السواد إلى بغداد ، وفيها ولّي أبو أحمد عمرو بن الليث خراسان ، وفارس ، وأصبهان ، وسجستان ، وكرمان ، والسند ، ووجهه إليها بذلك ، وبالخلع ، والتحف. وفيها حاصرت الزنج تستر، حتى كادوا يأخذونها ، فوافاهم تكين البخاري ، فلم يضع ثياب سفره، حتى ناجز الزنج ، فقتل منهم خلقًا، وهزمهم هزيمة فظيعة جداً ، وهرب أميرهم علي بن أبان المهلبي مخذولاً . قال ابن جرير: وهذه وقعة باب كودك المشهورة، ثم إن علي بن أبان المهلبي أخذ في مكاتبة تكين ، واستمالته إليه ، وإلى صاحب الزنج ، فسارع تكين في إجابته إلى ذلك ، فبلغ خبره مسروراً البلخي ، فسار نحوه ، وأظهر له الأمان ، حتى أخذه ، فقيده ، وتفرق جيشه عنه ، ففرقة صارت إلى الزنج ، وفرقة إلى محمد بن عبيد الله الكردي ، وفرقة انضافت إلى مسرور البلخي بعد إعطائه إياهم الأمان ، وولّى مكانه على عمالته أميراً آخر يقال له : أغرتمش .

وفيها: حج بالناس هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى العباسي .

وفيها توفي فيها من الأعيان : أحمد بن منصور الرمادي ، راوية عبد الرزاق ، وقد صحب الإمام أحمد، وكان يعد من الأبدال ، توفي عن ثلاث وستين سنة ، وسعدان بن نصر ، وعبد الله بن محمد المخزومي، وعلي بن حرب الطائي الموصلي، وأبو حفص النيسابوري علي ابن موفق الزاهد، ومحمد بن سحنون ، قال ابن الأثير في كامله : وفيها قتل أبو الفضل العباس ابن الفرج الرياشي صاحب أبي عبيدة ، والأصمعي ، قتلته الزنج بالبصرة .

يعقوب بن الليث الصفار

أحد الملوك العقلاء الأبطال . فتح بلادًا كثيرة، من ذلك بلد الرجح ،التي كان فيها ملك صاحب الزنج ، وكان يحمل في سرير من ذهب ،على رؤوس اثني عشر رجلاً ، وكان له بيت في رأس جبل عال سماه مكة ،فما زال حتى قتل ،وأخذ بلده ، واستسلم أهلها ،فأسلموا على يديه ، ولكن كان قد خرج عن طاعة الخليفة ،وقاتله أبو أحمد الموفق كما تقدم،و لما مات ولوا أخاه عمرو بن الليث ما كان يليه أخوه يعقوب مع شرطة بغداد وسامرا كما سيأتي .

ثم دخلت سنة ست وستين ومائتين

في صفر منها تغلب إساتكين على بلد الري ، وأخرج عاملها منها ، ثم مضى إلى قزوين، فصالحه أهلها ، فدخلها ، وأخذ منها أموالا جزيلة ثم عاد إلى الري ، فمانعه أهلها عن الدخول إليها ، فقهرهم ، ودخلها قهرا .

وفيها: غارت سرية من الروم ،على ناحية ديار ربيعة ، فقتلوا ، وسبوا ، ومثلوا وأخذوا نحوًا من مائتين وخمسين أسيراً ، فنفر إليهم أهل نصيبين ، وأهل الموصل ، فهربت منهم الروم ، ورجعوا إلى بلادهم. وفيها ولى عمرو بن الليث شرطة بغداد ، وسامرا ، لعبيد الله بن طاهر ، وبعث إليه أبو أحمد بالخلعة، وخلع عليه عمرو بن الليث أيضاً ، وأهدى إليه عمودين من ذهب، وذلك مضافا إلى ما كان يليه أخوه من البلدان وفيها : سار أغرتمش إلى قتال علي بن أبان المهلبي،

بتستر ، فأخذ من كان في السجن من أصحاب علي بن أبان المهلبي ، من الأمراء ، فقتلهم عن آخرهم ، ثم سار إلى علي بن أبان ، فاقتتلا قتالاً شديدًا في مرات عديدة ، كان آخرها لعلي بن أبان المهلبي ، قتل خلقاً كثيراً من أصحاب أغرتمش ، وأسر بعضهم ، فقتلهم أيضا وبعث برؤوسهم إلى صاحب الزنج ، فنصبت رؤوسهم على باب مدينته ـــ قبّحه الله. وفيها: وثب أهل حمص ، على عاملهم عيسى الكرخي ، فقتلوه ، في شوال منها ، وفيها: دعا الحسن بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن حسين الأصغر العقيلي أهل طبرستان إلى نفسه ، وأظهر لهم أن الحسين بن زيد قد أسر ، و لم يبق من يقوم بهذا الأمر غيره ، فبايعوه ، فلما بلغ ذلك الحسين بن زيد ، قصده ، فقاتله، فقتله ، ونهب أمواله ، وأموال من اتبعه ، وأحرق دورهم . وفيها وقعت فتنة بالمدينة ، ونواحيها ، بين الجعفرية والعلوية وتغلب عليها رجل من أهل البيت ، من سلالة الحسن بن زيد ، الذي تغلب على طبرستان، وجرت شرور كثيرة هنالك ، بسبب قتل الجعفرية والعلوية ، يطول ذكرها . وفيها وثبت طائفة من الأعراب ، على كسوة الكعبة فانتهبوها ، وسار بعضهم إلى صاحب الزنج ، وأصاب الحجيج منهم شدة ، وبلاء شديد ، وأمور كريهة، وفيها أغارت الروم أيضا على ديار ربيعة، وفيها دخل أصحاب صاحب الزنج ، إلى رامهرمز ، فافتتحوها ، بعد قتال طويل، وفيها دخل ابن أبي الساج مكة ، فقاتله المخزومي ، فقهره ابن أبي الساج ، وحرق داره ، واستباح ماله ، وذلك يوم التروية في هذه السنة ، ثم جعلت إمرة الحرمين إلى ابن أبي الساج من جهة الخليفة ، وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد المتقدم ذكره قبلها .

وفي هذه السنة عمل محمد بن عبد الرحمن الداخل إلى بلاد المغرب ـــ وهو خليفة بلاد الأندلس وبلاد المغرب ـــ مراكب في نهر قرطبة ليدخل بها إلى البحر المحيط ولتسير الجيوش في أطرافه إلى بعض البلدان ليقاتلوهم ، فلما دخلت المراكب البحر المحيط ، تكسرت ، وتقطعت ، ولم ينج من أهلها إلا اليسير، بل غرق أكثرهم. وفيها التقى أسطول المسلمين ، وأسطول الروم ، ببلاد صقلية، فاقتتلوا، فقتل من المسلمين خلق كثير ، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وفيها: حارب لؤلؤ غلام أحمد بن طولون، لموسى بن أتامش فكسره لؤلؤ وأسره وبعث به إلى مولاه أحمد بن طولون ، وهو إذ ذاك نائب الشام ومصر وإفريقية من جهة الخليفة، ثم اقتتل لؤلؤ هذا ، وطائفة من الروم ، فقتل من الروم خلقاً كثيرًا .

قال ابن الأثير: وفيها اشتد الحال ، وضاق الناس ذرعًا بكثرة الهياج ، والفتن ، وتغلب القواد ، والأجناد ، على كثير من البلاد ، بسبب ضعف منصب الخلافة ، واشتغال أخيه أبي أحمد بقتال الزنج ، وفيها: اشتد الحر في تشرين الثاني جداً ثم قوي به البرد حتى جمد الماء .

وفيها توفي من الأعيان : إبراهيم بن رومة ، وصالح ابن الإمام أحمد بن حنبل قاضي أصبهان، ومحمد بن شجاع البلخي أحد عباد الجهمية ، ومحمد بن عبد الملك الدقيقي .

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائتين

فيها وجَّه أبو أحمد الموفق ، ولده أبو العباس ، في نحو من عشرة آلاف فارس وراجل في أحسن هيئة ، وأكمل تجمل ، لقتال الزنج ، فساروا نحوهم ، فكان بينهم وبينهم من القتال والنــزال في أوقات متعددات ، ووقعات مشهورات ، ما يطول بسطه ، وقد استقصاه الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في تاريخه مبسوطاً مطولا، وحاصل ذلك أنه آل الحال، أن استحوذ أبو العباس بن الموفق ،على ما كان استولى عليه الزنج ، ببلاد واسط ، وأراضي دجلة ، هذا وهو شاب حدث ، لا خبرة له بالحرب ، ولكن سلمه الله ، وغنمه ، وأعلى كلمته ، وسدد رميته ، وأجاب دعوته ، وفتح على يديه ، وأسبغ نعمه عليه ، وهذا الشاب هــو الذي ولي الخلافة بعد عمه المعتمد ولقب بالمعتضد كما سيأتي ثم ركب أبو أحمد الموفق ناصر دين الله، في بغداد ، في صفر من هذه السنة في جيوش كثيفة ، فدخل واسط في ربيع الأول منها ، فتلقاه ابنه، وأخبره عن الجيوش الذين معه ، وأنهم نصحوا ، وتحملوا من أعباء الجهاد ، فخلع على الأمراء كلهم خلعًا سنية ، ثم سار بجميع الجيوش إلى صاحب الزنج ، وهو بالمدينة التي أنشأها ، وسماها المنيعة ، فقاتل الزنج دونها قتالا شديداً ، فقهرهم ، ودخلها عنوة ، وهربوا منها ، فبعث في آثارهم جيشاً ، فلحقوهم إلى البطائح يقتلون ويأسرون وغنم أبو أحمد من المنيعة شيئاً كثيراً، واستنقذ من النساء المسلمات خمسة آلاف امرأة ، وأمر بإرسالهن إلى أهاليهن بواسط ، ثم أمر بهدم سور البلد ، وَبطَمِّ [1] خندقها ، وجعلها بلقعا[2] بعد ما كانت للشر مجمعا .

ثم سار الموفق إلى المدينة ، التي لصاحب الزنج ، التي يقال لها : المنصورة ، وبها سليمان بن جامع ، فحاصروها ، وقاتلوه دونها ، فقتل خلق كثير ، من الفريقين ، ورمى أبو العباس بن الموفق أحمد بن هندي أحد أمراء صاحب الزنج بسهم فأصابه في دماغه فقتله ، وكان من أكابر أمراء صاحب الزنج ، فشق ذلك على الزنج جدًا ، وأصبح الناس محاصرين مدينة الزنج يوم السبت لثلاث بقين من ربيع الآخر ، والجيوش الموفقية مرتبة أحسن ترتيب ، فتقدم الموفق فصلّى أربع ركعات ، وابتهل إلى الله في الدعاء ، واجتهد في حصارها فهزم الله مقاتلتها وانتهى إلى خندقها فإذا هو قد حصّن غاية التحصين ، وإذا هم قد جعلوا حول البلد خمسة خنادق ، وخمسة أسوار ، فجعل كلما جاوز سوراً ، قاتلوه دون الآخر فيقهرهم ، ويجوز إلى الذي يليه ، حتى انتهى إلى البلد ، فقتل منهم خلقًا كثيراً ، وهرب بقيتهم ، وأسر من نساء الزنج من حلائل سليمان بن جامع وذويه ، نساء كثيرة ، وصبيانًا ، واستنقذ من أيديهم النساء المسلمات ، والصبيان من أهل البصرة، والكوفة ، نحوًا من عشرة آلاف نسمة ، فسيّرهم إلى أهليهم ، جزاه الله خيرا ، ثم أمر بهدم فنادقها ، وأسوارها ، وردم خنادقها ، وأنهارها وأقام بها

---

(١) طَمَّ : دفنها وَسوَّاها.

(٢) بلقعا : خرابا .

سبعة عشر يومًا، وبعث في آثار من انهزم من الزنج ، فكان لا يؤتى بأحد منهم ، إلا استماله إلى الحق برفق ، ولين ، وصفح ، فمن أجابه ، أضافه إلى بعض الأمراء — وكان مقصوده رجوعهم إلى الدين والحق — ومن لم يجبه قتله ، وحبسه ثم ركب إلى الأهواز ، فأجلاهم عنها، وطردهم منها ، وقتل خلقا كثيرًا من أشرافهم ، منهم أبو عيسى محمد بن إبراهيم البصري ، وكان رئيساً فيهم مطاعا ، وغنم شيئًا كثيراً من أموالهم ، وكتب الموفق إلى صاحب الزنج – قبّحه الله – كتابا يدعوه فيه إلى التوبة ، والرجوع عما ارتكبه ، من المآثم ، والمظالم ، والمحارم، ودعوى النبوة ، والرسالة ، وخراب البلدان ، واستحلال الفروج الحرام ونبذ له الأمان إن هو رجع إلى الحق ، فلم يرد عليه صاحب الزنج جوابا .

مسير أبي أحمد الموفق إلى المدينة التي فيها صاحب الزنج وهي المختارة

لما كتب أبو أحمد إلى صاحب الزنج ، يدعوه إلى الحق ، فلم يجبه ، استهانة به ، ركب من فوره في جيوش عظيمة ، قريب من خمسين ألف مقاتل ، قاصدًا إلى المختارة مدينة صاحب الزنج ، فلما انتهى إليها ، وجدها في غاية الإحكام ، وقد حوط عليها من آلات الحصار شيئاً كثيرًا ، وقد التف على صاحب الزنج ، نحو من ثلاثمائة ألف مقاتل ، بسيف ورمح ومقلاع ، ومن يكثر سوادهم ، فقدم الموفق ولده أبا العباس بين يديه ، فتقدم حتى وقف تحت قصر الملك، فحاصره محاصرة لم ير مثلها ، وتعجب الزنج من إقدامه وجرأته مع صغر سنه وحداثة عمره ، ثم تراكمت الزنج عليه من كل مكان ، فهزمهم ، وأثبت بهبوذ أكبر أمراء صاحب الزنج ، بالسهام ، والحجارة ، ثم خامر [1] جماعة من أصحاب أمراء صاحب الزنج ، إلى الموفق، فأكرمهم ، وأعطاهم خلعًا سنية ، ثم رغب إلى ذلك جماعة كثيرون بالأمان ، إلا صاحب الزنج، فتحول خلق كثير من جيش صاحب الزنج إلى الموفق ، وابتنى الموفق مدينة تجاه مدينة صاحب الزنج ، وسماها الموفقية ، وأمر بحمل الأمتعة والتجارات إليها ، فاجتمع بها من أنواع الأشياء، وصنوفها، ما لم يجتمع في بلد قبلها ، وعظم شأنها ، وامتلأت من المعايش ، والأرزاق، وصنوف التجارات ، والسكان والدواب ، وغيرهم ، وإنما بناها ليستعين بها على قتال صاحب الزنج ، ثم جرت بينهم حروب عظيمة ، وما زالت الحرب ناشبة بينهم حتى انسلخت هذه السنة ، وهم محاصرون للخبيث صاحب الزنج ، وقد تحول منهم خلق كثير ، فصاروا على صاحب الزنج ، بعد أن كانوا معه ، وبلغ عدد من تحول قريباً من خمسين ألفاً من الأمراء والخواص ، والأجناد ، والموفق ، وأصحابه ، في زيادة ، وقوة ، ونصر ، وظفر ، وفيها حج بالناس هارون بن محمد الهاشمي .

---

(١) خامر : خادع وخالط وانضم . اللسان (خمر) .

وفيها توفي من الأعيان: إسماعيل بن سيبويه ، وإسحاق بن إبراهيم بن شاذان، ويحيى بن نصر الخولاني ، وعباس الترقفي ، ومحمد بن حماد بن بكر بن حماد أبو بكر المقري ، صاحب خلف ابن هشام البزار ، ببغداد في ربيع الأول ، ومحمد بن عزيز الإيلي ، ويحيى بن محمد بن يحيى الذهلي حنكان ، ويونس بن حبيب راوي مسند أبي داود الطيالسي عنه .

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائتين

في المحرم منها استأمن جعفر بن إبراهيم المعروف بالسجّان — وكان من أكابر أمراء صاحب الزنج وثقاتهم في أنفسهم — الموفق ، فأمنه ، وفرح به ، وخلع عليه ، وأمره ، فركب في سمرته ، فوقف تجاه قصر الملك ، فنادى في الناس ، وأعلمهم بكذب صاحب الزنج ، وفجوره ، وأنه في غرور ، هو ومن اتبعه ، فاستأمن بسبب ذلك بشر كثير منهم ، وبرد قتال الزنج عند ذلك إلى ربيع الآخر ، فعند ذلك أمر الموفق أصحابه بمحاصرة السور ، وأمرهم ، إذا دخلوه ، أن لا يدخلوا البلد ، حتى يأمرهم ، فنقبوا السور ، حتى انثلم [(١)] ، ثم عجلوا الدخول ، فدخلوا فقاتلهم الزنج ، فهزمهم المسلمون ، وتقدموا إلى وسط المدينة ، فجاءتهم الزنج من كل مكان ، وخرجت عليهم الكمائن من أماكن لا يهتدون لها ، فقتلوا من المسلمين خلقًا كثيراً،واستلبوهم ، وفرّ الباقون ، فلامهم أبو أحمد الموفق على مخالفته ،و على العجلة، وأجرى الأرزاق على ذرية من قتل منهم ، فحسن ذلك عند الناس جدًا ، وظفر أبو العباس بن الموفق ، بجماعة من الأعراب ، كانوا يجلبون الطعام ، إلى الزنج ، فقتلهم ، وظفر ببهبوذ بن عبد الله بن عبد الوهاب فقتله ، وكان ذلك من أكبر الفتح عند المسلمين ، وأعظم الرزايا عند الزنج ، وبعث عمرو بن الليث إلى أبي أحمد الموفق ثلاثمائة ألف دينار ، وخمسين منًّا [(٢)] من مسك ، وخمسين منًّا من عنبر ، ومائتي منٍّ من عود ، وفضة بقيمة ألف دينار ، وثيابا من وشي ، وغلماناً كثيرة جداً ، وفيها خرج ملك الروم المعروف بابن الصقلبية فحاصر أهل ملطية فأعانهم أهل مرعش ، ففر الخبيث خاسئا وغزا الصائفة من ناحية الثغور ، عامل ابن طولون ، فقتل من الروم سبعة عشر ألفًا ، وحج بالناس فيها هارون المتقدم، وفيها قتل أحمد بن عبد الله الخجستاني .

وفيها توفي من الأعيان أحمد بن سيار ، وأحمد بن شيبان ، وأحمد بن يونس الضبي، وعيس ابن أحمد البلخي ، ومحمد بن عبد الله بن الحكم المصري الفقيه المالكي . وقد صحب الشافعي وروى عنه .

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائتين

في هذه السنة اجتهد الموفق بالله في تخريب مدينة صاحب الزنج ، فخرّب منه شيئاً كثيراً ، وتمكن الجيوش من العبور إلى البلد ، ولكن جاءه في أثناء هذه الحالة ، سهم في صدره ، من يد

(١) انثلم : أحدث خللا بالحائط والتهدم. اللسان (ثلم).

(٢) المنُّ : جمع أمنان : كيل أو ميزان وهو شرعا ١٨٠ مثقالا ، وعرفا ٢٨٠مثقالا اللسان (مَنُّ).

رجل رومي ، يقال له : قرطاس ، فكاد يقتله ، فاضطرب الحال لذلك ، وهو يتجلد ويحض على القتال مع ذلك ، ثم أقام ببلده الموفقية أياما يتداوى فاضطربت الأحوال وخاف الناس من صاحب الزنج ، وأشاروا على الموفق بالمسير إلى بغداد ، فلم يقبل ، فقويت علّته ، ثم منّ الله عليه بالعافية في شعبان ، ففرح المسلمون بذلك فرحا شديدًا ، فنهض مسرعا إلى الحصار ، فوجد الخبيث قد رمم كثيراً ، مما كان الموفق قد خربه ، وهدمه ، فأمر بتخريبه ، وما حوله ، وما قرب منه ، ثم لازم الحصار ، فما زال حتى فتح المدينة الغربية وخرّب قصور صاحب الزنج، ودور أمرائه ، وأخذ من أموالهم شيئاً كثيراً ، وغنم ما لا يحد ، ولا يوصف كثرة ، وأسر من نساء الزنج ، واستنقذ من نساء المسلمين ، وصبيانهم ، خلقا كثيراً ، فأمر بردهم إلى أهاليهم مكرمين ، وقد تحول صاحب الزنج إلى الجانب الشرقي ، وعمل الجُسُر ، والقناطر الحائلة بينه وبين وصول السمريات إليه ، فأمر الموفق بتخريبها ، وقطع الجسور ، واستمر الحصار باقي هذه السنة ، وما برح حتى تسلم الجانب الشرقي أيضًا واستحوذ على حواصله ، وأمواله ، وفرّ الخبيث هاربًا ، غير آيب ، وخرج منها هاربا ، وترك حلائله ، وأولاده ، وحواصله ، فأخذها الموفق ولله الحمد والمنة وشرح ذلك يطول جدًا ، وقد حرره مبسوطًا ابن جرير ، ولخصه ابن الأثير ، واختصره ابن كثير ، والله أعلم ، وهو الموفق إلى الصواب ، وإليه المرجع والمآب .

ولما رأى الخليفة المعتمد ، أن أخاه أبا أحمد ، قد استحوذ على أمور الخلافة ، وصار هو الحاكم الآمر الناهي ، وإليه تجلب التقادم وتحمل الأموال والخراج ، وهو الذي يولي ويعزل ، كتب إلى أحمد بن طولون ، يشكو إليه ذلك، كتب إليه أحمد بن طولون ، أن يتحول إلى عنده ببلاد مصر ، ووعده النصر والقيام معه ، فاستغنم غيبة أخيه الموفق ، وركب في جمادى الأولى ، ومعه جماعة من القواد ، وقد أرصد له ابن طولون جيشًا بالرقة يتلقونه ، فلما احتاز الخليفة بإسحاق بن كنداج ، نائب الموصل، وعامة الجزيرة ، اعتقله عنده ، عن المسير إلى ابن طولون ، وفنّد أعيان الأمراء الذين معه ، وعاتب الخليفة ، ولامه على هذا الصنع أشد اللوم ، ثم ألزمه العود إلى سامرا ، ومن معه من الأمراء ، فرجعوا إليها في غاية الذُلّ الإهانة لما بلغ ذلك الموفق ، شكر سعي إسحاق ، وولاه جميع أعمال أحمد بن طولون إلى أقصى بلاد إفريقية ، وكتب إلى ابن أخيه أن يلعن ابن طولون في دار العامة ، فلم يمكن المعتمد إلا إجابته إلى ذلك ، وهو كاره، وكان ابن طولون قد قطع ذكر الموفق في الخطب ، وأسقط اسمه عن الطرازات .

وفيها في ذي القعدة: وقعت فتنة بمكة ، بين أصحاب الموفق ، وأصحاب ابن طولون ، فقتل من أصحاب ابن طولون مائتان ، وهرب بقيتهم ، واستلبهم أصحاب الموفق شيئاً كثيراً فيها قطع الأعراب على الحجيج الطريق ، وأخذ منهم خمسة آلاف بعير بأحمالها .

وفيها: توفي إبراهيم بن منقذ الكناني وأحمد بن خلاد مولى المعتصم - وكان من دعاة المعتزلة ، أخذ الكلام عن جعفر بن معشر المعتزلي - وسليمان بن حفص المعتزلي، صاحب بشر

المريسي ، وأبي الهذيل العلاف ، وعيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني ، نائب أرمينية وديار بكر ، وأبو فروة يزيد بن محمد الرهاوي أحد الضعفاء .

ثم دخلت سنة سبعين ومائتين

فيها كان مقتل صاحب الزنج قبّحه الله: وذلك أن الموفق لما فرغ من شأن مدينة صاحب الزنج وهي المختارة ، واحتاز ما كان بها من الأموال، وقتل من كان بها من الرجال ، وسبى من وجد فيها من النساء ، والأطفال ، وهرب صاحب الزنج عن حومة الحرب ، والجلاد ، والنــزال وسار إلى بعض البلاد ، طريدًا شريدًا ، بشر حال ، عاد الموفق إلى مدينته ، الموفقية ، مؤيداً منصوراً ، وقدم عليه لؤلؤة غلامه أحمد بن طولون منابذا لسيده سميعا مطيعا لأبي أحمد الموفق ، وكان وروده عليه في ثالث المحرم من هذه السنة ، فأكرمه ، وعظّمه وأعطاه ، وخلع عليه ، وأحسن إليه ، وبعثه طليعة بين يديه ، لقتال صاحب الزنج ، وركب الموفق في الجيوش الكثيفة الهائلة ، وراءه فقصدوا الخبيث ، وقد تحصن ببلدة أُخرى ، فلم يزل به محاصرًا له ، حتى أخرجه منها ذليلا وهو صاغر ، واستحوذ على ما كان بها من الأموال ، والمغانم ، ثم بعث السرايا والجيوش ، وراء صاحب الزنج ، فأسروا عامة من كان معه ، من خاصته ، وجماعته ، منهم سليمان بن جامع ، فاستبشر الناس بأسره ، وكبروا الله وحمدوه ، فرحًا بالنصر ، والفتح ، وحمل الموفق بمن معه حملة واحدة ، على أصحاب الخبيث ، فاستحر فيهم القتل ، وما انجلت الحرب ، حتى جاء البشير بقتل صاحب الزنج في المعركة ، وأُتي برأسه مع غلام لؤلؤه الطولوني، فلما تحقق الموفق ، أنه رأسه بعد شهادة الأمراء الذين كانوا معه من أصحابه بذلك ، خرّ ساجدًا لله ثم انكفأ راجعًا إلى الموفقية ، ورأس الخبيث يحمل بين يديه ، وسليمان معه أسير ، فدخل البلد وهو كذلك ، وكان يومًا مشهودًا ، وفرح المسلمون بذلك في المغارب والمشارق ، ثم جيء بانكلاني ، ولد صاحب الزنج ، وأبان بن علي المهلبي ، مسعر حربهم ، مأسورين ، ومعهما قريب من خمسة آلاف أسير ، فتم السرور ، وهرب قرطاس الذي رمى الموفق بصدره ، بذلك السهم ، إلى رامهرمز ، فأخذ ، وبعث به إلى الموفق ، فقتله أبو العباس أحمد بن الموفق واستتاب من بقي من أصحاب صاحب الزنج ، فأمنهم الموفق ، ونادى في الناس بالأمان ، وأن يرجع كل من كان أخرج من دياره ، بسبب الزنج إلى أوطانهم وبلدانهم ، ثم سار إلى بغداد ، وقدم ولده أبا العباس ، بين يديه ، ومعه رأس الخبيث ، يحمل ، ليراه الناس ، فدخلها لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى ، من هذه السنة ، وكان يومًا مشهودًا ، وانتهت أيام صاحب الزنج المدعي الكذاب قبّحه الله .

وقد كان ظهوره في يوم الأربعاء ، لأربع بقين من رمضان ، سنة خمس وخمسين ومائتين ، وكان هلاكه يوم السبت ، لليلتين خلتا من صفر ، سنة سبعين ومائتين وكانت دولته أربع

عشرة سنة ، وأربعة أشهر ، وستة أيام ، ولله الحمد والمنة وقد قيل في انقضاء دولة الزنج ، وما كان من النصر عليهم ، أشعار كثيرة ، من ذلك قول يحيى بن محمد الأسلمي :

أقولُ وقد جاء البشـــيرُ بــوقعة أعزَّت من الإسلام ما كـــان واهيا
جزى اللهُ خيرَ الناس للناسِ بعــدماً أُبيحَ حماهُم خيرَ ما كانَ جـــازيا
تفـــرَّدَ إذ لم ينصـــرِ اللهُ نـــاصـــرُ بتجديد دين كانَ أصبحَ بـــاليـــا
وتشديد ملك قد وَهَى بعـــدَ عـــزِّه وأخذ بثارات تبيرُ الأعـــــاديـــا
ورد عمارات أزيلتْ وأخـــربـــتْ ليرجعَ فيءُ [1] قدْ تـــخرّم وافيـــا[2]
وترجعَ أمطارُ أبيحتْ وأخرقـــتْ مرارا وقد أمستْ قواهْ عوافيـــا[3]
ويشفي صدور المســلمين بوقعـــة يقرُّ بها منا العيونَ البـــــواكيـــا
ويُتْلَى كتابُ الله في كلِّ مســـجدٍ ويُلْفي دُ عاءَ الطالبيين خـــاسيـــا
فأعرضَ عن أحبابـــه ونعيمـــــه وعنْ لذَّة الدنيا وأصبحَ غـــازيـــا

وفي هذه السنة أقبلت الروم ، في مائة ألف مقاتل ، فنـــزلوا قريبًا من طرسوس ، فخرج إليهم المسلمون ، فبيتوهم ، فقتلوا منهم في ليلة واحدة حتى الصباح نحواً من سبعين ألفا من المقاتلة ولله الحمد وقتل المقدم الذي عليهم ، وهو بطريق البطارقة ، وجرح أكثر الباقين ، وغنم المسلمون منهم غنيمة عظيمة ، من ذلك سبعة صلبان من ذهب وفضة ، وصليبهم الأعظم عندهم ، وهو من ذهب صامت ، مكلل بالجواهر ، وأربع كراسي من ذهب ، ومائتي كرسي من فضة ، وآنية كثيرة وعشرة آلاف علم من ديباج وغنموا حريراً كثيرًا ، وأموالاً جزيلة ، وخمسة عشر ألف دابة ، وسروجًا ، وسلاحا وسيوفا محلاة ، وغير ذلك ولله الحمد .

وفيها توفي من الأعيان :

أحمد بن طولون

أبو العباس أمير الديار المصرية ، وباني الجامع بها المنسوب إلى طولون ، وإنما بناه أحمد ابنه، وقد ملك دمشق ، والعواصم ، والثغور مدة طويلة ، وقد كان أبوه طولون من الأتراك ، الذين هداهم نوح بن أسد بن سامان الساماني ، عامل بخارى، إلى المأمون في سنة مائتين ، ويقال : إلى الرشيد في سنة تسعين ومائة . ولد أحمد هذا في سنة أربع عشرة ومائتين ، ومات أبوه طولون في سنة ثلاثين، وقيل : في سنة أربعين ومائتين. وحكى ابن خلكان ، أنه لم يكن أباه ، وإنما تبناه ، والله أعلم ، وحكى ابن عساكر : أنه من جارية تركية ، اسمها هاشم ، ونشأ أحمد

---

(١) الفيء : الخراج والغنيمة. اللسان (فيأ) .
(٢) تخرم : انقطع .
(٣) قواه : قفر الأرض والخلاء . اللسان (قوى) .

هذا في صيانة ، وعفاف ، ورياسة ، ودراسة للقرآن العظيم ، مع حسن الصوت به ، وكان يعيب على أولاد الترك ما يرتكبونه ، من المحرمات والأشياء ، والمنكرات ، وكانت أمه جارية اسمها هاشم .

وحكى ابن عساكر في تاريخه عن بعض مشايخ مصر : أن طولون لم يكن أباه وإنما كان قد تبناه لديانته وحسن صوته بالقرآن وظهور نجابته وصيانته من صغره ، وأن طولون اتفق له معه ، أن بعثه مرة ، في حاجة ليأتيه بها ، من دار الإمارة ، فذهب ، فإذا حظية من حظايا طولون ، مع بعض الخدم ، وهما على فاحشة ، فأخذ حاجته التي أمره بها ، وكرّ راجعًا إليه سريعًا ، ولم يذكر له شيئاً مما رأى من الحظية ، والخادم ، فتوهمت الحظية أن يكون أحمد قد أخبر طولون بما رأى ، فجاءت إلى طولون فقالت: إن أحمد جاءني الآن إلى المكان الفلاني ، وراودني عن نفسي وانصرفت إلى قصرها ، فوقع في نفسه صدقها ، فاستدعى أحمد وكتب معه كتاباً ، وختمه إلى بعض الأمراء ، ولم يواجه أحمد بشيء مما قالت الجارية ، وكان في الكتاب ، أن ساعة وصول حامل هذا الكتاب ، إليك ، تضرب عنقه ، وابعث برأسه سريعًا إلي فذهب بالكتاب من عند طولون ، وهو لا يدري ما فيه ، فاجتاز بطريقه ، بتلك الحظية فاستدعته إليها، فقال: إني مشغول بهذا الكتاب لأوصله إلى بعض الأمراء، قالت: هلم ، فلي إليك حاجة- وأرادت أن تحقق في ذهن الملك طولون ، ما قالت له عنه ، فحبسته عندها ، ليكتب لها كتابا ، ثم استوهبت من أحمد الكتاب ، الذي أمره طولون أن يوصله ، إلى ذلك الأمير ، فدفعه إليها فأرسلت به ذلك الخادم ، الذي وجده معها على الفاحشة ، وظنت أن به جائزة ، تريد أن تخص بها الخادم المذكور ، فذهب بالكتاب إلى ذلك الأمير ، فلما قرأه أمر بضرب عنق ذلك الخادم ، وأرسل برأسه إلى الملك طولون ، فتعجب الملك من ذلك، وقال : أين أحمد ؟ فطلب له ، فقال: ويحك ، أخبرني كيف صنعت ، منذ خرجت من عندي؟ فأخبره بما جرى من الأمر ولما سمعت تلك الحظية ، بأن رأس الخادم قد أتي به إلى طولون ، أسقط في يديها ، وتوهمت أن الملك قد تحقق الحال ، فقامت إليه تعتذر، وتستغفر ، مما وقع منها مع الخادم ، واعترفت بالحق، وبرأت ساحة أحمد، مما نسبته إليه، فحظي عند الملك طولون ، وأوصى له بالملك من بعده .

ثم ولّي نيابة الديار المصرية ، للمعتز ، فدخلها يوم الأربعاء ، لسبع بقين من رمضان ، سنة أربع وخمسين ومائتين ، فأحسن إلى أهلها، وأنفق فيهم ومن بيت المال ، ومن الصدقات ، واستغل الديار المصرية في بعض السنين أربعة آلاف ألف دينار ، وبنى بها الجامع ، غرم عليه مائة ألف دينار ، وعشرين ألف دينار ، وكان فرغه في سنة تسع وخمسين ، وقيل : في سنة ست وستين ومائتين ، وكانت له مائدة في كل يوم ، يحضرها الخاص ، والعام ، وكان يتصدق في كل شهر من خالص ماله ، بألف دينار ، وقد قال له وكيله يوما : إنه تأتيني المرأة ، وعليها الإزار، والبدلة ، ولها الهيئة الحسنة ، تسألني ، فأعطيها ؟ فقال: من مدّ يده إليك فأعطه ، وكان

من أحفظ الناس للقرآن ، ومن أطيبهم به صوتا. وقد حكى ابن خلكان عنه : أنه قتل صبرًا نحوًا من ثماني عشرة ألف نفس ، فالله أعلم ، وبنى المارستان غرم عليه ستين ألف دينار ، وعلى الميدان مائة وخمسين ألفًا ، وكانت له صدقات كثيرة جدًا ، وإحسان زائد ، ثم ملك دمشق بعد أميرها ماخور ، في سنة أربع وستين ومائتين ، فأحسن إلى أهلها أيضا ، إحسانا بالغا ، واتفق أنه وقع بها حريق عند كنيسة مريم ، فنهض بنفسه إليه ، ومعه أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو الحافظ الدمشقي ، وكاتبه أبو عبد الله أحمد بن محمد الواسطي ، فأمر كاتبه أن يخرج من مال الأمير سبعين ألف دينار ، تصرف إلى أهل الدور ، والأموال التي أحرقت فصرف إليهم جميع قيمة ما ذكره ، وبقي أربعة عشر ألف دينار فاضلة عن ذلك ، فأمر بها أن توزع عليهم ، على قدر حصصهم ، ثم أمر بمال عظيم يفرق على فقراء دمشق ، وغوطتها ، فأقل ما حصل للفقير دينار ، رحمه الله. ثم خرج إلى أنطاكية ، فحاصر بها صاحبها سيما ، حتى قتله ، وتسلم البلد كما ذكرنا .

توفى بمصر في أوائل ذي القعدة، من هذه السنة ، من علّة أصابته ، من أكل لبن الجواميس، كان يحبه ، فأصابه بسببه ذرب [1] ، فكواه الأطباء ، وأمروه أن يحتمي منه ، فلم يقبل منهم ، فكان يأكل منه خفية ، فمات رحمه الله ، وقد ترك من الأموال ، والأثاث والدواب ، شيئاً كثيراً جدًا ، من ذلك عشرة آلاف دينار ، ومن الفضة شيئًا كثيرًا ، وكان له ثلاثون ولدًا ، منهم سبعة عشر ذكرًا ، فقام بالأمر من بعده ولده خمارويه – كما سيأتي ما كان من أمره – وكان له من الغلمان سبعة آلاف مولى ، ومن البغال ، والخيل ، والجمال نحو سبعين ألف دابة، وقيل : أكثر من ذلك ، قال ابن خلكان: وإنما تغلب على البلاد ، لاشتغال الموفق طلحة بن المتوكل بحرب صاحب الزنج ، وقد كان الموفق نائب أخيه المعتمد .

وفيها توفي أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن سهل الكاتب صاحب كتاب الخــراج — قاله ابن خلكان — وأحمد بن عبد الله بن البرقي ، وأسيد بن عاصم الجمال، وبكار بن قتيبة المصري في ذي الحجة من هذه السنة ...

والحسن بن زيد العلوى

صاحب طبرستان في رجب منها ، وكانت ولايته تسع عشرة سنة ، وثمانية أشهر ، وستة أيام ، وقام من بعده بالأمر أخوه محمد بن زيد ، وكان الحسن بن زيد هذا كريماً جوادًا يعرف الفقه والعربية ، قال له مرةً شاعر من الشعراء في جملة قصيدة مدحه بها : " الله فرد ، وابن زيد فرد " فقال له: اسكت سد الله فاك هذا ، ألا قلت: " الله فرد ، وابن زيد عبد ". ثم نزل عن

---

(١) الذّرب : شيء يكون فى عنق الإنسان مثل الحصاة ، أو داء يكون فى الكبد .

سريره وخرَّ لله ساجدا وألصق خده بالتراب و لم يعط ذلك الشاعر شيئاً. وامتدحه بعضهم فقال في أول قصيدة :

لا تقُلْ بُشْرى ولكن بُشْرَيَان غُرَّة الداعي ويَوْمُ المِهْرَجَان

فقال له الحسن: لو ابتدأت بالمصراع الثاني كان أحسن ، وأبعد لك أن تبتدئ شعرك بحرف «لا» فقال له الشاعر: ليس في الدنيا كلمة أجل من قول : " لا إله إلا الله " فقال: أصبت ، وأمر له بجائزة سنية ، والحسن بن علي بن عفان العامري .

وداود بن على

الأصبهاني ، ثم البغدادي الفقيه الظاهري ، إمام أهل الظاهر ، روى عن أبي ثور ، وإبراهيم ابن خالد ، وإسحاق بن راهويه ، وسليمان بن حرب ، وعبد الله بن سلمة القعنبي ، ومسدد ابن سرهد ،وغير واحد ، روى عنه ابنه الفقيه أبو بكر بن داود ، وزكريا بن يحيى الساجي ، قال الخطيب: كان فقيها زاهدا ، وفي كتبه حديث كثير ، دال على غزارة علمه ، كانت وفاته ببغداد ، في هذه السنة ، وكان مولده في سنة مائتين، وذكر أبو إسحاق السيرامي في طبقاته أن أصله من أصبهان ، وولد بالكوفة ، ونشأ ببغداد وأنه انتهت إليه رياسة العلم بها ،وكان يحضر مجلسه أربعمائة طيلسان أخضر ، وكان من المتعصبين للشافعي ، وصنّف مناقبه ، وقال غيره : كان حسن الصلاة ،كثير الخشوع فيها ، والتواضع. قال الأزدي : ترك حديثه ، و لم يتابع الأزدي على ذلك ؛ ولكن روى عن الإمام أحمد : أنه تكلم فيه ، بسبب كلامه في القرآن ، وأن لفظه به مخلوق كما نسب ذلك إلى الإمام البخاري رحمهما الله ، قلت : وقد كان من الفقهاء المشهورين ،و لكن حصر نفسه بنفيه للقياس الصحيح ، فضاق بذلك ذرعه، في أماكن كثيرة من الفقه ، فلزمه القول بأشياء فظيعة ، صار إليها بسبب اتباعه الظاهر المجرد ، من غير تفهم لمعنى النص ، وقد اختلف الفقهاء القياسيون بعده ، في الاعتداد بخلافه ،هل ينعقد الاجماع بدونه ، مع خلافه أم لا ؟، على أقوال ليس لهذا موضع بسطها .

وفيها توفي: الربيع بن سليمان المرادي، صاحب الشافعي، وقد ترجمناه في طبقات الشافعية، والقاضي بكار بن قتيبة ، الحاكم بالديار المصرية ، من سنة ست وأربعين ومائتين ، إلى أن توفي مسجونا بحبس أحمد بن طولون ، لكونه لم يخلع الموفق في سنة سبعين، وكان عالما ، عابداً ، زاهدا ، كثير التلاوة ، والمحاسبة لنفسه ، وقد شغر منصب القضاء بعده بمصر ثلاث سنين .

وقد بسط ابن خلكان ترجمته في الوفيات رحمه الله .

وابن قتيبة الدينوري

وهو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري قاضيها ، النحوي اللغوي صاحب المصنفات البديعة ، المفيدة المحتوية على علوم جمة نافعة ، اشتغل ببغداد ، وسمع بها الحديث على إسحاق

ابن راهويه ، وطبقته ، وأخذ اللغة عن أبي حاتم السجستاني وذويه، وصنف وجمع وألف الكتب المشهورة ، منها (كتاب المعارف)، (وأدب الكاتب)- الذي شرحه أبو محمد بن السيد البطليوسي - وكتاب (مشكل القرآن والحديث) ، (وغريب القرآن والحديث) ، (وعيون الأخبار) ، (وإصلاح الغلط)، وكتاب (الخيل) ، وكتاب (الأنوار)، وكتاب (المسلسل والجوابات) ،وكتاب (الميسر والقداح)، وغير ذلك ،كانت وفاته في هذه السنة ، وقيل : في التي بعدها ، ومولده في سنة ثلاث عشرة ومائتين ، ولم يجاوز الستين رحمه الله . وروى عنه ولده أحمد جميع مصنفاته وقد ولي ولده أحمد قضاء مصر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وتوفي بها بعد سنة رحمهما الله .

ومحمد بن إسحاق بن جعفر الصفار، ومحمد بن مسلم بن وارة، ومصعب بن أحمد بن مصعب أبو أحمد الصوفي ، كان من أقران الجنيد ، وفيها توفي: ملك الروم ابن الصقلبية لعنه الله، وفيها: ابتدأ إسماعيل بن موسى ببناء مدينة لارد من بلاد الأندلس .

ثم دخلت سنة مائتين وإحدى وسبعين

فيها عزل الخليفة ، عمرو بن الليث عن ولاية خراسان ، وأمر بلعنه على المنابر ، وفوَّض أمر خراسان إلى محمد بن طاهر ، وبعث جيشا إلى عمرو بن الليث فهزمه عمرو ، وفيها كانت وقعة بين أبي العباس المعتضد بن الموفق أبي أحمد ، وبين خمارويه بن أحمد بن طولون ، وذلك أن خمارويه لما ملك بعد أبيه بلاد مصر والشام، جاءه جيش من جهة الخليفة ، عليهم إسحاق بن كنداج ، نائب الجزيرة وابن أبي الساج فقاتلوه بأرض ويترز فامتنع من تسليم الشام إليهم ، فاستنجدوا بأبي العباس بن الموفق ، فقدم عليهم ، فكسر خمارويه بن أحمد ، وتسلم دمشق ، واحتازها ثم سار خلف خمارويه إلى بلاد الرملة ، فأدركه عند ماء عليه طواحين ، فاقتتلوا هنالك، وكانت تسمى وقعة الطواحين ، فكانت النصرة أولا لأبي العباس على خمارويه ، فهزمه حتى هرب خمارويه ، لا يلوي على شيء ، فلم يرجع حتى دخل الديار المصرية ، فأقبل أبو العباس وأصحابه على نهب معسكرهم ، فبينما هم كذلك، إذ أقبل كمين لجيش خمارويه ، وهم مشغولون بالغنيمة ، فوضع المصريون فيهم السيوف ، فقتلوا منهم خلقا كثيراً ، وانهزم الجيش ، وهرب أبو العباس المعتضد، فلم يرجع حتى وصل دمشق ، فلم يفتح له أهلها الباب ، فانصرف حتى وصل إلى طرسوس ، وبقي الجيشان المصري والعراقي يقتتلان ، وليس لواحد منهما أمير ثم كان الظفر للمصريين ، لأنهم أقاموا أبا العشائر أخا خمارويه عليهم أميرًا ، فغلبوا بسبب ذلك ، واستقرت أيديهم على دمشق وسائر الشام ، وهذه الوقعة من أعجب الوقعات .

وفيها: جرت حروب كثيرة بأرض الأندلس من بلاد المغرب ، وفيها دخل إلى المدينة النبوية محمد وعلي ابنا الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن

علي بن أبي طالب ، فقتلا خلقًا كثيرا من أهلها ، وأخذا أموالا جزيلة، وتعطلت الصلوات في المسجد النبوي أربع جمع ، لم يحضر الناس فيه جمعة ولا جماعة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وجرت بمكة فتنة أُخرى ، واقتتل الناس على باب المسجد الحرام أيضا. وحج بالناس هارون بن موسى بن إسحاق المتقدم .

وفيها توفي من الأعيان عباس بن محمد الدوري ، تلميذ ابن معين ، وغيره من أئمة الجرح والتعديل. وعبد الرحمن بن محمد بن منصور البصري ، ومحمد بن حماد الطهراني ، ومحمد بن سنان العوفي ، ويوسف بن مسلم .

بوران زوجة المأمون

زوجة المأمون ويقال : إن اسمها خديجة ، وبوران لقب لها ، والصحيح الأول عقد عليها المأمون بفم الصلح ، سنة ست ومائتين ، ولها عشر سنين ، ونثر عليها أبوها يومئذ ، وعلى الناس بنادق [1] المسك ، مكتوب في ورقة وسط كل بندقة ، اسم قرية ، أو ملك جارية ، أو غلام ، أو فرس ، فمن وصل إليه من ذلك شيء ملكه ، ونثر ذلك على عامة الناس ، ونثر الدنانير ، ونوافج [2] المسك ، وبيض العنبر، وأنفق على المأمون، وعسكره مدة مقامه تلك الأيام الخمس ألف ألف درهم فلما ترحل المأمون عنه ، أطلق له عشرة آلاف درهم وأقطعه فم الصلح، وبنى بها في سنة عشر فلما جلس المأمون ، فرشوا له حصرًا من ذهب ، ونثروا على قدميه ألف حبة جوهر ، وهناك تور [3] من ذهب ، فيه شمعة من عنبر ، زنة أربعين منًا من عنبر، فقال: هذا سرف ، ونظر إلى ذلك الحب على الحصر يضيء فقال: قاتل الله أبا نواس حيث يقول في صفة الخمر :

كأنّ صغْرى وكُبرى منْ فَقاقعها ... حَصْبَاءُ در على أرْض من الذّهب

ثم أمر بالدر فجمع ، فوضع في حجر العروس ، وقال : هذا نحلة مني لك ، وسلي حاجتك فقالت لها جدتها : سلي سيدك فقد استنطقك. فقالت : أسأل أمير المؤمنين أن يرضى عن إبراهيم بن المهدي ، فرضي عنه ، ثم أراد الاجتماع بها فإذا هي حائض ، وكان ذلك في شهر رمضان. ثم توفي المأمون في سنة ثماني عشرة ، وتأخرت هي بعده حتى كانت وفاتها في هذه السنة ولها ثمانون سنة .

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين ومائتين

في جمادى الأولى منها ، سار نائب قزوين ، وهو أرلزنكيس في أربعة آلاف مقاتل إلى محمد بن زيد العلوي ، صاحب طبرستان بعد أخيه الحسن بن زيد ، وهو بالري ، في جيش

---

(١) بنادق: أى ظروف منها. والبندق: رصاص كروى الشكل صغير يستعمل فى بعض القذائف للصيد والقتال .

(٢) النوافج : جمع نافجة ، وعاء المسك .

(٣) تور : إناء يشرب فيه .

عظيم من الديلم وغيرهم ، فاقتتلوا قتالا شديدًا ، فهزمه أرلزنكيس، وغنم ما في معسكره ، وقتل من أصحابه ستة آلاف ، ودخل الري ، فأخذها ، وصادر أهلها في مائة ألف دينار ، وفرق عماله في نواحي الري ، وفيها: وقع بين أبي العباس بن الموفق ، وبين صاحب ثغر طرسوس ، وهو يازمان الخادم ، فثار أهل طرسوس على أبي العباس ، فأخرجوه عنهم ، فرجع إلى بغداد وفيها: دخل حمدان بن حمدون، وهارون الشاري مدينة الموصل ، وصلى بهم الشاري في جامعها الأعظم ، وفيها: عاثت بنو شيبان في أرض الموصل فسادًا ، وفيها تحركت بقية الزنج في أرض البصرة ، ونادوا: يا أنكلاي يا منصور ، وأنكلاي: هو ابن صاحب الزنج ، وسليمان بن جامع ، وأبان بن علي المهلبي ، وجماعة من وجوه أمرائهم ، كانوا في جيش الموفق، فبعث إليهم ، فقتلوا ، وحملت رؤوسهم إليه ، وصلبت أبدانهم ببغداد، وسكنت شرورهم ، وفيها صلح أمر المدينة النبوية ، وتراجع الناس إليها، وفيها جرت حروب كثيرة ببلاد الأندلس ، وأخذت الروم من المسلمين بلدين عظيمين من الأندلس ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وفيها قدم صاعد بن مخلد ، الكاتب من فارس ، إلى واسط ، فأمر الموفق القواد أن يتلقوه ، فدخل في أبهة عظيمة، ولكن ظهر منه تيه وعجب شديد ، فأمر الموفق عما قريب بالقبض عليه ، وعلى أهله ، وأمواله، واستكتب مكانه أبا الصقر إسماعيل بن بلبل ، وحج بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق المتقدم منذ دهر .

وفيها توفي من الأعيان إبراهيم بن الوليد بن الحسحاس ، وأحمد بن عبدالجبار بن محمد بن عطارد العطاردي التميمي ، راوي السيرة ، عن يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق بن يسار، وغير ذلك وأبو عنبة الحجازي ، وسليمان بن سيف ، وسليمان بن وهب الوزير — في جيش الموفق — وشعبة بن بكار يروي عن ابن عاصم النبيل ، ومحمد بن صالح بن عبد الرحمن الأنماطي ، ويلقب بمكحلة ، وهو من تلاميذ يحيى بن معين ، ومحمد بن عبد الوهاب الفراء ، ومحمد بن عبيد المنادي ، ومحمد بن عوف الحمصي .

وأبو معشر المنجم

واسمه جعفر بن محمد البلخي ، أستاذ عصره في صناعة التنجيم ، وله فيه التصانيف المشهورة ، كالمدخل ، والزيج [1] ، والألوف وغيرها ، وتكلم على ما يتعلق بالتيسير والأحكام، قال القاضي ابن خلكان : وله إصابات عجيبة ، منها أن بعض الملوك تطلب رجلا، وأراد قتله ، فذهب ذلك الرجل ، فاختفى، وخاف من أبي معشر، أن يدل عليه بصنعة التنجيم، فعمد إلى طست، فملأه دما، ووضع أسفله هاونا، وجلس على ذلك الهاون، فاستدعى الملك أبا معشر ، وأمره أن يظهر هذا الرجل ، فضرب رمله وحرره ثم قال: هذا عجيب جدا ، هذا الرجل جالس

---

(١) الزيج : جدول يدلّ على حركة الكواكب ومنه يستخرج التقويم .

على جبل من ذهب ، في وسط بحر من دم ، وليس هذا في الدنيا ثم أعاد الضرب فوجده كذلك، فتعجب الملك من ذلك ، ونادى في البلد في أمان ذلك الرجل المذكور ، فلما مثل بين يدي الملك ، سأله أين اختفى؟ فأخبره بأمره ، فتعجب الناس من ذلك. قلت : والظاهر أن الذي نسب إلى جعفر بن محمد الصادق من علم الرجز، والطرف ، واختلاج الأعضاء ونحو ذلك إنما هو منسوب إلى جعفر بن محمد هذا وليس بالصادق وإنما يغلطون ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائتين

وفيها وقع بين إسحاق بن كنداج نائب الموصل والجزيرة ، وبين صاحبه ابن أبي الساج ، نائب قنسرين وغيرها ، بعدما كانا متفقين ، وكاتب ابن أبي الساج خمارويه صاحب مصر ، وخطب له ببلاده ، وقدم خمارويه إلى الشام ، فاجتمع به ابن أبي الساج ، ثم سار إلى إسحاق ابن كنداج ، فتواقعا ، فانهزم كنداج ، وهرب إلى قلعة ماردين ، فحاصره بها ، ثم ظهر أمر ابن أبي الساج ، واستحوذ على الموصل ، والجزيرة وغيرها ، وخطب بها لخمارويه ، واستفحل أمره جدًا وفيها قبض الموفق على لؤلؤ غلام ابن طولون ، وصادره بأربعمائة ألف دينار ، وسجنه ، فكان يقول: ليس لي ذنب إلا كثرة مالي ، ثم أخرج بعد ذلك من السجن ، وهو فقير ذليل ، فعاد إلى الديار المصرية في أيام هارون بن خمارويه ، ومعه غلام واحد ، فدخلها على برذون وهذا جزاء من كفر نعمة سيده عليه ، وفيها عدا أولاد ملك الروم ، على أبيهم فقتلوه ، وملكوا أحد أولاده .

وفيها كانت وفاة :

محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأموى

صاحب الأندلس عن خمس وستين سنة. وكانت ولايته أربعًا وثلاثين سنة ، وأحد عشر شهراً ، وكان أبيض مشربا بحمرة ، ربعة ، أوقص [(١)] ، يخضب بالحناء ، والكتم ، وكان عاقلا لبيبا ، يدرك الأشياء المشتبهة ، وخلف ثلاثا وثلاثين ذكراً ، وقام بالأمر بعده ولده المنذر ، فأحسن إلى الناس ، وأحبوه . وفيها كانت وفاة .

خلف بن أحمد بن خالد

الذي كان أمير خراسان ، في حبس المعتمد على الله ، وهذا الرجل هو الذي أخرج البخاري محمد بن إسماعيل من بخارى ، وطرده عنها ، فدعا عليه البخاري ، فلم يفلح بعدها ، ولم يبق في الإمرة إلا أقل من شهر ، حتى احتيط عليه ، وعلى أمواله ، وأركب حماراً ، ونودي عليه في بلده ، ثم سجن من ذلك الحين ، فمكث في السجن حتى مات في هذه السنة ، وهذا جزاء من تعرض لأهل الحديث والسنة .

---

(١) أوقص : القصير العنق .

ومن توفي فيها أيضًا إسحاق بن يسار ، وحنبل بن إسحاق عم الإمام أحمد بن حنبل ، وهو أحد الرواة المشهورين عنه ، على أنه قد اتهم في بعض ما يرويه ، ويحكيه، وأبو أمية الطرسوس ، وأبو الفتح بن شخرف أحد مشايخ الصوفية ، وذوي الأحوال ، والكرامات ، والمقامات والكلمات النافعات ، وقد وهم ابن الأثير في قوله في كامله : إن أبا داود صاحب السنن توفي هذه السنة ، وإنما توفي سنة خمس وسبعين كما سيأتي وفيها توفي .

ابن ماجة القزويني

صاحب السنن ، وهو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني ، مولى ربيعة صاحب كتاب السنن المشهورة ، وهي دالة على عمله ، وعلمه ، وتبحره ، واطلاعه ، واتباعه للسنة ، في الأصول ، والفروع ، ويشتمل على اثنين وثلاثين كتابا، وألف وخمسمائة باب ، ويحتوي على أربعة آلاف حديث ، كلها جياد إلا اليسيرة ، وقد حكى عن أبي زرعة الرازي ، أنه انتقد منها بضعة عشر حديثاً ربما يقال : إنها موضوعة أو منكرة جدًا ، ولابن ماجه تفسير حافل ، وتاريخ كامل ، من لدن الصحابة إلى عصره ، وقال أبو يعلى الخليل بن عبد الله الخليلي القزويني: أبو عبد الله بن محمد بن يزيد بن ماجه ، ويعرف يزيد بماجه مولى ربيعة ، كان عالما بهذا الشأن صاحب تصانيف ، منها التاريخ والسنن ، ارتحل إلى العراقين ، ومصر، والشام ، ثم ذكر طرفا من مشايخه وقد ترجمناهم في كتابنا التكميل ، ولله الحمد والمنة. قال: وقد روى عنه الكبار القدماء: ابن سيبويه ، ومحمد بن عيسى الصفار ، وإسحاق بن محمد ، وعلي بن إبراهيم ابن سلمة القطان ، وجدي أحمد بن إبراهيم ، وسليمان بن يزيد ، وقال غيره: كانت وفاة ابن ماجه يوم الإثنين ، ودفن يوم الثلاثاء، لثمان بقين من رمضان ، سنة ثلاث وسبعين ومائتين عن أربع وستين سنة ، وصلى عليه أخوه أبو بكر ، وتولى دفنه مع أخيه الآخر أبي عبد الله ، وابنه عبد الله بن محمد بن يزيد رحمه الله .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائتين

فيها نشبت الحرب بين أبي أحمد الموفق ، وبين عمرو بن الليث بفارس ، فقصده أبو أحمد فهرب منه عمرو من بلد إلى بلد وتتبعه ، ولم يقع بينهما قتالا ولا مواجهة، وقد تحيز إلى أحمد الموفق مقدم جيش عمرو بن الليث ، وهو أبو طلحة شركب الجمال ، ثم أراد العود ، فقبض عليه الموفق ، وأباح ماله لولده أبي العباس المعتضد ، وذلك بالقرب من شيراز. وفيها: غزا يازمان الخادم نائب طرسوس بلاد الروم فأوغل فيها ، فقتل وغنم وسلم وفيها دخل صديق الفرغاني سامرا ، فنهب دور التجار بها ، وكرّ راجعاً ، وقد كان هذا الرجل ممن يحرس الطرقات ، فترك ذلك ، وأقبل يقطع الطرقات ، وضعف الجند بسامرا عن مقاومته .

وفيها توفي من الأعيان إبراهيم بن أحمد بن يحيى أبو إسحاق ، قال ابن الجوزي في المنتظم : كان حافظاً فاضلا ، روى عن حرملة وغيره ، توفي في جمادي الآخرة من هذه السنة إسحاق

ابن إبراهيم بن زياد أبو يعقوب المقرىء توفي في ربيع الأول منها أيوب بن سليمان بن داود الصفدي يروي عن آدم بن أبي إياس وعن ابن صاعد وابن السماك ، وكان ثقة. توفي في رمضان منها الحسن بن مكرم بن حسان بن علي البزار، يروي عن عفان، وأبي النضر، ويزيد ابن هارون ، وغيرهم ، وعنه المحاملي ، وابن مخلد ، والبخاري ، وكان ثقة توفي في رمضان منها، عن ثلاث وسبعين سنة. خلف بن محمد بن عيسى أبو الحسين الواسطي الملقب بكردوس، يروى عن يزيد بن هارون ، وغيره ، وعن المحاملي ، وابن مخلد، قال ابن أبي حاتم: صدوق ، وقال الدارقطني : ثقة. توفي في ذي الحجة منها ، وقد نيف عن الثمانين ، عبد الله بن روح بن عبيد الله بن أبي محمد المدائني المعروف بعيد روس ، يروى عن شبابة ويزيد بن هارون ، وعنه المحاملي ، وابن السماك ، وأبو بكر الشافعي ، وكان من الثقات. توفي في جمادى الآخرة منها عبد الله بن أبي سعيد أبو محمد الوراق أصله من بلخ وسكن بغداد ، وروى الحديث عن شريح بن يونس وعفان وعلي بن الجعد وغيرهم ، وعنه ابن أبي الدنيا والبغوي والمحاملي وكان ثقة صاحب أخبار وآداب وملح ، توفي بواسط في جمادى الآخرة منها عن سبع وسبعين. سنة محمد بن إسماعيل بن زياد أبو عبد الله ، وقيل : أبو بكر الدولابي ، سمع أبا النضر وأبا اليمان ، وأبا مسهر ، وعنه أبو الحسين المنادي ومحمد بن مخلد وابن السماك وكان ثقة .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائتين

في المحرم منها وقع الخلاف بين ابن أبي الساج وبين خمارويه فاقتتلا عند ثنية العقاب شرقي دمشق فقهر خمارويه لابن أبي الساج والهزم ، وكانت له حواصل بحمص فبعث خمارويه من سبقه إليها فأخذها ومنع منه حمص فذهب إلى حلب فمنعه خمارويه فسار إلى الرقة فاتبعه، فذهب إلى الموصل ثم انهزم منها خوفا من خمارويه ووصل خمارويه إليها واتخذ بها سريرًا طويل القوائم ، فكان يجلس عليه في الفرات ، فعند ذلك طمع فيه ابن كنداج فسار وراءه ليظفر بشيء فلم يقدر ، وقد التقيا في بعض الأيام فصبر له ابن أبي الساج صبرًا عظيما ، فسلم وانصرف إلى الموفق ببغداد فأكرمه وخلع عليه واستصحبه معه إلى الجبل ، ورجع إسحاق بن كنداج إلى ديار بكر من الجزيرة .

وفي هذه السنة في شوال منها: سجن أبو أحمد الموفق ولده أبا العباس المعتضد في دار الإمارة ، وكان سبب ذلك أنه أمره بالمسير إلى بعض الوجوه فامتنع أن يسير إلا إلى الشام التي ولاه إياها عمه المعتضد وأمر بسجنه فثارت الأمراء واختبطت [1] بغداد فركب الموفق إلى بغداد وقال للناس : أتظنون أنكم على ولدي أشفق مني ؟ فسكن الناس عند ذلك وتراجعوا إلى منازلهم ثم أفرج عنه، لله الحمد والمنة وفي هذه السنة سار رافع إلى محمد بن زيد أخي الحسن

---

(١) اختبطت : اضطربت وعّمتها الفوضى .

ابن زيد العلوي فأخذ منه مدينة جرجان فهرب إلى استراباذ فحصره بها سنين فغلا بها السعر حتى بيع الملح بها وزن درهم بدرهمين ، فهرب محمد بن زيد منها ليلا إلى سارية فأخذ منه رافع بلادًا كثيرة بعد ذلك في مدة متطاولة. وفي المحرم منها أو في صفر كانت وفاة المنذر بن محمد ابن عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس عن ست وأربعين سنة. وكانت ولايته سنة وأحد عشر يوماً ، وكان أسمر طويلا بوجهه أثر جدري ، جوادًا ممدحًا يحب الشعراء ويصلهم بمال كثير. وخلف من الأولاد ستة ذكور ، ثم قام بالأمر من بعده أخوه عبد الله بن محمد فامتلأت بلاد الأندلس في أيامه فتناً وشرًا حتى هلك كما سيأتي. وممن توفي فيها من الأعيان : أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروزي صاحب الإمام أحمد ، كان من الأذكياء ، كان أحمد يقدمه على جميع أصحابه ويأنس به ويبعثه في الحاجة ويقول له : قل ما شئت. وهو الذي أغمض الإمام أحمد، وكان فيمن غسله ، وقد نقل عن أحمد مسائل كثيرة وحصلت له رفعة عظيمة مع أحمد حين طلب إلى سامرا ووصل بخمسين ألفا فلم يقبلها . أحمد بن محمد بن غالب بن خلد ابن مرداس أبو عبد الله الباهلي البصري المعروف بغلام خليل ، سكن بغداد ، روى عن سليمان ابن داود الشاذكوني ، وشيبان بن فروخ ، وقرة بن حبيب وغيرهم ، وعنه ابن سماك وابن مخلد وغيرهما ، وقد أنكر عليه أبو حاتم وغيره أحاديث رواها منكرة عن شيوخ مجهولين . قال أبو حاتم : ولم يكن ممن يفتعل الحديث ، كان رجلا صالحاً . وكذبه أبو داود وغير واحد ، وروى ابن عدي عنه أنه اعترف بوضع الحديث ، ليرقق به قلوب الناس ، وكان عابدًا زاهداً ، يقتات الباقلاء الصرف ، وحين مات أغلقت أسواق بغداد، وحضر الناس جنازته والصلاة عليه ثم جعل في زورق وشيع إلى البصرة فدفن بها في رجب من هذه السنة وأحمد بن ملاعب روى عن يحيى بن معين وغيره وكان ثقة دينًا عالما انتشر به كثير من الحديث .

وأبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله بن السكري النحوي اللغوي ، صاحب التصانيف . وإسحاق بن إبراهيم بن هانئ أبو يعقوب النيسابوري ، كان من أخصاء أصحاب الإمام أحمد ، وعنده اختفى أحمد في زمن المحنة . وعبد الله بن يعقوب بن إسحاق التميمي العطار الموصلي. قال ابن الأثير: كان كثير الحديث معدلا عند الحاكم ويحيى بن أبي طالب .

وأبو داود السجستاني

صاحب السنن ، اسمه سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن يحيى بن عمران أبو داود الأزدي السجستاني أحد أئمة الحديث الرحالين إلى الآفاق في طلبه ، جمع وصنف وخرج وألف وسمع الكثير عن مشايخ البلدان في الشام ومصر والجزيرة والعراق وخراسان وغير ذلك ، وله السنن المشهورة المتداولة بين العلماء ، التي قال فيها أبو حامد الغزالي: يكفي المجتهد معرفتها من الأحاديث النبوية، وحدث عنه جماعة منهم ابنه أبو بكر عبدالله، وأبو عبد الرحمن النسائي، وأحمد بن سليمان النجار، وهو آخر من روى عنه في الدنيا.

سكن أبو داود البصرة وقدم بغداد غير مرة وحدث بكتاب السنن بها ، ويقال : إنه صنفه بها وعرضه على الإمام أحمد فاستجاده واستحسنه .

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب : حدثني أبو بكر محمد بن علي بن إبراهيم القاري الدينوري من لفظه ، قال : سمعت أبا الحسين محمد بن عبد الله ابن الحسن القرصي قال : سمعت أبا بكر ابن داسة يقول : سمعت أبا داود يقول: كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمنته في هذا الكتاب يعني كتاب السنن ، جمعت فيه أربعة آلاف حديث وثمانمائة حديث ، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه ، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث ، قوله عليه السلام: « **إنما الأعمال بالنيات** » (١) الثاني قوله : « **من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه** » (٢). الثالث قوله : « **لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه** » (٣) الرابع قوله : « **الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات** »(٤) وحدثت عن عبد العزيز بن جعفر الحنبلي : أن أبا بكر الخلال قال : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الإمام المقدم في زمانه رجل لم يسبقه إلى معرفة تخريج العلوم وبصره بمواضعها أحد من أهل زمانه ، رجل ورع قد سمع منه أحمد بن حنبل حديثا واحدا كان أبو داود يذكره ، وكان أبو بكر الأصبهاني وأبو بكر بن صدقة يرفعان من قدره وَيَذْكُرَانه أنه بما لا ويذكرانه أحدًا في زمانه بمثله.

قلت : الحديث الذي كتبه عنه وسمعه منه الإمام أحمد بن حنبل هو ما رواه أبو داود من حديث حماد بن سلمة عن أبي معشر الدارمي عن أبيه " أن رسول الله ﷺ سئل عن العتيرة (٥) فحسنها " وقال إبراهيم الحربي وغيره: ألين لأبي داود الحديث كما ألين لداود الحديد، وقال غيره: كان أحد حفاظ الإسلام للحديث وعلله وسنده . وكان في أعلا درجة النسك والعفاف والصلاح والورع من فرسان الحديث .

وقال غيره : كان ابن مسعود يشبه بالنبي ﷺ في هديه ودله وسمته ، وكان علقمة يشبهه ، وكان إبراهيم يشبه علقمة ، وكان منصور يشبه إبراهيم ، وكان سفيان يشبه منصور ، وكان وكيع يشبه سفيان ، وكان أحمد يشبه وكيعًا ، وكان أبو داود يشبه أحمد بن حنبل. وقال محمد ابن بكر بن عبد الرزاق: كان لأبي داود كم واسع وكم ضيق، فقيل له: ما هذا يرحمك الله؟ فقال : هذا الواسع للكتب ، والآخر لا يحتاج إليه.

وقد كان مولد أبي داود ، في سنة اثنتين ومائتين ، وتوفي بالبصرة يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة ودفن إلى جانب قبر سفيان الثوري . وقد ذكرنا ترجمته في التكميل وذكرنا ثناء الأئمة عليه.

---

(١) متفق عليه : رواه البخارى فى بدء الوحى (١) ، ومسلم فى الإمارة (١٩٠٧/١٥٥) .

(٢) حسن : رواه الترمذى فى الزهد (٢٣١٧) وابن ماجه فى الفتن (٣٩٧٦) .

(٣) متفق عليه : رواه البخارى فى الإيمان (١٣) ومسلم فى الإيمان (٤٥/٧١) .

(٤) متفق عليه : رواه البخارى فى الإيمان (٥٢) ومسلم فى المساقاة (١٥٩٩/١٠٧) .

(٥) العتيرة : ذبيحة كان يذبحها الجاهليون لآلهتهم .

وفيها توفي محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن العنبس الضميري الشاعر كان مجيدا في شعره دينا كثير الملح ، وكان هجّاء ، ومن جيد شعره قوله :

كم عليلٍ عاشَ من بعـــد يأسٍ بعد موت الطبيـــب والْعُــوادِ
قد تُصادُ القطا فَتَنْجُــو ســريعًا ويحَــلُّ القضـــاءُ بالصيـــادِ

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائتين

في المحرم منها أعيد عمرو بن الليث إلى شرطة بغداد، وكتب اسمه على الفرش والمقاعد والستور ثم أسقط اسمه عن ذلك وعزل وولي عبيد الله بن طاهر وفيها ولي الموفق لابن أبي الساج نيابة أذربيجان وفيها قصد هارون الشاري الخارجي مدينة الموصل فنــزل شرقيها فحاصرها فخرج إليه أشراف أهلها فاستأمنوه فأمنهم. وفيها حج بالناس هارون بن محمد العباسي أمير الحرمين والطائف، ولما رجع حجاج اليمن نزلوا في بعض الأماكن فجاءهم سيل لم يشعروا به فغرقهم كلهم لم يفلت منهم أحد فإنا لله وإنا إليه راجعون . وذكر ابن الجوزي في منتظمه وابن الأثير في كامله أن في هذه السنة انفرج تل بنهر الصلة في أرض البصرة يعرف بتل بني شقيق عن سبعة أقبر في مثل الحوض ، وفيها سبعة أبدان صحيحة أجسادهم وأكفانهم يفوح منهم ريح المسك ، أحدهم شاب وله جمة [1] وعلى شفته بلل كأنه قد شرب ماء الآن ، وكأن عينيه مكحلتان وبه ضربه في خاصرته ، وأراد بعض من حضره أن يأخذ من شعره شيئًا فإذا هو قويّ الشعر كأنه حي فتركوا على حالهم .

وممن توفي فيها من الأعيان : أحمد بن حازم بن أبي عزرة الحافظ صاحب المسند المشهور له حديث كثير وروايته عالية وفيها توفى .

بقي بن مخلد

أبو عبد الرحمن الأندلسي الحافظ الكبير ، له المسند المبوب على الفقه ، روى فيه عن ألف وستمائة صحابي ، وقد فضله ابن حزم على مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وعندي في ذلك نظر، والظاهر أن مسند أحمد أجود منه وأجمع . وقد رحل بقي إلى العراق فسمع من الإمام أحمد وغيره من أئمة الحديث بالعراق وغيرها يزيدون على المائتين بأربعة وثلاثين شيخا ، وله تصانيف أخر ، وكان مع ذلك رجلا صالحا عابدا زاهدا مجاب الدعوة ، امرأة جاءته فقالت: إن ابني قد أسرته الفرنج ، وإني لا أنام الليل من شوقي إليه ، ولي دويرة أريد أن أبيعها لأستفكّه، فإن رأيت أن تشير على أحد يأخذها لأسعى في فكاكه بثمنها ، فليس يقر لي ليل ولا نهار ولا أجد نوما ولا صبرًا ولا قراراً ولا راحة . فقال : نعم انصرفي حتى أنظر في ذلك إن

---

(١) جمة : ما تدلى من شعر الرأس إلى المنكبين .

شاء الله . وأطرق الشيخ وحرك شفتيه يدعو الله عزَّ وجلَّ لولدها بالخلاص من أيدي الفرنج ، فذهبت المرأة فما كان إلا قليلا حتى جاءت الشيخ وابنها معها فقالت: اسمع خبره يرحمك الله فقال: كيف كان أمرك؟. فقال . إني كنت فيمن نخدم الملك ونحن في القيود ، فبينما أنا ذات يوم أمشي إذا سقط القيد من رجلي ، فأقبل عليّ الموكل بي فشتمني وقال : لم أزلت القيد من رجليك؟ ، فقلت: لا والله ما شعرت به سقط ولم أشعر به ، فجاءوا بالحداد فأعادوه وأجادوه وشدوا مسماره وأبدوه ، ثم قمت فسقط أيضا فأعادوه وأكدوه فسقط أيضا ، فسألوا رهبانهم عن سبب ذلك. فقالوا: له والدة؟ فقلت: نعم ، فقالوا: إنها قد دعت لك وقد استجيب دعاؤها أطلقوه فأطلقوني وخفروني حتى وصلت إلى بلاد الإسلام. فسأله بقي بن مخلد عن الساعة التي سقط فيها من رجليه فإذا هي الساعة التي دعا فيها الله له ففرّج عنه .

صاعد بن مخلد : الكاتب كان كثير الصدقة والصلاة وقد أثنى عليه أبو الفرج بن الجوزي في منتظمه وتكلم فيه ابن الأثير في كامله ، وذكر أنه كان فيه تيه وحمق ، وقد يمكن الجمع بين القولين والصفتين . ابن قتيبة وهو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ثم البغدادي ، أحد العلماء والأدباء والحفاظ الأذكياء وقد تقدمت ترجمته ، وكان ثقة نبيلا ، وكان أهل العلم يتهمون من لم يكن في منــزله شيء من تصانيفه ، وكان سبب وفاته أنه أكل لقمة من هريسة فإذا هي حارة فصاح صيحة شديدة ثم أغمي عليه إلى وقت الظهر ثم أفاق ثم لم يزل يشهد أن لا إله إلا الله إلى أن مات وقت السحر أول ليلة من رجب ، من هذه السنة وقيل : إنه توفي في سنة سبعين ومائتين ، والصحيح في هذه السنة .

عبد الملك بن محمد بن عبد الله أبو قلابة الرقاشي، أحد الحفاظ ، كان يكني بأبي محمد، ولكن غلب عليه لقب أبو قلابة ، سمع يزيد بن هارون وروح بن عبادة وأبا داود الطيالسي وغيرهم ، وعنه ابن صاعد، والمحاملي والبخاري، وأبو بكر الشافعي وغيرهم ، وكان صدوقا عابداً يصلي في كل يوم أربعمائة ركعة ، وروى من حفظه ستين ألف حديث غلط في بعضها على سبيل العمد ، كانت وفاته في شوال من هذا السنة عن ست وثمانين سنة .

ومحمد بن أحمد بن أبي العوام . ومحمد بن إسماعيل الصايغ . ويزيد بن عبد الصمد . وأبو الرداد المؤذن ، وهو عبد الله بن عبد السلام بن عبيد الرداد المؤذن صاحب المقياس بمصر ، الذي هو مسلَّم إليه وإلى ذريته إلى يومنا هذا. قاله القاضي ابن خلكان في الوفيات والله أعلم.

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائتين

ـها خطب يا زمان نائب طرسوس لخمارويه ، وذلك أنه هاداه بذهب كثير وتحف هائلة من حرير وغير ذلك . وفيها قدم جماعة من أصحاب خمارويه إلى بغداد . وفيها ولّي المظالم ببغداد يوسف بن يعقوب ونودي في الناس: من كانت له مظلمة ولو عند الأمير الناصر لدين

الله أبي أحمد الموفق ، أو عند أحد من الناس فليحضر . وسار في الناس سيرة حسنة ، وأظهر صرامة لم ير مثلها . وحج بالناس الأمير المتقدم ذكره قبل ذلك .

وفيها توفي من الأعيان : إبراهيم بن إسحاق بن أبي العينين . وأبو إسحاق الكوفي قاضي بغداد بعد ابن سماعة ، سمع معلى بن عبيد وغيره ، وحدث عنه ابن أبي الدنيا وغيره ، توفي عن ثلاث وتسعين سنة ، وكان ثقة فاضلاً ديناً صالحاً .

أحمد بن عيسى

أبو سعيد الخراز أحد مشاهير الصوفية بالعبادة والمجاهدة والورع والمراقبة ، وله تصانيف في ذلك وله كرامات وأحوال وصبر على الشدائد ، وروى عن إبراهيم بن بشار صاحب إبراهيم بن أدهم وغيره وعنه علي بن محمد المصري وجماعة . ومن جيد كلامه : إذا بكت أعين الخائفين فقد كاتبوا الله بدموعهم . وقال : العافية تستر البر والفاجر فإذا نزل البلاء تبين عنده الرجال . قال : كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل . قال : الاشتغال بوقت ماض تضييع وقت حاضر . وقال : ذنوب المقربين حسنات الأبرار. وقال : الرضا قبل القضاء تفويض، والرضا مع القضاء تسليم. وقد روى البيهقي بسنده إليه أنه سئل عن قول النبي ﷺ :« جبلت القلوب على حب من أحسن إليها » [1] فقال : يا عجبا لمن لم ير محسنا غير الله كيف لا يميل إليه بكليته؟. قلت : وهذا الحديث ليس بصحيح ، ولكن كلامه عليه من أحسن ما يكون. وقال ابنه سعيد: طلبت من أبي دانق فضة، فقال: يا بني أصبر فلو أحب أبوك أن يركب الملوك إلى بابه ما تأبوا عليه. وروى ابن عساكر عنه قال: أصابني مرة جوع شديد فهممت أن أسأل الله طعامًا. فقلت : هذا ينافي التوكل فهممت أن أسأله صبرًا فهتف بي هاتف يقول :

ويزعـــُمُ أنّــهُ مـــنّـــا قـــريـــبٌ   وأنّا لا نُضَيّـــــعُ من أتـــــانـــا
ويســـألنا القِرىَ [2] جَهدًا وصَبْرًا   كـــأنّا لا نَراهُ ولا يَـــــــرَانـــــا

قال : فقمت ومشيت فراسخ بلا زاد. وقال: أبو سعيد الخراز : المحب يتعلل إلى محبوبه بكل شيء ، ولا يتسلى عنه بشيء يتبع آثاره ولا يدع استخباره ثم أنشد :

أُسائلُكم عنهـــا فهـــلْ مِنْ مخبـــرٍ؟   فمالي بنُعمى بعـــدَ مكّـــةَ لي علـــمُ
فلو كنتُ أدري أين خيمُ أهلـــهــا؟   وأي بلادِ الله إذْ ظَعنـــوا أمُّـــوا[1]؟
إذًا لَسَلكنا مَسْلَكَ الريـــحِ خلفَهـــا   ولو أصبحَتْ نُعْمى ومِنْ دُونها النَّجم

---

(١) ضعيف جداً : رواه ابن عدى فى " الكامل " (٢٨٦/٢،٢٨٧) وأبو نعيم فى "الحلية" (١٢١/٤) والبيهقى فى " شعب الإيمان " (٨٩٨٣و٨٩٨٤) وفى سنده الحسن بن عمارة البجلى وهو متروك كما فى "التقريب" (١٦٩/١) .

(٢) القرى : الضيافة .

وكانت وفاته في هذه السنة ، وقيل : في سنة سبع وأربعين ، وقيل : في سنة ست وثمانين والأول أصح .

وفيها توفي : عيسى بن عبد الله بن سنان بن ذكويه بن موسى الطيالسي الحافظ ، تلقب رعاب ، سمع عفان وأبا نعيم ، وعنه أبو بكر الشافعي وغيره وثقه الدارقطني . وكانت وفاته في شوال منها عن أربع وثمانين سنة . وفيها توفي .

أبو حاتم الرازي :

محمد بن إدريس بن المنذر: ابن داود بن مهران أبو حاتم الحنظلي الرازي، أحد أئمة الحفاظ الأثبات العارفين بعلل الحديث والجرح والتعديل ، وهو قرين أبي زرعة الرازي رحمهما الله ، سمع الكثير وطاف الأقطار والأمصار، وروى عن خلق من الكبار ، وعنه خلق منهم الربيع بن سليمان ، ويونس بن عبد الأعلا وهما أكبر منه ، وقدم بغداد وحدث بها، وروى عنه من أهلها إبراهيم الحربي، وابن أبي الدنيا، والمحاملي وغيرهم. قال لابن عبد الرحمن: يا بني مشيت على قدمي في طلب الحديث أكثر من ألف فرسخ ، وذكر أنه لم يكن له شيء ينفق عليه في بعض الأحيان ، وأنه مكث ثلاثا لا يأكل شيئاً حتى استقرض من بعض أصحابه نصف دينار، وقد أثنى عليه غير واحد من العلماء والفقهاء ، وكان يتحدى من حضر عنده من الحفاظ وغيرهم ، ويقول: من أغرب على بحديث واحد صحيح فله على درهم أتصدق به. قال: ومرادي أسمع ما ليس عندي ، فلم يأت أحد بشيء من ذلك ، وكان في جملة من حضر ذلك أبو زرعة الرازي. كانت وفاة أبي حاتم في شعبان من هذه السنة .

محمد بن الحسن : ابن موسى بن الحسن أبو جعفر الكوفي الخراز المعروف بالجندي، له مسند كبير ، روى عن عبيد الله بن موسى والقعنبي وأبي نعيم وغيرهم ، وعنه ابن صاعد والمحاملي وابن السماك ، كان ثقة صدوقا . محمد بن سعدان أبو جعفر الرازي ، سمع من أكثر من خمسمائة شيخ ، ولكن لم يحدث إلا اليسير ، توفي في شعبان منها .

قال ابن الجوزي : وهم محمد بن سعدان البزار عن العقنبي وهو غير مشهور ومحمد بن سعدان النحوي مشهور. توفي في سنة إحدى ومائتين قال ابن الأثير في كامله: توفي فيها يعقوب بن سفيان بن حران الإمام الفسوي ، وكان يتشيع ويعقوب بن يوسف بن معقل الأموي مولاهم والد أبي العباس أحمد بن الأصم . وفيها ماتت غريب المغنية المأمونية ، وقيل : إنها ابنة جعفر بن يحيى البرمكي . فأما :

يعقوب بن سفيان بن حران

فهو أبو يوسف بن أبي معاوية الفارسي الفسوي ، سمع الحديث الكثير، وروى عن أكثر من ألف شيخ من الثقات، منهم هشام بن عمار، ودحيم، وأبو المجاهر، وسليمان بن عبد الرحمن

---

(١) ظعنوا : رحلو ، أمّوا : قصدوا .

الدمشقيان ، وسعيد بن منصور وأبو عاصم ، ومكي بن إبراهيم ، وسليمان بن حرب، ومحمد ابن كثير، وعبيدالله بن موسى والقعنبي، روى عنه النسائي في سننه وأبو بكر بن أبي داود، والحسن بن سفيان وابن خراش وابن خزيمة وأبو عوانة الإسفراييني وغيرهم ، وصنف كتاب التاريخ والمعرفة، وغيره من الكتب المفيدة النافعة، وقد رحل في طلب الحديث إلى البلدان النائية، وتغرّب عن وطنه نحو ثلاثين سنة. وروى ابن عساكر عنه. قال: كنت أكتب في الليل على ضوء السراج في زمن الرحلة فبينا أنا ذات ليلة إذ وقع شيء على بصري فلم أبصر معه السراج فجعلت أبكي على ما فاتني من ذهاب بصري ، وما يفوتني بسبب ذلك من كتابة حديث رسول الله ﷺ ، وما أنا فيه من الغربة ، ثم غلبتني عيني فنمت فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال : ما لك؟ فشكوت إليه ما أنا فيه من الغربة ، وما فاتني من كتابة السنة . فقال: « ادن مني ، فدنوت منه فجعل يده على عيني وجعل كأنه يقرأ شيئا من القرآن » ثم استيقظت فأبصرت وجلست أسبح الله وقد أثنى عليه أبو زرعة الدمشقي. والحاكم أبو عبدالله النيسابوري ، وقال: هو إمام أهل الحديث بفارس ، وقدم نيسابور وسمع منه مشايخنا وقد نسبه بعضهم إلى التشيع وذكر ابن عساكر أن يعقوب بن الليث صاحب فارس بلغه عنه أنه يتكلم في عثمان بن عفان فأمر بإحضاره فقال له وزيره: أيها الأمير إنه لا يتكلم في شيخنا عثمان بن عفان السجزي، إنما يتكلم في عثمان بن عفان الصحابي ، فقال: دعوه مالي وللصحابي ، إني إنما حسبته يتكلم في شيخنا عثمان بن عفان السجزي .

قلت: وما أظن هذا صحيحا عن يعقوب بن سفيان فإنه إمام محدث كبير القدر، وقد كانت وفاته قبل أبي حاتم بشهر في رجب منها بالبصرة رحمه الله. وقد رآه بعضهم في المنام فقال: ما فعل بك ربك؟ فقال: غفر لي وأمرني أن أملي الحديث في السماء كما كنت أمليه في الأرض ، فجلست للإملاء في السماء الرابعة ، وجلس حولي جماعة من الملائكة منهم جبريل يكتبون ما أمليه من الحديث بأقلام الذهب .

وأما عريب المأمونية

فقد ترجمها ابن عساكر في تاريخه وحكى عن بعضهم أنها ابنة جعفر البرمكي ، سرقت وهي صغيرة عند ذهاب دولة البرامكة ، وبيعت فاشتراها المأمون بن الرشيد ، ثم روى عن حماد بن إسحاق عن أبيه : أنه قال: ما رأيت قط امرأة أحسن وجها منها ، ولا أكثر أدباً ولا أحسن غناء وضربا وشعراً ولعبا بالشطرنج والنرد منها ، وما تشاء أن تجد خصلة ظريفة بارعة في امرأة إلا وجدتها فيها. وقد كانت شاعرة مطيقة [1] بليغة فصيحة ، وكان المأمون يتعشقها ثم أحبها بعده المعتصم ، وكانت هي تعشق رجلاً يقال له : محمد بن حامد ، وربما أدخلته

---

(١) مطيقة: قديرة .

إليها في دار الخلافة ــ قبَّحها الله ــ على ما ذكره ابن عساكر عنها ، ثم تعشقت صالحا المنذري وتزوجته سرا ، وكانت تقول فيه : الشعر، وربما ذكرته في شعرها بين يدي المتوكل وهو لا يشعر فيمن هو؟. فتضحك جواريه من ذلك فيقول: يا سحّاقات [١] هذا خير من عملكن وقد أورد ابن عساكر شيئا كثيرا من شعرها ، فمن ذلك قولها لما دخلت على المتوكل تعوده من حمى أصابته فأنشدته من شعرها وغنته به :

أتـــوني فقـــالوا: بالخليفـــة علّةٌ ... فقلتُ: ونارُ الشوقِ توقدُ في صدري
ألا ليتَ بي حمى الخليفـــة جعفـــرِ ... فكانتْ بي الحمى وكان له أجري
كفى بي حـــزنٌ قيل : حُمّ فلم أمتْ ... من الحُزْن إني بعد هذا لذو صبر
جعلتُ فـــداءً للخليفـــة جعفـــرِ ... وذاك قليلٌ للخليفـــةِ منْ شكري

ولما عوفي دخلت عليه فغنت من قيلها :

شكـــرًا لأنعم من عافاكَ من سقمٍ ... دُمْـــتَ المعـــافا من الآلام والسَّقمِ
عادتْ ببرئـــكَ للأيام بهجتُهـــا ... واهتـــزّ نبـــتُ رياضِ الجودِ والكرمِ
ما قام للدين بعدَ اليومِ مـــنْ مَلكٍ ... أعفّ منكَ ولا أرعـــى إلى الذّمـــمِ
فعمَّرَ اللهُ فيناَ جعفـــرًا ونـــفى ... بنور وجنته عنـــا دجـــى الظلـــم

ولها في عافيته أيضا :

حَمدْنا الذي عافى الخليفـــةَ جعفرا ... على رغم أشياخِ الضلالةِ والكُفرِ
وما كانَ إلا مثلُ بـــدرٍ أصـــابـــه ... كسوفُ قليلٌ ثم أجلى عن البدر
سلامتُهُ للـــدينِ عـــزٌ وقـــوةُ ... وَعِلّتُهُ للـــدينِ قاصمَـــةُ الظهـــرِ
مرضتَ فأمرضتَ البريّـــة كلّهـــا ... وأظلمت الأمصارُ منْ شدَّة الذعرِ
فلمـــا اســـتبانَ الناسُ منْك إفاقَةً ... أفاقُوا وكانُوا كالنيامِ على الجمرِ
سلامَةُ دُنْيانا ســـلامَةُ جعفـــرٍ ... فدامَ معافى سالمًا آخـــرَ الدّهـــر
إمامُ أعَمَّ الناسَ بالفضـــلِ والندى ... قريبا من التقوى بعيـــدًا عن الوزْرِ

ولها أشعار كثيرة رائعة. ومولدها في سنة إحدى وثمانين ومائة. وماتت في سنة سبع وسبعين ومائتين (بُسرَّ مَنْ رَأى) ، ولها ست وتسعون سنة .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائتين

قال ابن الجوزي : في المحرم من هذه السنة طلع نجم ذو جمة [٢] ثم صارت الجمة ذؤابة [٣]. قال: وفي هذه السنة غار ماء النيل وهذا شيء لم يعهد مثله ولا بلغنا في الأخبار السابقة .

---

(١) سحّاقات : من السحاق ، ويكون بين المرأة والمرأة .
(٢) الجّمة : مجمتع شعر مقدم الرأس، أو الشعر الذى يتدلى إلى المنكبين .
(٣) الذؤابة : الُخصْلَة من الشَّعْرِ .

فغلت الأسعار بمصر بسبب ذلك جداً . وفيها خلع على عبد الله بن سليمان بالوزارة. وفي المحرم منها قدم الموفق أبو أحمد من الغزو فتلقاه الناس إلى النهروان فدخل بغداد وهو مريض بالنقرس فاستمر في داره في أوائل صفر ، ومات بعد أيام. وفي هذه السنة تحركت القرامطة قبّحهم الله وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون نبوة زرادشت ومزدك، وكانا يبيحان المحرمات . ثم هم بعد ذلك أتباع كل ناعق إلى باطل ، وأكثر ما يفسدون من جهة الرافضة ويدخلون إلى الباطل من جهتهم، لأنهم أقل الناس عندهم وعند غيرهم عقولا ويقال لهم : الإسماعيلية ، لانتسابهم إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق. ويقال لهم : القرامطة ، قيل : نسبة إلى قرمط بن الأشعث البقار ، وقيل : إن رئيسهم كان في أول دعوته يأمر من اتبعه بخمسين صلاة في كل يوم وليلة ليشغلهم بذلك عما يريد تدبيره من المكيدة . ثم اتخذ نقباء اثني عشر ، وأسس لأتباعه دعوة ومسلكاً يسلكونه ودعا إلى إمام من أهل البيت ، ويقال لهم : الباطنية لأنهم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض ، والخرمية والبابكية نسبة إلى بابك الخرمي الذي ظهر في أيام المعتصم وقتل كما تقدم ويقال لهم : المحمرة نسبة إلى صبغ الحمرة شعاراً مضاهاة لبني العباس ومخالفة لهم، لأن بني العباس يلبسون السواد. ويقال لهم : التعليمية نسبة إلى التعلم من الإمام المعصوم وترك الرأي ومقتضى العقل ويقال لهم : السبعية نسبة إلى القول بأن الكواكب السبعة المتحيزة السائرة مدبرة لهذا العالم فيما يزعمون لعنهم الله. وهي القمر في الأولى ، وعطارد في الثانية، والزهرة في الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والمريخ في الخامسة ، والمشتري في السادسة ، وزحل في السابعة .

قال ابن الجوزي : وقد بقي من البابكية جماعة يقال : إنهم يجتمعون في كل سنة ليلة هم ونساؤهم ثم يطفئون المصباح وينتهبون النساء فمن وقعت يده في امرأة حلت له ويقولون : هذا اصطياد مباح لعنهم الله. وقد ذكر ابن الجوزي تفصيل قولهم لعنهم الله وقد سبقه إلى ذلك أبو بكر الباقلاني المتكلم المشهور في كتابه "هتك الأستار وكشف الأسرار" في الرد على الباطنية، في كتابه الذي جمعه بعض قضاهم بديار مصر في أيام الفاطميين الذي سماه" البلاغ الأعظم والناموس الأكبر" وجعله ست عشرة درجة أول درجة أن يدعو من يجتمع به أولا إن كان من أهل السنة إلى القول بتفضيل عَلِيٍّ عَلَى عثمان بن عفان ثم ينتقل به إذا وافقه على ذلك إلى تفضيل عليّ على الشيخين أبي بكر، وعمر ، ثم يترقى من ذلك إلى سبهما ، لأنهما ظلما عليًّا وأهل البيت ، ثم يترقى بعد ذلك إلى تجهيل الأمة وتخطئتها في موافقة أكثرهم على ذلك ، ثم يشرع في القدح في دين الإسلام من حيث هو. وقد ذكر لمخاطبته لمن يريد أن يخاطبه بذلك شبهاً وضلالات لا تروج إلا على كل غبي جاهل شقي كما قال تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ . إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ . يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات : ٧] أي يضل به من هو ضال وقال:﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ . مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ . إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٠-

١٦٢] وقال تعالى : ﴿ وكَذَلِكَ جَعَلْنَا لكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً شَيَاطِينَ الإنسِ والْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً ولَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ ومَا يَفْتَرُونَ . ولِتَصْغَى إلَيْه أَفْئِدَةُ الَّذينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَة ولِيَرْضَوْهُ ولِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام:١١٢] إلى غير ذلك من الآيات التي تتضمن أن الباطل والجهل والضلال والمعاصي لا ينقاد لها إلا شرار الناس كما قال بعض الشعراء :

إنْ هُــــوَ مستحوذٌ عــلى أحَدٍ إلا على أضعــــفِ الــمجانينِ

ثم بعد هذا كله لهم مقامات في الكفر والزندقة والسخافة والرعونة مما لا ينبغي لضعيف العقل والدين أن ينـــزه نفسه عنه إذا تصوره ، وهو مما فتحه إبليس عليهم من أنواع الكفر وأنواع الجهالات ، وربما أفاد إبليس بعضهم أشياء لم يكن يعرفها كما قال بعض الشعراء :

وكنتُ امْرءاً من جند إبليسَ برهةً من الدهر حتى صارَ إبليسُ من جندي

والمقصود أن هذه الطائفة تحركت في هذه السنة ، ثم استفحل أمرهم وتفاقم الحال بهم كما سنذكره ، حتى آل بهم الحال إلى أن دخلوا المسجد الحرام فسفكوا دم الحجيج في وسط المسجد حول الكعبة المكرمة. وكسروا الحجر الأسود. واقتلعوه من موضعه وذهبوا به إلى بلادهم في سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، ثم لم يزل عندهم إلى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، فمكث غائبا عن موضعه من البيت اثنتين وعشرين سنة فإنا لله وإنا إليه راجعون. وكل ذلك من ضعف الخليفة وتلاعب الترك بمنصب الخلافة واستيلائهم على البلاد وتشتت الأمر .

وقد اتفق في هذه السنة شيئان أحدهما: ظهور هؤلاء. والثاني: موت حسام الإسلام وناصر دين الله أبو أحمد الموفق رحمه الله ، لكن الله أبقى للمسلمين بعده ولده أبا العباس أحمد الملقب بالمعتضد وكان شهما شجاعاً .

ترجمة أبي أحمد الموفق

هو الأمير الناصر لدين الله ، ويقال له : الموفق ، ويقال له : طلحة بن المتوكل على الله جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد ، كان مولده في يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة تسع وعشرين ومائتين ، وكان أخوه المعتمد حين صارت الخلافة إليه قد عهد إليه بالولاية بعد أخيه جعفر، ولقبه الموفق بالله ، ثم لما قتل صاحب الزنج وكسر جيشه تلقب بناصر دين الله ، وصار إليه العقد والحل والولاية والعزل ، وإليه يجبى الخراج ، وكان يخطب له على المنابر ، فيقال: اللهم أصلح الأمير الناصر لدين الله أبا أحمد الموفق بالله ولي عهد المسلمين أخا أمير المؤمنين. ثم اتفق موته قبل أخيه المعتمد بستة أشهر ، وكان غزير العقل حسن التدبير يجلس للمظالم وعنده القضاة فينصف المظلوم من الظالم. وكان عالما بالأدب والنسب والفقه وسياسة الملك وغير ذلك ، وله محاسن ومآثر كثيرة جداً .

وكان سبب موته : أنه أصابه مرض النقرس [1] في السفر. فقدم إلى بغداد وهو عليل منه، فاستقر في داره في أوائل صفر، وقد تزايد به المرض وتورمت رجله حتى عظمت جداً ، وكان يوضع له الأشياء المبردة كالثلج ونحوه ، وكان يحمل على سريره ، يحمله أربعون رجلا بالنوبة ، كل نوبة عشرون فقال لهم ذات يوم: ما أظنكم إلا قد مللتم مني فيا لتني كواحد منكم آكل كما تأكلون ، وأشرب كما تشربون ، وأرقد كما ترقدون في عافية. وقال أيضاً : في ديوانه مائة ألف مرتزق ليس فيهم أحد أسوأ حال مني. ثم كانت وفاته في القصر الحسيني ليلة الخميس لثمان بقين من صفر .

قال ابن الجوزي : وله سبع وأربعون سنة تنقص شهراً وأياماً. ولما توفي اجتمع الأمراء على أخذ البيعة من بعده إلى ولده أبي العباس أحمد ، فبايع له المعتمد بولاية العهد من بعد أبيه، وخطب له على المنابر وجعل إليه ما كان لأبيه من الولاية والعزل والقطع والوصل والعقد والحل ، ولقب المعتضد بالله .

وفيها إدريس بن سليم الفقعسي الموصلي قال ابن الأثير: كان كثير الحديث والصلاح وإسحاق بن كنداج نائب الجزيرة ، كان من ذوي الرأي الشجعان المشهورين ، وقام بما كان إليه ولده محمد ويازمان نائب طرسوس جاءه حجر منجنيق من بلدة كان يحاصرها ببلاد الروم. فمات منه في رجب من هذه السنة ودفن بطرسوس ، فولى نيابة الثغر بعده أحمد الجعيفي بأمر خمارويه بن أحمد بن طولون ، ثم عزله عن قريب بابن عمه موسى بن طولون. وفيها توفي عبده بن عبد الرحيم قبّحه الله. ذكر ابن الجوزي أن هذا الشقي كان من المجاهدين كثيراً في بلاد الروم ، فلما كان في بعض الغزوات والمسلمون محاصرو بلدة من بلاد الروم إذ نظر إلى امرأة من نساء الروم في ذلك الحصن فهويها، فراسلها ما السبيل إلى الوصول إليك ؟ فقالت : أن تتنصر، وتصعد إلى فأجابها إلى ذلك فما راع المسلمين إلا وهو عندها ، فاغتم المسلمون بسبب ذلك غما شديداً ، وشق عليهم مشقة عظيمة ، فلما كان بعد مدة مروا عليه وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن. فقالوا: يا فلان ما فعل قرآنك ؟ ما فعل علمك ؟ما فعل صيامك؟ ما فعل جهادك؟ ما فعلت صلاتك ؟ فقال : اعلموا أني أنسيت القرآن كله إلا قوله: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ . ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر :٢،٣] وقد صار لي فيهم مال وولد .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائتين

في أواخر المحرم منها خلع جعفر المفوض من المعهد واستقل بولاية العهد من بعد المعتمد أبو العباس المعتضد بن الموفق ، وخطب له بذلك على رؤوس الأشهاد وفي ذلك يقول يحيى بن علي يهنئ المعتضد :

---

(١) النقرس : مرضٌ مؤلم يصيب مفاصل قدم الرجل وخصوصا إبهامها ، وهو مصحوب بورم .

ليهنيك عقد أنت فيه المقدّمُ ... حباك به ربٌّ بفضلك أعلمُ
فإن كنتَ قد أصبحتَ واليَ عهدنا ... فأنتَ غدا فينا الإمامُ المعظّمُ
ولا زال من والاكَ فيه مبلّغًا ... مناهُ ومَنْ عادَاك يخزي ويندمُ
وكان عمودُ الدين فيه تعوّجٌ ... فعادَ بهذا العهد وهو مقومُ
وأصبحَ وجهُ الملك جذلانَ ضاحكًا ... يضيءُ لنا منه الّذي كان مظلمُ
فدونكَ شُدِّد عقدُ ما قد حويتَهَ ... فإنّكَ دونَ الناسِ فيه المحكمُ

وفيها: نودي ببغداد أن لا يمكن أحد من القصاص والطرقية [1] والمنجمين ومن أشبههم من الجلوس في المساجد ولا في الطرقات ، وأن لا تباع كتب الكلام والفلسفة والجدل بين الناس ، وذلك بهمة أبي العباس المعتضد سلطان الإسلام. وفي هذه السنة وقعت حروب بين هارون الشاري وبين بني شيبان في أرض الموصل وقد بسط ذلك ابن الأثير في كامله .

وفي رجب منها كانت وفاة المعتمد على الله ليلة الإثنين لتسع عشرة ليلة خلت منه .

ترجمة المعتمد على الله

هو أمير المؤمنين المعتمد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد. واسمه أحمد بن جعفر بن محمد ابن هارون الرشيد مكث في الخلافة ثلاثا وعشرين سنة وستة أيام ، وكان عمره يوم مات خمسين سنة وأشهراً ،وكان أسن من أخيه الموفق بستة أشهر، وتأخر بعده أقل من سنة ، ولم يكن إليه من أخيه شيء منَ الأمر حتى أن المعتمد طلب في بعض الأيام ثلاثمائة دينار فلم يصل إليها فقال الشاعر في ذلك :

ومن العجائب في الخلافة أن ... ترى ما قلَّ ممتنعاً عليه
وتؤخذُ باسمه الدنيا جميعًا ... وما في ذاك شيءُ في يديه
إليه تُحملُ الأحمالُ طُرّاً ... ويُمْنعُ بعض ما يجبى إليه

وكان المعتمد أول خليفة انتقل من سامرا إلى بغداد بعد ما بنيت سامرا ولم يعد إليها أحد من الخلفاء ، بل جعلوا إقامتهم ببغداد ، وكان سبب هلاكه في ما ذكره ابن الأثير : أنه شرب في تلك الليلة شرابا كثيراً وتعشى عشاء كثيراً ، وكان وقت وفاته في القصر الحسيني من بغداد، وحين مات أحضر المعتضد القضاة والأعيان وأشهدهم أنه مات حتف أنفه ، ثم غسل وكفن وصلى عليه ، ثم حمل. فدفن بسامرا وفي صبيحة العزاء بويع للمعتضد وفيها توفى .

البلاذري المؤرّخ

واسمه أحمد بن يحيى بن جابر بن داود أبو الحسن ويقال : أبو جعفر، ويقال : أبو بكر البغدادي البلاذري صاحب التاريخ المنسوب إليه ، سمع هشام بن عمار، وأبا عبيد القاسم بن

(١) الطرقية : أصحاب الطرق والمذاهب فى العبادات .

سلام ، وأبا الربيع الزهراني وجماعة ، وعنه يحيى بن النديم وأحمد بن عمار وأبو يوسف يعقوب ابن نعيم بن قرقارة الأزدي .

قال الحافظ ابن عساكر: كان أديباً ظهرت له كتب جياد ، ومدح المأمون بمدائح ، وجالس المتوكل ، وتوفي أيام المعتمد ، وحصل له هوس ووسواس في آخر عمره ، وروى عنه ابن عساكر قال: قال لي محمود الوراق: قل من الشعر ما يبقى لك ذكره ، يزول عنك إثمه فقلت عند ذلك :

استعدّي يا نفسُ للموتِ واسعي ... لنجاة فالحازمُ المستعدُّ
إنما أنتِ مستعارٌ وسوف ... تردّينَّ والعواري تُرَدُّ
أنتِ تَسْهين والحوادثُ لا تَسْهو ... وتلهينَ والمنايا تَعدُّ
أيّ ملكٍ في الأرضِ بل أيّ حظٍّ ... لامرىءٍ حظّهُ من الأرض لحْدُ
لا تُرجِّيّ البقاءَ في معدن الموت ودارٍ حتوفها لك وِردُ
كيف يهوى أمروٌ لذاذةَ أيامَ ... أنفاسُها عليه فيها تُعَدّ

خلافة المعتضد بالله

أمير المؤمنين أبي العباس أحمد بن أحمد الموفق بن جعفر المتوكل، كان من خيار خلفاء بني العباس ورجالهم . بويع له بالخلافة صبيحة موت المعتمد وذلك لعشر بقين من رجب منها. وقد كان أمر الخلافة داثرا فأحياه الله على يديه بعدله وشهامته وجرأته، واستوزر عبيد الله بن سليمان بن وهب، وولى مولاه بدراً الشرطة في بغداد وجاءته هدايا عمرو بن الليث وسأل منه أن يوليه إمرة خراسان فأجابه إلى ذلك، وبعث إليه الخلع واللواء فنصبه عمرو في داره ثلاث أيام فرحا وسرورا بذلك ، وعزل رافع بن هرثمة عن إمرة خراسان، ودخلها عمرو بن الليث فلم يزل يتبع رافعا من بلد إلى بلد حتى قتله في سنة ثلاث وثمانين كما سيأتي ، وبعث برأسه إلى المعتضد وصفت إمرة خراسان لعمرو بن الليث . وفي هذه السنة قدم الحسين بن عبد الله المعروف بالجصاص من الديار المصرية بهدايا عظيمة من خمارويه إلى المعتضد فتزوج المعتضد بابنة خمارويه فجهزها أبوها بجهاز لم يسمع بمثله ، حتى قيل : إنه كان في جهازها مائة هاون من ذهب ، فحمل ذلك كله من الديار المصرية إلى دار الخلافة ببغداد صحبة العروس، وكان وقتا مشهودا . وفي هذه السنة تملك أحمد بن عيسى بن الشيخ قلعة ماردين. وكانت قبل ذلك لإسحاق بن كنداج . وفيها: حج بالناس هارون بن محمد العباسي وهي آخر حجة حجها بالناس، وقد كان يحج بالناس من سنة أربع وستين ومائتين إلى هذه السنة .

وفيها توفى من الأعيان: أحمد أمير المؤمنين المعتمد، وأبي بكر بن أبي خيثمة وأحمد بن زهير بن حرثمة صاحب التاريخ وغيره سمع أبا نعيم، وعفان وأخذ علم الحديث عن أحمد بن حنبل ، ويحيى بن نعيم ،

وعلم النسب عن مصعب الزبيري، وأيام الناس عن أبي الحسن علي بن محمد المدائني . وعلم الأدب عن محمد بن سلام الجمحي، وكان ثقة حافظا ضابطا مشهورا ، وفي تاريخه فوائد كثيرة وفرائد غزيرة. روى عنه البغوي وابن صاعد، وابن أبي داود بن المنادي . توفي في جمادى الأولى منها عن أربع وتسعين سنة رحمه الله. وخاقان بن عبد الله الصوفي، كانت له أحوال وكرامات .

الترمذى

واسمه محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك ، وقيل : محمد بن عيسى بن يزيد ابن سورة بن السكن ، ويقال : محمد بن عيسى بن سورة بن شداد بن عيسى السلمي الترمذي الضرير ، يقال : إنه ولد أكمه [1] ، وهو أحد أئمة هذا الشأن في زمانه ، وله المصنفات المشهورة ، منها الجامع ، والشمائل ، وأسماء الصحابة وغير ذلك . وكتاب الجامع أحد الكتب الستة التي يرجع إليها العلماء في سائر الآفاق، وجهالة ابن حزم لأبي عيسى الترمذي لا تضره حيث قال في محلاه: ومَن محمد بن عيسى بن سورة ؟ فإن جهالته لا تضع من قدره، عند أهل العلم ، بل وضعت منـــزلة ابن حزم عند الحفاظ .

وكيف يَصِحُّ في الأذهان شيء إذا احتاجَ النهــــارُ إلى دَليــــل؟

وقد ذكرنا مشايخ الترمذي في التكميل . وروى عنه غير واحد من العلماء منهم محمد بن إسماعيل البخاري في الصحيح ، والهيثم بن كليب الشاشي صاحب المسند ، ومحمد بن محبوب المحبوبي ، راوي الجامع عنه. ومحمد بن المنذر بن شكر .

قال أبو يعلى الخليل بن عبد الله الخليلي القزويني في كتابه علوم الحديث: محمد بن عيسى ابن سورة بن شداد الحافظ متفق عليه ، له كتاب في السنن وكتاب في الجرح والتعديل ، روى عنه أبو محبوب والأجلاء ، وهو مشهور بالأمانة والإمامة والعلم . مات بعد الثمانين ومائتين كذا قال في تاريخ وفاته. وقد قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان الغنجار في تاريخ بخارى: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي الحافظ ، دخل بخارى وحدث بها ، وهو صاحب الجامع والتاريخ ، توفي بالترمذ ليلة الإثنين لثلاث عشرة خلت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين. ذكره الحافظ أبو حاتم بن حيان في الثقات، فقال: كان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر .

وقال الترمذي: كتب عني البخاري حديث عطية عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال لعلي : « لا يحل لأحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك »[2] وروى ابن يقظة في تقييده عن الترمذي أنه قال: صنفت هذا المسند الصحيح وعرضته على علماء الحجاز فرضوا به ، وعرضته

---

(١) الأكمه : الذى يولد أعمى.مختار الصحاح .

(٢) [illegible] : رواه الترمذى فى المناقب (٣٧٢٧) وفى سنده عطية العوفى وهو ضعيف .

على علماء العراق فرضوا به ، وعرضته على علماء خراسان فرضوا به ومن كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي ينطق. وفي رواية يتكلم. قالوا: وجملة الجامع مائة وأحد وخمسون كتابا ، وكتاب العلل صنفه بسمرقند، وكان فراغه منه في يوم عيد الأضحي سنة ستين ومائتين.

قال ابن عطية : سمعت محمد بن طاهر المقدسي سمعت أبا إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري يقول : كتاب الترمذي عندي أنور من كتاب البخاري ومسلم. قلت: ولم ؟ قال لأنه لا يصل إلى الفائدة منهما إلا مَن هو من أهل المعرفة التامة بهذا الفن ، وكتاب الترمذي قد شرح أحاديثه وبينها ، فيصل إليها كل أحد من الناس من الفقهاء والمحدثين وغيرهم. قلت: والذي يظهر من حال الترمذي أنه إنما طرأ عليه العمى بعد أن رحل وسمع وكتب وذاكر وناظر وصنف ، ثم اتفق موته في بلده في رجب منها على الصحيح المشهور والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمانين ومائتين من الهجرة

في المحرم منها قتل المعتضد رجلا من أمراء الزنج كان قد لجأ إليه بالأمان ويعرف بسلمة، ذكر له أنه يدعو إلى رجل لا يعرف من هو ، وقد أفسد جماعة ، فاستدعى به فقرره فلم يقر، وقال : لو كان تحت قدمي ما أقررت به ، فأمر به فَشُدَّ على عمود ثم لوّحه على النار حتى تساقط جلده، ثم أمر بضرب عنقه وصلبه لسبع خلون من المحرم. وفي أول صفر ركب المعتضد بالله أبو العباس الموفق من بغداد قاصداً بني شيبان من أرض الموصل فأوقع بهم بأساً شديداً عند جبل يقال له : نوباذ وكان مع المعتضد حاد جيد الحداء ، فقال في تلك الليالي يحدو بالمعتضد :

فأجهشتُ للنوباذ حين رأيتُهُ ... وهلّلتُ للرحمن حينَ رآني
وقلتُ لـه: أيْنَ الذين عَهِدْتُهم ... بظلّك في أمنٍ ولين زمان؟
فقال : مضوا واستخلفوني مكانَهم ... ومَنْ ذا الذي يبقى على الحَدَثَان[1]؟

وفيها: أمر المعتضد بتسهيل عقبة حلوان فغرم عليها عشرين ألف دينار، وكان الناس يلقون منها شدة عظيمة وفيها وسع المعتضد جامع المنصور بإضافة دار المنصور إليه ، وغرم عليه عشرين ألف دينار ، وكانت الدار قبلته فبناها مسجدًا على حدة وفتح بينهما سبعة عشر بابا وحوّل المنبر والمحراب إلى المسجد ليكون في قبلة الجامع على عادته. قال الخطيب: وزاد بدر مولى المعتضد السُّقفان من قصر المنصور المعروفة بالبدرية .

بناء دار الخلافة ببغداد في هذا الوقت

أول من بناها المعتضد في هذه السنة. وكان أول من سكنها من الخلفاء إلى آخر دولتهم ، وكانت أولا داراً للحسن بن سهل تعرف بالقصر الحسني ، ثم صارت بعد ذلك لابنته بوران

(١) المقصود بالحدثين : الليل والنهار .

زوجة المأمون ، فعمرّت فيها حتى استنـــزلها المعتضد عنها فأجابته إلى ذلك ، ثم أصلحت ما وهي منها ورممت ما كان قد انشعث [١] فيها ، وفرشتها بأنواع الفرش في كل موضع منها ما يليق به من المفارش ، وأسكنته ما يليق به من الجواري والخدم ، وأعدت بها المآكل الشهية وما يحسن ادخاره في ذلك الزمان ، ثم أرسلت بمفاتيحها إلى المعتضد ، فلما دخلها هاله ما رأى من الخيرات ، ثم وسعها وزاد فيها وجعل لها سوراً حولها ، وكانت قدر مدينة شيراز ، وبنى الميدان ثم بنى فيها قصراً مشرفا على دجلة ثم بنى فيها المكتفي التاج ، فلما كان أيام المقتدر زاد فيها زيادات أخر كبارا كثيرة جدا ، ثم بعد هذا كله خربت حتى كأن لم يكن موضعها عمار وتأخرت آثارها إلى أيام التتار الذين خربوها وخربوا بغداد وسبوا من كان بها من الحرائر الآمنات كما سيأتي بيانه في موضعه من سنة ست وخمسين وستمائة. قال الخطيب: والذي يشبه أن تكون بوران وهبت دارها للمعتمد لا للمعتضد، فإنها لم تعش إلى أيامه، وقد تقدمت وفاتها.

وفيها: زلزلت أردبيل ست مرات فتهدمت دورها ولم يبق منها مائة دار ، ومات تحت الردم مائة ألف وخمسون ألفا فإنا لله وإنا إليه راجعون وفيها: غارت المياه ببلاد الري وطبرستان حتى بيع الماء كل ثلاثة أرطال بدرهم، وغلت الأسعار هنالك جدا .

وفيها: غزا إسماعيل بن أحمد الساماني ببلاد الترك ففتح مدينة ملكهم وأسر امرأته الخاتون وأباه ونحواً من عشرة آلاف أسير، وغنم من الدواب والأمتعة والأموال شيئا كثيراً ، أصاب الفارس ألف درهم . وحج بالناس في هذه السنة أبو بكر محمد بن هارون بن إسحاق العباسي .

وممن توفي فيها من الأعيان : أحمد بن سيار بن أيوب الفقيه الشافعي المشهور بالعبادة والزهادة وأحمد بن أبي عمران موسى بن عيسى أبو جعفر البغدادي ، كان من أكابر الحنفية ، تفقه على محمد بن سماعة وهو أستاذ أبي جعفر الطحاوي وكان ضريرا ، سمع الحديث من علي بن الجعد وغيره، وقدم مصر فحدث بها من حفظه ، وتوفي بها في المحرم من هذه السنة ، وقد وثقه ابن يونس في تاريخ مصر .

وأحمد بن محمد بن عيسى بن الأزهر

القاضي بواسط ، صاحب المسند، وروى عن مسلم بن إبراهيم وأبي سلمة التبوذكي، وأبي نعيم وأبي الوليد وخلق ، وكان ثقة ثبتا تفقه بأبي سليمان الجوزجاني صاحب محمد بن الحسن وقد حكم بالجانب الشرقي من بغداد في أيام المعتز، فلما كان أيام الموفق طلب منه ومن إسماعيل القاضي أن يعطياه ما بأيديهما من أموال اليتامى الموقوفة فبادر إلى ذلك إسماعيل القاضي واستنظره إلى ذلك أبو العباس البرقي هذا ، ثم بادر إلى كل من أنس منه رشداً من اليتامى فدفع إليه ماله، فلما طولب به قال: ليس عندي منه شيء ، دفعته إلى أهله، فعزل عن القضاء ولزم

(١) انشعث : تصدّع وتفرّق .

بيته وتعبد إلى أن توفي في ذي الحجة من هذه السنة . وقد رآه بعضهم في المنام وقد دخل على رسول الله ﷺ فقام إليه وصافحه وقبل بين عينيه ، وقال : مرحباً بمن عمل بسنتي وأثري .

وفيها توفي : جعفر بن المعتضد ، وكان يسامر أباه وراشد مولى الموفق بمدينة الدينور فحمل إلى بغداد وعثمان بن سعيد الدارمي مصنف الرد على بشر المريسي فيما ابتدعه من التأويل لمذهب الجهمية، وقد ذكرناه في طبقات الشافعية. ومسرور الخادم وكان من أكابر الأمراء . ومحمد بن إسماعيل الترمذي صاحب التصانيف الحسنة في رمضان في هذه السنة ، قاله ابن الأثير ، وشيخنا الذهبي . وهلال بن المعلا المحدث المشهور وقد وقع لنا من حديثه طرف .

وسيبويه أستاذ النحاة

وقيل : إنه توفي في سنة سبع وسبعين وقيل : ثمان وثمانين، وقيل : إحدى وستين، وقيل: أربع وسبعين ومائة فالله أعلم .

وهو أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب ، وقيل: مولى الربيع بن زياد الحارثي البصري . ولقب سيبويه لجماله وحمرة وجنتيه حتى كانتا كالتفاحتين . وهو الإمام العلامة العلم ، شيخ النحاة من لدن زمانه إلى زماننا هذا ، والناس عِيَال [1] على كتابه المشهور في هذ الفن وقد شرح بشروح كثيرة وقل من يحيط علما به .

أخذ سيبويه العلم عن الخليل بن أحمد ولازمه ، وكان إذا قدم يقول الخليل: مرحبا بزائر لا يمل . وأخذ أيضا عن عيسى بن عمر ، ويونس بن حبيب وأبي زيد الأنصاري ، وأبي الخطاب الأخفش الكبير وغيرهم، قدم من البصرة إلى بغداد أيام كان الكسائي يؤدب الأمين بن الرشيد، فجمع بينهما فتناظرا في شيء من مسائل النحو فانتهى الكلام إلى أن قال الكسائي: تقول العرب: كنت أظن الزنبور أشد لسعاً من النحلة فإذا هو إياها. فقال سيبويه: بيني وبين أعرابي لم يشبه شيء من الناس المولد ، وكان الأمين يحب نصرة أستاذه فسأل رجلا من الأعراب فنطق بما قال سيبويه فكره الأمين ذلك، وقال له: إن الكسائي يقول : خلافك فقال : إن لساني لا يطاوعني على ما يقول فقال: أحب أن تحضر وأن تصوب كلام الكسائي ، فطاوعه على ذلك وانفصل المجلس عن قول الأعرابي إذا الكسائي أصاب فحمل سيبويه على نفسه، وعرف أنهم تعصبوا عليه ورحل عن بغداد فمات ببلاد شيراز في قرية يقال لها : البيضاء ، وقيل : إنه ولد بهذه وتوفي بمدينة سارة في هذه السنة ، وقيل : سنة سبع وسبعين ، وقيل : ثمان وثمانين ، وقيل : إحدى وتسعين ، وقيل : أربع وتسعين ومائة فالله أعلم ، وقد نيف على الأربعين ، وقيل: بل إنما عمر اثنتين وثلاثين سنة فالله أعلم . قرأ بعضهم على قبره هذه الأبيات :

---

(١) عِيَال : يستعينون به فى كلّ أمرٍ ومشكلة . لجأ وفزع إليه واستعان به.اللسان مادة (عول ، عيل) .

ذهبَ الأحبةُ بعد طول تزاور ونأى المزارُ فاسلموكَ وأقشعوا [١]
تركوكَ أوحشَ ما تكونُ بقفرةٍ لم يؤنسوك وكربة لم يدفعوا
فقضى القضاءُ وصرتَ صاحبَ حفرةٍ عَنْك الأحبةُ أَعْرَضوا وَتَصَدّعُوا

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائتين

فيها: دخل المسلمون بلاد الروم فغنموا وسلموا. وفيها: تكامل غور المياه ببلاد الري وطبرستان. وفيها غلت الأسعار جداً وجهد الناس حتى أكل بعضهم بعضاً، فكان الرجل يأكل ابنه وابنته فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفيها: حاصر المعتضد قلعة ماردين، وكانت بيد حمدان بن حمدون ففتحها قسراً وأخذ ما كان فيها ، ثم أمر بتخريبها فهدمت. وفيها: وصلت قطر الندى بنت خمارويه سلطان الديار المصرية إلى بغداد في تجمل عظيم ومعها من الجهاز شيء كثير حتى قيل : إنه كان في الجهاز مائة هاون من ذهب غير الفضة وما يتبع ذلك من القماش وغير ذلك مما لا يحصى. ثم بعد كل حساب أرسل معها أبوها ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار لتشتري بها من العراق ما قد تحتاج إليه مما ليس بمصر مثله. وفيها خرج المعتضد إلى بلاد الجبل وولّى ولده عليا المكتفي نيابة الري وقزوين وأذربيجان وهمدان والدينور ، وجعل على كتابته أحمد بن الأصبغ ، وولّى عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف نيابة أصبهان ونهاوند والكرخ، ثم عاد راجعاً إلى بغداد. وحج بالناس محمد بن هارون بن إسحاق ، وأصاب الحجاج في الأجفر مطر عظيم فغرق كثير منهم ، كان الرجل يغرق في الرمل فلا يقدر أحد على خلاصه منه .

وفيها توفي من الأعيان: إبراهيم بن الحسين بن ديزيل الحافظ صاحب كتاب المصنفات ، منها في وقعة صفين مجلد كبير وأحمد بن محمد الطائي بالكوفة في جمادى منها .

وإسحاق بن إبراهيم

المعروف بابن الجيلي سمع الحديث وكان يفتي الناس بالحديث، وكان يوصف بالفهم والحفظ وفيها توفى:

أبو بكر عبد الله بن أبي الدنيا القرشي

مولى بني أمية ، وهو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس ،أبو بكر بن أبي الدنيا الحافظ المصنف في كل فن، المشهور بالتصانيف الكثيرة النافعة الشائعة الزائعة في الرقاق وغيرها، وهي تزيد على مائة مصنف، وقيل : إنها نحو الثلاثمائة مصنف ، وقيل : أكثر ، وقيل : أقل، سمع ابن أبي الدنيا إبراهيم بن المنذر الحزامي ، وخالد بن خراش، وعلي بن الجعد وخلقا ، وكان مؤدب المعتضد، وعلي بن المعتضد الملقب بالمكتفي بالله ، وكان له عليه كل يوم خمسة عشر

---

(١) أقشعوا : انصرفوا .

ديناراً ، وكان ثقة صدوقاً حافظا ذا مروءة ، لكن قال فيه صالح بن محمد حزرة: إلا أنه كان يروي عن رجل يقال له : محمد بن إسحاق البلخي وكان هذا الرجل كذابا يضع للأعلام إسنادًا ، وللكلام إسنادا ، ويروي أحاديث منكرة . ومن شعر ابن أبي الدنيا أنه جلس أصحاب له ينتظرونه ليخرج إليهم ، فجاء المطر فحال بينه وبينهم ، فكتب إليهم رقعة فيها :

أنـــا مشتـــاقٌ إلى رُؤيَتكـــم ... يـــا أخـــلاَّي وسمعـــي والبَصَـــرْ
كيفَ أنســـاكمْ وقلـــبي عندكُـــم ... حالَ فيمـــا بيننـــا هـــذا المـــطرْ

توفي ببغداد في جمادى الأولى من هذه السنة عن سبعين سنة ، وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضي ودفن بالشونيزية رحمه الله .

عبد الرحمن بن عمرو أبو زرعة البصري الدمشقي الحافظ الكبير الشهير بابن المواز الفقيه المالكي ، له اختيارات في مذهب الإمام مالك ، فمن ذلك وجوب الصلاة على رسول الله ﷺ في الصلاة .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائتين

في خامس ربيع الأول منها يوم الثلاثاء دخل المعتضد بالله بزوجته قطر الندى ابنة خمارويه، قدمت بغداد صحبة عمها وصحبة ابن الجصاص ، وكان الخليفة غائباً وكان دخولها إليه يومًا مشهودًا ، امتنع الناس من المرور في الطرقات من كثرة الخلق. وفيها: نهى المعتضد الناس أن يعملوا في يوم النيروز ما كانوا يتعاطونه من إيقاد النيران وصب الماء وغير ذلك من الأفعال المشابهة لأفعال المجوس، ومنع من حمل هدايا الفلاحين إلى المنقطعين في هذا اليوم، وأمر بتأخير ذلك إلى الحادي عشر من حزيران وسمى النيروز المعتضدي ، وكتب بذلك إلى الآفاق وفيها في ذي الحجة قدم إبراهيم بن أحمد الماذرائي من دمشق على البريد فأخبر الخليفة بأن خمارويه وثبت عليه خدامه فذبحته على فراشه وولّوا بعده ولده حسن ثم قتلوه ونهبوا داره ، ثم ولّوا هارون بن خمارويه ، وقد التزم في كل سنة أن يحمل إلى الخليفة ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار فأقره المعتضد على ذلك ، فلما كان المكتفي عزله وولّى مكانه محمد بن سليمان الواثقي فاصطفى أموال الطولونيين ، وكان ذلك آخر العهد منهم، وفيها أطلق لؤلؤ غلام أحمد ابن طولون من الحبس فعاد إلى مصر في أذل حال بعد أن كان من أكثر الناس مالا وعزًّا وجاها . وفيها حج بالناس الأمير المتقدم ذكره .

وفيها توفي من الأعيان: أحمد بن داود أبو حنيفة أبو الدينوري اللغوي صاحب كتاب النبات.

إسماعيل بن إسحاق

ابن إسماعيل بن حماد بن زيد أبو إسحاق الأزدي القاضي، أصله من البصرة ونشأ ببغداد وسمع مسلم بن إبراهيم، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، والقعنبي وعلي بن المديني ، وكان حافظا

فقيها مالكيا جمع وصنّف وشرح في المذهب عدة مصنفات في التفسير والحديث والفقه ، وغير ذلك ، ولي القضاء في أيام المتوكل بعد سوار بن عبد الله، ثم عزل ثم ولّي وصار مقدم القضاة. كانت وفاته فجأة ليلة الأربعاء لثمان بقين من ذي الحجة منها ، وقد جاوز الثمانين رحمه الله . الحارث بن محمد بن أبي أسامة صاحب المسند المشهور .

خمارويه بن أحمد بن طولون

صاحب الديار المصرية بعد أبيه سنة إحدى وسبعين ومائتين ، وقد تقاتل هو والمعتضد بن الموفق في حياة أبيه الموفق في أرض الرملة ، وقيل : في أرض الصعيد . وقد تقدم ذلك في موضعه ، ثم بعد ذلك لما آلت الخلافة إلى المعتضد تزوج بابنة خمارويه وتصافيا ، فلما كان في ذي الحجة من هذه السنة عدا أحد الخدام من الخصيان على خمارويه فذبحه وهو على فراشه ، وذلك أن خمارويه اتهمه بجارية له . مات عن اثنتين وثلاثين سنة ، فقام بالأمر من بعده ولده هارون بن خمارويه ، وهو آخر الطولونية .

وذكر ابن الأثير أن عثمان بن سعيد بن خالد أبو سعيد الدارمي الفقيه توفى هذه السنة، وكان شافعيًا أخذ الفقه توفى هذه السنة عن البويطي صاحب الشافعي فالله أعلم. وقد قدمنا وفاة الفضل بن يحيى بن محمد بن المسيب بن موسى بن زهير بن يزيد بن كيسان بن باذام ملك اليمن ، أسلم باذام في حياة النبي ﷺ .

أبو محمد الشعراني

الأديب الفقيه العابد الحافظ الرحال تلميذ يحيى بن معين، روى عنه الفوائد في الجرح والتعديل وغير ذلك ، وكذلك أخذ عن أحمد بن حنبلٍ وعلي بن المديني، وقرأ على خلف بن هشام البزار، وتعلم اللغة من ابن الأعرابي ، وكان ثقة كبير القدر .

محمد بن القاسم بن خلاد أبو العيناء البصري الضرير الشاعر الأديب البليغ اللغوي تلميذ الأصمعي. كنيته أبو عبد الله وإنما لقب بأبي العيناء ؛لأنه سئل عن تصغير عيناء فقال عييناء ، له معرفة تامة بالأدب والحكايات والملح أما الحديث فليس منه إلا القليل .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائتين

في المحرم منها خرج المعتضد من بغداد قاصداً بلاد الموصل لقتال هارون الشاري الخارجي فظفر به وهزم أصحابه وكتب بذلك إلى بغداد ، فلما رجع الخليفة إلى بغداد أمر بصلب هارون الشاري وكان صفريا . فلما صلب قال: لا حكم إلا لله ولو كره المشركون. وقد قاتل الحسين ابن حمدان الخوارج في هذه الغزوة قتالا شديدًا مع الخليفة ، فأطلق الخليفة أباه حمدان بن حمدون من القيود بعد ما كان قد سجنه حينا من وقت أخذ قلعة ماردين فأطلقه وخلع عليه

وأحسن إليه . وفيها: كتب المعتضد إلى الآفاق برد ما فضل عن سهام ذوي الفرض إذا لم تكن عصبة إلى ذوي الأرحام وذلك بفتيا أبي حازم القاضي . وقد قال في فتياه ، إن هذا اتفاق من الصحابة إلا زيد بن ثابت فإنه تفرّد برد ما فضل والحالة هذه إلى بيت المال . ووافق على ذلك علي بن محمد بن أبي الشوارب أبي حازم ، وخالفهما القاضي يوسف بن يعقوب ، وذهب إلى قول زيد فلم يلتفت إليه المعتضد ولا عدَّ قوله شيئًا ، وأمضى فتيا أبي حازم ، ومع هذا ولّى القضاء يوسف بن يعقوب في الجانب الشرقي ، وخلع عليه خلعة سنية ، وقلد أبا حازم قضاء أماكن كثيرة وذلك لموافقته ابن أبي الشوارب وخلع عليه خلعا سنية أيضا .

وفيها: وقع الفداء بين المسلمين والروم فاستنقذ من أيديهم ألفا أسير وخمسمائة وأربعة أنفس . وفيها: حاصرت الصقالبة الروم في القسطنطينية فاستعان ملك الروم بمن عنده من أسارى المسلمين وأعطاهم سلاحًا كثيرًا فخرجوا معهم فهزموا الصقالبة ، ثم خاف ملك الروم من غائلة أولئك المسلمين، ففرَّقهم في البلاد . وفيها خرج عمرو بن الليث من نيسابور لبعض أشغاله، فخلفه فيها رافع بن هرثمة ودعا على منابرها لمحمد بن زيد المطلبي ولولده من بعده ، فرجع إليه عمرو وحاصره فيها ، ولم يزل به حتى أخرجه منها وقتله على بابها. وفيها بعث الخليفة وزيره عبيد الله بن سليمان لقتال عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف ، فلما وصل إليه طلب منه عمر الأمان فأمّنه وأخذه معه إلى الخليفة فتلقاه الأمراء وخلع عليه الخليفة وأحسن إليه.

وفيها توفي من الأعيان : إبراهيم بن مهران أبو إسحاق الثقفي السراج النيسابوري ، كان الإمام أحمد يدخل إلى منـــزله ـــ وكان بقطيعة الربيع في الجانب الغربي من بغداد ـــ وينبسط فيه ويفطر عنده ، وكان من الثقات العباد ، العلماء . توفي في صفر منها . إسحاق بن إبراهيم ابن محمد بن حازم أبو القاسم الجيلي ، وليس هو بالذي تقدم ذكره في السنين المتقدمة. سمع داود بن عمرو وعلي بن الجعد وخلقاً كثيراً . وقد ليّنه الدارقطني. فقال : ليس بالقوي . توفي في هذه السنة عن نحو من ثمانين سنة سهل بن عبد الله بن يونس التستري أبو محمد أحد أئمة الصوفية ، لقي ذا النون المصري . ومن كلام سهل الحسن قوله : أمس قد مات واليوم في النـــزع وغد لم يولد . وهذا كما قال بعض الشعراء :

ما مضـــى فـــاتَ والمؤمَّـــلُ غَـــ ... يْبٌ ولكَ الساعةُ التي أنتَ فيها

وقد تخرج سهل شيخا له محمد بن سوار ، وقيل : إن سهلاً قد توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين فالله أعلم .

وفيها توفي : عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن خراش أبو محمد الحافظ المروزي أحد الجوالين الرحالين حفاظ الحديث والمتكلمين في الجرح والتعديل ، وقد كان ينبذ بشيء من التشيع فالله أعلم . روى الخطيب عنه أنه قال: شربت بولي في هذا الشأن خمس مرات ـــ يعني

أنه اضطر إلى ذلك في أسفاره في الحديث من العطش ـــ علي بن محمد بن أبي الشوارب . عبد الملك الأموي البصري قاضي سامرا . وقد ولّي في بعض الأحيان قضاء القضاة ، وكان من الثقات ، سمع أبا الوليد وأبا عمرو والحوصي وعنه النجاد، وابن صاعد، وابن قانع ، وحمل الناس عنه علما كثيرًا .

ابن الرومي الشاعر

صاحب الديوان في الشعر : علي بن العباس بن جريج أبو الحسن المعروف بابن الرومي وهو مولى عبد الله بن جعفر وكان شاعراً مشهوراً مطبقا فمن ذلك قوله :

إذا ما مدحـــتَ البـــاخلين فإنّمـــا ... تذكرهم ما في سواهُم منَ الفضـــلِ
وتهـــدي لهـــم غمًّا طويلا وحسرةً ... فـــإن منعـــوا منكَ النوالَ فبالعدلِ

وقال :

إذا ما كساكَ الدهـــرُ سربَال صحة ... ولم تخـــلُ مـــن قوت يلذُّ ويعذبُ
فـــلا تغبطـــنَّ [٣] المـــترفين فإنـــهُ ... على قدر ما يكسوهمُ الدهرُ يُسلبُ

وقال أيضا :

عـــدوُّكَ مـــن صديقـــك مستفادُ ... فـــلا تســـتكثرَنّ مـــن الصحـــابِ
فـــإن الـــداء أكـــثرُ مـــا تـــراهُ ... يكـــونُ مـــنَ الطعـــامِ والشـــرابَ
إذا إنقلبَ الصديـــقُ غـــدا عـــدوًّا ... مبينـــا والأمـــــورُ إلى إنقـــــلابَ
ولو كان الكثـــيرُ يطيـــبُ كـــانتْ ... مصاحبةُ الكثـــير مـــن الصـــوابَ
ولكـــن قـــلَّ مـــا اســـتكثرتَ إلا ... وقعـــتَ علـــى ذئـــاب في ثيـــابَ
فـــدعْ عنـــك الكثـــيرَ فكم كثير ... يعـــافُ وكـــم قليـــلٍ مُســـتطابَ
ومـــا اللجـــج العظـــام بمرويـــاتٍ ... ويكفي الرّي في النطفِ [١] العذابَ

وقوله :

وما الحســـبُ المـــوروثُ لا درَّ درُّه ... بمحتســـب إلاّ بـــآخرِ مكتســـبْ
فـــلا تنكـــل إلا علـــى مـــا فعلته ... ولا تحسبنَّ المجـــد يورثْ كالنسبْ
فليـــس يســـودُ المـــرء إلا بفعـــله ... وإنْ عـــدَّ آباءً كرامًا ذوي حسب
إذا العـــودُ لم يثمـــرْ وإن كان أصلُهُ ... من المثمرات اعتدهُ الناسُ في الحطب
وللمَجْـــد قـــوُم شـــيّدوُه بـــأنفسٍ ... كرامٍ ولم يعنـــوا بـــأمٍ ولا بـــأب

ومن لَطيف شعره :

قلـــبي مـــن الطّرَف السَّقيم سَقيمُ ... لـــو أنّ من أشـــكوا إليه رحيـــم[٢]

---

(١) النطف : الماء القليل .
(٢) الطرف : أطراف العين نظر بطرف خَفِيّ " غَضّ معظم عينه ونظر بباقيها من الاستحياء أو الخوف . السَّقيم : المريض .

في وجههـا أبـداً نهـارٌ واضـحٌ — من فرعهـا ليـلٌ عليهـ بهيمٌ[1]
إن أقبلـت فالبدر لاح وإن مشت — فالغُصْـنُ راح وإن رنت فـالريمُ[2]
نَعمَـتْ بهـا عيني فطـالَ عَذَابُها — ولكم عـذابٌ قـد جنـاه نعيـمُ
نظَـرتْ فأقْصَدت الفـؤادَ بسَهْمِها — ثم انثنتْ نحـوي فكـدْتُ أهيـمُ
وَيْلاه إنْ نظرتَ وإن هي أعرضَـتْ — وقـعُ السـهامِ ووقْعُهُـنّ أليـمُ
يـا مستحلٌ دَمَ مُحْـرِمٍ رحمـتي — مـا أنصـفَ التحليـلُ والتحريمُ

وله أيضا، وكان يزعم أنه لم يسبق إليه :

أراؤكم ووجوهُكم وسـيوفُكـم — في الحادثـات إذا زَجَـرْنَ نجـومُ
منهـا معـالمُ للهـدى ومصـابحٌ — تجلوا الدُّجى وَالأخريـاتُ رُجُـومُ

وذكر أنه ولد سنة إحدى وعشرين ومائتين . ومات في هذه السنة ، وقيل : في التي بعدها، وقيل : في سنة ست وسبعين ومائتين ، وذكر أن سبب وفاته أن وزير المعتضد القاسم ابن عبد الله كان يخاف من هجوه ولسانه فدس عليه من أطعمه وهو بحضرته خشتنانكة مسمومة ، فلما أحس السم قام فقال له الوزير: إلى أين ؟ قال : إلى المكان الذي بعثتني إليه . قال: سلم على والدي. فقال: لست أجتاز على النار.

ومحمد بن سليمان بن الحرب

أبو بكر الباغندي الواسطي ، كان من الحفاظ ، وكان أبو داود يسأله عن الحديث ، ومع هذا تكلموا فيه وضعفوه . محمد بن غالب بن حرب أبو جعفر الضبي المعروف بتنهام سمع سفيان، وقبيصة، والقعنبي ، وكان من الثقات .

قال الدارقطني : وربما أخطأ . توفي في رمضان عن تسعين سنة .

البحتري الشاعر

صاحب الديوان المشهور ، اسمه الوليد بن عبادة ، ويقال : الوليد بن عبيد بن يحيى أبو عباد الطائي البحتري الشاعر، أصله من منبج وقدم بغداد ومدح المتوكل والرؤساء ، وكان شعره في المدح خيرًا منه في المراثي. فقيل له : في ذلك فقال : المديح للرجاء، والمراثي للوفاء وبينهما بعد. وقد روى شعره المبرد وابن درستويه وابن المرزبان. وقيل له : إنهم يقولون: إنك أشْعر من

---

(١) فرعها : كثرة شعر رأسها . بهيم شديد السواد .

(٢) رنا : أدام النظر إليه بسكون الطرف ــ أطراف العين ــ الريم : الظبى الخالص البياض .

(٣) تغبطن : من الغبطة : وهى أن يتمنى المرء أن تكون حاله كما لصاحب النعمة المغبوط عليها دون أن تزول النعمة عنه .

أبي تمام . فقال : لولا أبو تمام ما أكلت الخبز، كان أبو تمام أستاذنا . وقد كان البحتري شاعراً مطيقاً فصيحًا بليغًا رجع إلى بلده فمات بها في هذه السنة، وقيل : في التي بعدها عن ثمانين سنة.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائتين

في المحرم منها دخل رأس رافع بن هرثمة إلى بغداد فأمر الخليفة بنصبه في الجانب الشرقي إلى الظهر ، ثم بالجانب الغربي إلى الليل . وفي ربيع الأول منها خلع على محمد بن يوسف بن يعقوب بالقضاء بمدينة أبي جعفر المنصور عوضًا عن ابن أبي الشوارب بعد موته بخمسة أشهر وأيام ، وقد كانت شاغرة تلك المدة . وفي ربيع الآخر منها ظهرت بمصر ظلمة شديدة وحمرة في الأفق حتى كان الرجل ينظر إلى وجه صاحبه فيراه أحمر اللون جدًا . وكذلك الجدران . فمكثوا كذلك من العصر إلى الليل، ثم خرجوا إلى الصحراء يدعون الله ويتضرعون إليه حتى كشف عنهم . وفيها عزم المعتضد على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر فحذره ذلك وزيرهُ عبدالله بن وهب ، وقال له : إن العامة تنكر قلوبهم ذلك وهم يترحمون عليه ويترضون عنه في أسواقهم ومجامعهم ، فلم يلتفت إليه بل أمر بذلك وأمضاه وكتب به نسخًا إلى الخطباء بلعن معاوية وذكر فيها ذمّه وذمّ ابنه يزيد بن معاوية وجماعة من بني أمية ، وأورد فيها أحاديث باطلة في ذم معاوية وقرئت في الجانبين من بغداد ، ونهيت العامة عن الترحم على معاوية والترضي عنه ، فلم يزل به الوزير حتى قال له : فيما قال : يا أمير المؤمنين إن هذا الصنيع لم يسبقك أحد من الخلفاء إليه ، وهو مما يرغب العامة في الطالبيين وقبول الدعوة إليهم، فوجم لذلك المعتضد وترك ما كان عزم عليه تخوفا على الملك ، وقدر الله تعالى أن هذا الوزير كان ناصبيا [1] يغبض عليًا فكان هذا من هفوات المعتضد .

وفيها: نودي في البلاد لا يجتمع العامة على قاصٍّ ولا كاهن ولا منجم ولا جدلي ولا غير ذلك ، وأمرهم أن لا يهتموا لأمر النوروز ، ثم أطلق لهم النوروز فكانوا يصبون المياه على المارة، وتوسعوا في ذلك وغلوا فيه حتى جعلوا يصبون الماء على الجند والشرط وغيرهم ، وهذا أيضا من هفواته .

قال ابن الجوزي : وفيها وعد المنجمون الناس أن أكثر الأقاليم ستغرق في زمن الشتاء من كثرة الأمطار والسيول وزيادة الأنهار ، وأجمعوا على هذا الأمر فأخذ الناس كهوفا في الجبال خوفًا من ذلك ، فأكذب الله تعالى المنجمين في قولهم فلم يكن عام أقل مطرًا منه . وقلّت العيون جدًا وقحط الناس في كل بقعة حتى استسقى الناس ببغداد وغيرها من البلاد مراراً كثيرة . قال : وفيها كان يتبدى في دار الخلافة شخص بيده سيف مسلول في الليل فإذا أرادوا أخذه انهزم فدخل في بعض الأماكن والزروع والأشجار والعطفات التي بدار الخلافة فلا يطلع له على خبر ، فقلق من ذلك المعتضد قلقا شديدًا وأمر بتجديد سور دار الخلافة

---

(١) الناصبى : الذى يبغض عليًا وآل بيته .

والاحتفاظ به ، وأمر الحرس من كل جانب بشدة الاحتراس فلم يفد ذلك شيئاً ، ثم استدعى بالمعزمين ومن يعاني علم السحر وأمر المنجمين فعزَّموا واجتهدوا فلم يفد ذلك شيئاً فأعياهم أمره ، فلما كان بعد مدة أطلع على جلية الأمر وحقيقة الخبر فوجده خادمًا خصيا من الخدام كان يتعشق بعض الجواري من حظايا المعتضد التي لا يصل إليها مثله ولا النظر إليها من بعيد، فاتخذ لحاً مختلفة الألوان يلبس كل ليلة واحدة ، واتخذ لباسا مزعجا فكان يلبس ذلك ويتبدى في الليل في شكل مزعج فيفزع الجواري وينــــزعجن وكذلك الخدم فيثورون إليه من كل جانب فإذا قصدوه دخل في بعض العطفات ثم يلقى ما عليه أو يجعله في كمه أو في مكان قد أعده لذلك. ثم يظهر أنه من جملة الخدم المتطلبين لكشف هذا الأمر ، ويسأل هذا وهذا ما الخبر ؟ والسيف في يده صفة من يرى أنه قد رهب من هذا الأمر، وإذا اجتمع الحظايا تمكن من النظر إلى تلك المعشوقة ولاحظها وأشار إليها بما يريده منها وأشارت إليه ، فلم يزل هذا دأبه إلى زمن المقتدر فبعثه في سرية إلى طرسوس فنمت عليه تلك الجارية وانكشف أمره وحاله وأهلكه الله. وفيها اضطرب الجيش المصري على هارون بن خمارويه فأقاموا له بعض أمراء أبيه يدير الأمور ويصلح الأحوال ، وهو أبو جعفر بن أبان ، فبعث إلى دمشق ــ وكانت قد منعت البيعة تسعة أشهر بعد أبيه ، واضطربت أحوالها ــ فبعث إليهم جيشاً كثيفًا مع بدر الحمامي، والحسين بن أحمد الماذرائي فأصلحا أمرها واستعملا على نيابتها طفح بن خف ورجعا إلى الديار المصرية والأمور مختلفة جدًا . وفيها توفي من الأعيان .

أحمد بن المبارك أبو عمر المستملي

الزاهد النيسابوري يلقب بحكمويه العابد ، سمع قتيبة وأحمد وإسحاق وغيرهم ، واستملى على المشايخ ستاً وخمسين سنة ، وكان فقيراً رث الهيئة زاهدًا ، دخل يومًا على أبي عثمان سعيد ابن إسماعيل وهو في مجلس التذكير ، فبكى أبو عثمان، وقال للناس : إنما أبكاني رثاثة ثياب رجل كبير من أهل العلم أنا أجله عن أن أسميه في هذا المجلس ، فجعل الناس يلقون الخواتم والثياب والدراهم حتى اجتمع من ذلك شيء كثير بين يدي الشيخ أبي عثمان ، فنهض عند ذلك أبو عمرو المستملي ، فقال : أيها الناس أنا الـــذي قصدني الشيخ بكـــلامه ، ولولا أني كرهت أن يتهم بإثم لسترت ما ستره . فتعجب أبو عثمان من إخلاصه ثم أخذ أبو عمرو ذلك المجتمع من المال فما خرج من باب المسجد حتى تصدق بجميعه على الفقراء والمحاويج. كانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة .

إسحاق بن الحسن

ابن ميمون بن سعد أبو يعقوب الحربي ، سمع عفان وأبا نعيم وغيرهما . وكان أسن من إبراهيم الحربي بثلاث سنين ، ولما توفي إسحاق الحربي نودي عليه بالبلد فقصد الناس داره للصلاة عليه ، واعتقد بعض العامة أنه إبراهيم الحربي فجعلوا يقصدون داره فيقول لهم : إبراهيم ليس إلى هذا الموضع قصدكم ، وعن قريب تأتونه ، فما عمّر بعده إلا دون السنة . رحمه الله .

إسحاق بن محمد أبو يعقوب الزهري

عمّر تسعين سنة وكان ثقة صالحاً . إسحاق بن موسى بن عمران الفقيه أبو يعقوب الإسفراييني الشافعي . عبد الله بن علي بن الحسن بن إسماعيل أبو العباس الهاشمي ، كانت إليه الحسبة ببغداد وإمامة جامع الرصافة، وعبد العزيز بن معاوية العتابي من ولد عتاب بن أسيد بصري، قدم بغداد وحدث عن أزهر السمان وأبي عاصم النبيل. يزيد بن الهيثم بن طهمان أبو خالد الدقاق ويعرف بالباد .

قال ابن الجوزي : والصواب أن يقال : البادي لأنه ولد توأما وكان هو الأول في الميلاد . روى عن يحيى بن معين وغيره وكان ثقة صالحاً .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائتين

فيها وثب صالح بن مدرك الطائي على الحجاج بالأجفر فأخذ أموالهم ونساءهم وخدمهم ، يقال : إنه أخذ منهم ما قيمته ألف ألف دينار . وفي ربيع الأول منها يوم الأحد لعشر بقين منه ارتفعت بنواحي الكوفة ظلمة شديدة جدًا ثم سقطت أمطار برعود وبروق لم ير مثلها ، وسقط في بعض القرى مع المطر حجارة بيض ، وسود ، وسقط برد كبار وزن البردة مائة وخمسون درهما ، واقتلعت الرياح شيئا كثيرا من النخيل والأشجار مما حول دجلة، وزادت دجلة زيادة كثيرة حتى خيف على بغداد من الغرق. وفيها غزا راغب الخادم مولى الموفق بلاد الروم ففتح حصونا كثيرة وأسر ذراري كثيرة جدًا ، وقتل من أسارى الرجال الذين معه ثلاثة آلاف أسير ، ثم عاد سالمًا مؤيدًا منصورا. وحج بالناس فيها محمد بن عبد الله ابن داود الهاشمي .

وفيها: توفي أحمد بن عيسى بن الشيخ صاحب آمد. فقام بأمرها من بعده ولده محمد ، فقصده المعتضد ومعه ابنه أبو محمد المكتفي بالله فحاصره بها. فخرج إليه سامعًا مطيعًا فتسلمها منه وخلع عليه وأكرم أهلها ، واستخلف عليها ولده المكتفي ، ثم سار إلى قنسرين والعواصم فتسلمها عن كتاب هارون بن خمارويه ، وإذنه له في ذلك ومصالحته له على ذلك. وفيها غزا ابن الأخشيد بأهل طرسوس بلاد الروم ففتح الله على يديه حصونا كثيرة ولله الحمد. وفيها توفي من الأعيان .

إبراهيم بن إسحاق

ابن بشير بن عبد الله بن رستم أبو إسحاق الحربي أحد الأئمة في الفقه والحديث وغير ذلك ، وكان زاهدًا عابدًا تخرج بأحمد بن حنبل ، وروى عنه كثيرًا . قال الدارقطني : إبراهيم الحربي إمام مصنف عالم بكل شيء بارع في كل علم صدوق، كان يقاس بأحمد بن حنبل في زهده وورعه وعلمه ، ومن كلامه: أجمع عقلاء كل أمة أن من لم يجر مع القدر لم يتهَّن

بعيشه . وكان يقول : الرجل كل الرجل الذي يدخل غمه على نفسه ولا يدخله على عياله ، وقد كانت بي شقيقة [١] منذ أربعين سنة ما أخبرت بها أحداً قط، ولي عشر سنين أبصر بفرد عين ما أخبرت بها أحدًا قط ، ذكر أنه مكث نيفا وسبعين سنة من عمره ما يسأل أهله غداء ولا عشاء ، بل إن جاءه شيء أكل وإلا طوى إلى الليلة القابلة . وذكر أنه أنفق في بعض الرماضانات على نفسه وعياله درهما واحدًا وأربعة دوانيق ونصف ، وما كنا نعرف من هذه الطبائخ شيئاً إنما هو باذنجان مشوي أو باقة فجل أو نحو هذا ، وقد بعث إليه أمير المؤمنين المعتضد في بعض الأحيان بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها وردها ، فرجع الرسول وقال : يقول لك الخليفة : فرقها على من تعرف من فقراء جيرانك . فقال : هذا شيء لم نجمعه ولا نسأل عن جمعه ، فلا نسأل عن تفريقه ، قل : لأمير المؤمنين إما يتركنا وإما نتحول من بلده . ولما حضرته الوفاة دخل عليه بعض أصحابه يعوده، فقامت ابنته تشكو إليه ما هم فيه من الجهد وأنه لا طعام لهم إلا الخبز اليابس بالملح ، وربما عدموا الملح في بعض الأحيان. فقال لها إبراهيم : يا بنية تخافين الفقر ؟ انظري إلى تلك الزاوية فيها اثنا عشر ألف جزء قد كتبتها في العلم ففي كل يوم بيعي منها جزء ابدرهم فمن عنده اثنا عشر ألف درهم فليس بفقير. ثم كانت وفاته لسبع بقين من ذي الحجة، وصلىّ عليه يوسف بن يعقوب القاضي عند باب الأنبار ، وكان الجمع كثيراً جدًا .

المبرد النحوي

محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس الأزدي الثمالي المعروف بالمبرد النحوي البصري إمام في اللغة العربية ، أخذ ذلك عن المازني وأبي حاتم السجستاني ، وكان ثقة ثبتا فيما ينقله وكان مناوئا لثعلب. وله كتاب الكامل في الأدب ، وإنما سمي بالمبرد : لأنه اختبأ من الوالي عند أبي حاتم تحت المزبلة .

قال المبرد : دخلنا يومًا على المجانين نزورهم أنا وأصحاب معي بالرقة فإذا فيهم شاب قريب العهد بالمكان عليه ثياب ناعمة. فلما بصر بنا قال : حياكم الله ممن أنتم ؟ قلنا . من أهل العراق . فقال : بأبي العراق وأهلها أنشدوني أو أنشدكم ؟ قال المبرد فقلت : بل أنشدنا أنت فأنشأ يقول :

الله يعلـــمُ إنـــني كَمـــــدُ ... لا أسـتطيعُ بـثّ مـا أجدُ [٢]
روحــــان لي روحُ تضمّنهـــا ... بلـــدُ وأخـرى حازهـا بلـدُ
وأرى المقيمـةَ ليــس ينفعُهـــا ... صـبرُ ولا يقـوى لهـا جلـدُ

---

(١) الشقيقة : ألم يصيب نصف الرأس والوجه .
(٢) الكمد : الغمّ والحزن . بث ما أجد : أي : إذاعة الحزن الذى أنّ – الأنين – فيه .

وأظـــنُّ غائبتـــي كشاهدتـــي بمكانهـــا تجـــدُ الـــذي أجـــدُ

قال المبرد فقلت : والله إن هذا لطريف ، فزدنا منه فأنشا يقول :

لمـــا أنـــاخوا قُبيـــلَ الصبح عيرَهُمُ وحَمَّلوها فثارتْ بالـــهوى الإبـــلُ
وأبرزتْ من خلال السُّجْف ناظرهَا ترنو إليَّ ودمعُ العين ينهمـــــلُ [١]
وودّعتْ ببنانٍ عقدهـــا عنـــــمُ ناديت لا حَمَلتْ رجلاك يا جملُ[٢]
ويلي من البين ماذا حـــــلَّ بي وبهم من نازل البين حان البين وارتحلـــوا
يا راحل العيس[٣] عجِّل كي أودِّعَهم يا راحل العيس في ترحـــالك الأجلُ
إني على العهد لم أنقضْ مـــــوَّدهم فليت شعري لطولِ العهد ما فعلـــوا

فقال رجل من البغضاء الذين معي : ماتوا. فقال الشاب : إذاً أموت ، فقال : إن شئت فتمّطى واستند إلى سارية عنده ومات ، وما برحنا حتى دفناه رحمه الله ومات المبرد وقد جاوز السبعين .

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائتين

فيها وقع تسلم آمد من ابن الشيخ في ربيع الآخر ووصل كتاب هارون بن أحمد بن طولون من مصر إلى المعتضد وهو مخيم بآمد أن يسلم إليه قنسرين والعواصم على أن يقره على إمارة الديار المصرية ، فأجابه إلى ذلك ، ثم ترحل عن آمد قاصدًا العراق وأمر بهدم سور آمد فهدم البعض و لم يقدر على ذلك فقال ابن المعتز يهنئه بفتح آمد :

أسْلَـــمْ أميرَ المؤمنـــين ودُمْ في غبطـــة وليهنكَ النصـــرُ
فلربَّ حادثة نهضـــتَ لهـــا متقدِّما فتـــأخر الـــدهرُ
ليثٌ [٤] فرائسُـــهُ الليوثُ فمـــا يبيـــضُ من دمهـــا لـــه ظفـــرُ

ولما رجع الخليفة إلى بغداد جاءته هدية عمرو بن الليث من نيسابور فكان وصلها بغداد يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة ، وكان مبلغها ما قيمته أربعة آلاف ألف درهم خارجا عن الدواب وسروج وسلاح وغير ذلك . وفيها تحارب إسماعيل بن أحمد السلماني، وعمرو بن الليث ، وذلك أن عمرو بن الليث لما قتل رافع بن هرثمة وبعث برأسه إلى الخليفة

---

(١) السجف : الستر وجمعها أسجاف وأسجاف أو السجف الستران المقرونان بينهما فرجه ،ترنو : أدامت النظر إليه بسكون الطرف وينهمل : يفيض.القاموس (رنا – همل – سجف) .
(٢) عَنَمُ : شجر لين الأغصان تشبه به بنان – أطراف الأصابع – الجوارى اللسان (عنم) .
(٣) العيس : بكسر العين الإبل البيض التى يخالط بياضها شيء من الشقرة . وبفتح العين : كرائم الإبل (عَيَسَ) مختار الصحاح .
(٤) الليث : الأسد ، اللسن البليغ،القاموس (ليث) .

سأل منه أن يعطيه ما وراء النهر مضافا إلى ما بيده من ولاية خراسان ، فأجابه إلى ذلك، فانزعج لذلك إسماعيل بن أحمد السلماني نائب ما وراء النهر ، وكتب إليه : إنك قد وليت دنيا عريضة فاقتنع بها عن ما في يدي من هذه البلاد . فلم يقبل، فأقبل إليه إسماعيل في جيوش عظيمة جدا فالتقيا عند بلخ فهزم أصحاب عمرو ، وأسر عمرو ، فلما جيء به إلى إسماعيل ابن أحمد قام إليه وقبّل بين عينيه وغسل وجهه وخلع عليه وأمنه وكتب إلى الخليفة في أمره، ويذكر أن أهل تلك البلاد قد ملوا وضجروا من ولايته عليهم، فجاء كتاب الخليفة بأن يتسلم حواصله وأمواله فسلبه إياها ، فآل به الحال بعد أن كان مطبخه يحمل على ستمائة جمل إلى القيد والسجن، ومن العجائب أن عمرا كان معه خمسون ألف مقاتل لم يصب أحد منهم ولا أسر سواه وحده ، وهذا جزاء من غلب عليه الطمع ، وقاده الحرص حتى أوقعه في ذل الفقر ، وهذه سنة الله في كل طامع فيما ليس له ، وفي كل طالب للزيادة في الدنيا .

ظهور أبى سعيد الجنابى رأس القرامطة وهم أخبث من الزنج وأشد فسادًا

كان ظهوره في جمادى الآخرة من هذه السنة بنواحي البصرة ، فالتف عليه من الأعراب وغيرهم بشر كثير ، وقويت شوكته جدًا ، وقتل من حوله من أهل القرى ، ثم صار إلى القطيف قريبًا من البصرة ، ورام دخولها فكتب الخليفة المعتضد إلى نائبها يأمره بتحصين سورها ، فعمروه وجددوا معالمه بنحو من أربعة آلاف دينار ، فامتنعت من القرامطة بسبب ذلك . وتغلب أبو سعيد الجنابي ومن معه من القرامطة على هجر وما حولها من البلاد ، وأكثروا في الأرض الفساد . وكان أصل أبي سعيد الجنابي هذا إنه كان سمساراً في الطعام يبيعه ويحسب للناس الأثمان ، فقدم رجل يقال له : يحيى بن المهدي في سنة إحدى وثمانين ومائتين. فدعا أهل القطيف إلى بيعة المهدي ، فاستجاب له رجل يقال له : علي بن العلاء بن حمدان الزيادي ، وساعده في الدعوة إلى المهدي ، وجمع الشيعة الذين كانوا بالقطيف فاستجابوا له ، فكان في جملة من استجاب أبو سعيد الجنابي هذا قبّحه الله ، ثم تغلب على أمرهم وأظهر فيهم القرمطة فاستجابوا له والتفوا عليه ، فتأمّر عليهم وصار هو المشار إليه فيهم وأصله من بلدة هناك يقال لها : جنابة ، وسيأتي ما يكون من أمره وأمر أصحابه قال في المنتظم : ومن عجائب ما وقع من الحوادث في هذه السنة. ثم روى بسنده أن امرأة تقدمت إلى قاضي الري فادعت على زوجها بصداقها خمسمائة دينار فأنكره، فجاءت ببينة تشهد لها به ، فقالوا : نريد أن تسفر لنا عن وجهها حتى نعلم أنها الزوجة أم لا ، فلما صمموا على ذلك. قال الزوج: لا تفعلوا هي صادقة فيما تدعيه ، فأقر بما ادعت ليصون زوجته عن النظر إلى وجهها . فقالت المرأة حين عرفت ذلك منه وأنه إنما أقر ليصون وجهها عن النظر: هو في حلٍّ من صداقي عليه في الدنيا والآخرة . وممن توفي فيها من الأعيان المشاهير : أحمد بن عيسى أبو سعيد الخراز فيما ذكره شيخنا الذهبي . وقد أرخه ابن الجوزي في سنة سبع وسبعين ومائتين فالله أعلم .

إسحاق بن محمد بن أحمد بن أبان

أبو يعقوب النخعي الأحمر ، وإليه تنسب الطائفة الإسحاقية من الشيعة . وقد ذكر ابن النوبختي، والخطيب، وابن الجوزي أن هذا الرجل كان يعتقد إلهية علي بن أبي طالب ، وأنه انتقل إلى الحسن ثم الحسين ، وأنه كان يظهر في كل وقت ، وقد اتبعه على هذا الكفر خلق من الحمر قبحهم الله وقبّحه . وإنما قيل له : الأحمر لأنه كان أبرص ، وكان يطلي برصه بما يغير لونه ، وقد أورد له النوبختي أقوالا عظيمة في الكفر لعنه الله . وقد روى شيئاً من الحكايات والملح عن المازني وطبقته ، ومثل هذا أقل وأذل من أن يروى عنه أو يذكر إلا بذمه .

بقي بن مخلد بن يزيد أبو عبد الرحمن الأندلسي

الحافظ أحد علماء الغرب ، له التفسير والمسند والسنن ، والآثار التي فضلها ابن حزم على تفسير ابن جرير ومسند أحمد ومصنف ابن أبي شيبة ، وفيما زعم ابن حزم نظر . وقد ترجمه الحافظ بن عساكر في تاريخه فأثنى عليه خيرًا، ووصفه بالحفظ والإتقان ، وأنه كان مجاب الدعوة رحمه الله . وأرخ وفاته بهذه السنة عن خمس وسبعين سنة .

الحسن بن بشار

أبو علي الخياط روى عن أبي بلال الأشعري ، وعنه أبو بكر الشافعي وكان ثقة ، رأى في منامه ـــ وقد كانت به علة ـــ قائلا : يقول له : كُلْ ، لا ، وادهن بلا . ففسره بقوله تعالى: ﴿زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ ولا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور : ٣٥] فأكل زيتونا وشرب زيتاً فبرأ من علته تلك.
محمد بن إبراهيم أبو جعفر الأنماطي المعروف بمربع تلميذ يحيى بن معين ، كان ثقة حافظاً .
عبد الرحيم بن الرقي. ومحمد بن وضاح المصنف. وعلي بن عبد العزيز البغوي صاحب المسند.

محمد بن يونس

ابن موسى بن سليمان بن عبيد بن ربيعة بن كديم أبو العباس القرشي البصري الكديمي ، وهو ابن امرأة نوح بن عبادة، ولد سنة ثلاث وثمانين ومائة، وسمع عبد الله بن داود الخريبي، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، وأبا داود الطيالسي، والأصمعي وخلقا. وعنه ابن السماك والنجاد. وآخر من حدث عنه أبو بكر بن مالك القطيفي، وقد كان حافظا مكثرا مغربا، وقد تكلم فيه الناس لأجل غرائبه في الروايات وقد ذكرنا ترجمته في التكميل. توفي يوم الجمعة قبل الصلاة للنصف من جمادى الآخرة منها، وقد جاوز المائة، وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضي .

يعقوب بن إسحاق بن خبة أبو يوسف الواسطي ، سمع من يزيد بن هارون، وقدم بغداد وحدث بها : أربعة أحاديث ، ووعد الناس أن يحدثهم من الغد فمات من ليلته عن مائة واثنتي عشر سنة الوليد أبو عبادة البحتري فيما ذكر الذهبي ، وقد تقدم ذكره في سنة ثلاث وثمانين كما ذكره ابن الجوزي فالله أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائتين

في ربيع الأول منها تفاقم أمر القرامطة صحبة أبي سعيد الجنابي فقتلوا وسبوا وأفسدوا في بلاد هجر، فجهز الخليفة إليهم جيشا كثيفا وأمر عليهم العباس بن عمرو الغنوي ، وأمره على اليمامة والبحرين ليحارب أبا سعيد هذا ، فالتقوا هنالك وكان العباس في عشرة آلاف مقاتل ، فأسرهم أبو سعيد كلهم ولم ينج منهم إلا الأمير وحده ، وقتل الباقون عن آخرهم صبراً بين يديه قبّحه الله . وهذا عجيب جداً ، وهو عكس واقعة عمرو بن الليث فإنه أسر من بين أصحابه وحده ونجوا كلهم وكانوا خمسين ألفاً . ويقال إن العباس لما قتل أبو سعيد أصحابه صبرًا بين يديه وهو ينظر ، وكان في جملة من أسر أقام عند أبي سعيد أيامًا ثم أطلقه وحمله على رواحل، وقال : ارجع إلى صاحبك وأخبره بما رأيت . وقد كانت هذه الواقعة في أواخر شعبان منها ، فلما وقع هذا الأمر الفظيع انزعج الناس لذلك انزعاجاً عظيما جدًا ؛ وهمَّ أهل البصرة بالخروج منها فمنعهم من ذلك نائبها أحمد الواثقي وفيها أغارت الروم على بلاد طرسوس وكان نائبها ابن الأخشيد قد توفي في العام الماضي. واستخلف على الثغر أبا ثابت فطمعت الروم في تلك الناحية وحشدوا عساكرهم، فالتقى بهم أبو ثابت فلم يقدرعلى مقاومتهم ، فقتلوا من أصحابه جماعة وأسروه فيمن أسروا فاجتمع أهل الثغر على ابن الأعرابي فولوه أمرهم وذلك في ربيع الآخر . وفيها قتل .

محمد بن زيد العلوي

أمير طبرستان والديلم. وكان سبب ذلك أن إسماعيل الساماني لما ظفر بعمرو بن الليث نائب خراسان ظن محمد أن إسماعيل لا يجاوز عمله، وأن خراسان قد خلت له ، فارتحل من بلده يريد خراسان ، وسبقه إسماعيل إليها ، وكتب إليه أن الزم عملك ولا تتجاوزه إلى غيره فلم يقبل، فبعث إليه جيشا مع محمد بن هارون الذي كان ينوب عن رافع بن هرثمة ، فلما التقيا هرب منه محمد ابن هارون خديعة ، فسار الجيش وراءه في الطلب فكر عليهم راجعا فانهزموا منه فأخذ ما في معسكرهم وجرح محمد بن زيد جراحات شديدة فمات بسببها بعد أيام ، وأسر ولده زيد فبعث به إلى إسماعيل بن أحمد فأكرمه وأمر له بجائزة . وقد كان محمد بن زيد هذا فاضلا دينًا حسن السيرة فيما وليه من تلك البلاد ، وكان فيه تشيع. وتقدم إليه يومًا خصمان اسم أحدهما معاوية واسم الآخر علي ، فقال محمد بن زيد إن الحكم بينكم ظاهر ، فقال معاوية: أيها الأمير لا تغترن بنا ، فإن أبي كان من كبار الشيعة ، وإنما سماني معاوية مداراة لمن ببلدنا من أهل السنة وهذا كان أبوه من كبار النواصب فسماه علياً تقاة لكم ، فتبسم محمد بن زيد وأحسن إليهما .

قال ابن الأثير في كامله : وممن توفي فيها : إسحاق بن يعقوب بن عمر بن الخطاب العدوي – عدي ربيعة، وكان أميرا على ديار ربيعة من الجزيرة ، فولي مكانه عبد الله بن الهيثم

ابن عبد الله بن المعتمر . وعلي بن عبد العزيز البغوي صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام، ومهدي بن أحمد بن مهدي الأزدي الموصلي ـــ وكان من الأعيان ـــ وذكر هو وأبو الفرج ابن الجوزي أن قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون امرأة المعتضد توفيت في هذه السنة .

قال ابن الجوزي: لسبع خلون من رجب منها ، ودفنت داخل القصر بالرصافة .

يعقوب بن يوسف بن أيوب أبو بكر المطوعي

سمع أحمد بن حنبل وعلي بن المديني، وعنه النجاد والخلدي ، وكان ورده في كل يوم قراءة : قل هو الله أحد إحدى وثلاثين ألف مرة ، أو واحد وأربعين ألف مرة. قلت: وممن توفي فيها : أبو بكر بن أبي عاصم صاحب السنة والمصنفات وهو :

أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك

ابن مخلد النبيل ، له مصنفات في الحديث كثيرة ، منها : كتاب السنة في أحاديث الصفات على طريق السلف ، وكان حافظا، قد ولي قضاء أصبهان بعد صالح بن الإمام أحمد ، وقد طاف البلاد قبل ذلك في طلب الحديث ، وصحب أبا تراب النخشبي وغيره من مشايخ الصوفية ، وقد اتفق له مرة كرامة هائلة. كان هو واثنان من كبار الصالحين في سفر فنـــزلوا على رمل أبيض ، فجعل أبو بكر هذا يقلبه بيده، ويقول : اللهم ارزقنا خبيصاً [1] بلون هذا . فلم يكن بأسرع من أن أقبل أعرابي وبيده قصعة فيها خبيص بلون ذلك الرمل وفي بياضه ، فأكلوا منه وكان يقول : لا أحب أن يحضر مجلسي مبتدع ولا مدع ولا طعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء ، ولا منحرف عن الشافعي وأصحاب الحديث توفي في هذه السنة بأصبهان. وقد رآه بعضهم بعد وفاته وهو يصلي فلما انصرف قال: ما فعل بك ؟ فقال : يؤنسني ربي عزّ وجلّ .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائتين

اتفق في هذه السنة آفات ومصائب عديدة منها أن الروم قصدوا بلاد الرقة في جحافل عظيمة وعساكر من البحر والبر ، فقتلوا خلقًا وأسروا نحوًا من خمسة عشر ألفا من الذرية ومنها أن بلاد أذربيجان أصاب أهلها وباء شديد حتى لم يبق أحد يقدر على دفن الموتى فتركوا في الطرق لا يوارون . ومنها أن بلاد أردبيل أصابها ريح شديدة من بعد العصر إلى ثلث الليل ثم زلزلوا زلزالا شديداً ، واستمر ذلك عليهم أيامًا فتهدمت الدور والمساكن وخسف بآخرين منهم، وكان جملة من مات تحت الهدم مائة ألف وخمسين ألفاً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وفيها اقترب القرامطة من البصرة فخاف أهلها منهم خوفا شديدًا ، وهموا بالرحيل منها فمنعهم نائبها فيها توفي من الأعيان. :

بشر بن موسى بن صالح أبو علي الأسدي

ولد سنة تسعين ومائة ، وسمع من روح بن عبادة حديثا واحدا ، وسمع الكثير من هودة بن خليفة، والحسن بن موسى الأشيب، وأبي نعيم، وعلي بن الجعد، والأصمعي وغيرهم ، وعنه ابن

---

(١) الخبيص : حلواء تتخذ من تمر وسمن يخلطان ويخبصان .

المنادى، وابن مخلد، وابن صاعد، والنجاد، وأبو عمرو الزاهد، والخلدي، والسلمي، وأبو بكر الشافعي، وابن الصواف، وغيرهم . وكان ثقة أميناً حافظاً ، وكان من البيوتات، وكان الإمام أحمد يكرمه .

ومن شعره :

ضعفتُ ومَنْ جاز الثمانين يضعفُ وينكـرُمنه كـلُّ ما كـانَ يعرفُ
ويمشي رويدًا [1] كالأسيرِ مُقيّدًا يداني خطاهُ في الحديدِ ويرسـفُ

ثابت بن قرة بن هارون

ويقال : ابن زهرون بن ثابت بن كدام بن إبراهيم الصابئي الفيلسوف الحراني صاحب التصانيف ، من جملتها أنه حرر كتاب إقليدس الذي عربه حنين بن إسحاق العبادي . وكان أصله صوفيا بحران، فترك ذلك، واشتغل بعلم الأوائل ، فنال منه رتبة سامية عند أهله ، ثم صار إلى بغداد فعظم شأنه بها ، وكان يدخل مع المنجمين على الخليفة وهو باق على دين الصابئة. وحُفَيْدَةُ ثابت بن سنان له تاريخ أجاد فيه وأحسن ، وكان بليغا ماهرا حاذقا بالغا . وعمه إبراهيم بن ثابت بن قرة كان طبيباً بارعاً عارفا أيضا . وقد سردهم كلهم في هذه الترجمة القاضي ابن خلكان رحمه الله الحسن بن عمرو بن الجهم أبو الحسن الشيعي — من شيعة المنصور لا من الروافض — حدث عن علي بن المديني ، وحكى عن بشر الحافي. وعنه أبو عمرو ابن السماك عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير المعتضد ، كان حظيا عنده ، وقد عزّ عليه موته وتألم لفقده وأهمه من يجعله في مكانه بعده ، فعقد لولده القاسم بن عبيد الله على الوزارة من بعد أبيه جبراً لمصابه به. وأبو القاسم عثمان بن سعيد بن بشار المعروف بالأنماطي أحد كبار الشافعية. وقد ذكرناه في طبقاتهم. وهارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى أبو موسى الهاشمي إمام الناس في الحج عدة سنين متوالية ، وقد سمع وحدث توفي بمصر في رمضان من هذه السنة .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائتين

فيها عاثت القرامطة بسواد الكوفة، فظفر بعض العمال بطائفة منهم، فبعث برئيسهم إلى المعتضد وكان يقال له : أبو الفوارس ، فنال من العباس بين يدي الخليفة، فأمر به فقلعت أضراسه وخلعت يداه، ثم قطعتا مع رجليه ، ثم قتل وصلب ببغداد . وفيها قصدت القرامطة دمشق في جحفل عظيم فقاتلهم نائبها طغج بن جف من جهة هارون بن خمارويه ، فهزموه مرات متعددة ، تفاقم الحال بينهم ، وكان ذلك بسفارة يحيى بن زكرويه بن بهرويه الذي ادعى عند القرامطة أنه محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ، وقد كذب في ذلك، وزعم لهم أنه قد اتبعه على أمره مائة ألف ، وأن ناقته

---

(١) رويدا : مهلا.القاموس .

مأمورة حيث ما توجهت به نصر على أهل تلك الجهة. فراج ذلك عندهم ولقبوه الشيخ ، واتبعه طائفة من بني الأصبغ وسموا بالفاطميين . وقد بعث إليهم الخليفة جيشاً كثيفاً فهزموه ثم اجتازوا بالرصافة فأحرقوا جامعها ، ولم يجتازوا بقرية إلا نهبوها ولم يزل ذلك دأبهم حتى وصلوا إلى دمشق فقاتلهم نائبها فهزموه مرات وقتلوا من أهلها خلقا كثيرا وانتهبوا من أموالها شيئاً كثيرا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وفي هذه الحالة الشديدة اتفق موت الخليفة المعتضد بالله في ربيع الأول منها .

الخليفة المعتضد

هو أحمد بن الأمير أبي أحمد الموفق الملقب بناصر دين الله ، واسم أبي أحمد : محمد ، وقيل: طلحة بن جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد أبو العباس أمير المؤمنين الخليفة المعتضد بالله . ولد في سنة اثنتين وقيل : ثلاث وأربعين ومائتين ، وأمه أم ولد وكان أسمر نحيف الجسم معتدل القامة ، قد وخطه الشيب في مقدم لحيته طول ، وفي رأسه شامة بيضاء . بويع له بالخلافة صبيحة يوم الاثنين إحدى عشرة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين ، واستوزر عبيد الله بن سليمان بن وهب ، وولى القضاء إسماعيل بن إسحاق ، ويوسف بن يعقوب ، وابن أبي الشوارب . وكان أمر الخلافة قد ضعف في أيام عمه المعتمد فلما ولي المعتضد أقام شعارها ورفع منارها ، وكان شجاعا فاضلا من رجالات قريش حزما وجرأة وإقداماً وحزمة. وكذلك كان أبوه .

وقد أورد ابن الجوزي بإسناده أن المعتضد اجتاز في بعض أسفاره بقرية فيها مقثاة فوقف صاحبها صائحا مستصرخًا بالخليفة ، فاستدعى به فسأله عن أمره. فقال : إن بعض الجيش أخذوا لي شيئا من القثاء وهم من غلمانك . فقال : أتعرفهم ؟. فقال نعم . فعرضهم عليه فعرف منهم ثلاثة، فأمر الخليفة بتقييدهم وحبسهم فلما كان الصباح نظر الناس ثلاثة أنفس مصلوبين على جادة [1] الطريق ، فاستعظم الناس ذلك واستنكروه وعابوا ذلك على الخليفة وقالوا : قتل ثلاثة بسبب قثاء أخذوه . فلما كان بعد قليل أمر الخواص — وهو مسامره — أن ينكر عليه ذلك ويتلطف في مخاطبته في ذلك والأمراء حضور ، فدخل عليه ليلة وهو عزم على ذلك ففهم الخليفة ما في نفسه من كلام يريد أن يبديه ، فقال له : إني أعرف أن في نفسك كلاماً فما هو ؟. فقال : يا أمير المؤمنين وأنا آمن ؟ قال : نعم . قلت له : فإن الناس ينكرون عليك تسرعك في سفك الدماء . فقال : والله ما سفكت دما حراماً منذ وليت الخلافة إلا بحقه. فقلت له : فعلام قتلت أحمد بن الطيب وقد كان خادمك ولم يظهر له جناية؟ فقال : ويحك إنه دعاني إلى الإلحاد والكفر بالله فيما بيني وبينه ، فلما دعاني إلى ذلك قلت له :

---

(١) جادة الطريق : وسطه .

يا هذا أنا ابن عم صاحب الشريعة ، وأنا منتصب في منصبه فأكفر حتى أكون من غير قبيلته فقتلته على الكفر والزندقة. فقلت له : فما بال الثلاثة الذين قتلتهم على القثاء ؟. فقال : والله ما كان هؤلاء الذين أخذوا القثاء ، وإنما كانوا لصوصاً قد قتلوا وأخذوا المال فوجب قتلهم ، فبعثت فجئت بهم من السجن فقتلتهم وأريت الناس أنهم الذين أخذوا القثاء ، وأردت بذلك أن أرهب الجيش لئلا يفسدوا في الأرض ويتعدوا على الناس ويكفوا عن الأذى . ثم أمر بإخراج أولئك الذين أخذوا القثاء فأطلقهم بعدما استتابهم وخلع عليهم وردهم إلى أرزاقهم.

قال ابن الجوزي : وخرج المعتضد يومًا فعسكر بباب الشماسية ونهى أن يأخذ أحد من بستان أحد شيئا ، فأتى بأسود قد أخذ عذقا من بسر [1] فتأمله طويلا ثم أمر بضرب عنقه ، ثم التفت إلى الأمراء فقال : العامة ينكرون هذا ويقولون : إن رسول الله ﷺ قال : « **لا قطع في ثمر ولا كثر** » [2] ولم يكفه أن يقطع يده حتى قتله ، وإني لم أقتل هذا على سرقته ، وإنما هذا الأسود رجل من الزنج كان قد استأمن في حياة أبي، وإنه تقاول هو ورجل من المسلمين فضرب المسلم فقطع يده فمات المسلم ، فأهدر أبي دم الرجل المقتول تأليفا للزنج، فآليت على نفسي لئن أنا قدرت عليه لأقتلنه ، فما قدرت عليه إلا هذه الساعة فقتلته بذلك الرجل.

وقال أبو بكر الخطيب : أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب حدثنا محمد بن نعيم الضبي سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول : سمعت أبا العباس بن سريج يقول : سمعت إسماعيل بن إسحاق القاضي يقول: دخلت على المعتضد وعلى رأسه أحداث روم صباح الوجوه ، فنظرت إليهم فرآني المعتضد وأنا أتأملهم فلما أردت القيام أشار إلي فمكثت ساعة فلما خلا. قال لي : أيها القاضي والله ما حللت سراويلي على حرام قط . وروى البيهقي عن الحاكم عن حسان بن محمد عن ابن سريج القاضي إسماعيل بن إسحاق قال أبو داود : الكثر . الجمار قال : دخلت يومًا على المعتضد فدفع إلي كتابا فقرأته فإذا فيه الرخص من زلل العلماء قد جمعها له بعض الناس — فقلت : يا أمير المؤمنين إنما جمع هذا زنديق. فقال : كيف ؟ فقلت : إن من أباح المتعة لم يبح الغناء ، ومن أباح الغناء لم يبح إضافته إلى آلات اللهو ، ومن جمع زلل العلماء ثم أخذ بها ذهب دينه. فأمر بتحريق ذلك الكتاب. وروى الخطيب بسنده عن صافي الجرمي الخادم قال: انتهى المعتضد وأنا بين يديه إلى منـــزل شغث وابنه المقتدر جعفر

---

(١) عذقاً من بسر : العذق عنقود النخل .

(٢)صحيح : رواه أحمد (٣ /٤٦٣و٤٦٤و٤/١٤٠و١٤٢) وأبو داود (٤٣٨٨و٤٣٨٩) والنسائى (٨/٨٧، ٨٨) والشافعى (٢ / ٨٤) والحميدى (٤٠٧) والدارمى (٢/ ١٧٤) وابن ماجه (٢٥٩٣) والترمذى (١٤٤٩) والطبرانى فى " الكبير " (٤٣٣٩-٤٣٥١)والطحاوى (٣/١٧٢) وابن الجارود (٨٢٦) والبيهقى (٨/٢٦٢و٢٦٣) وابن حبان (٤٤٦٦ - إحسان) وعبد الرزاق (١٨٩١٦ و١٨٩١٧) والبغوى فى " شرح السنة " (٢٦٠٠) من عدة طرق عن رافع بن حريج . وانظر "الإرواء" (٢٤١٤)

جالس فيه وحوله نحو من عشرة من الوصائف ، والصبيان من أصحابه في سنه عنده ، وبين يديه طبق من فضة فيه عنقود عنب ، وكان العنب إذ ذاك عزيزاً جدا ، وهو يأكل عنبة واحدة ثم يفرق على أصحابه من الصبيان كل واحد عنبة فتركه المعتضد، وجلس ناحية في بيت مهمومًا. فقلت له : ما لك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ويحك والله لولا النار والعار لأقتلن هذا الغلام ، فإن في قتله صلاحا للأمة . فقلت : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من ذلك. فقال : ويحك يا صافي هذا الغلام في غاية السخاء لما أراه يفعل مع الصبيان فإن طباع الصبيان تأبى الكرم ، وهذا في غاية الكرم وإن الناس من بعدي لا يولون عليهم إلا من هو من ولدي ، فسيلي عليهم المكتفي ثم لا تطول أيامه لعلته التي به ـــ وهي داء الخنازير ـــ ثم يموت فيلي الناس جعفر هذا الغلام فيذهب جميع أموال بيت المال إلى الحظايا لشغفه بهن ، وقرب عهده من تشببه بهن ، فتضيع أمور المسلمين وتعطل الثغور وتكثر الفتن والهرج والخوارج والشرور . قال صافي : فوالله لقد شاهدت ما قاله سواء بسواء .

وروى ابن الجوزي عن بعض خدم المعتضد. قال: كان المعتضد يوما نائما وقت القائلة[1] ونحن حول سريره. فاستيقظ مذعوراً ثم صرخ بنا فجئنا إليه، فقال : ويحكم اذهبوا إلى دجلة فأول سفينة تجدوها فارغة منحدرة فاتوني بملاحها واحتفظوا بالسفينة . فذهبنا سراعا فوجدنا ملاحا في سميرية [2] فارغة منحدرا فأتينا به الخليفة فلما رأى الملاح الخليفة كاد أن يتلف ، فصاح به الخليفة صيحة عظيمة فكادت روح الملاح تخرج، فقال له الخليفة : ويحك يا ملعون ، اصدقني عن قصتك مع المرأة التي قتلتها اليوم وإلا ضربت عنقك. قال فتعلثم ثم قال : نعم يا أمير المؤمنين كنت اليوم سحرًا في مشرعتي الفلانية ، فنـــزلت امرأة لم أر مثلها وعليها ثياب فاخرة وحلي كثير وجوهر ، فطمعت فيها واحتلت عليها فشددت فاها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها من الحلي والثياب ، وخشيت أن أرجع به منـــزلي فيشتهر خبرها ، فأردت الذهاب به إلى واسط فلقيني هؤلاء الخدم، فأخذوني. فقال : وأين حليها ؟. فقال : في صدر السفينة تحت البواري فأمر الخليفة عند ذلك بإحضار الحلي فجيء به فإذا هو حلي كثير يساوي أموالا كثيرة ، فأمر الخليفة بتغريق الملاح في المكان الذي غرق فيه المرأة ، وأمر أن ينادى على أهل المرأة ليحضروا حتى يتسلموا مال المرأة. فنادى بذلك ثلاثة أيام في أسواق بغداد وأزقتها، فحضروا بعد ثلاثة أيام فدفع إليهم ما كان من الحلي وغيره مما كان للمرأة ، ولم يذهب منه شيء. فقال له خدمه : يا أمير المؤمنين من أين علمت هذا ؟ قال : رأيت في نومي تلك الساعة شيخا أبيض الرأس واللحية والثياب، وهو ينادي : يا أحمد يا أحمد ، خذ

---

(١) القائلة : النوم وقت الظهيرة عند اشتداد الحر كما في اللسان .

(٢) السميرية : ضرب من السفن كما في مختار الصحاح .

أول ملاح ينحدر الساعة، فاقبض عليه، وقرره عن خبر المرأة التي قتلها اليوم، وسلبها فأقم عليه الحد فكان ما شاهدتم .

وعن جعيف السمرقندي الحاجب : كنت مع مولاي المعتضد في بعض متصيداته وقد انقطع عن العسكر وليس معه غيري ، إذ خرج علينا أسد فقصد قصدنا. فقال لي المعتضد: يا جعيف أفيك خير اليوم ؟. قلت: لا والله. قال: ولا أن تمسك فرسي وأنزل أنا ؟. فقلت: بلى. قال: فنـزل عن فرسه فامستكتها وغرز أطراف ثيابه في منطقته واستل سيفه ورمى بقرابه إلي. ثم تقدم إلى الأسد فوثب الأسد عليه، فضربه المعتضد بالسيف فأطار يده، فاشتغل الأسد بيده، فضربه ثانية على هامته ففلقها ، فخر الأسد صريعا فدنا منه، فمسح سيفه في صوفه ثم أقبل إلي فأغمد سيفه في قرابه ، ثم ركب فرسه ثم عدنا إلى العسكر . قال : وصحبته إلى أن مات فما سمعته ذكر ذلك لأحد ، فما أدرى من أي شيء أعجب ؟. أمن شجاعته أم من عدم احتفاله بذلك حيث لم يذكره لأحد ؟ أم من عدم عتبه عليَ حيث ضننت بنفسي عنه ؟ والله ما عاتبني في ذلك قط .

وروى ابن عساكر عن أبي الحسين النوري أنه احتاز بزورق فيه خمر مع ملاح ، فقال : ما هذا ؟، ولمن هذا ؟. فقال له: هذه خمر المعتضد فصعد أبو الحسين إليها فجعل يضرب الدنان بعمود في يده حتى كسرها كلها سوى واحد تركه واستغاث الملاح. فجاءت الشرطة، فأخذوا أبا الحسين، فأوقفوه بين يدي المعتضد فقال له : ما أنت ؟ فقال أنا المحتسب. فقال : ومن ولاّك الحسبة ؟. فقال : الذي ولاّك الخلافة يا أمير المؤمنين، فأطرق رأسه ثم رفعها. فقال : ما الذي حملك على ما فعلت ؟. فقال : شفقة عليك لدفع الضرر عنك. فأطرق رأسه ثم رفعه، فقال : ولأي شيء تركت منها دنا واحداً لم تكسره ؟. فقال : لأني إنما أقدمت عليها فكسرتها إجلالا لله تعالى ، فلم أبال أحداً حتى انتهيت إلى هذا الدن دخل نفسي إعجاب من قبيل أني قد أقدمت على مثلك فتركته ، فقال له المعتضد : اذهب فقد أطلقت يدك فغيّر ما أحببت أن تغيّره من المنكر. فقال له النوري : الآن انتقض عزمي عن التغيير، فقال : ولم ؟. فقال : لأني كنت أغير عن الله ، وأنا الآن أغير عن شرطي . فقال : سل حاجتك. فقال : أحب أن تخرجني من بين يديك سالما فأمر به فأخرج فصار إلى البصره ، فأقام بها مختفيا خشية أن يشق عليه أحد في حاجة عند المعتضد. فلما توفي المعتضد رجع إلى بغداد .

وذكر القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي عن شيخ من التجار قال: كان لي على بعض الأمراء مال كثير فماطلني ومنعني حقي ، وجعل كلما جئت أطالبه حجبني عنه، ويأمر غلمانه يؤذونني، فاشتكيت عليه إلى الوزير فلم يفد ذلك شيئاً ، وإلى أولياء الأمر من الدولة فلم يقطعوا منه شيئاً ، وما زاده ذلك إلا منعا وجحودا : فأيست من المال الذي عليه ودخلني هم من جهته ، فبينما أنا كذلك وأنا حائر إلى من أشتكي إذ قال لي رجل : ألا تأتي

فلانا الخياط ـــ إمام مسجد هناك ـــ فقلت : وما عسى أن يصنع خياط مع هذا الظالم وأعيان الدولة لم يقطعوا فيه ؟ فقال لي : هو أقطع وأخوف عنده من جميع من اشتكيت إليه ، فاذهب إليه لعلك أن تجد عنده فرجاً. قال : فقصدته غير محتفل في أمره ، فذكرت له حاجتي ومالي وما لقيت من هذا الظالم فقام معي فحين عاينه الأمير قام إليه وأكرمه واحترمه وبادر إلى قضاء حقي الذي عليه فأعطانيه كاملا من غير أن يكون منه إلى الأمير كبير أمر ، غير أنه قال له : ادفع إلى هذا الرجل حقه وإلا أذنت . فتغير لون الأمير ودفع إليّ حقي .

وقال التاجر: فعجبت من ذلك الخياط مع رثاثة حاله وضعف بنيته كيف انطاع ذلك الأمير له؟، ثم إني عرضت عليه شيئاً من المال فلم يقبل مني شيئا ، وقال: لو أردت هذا لكان لي من الأموال مالا يحصى . فسألته عن خبره وذكرت له تعجبي منه وألححت عليه فقال : إن سبب ذلك أنه كان عندنا في جوارنا أمير تركي من أعالي الدولة ، وهو شاب حسن فمر به ذات يوم امرأة حسناء قد خرجت من الحمام وعليها ثياب مرتفعة ذات قيمة ، فقام إليها وهو سكران فتعلق بها يريدها على نفسها ليدخلها منـــزله ، وهي تأبى عليه وتصيح بأعلى صوتها: يا مسلمين أنا امرأة ذات زوج ، وهذا رجل يريدني على نفسي ويدخلني منـــزله ، وقد حلف زوجي بالطلاق أن لا أبيت في غير منـــزله ، ومتى بت ها هنا طلقت منه ولحقني بسبب ذلك عار لا تدحضه الأيام ولا تغسله المدامع . قال الخياط : فقمت إليه فأنكرت عليه وأردت خلاص المرأة من يديه فضربني بدبوس في يده فشج رأسي ، وغلب المرأة على نفسها وأدخلها منـــزله قهراً ، فرجعت أنا فغلست الدم عني وعصبت رأسي وصليت بالناس العشاء ثم قلت للجماعة : إن هذا قد فعل ما قد فعل فقوموا معي إليه لننكر عليه ونخلص المرأة منه ، فقام الناس معي فهجمنا عليه داره فثار إلينا في جماعة من غلمانه بأيديهم العصي والدبابيس يضربون الناس ، وقصدني هو من بين الناس فضربني ضربا شديداً مبرحاً حتى أدماني ، وأخرجنا من منـــزله ونحن في غاية الإهانة ، فرجعت إلى منـــزلي وأنا لا أهتدي إلى الطريق ، من شدة الوجع وكثرة الدماء فنمت على فراشي فلم يأخذني نوم ، وتحيرت ماذا أصنع حتى أنقذ المرأة من يده في الليل لترجع فتبيت في منـــزلها حتى لا يقع على زوجها الطلاق ، فألهمت أن أؤذن الصبح في أثناء الليل لكي يظن أن الصبح قد طلع فيخرجها من منـــزله فتذهب إلى منـــزل زوجها ، فصعدت المنارة وجعلت أنظر إلى باب داره وأنا أتكلم على عادتي قبل الأذان هل أرى المرأة قد خرجت. ثم أذنت فلم تخرج ، ثم صممت على أنه إن لم تخرج أقمت الصلاة حتى يتحقق الصباح ، فبينا أنا أنظر هل تخرج المرأة أم لا؟، إذ امتلأت الطريق فرسانا ورجالة ، وهم يقولون : أين الذي أذن هذه الساعة ؟. فقلت : ها أنا ذا ، وأنا أريد أن تعينوني عليه، فقالوا : انزل فنـــزلت فقالوا : أجب أمير المؤمنين فأخذوني وذهبوا بي لا أملك من نفسي شيئا حتى أدخلوني عليه ، فلما رأيته جالسا في مقام الخلافة ارتعدت من الخوف وفزعت فزعا شديداً ،

فقال : ادن ، فدنوت، فقال لي : ليسكن روعك وليهدأ قلبك وما زال يلاطفني حتى اطمأننت وذهب خوفي ، فقال : أأنت الذي أذنت هذه الساعة ؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين فقال: ما حملك على أن أذنت هذه الساعة ، وقد بقي من الليل أكثر مما مضى منه ؟ فتغر بذلك الصوام والمسافر والمصلي وغيرهم ، فقلت : يؤمنني أمير المؤمنين حتى أقص عليه خبري ؟ فقال : أنت آمن فذكرت له القصة قال: فغضب غضباً شديداً وأمر بإحضار ذلك الأمير والمرأة من ساعته على أي حالة كانا، فأحضرا سريعا، فبعث بالمرأة إلى زوجها مع نسوة من جهته ثقات ومعهن ثقة من جهته أيضا ، وأمره أن يأمر زوجها بالعفو والصفح عنها والإحسان إليها ، فإنها مكرهة ومعذورة . ثم أقبل على ذلك الشاب الأمير. فقال له : كم لك من الرزق ؟ وكم عندك من المال ؟ وكم عندك من الجوار والزوجات ؟ فذكر له شيئاً كثيراً. فقال له : ويحك أما كفاك ما أنعم الله به عليك حتى انتهكت حرمة الله وتعديت حدوده وتجرأت على السلطان ، وما كفاك ذلك أيضاً حتى عمدت إلى رجل أمرك بالمعروف ونهاك عن المنكر فضربته وأهنته وأدميته ؟ فلم يكن له جواب فأمر به فجعل في رجله قيد وفي عنقه غلّ ثم أمر به فأدخل في جوالق ثم أمر به فضرب بالدبابيس ضربا شديدًا حتى خفت ، ثم أمر به فألقي في دجله فكان ذلك آخر العهد به. ثم أمر بدراً صاحب الشرطة أن يحتاط على ما في داره من الحواصل والأموال التي كان يتناولها من بيت المال بغير حلها ، ثم قال لذلك الرجل الصالح الخياط : كلما رأيت منكراً صغيراً كان أو كبيراً ولو على هذا — وأشار إلى صاحب الشرطة — فأعلمني، فإن اتفق اجتماعك بي وإلا فعلي ما بيني وبينك الأذان، فأذن في أي وقت كان أوفي مثل وقتك هذا . قال : فلهذا لا آمر أحداً من هؤلاء الدولة بشيء إلا امتثلوه ، ولا أنهاهم عن شيء إلا تركوه خوفا من المعتضد . وما احتجت أن أؤذن في مثل تلك الساعة إلى الآن .

وذكر الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب قال : كنت يوماً عند المعتضد وخادم واقف على رأسه يذب عنه بمذبة في يده إذ حَرَكَتْها فجاءت في قلنسوة الخليفة فسقطت عن رأسه، فأعظمت أنا ذلك جداً وخفت من هول ما وقع، ولم يكترث الخليفة لذلك ، بل أخذ قلنسوته فوضعها على رأسه ثم قال لبعض الخدم : مر هذا البائس ليذهب لراحته فإنه قد نعس، وزيدوا في عدة من يذب بالنوبة . قال الوزير : فأخذنا في الثناء على الخليفة والشكر له على حلمه، فقال : إن هذا البائس لم يتعمد ما وقع منه وإنما نعس، وليس العتاب والمعاتبة إلا على المتعمد لا على المخطئ والساهي . وقال جعيف السمرقندي الحاجب : لما جاء الخبر إلى المعتضد بموت وزيره عبيد الله بن سليمان خر ساجداً طويلا، فقيل له : يا أمير المؤمنين : لقد كان عبيد الله يخدمك وينصح لك، فقال : إنما سجدت شكراً لله أني لم أعزله ولم أوذه . وقد كان ابن سليمان حازم الرأي قويا، وأراد أن يولي مكانه أحمد بن محمد ابن الفرات فعدل به بدر صاحب الشرطة عنه وأشار عليه بالقاسم بن عبيد الله فسفه رأيه فألح عليه فولاه وبعث إليه يعزيه في أبيه

ويهنيه بالوزارة، فما لبث القاسم بن عبيد الله حتى ولي المكتفي الخلافة من بعد أبيه المعتضد وحتى قتل بدراً . وكان المعتضد ينظر إلى ما بينهما من العداوة من وراء ستر رقيق، وهذه فراسة عظيمة وتوسم قوي . وقد رفع يوماً إلى المعتضد قوما يجتمعون على المعصية فاستشار وزيره في أمرهم، فقال : ينبغي أن يصلب بعضهم ويحرق بعضهم، فقال : ويحك لقد بردت لهب غضبي عليهم بقسوتك، أما علمت أن الرعية وديعة الله عند سلطانها، وأنه سائله عنها؟ ولم يقابلهم بما قال الوزير ولهذه النية لما ولي الخلافة كان بيت المال صفراً من المال وكانت الأحوال فاسدة، والعرب تعيث في الأرض فسادا في كل جهة، فلم يزل برأيه وتدبيره حتى كثرت الأموال وصلحت الأحوال في سائر الأقاليم والآفاق . ومن شعره في جارية له توفيت فوجد [1] عليها :

يا حبيبا لم يكنْ يعـ دله عندي حبيبُ
أنتَ عن عيني بعيدٌ ومنَ القلبِ قريبُ
ليسَ لي بعدكَ في شيء منَ اللهو نصيبُ
لكَ منْ قلبي على قلبي وإن غبت رقيبُ
وحياتي منك مذ غبـ تَ حياة لا تطيبُ
لو تراني كيف لي بَعْـ دَكَ عول ونحيبُ
وفؤادي حشوه من حرق الحزن لهيبُ
ما أرى نفسي وإن طيـ بتها عنك تطيبُ
ليس دمع لي يعصيـ ني وصبري ما يجيبُ

وقال فيها أيضا :

لم أبكِ للدارِ ولكنْ لِمَنْ قدْ كانَ فيها مرَّةً ساكنا
فخانني الدهرُ بفقْدانه وكنتُ من قبلُ لهُ آمنا
ودَّعتُ صبري عند توديعه وبانَ قلبي منه ظاعنا

وقد بعث إليه ابن المعتز يعزيه ويسليه عن مصيبته فيها :

يا إمامَ الهدى حياتكُ طالت وعشت أنت سليما
أنت علّمتنا على النعم الشكر وعند المصائب التسليما
فتسلى عن ما مضى وكان التي كانتْ سرورا صارت ثوابا عظيما
قد رضينا بأن نموتَ وتحيى إن عندي في ذاكَ حظًّا جسيما
مَنْ يمتْ طائعًا لمولاه فقد اغطي فوزًا وماتَ موتًا كريما

---

(١) وجد : حزن .

وقد رثى أبو العباس عبد الله بن المعتز العباسي بن عمر المعتضد مرثاة حسنة يقول فيها :

يا دهرُ ويحكَ ما أبقيتَ أحدًا ... وأنتَ والدُ سوء أكل الولدا
أستغفرُ اللهَ بل ذا كله قدرُ ... رضيتُ بالله ربًّا واحدًا صمدا
يا ساكنَ القبرِ في غبراء مظلمة ... بالظاهرية مقص الدارِ منفردا
أينَ الجيوشُ التي قد كنتَ تشحنها ؟ ... أينَ الكنوزُ التي لم تحصها عددا ؟
أينَ السريرُ الذي قد كنتَ تملؤُهُ ... مهابةً من رأتهُ عينهُ ارتعدا ؟
أين القصورُ التي شيّدتَها فعلت ... ولاح فيها سنا الإبريز فاتّقدا ؟
قد أتعبوا كلَّ مرقال مذكرة ... وجناءَ تنثرُ من أشداقها الزبدَا
أينَ الأعادي الألي ذَلّلتَ صعبهم ؟ ... أين الليوثُ التي صيرتَها نقدا ؟
أينَ الوفودُ على الأبواب عاكفةً ... وِرْدَ القطا صفرَ ما جالَ واطردا ؟
أينَ الرجالُ قياما في مراتبهم ... من راح منهم ولم يطمرْ فقد سعدا ؟
أين الجيادُ التي قد حجّلتها بدم ... وكنَ يحملْنَ منك الضيغمَ الأسدا ؟
أينَ الرماحُ التي غذّيتَها مهجًا ؟ ... مُذ متَّ ما وردْت قلبًا ولا كبدا
أين السيوفُ؟ وأين النبلُ مرسلةً ... يصبن من شئت من قرب وإن بعدا ؟
أين المجانيقُ أمثالُ السيول إذا ... رمين حائط حسن قائم قعدا ؟
أين الفعالُ التي قد كنت تبدعها ... ولا ترى أنّ عفواً نافعاً أبدا ؟
أين الجنانُ التي تجري جداولُها ... وتستجيبُ إليها الطائرُ الغردا ؟
أين الوصائفُ كالغزلان رائحة ... يسحبن من حللٍ موشية جددا ؟
أين الملاهي؟ وأين الراحُ تحسبُها ... ياقوتةً كسيتْ مِنْ فضة زردا ؟
أين الوثوبُ إلى الأعداء مبتغيا ... صلاحَ ملكِ بني العباس إذ فسدا ؟
ما زلتَ تقسرُ منهم كلَّ قسورة ... وتحطم العاتي الجبار معتمدا
ثم انقضيتَ فلا عينٌ ولا أثرُ ... حتى كأنّك يوما لمْ تكنْ أحدا
لا شيء يبقى سوى خيرٍ تقدّمُه ... ما دام ملكُ لإنسانٍ ولا خلدا

ذكرها ابن عساكر في تاريخه . واجتمع ليلة عند المعتضد ندماؤه فلما انقضى السمر وصار إلى حظاياه ونام القوم السمار نبههم من نومهم خادم. وقال : يقول لكم أمير المؤمنين : إنه أصابه أرق بعدكم وقد عمل بيتا أعياه ثانيه فمن عمل ثانيه فله جائزة وهو هذا البيت :

ولّما انتبهْنا لِلخيالِ الذي سرى ... إذا الدار قفْرٌ والمزارُ بعيد

قال : فجلس القوم من فرشهم يفكرون في ثانيه فبدر واحد منهم فقال :

فقلتُ لعيني: عاودي النومَ واهجعي لعـــلَّ خَيالاً طارقــاً سَيَعـــودُ

قال : فلما رجع الخادم به إلى المعتضد وقع منه موقعاً جيداً وأمر له بجائزة سنية، واستعظم المعتضد يوما من بعض الشعراء قول الحكيم بن منير المازني البصري:

لهفي على من أطارَ النومَ فامتنعـــا وزادَ قلبي عـــلى أوجـــاعه وجعًا
كأنما الشمسُ من أعطافه طلعـــتْ حسنًا أو البدر من أردانه [1] طلعـــا
في وجهه شافعٌ يمحو إســاءته من القلوب وجيها حيث ما شفعـــا

ولما كان في ربيع الأول من هذه السنة ، اشتد وجع المعتضد فاجتمع رؤوس الأمراء مثل يونس الخادم وغيره إلى الوزير القاسم بن عبيد الله فأشاروا بأن يجتمع الناسُ لتحديد البيعة للمكتفي بالله بن المعتضد بالله، ففعل ذلك وتأكدت العهد وكان في ذلك خير كثير وحين حضرت المعتضد الوفاة أنشد لنفسه :

تمتّع من الدنيا فإنّكَ لا تبــــقى وخُذْ صفوها ما إن صفت ودع الرنقا[2]
ولا تأمنن الدهرَ إني ائتمنتــــه فلم يبقَ لي حـــالا ولم يـــرعَ لي حقا
قتلـــتُ صناديدَ الرجالِ فلم أدعْ عـــدوا ولم أمهلْ على خلق خلقا
وأخْلَيْتُ دارَ الملك من كـــل نازعٍ فشردتُهم غـــربا ومزقتهـــم شرقا
فلمّا بلغتُ النجمَ عـــزًّا ورفعـــةً وصارتْ رقابُ الخلق لي أجمـــع رقّا
رماني الردى سهماً فأخمـــد جمرتي فها أنا ذا في حفرتي عاجلاً ألقـــى
ولم يغنِ عني ما جمعتُ ولم أجـــدْ لدى ملك إلا حَباني حُبُّهـــا رفقا
وأفسدْتُ دنياي وديني سفاهـــةً فمن ذا الذي مثلي بمصْرَعَه أشـــقى
فيا ليتَ شعري بعدَ موتي هل أُصرْ إلى نعمة الله أم في نـــاره أُلقى ؟

وكانت وفاته ليلة الاثنين لثمان بقين من ربيع الأول من هذه السنة . ولم يبلغ الخمسين . وكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما، وخلف من الأولاد الذكور: عليًّا المكتفي، وجعفر المقتدر، وهارون . ومن البنات : إحدى عشر بنتا . ويقال : سبع عشرة بنتا. وترك في بيت المال سبعة عشر ألف ألف دينار . وكان يمسك عن صرف الأموال في غير وجهها، فلهذا كان بعض الناس من يبخّله ، ومن الناس من يجعله من الخلفاء الراشدين المذكورين في الحديث، حديث جابر بن سمرة فالله أعلم .

خلافة المكتفي بالله أبي محمد

علي بن المعتضد بالله أمير المؤمنين رحمه الله تعالى . بويع له بالخلافة عند موت أبيه. وفي ربيع الأول من هذه السنة، وليس في الخلفاء من اسمه علي سوي هذا، وعلي بن أبي طالب :

(١) أردانه : جمع : ردن : الأكمام .
(٢) الرنق : الكدر .

وليس فيهم من يكنى بأبي محمد إلا هو والحسن بن علي بن أبي طالب والهادي، والمستضيء بالله. وحين ولي المكتفي كثرت الفتن وانتشرت في البلاد . وفي رجب منها زلزلت الأرض زلزلة عظيمة جداً، وفي رمضان منها تساقط وقت السحر من السماء نجوم كثيرة و لم يزل الأمر كذلك حتى طلعت الشمس. ولما أفضت الخلافة إليه كان بالرقة، فكتب إليه الوزير وأعيان الأمراء فركب فدخل بغداد في يوم مشهود، وذلك يوم الاثنين لثمان خلون من جمادى الأولى. وفي هذا اليوم أمر بقتل عمرو بن الليث الصفار ــ وكان معتقلا في سجن أبيه ــ وأمر بتخريب المطامير التي كان اتخذها أبوه للمسجونين وأمر ببناء جامع مكانها وخلع في هذا اليوم على الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ست خلع وقلّده سيفا، وكان عمره يومئذ خمسا وعشرين سنة وبعض أشهر .

وفيها: انتشرت القرامطة في الآفاق وقطعوا الطريق على الحجيج، وتسمى بعضهم بأمير المؤمنين . فبعث المكتفي إليهم جيشا كثيراً وأنفق فيهم أموالاً جزيلة، فأطفأ الله بعض شرهم . وفيها خرج محمد بن هارون عن طاعة إسماعيل بن أحمد الساماني، وكاتب أهل الري بعد قتله محمد بن زيد الطالبي، فصار إليهم فسلموا إليه البلد فاستحوذ عليها، فقصده إسماعيل بن أحمد الساماني بالجيوش فقهره وأخرجه منها مذموما مدحوراً .

قال ابن الجوزي في المنتظم: وفي يوم التاسع من ذي الحجة منها صلّى الناس العصر في زمن الصيف وعليهم ثياب الصيف، فهبت ريح باردة جداً حتى احتاج الناس مع ذلك إلى الاصطلاء بالنار، ولبسوا الفرا والمحشوات وجمد الماء كفصل الشتاء .

قال ابن الأثير: وكذا وقع بمدينة حمص مثل ذلك، وهب ريح عاصف بالبصرة فاقتلعت شيئا كثيراً من نخيلها، وخسف بموضع فيها فمات تحته سبعة آلاف نسمة. قال ابن الأثير وابن الجوزي : وزلزلت بغداد في رجب من هذه السنة مرات متعددة ثم سكنت. وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك . وفيها توفي من الأعيان : إبراهيم بن محمد بن إبراهيم أحد الصوفية الكبار .

قال ابن الأثير: وهو من أقران السري السقطي. قال: لأن ترد إلى الله ذرة من همك خير لك مما طلعت عليه الشمس. أحمد بن محمد المعتضد بالله غلب عليه سوء المزاج والجفاف من كثرة الجماع، وكان الأطباء يصفون له ما يرطب بدنه به فيستعمل ضد ذلك حتى سقطت قوته .

بدر غلام المعتضد رأس الجيش

كان القاسم الوزير قد عزم في حياة المعتضد على أن يصرف الخلافة عن أولاد المعتضد وفاوض بذلك بدراً هذا فامتنع عليه وأبى إلا البيعة لأولاد مولاه. فلما ولي المكتفي بن المعتضد خالف الوزير غائلة ذلك فحسن الوزير للمكتفي قتل بدر ، فعمل عليه عند المكتفي و لم يزل حتى احتاط الخليفة على حواصله وأمواله وهو بواسط ، وبعث الوزير إليه بالأمان، فلما قدم بدر بعث إليه من قتله يوم الجمعة لست خلون من رمضان من هذه السنة، ثم قطع رأسه وبقيت

جثته أخذها أهله فبعثوا بها إلى مكة في تابوت فدفن بها ، وذلك أنه أوصى بذلك وكان قد أعتق كل مملوك له قبل وفاته . وحين أرادوا قتله صلى ركعتين رحمه الله .

الحسين بن محمد بن عبد الرحمن

ابن الفهم بن محرز بن إبراهيم الحافظ البغدادي، سمع خلف بن هشام ويحيى بن معين ومحمد بن سعد وغيرهم، وعنه الختلي والطوماري، وكان عسرا في التحديث إلا لمن لازمه، وكانت له معرفة جيدة بالأخبار والنسب والشعر وأسماء الرجال، يميل إلى مذهب العراقيين في الفقه، قال عنه الدارقطني: ليس بالقوي . عمارة بن وثيمة ابن موسى أبو رفاعة الفارسي صاحب التاريخ على السنن، ولد بمصر وحدث عن أبي صالح كاتب الليث وغيره . هارون بن الليث الصفار أحد الأمراء الكبار، قتل في السجن أول ما قدم المكتفي بغداد .

ثم دخلت سنة تسعين ومائتين

فيها أقبل يحيى بن زكرويه بن مهرويه أبو قاسم القرمطي المعروف بالشيخ في جحافله فعاث بناحية الرقة فسادًا. فجهز إليه الخليفة جيشا نحو عشرة آلاف فارس . وفيها ركب الخليفة المكتفي من بغداد إلى سامرا يريد الإقامة بها فثنى رأيه عن ذلك الوزير فرجع إلى بغداد. وفيها: قتل يحيى بن زكرويه على باب دمشق زرقه رجل من المغاربة بمزراق نار فقتله، ففرح الناس بقتله، وتمكن منه المزراق فأحرقه، وكان هذا المغربي من جملة جيش المصريين، فقام بأمر القرامطة من بعده أخوه الحسين وتسمَّى بأحمد وتكنى بأبي العباس وتلقب بأمير المؤمنين وأطاعته القرامطة، فحاصر دمشق فصالحه أهلها على مال، ثم سار إلى حمص فافتتحها وخطب له على منابرها، ثم سار إلى حماة ومعرة النعمان فقهر أهل تلك النواحي واستباح أموالهم وحريمهم، وكان يقتل الدواب والصبيان في المكاتب ، ويبيح لمن معه وطء النساء، فربما وطئ الواحدة الجماعة الكثيرة من الرجال، فإذا ولدت ولداً هنأ به كل واحد منهم الآخر، فكتب أهل الشام إلى الخليفة ما يلقون من هذا اللعين، فجهز إليهم جيوشاً كثيفة، وأنفق فيهم أموالا جزيلة لحربه وركب في رمضان فنـــزل الرقة وبث الجيوش في كل جانب لقتال القرمطي. وكان القرمطي هذا يكتب إلى أصحابه:« من عبد الله المهدي أحمد بن عبد الله المهدي المنصور بالله الناصر لدين الله القائم بأمر الله الحاكم بحكم الله، الداعي إلى كتاب الله، الذاب عن حريم الله، المختار من ولد رسول الله» وكان يدعي أنه من سلالة علي بن أبي طالب من فاطمة، وهو كاذب أفاك أثيم قبّحه الله، فإنه كان من أشد الناس عداوة لقريش، ثم لبني هاشم ، ثم دخل سلمية فلم يدع بها أحداً من بني هاشم حتى قتلهم وقتل أولادهم واستباح حريمهم . وفيها ولي ثغر طرسوس أبو عامر أحمد بن نصر عوضا عن مظفر بن جناح لشكوى أهل الثغر منه . وحج بالناس الفضل بن محمد العباسي .

وممن توفي فيها من الأعيان . عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل : أبو عبد الرحمن الشيباني : كان إماماً ثقة حافظا ثبتاً مكثراً عن أبيه وغيره . قال ابن المنادي : لم يكن أحد أروى عن أبيه منه . روى عنه المسند ثلاثين ألفاً، والتفسير مائة ألف حديث وعشرون ألفا ، من ذلك سماع ومن ذلك إجازة، ومن ذلك الناسخ والمنسوخ، والمقدم والمؤخر، في كتاب الله والتاريخ، وحديث سبعة وكرامات القراء ، والمناسك الكبير، والصغير . وغير ذلك من التصانيف، وحديث الشيوخ. قال: وما زلنا نرى أكابر شيوخنا يشهدون له بمعرفة الرجال وعلل الحديث والأسماء والكنى والمواظبة على طلب الحديث في العراق وغيرها، ويذكرون عن أسلافهم الإقرار له بذلك، حتى أن بعضهم أسرف في تقريظه بالمعرفة وزيادة السماع للحديث عن أبيه . ولما مرض قيل له : أين تدفن؟ فقال: صح عندي أن بالقطيعة نبياً مدفوناً، ولأن أكون بجوار نبي أحب إلي من أن أكون في جوار أبي . مات في جمادى الآخرة في هذه السنة عن سبع وسبعين سنة، كما مات لها أبوه، واجتمع في جنازته خلق كثير من الناس، وصلى عليه زهير ابن أخيه، ودفن في مقابر باب التين رحمه الله تعالى .

عبد الله بن أحمد

ابن سعيد أبو بحر الرباطي المروزي، صحب أبا تراب النخشبي، وكان الجنيد يمدحه ويثني عليه . عمر بن إبراهيم أبو بكر الحافظ المعروف بأبي الأذان، كان ثقة ثبتاً . محمد بن الحسين ابن الفرج أبو ميسرة الهمداني، صاحب المسند، كان أحد الثقات المشهورين والمصنفين .

محمد بن عبد الله أبو بكر الدقاق

أحد أئمة الصوفية وعبادهم، روى عن الجنيد أنه قال: رأيت إبليس في المنام كأنه عريان، فقلت: ألا تستحي من الناس؟ فقال: ـــ وهو لا يظنهم ناساً ـــ لو كانوا ناساً ما كنت ألعب بهم كما يلعب الصبيان بالكرة، إنما الناس جماعة غير هؤلاء. فقلت: أين هم؟ فقال: في مسجد الشونيزي قد أضنوا قلبي وأتعبوا جسدي،كلما هممت بهم أشاروا إلى الله عزَّ وجلَّ فأكاد أحترق. قال: فلما انتبهت لبست ثيابي، ورحت إلى المسجد الذى ذكر فإذا فيه ثلاثة جلوس ورؤوسهم في مرقعاتهم، فرفع أحدهم رأسه إليّ، وقال: يا أبا القاسم لا تغتر بحديث الخبيث، وأنت كلما قيل لك شيء تقبل ؟ فإذا هم أبو بكر الدقاق، وأبو الحسين النوري، وأبو حمزة محمد بن علي بن علوية بن عبد الله الجرجاني الفقيه الشافعي تلميذ المزني . ذكره ابن الأثير .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائتين

فيها: جرت وقعة عظيمة هائلة بين القرامطة وجند الخليفة. فهزموا القرامطة هزيمة عظيمة وأسروا رئيسهم الحسن بن زكرويه ذا الشامة، فلما أسر حمل إلى الخليفة في جماعة كثيرة من أصحابه من رؤوسهم، وأدخل بغداد على فيل مشهور، وأمر الخليفة بعمل دفة مرتفعة فأجلس عليها القرمطي، وجيء بأصحابه، فجعل يضرب أعناقهم بين يديه وهو ينظر، وقد جعل في فمه

خشبة معترضة مشدودة إلى قفاه، ثم أنزل فضرب مائتي سوط ثم قطعت يداه ورجلاه، وكوي، ثم أحرق وحمل رأسه على خشبة وطيف به في أرجاء بغداد، وذلك في ربيع الأول منها .

وفيها قصدت الأتراك بلاد ما وراء النهر في جحافل عظيمة، فبيتهم المسلمون فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وسبوامنهم ما لا يحصون ﴿ ورَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً ﴾ [الأحزاب: ٢٥]. وفيها بعث ملك الروم عشرة صلبان مع كل صليب عشرة آلاف، فغاروا على أطراف البلاد وقتلوا خلقا وسبوا نساء وذرية . وفيها دخل نائب طرسوس بلاد الروم ففتح مدينة أنطاكية ــ وهي مدينة عظيمة على ساحل البحر تعادل عندهم القسطنطينية ــ وخلص من أساري المسلمين خمسة آلاف أسير، وأخذ للروم ستين مركباً وغنم شيئاً كثيراً، فبلغ نصيب كل واحد من الغزاة ألف دينار . وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي .

وفيها توفي من الأعيان :

أحمد بن يحيي بن زيد بن سيار

أبو العباس الشيباني مولاهم، الملقب بثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة، مولده في سنة مائتين، سمع محمد بن زياد الأعرابي والزبير بن بكار والقواريري وغيرهم، وعنه ابن الأنباري وابن عرفة وأبو عمر والزاهد وكان ثقة حجة ديناً صالحاً مشهورا بالصدق والحفظ، وذكر أنه سمع من القواريري مائة ألف حديث . وكانت وفاته يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من جمادى الأولى منها عن إحدى وتسعين سنة .

قال ابن خلكان : وكان سبب موته أنه خرج من الجامع وفي يده كتاب ينظر فيه وكان قد أصابه صمم شديد فصدمته فرس فألقته في هوة فاضطرب دماغه فمات في اليوم الثاني رحمه الله . وهو مصنف كتاب الفصيح، وهو صغير الحجم كثير الفائدة، وله كتاب (المصون) ، واختلاف النحويين ومعاني القرآن وكتاب القراءات ومعاني الشعر وما يلحن فيه العامة، وغير ذلك. وقد نسب إليه من الشعر قوله :

إذا كنت قوتَ النفسِ ثم هَجَرْتَهـــا ... فكم تلبثِ النفسُ التي أنتَ قوتُها
سيبقى بقاءَ النبتِ في الماء أو كمـــا ... أقام لدى دَيمومة المـــاءِ صـــوتُها
أغَرَّكَ أني قد تصبَّرتُ جـــاهـــدًا ... وفي النفسِ مني منكَ ما ســـيميتُها
فلو كان ما بي بالصخور لهدَّهـــا ... وبالريح مَا هَبَّتْ وطالَ خفـــوتُها
فصبـــرا لعـــلّ الله يجمَـــعُ بيننا ... فأشكو هومًا منكَ فيكَ لقيتُهـــا

وفيها توفي القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير، تولى بعد أبيه الوزارة في آخر أيام المعتضد، ثم توفي لولده المكتفي، فلما كان رمضان من هذه السنة مرض فبعث إلى السجون

فأطلق من فيها من المطلبيين، ثم توفي في ذي القعدة منها، وقد قارب ثلاثا وثلاثين سنة، وقد كان حظياً عند الخليفة جدا ، وخلف من الأموال ما يعدل سبعمائة ألف دينار .

ومحمد بن محمد بن إسماعيل

ابن شداد أبو عبد الله البصري القاضي بواسط، المعروف بالجبروعى، حدث عن مسدد، وعن علي بن المديني، وابن نمير وغيرهم، وكان من الثقات والقضاة الأجواد العدول الأمناء .
محمد بن إبراهيم البوشنجي . ومحمد بن علي الصايغ . وقنبل أحد مشاهير القراء . وأئمة العلماء .

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ومائتين

فيها دخل محمد بن سليمان في نحو عشرة آلاف مقاتل من جهة الخليفة المكتفي إلى الديار المصرية لقتال هارون بن خمارويه، فبرز إليه هارون فاقتتلا فقهره محمد بن سليمان وجمع آل طولون وكانوا سبعة عشر رجلا فقتلهم واستحوذ على أموالهم وأملاكهم . وانقضت دولة الطولونية على الديار المصرية، وكتب بالفتح إلى المكتفي .

وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي القائم بأمر الحجاج في السنين المتقدمة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن عبد الله بن مسلم أبو مسلم الكجى

أحد المشايخ المعمرين ، كان يحضر بمجلسه خمسون ألفاً ممن معه محبرة، سوي النظارة، ويستملي عليه سبعة مستملين كلٌ يبلغ صاحبه، ويكتب بعض الناس وهم قيام وكان كلما حدث بعشرة آلاف حديث تصدق بصدقة . ولما فرغ من قراءة السنن عليه عمل مأدبة غرم عليها ألف دينار، وقال: شهدت اليوم على رسول الله ﷺ فقبلت شهادتي وحدي، أفلا أعمل شكراً لله عزّ وجلّ؟ . وروى ابن الجوزي والخطيب عن أبي مسلم الكجى قال: خرجت ذات ليلة من المنـــزل فمررت بحمام وعليَ جنابة فدخلته فقلت للحمامي: أدخل حمامك أحد بعد؟ فقال : لا ، فدخلت فلما فتحت باب الحمام الداخل إذا قائل يقول: أبا مسلم أسلم تسلم: ثم أنشأ يقول :

لك الحمدُ إمَّا على نعمـــــــة ... وَإمَّا على نقـــمــــــة تُـــدْفَعُ
تشاءُ فــتفعلُ مـــا شـــــئتَهُ ... وتســـمعُ من حيثُ لَا يُسْمَـــعُ

قال: فبادرت فخرجت فقلت للحمامي: أنت زعمت أنه لم يدخل حمامك أحد. فقال: نعم! وما ذاك ؟ فقلت : إني سمعت قائلا يقول: كذا وكذا قال: وسمعته قلت: نعم . فقال : يا سيدي هذا رجل من الجان يتبدى لنا في بعض الأحيان فينشد أشعاراً ويتكلم بكلام حسن فيه مواعظ. فقلت: هل حفظت من شعره شيئاً؟. فقال: نعم. ثم أنشدني من شعره فقال: هذه الأبيات :

أيها المذنبُ المفرطُ مـــهـــــلاً كم تمادى تكسبُ الذنبَ جهلاً
كمْ وكم تُسْخط الجليلَ بفعـــلٍ سَمج وهو يحْسِنُ الصنُعَ فعـــــلاً
كيفَ تهدأُ جُفونُ مَنْ ليس يدري؟ أرضي عنهُ مَنْ على العرشِ أمْ لا ؟

عبد الحميد بن عبد العزيز

أبو حاتم القاضي الحنفي، كان من خيار القضاة وأعيان الفقهاء ومن أئمة العلماء، ورعا نزها كثير الصيانة والديانة والأمانة . وقد ذكر له ابن الجوزي في المنتظم آثارا حسنة وأفعالا جميلة رحمه الله. تعالى ورضي عنه .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائتين

فيها التف على أخي الحسين القرمطي المعروف بذي الشامة قدمنا ذكر مقتله في السنة الماضية الذي قتل في التي قبلها خلائق من القرامطة والأعراب واللصوص وأهل البوادي بطريق الفرات، فعاث بهم في الأرض فسادا، ثم قصد طبرية فامتنعوا منه فدخلها قهراً فقتل بها خلقاً كثيراً من الرجال، وأخذ شيئا كثيرا من الأموال، ثم كر راجعا إلى البادية، ودخلت فرقة أخرى إلى هيت فقتلوا أهلها إلا القليل، وأخذوا منها أموالا جزيلة حملوها على ثلاثة آلاف بعير، فبعث إليهم الخليفة المكتفي جيشا فقاتلوهم وأخذوا رئيسهم فضربت عنقه . ونبغ رجل من القرامطة يقال له : الداعية باليمن، فحاصر صنعاء فدخلها قهراً وقتل خلقا من أهلها، ثم سار إلى بقية مدن اليمن فأكثر الفساد وقتل خلقا من العباد، ثم قاتله أهل صنعاء فظفروا به وهزموه، فأغار على بعض مدنها ، وبعث الخليفة إليها مظفر بن حجاج نائبا، فسار إليها فلم يزل بها حتى مات. وفي يوم عيد الأضحي دخلت طائفة من القرامطة نحو من ثمانمائة إلى الكوفة والناس في عيد فنادوا : يا ثارات الحسين ــ يعنون المصلوب في التي قبلها ببغداد ــ وشعارهم : يا أحمد يا محمد ــ يعنون الذين قتلوا معه فبادر الناس الدخول من المصلى إلى الكوفة فدخلوا خلفهم القرامطة فرمتهم العامة بالحجارة فقتلوا منهم نحو من عشرين رجلاً، ورجع الباقون خاسئين ، ولله الحمد والمنة .

وفيها : ظهر رجل بمصر يقال له: الخليجي فخلع الطاعة واجتمع إليه طائفة من الجند فأمر الخليفة أحمد بن كنغلغ نائب دمشق وأعمالهم فركب إليه فاقتتلا بظاهر مصر فهزمه الخليجي هزيمة منكرة، فبعث إليه . الخليفة جيشاً آخر فهزموا الخليجي وأخذوه، فسلم إلى الأمير الخليفة وانطفأ خبره واشتغل الجيش بأمر الديار المصرية، فبعث القرامطة جيشاً إلى بصرى صحبة رجل يقال له : عبد الله بن سعيد كان يعلم الصبيان، فقصد بصرى وأذرعات والبثنية، فحاربه أهلها ثم أمنّهم فلما أن تمكن منهم قتل المقاتلة وسبى الذرية، ورام الدخول إلى دمشق فحاربه نائب دمشق أحمد بن كنغلغ، وهو صالح بن الفضل، فهزمه القرمطي، وقتل صالح فيمن قتل، وحاصر دمشق فلم يمكنه فتحها، فانصرف إلى طبرية فقتلوا أكثر أهلها ونهبوا منها شيئا كثيراً كما

ذكرنا ، ثم ساروا إلى هيت ففعلوا بها ذلك كما تقدم ، ثم ساروا إلى الكوفة في يوم عيد الأضحي كما ذكرنا . كل ذلك بإشارة زكرويه بن مهرويه وهو مختف في بلده بين ظهراني قوم من القرامطة، فإذا جاءه الطلب نزل بئراً قد اتخذها ليختفي فيها وعلى بابه تنور فتقوم امرأة فتسجره وتخبز فيه فلا يشعر به أصلا، ولا يدري أحد أين هو، فبعث الخليفة إليه جيشاً فقاتلهم زكرويه بنفسه ومن أطاعه فهزم جيش الخليفة وغنم من أموالهم شيئا كثيراً جدا، فتقوى به واشتد أمره، فندب الخليفة إليه جيشا آخر كثيفا فكان من أمره وأمرهم ما سنذكره . وفيها: خرب إسماعيل ابن أحمد الساماني نائب خراسان وما وراء النهر طائفة كبيرة من بلاد الأتراك . وفيها: أغارت الروم على بعض أعمال حلب فقتلوا ونهبوا وسلبوا . وفيها : حج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو العباس الناشى الشاعر

عبد الله بن محمد أبو العباس الناشي الشاعر : المعتزلي ، أصله من الأنبار وأقام ببغداد مدة، ثم انتقل إلى مصرفمات بها، وكان جيد الذهن يعاكس الشعراء ويرد على المنطقيين والفروضيين، وكان شاعرا مطيقا وله قصيدة حسنة في نسب رسول الله ﷺ قد ذكرناها في السيرة قال ابن خلكان: كان متبحرا في عدة علوم من جملتها علم المنطق، وكان ذكيا وله قصيدة في فنون من العلوم على روى واحد تبلغ أربعة آلاف بيت، وله عدة تصنيف وأشعار كثيرة .

عبيد بن محمد بن خلف أبو محمد البزار أحد الفقهاء من أصحاب أبي ثور، وكان عنده فقه أبي ثور، وكان من الثقات النبلاء . نصر بن أحمد بن عبد العزيز أبو محمد الكندي الحافظ المعروف بنصرك، كان أحد حفاظ الحديث المشهورين وكان الأمير خالد بن أحمد الذهلي نائب بخارى قد ضمه إليه وصنف له المسند . توفى ببخارى في هذه السنة .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائتين

في المحرم من هذه السنة اعترض زكرويه لعنه الله وأصحابه إلى الحجاج من أهل خراسان وهم قافلون من مكة فقتلهم عن آخرهم وأخذ أموالهم وسبى نساءهم فكان قيمة ما أخذه منهم ألفي ألف دينار، وعدة من قتل عشرين ألف إنسان، وكانت نساء القرامطة يطفن بين القتلى من الحجاج وفي أيديهم الآنية من الماء يزعمن أنهن يسقين الجريح العطشان، فمن كلمهن من الجرحى قتلنه وأجهزن عليه، لعنهن الله وقبح أزواجهن .

ذكر مقتل زكرويه لعنه الله

لما بلغ الخليفة خبر الحجيج وما أوقع بهم الخبيث جهز إليه جيشا كثيفا فالتقوا معه فاقتتلوا قتالا شديدا جداً، قتل من القرامطة خلق كثير ولم يبق منهم إلا قليل، وذلك في أول ربيع الأول منها . وضرب رجل زكرويه بالسيف في رأسه فوصلت الضربة إلى دماغه وأخذ أسيرا فمات

بعد خمسة أيام، فشقوا بطنه وصبروه وحملوه في جماعة من رؤوس أصحابه إلى بغداد، واحتوى عسكر الخليفة على ما كان بأيدي القرامطة من الأموال والحواصل، وأمر الخليفة بقتل أصحاب القرمطي، وأن يطاف برأسه في سائر بلاد خراسان، لئلا يمتنع الناس عن الحج بسبب ما وقع، وأطلق من كان بأيدي القرامطة من النساء والصبيان الذين أسروهم .

وفيها: غزا أحمد بن كيغلغ نائب دمشق بلاد الروم من ناحية طرسوس، فقتل منهم نحوا من عشرة آلاف وأسر من ذراريهم نحوا من خمسين ألف، وأسلم بعض البطارقة من الروم وصحبته نحو من مائتي أسير كانوا في حبسه من المسلمين، فأرسل ملك الروم جيشا في طلب ذلك البطريق، فركب في جماعة من المسلمين فكبس جيش الروم فقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم منهم غنيمة كثيرة جدا، ولما قدم على الخليفة أكرمه وأحسن إليه وأعطاه ما تمناه عليه . وفيها ظهر بالشام رجل فادعى أنه السفياني فأخذ وبعث به إلى بغداد، فادعى أنه موسوس فترك . وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي .

وممن توفي فيها من الأعيان: الحسين بن محمد بن حاتم بن يزيد بن علي بن مروان أبو علي المعروف بعبيد العجلي، كان حافظاً مكثرا متقنا ثقة مقدما في حفظ المسندات، توفي في صفر منها.

صالح بن محمد بن عمرو بن جبيب أبو علي الأسدي ـ أسد خزيمة ـ المعروف بجزرة لأنه قرأ على بعض المشايخ كانت له خرزة يرقأ بها المريض فقرأها هو جزرة تصحيفا منه فلقب بذلك لذلك، وقد كان حافظا مكثرا جوالا رحالا، طاف الشام ومصر وخراسان، وسكن بغداد ثم انتقل منها إلى بخارى فسكنها، وكان ثقة صدوقا أمينا، وله رواية كثيرة عن يحيى بن معين، وسؤالات كثيرة كان مولده بالرقة سنة عشر ومائتين .

وتوفي في هذه السنة: محمد بن عيسىبن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس المعروف بالبياضي لأنه حضر مجلس الخليفة وعليه ثياب البياض، فقال الخليفة: من ذاك البياضي؟ فعرف به، وكان ثقة. روى عن ابن الأنباري وابن مقسم . قتلته القرامطة في هذه السنة .

محمد ابن الإمام إسحاقبن راهويه، سمع أباه، وأحمد بن حنبل وغيرهما، وكان عالما بالفقه والحديث ، جميل الطريقة حميد السيرة قتلته القرامطة فيمن قتلوا من الحجيج في هذه السنة في جملة من قتلوا من الحجيج .

محمد بن نصر أبو عبد الله المروزى

ولد ببغداد ونشأ بنيسابور واستوطن سمرقند، وكان من أعلم الناس باختلاف الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة الإسلام، وكان عالما بالأحكام، وقد رحل إلى الآفاق. وسمع من المشايخ الكثير النافع. وصنف الكتب المفيدة الحافلة النافعة، وكان من أحسن الناس صلاة وأكثرهم خشوعا فيها، وقد صنف كتابا عظيما في الصلاة . وقد روى الخطيب عنه أنه قال: خرجت من مصر قاصدًا مكة فركبت البحر ومعي جارية فغرقت السفينة فذهب لي في الماء ألفا جزء وسلمت أنا والجارية فلجأنا إلى جزيرة فطلبنا بها ماء فلم نجد، فوضعت رأسي على فخذ

الجارية ويئست من الحياة، فبينا أنا كذلك إذا رجل قد أقبل وفي يده كوز. فقال: هاه، فأخذته فشربت منه وسقيت الجارية ثم ذهب فلم أدر من أين أقبل ولا إلى أين ذهب؟. ثم إن الله سبحانه أغاثنا فنجانا من ذلك الغم. وقد كان من أكرم الناس وأسخاهم نفسا . وكان إسماعيل ابن أحمد يصله في كل سنة بأربعة آلاف، ويصله أخوه إسحاق بن أحمد بأربعة آلاف، ويصله أهل سمرقند بأربعة آلاف فينفق ذلك كله، فقيل له: لو ادخرت منها شيئا لنائبة، فقال: يا سبحان الله أنا مكثت في بمصر أنفق فيها في كل سنة عشرين درهما فرأيت إذا لم يحصل لي شيء من هذا المال لا يتهيأ لي في السنة عشرون درهماً. وكان محمد بن نصر المروزي إذا دخل على إسماعيل بن أحمد الساماني ينهض له ويكرمه، فعاتبه يوما أخوه إسحاق، فقال له: تقوم لرجل في مجلس حكمك وأنت ملك خراسان؟ قال إسماعيل: فبت تلك الليلة وأنا مشتت القلب من قول أخي وكانوا هم ملوك خراسان وما وراء النهر — قال: فرأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول: « يا إسماعيل ثبت ملكك وملك بنيك بتعظيمك محمد بن نصر ، وذهب ملك أخيك باستخفافه بمحمد بن نصر» وقد اجتمع بالديار المصرية محمد بن نصر . ومحمد بن جرير الطبري . ومحمد بن المنكدر ، فجلسوا في بيت يكتبون الحديث ولم يكن عندهم في ذلك اليوم شيء يقتاتونه ، فاقترعوا فيما بينهم أيهم يخرج يسعى لهم في شيء يأكلونه، فوقعت القرعة على محمد بن نصر هذا، فقام إلى الصلاة فجعل يصلي ويدعو الله عزَّ وجلَّ، وذلك وقت القيلولة، فرأى نائب مصر — وهو طولون وقيل: أحمد بن طولون — في منامه في ذلك الوقت رسول الله ﷺ وهو يقول له:«أدرك المحدثين فإنهم ليس عندهم ما يقتاتونه» فانتبه من ساعته فسأل: من ها هنا من المحدثين؟ فذكر له هؤلاء الثلاثة، فأرسل إليهم في ساعة الراهنة بألف دينار، فدخل الرسول بها عليهم وأزال الله ضررهم ويسر أمرهم ، واشترى طولون تلك الدار وبناها مسجدًا وجعلها على أهل الحديث وأوقف عليها أوقافا جزيلة .

وقد بلغ محمد بن نصر سناً عالية وكان يسأل الله ولداً فأتاه يومًا إنسان فبشره بولد ذكر، فرفع يدية فحمد الله وأثنى عليه وقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ ﴾ [إبراهيم:٣٩] فاستفاد الحاضرون من ذلك عدة فوائد: منها أنه قد ولد له على الكبر ولد ذكر بعدما كان يسأل الله عزّ وجلّ، ومنها أنه سمى يوم مولده كما سمي رسول الله ﷺ ولده إبراهيم يوم مولده قبل السابع، ومن ذلك اقتداؤه بالخليل في تسميته أول ولد له بإسماعيل .

موسى بن هارون بن عبد الله أبو عمران المعروف والده بالحمال، ولد سنة أربع عشرة ومائتين ، وسمع أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهما، وكان إمام أهل عصره في حفظ الحديث ومعرفة الرجال ، وكان ثقة متقناً شديد الورع عظيم الهيبة، قال عبد الغني بن سعيد الحافظ المصري : كان أحسن الناس كلاما على الحديث، أثنى عليه علي بن المديني ثم موسى بن هارون، ثم الدارقطني .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين

فيها كانت المفاداة بين المسلمين والروم ، وكان من جملة من استنقذ من أيدي الروم من نساء ورجال نحواً من ثلاثة آلاف نسمة ولله الحمد ، وفي المنتصف من صفر منها كانت وفاة إسماعيل بن أحمد الساماني أمير خراسان وما وراء النهر، وقد كان عاقلا عادلا حسن السيرة في رعيته حليما كريما ، وهو الذي كان يحسن إلى محمد بن نصر المروزي ويعظمه ويكرمه ويحترمه ويقوم له في مجلس ملكه ، فلما مات تولىّ بعده ولده أحمد بن إسماعيل بن أحمد الساماني وبعث إليه الخليفة تشريفة . وقد ذكر الناس يوما عند إسماعيل بن أحمد هذا الفخر بالأنساب فقال: إنما الفخر بالأعمال وينبغي أن يكون الإنسان عصاميا لا عظاميا ــ أي ينبغي أن يفتخر بنفسه لا بنسبه وبلده وجده ــ كما قال بعضهم: "وبجدي سموتُ لا بجدودي ". وقال آخر :

حسبي فخاراً وشيمتي أدبي ... ولستُ من هاشمٍ ولا العربِ
إنّ الفتى مَنْ يقولُ : ها أنا ذا ... وليس الفتى مَنْ يقولُ: كان أبي

وفي ذي القعدة من هذه السنة كانت.

وفاة الخليفة المكتفي بالله أبي محمد علي بن المعتضد

وهذه ترجمته وذكر وفاته

وهو أبو محمد بن علي ابن أمير المؤمنين المكتفى بالله بن المعتضد ابن الأمير أبي أحمد الموفق ابن المتوكل على الله، المنصور رحمهم الله ، وقد ذكرنا أنه ليس من الخلفاء من اسمه علي سواه هو بعد علي بن أبي طالب، وليس من الخلفاء من يكنى بأبي محمد سوى الحسن بن علي بن أبي طالب ، وكان مولده في رجب سنة أربع وستين ومائتين، وبويع له بالخلافة بعد أبيه وفي حياته يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر من سنة تسع وثمانين ومائتين، وعمره نحواً من خمس وعشرين سنة، وكان ربعة من الرجال جميلا ، رقيق الوجه حسن الشعر، وافر اللحية عريضها. ولما مات أبوه المعتضد وهو الخلافة دخل عليه بعض الشعراء فأنشده :

أجلُّ الرزايا أن يموتَ إمام ... وأسخى العطايا أن يقومَ إمامُ
فأسقى الذي ماتَ الغمامَ وجوده ... ودامت تحياتُ له وسلامُ
وأبقى الذي قام الإلهُ وزاده ... مواهبُ لا يفنى لهنّ دوامُ
وتَمّتْ له الآمالُ واتصلتْ بها ... فوائد موصولُ بهن تمامُ
هو المتكفي بالله يكفيه كلّما ... عناهُ بركنٍ منهُ ليسَ يرامُ

فأمر له بجائزة سنية وقد كان يقول الشعر، فمن ذلك قوله :

منْ لي بأنْ أعلمَ ما ألقىَ ... فتعرفَ مني الصبابة والعشقا

ما زالَ لي عبدٌ وحبي له صيرني عبداً له رِقّا
العتقُ من شأني ولكنني مِنْ حُبّهِ لا أملكُ العِتْقا

وكان نقش خاتمه: علي المتوكل على ربه. وكان له من الولد: محمد وجعفر وعبد الصمد، وموسى، وعبد الله، وهارون، والفضل، وعيسى، والعباس، وعبد الملك . وفي أيامه فتحت أنطاكية وكان فيها من أسارى المسلمين بشر كثير وجم غفير، ولما حضرته الوفاة سأل عن أخيه أبي الفضل جعفر بن المعتضد وقد صح عنده أنه بالغ، فأحضره في يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة من هذه السنة وأحضر القضاة وأشهدهم على نفسه بأنه قد جعل الخلافة إليه من بعده، ولقبه بالمقتدر بالله . وتوفي بعد ثلاثة أيام وقيل : في آخر يوم السبت بعد المغرب، وقيل : بين الظهر والعصر. وقيل : بعد المغرب ليلة الأحد، لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة ، ودفن في دار محمد بن عبد الله بن طاهر، عن ثنتين. وقيل : ثلاث وثلاثين سنة، وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً. وأوصى بصدقة من خالص ماله ستمائة ألف دينار، وكان قد جمعها وهو صغير، وكان مرضه بداء الخنازير رحمه الله .

خلافة المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد

جددت له البيعة بعد موت أخيه وقت السحر لأربع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة من هذه السنة ــ أعني سنة خمس وتسعين ومائتين ــ وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة وشهر واحد، وعشرون يوما، ولم يل الخلافة أحد قبله أصغر سننا منه، ولما جلس في منصب الخلافة صلّى أربع ركعات ثم سلم ورفع صوته بالدعاء والاستخارة، ثم بايعه الناس بيعة العامة، وكتب اسمه على الرقوم [1] وغيرها: المقتدر بالله، وكان في بيت مال الخاصة خمسة عشر ألف ألف دينار، وفي بيت مال العامة ستمائة ألف دينار ونيف، وكانت الجواهر الثمينة في الحواصل من لدن بني أمية وأيام بني العباس، قد تناهى جمعها، فما زال يفرقها في حظاياه وأصحابه حتى أنفذها، وهذا حال الصبيان وسفهاء الولاة. وقد استوزر جماعة من الكتاب يكثر تعدادهم، منهم أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات، ولاه ثم عزله بغيره، ثم أعاده ثم عزله ثم قتله، وقد استقصى ذكرهم الشيخ أبو الفرج بن الجوزي . وكان له من الخدم والحشمة التامة والحجاب شيء كثير جدا، وكان كريما جدا وفيه عبادة مع هذا كله كان كثير الصلاة كثير الصيام تطوعا، وفي يوم عرفة في أول ولايته فرق من الأغنام والأبقار ثلاثين ألف رأس، ومن الإبل ألفي بعير، ورد الرسوم والأرزاق، والكلف إلى ما كانت عليه في زمن الأوائل من بني العباس، وأطلق أهل الحبوس الذين يجوز إطلاقهم، فوكل أمر ذلك إلى القاضي أبي عمر محمد بن يوسف، وكان

---

(١) الرقوم : جمع رقم وهو الختم.

قد بنيت له أبنية في الرحبة صرف عليها في كل شهر ألف دينار، ٠ بهدمها ليوسع على المسلمين الطرقات، وسيأتي ذكر شيء من أيامه في ترجمته .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو إسحاق المزكى

إبراهيم بن محمد بن يحيى بن سختويه بن عبد الله أبو إسحاق المزكي الحافظ الزاهد، إمام أهل عصره بنيسابور ، في معرفة الحديث والرجال والعلل، وقد سمع خلقاً من المشايخ الكبار ودخل على الإمام أحمد، وذاكره وكان مجلسه مهيبا، ويقال : إنه كان مجاب الدعوة، وكان لا يملك إلا داره التي يسكنها وحانوتا يستغله كل شهر بسبعة عشر درهما ينفقها على نفسه وعياله، وكان لا يقبل من أحد شيئا، وكان يطبخ له الجزر بالخل فيأتدم به طول الشتاء، وقد قال أبو علي الحسين بن علي الحافظ النيسابوري : لم تر عيناي مثله .

أبو الحسين النوري أحد أئمة الصوفية

اسمه أحمد بن محمد، ويقال : محمد بن محمد والأول أصح ويعرف بابن البغوي، أصله من خراسان وحدث عن سري السقطي ثم صار هو من أكابر أئمة القوم، قال أبو أحمد المغازلي: ما رأيت أحدًا قط أعبد من أبي الحسين النوري، قيل له : ولا الجنيد ؟ قال : ولا الجنيد ولا غيره. وقال غيره: صام عشرين سنة لا يعلم به أحد لا من أهله ولا من غيرهم. وكانت وفاته في مسجد. وهو مقنع فلم يعلم به أحد إلا بعد أربعة أيام .

إسماعيل بن أحمد بن سامان

أحد ملوك خراسان وهو الذي قتل عمرو بن الليث الصفار الخارجي، وكتب بذلك إلى الخليفة المعتضد فولاه خراسان، ثم ولاه المكتفي الري وما وراء النهر وبلاد الترك، وقد غزا بلادهم وأوقع بهم بأسا شديداً، وبنى الربط في الطرقات يسع الرباط منها ألف فارس، وأوقف عليهم أوقافا جزيلة، وقد أهدى إليه طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث هدايا جزيلة منها ثلاث عشرة جوهرة زنة كل جوهرة منها ما بين السبعة مثاقيل إلى العشرة، وبعضها أحمر وبعضها أزرق قيمتها مائة ألف دينار، فبعث بها إلى الخليفة المعتضد وشفع في طاهر فشفعه فيه ، ولما مات إسماعيل بن أحمد، وبلغ المكتفي موته تمثل بقول أبي نواس :

لنْ يخلفَ الدهرُ مثلهمْ أبدًا هيهاتَ هيهاتَ شأنُهُ عجبُ

المعمري الحافظ

صاحب عمل اليوم وليلة، وهو الحسن بن علي بن شبيب أبو علي المعمري الحافظ، رحل وسمع من الشيوخ وأدرك خلقا منهم علي بن المديني، ويحيى بن معين، وعنه ابن صاعد والنجاد والخلدي ، وكان من بحور العلم وحفاظ الحديث، صدوقاً ثبتا، وقد كان يشبك أسنانه بالذهب

من الكبر لأنه جاوز الثمانين، وكان يكنّى أولاً بأبيَ القاسم ، ثم بأبي علي ، وقد ولي القضاء للبرتي على القصر وأعمالها وإنما قيل له : المعمري بأمه أم الحسن بنت أبي سفيان صاحب معمر ابن راشد وقد صنف المعمري كتابا جيدًا في عمل يوم وليلة، واسمه الحسن بن علي بن شبيب أبو علي المعمري، وكانت وفاته ليلة الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم .

عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب واسم أبي شعيب عبد الله بن مسلم أبو شعيب الأموي الحراني المؤدب المحدث ابن المحدث . ولد سنة ست وثمانين ومائتين. سمع أباه، وجده، وعفان بن مسلم، وأبا خيثمة، كان صدوقاً ثقة مأمونا . توفي في ذي الحجة منها .

علي بن أحمد المكتفي بالله بن المعتضد باللهتقدم ذكره .

أبو جعفر الترمذي محمدبن محمد بن نصر أبو جعفر الترمذي الفقيه الشافعي، كان من أهل العلم والزهد، ووثقه الدارقطني، كان مأمونا ناسكا، وقال القاضي أحمد بن كامل : لم يكن لأصحاب الشافعي بالعراق أرأس منه، ولا أورع. كان متقللا في المطعم في حالة عظيمة فقرا وورعاً وصبراً، وكان ينفق عليه في كل شهر أربعة دراهم، وكان لا يسأل أحداً شيئا، كان قد اختلط [1] في آخر عمره توفي في المحرم منها .

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائتين

في ربيع الأول منها اجتمع جماعة من القواد والجند والأمراء على خلع المقتدر بالله وتولية عبد الله بن المعتز الخلافة، فأجابهم على أنه لا يسفك بسببه دم، وكان المقتدر قد خرج يلعب بالصولجان فقصد إليه الحسين بن حمدان يريد أن يفتك به، فلما سمع المقتدر الصيحة بادر إلى دار الخلافة فأغلقها دون الجيش، واجتمع الأمراء والأعيان والقضاة في دار الخلافة. فبايعوا عمه عبد الله بن المعتز وخوطب بالخلافة، ولقب بالمرتضي بالله . وقال الصولي : إنما لقبوه المنتصف بالله، واستوزر أبا عبيد الله محمد بن داود وبعث إلى المقتدر يأمره بالتحول من دار الخلافة إلى دار ابن طاهر لينتقل هو إليها، فأجيب بالسمع والطاعة، فركب الحسين بن حمدان من الغد إلى دار الخلافة ليتسلمها فقاتله الخدم ومن فيها، ولم يسلموها إليه، وهزموه فلم يقدر على تخليص أهله وماله إلا بالجهد . ثم ارتحل من فوره إلى الموصل وتفرق نظام ابن المعتز وجماعته، فأراد ابن المعتز أن يتحول إلى سامرا لينـــزلها فلم يتبعه أحد من الأمراء، فدخل دار ابن الجصاص فاستجار به فأجاره، ووقع النهب في البلد واختبط الناس وبعث المقتدر إلى أصحاب ابن المعتز فقبض عليهم وقتل أكثرهم وأعاد ابن الفرات إلى الوزارة. فجدد البيعة إلى المقتدر، وأرسل إلى دار ابن الجصاص فتسلمها وأحضر ابن المعتز ، وابن الجصاص فصادر ابن الجصاص بمال جزيل جدا، نحو ستة عشر ألف ألف درهم، ثم أطلقه واعتقل ابن المعتز، فلما دخل في ربيع الآخر

---

(١) اختلط : أصابه المسّ والهذيان وهذا مصطلح معروف لدى رجال الجرح والتعديل .

ليلتان ظهر للناس موته وأخرجت جثته، فسلمت إلى أهله فدفن، وصفح المقتدر عن بقية من سعى في هذه الفتنة حتى لا تفسد نيات الناس .

قال ابن الجوزي: ولا يعرف خليفة خلع ثم أعيد إلا الأمين، والمقتدر . وفي يوم السبت لأربع بقين من ربيع الأول سقط ببغداد ثلج عظيم حتى اجتمع على الأسطحة منه نحو من أربعة أصابع وهذا غريب في بغداد جدًا، ولم تخرج السنة حتى خرج الناس يستسقون لأجل تأخر المطر عن إِبَّانه [1] وفي شعبان منها خلع على يونس الخادم وأمر بالمسير إلى طرسوس لأجل غزو الروم. فيها أمر المقتدر بأن لا يستخدم أحد من اليهود والنصارى في الدواوين، وألزموا بلزومهم بيوتهم، وأمرو بلبس العسلي، وجعل الرقاع بين أظهرهم ليعرفوا بها، وألزموا بالذل حيث كانوا . وحج بالناس فيها : الفضل بن عبد الملك الهاشمي، ورجع كثير من الناس من قلة الماء بالطريق .

وفيها توفي من الأعيان:

أحمد بن محمد بن زكريا بن أبي عتاب أبو بكر البغدادي الحافظ ، ويعرف بأخي ميمون . روى عن نصر بن علي الجهضمي وغيره، وروى عنه الطبراني ، وكان يمتنع من أن يحدث وإنما يسمع منه في المذاكرة . توفي في شوال منها .

أبو بكر الأثرم

أحمد بن محمد بن هاني الطائي الأثرم تلميذ الإمام أحمد . وقد سمع عفان، وأبا الوليد والقعنبي، وأبا نعيم، وخلقاً كثيرا، وكان حافظاً صادقا قوي الذاكرة، كان ابن معين يقول عنه: كان أحد أبويه جنيا لسرعة فهمه وحفظه، وله كتب مصنفة في العلل والناسخ والمنسوخ، وكان من بحور العلم .

خلف بن عمرو بن عبد الرحمن بن عيسى

أبو محمد العكبري، سمع الحديث، وكان ظريفا وكان له ثلاثون خاتما وثلاثون عكازا، يلبس في كل يوم من الشهر خاتما ويأخذ في يده عكازا، ثم يستأنف ذلك في الشهر الثاني، وكان له سوط معلق في منـــزله، فإذا سئل عن ذلك قال: ليرهب العيال منه .

ابن المعتز الشاعر والخليفة

عبد الله بن المعتز بالله محمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد يكنى: أبو العباس الهاشمي العباسي، كان شاعراً مطيقاً فصيحاً بليغا مطبقا، وقريش قادة الناس في الخير ودفع الشر . وقد سمع المبرد، وثعلبا، وقد روى عنه من الحكم والآداب شيء كثير، فمن

---

(١) إِبَّانه : أوانه .

ذلك قوله: أنفاس الحي خطايا أهل الدنيا ركب يسار بهم وهم نيام . ربما أورد الطمع ولم يصدر . ربما شرق شارب الماء قبل ريه . من تجاوز الكفاف لم يغنه الإكثار . كلما عظم قدر المتنافس فيه عظمت الفجيعة به . من ارتحله الحرص أضناه الطلب . وروي أضناه الطلب أي أضعفه، والأول معناه أمرضه . الحرص نقص من قدر الإنسان ولا يزيد في حظه شيئا . أشقى الناس أقربهم من السلطان، كما أن أقرب الأشياء إلى النار أقربها حريقا، من شارك السلطان في عزّ الدنيا شاركه في ذلّ الآخرة . يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك. الفرصة سريعة الفوت بعيدة العود . الأسرار إذا كثرت خزانها ازدادت ضياعا . العزل نصحك من تيه الولاية . الجزع أتعب من الصبر، لا تشن وجه العفو بالتقريع ، تركة الميت عزّ للورثة وذلّ له. إلى غير ذلك من كلامه وحكمه. ومن شعره في الحكم مما يناسب هذا المعنى الأخير قوله :

بـــادر إلى مـــالكَ وَرِثْـــهُ ... ما المرءُ في الدنيـــا بلبـــّاث

كم جامعٍ يخنـــقُ أكيـــاســـهُ ... قد صـــار في مـــيزانِ ميراثِ

وله أيضا :

يا ذا الغنى والســـطوة القاهرة ... والدولةِ النـــاهية الآمـــرة

ويا شـــياطينَ بـــني آدم ... ويا عبيـــدَ الشـــهوة الفاجرةْ

انتظروا الدنيا وقـــدْ أدبـــرتْ ... وعن قليـــلٍ تلـــدُ الآخرةْ

وله أيضا :

ابْكِ يـــا نفـــسُ وهـــاتي ... توبـــةً قبـــلَ الممـــاتْ

قبـــلَ أن يفجَعَنـــا الدهـــ ... رُ ببـــين[1] وشـــتاتْ

لا تخونيني إذا مـــتُّ ... وقامـــتْ بي نعـــاتي

إنما الوافـــي بعهـــدي ... مَـــنْ وفى بعـــدَ وفاتـــي

قال الصولي : نظر ابن المعتز في حياة أبيه الخليفة إلى جارية فأعجبته فمرض من حبها، فدخل أبوه عليه عائداً، فقال له: كيف تجدك ؟ فأنشا يقول :

أيها العـــاذلون لا تعـــذلوني ... وانظـــروا حسنَ وجهها تعذروني

وانظروا هل ترون أحسنَ منها؟ ... إنْ رأيتُم شَبيهَهَـــا فاعْذلونـــي

قال: ففحص الخليفة عن القصة واستعلم خبر الجارية ثم بعث إلى سيدها فاشتراها منه بسبعة آلاف دينار، وبعث بها إلى ولده . وقد ذكرنا أن في ربيع الأول من هذه السنة اجتمع الأمراء والقضاة على خلع المقتدر وتولية عبد الله بن المعتز هذا ولقب بالمرتضى والمنتصف بالله، فما مكث بالخلافة إلا يومًا أو بعض يوم، ثم انتصر المقتدر، وقتل غالب من خرج عليه،

(١) ببين : البَيْنُ : الفراق .

واعتقل ابن المعتز عنده في الدار ووكل به يونس الخادم. فقتل في أوائل ربيع الآخر لليلتين خلتا منه، ويقال : إنه أنشد في آخر يوم من حياته وهو معتل :

يـا نفسُ صبرًا لعلّ الخيرَ عقبـاك خانتـك من بعد طول الأمنِ دنياك
مرّتْ بنا سحَرا طيرٌ فقلتُ لهـا : طوبـاك[1] يا ليتـني إيّاكَ طوباكَ
إن كان قصدُك شرقًا فالسلامُ على شاطي الصراة[2] ابلغي إن كان مسراك
من موثق بالمنايـا لا فكـاكَ لهُ يبكـي الدماءَ على إلف لهُ باكي
فربّ آمنة جـاءتْ منيتُـها وربَّ مفلتة مـن بين أشْـراك[3]
أظنُّهُ آخرَ الأيامِ مـن عمـري وأوشك اليوَمُ أن يبكي لي البـاكي

ولما قدم ليقتل أنشأ يقول :

فقُلْ للشـامتين بنـا: رُوَيْـدًا أمامَكـُم المصـائبُ والخطوبُ
هوَ الدهرُ الذي لا بـدّ مـنْ أنْ يكونَ إليكم منهُ ذنـوبُ

ثم كان ظهور قتله لليلتين من ربيع الآخر منها . وقد ذكر له القاضي ابن خلكان مصنفات كثيرة، منها : طبقات الشعراء، وكتاب أشعار الملوك، وكتاب الآداب، وكتاب البديع، وكتاب في الغناء وغير ذلك . وذكر أن طائفة من الأمراء خلعوا المقتدر وبايعوه بالخلافة يومًا وليلة، ثم تمزق شمله واختفى في بيت ابن الجصاص الجوهري، ثم ظهر عليه، فقتل وصودر ابن الجصاص بألفي دينار، وبقي معه ستمائة ألف دينار .

وكان ابن المعتز أسمر اللون مدور الوجه يخضب بالسواد، عاش خمسين سنة وذكر شيئا من كلامه وأشعاره رحمه الله .

محمد بن الحسين بن حبيب

أبو حصين الوادعي القاضي، صاحب المسند، من أهالي الكوفة، قدم بغداد وحدث بها عن أحمد بن اليربوعي، ويحيى بن عبد الحميد، وجندل بن والق ، وعنه ابن صاعد والنجاد والمحاملي، قال الدارقطني: كان ثقة، توفي بالكوفة: محمد بن داود بن الجراح أبو عبد الله الكاتب عم الوزير علي بن عيسى، كان من أعلم الناس بالأخبار وأيام الخلفاء، له مصنفات في ذلك روى عن عمر بن شيبة وغيره، كانت وفاته في ربيع الأول منها عن ثلاث وخمسين سنة .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائتين

فيها غزا القاسم بن سيما الصائفة، وفادى يونس الخادم الأسارى بأيدي الروم، وحكى ابن الجوزي عن ثابت بن سنان أنه رأى في أيام المقتدر بغداد امرأة بلا ذراعين ولا عضدين ، وإنما كفّاها ملصقان بكتفيها، لا تستطيع أن تعمل بهما شيئاً، وإنما كانت تعمل برجليها ما

---

(١) طوباك : طوبى لك و"طوباك" . أى لك الحظ والعيش الطيِّب .
(٢) الصراة : تصرية الشاة لم يحلبها حتى يمتلئ ضرعها لبنا .
(٣) أشراك : مفردها الشَّرَكُ : حبائل الصيد — مفلته : أفلت ، وتفلّت : تخلّصَ .

تعمله النساء بأيديهن من الغزل والفتل ومشط الرأس وغير ذلك . وفيها: تأخرت الأمطار عن بغداد وارتفعت الأسعار بها، وجاءت الأخبار بأن مكة شرفها الله جاءها سيل عظيم غرق أركان البيت وفاضت زمزم ، ولم ير ذلك قبل هذه السنة . وحج بالناس الفضل الهاشمي .

و ممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن داود بن علي

أبو بكر الفقيه ابن الفقيه الظاهري، كان عالما بارعا أديبا شاعرا فقيها ماهرا ، له كتاب الزهرة اشتغل على أبيه وتبعه في مذهبه ومسلكه وما اختاره من الطرائق وارتضاه، وكان أبوه يحبه ويقربه ويدنيه. قال رويم بن محمد : كنا يوماً عند داود إذ جاء ابنه هذا باكيا. فقال: ما لك ؟ فقال: إن الصبيان يلقبونني عصفور الشوك . فضحك أبوه فاشتد غضب الصبي، وقال لأبيه: أنت أضرُّ عليَ منهم، فضمه أبوه إليه. وقال: لا إله إلا الله ما الألقاب إلا من السماء ما أنت يا بني إلا عصفور الشوك . ولما توفي أبوه أجلس في مكانه في الحلقة فاستصغره الناس عن ذلك، فسأله سائل يومًا عن حَدِّ السُكْر. فقال: إذ غَرَبَتْ عنه الفهومُ وباح بِسرِّه المكتوم ، فاستحسن الحاضرون منه ذلك وعظم في أعين الناس .

قال ابن الجوزي في (المنتظم) : وقد ابتلي بحب صبي اسمه محمد بن جامع ويقال : محمد بن زخرف فاستعمل العفاف والدين في حبه، ولم يزل ذلك دأبه فيه حتى كان سبب وفاته في ذلك.

قلت : فدخل في الحديث المروي عن ابن عباس موقوفا عليه ومرفوعا عنه:« من عشق فكتم فعف فمات مات شهيدا »[1] . وقد قيل عنه : إنه كان يبيح العشق بشرط العفاف . وحكى هو عن نفسه أنه لم يزل يتعشق منذ كان في الكتّاب، وأنه صنف كتاب (الزهرة) في ذلك من صغره، ورد ما وقف أبوه داود على بعض ذلك، وكان يتناظر هو وأبو العباس بن شريح كثيرا بحضرة القاضي أبي عمر محمد بن يوسف فيعجب الناس من مناظرتهما وحسنها، وقد قال له ابن شريح يوما في مناظرة : أنت بكتاب (الزهرة) أشهر منك بهذا . فقال له: تعيّرني بكتاب (الزهرة) وأنت لا تحسن تَشْتَمُّ قراءته، وهو كتاب جمعناه هزلا فاجمعْ أنتَ مثلَه جدًّا.

وقال القاضي أبو عمر: كنت يومًا أنا وأبو بكر بن داود راكبين فإذا جارية تغني بشيء من شعره :

أشكو إليك فؤاداً أنتَ مُتْلِفُه	شكوى عليلٍ إلى إلفٍ يُعلّله
سُقْمي[2] تزيد على الأيام كثرتُه	وأنت في عظَمِ ما ألقى تقلّله
أاللهُ حرّمَ قتلي في الهوى أسفاً	وأنتَ يا قاتلي ظُلْمًا تحلّله

(١) رواه الخطيب البغدادى كما فى الجامع الصغير للسيوطى (٨٨٥٣) عن ابن عباس وقال السيوطى ضعيف.
(٢) السَقَمُ ، السُقْمُ : جمع أسقام : المرض (سقم) اللسان.

فقال أبو بكر : كيف السبيل إلى استرجاع هذا ؟ فقلت : هيهات سار به الركبان .
كانت وفاة محمد بن داود رحمه الله في رمضان من هذه السنة، وجلس ابن شريح لعزاه. وقال: ما أثنى إلا على التراب الذي أكل لسان محمد بن داود رحمه الله .

محمد بن عثمان بن أبي شيبة

أبو جعفر، حدث عن يحيى بن معين وعلي بن المديني، وخلق، وعنه ابن صاعد والخلدي والباغندي وغيرهم، وله كتاب في التاريخ وغيره من المصنفات، وقد وثقه صالح بن محمد جزرة وغيره، وكذبه عبد الله ابن الإمام أحمد فقال : هو كذاب بيِّن الأمر، وتعجب ممن يرويه عنه . وكانت وفاته في ربيع الأول منها .

محمد بن طاهر بن عبد الله بن الحسن بن مصعب من بيت الإمارة والحشمة، باشر نيابة العراق مدة ثم خراسان ثم ظفر به يعقوب بن الليث في سنة ثمان وخمسين فأسره وبقي معه يطوف به الآفاق أربع سنين، ثم تخلص منه في بعض الأوقات ونجا بنفسه، ولم يزل مقيما ببغداد إلى أن توفي في هذه السنة .

موسى بن إسحاق

ابن موسى بن عبد الله أبو بكر الأنصاري الخطمي، مولده سنة عشر ومائتين، سمع أباه وأحمد بن حنبل وعلي بن الجعد، وغيرهم، وحدث عنه الناس وهو شاب وقرأوا عليه القرآن، وكان ينتحل مذهب الشافعي، وولي قضاء الري والأهواز، وكان ثقة فاضلا نبيلا عفيفا فصيحا كثير الحديث . توفي في المحرم منها .

يوسف بن يعقوب

ابن إسماعيل بن حماد بن زيد والد القاضي أبي عمر وهو الذى قتل الحلاج، وكان يوسف هذا من أكابر القضاة وأعيان العلماء، ولد سنة ثمان ومائتين، وسمع سليمان بن حرب، وعمرو ابن مرزوق، وهدبة ومسددًا غيرهم ، وكان ثقة ولي قضاء البصرة وواسط والجانب الشرقي من بغداد، وكان عفيفا شديد الحرمة ثقة نزها، جاءه يومًا بعض خدم الخليفة المعتضد فترفع في المجلس على خصمه فأمره حاجب القاضي أن يساوي خصمه فامتنع إدلالا بجاهه عند الخليفة ، فزبره [1] القاضي وقال: ائتوني بدلال النخس حتى أبيع هذا العبد وأبعث بثمنه إلى الخليفة، وجاء حاجب القاضي فأخذه بيده وأجلسه مع خصمه، فلما انقضت الحكومة رجع الخادم إلى المعتضد. فبكى بين يديه. فقال له: ما لك ؟ فأخبره بالخبر، وما أراد القاضي من بيعه، فقال : والله لو باعك لأجزت بيعه ولما استرجعتك أبداً، فليس خصوصيتك عندي تزيل مرتبة الحكم فإنه عمود السلطان وقوام الأديان، كانت وفاته في رمضان .

---

(١) زبره : انتهره وزجره وطرده .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائتين

فيها: قدم القاسم بن سيما من بلاد الروم فدخل بغداد ومعه الأسارى والعلوج بأيديهم أعلام عليها صلبان من ذهب، وخلق من الأسارى . وفيها: قدمت هدايا نائب خراسان أحمد ابن إسماعيل بن أحمد الساماني، من ذلك مائة وعشرون غلامًا بحرابهم وأسلحتهم وما يحتاجون إليه، وخمسون بازاً، وخمسون جملاً تحمل من مرتفع الثياب، وخمسون رطلا من مسك وغير ذلك . وفيها: فلج القاضي عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، فقلد مكانه على الجانب الشرقي والكرخ ابنه محمد . وفي شعبان منها أخذ رجلان يقال لأحدهما: أبو كبيرة والآخر يعرف بالسمري . فذكروا أنهما من أصحاب رجل يقال له : محمد بن بشر، وأنه يدّعي الربوبية، وفيها: وردت الأخبار بأن الروم قصدت اللاذقية . وفيها: وردت الأخبار بأن ريحاً صفراء هبت بمدينة الموصل فمات من حرها خلق كثير . وفيها: حج بالناس الفضل الهاشمي . وفيها توفي من الأعيان :

ابن الراوندي

أحد مشاهير الزنادقة، كان أبوه يهودياً فأظهر الإسلام، ويقال : إنه حرّف في التوراة كما عادى ابنه القرآن بالقرآن وألحد فيه، وصنف كتاباً في الرد على القرآن سماه (الدامغ). وكتاباً في الرد على الشريعة والاعتراض عليها سماه (الزمردة) . وكتابا يقال له : (التاج) في معنى ذلك، وله كتاب (الفريد) وكتاب (إمامة المفضول الفاضل). وقد انتصب للرد عليه في كتبه هذه جماعة منهم : الشيخ أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي شيخ المعتزلة في زمانه، وقد أجاد في ذلك . وكذلك ولده أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي .

قال الشيخ أبو علي : قرأت كتاب هذا الملحد الجاهل السفيه ابن الراوندي فلم أجد فيه إلا السفه والكذب والافتراء، قال: وقد وضع كتابا في قدم العالم ونفي الصانع ، وتصحيح مذهب الدهرية والرد على أهل التوحيد، ووضع كتابا في الرد على محمد رسول الله ﷺ في سبعة عشر موضعا، ونسبه إلى الكذب — يعني النبي ﷺ وطعن على القرآن، ووضع كتابا لليهود والنصارى وفضل دينهم على المسلمين والإسلام، يحتج لهم فيها على إبطال نبوة محمد ﷺ ، إلى غير ذلك من الكتب التي تبين خروجه عن الإسلام . نقل ذلك ابن الجوزي عنه . وقد أورد ابن الجوزي في (منتظمه) طرفا من كلامه وزندقته وطعنه على الآيات ، والشريعة . ورد عليه في ذلك، وهو أقل وأخس من أن يلتفت إليه وإلى جهله وكلامه وهذيانه وسفهه وتمويهه. وقد أسند إليه حكايات من المسخرة والاستهتار والكفر والكبائر، منها ما هو صحيح عنه ومنها ما هو مفتعل عليه ممن هو مثله، وعلى طريقه ومسلكه في الكفر والتستر في المسخرة، يخرجونها في قوالب مسخره وقلوبهم مشحونة بالكفر والزندقة، وهذا كثير موجود فيمن يدعي الإسلام وهو منافق،

يتمسخرون بالرسول ودينه وكتابه ، وهؤلاء ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [التوبة : ٦٥] .

وقد كان أبو عيسى الوراق مصاحبا لابن الراوندي هذا قبّحهما الله تعالى فلما علم الناس بأمرهما طلب السلطان أبا عيسى فأودع السجن حتى مات . وأما ابن الراوندي فهرب ولجأ إلى ابن لاوي اليهودي، وصنف له في مدة مقامه عنده، كتابه الذي سماه« الدامغ للقرآن » فلم يلبث بعده إلا أياما يسيره حتى مات لعنه الله . ويقال: إنه أخذ وصلب . قال أبو الوفاء بن عقيل: ورأيت في كتاب محقق أنه عاش ستا وثلاثين سنة مع ما انتهى إليه من التوغل في المخازي في هذا العمر القصير لعنه الله وقبّحه ولا رحم عظامه .

وقد ذكره القاضي ابن خلكان في (الوفيات) قلس [١] عليه ولم يجرحه بشيء، ولا كأن الكلب أكل له عجينًا، على عادته في العلماء والشعراء، فالشعراء يطيل تراجمهم، والعلماء يذكر لهم ترجمة يسيرة، والزنادقة يترك ذكر زندقتهم . وأرخ ابن خلكان تاريخ وفاته في سنة خمس وأربعين ومائتين، وقد وهم وهما فاحشا، والصحيح أنه توفي في هذه السنة كما أرخه ابن الجوزي وغيره. وفيها توفي :

الجنيد بن محمد بن الجنيد

أبو القاسم الخزاز، ويقال له : القواريري، أصله من نهاوند، ولد ببغداد ونشأ بها . وسمع الحديث من الحسن بن عرفة . وتفقه بأبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي، وكان يفتي بحضرته وعمره عشرون سنة، وقد ذكرناه في (طبقات الشافعية)، واشتهر بصحبة الحارث المحاسبي، وخاله سري السقطي، ولازم التعبد، ففتح الله عليه بسبب ذلك علوماً كثيرة . وتكلم على طريقة الصوفية. وكان ورده في كل يوم ثلاثمائة ركعة، وثلاثين ألف تسبيحة . ومكث أربعين سنة، لا يأوي إلى فراش، ففتح عليه من العلم النافع والعمل الصالح بأمور لم تحصل لغيره في زمانه، وكان مع ذلك يعرف سائر فنون العلم وإذا أخذ فيها لم يكن له فيها وقفة ولا كبوة، حتى كان يقول في المسألة الواحدة : وجوهاً كثيرة لم تخطر للعلماء ببال، وكذلك في التصوف وغيره. ولما حضرته الوفاة جعل يصلي ويتلو القرآن، فقيل له: لو رفقت بنفسك في مثل هذا الحال ؟ فقال: لا أحد أحوج إلى ذلك مني الآن، وهذا أوان طي صحيفتي .

قال ابن خلكان : أخذ الفقه عن أبي ثور صاحب الشافعي، ويقال: كان يتفقه على مذهب سفيان الثوري، وكان ابن سريج يصحبه ويلازمه وربما استفاد منه أشياء في الفقه لم تخطر له ببال، ويقال: إنه سأله مرة عن مسألة فأجابه فيها بجوابات كثيرة، فقال: يا أبا القاسم : لم أكن أعرف فيها سوى ثلاثة أجوبة مما ذكرت، فَأَعِدْهَا عَلَيَّ ، فأعادها بجوابات أخرى

---

(١) قلس عليه : أي : لم يذكر شيئا من عيوبه، وسكت عنه، وطمس عيوبه .

كثيرة، فقال: والله ما سمعت هذا قبل اليوم، فَأَعِدْهُ . فأعاده بجوابات أخرى غير ذلك ، فقال له: لم أسمع بمثل هذا فَأَمْلِه عليَّ حتى أكتبه . فقال الجنيد: لئن كنت أجريه فأنا أمليه، أي: إن الله هو الذي يجري ذلك على قلبي وينطق به لساني، وليس هذا مستفاد من كتب ولا من تعلم، وإنما هذا من فضل الله عزّ وجلّ يلهمنيه ويجريه على لساني . فقال: فمن أين استفدت هذا العلم؟. قال: من جلوسي بين يدي الله أربعين سنة . والصحيح أنه كان على مذهب سفيان الثوري وطريقه والله أعلم .

وسئل الجنيد عن العارف ؟ فقال: من نطق عن سرك وأنت ساكت . وكان يقول : مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في مذهبنا وطريقتنا. ورأى بعضهم معه مسبحة فقال له: أتتخذ مسبحة مع شرفك ؟ فقال: طريق وصلت به إلى الله لا أفارقه . وقال له خاله السري الصفتي : تكلم على الناس، فلم ير نفسه موضعاً. فرأى في المنام رسول الله ﷺفقال له: تكلم على الناس فغدا على خاله، فقال له: لم تسمع مني حتى قال لك رسول الله ﷺ: فتكلم على الناس، فجاءه يوما شاب نصراني في صورة مسلم، فقال له: يا أبا القاسم ما معنى قول النبي ﷺ:« **اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله** »[1]؟ قال : فأطرق ثم رفعت رأسي إليه وقال: أسلم فقد آن لك أن تسلم قال : فأسلم الغلام . وقال الجنيد: ما انتفعت بشيء كانتفاعي بأبيات سمعتها من جارية تغني بها في غرفة وهي تقول :

إذا قُلْتُ : أهدى الهجرُ لي حُلَلَ البِلَى ... تقولينَ : لولا الهجرُ لم يطبِ الحُــبُّ

وَإنْ قُلْتُ : هذا القلبُ أحرقَه الجوى ... تقولينَ لي : إنّ الجوى شرفُ القلبِ

وَإنْ قُلْتُ: ما أذنبتُ ، قالتْ مجيبة: ... حياتُك ذنبٌ لا يُقاسُ به ذنبُ

قال: فصعقت وصحت، فخرج صاحب الدار فقال: يا سيدي مالك؟ قلت: مما سمعت . قال: هي هبة مني إليك . فقلت : قد قبلتها وهي حرة لوجه الله . ثم زوجتها لرجل فأولدها ولدًا صالحا حج على قدميه ثلاثين حجة. وفيها توفي :

سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور أبو عثمان الواعظ

ولد بالري، ونشأ بها ، ثم انتقل إلى نيسابور فكسنها إلى أن مات بها، وقد دخل بغداد . وكان يقال : إنه مجاب الدعوة . قال الخطيب: أخبرنا عبد الكريم بن هوازن قال : سمعت أبا عثمان يقول: منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حالة فكرهتها، ولا نقلني إلى غيرها فسخطتها. وكان أبو عثمان ينشد :

أسأتُ و لم أحـــسنْ، وجئتكَ هاربًا ... وأينَ لعـــبد عـــن مـــواليه مهربُ؟

---

(١) سبق تخريجه وهو ضعيف .

يؤمّلُ غفرانًا ، فإنْ خــابَ ظَنُّهُ فما أحدٌ منهُ عــلى الأرضِ أخيبُ

وروى الخطيب أنه سئل: أي أعمالك أرجى عندك؟ فقال: إني لما ترعرعت وأنا بالري ، وكانوا يريدونني على التزويج فأمتنع ، فجاءتني امرأة فقالت: يا أبا عثمان قد أحببتك حبًا أذهب نومي وقراري، وأنا أسألك بمُقلِّبِ القلوب وأتوسل به إليك لما تزوجتني .

فقلت: ألك والد ؟ فقالت : نعم. فأحضرته فاستدعى بالشهود فتزوجتها فلما خلوت بها إذا هي عوراء عرجاء شوهاء مشوهة الخلق ، فقلت: اللهم لك الحمد على ما قدرته لي وكان أهل بيتي يلومونني على تزويجي بها، فكنت أزيدها برًا وإكراما، وربما احتبستني عندها ومنعتني من الحضور إلى بعض المجالس، وكأني كنت في بعض أوقاتي على الجمر وأنا لا أبدي لها من ذلك شيئا. فمكثت كذلك خمس عشرة سنة، فما شيء أرجى عندي من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي. وفيها توفي :

سمنون بن حمزه

ويقال : ابن عبد الله، أحد مشايخ الصوفية، كان ورده في كل يوم ليلة خمسمائة ركعة، وسمى نفسه سمنونا الكذاب لقوله :

فليس لي في سِــوَاك حظُّ فكيفمــا شئتَ فامتحني

فابتلى بعسر البول. فكان يطوف على المكاتب ويقول للصبيان: ادعوا لعمكم الكذاب . وكان له كلام متين في المحبة، وقد وسوس في آخر عمره، وكلامه في المحبة مستقيم. وفيها توفي :

صافي الحربي

كان من أكابر أمراء الدولة العباسية . أوصى في مرضه أن ليس له عند غلامه القاسم شيء فلما مات حمل غلامه القاسم إلى الوزير مائة ألف دينار وسبعمائة وعشرين منطقة من الذهب مكللة، فاستمروا غلامه على إمرته ومنــزلته .

إسحاق بن حنين بن إسحاق

أبو يعقوب العبادي ــ نسبه إلى قبائل الجزيرة ــ الطبيب ابن الطبيب، له ولأبيه مصنفات كثيرة في هذا الشأن ، وكان أبوه يعرف كلام إرسططاليس وغيره من حكماء اليونان . توفي في هذه السنة .

الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا

أبو عبد الله ال شيعي، الذي أقام الدعوة للمهدي، وهو عبد الله بن ميمون الذي يزعم أنه فاطمي، وقد زعم غير واحد من أهل التاريخ أنه كان يهوديا صباغا بسلمية، والمقصود الآن: أن أبا عبد الله الشيعي دخل بــلاد إفريقية وحده فقيرًا لا مال له ولا رحال ، فلم يزل يعمل الحيلة

حتى انتزع الملك من يدي أبي نصر زيادة الله، آخر ملوك بني الأغلب على بلاد إفريقية، واستدعى حينئذ مخدومه المهدي من بلاد المشرق، فقدم فلم يخلص إليه إلا بعد شدائد طوال، وحبس في أثناء الطريق فاستنقذه هذا الشيعي وسلّمه من الهلكة، فندمه أخوه أحمد، وقال له: ماذا صنعت؟ وهلا كنت استبددت بالأمر دون هذا ؟ فندم وشرع يعمـــل الحيلة في المهدي ، فاستشعر المهدي بذلك فدس إليهما من قتلهما في هذه السنة بمدينة رقادة من بلاد القيروان، من إقليم إفريقية . هذا ملخص ما ذكره ابن خلكان .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائتين

قال ابن الجوزي: وفيها ظهرت ثلاث كواكب مذنبة . أحدها في رمضان، والثاني في ذي القعدة تبقى أياما ثم تضمحل . وفيها وقع طاعون بأرض فارس مات فيه سبعة آلاف إنسان . وفيها غضب الخليفة على الوزير علي بن محمد بن الفرات وعزله عن الوزارة وأمر بنهب داره فنهبت أقبح نهب، واستوزر أبا علي محمد بن عبد الله بن يحيى بن خاقان ، وكان قد التزم لأم ولد المقتدر بمائة ألف دينار، حتى سعت في ولايته . وفيها وردت هدايا كثيرة من الأقاليم من ديار مصر وخراسان وغيرها، من ذلك خمسمائة ألف دينار من مصر استخرجت من كنـــز وجد هناك من غير موانع كما يدعيه كثير من جهلة العوام وغيرهم من ضعيفي الأحلام ، مكراً وخديعة ليأكلوا أموال الطغام والعوام أهل الطمع والآثام، وقد وجد في هذا الكنـــز ضلع إنسان طوله أربعة عشر شبرا وعرضه شبر، وذكر أنه من قوم عاد فالله أعلم . وكان من جملة هدية مصر تيس له ضرع يحلب لبنا . ومن ذلك بساط أرسله ابن أبي الساج في جملة هداياه، طوله سبعون ذراعا وعرضه ستون ذراعا، عمل في عشر سنين لا قيمة له، وهدايا فاخرة أرسلها أحمد بن إسماعيل بن أحمد الساماني من بلاد خراسان كثيرة جدًا . وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك العباسي أمير الحجيج من مدة طويلة. وفيها توفي من الأعيان .

أحمد بن نصر بن إبراهيم أبو عمرو الخفاف

الحافظ. كان يذاكر بمائة ألف حديث، سمع إسحاق بن راهويه وطبقته، وكان كثير الصيام سرده نَيِّفاً وثلاثين سنة، وكان كثير الصدقة، سأله سائل فأعطاه درهمين، فحمد الله فجعلها خمسة، فحمد الله فجعلها عشرة، ثم ما زال يزيده ويحمد السائل الله حتى جعلها مائة. فقال: جعل الله عليك واقية باقية. فقال للسائل: والله لو لزمت الحمد لأزيدنك ولو إلى عشرة آلاف درهم .

البهلول بن إسحاق بن البهلول

ابن حسان بن سنان أبو محمد التنوخي، سمع إسماعيل بن أبي أويس، وسعيد بن منصور ومصعباً الزبيري وغيرهم، وعنه جماعة آخرهم أبو بكر الإسماعيلي الجرجاني الحافظ، وكان ثقة حافظاً ضابطاً بليغاً فصيحاً في خطبه توفي فيها عن خمس وتسعين سنة .

الحسين بن عبد الله بن أحمد أبو علي الخرقي

صاحب المختصر، في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل . كان خليفة للمروذي . توفي يوم عيد الفطر ودفن عند قبر الإمام أحمد بن حنبل .

محمد بن إسماعيل أبو عبد الله المغربي

حج على قدميه سبعًا وتسعين حجة، وكان يمشي في الليل المظلم حافيا كما يمشي الرجل في ضوء النهار، وكان المشاة يأتمون به فيرشدهم إلى الطريق، وقال: ما رأيت ظلمة منذ سنين كثيرة، وكانت قدماه مع كثرة مشيه كأنهما قدما عروس مترفة، وله كلام مليح نافع. ولما مات أوصى أن يدفن إلى جانب شيخه علي بن رزين، فهما على جبل الطور .

قال أبو نعيم : كان أبو عبد الله المغربي من المعمرين، توفي عن مائة وعشرين سنة ، وقبره بجبل طور سيناء عند قبر أستاذه علي بن رزين .

قال أبو عبد الله: أفضل الأعمال عمارة الأوقاف . وقال: الفقير هو الذي لا يرجع إلى مستند في الكون غير الالتجاء إلى من إليه فقره ليعينه بالاستعانة كما عزره بالافتقار إليه. وقال: أعظم الناس ذلا فقير داهن غنيا وتواضع له، وأعظم الناس عزًّا غني تذلل لفقير أو حفظ حرمته .

محمد بن أبي بكر بن أبي خثيمة

أبو عبد الله الحافظ بن الحافظ كان أبوه يستعين به في جمع التاريخ، وكان فهما حاذقا حافظا ، توفي في ذي العقدة منها .

محمد بن أحمد بن كيسان النحوي

أحد حفاظه والمكثرين منه ، كان يحفظ طريقة البصريين والكوفيين معا .

قال ابن مجاهد : كان ابن كيسان أنحى من الشيخين المبرد وثعلب .

محمد بن يحيى

أبو سعيد، سكن دمشق، روى عن إبراهيم بن سعد الجوهري، وأحمد بن منيع، وابن أبي شيبة وغيرهم، روى عنه أبو بكر النقاش وغيره، وكان محمد بن يحيى هذا يدعى بحامل كفنه، وذلك ما ذكره الخطيب قال : بلغني أنه توفي فغسل وكفن وصلي عليه ودفن، فلما كان الليل جاء نباش ليسرق كفنه ففتح عليه قبره، فلما حل عنه كفنه استوى جالساً وفر النباش هاربا من الفزع، ونهض محمد بن يحيى هذا فأخذ كفنه معه، وخرج من القبر وقصد منـــزله فوجد أهله يبكون عليه، فدق عليهم الباب. فقالوا: من هذا ؟ فقال : أنا فلان . فقالوا : يا هذا، لا يحل لك أن تزيدنا حزنا إلى حزننا. فقال: افتحوا والله أنا فلان، فعرفوا صوته فلما رأوه فرحوا به فرحا شديدًا وأبدل الله حزنهم سروراً، ثم ذكر لهم ما كان من أمره وأمر النباش . وكأنه قد أصابته سكتة و لم يكن قد مات حقيقة فقدر الله بحوله وقوته أن بعث له هذا النباش ففتح عليه قبره، فكان ذلك سبب حياته، فعاش بعد ذلك عدة سنين، ثم كانت وفاته في هذه السنة .

فاطمة القهرمانة

غضب عليها المقتدر مرة فصادرها، وكان في جملة ما أخذ منها مائتي ألف دينار، ثم غرقت في طيارة لها في هذه السنة .

ثم دخلت سنة ثلاثمائة مائة من الهجرة

فيها: كثر ماء دجلة وتراكمت الأمطار ببغداد، وتناثرت نجوم كثيرة في ليلة الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة . وفيها: كثرت الأمراض ببغداد والأسقام وكلبت الكلاب حتى الذئاب بالبادية . وكانت تقصد الناس بالنهار فمن عضته أكلبته . وفيها انحسر جبل بالدينور يعرف بالتل فخرج من تحته ماء عظيم غرّق عدة من القرى وفيها سقطت شرذمة ــ أي قطعة ــ من جبل لبنان إلى البحر. وفيها: حملت بغلة ووضعت مهرة، وفيها: صلب الحسين بن منصور الحلاج وهو حي أربعة أيام ، يومين في الجانب الشرقي ، ويومين في الجانب الغربي، وذلك في ربيع الأول منها. وحج بالناس أمير الحجيج المتقدم ذكره في السنين قبلها، وهو الفضل بن عبد الملك الهاشمي العباسي أثابه الله وتقبل منه . . . وفيها توفي من الأعيان :

الأحوص بن الفضل

ابن معاوية بن خالد بن غسان أبو أمية الغلابي القاضي بالبصرة وغيرها، روى عن أبيه التاريخ ، استتر مرة عنده ابن الفرات فلما أعيد إلى الوزارة ولّاه قضاء البصرة والأهواز وواسط. وكان عفيفا نزهاً، فلما نكب ابن الفرات قبض عليه نائب البصرة فأودعه السجن فلم يزل به حتى مات فيه فيها . قال ابن الجوزي : ولا نعلم قاضيا مات في السجن سواه .

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

ابن الحسين بن مصعب أبو أحمد الخزاعي، ولي إمرة بغداد . وحدث عن الزبير بن بكار وعنه الصولي والطبراني ، وكان أديبا فاضلا ، ومن شعره :

حـــقُّ التنائي بينَ أهلِ الهـــوى ... تكاتُبٌ يُـــسْخِنُ عينَ النـــوى
وفي التداني لا انقضَى عُمْرُهُ ... تزاورٌ يَشْفي غَـلَيلَ الـــجوى

واتفق له مرة أن جارية له مرضت فاشتهت ثلجاً . وكانت حظية عنده ، فلم يوجد الثلج إلا عند رجل فساومه وكيله على رطل منه فامتنع من بيعه إلا كل رطل بالعراقي بخمسة آلاف درهم ــ وذلك لعلم صاحب الثلج بحاجتهم إليه ــ فرجع الوكيل ليشاوره فقال: ويحك ! اشتره ولو بما عساه أن يكون فرجع إلى صاحب الثلج ، فقال : لا أبيعه إلا بعشرة آلاف . فاشتراه بعشرة آلاف ثم اشتهت الجارية ثلجا أيضا ــ وذلك لموافقته لها ــ فرجع فاشترى منه رطلا آخر بعشر آلاف . ثم آخر بعشرة آلاف وبقي عند صاحب الثلج رطلان ، فنطفت نفسه إلى أكل رطل منه ليقول: أكلت رطلا من الثلج بعشرة آلاف فأكله وبقي عنده رطل فجاءه

الوكيل فامتنع أن يبيعه الرطل إلا بثلاثين ألفا فاشتراه منه فشفيت الجارية وتصدقت بمال جزيل فاستدعي سيدها صاحب الثلج فأعطاه من تلك الصدقة مالا جزيلا فصار من أكثر الناس مالا بعد ذلك، واستخدمه ابن طاهر عنده والله أعلم .

وممن توفي في حدود الثلاثمائة من الهجرة تقريبا .

الصنوبري الشاعر

وهو محمد بن أحمد بن محمد بن مراد أبو بكر الضبي الصنوبري الحنبلي . قال الحافظ بن عساكر . كان شاعرًا محسنا . وقد حكى عن علي بن سليمان الأخفش، ثم ذكر أشياء من لطائف شعره فمن ذلك قوله :

لا النـــومُ أدري بـــه ولا الأرقُ ... يدري بهذين من بـــه رمـــقُ [١]

إنّ دموعي من طول ما اســـتبقتْ ... كلّت فما تستطيــــع تستـــبقُ

ولي مَلكُ لم تبـــدُ صـــورتُـــهُ ... مذْ كانَ إلاّ صلّتْ له الـحدقُ [٢]

نويـــتُ تقبيـــلَ نـــارِ وجنتهِ ... وخفتُ أدنو منهـــا فاحتـــرقُ

وله أيضا :

شمسٌ غدا يشـــبهُ شمســاً غدتْ ... وخـــدُّها في النـــوْر [٣] مـــن خدِّه

تغيـــبُ في فيـــه [٤] ولكنّهـــا ... من بعد ذا تطلـــعُ في خـــدِّه

وقد روى الحافظ البيهقي عن شيخه الحاكم عن أبي الفضل نصر بن محمد الطوسي قال : أنشدنا أبو بكر الصنوبري فقال :

هدَمَ الشـــيبُ ما بنـــاهُ الشبابُ ... والغواني ما عصـــينَ خضـــابُ

قلبُ الآبنوسُ عـــاجًا فلـــلأ ... عين منه وللقـــلوب انقـــلابُ

وضلالٌ في الرأي أن يُشْنَأَ الـــ ... ـــبَازي على حُسْنه ويُهْوىَ الغرابُ

وله أيضا وقد أورده ابن عساكر في ابن له فطم فجعل يبكي على ثديه :

منعوهُ أحـــبّ شـــيء إليـــه ... منْ جميـــع الورى ومـــنْ والديه

منعوه غـــذاهُ ولقـــد كـــانَ ... مباحـــاً لَهُ وبينَ . يـــديـــه

عجبًـــا له على صغـــرِ السـنِّ ... هوى فاهتـــدى الفـــراقُ إليه

إبراهيم بن أحمد بن محمد

ابن المولد، أبو إسحاق الصوفي الواعظ الرقي أحد مشايخها، روى الحديث وصحب أبا عبد الله بن الجلاء الدمشقي، والجنيد وغير واحد . وروى عنه تمام بن محمد وأبو عبد الرحمن السلمي . وقد أورد ابن عساكر من شعره قوله :

---

(١) الرمق : بقية الروح .

(٢) صلت : نصبت له الأشراك وتتبعته . الحَدَقُ : واحدة حَدَقَةٌ : العين سوادها الأعظم .

(٣) النَوْرُ : الضوء والحسن ، والشجر أخرج نَوْره — الزهر الأبيض منه .

(٤) فيه : ثَغْرُهُ – فَمُهُ .

لك مـــني على البعـــاد نصيبُ | لم ينلــه على الدنـــو حبيـــبُ
وعلى الطرف من سواك حجـابُ | وعلى القلب من هـــواك رقيـــبُ
زين في ناظرَي هـــواك وقلـــبي | والهوى فيه زائـــع ومشـــوب
كيفَ يُغني قربُ الطبيــبِ عليلاً ؟ | أنت أسـقمته وأنـــتَ الطبيبُ

وقوله :

الصمـــتُ آمَنُ مِنْ كُـلِّ نـازلة | مَنْ نـــالهُ نـــالَ أفضـــلَ الغُنْمِ
ما نزلت بالرجـــال نـازلةٌ | أعظم ضرًا من لفظـــة النعـــم
عثرةُ هـــذا اللســـان مهلـــكةٌ | ليســـتْ لدينا كعثـــرة القـــدمِ
احفظ لسانًا يُلْقيكَ في تلـــف | فَــرُبَّ قــولٍ أذل ذا كَــرمِ

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثمائة

فيها: غزا الحسين بن حمدان الصائفة ففتح حصونا كثيرة من بلاد الروم، وقتل منها أممًا لا يحصون كثرة . وفيها عزل المقتدر محمد بن عبد الله عن وزارته وقلّدها عيسى بن علي، وكان من خيار الوزراءو أقصدهم للعدل والإحسان . واتباع الحق وفيها كثرت الأمراض الدموية ببغداد في تموز وآب، فمات من ذلك خلق كثير من أهلها . وفيها وصلت هدايا صاحب عمان وفيها بغلة بيضاء وغزال أسود . وفي شعبان منها ركب المقتدر إلى باب الشماسية على الخيل. ثم انحدر إلى داره في دجلة ـــ وكانت أول ركبة ركبها جهرة للعامة ـــ وفيها استأذن الوزير علي بن عيسى الخليفة المقتدر بالله في مكاتبة رأس القرامطة أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي فأذن له، فكتب كتابا طويلا يدعوه فيه إلى السمع والطاعة، ويوبخه على ما يتعاطاه من ترك الصلاة والزكاة وارتكاب المنكرات، وإنكارهم على من يذكر الله ويسبحه ويحمده، واستهزائهم بالدين واسترقاقهم الحرائر، ثم توعده بالحرب وتهدده بالقتل، فلما سار بالكتاب نحوه قتل أبو سعيد قبل أن يصله، قتله بعض خدمه، وعهد بالأمر من بعده لولده سعيد، فغلبه على ذلك أخوه أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد، فلما قرأ كتاب الوزير أجابه بما حاصله: إن هذا الذي تنسب إلينا مما ذكرتم لم يثبت عندكم إلا من طريق من يشنع علينا، وإذا كان الخليفة ينسبنا إلى الكفر بالله فكيف يدعونا إلى السمع والطاعة له؟ وفيها: جيء بالحسين بن منصور الحلاج إلى بغداد وهو مشهور على جمل وغلام له راكب جملا آخر، ينادي عليه: أحد دعاة القرامطة فعرفوه، ثم حبس ثم جيء به إلى مجلس الوزير. فناظره، فإذا هو لا يقرأ القرآن، ولا يعرف في الحديث ولا الفقه شيئاً، ولا في اللغة، ولا في الأخبار، ولا في الشعر شيئاً، وكان الذي نقم عليه: أنه وجدت له رقاع يدعو فيها الناس إلى الضلالة والجهالة بأنواع من الرموز، يقول في مكاتباته كثيراً: تبارك ذور النور الشعشعاني. فقال له الوزير: تعلمك الطهور والفروض أجدى عليك من رسائل لا تدري ما تقول فيها، وما أحوجك إلى الأدب . ثم أمر به فصلب حيًا صلب الاشتهار لا القتل،

ثم أنزل فأجلس في دار الخلافة، فجعل يظهر لهم أنه على السنة ، وأنه زاهد، حتى اغتر به كثير من الخدام وغيرهم من أهل دار الخلافة من الجهلة، حتى صاروا يتبركون به ويتمسحون بثيابه. وسيأتي ما صار إليه أمره حين قتل بإجماع الفقهاء وأكثر الصوفية. ووقع في هذه السنة في آخرها ببغداد وباء شديد جداً مات بسببه بشر كثير، ولا سيما بالحربية غلقت عامة دورها . وحج بالناس فيها : الأمير المتقدم ذكره . وفيها توفي من الأعيان :

إبراهيم بن خالد الشافعي

جمع العلم والزهد، وهو من تلاميذ أبي بكر الإسماعيلي .

جعفر بن محمد

ابن الحسين بن المستفاض أبو بكر الفريابي قاضي الدينور ، طاف البلاد في طلب العلم، وسمع الكثير من المشايخ الكثيرين، مثل قتيبة، وأبي كريب المديني، وعنه أبو الحسين بن المنادي، والنجاد، وأبو بكر الشافعي وخلق، واستوطن بغداد وكان ثقة حافظاً حجة، وكان عدة من يحضر بجلسه نحوا من ثلاثين ألفا، والمستملون عليه منهم فوق الثلاثمائة، وأصحاب المحابر نحوًا من عشرة آلاف . توفي في المحرم منها عن أربع وتسعين سنة ، وكان قد حفر لنفسه قبراً قبل وفاته بخمس سنين، فكان يأتيه فيقف عنده . ثم لم يقض له الدفن فيه بل دفن بمكان آخر. رحمه الله حيث كان .

أبو سعيد الجنابي القرمطي

وهو الحسين بن بهرام ــ قبحه الله ــ وهو رأس القرامطة، والذي يعول عليه في بلاد البحرين وما والاها .

علي بن أحمد الراسبي

كان يلي بلاد واسط إلى شهرزور وغير ذلك ، وقد خلف من الأموال شيئاً كثيراً، من ذلك ألف ألف دينار، ومن آنية الذهب والفضة ونحو ذلك ما يعادل مائة ألف دينار، ومن البقر ألف ثور، ومن الخيل والبغال والجمال ألف رأس .

محمد بن عبد الله بن علي بن محمد بن أبي الشوارب

يعرف بالأحنف . كان قد ولي قضاء مدينة المنصور نيابة عن أبيه حين فلج، مات في جمادى الأولى منها . وتوفي أبوه في رجب منها، بينهما ثلاثة وسبعون يومًا، ودفنا في موضع واحد. رحمهما الله تعالى .

وأبو بكر **محمد بن هارون البردعي** الحافظ بن ناجية والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثمائة

فيها: ورد كتاب مؤنس الخادم بأنه قد أوقع بالروم بأسا شديداً، وإنه قد أسر منهم مائة وخمسين بطريقا — أي أميرًا — ففرح المسلمون بذلك . . . وفيها: ختن المقتدر خمسة من أولاده فعزم على هذا الختان ستمائة ألف دينار، وقد ختن قبلهم ومعهم خلقا من اليتامى وأحسن إليهم بالمال والكساوى، وهذا صنيع حسن إن شاء الله . وفيها: صادر المقتدر أبا علي ابن الجصاص بستة عشر ألف ألف دينار غير الآنية والثياب الثمينة . وفيها: أرسل الخليفة المقتدر أولاده إلى المكتب فكان يوما مشهوداً . وفيها: بنى الوزير المارستان بالحربية من بغداد، وأنفق عليها أموالا جزيلة، جزاه الله خيراً وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمي . وقطعت الأعراب وطائفة من القرامطة الطريقين على الراجعين من الحجيج، وأخذوا منهم أموالا كثيرة، وقتلوا منهم خلقا وأسروا أكثر من مائتي امرأة حرة، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها توفي من الأعيان :

بشر بن نصر بن منصور

أبو القاسم الفقيه الشافعي، من أهل مصر يعرف بغلام عَرَق، وعرق خادم من خدام السلطان كان يلي البريد، فقدم معه بهذا الرجل مصر فأقام بها حتى مات بها .

بدعة جارية غريب المغنية، بذل لسيدتها فيها مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار من بعض من رغب فيها من الخلفاء، فعرض ذلك عليها. فكرهت مفارقة سيدتها، فأعتقتها سيدتها في موتها، وتأخرت وفاتها إلى هذه السنة ، وقد تركت من المال العين [١] والأملاك ما لم يملكه رجل .

القاضي أبو زرعه محمد بن عثمان الشافعي

قاضي مصر ثم دمشق، وهو أول من حكم بمذهب الشافعي بالشام وأشاعه بها، وقد كان أهل الشام على مذهب الأوزاعي من حين مات إلى هذه السنة . وثبت على مذهب الأوزاعي بقايا كثيرون لم يفارقوه ، وكان ثقة عدلا من سادات القضاة، وكان أصله من أهل الكتاب من اليهود، ثم أسلم وصار إلى ما صار إليه . وقد ذكرنا ترجمته في (طبقات الشافعية) .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثمائة

فيها: وقف المقتدر بالله أموالا جزيلة وضياعا على الحرمين الشريفين، واستدعى بالقضاة والأعيان وأشهدهم على نفسه بما وقفه من ذلك . وفيها قدم إلى بغداد بجماعة من الأسارى من الأعراب الذين كانوا قد عدوا على الحجيج، فلم يتمالك العامة أن عدت عليهم فقتلوهم، فأخذ بعضهم فعوقب لكونه افتات [٢] على السلطان . وفيها: وقع حريق شديد في سوق

(١) العين : المال ذهبا وفضة، وأشياء نفيسة، وغير ذلك .

(٢) افتات : اختلق باطلا عليه .

النجارين ببغداد فأحرق السوق بكماله، وفي ذي الحجة من هذه السنة مرض المقتدر ثلاثة عشر يوماً، ولم يمرض في خلافته مع طولها إلا هذه المرضة . وحج بالناس فيها الفضل الهاشمي، ولما خاف الوزير على الحجاج من شأن القرامطة كتب إليهم رسالة ليشغلهم بها، فاتهمه بعض الكتاب بمراسلته القرامطة، فلما انكشف أمره وما قصده حظي بذلك عند الناس جدًا .

وممن توفي من الأعيان :

النسائي أحمد بن علي

ابن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمن النسائي صاحب «السنن»، الإمام في عصره والمقدم على أضرابه وأشكاله وفضلاء دهره، رحل إلى الآفاق، واشتغل بسماع الحديث والاجتماع بالأئمة الحذاق، ومشايخه الذين روى عنهم مشافهة . قد ذكرناهم في كتابنا (التكميل) ولله الحمد والمنة وترجمناه أيضا هنالك، وروى عنه خلق كثير وجم غفير ، وقد جمع (السنن الكبير)، وانتخب منه ما هو أقل حجما منه بمرات . وقد وقع لي سماعهما . وقد أبان في تصنيفه عن حفظ وإتقان وصدق وإيمان وتوفيق وعرفان . قال الحاكم عن الدارقطني : أبو عبد الرحمن النسائي مقدم على كل من يذكر بهذا العلم من أهل عصره، وكان يسمي كتابه (الصحيح). وقال أبو علي الحافظ: إن للنسائي شرط في الرجال أشد من شرط مسلم بن الحجاج، وكان من أئمة المسلمين . وقال أيضا: هو الإمام في الحديث بلا مدافعة .

وقال أبو الحسين محمد بن مظفر الحافظ: سمعت مشايخنا بمصر، يعترفون له بالتقدم والإمامة، ويصفون من اجتهاده في العبادة بالليل والنهار ومواظبته على الحج والجهاد . وقال غيره: كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وكان له أربع زوجات وسريتان، وكان كثير الجماع، حسن الوجه مشرق اللون . قالوا: وكان يقسم للإماء كما يقسم للحرائر . وقال الدارقطني: كان أبو بكر بن الحداد كثير الحديث ولم يحدث عن أحد سوى النسائي وقال: رضيت به حجة فيما بيني وبين الله عزّ وجلّ . وقال ابن يونس: كان النسائي إمامًا في الحديث ثقة ثبتا حافظا، كان خروجه من مصر في سنة ثنتين وثلاثمائة .

وقال ابن عدي: سمعت منصوراً الفقيه وأحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي يقولان: أبو عبد الرحمن النسائي إمام من أئمة المسلمين، وكذلك أثنى عليه غير واحد من الأئمة وشهدوا له بالفضل والتقدم في هذا الشأن. قد ولي الحكم بمدينة حمص . سمعته من شيخنا المزي عن رواية الطبراني في معجمه الأوسط حيث قال: حدثنا أحمد بن شعيب الحاكم بحمص . وذكروا أنه كان له من النساء أربع نسوة، وكان في غاية الحسن، وجهه كأنه قنديل، وكان يأكل من كل يوم ديكا ويشرب عليه نقيع الزبيب الحلال، وقد قيل عنه: إنه كان ينسب إليه شيء من التشيع. قالوا: ودخل إلى دمشق فسأل أهلها أن يحدثهم بشيء من فضائل معاوية، فقال: أما يكفي معاوية أن يذهب رأسا برأس حتى يروى له الفضائل؟ فقاموا إليه فجعلوا يطعنون في

خصيتيه حتى أخرج من المسجد الجامع، فسار من عندهم إلى مكة فمات بها في هذه السنة، وقبره بها هكذا حكاه الحاكم عن محمد بن إسحاق الأصبهاني عن مشايخه .

وقال الدارقطني: كان أفقه مشايخ مصر في عصره، وأعرفهم بالصحيح من السقيم من الآثار، وأعرفهم بالرجال، فلما بلغ هذا المبلغ حسدوه فخرج إلى الرملة، فسئل عن فضائل معاوية فأمسك عنه فضربوه في الجامع، فقال: أخرجوني إلى مكة، فأخرجوه وهو عليل، فتوفي بمكة مقتولا شهيداً، مع ما رزق النسائي من الفضائل رزق الشهادة في آخر عمره، مات بمكة سنة ثلاث وثلاثمائة .

قال الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الغني بن نقطة في تقييده ومن خط أبي عامر محمد بن سعدون العبدري الحافظ : مات أبو عبدالرحمن النسائي بالرملة مدينة فلسطين يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثمائة، ودفن ببيت المقدس . وحكى ابن خلكان في الوفيات : أنه توفي في شعبان من هذه السنة، وأنه إنما صنف الخصائص في فضل علي، وأهل البيت ، لأنه رأى أهل دمشق حين قدمها في سنة ثنتين وثلاثمائة عندهم نفرة من عليٍّ، وسألوه عن معاوية، فقال ما قال، فدققوه في خصيتيه فمات . وهكذا ذكر ابن يونس ، وأبو جعفر الطحاوي: أنه توفي بفلسطين في صفر من هذه السنة، وكان مولد النسائي في سنة خمس عشرة أو أربع عشرة ومائتين تقريبا عن قوله، فكان عمره ثمانٍ وثمانين سنة .

الحسن بن سفيان

ابن عامر بن عبد العزيز بن النعمان بن عطاء، أبو العباس الشيباني النسوي، محدث خراسان، وقد كان يضرب إليه آباط الإبل في معرفة الحديث والفقه رحل إلى الآفاق وتفقه على أبي ثور، وكان يفتي بمذهبه، وأخذ الأدب عن أصحاب النضر بن شميل، وكانت إليه الرحلة بخراسان. ومن غريب ما اتفق له: أنه كان هو وجماعة من أصحابه بمصر في رحلتهم إلى الحديث، فضاق عليهم الحال حتى مكثوا ثلاثة أيام لا يأكلون فيها شيئا، ولا يجدون ما يبيعونه للقوت، واضطرهم الحال إلى تجشم السؤال، وأنفت أنفسهم من ذلك، وعزت عليهم وامتنعت كل الامتناع، والحاجة تضطرهم إلى تعاطي ذلك، فاقترعوا فيما بينهم أيهم يقوم بأعباء هذا الأمر، فوقعت القرعة على الحسن بن سفيان هذا. فقام عنهم فاختلى في زاوية المسجد الذي هم فيه فصلى ركعتين أطال فيهما، واستغاث بالله عزَّ وجلَّ، وسأله بأسمائه العظام، فما انصرف من الصلاة حتى دخل عليهم المسجد رجل حسن الهيئة مليح الوجه. فقال: أين الحسن بن سفيان ؟. فقلت : أنا . فقال : الأمير طولون يقرأ عليكم السلام ويعتذر إليكم في تقصيره عنكم، وهذه مائة دينار لكل واحد منكم . فقلنا له : ما الحامل له على هذا ؟. فقال : إنه أحب أن يختلي اليوم بنفسه، فبينما هو الآن نائم إذ جاءه فارس في الهواء بيده رمح فدخل عليه منــزله ووضع عقب الرمح في خاصرته فوكزه، وقال : قم فأدرك الحسن بن سفيان وأصحابه،

قم فأدركهم، قم فأدركهم، فإنهم منذ ثلاث جياع في المسجد الفلاني . فقال له: من أنت؟ فقال: أنا رضوان خازن الجنة . فاستيقظ الأمير وخاصرته تؤلمه ألما شديداً، فبعث بالنفقة في الحال إليهم ثم جاء لزيارتهم واشترى ما حول ذلك المجلس ووقفه على الواردين إليه من أهل الحديث، جزاه الله خيراً . وقد كان الحسن بن سفيان رحمه الله من أئمة هذا الشأن وفرسانه ، وحفاظه، وقد اجتمع عنده جماعة من الحفاظ منهم ابن جرير الطبري وغيره، فقرأوا عليه شيئا من الحديث وجعلوا يقلبون الأسانيد ليستعلموا ما عنده من العلم فما قلبوا شيئا من الإسناد إلا ردهم فيه إلى الصواب وعمره إذا ذاك سبعون سنة، وهو في هذا السن حافظ ضابط لا يَشذُّ عنه شيء من حديثه، ومن فوائده: العبسي كوفي، والعيشي بصري، والعنسي مصري .

رُوَيْم بن أحمد

ويقال: ابن محمد بن رويم بن يزيد، أبو الحسن ويقال: أبو محمد، أحد أئمة الصوفية ، كان عالما بالقرآن ومعانيه، وكان يتفقه على مذهب داود بن علي الظاهري، قال بعضهم: كان رُوَيْم يكتم حب الدنيا أربعين سنة، ومعناه أنه تصوف أربعين سنة، ثم لما ولي إسماعيل بن إسحاق القضاء ببغداد جعله وكيلا في بابه، فترك التصوف ولبس الخزَّ والقصب والديبقي وركب الخيل وأكل الطيبات وبنى الدور .

زهير بن صالح بن الإمام أحمد بن حنبل

روى عن أبيه وعنه أبو بكر أحمد بن سليمان النجاد، كان ثقة، مات وهو شاب، قاله الدارقطني .

أبو علي الجبائي

شيخ المعتزلة، واسمه محمد بن عبد الوهاب أبو علي الجبائي شيخ طائفة الاعتزال الطائفة المعتزلة في زمانه ، وعليه اشتغل أبو الحسن الأشعري ثم رجع عنه، وللجبائي تفسير حافل مطول، له فيه اختيارات غريبة في التفسير، وقد رد عليه الأشعري فيه، وقال: وكأن القرآن نزل بلغة أهل جبَّاء . كان مولده في سنة خمس وثلاثين ومائتين، ومات في هذه السنة .

أبو الحسن بن بسام الشاعر

واسمه علي بن أحمد بن منصور بن نصر بن بسام البسامي الشاعر المطبق للهجاء، فلم يترك أحداً حتى هجاه، حتى أباه وأمه أمامة بنت حمدون النديم . وقد أورد له ابن خلكان أشياء كثيرة من شعره، فمن ذلك قوله في تخريب المتوكل قبر الحسين بن علي، وأمره بأن يزرع ويمحي رسمه، وكان شديد التحامل على عليٍّ وولده . فلما وقع ما ذكرناه في سنة ست وثلاثين ومائتين . قال ابن بسام هذا في ذلك : –

تالله إنْ كانتْ أميةُ قـــد أتتْ قتـــلَ ابنَ بنت نبيهّا مظلـــوما
فلقدْ أتاهُ بنو أبيـــه بمثلـــه هذا لَعَمْرُكَ قبرُهُ مهـــدومـــا
أسِفُوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتلـه فتتبعوه رميمـــا[1]

ثم دخلت سنة أربع وثلاثمائة

فيها: عزل المقتدر بالله وزيره أبا الحسن علي بن عيسى بن الجراح ، وذلك لأنه وقعت بينه وبين أم موسى القهرمانة نفرة شديدة، فسأل الوزير أن يعفى من الوزارة فعزل ولم يتعرضوا لشيء من أملاكه . وطلب أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات فأعيد إلى الوزارة بعد عزله عنها خمس سنين، وخلع عليه الخليفة يوم التروية سبع خلع، وأطلق إليه ثلاثمائة ألف درهم، وعشرة تخوت ثياب، ومن الخيل والبغال والجمال شيء كثير، وأقطع الدار التي بالحريم فسكنها، وعمل فيها ضيافة تلك الليلة فسقى فيها أربعين ألف رطل من الثلج، وفي نصف هذه السنة اشتهر ببغداد أن حيوانا يقال له : الزرنب يطوف بالليل يأكل الأطفال من الأسرّة ويعدو على النيام فربما قطع يد الرجل وثدي المرأة وهو نائم . فجعل الناس يضربون على أسطحتهم على النحاس من الهواوين وغير ذلك ينفرونه عنهم، حتى كانت بغداد بالليل ترتج من شرقها وغربها، واصطنع الناس لأولادهم مكبات من السعف وغير ذلك ، واغتنمت اللصوص هذه الشوشة فكثرت النقوب وأخذت الأموال، فأمر الخليفة بأن يؤخذ حيوان من كلاب الماء فيصلب على الجسر ليسكن الناس عن ذلك، ففعلوا فسكن الناس ورجعوا إلى أنفسهم، واستراح الناس من ذلك . وفيها: قلد ثابت بن سنان الطبيب أمر المارستان ببغداد في هذه السنة، وكانت خمساً، وكان هذا الطبيب مؤرخا . وفيها: ورد كتاب من خراسان بأنهم وجدوا قبور شهداء قد قتلوا في سنة سبعين من الهجرة مكتوبة أسماؤهم في رقاع مربوطة في آذانهم، وأجسادهم طرية كما هي، رضي الله عنهم. وفيها توفى من الأعيان :

لبيد بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن صالح

ابن عبد الله بن الحصين بن علقمة بن نعيم بن عطارد بن حاجب ، أبو الحسن التميمي الملقب فروجة ، قدم بغداد وحدث بها، وكان ثقة حافظا .

يوسف بن الحسين بن علي

أبو يعقوب الرازي، سمع أحمد بن حنبل وصحب ذا النون المصري ، وكان قد بلغه أن ذا النون يحفظ اسم الله الأعظم ، فقصده ليعلّمه إياه قال: فلما وردت عليه استهان بي وكانت لي لحية طويلة ومعي ركوة طويلة . فجاء رجل يومًا فناظر ذا النون فأسكت ذا النون، فقلت له: دع الشيخ وأقبل علي . فأقبل فناظرته فأسكته، فقام ذو النون فجلس بين يدي ، وهو شيخ

---

(١) الرميم : البالي .

وأنا شاب، ثم اعتذر إلي . فخدمته سنة ثم سألته أن يعلمني الاسم الأعظم، فلم يعد مني ووعدني، فمكثت عنده بعد ذلك ستة أشهر، ثم أخرج إلي طبقا عليه مكبة مشدوداً بمنديل، فقال لي: اذهب بهذا الطبق إلى صاحبنا فلان . قال: فجعلت أفكر في الطريق ما هذا الذي أرسلني به؟ فلما وصلت الجسر فتحته فإذا فيه فأرة فقفزت وذهبت، فاغتظت غيظا شديدًا، وقلت: ذو النون سخر بي ، فرجعت إليه وأنا حنق فقال لي: ويحك إنما اختبرتك، فإذا لم تكن أمينا على فأرة فأن لا تكون أمينا على الاسم الأعظم بطريق الأولى، اذهب عني فلا أراك بعدها. وقد رئي أبو الحسين الرازي هذا في المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بقولي عند الموت: اللهم إني نصحت الناس قولا وخنت نفسي فعلا فهب خيانة فعلي لنصح قولي.

يموت بن المزرع بن يموت

أبو بكر العبدي من عبد القيس، وهو ثوري، وهو ابن أخت الجاحظ. قدم بغداد وحدث بها عن أبي عثمان المازني، وأبي حاتم السجستاني، وأبي الفضل الرياضي، وكان صاحب أخبار وآداب وملح . وقد غير اسمه بمحمد فلم يغلب عليه إلا الأول، وكان إذا ذهب يعود مريضا ودقّ الباب ، وقالوا : من ؟ : فيقول : ابن المزرع – ولا يذكر اسمه لئلا يتفاءلوا به .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثمائة

فيها: قدم رسول ملك الروم في طلب المفاداة والهدنة، وهو شاب حدث السن، ومعه شيخ منهم وعشرون غلاماً، فلما قدم بغداد شاهد أمراً عظيما جدًا، وذلك أن الخليفة المقتدر بالله أمر الجيش والناس بالاحتفال بذلك ليشاهد ما فيه إرهاب الأعداء، فركب الجيش بكماله يومئذ وكان مائة ألف وستين ألفا، ما بين فارس وراجل، غير العساكر الخارجة في سائر البلاد مع نوابها، فركبوا في الأسلحة والعدد التامة، وغلمان الخليفة سبعة آلاف، أربعة آلاف بيض، وثلاثة آلاف سود، وهم في غاية الملابس والعدد والحلي، والحجبة يومئذ سبعمائة حاجب، وأما الطيارات التي بدجلة والزيارب والسمريات [1] فشيء كثير مزينة، فحين دخل الرسول دار الخلافة انبهر وشاهد أمراً أدهشه، ورأى من الحشمة والزينة والحرمة ما يبهر الأبصار، وحين اجتاز بالحاجب ظن أنه الخليفة فقيل له: هذا الحاجب الكبير، فمر بالوزير في أبهته فظنه الخليفة فقيل له: هذا الوزير . وقد زينت دار الخلافة بزينة لم يسمع بمثلها، كان فيها يومئذ من الستور ثمانية وثلاثون ألف ستر، منها عشرة آلاف وخمسمائة ستر مذهبة، وقد بسط فيها اثنان وعشرون ألف بساط لم ير مثلها، وفيها من الوحوش قطعان متأنسة بالناس، بحيث تأكل من بين أيديهم ومائة سبع من السباعة، ثم أدخل إلى دار الشجرة، وهي عبارة عن بركة فيها ماء صاف وفي وسط ذلك الماء شجرة من ذهب وفضة لها ثمانية عشر غصناً أكثرها من ذهب، وفي

---

(١) الطيارات ، الزيارب ، والسمريات : أنواع من السفن والمراكب .

الأغصان الشماريخ [١] والأوراق الملونة عليها طيور مصبوغة من الذهب والفضة واللآلئ واليواقيت، وهي تصوت بأنواع الأصوات من الماء المسلط عليها، والشجرة بكمالها تتمايل كما تتمايل الأشجار بحركات عجيبة تدهش من يراها وينظر إليها ، ثم أدخل إلى مكان يسمونه الفردوس، فيه من أنواع المفارش والآلات ما لا يحد ولا يوصف كثرة وحسنا . وفي دهاليزه ثمانية عشر ألف جوشن [٢] مذهبة . فما زال كلما مرّ على مكان أدهشه وأخذ ببصره حتى انتهى إلى المكان الذي فيه الخليفة المقتدر بالله، وهو جالس على سرير من آبنوس، قد فرش بالديبقي المطرز بالذهب، وعن يمين السرير سبعة عشر عنقوداً معلقة، وعن يساره مثلها وهي جوهر من أفخر الجواهر، كل جوهرة يعلو ضوؤها على ضوء النهار، ليس لواحدة منها قيمة ولا يستطاع ثمنها، فأوقف الرسول والذين معه بين يدي الخليفة على نحو من مائة ذراع، والوزير علي بن محمد بن الفرات واقف بين يدي الخليفة، والترجمان دون الوزير فجعل الخليفة يخاطب الوزير، والوزير يخاطب الترجمان والترجمان يخاطبهما، فلم فرغ منهما خلع عليهما وأطلق لهما خمسين سقرق[٣] في كل سقرق خمسة آلاف درهم، وأخرجا من بين يديه وطيف بهما في بقية دار الخلافة، وعلى حافات دجلة الفيلة والزرافات والسباع والفهود وغير ذلك، ودجلة داخله في دار الخلافة، وهذا من أغرب ما وقع من الحوادث في هذه السنة . وحج بالناس فيها الفضل الهاشمي .

وفيها توفي من الأعيان :

محمد بن أحمد أبو موسى

النحوي الكوفي المعروف بالجاحظ، صحب ثعلبا أربعين سنة وخلفه في حلقته، وصنف غريب الحديث، وخلق الإنسان، والوحوش والنبات، وكان دينا صالحا، روى عنه أبو عمر الزاهد . توفي ببغداد في ذي الحجة منها، ودفن بباب التين . وعبد الله بشرويه الحافظ، وعمران ابن مجاشع، وأبو خليفة الفضل بن الحباب . وقاسم بن زكريا بن يحيى المطرز المقري أحد الثقات الأثبات، سمع أبا كريب، وسويد بن سعيد، وعنه الخلدي وأبو الجعاني توفي ببغداد في هذه السنة .

ثم دخلت سنة ست وثلاثمائة

في أول يوم من المحرم وهو مستهل هذه السنة فتح المارستان الذي بنته السيدة أم المقتدر ، وجلس فيه سنان بن ثابت الطبيب ، ورتبت فيه الأطباء والخدم والقومة، وكانت نفقته في كل شهر ستمائة دينار، وأشار سنان بن ثابت على الخليفة ببناء مارستان ، فقبل منه وبناه وسماه

---

(١) جمع : شمراخ ، وهو الغصن الذى عليه بلح أو عنب .

(٢) الجوشن : الدرع .

(٣) السقرق : كيس للدراهم .

المقتدري . وفيها: وردت الأخبارعن أمراء الصوائف بما فتح الله عليهم من الحصون في بلاد الروم. وفيها: رجفت العامة وشنعوا بموت المقتدر فركب في الجحافل حتى بلغ الثريا ورجع من باب العامة . ووقف طويلا ليراه الناس ، ثم ركب إلى الشماسية وانحدر إلى دار الخلافة في دجلة فسكنت الفتن. وفيها: قلد المقتدر حامد بن العباس الوزارة ، وخلع عليه وخرج من عنده وخلفه أربعمائة غلام لنفسه، فمكث أياماً ثم تبين عجزه عن القيام بالأمور فأضيف إليه علي بن عيسى، وجعل معه لينفذ الأمور وينظر معه في الأعمال، وكان أبو علي بن مقلة ممن يكتب أيضاً بحضرة حامد بن العباس الوزير، ثم صارت المنـــزلة كلها لعلي بن عيسى، واستقل بالوزارة في السنة الآتية . وفيها: أمرت السيدة أم المقتدر قهرمانة لها تعرف بتملي أن تجلس بالتربة التي بنتها بالرصافة في كل يوم جمعة وأن تنظر في المظالم التي ترفع إليها في القصص ، ويحضر في مجلسها القضاة والفقهاء . وحج بالناس فيها الفضل الهاشمي . وفيها توفى :

إبراهيم بن أحمد بن الحارث

أبو القاسم الكلابي الشافعي، سمع الحارث بن مسكين وغيره ، وكان رجلا صالحا، زفقه على مذهب الشافعي، وكان يحب الخلوة والانقباض، توفي في شعبان منها . أحمد بن الحسن الصوفي أحد مشايخ الحديث المكثرين المعمرين .

أحمد بن عمر بن سريج

أبو العباس القاضي بشيراز، صنف نحو أربعمائة مصنف، وكان أحد أئمة الشافعية، كان يلقب بالباز الأشهب ، وكان قد أخذ الفقه عن أبي قاسم الأنماطي، وعن أصحاب الشافعي، كالمزني، وغيره ، وعنه انتشر مذهب الشافعي في الآفاق، وقد ذكرنا ترجمته في (الطبقات)، توفي في جمادى الأولى منها عن سبع وخمسين وستة أشهر، قال ابن خلكان: توفي يوم الاثنين، الخامس والعشرين من ربيع الأول، وعمره سبع وخمسون سنة وثلاثة أشهر، وقبره يزار .

أحمد بن يحيى

أبو عبد الله الجلاد بغدادي: سكن الشام، وصحب أبا تراب النخشبي، وذا النون المصري، روى أبو نعيم بسنده عنه . قال: قلت لأبوي وأنا شاب: إني أحب أن تهباني لله عزّ وجلّ ، فقالا: قد وهبناك لله فغبت عنهما مدة طويلة، ثم رجعت إلى بلدنا عشاء، في ليلة مطيرة، فانتهيت إلى الباب، فدفعته، فقالا: من هذا؟ فقلت: أنا ولدكما فلان، فقالا: إنه قد كان لنا ولد، ووهبناه لله عزَّ وجلَّ، ونحن من العرب، لا نرجع فيما وهبنا و لم يفتحا لي الباب .

الحسن بن يوسف بن إسماعيل بن حماد بن زيد

القاضي أبو يعلى، وهو أخو القاضي أبي عمر محمد بن يوسف، كان إليه ولاية القضاء بالأردن.

عبد الله بن أحمد بن موسى بن زياد

أبو محمد الجواليقي القاضي، المعروف بعبدان، الأهوازي، ولد سنة ست عشرة ومائتين، كان أحد الحفاظ الأثبات، يحفظ مائة ألف حديث، جمع المشايخ والأبواب، روى عن هدبة، وكامل بن طلحة، وغيرهم، وعنه ابن صاعد، والمحاملي، وغيرهم .

محمد بن بابشاذ أبو عبيد الله البصري

سكن بغداد، وحدث بها، عن عبيد الله بن معاذ العنبري، وبشر بن معاذ العقدي، وغيرهما. وفي حديثه غرائب ومناكير، توفي في شوال منها .

محمد بن الحسين بن شهريار

أبو بكر القطان البلخي الأصل، روى عن الفلاس، وبشر بن معاذ. وعنه أبو بكر الشافعي، ومحمد بن عمر بن الجعابي كذبه ابن ناجية، وقال الدارقطني: ليس به بأس .

محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد

أبو بكر الضبي القاضي المعروف بوكيع ، كان عالما، فاضلا، عارفا بأيام الناس، فقيها، قارئا، نحويا، له مصنفات، منها: كتاب عدد آي القرآن، ولي القضاء بالأهواز: وحدث عن الحسن بن عرفة، والزبير بن بكار، وغيرهما، وعنه أحمد بن كامل، وأبو على الصواف، وغيرهما ومن شعره الجيد :

إذا ماغدتْ طلاَّبةُ العلمِ تَبْتَــغي ... مِنَ العلم يومًا ما يخلدُ في الكتبِ
غدوتُ بتشميرٍ وجدٍّ عليهـــــمُ ... ومحبرتي أذني ودفترها قلبـــــــي

منصور بن إسماعيل بن عمر

أبو الحسن الفقير، أحد أئمة الشافعية، وله مصنفات في المذهب، وله الشعر الحسن. قال ابن الجوزي: ويظهر في شعره التشيع، وكان جنديا،ثم كف بصره، وسكن الرملة، ثم قدم مصر ومات بها .

أبو نصر المحب

أحد مشايخ الصوفية، كان له كرم، وسخاء، ومروءة، ومر بسائل سأل وهو يقول: شفيعي إليكم رسول الله ﷺ،فشق أبو نصر إزاره، وأعطاه نصفه، ثم مشي خطوتين، ثم رجع إليه فأعطاه النصف الآخر وقال: هذا نذالة .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثمائة

في صفر منها وقع حريق بالكرخ، في الباقلانتين، هلك فيه خلق كثير من الناس وفي ربيع الآخر منها، دخل بأسارى من الكرخ نحو مائة وخمسين أسيراً، أنقذهم الأمير بدر الحماني. وفي

ذي القعدة منها، انقض كوكب عظيم غالب الضوء وتقطع ثلاث قطع، وسمع بعد انقضاضه، صوت رعد شديد هائل، من غير غيم ذكره ابن الجوزي، وفيها: دخلت القرامطة إلى البصرة، فأكثروا فيها الفساد، وفيها: عزل حامد بن العباس، عن الوزارة، وأعيد إليها أبو الحسن بن الفرات المرة الثالثة، وفيها: كسرت العامة أبواب السجون، فأخرجوا من كان بها، وأدركت الشرطة من أخرجوا من السجن، فلم يفتهم أحد منهم، بل ردوا إلى السجون . وحج بالناس فيها أحمد بن العباس، أخو أم موسى القهرمانة. وفيها توفي من الأعيان ...

أحمد بن على بن المثنى

أبو يعلى الموصلي صاحب المسند المشهور، سمع الإمام أحمد بن حنبل، وطبقته، وكان حافظاً، خيراً، حسن التصنيف، عدلا فيما يرويه، ضابطا لما يحدث به .

إسحاق بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن سلمة

أبو يعقوب البزار الكوفي،رحل إلى الشام ومصر، وكتب الكثير، وصنف المسند، واستوطن بغداد، وكان من الثقات، روى عنه ابن المظفر الحافظ، قدم بغداد، وروى عنه الطبراني، والأزدي، وغيرهما من الحفاظ، وكان ثقة حافظا عارفا، توفي بحلب في هذه السنة .

زكريا بن يحيى الساجي

الفقيه المحدث شيخ أبي الأشعري في السنة والحديث .

على بن سهل بن الأزهر

أبو الحسن الأصبهاني، كان أولا مترفا، ثم صار زاهداً عابداً يبقي الأيام لا يأكل فيها شيئا، وكان يقول: ألهاني الشوق إلى الله، عن الطعام، والشراب ، وكان يقول: أنا لا أموت، كما يموتون بالأعلال والأسقام، إنما هو دعاء، وإجابة، أدعي، فأجيب . فكان كما قال، بينما هو جالس في جماعة، إذ قال: لبيك، ووقع ميتا .

محمد بن هارون الروياني صاحب المسند وابن دريج العكبري والهيثم بن خلف .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثمائة

فيها غلت الأسعار في هذه السنة ببغداد فاضطربت العامة، وقصدوا دار حامد بن العباس، الذي ضمن براثي [1] من الخليفة، فغلت الأسعار، بسبب ذلك، وعدوا في ذلك اليوم ــ وكان يوم الجمعة ــ على الخطيب، فمنعوه الخطبة، وكسروا المنابر، وقتلوا الشرط، وحرقوا جسوراً كثيرة، فأمر الخليفة بقتال العامة ثم نقض الضمان، الذي كان حامد بن العباس ضمنه، فانحطت

---

(١) البراثي : الأرض السهلة الحسنة .

الأسعار، وبيع الكر بناقص خمس دنانير، فطابت أنفس الناس بذلك، وسكنوا، وفي تموز منها وقع برد شديد جدا، حتى نزل الناس عن الأسطحة وتدثروا باللحف، والأكسية، ووقع في شتاء هذه السنة، بلغم عظيم، وكان فيها برد شديد جدا، بحيث أضر ذلك ببعض النخيل. وحج بالناس فيها أحمد بن العباس أخو القهرمانة. وفيها توفي من الأعيان :

إبراهيم بن سفيان الفقية

راوي صحيح مسلم عنه .

أحمد بن الصلت

ابن المغلس أبو العباس الحماني: أحد الوضاعين للأحاديث، روى عن خاله جبارة بن المغلس، وأبي نعيم، ومسلم بن إبراهيم، وأبي بكر بن أبي شيبة، وأبي عبيد القاسم بن سلام وغيرهم: أحاديث، كلها وضعها هو، في مناقب أبي حنيفة، وغير ذلك. وحكي عن يحيى بن معين، وعلي بن المديني، وبشر بن الحارث أخبارًا كلها كذب. قال أبو الفرج بن الجوزي: قال لي محمد بن أبي الفوارس: كان أحمد بن الصلت يضع الحديث .

إسحاق بن أحمد الخزاعي. والمفضل الجندي. وعبد الله بن محمد بن وهب الدينوري .

وعبد الله بن ثابت بن يعقوب

أبو عبد الله المقري النحوي التوزي، سكن بغداد، وروى عن عمرو بن شبة، وعنه أبو عمرو بن السماك. ومن شعره الجيد :

إذا لم تكنْ حافظاً واعياً ... فَعلْمُكَ في البيتِ لاينفعُ
وتحضرُ بالجهلِ في مجلسٍ ... وَعَلْمُكَ في الكتبِ مستودعُ
وَمَنْ يَكُ في دهرهِ هكذا ... يكَنْ دهرهُ القهقريَ يرجعُ

ثم دخلت سنة تسع وثلاثمائة

فيها: وقع حريق كثير، في نواحي بغداد، بسبب زنديق، قتل، فألقي من كان من جهته الحريق، في أماكن كثيرة، فهلك بسبب ذلك خلق كثير من الناس. وفي جمادى الأولى منها قلد المقتدر، مؤنس الخادم بلاد مصر والشام، ولقبه المظفر وأمر بكتب ذلك في المراسلات إلى الآفاق، وفي ذي القعدة منها، أحضر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، إلى دار الوزير عيسى بن على، لمناظرة الحنابلة، في أشياء نقموها عليه، فلم يحضروا، ولا واحد منهم. وفيها قدم الوزير حامد بن العباس للخليفة، بستانا بناه، وسماه الناعورة، قيمته مائة ألف دينار، وفرش مساكنه، بأنواع المفارش المفتخرة. وفيها كان مقتل الحسين بن منصور الحلاج، ولنذكر شيئا من ترجمته

وسيرته، وكيفية قتله، على وجه الإيجاز، وبيان المقصود بطريق الإنصاف والعدل، من غير تحمل، ولا هوى، ولا جور .

ترجمة الحلاج

ونحن نعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يكن قاله، أو نتحمل عليه في أقواله وأفعاله، فنقول: هو الحسين بن منصور بن محمي الحلاج أبو مغيث، ويقال : أبو عبد الله، كان جده مجوسياً، اسمه محمي من أهل فارس، من بلدة يقال لها : البيضاء، ونشأ بواسط، ويقال : بتستر، ودخل بغداد، وتردد إلى مكة وجاور بها في وسط المسجد، في البرد، والحر، مكث على ذلك سنوات متفرقة، وكان يصابر نفسه، ويجاهدها، ولا يجلس إلا تحت السماء في وسط المسجد الحرام، ولا يأكل إلا بعض قرص، ويشرب قليلا من الماء، معه وقت الفطور، مدة سنة كاملة، وكان يجلس على صخرة في شدة الحر، في جبل أبي قبيس، وقد صحب جماعة من سادات المشايخ الصوفية، كالجنيد بن محمد، وعمرو بن عثمان المكي، وأبي الحسين النوري. قال الخطيب البغدادي: والصوفية مختلفون فيه، فأكثرهم نفي أن يكون الحلاج منهم، وأبي أن يعده فيهم، وقبله من متقدميهم أبو العباس بن عطاء البغدادي، ومحمد بن خفيف الشيرازي، وإبراهيم بن محمد النصرأباذي النيسابوري، وصححوا له حاله، ودونوا كلامه، حتى قال ابن خفيف: الحسين بن منصور عالم رباني. وقال أبو عبد الرحمن السلمي ـــ واسمه محمد بن الحسين ـــ سمعت إبراهيم ابن محمد النصرأباذي، وعوتب في شيء، حكي عن الحلاج، في الروح، فقال للذي عاتبه: إن كان بعد النبيين ، والصديقين، موحد فهو الحلاج. قال أبو عبد الرحمن: وسمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت الشبلي يقول: كنت أنا والحسين بن منصور شيئا واحدا، إلا أنه أظهر، وكتمت وقد روى عن الشبلي، من وجه آخر، أنه قال: ـــ وقد رأي الحلاج مصلوبا ـــ ألم أنهك عن العالمين؟ قال الخطيب: والذين نفوه من الصوفية، نسبوه إلى الشعبذة [1] في فعله، وإلي الزندقة في عقيدته وعقده، قال: وله إلى الآن، أصحاب ينسبون إليه، ويغالون فيه، ويغلون. وقد كان الحلاج في عبارته، حلو المنطق، وله شعر على طريقة الصوفية. قلت: لم يزل الناس منذ قتل الحلاج، مختلفين في أمره، فأما الفقهاء، فحكي عن غير واحد من العلماء والأئمة، إجماعهم على قتله، وأنه قتل كافرا، وكان كافراً ممخرقا [2] مموها مشعبذا، وبهذا قال أكثر الصوفية فيه ومنهم طائفة كما تقدم، أجملوا القول فيه، وغرّهم ظاهره، ولم يطلعوا على باطنه، ولا باطن قوله، فإنه كان في ابتداء أمره، فيه تعبد، وتأله، وسلوك، ولكن لم يكن له علم، ولا بني أمره، وحاله، على تقوي من الله ورضوان فلهذا كان ما يفسده، أكثر مما يصلحه .

---

(١) الشعبذه : الشعوذة .

(٢) الممخرق : الكاذب .

وقال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا، كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا، كان فيه شبه من النصارى، ولهذا دخل على الحلاج الحلول [١]، والاتحاد [٢]، فصار من أهل الانحلال، والانحراف. وقد روى من وجه أنه تقلبت به الأحوال، وتردد إلى البلدان، وهو في ذلك كله، يظهر للناس، أنه من الدعاة إلى الله عزّ وجلّ وصح أنه دخل إلى الهند، وتعلم بها السحر ، وقال : أدعو به إلى الله، وكان أهل الهند يكاتبونه، بالمغيث ــ أي أنه من رجال الغيث – ويكاتبه أهل سركسان، بالمقيت، ويكاتبه أهل خراسان، بالمميز، وأهل فارس، بأبي عبد الله الزاهد. وأهل خوزستان، بأبي عبد الله الزاهد حلاج الأسرار.وكان بعض البغاددة، حين كان عندهم، يقولون له: المصطلم. وأهل البصرة يقولون له: المحير، ويقال : إنما سماه الحلاج، وأهل الأهواز؛ لأنه كان يكاشفهم، عن ما في ضمائرهم، وقيل : لأنه مرة قال لحلاج: اذهب لي في حاجة كذا وكذا، فقال: إني مشغول بالحلج، فقال: اذهب فأنا أحلج عنك، فذهب، ورجع سريعاً، فإذا جميع ما في ذلك المخزن قد حلجه، يقال : إنه أشار بالمرود، فامتاز الحب عن القطن، وفي صحة هذا ونسبته إليه نظر، وإن كان قد جري مثل هذا، فالشياطين تعين أصحابها، ويستخدمونها وقيل : لأن أباه كان حلاجا ومما يدل على أنه كان ذا حلول، في بدء أمره، أشياء كثيرة، منها شعره في ذلك فمن ذلك قوله :

جُبِلَتْ روحُك في روحــي كما ... يجبــــلُ العنبرُ بالمسك الفَنِق[٣]
فإذا مَسَّــــكَ شــــيءٌ مسَّني ... فإذا أنــتَ أنـــا لا نفــترق

وقوله :

مَزجْتَ روحكَ في روحي كما ... تــمزجُ الخمــرةُ بالماء الزلال[٤]
فإذا مَسّـــكَ شـــيءٌ مسّني ... فإذا أنـــتَ أنا في كل حـــال

وقوله أيضا :

قـــد تَحَقَّقْتُكَ في ســـرّ ... ي فَخَاطَبَـــك لِسَـــاني
فاجتمعنــــا لمعـــان ... وافتـــرقنـا لمعــــان
إنْ يكــنْ غيّبَــك التعظيــــ ... ـمُ عن لحـــظ العيــــان[٥]
قــد صيّـــرك الوجــــ ... ـدُ مِـــنَ الأَحشـاءِ دانِ[٦]

وقد أنشد لابن عطاء قول الحلاّج :

(١) الحلول : أى: حلول اللاهوت فى الناسوت أى: الرب فى العبد .
(٢) الاتحاد : وهو اتحاد الخالق والمخلوق فيصيران شيئا واحدا، أو هو فناء المخلوق بالخالق .
(٣) جُبِل : الخلقة والفطرة . الفَنِقُ : الناعم .
(٤) الزلال : العذب الصافى يمر فى الحلق سريعا .
(٥) لحظ العيان : أى المشاهدة .
(٦) الوجد : شدة الشوق ، ودانٍ : قريب .

أُريـــدُكَ لا أُريـــدُك للثواب ولكنيّ أُريـــدُك للعقـــــاب
وَكَلُّ مَآربِـــي قد نلـــتُ منهـــا سوى مَلْذُوذِ وجدى بالعذابِ

فقال ابن عطاء : قال هذا، لما تزايد به، عذاب الشغف ، وهيام الكلف، واحتراق الأسف، فإذا صفا ووفى علا إلى مشرب عذب، وهاطل من الحق، دائم سكب، وقد أنشد لأبي عبد الله ابن خفيف قول الحلاج :

سبحانَ من أظهرَ نـــاســوتَهُ ســـرُّ سَنَا لاهــوته الثاقب[1]
ثم بَدا في خلقـــه ظـــاهرًا في صـــورةِ الآكلِ والشارب
حتـــى لقـــد عاينَـــهُ خَلقـــهُ كلحظة الحاجـــبِ بالحاجب[2]

فقال ابن خفيف: علا من يقول هذا لعنه الله؟ فقيل له: إن هذا من شعر الحلاج، فقال: قد يكون مقولا عليه، وينسب إليه أيضا :

أوشكتَ تسألُ عنيّ كيفَ كنت؟ وما لاقيتُ بعدكَ من همٍّ وحزن
لا كنتُ إنْ كنتُ أدري كيف كنتُ؟ ولا لا كنتُ أدري كيف لم أكن؟

قال ابن خلكان: ويروي لسمنون لا للحلاج. ومن شعره أيضاً قوله :

متى سهرتْ عيني لغيركَ أو بكتْ فلا أعطيـــتْ ما أَمّلتْ وتمنّتْ
وإن أضمرتْ نفسي سواكَ فلا زكتْ رياضُ المنى من وجنتيك وجنَّتِ

ومن شعره أيضاً :

دنيـــا تغالطـــني كأنّـــــ ـــني لستُ أعرفُ حَـــالَها
حظر المليـــكُ حـــرامُها وأنا احتميـــتُ حَـــلالَهَا
فوجدتُهـــا مُحتاجَـــــةً فوهبـــتُ لذّتَهـــا لهـــا

وقد كان الحلاج يتلوّن في ملابسه، فتارة يلبس لباس الصوفية، وتارة يتجرد في ملابس زرية، وتارة يلبس لباس الأجناد، ويعاشر أبناء الأغنياء والملوك والأجناد، وقد رآه بعض أصحابه في ثياب رثة وبيده ركوة، وعكازة وهو سائح، فقال له: ما هذه الحالة يا حلاج؟ فأنشأ يقول :

لئن أمســـيتُ في ثوبي عديم لقـــد بليـــا على حرٍّ كريم
فلا يغـــركَ أن أبصرتَ حالاً مُغيَّـــرةً عـــن الحال القديم
فلي نفـــسُ ستتلـــفُ أو سَتَرْقَى لَعَمْرُكَ بـــي إلى أمرٍ جسيـــم

---

(١) السَّنا : مقصور ضوء البرق . اللاهوت : حلول الرَّبِّ فى العبد . الثاقب : المضيئ .

(٢) كلحظة : أى وَقْتاً كقدر لحظة العين . الحاجب : جمعه حَواجبُ ، وحواجيبُ العظم الذى فوق العين بلحمه وشعره ، سمى بذلك : لأنه يحجب للأمير وربما خُصَّ ببواب الملك .

وبين (الحاجب بالحاجب) جناس تام حسن لأنه جاء عفواً غير مقصود:الحاجب الأول:للعين والثاني: للأمير.

ومن مستجاد كلامه، وقد سأله رجل أن يوصيه، بشيء ينفعه الله به فقال: عليك نفسك، إن لم تشغلها بالحق، وإلا شغلتك عن الحق. وقال له رجل: عظني فقال : كن مع الحق، بحكم ما أوجب. وروى الخطيب بسنده إليه أنه قال: علم الأولين، والأخرين. مرجعه إلى أربع كلمات: حب الجليل، وبغض القليل، واتباع التنـــزيل، وخوف التحويل .

قلت: وقد أخطأ الحلاج في المقامين، الأخيرين، فلم يتبع التنـــزيل، ولم يبق على الاستقامة، بل تحول عنها، إلى الإعوجاج، والبدعة، والضلالة، نسأل الله العافية .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي، عن عمرو بن عثمان المكي : أنه قال: كنت أماشي الحلاج، في بعض أزقة مكة، وكنت أقرأ القرآن، فسمع قراءتي، فقال: يمكنني أن أقول مثل هذا، ففارقته. قال الخطيب: وحدثني مسعود بن ناصر، أنبأنا ابن باكوا الشيرازي سمعت أبا زرعة الطبري يقول الناس فيه — يعني حسين ابن منصور الحلاج — بين قبول، ورد، ولكن، سمعت محمد بن يحيى الرازي يقول: سمعت عمرو بن عثمان يلعنه، ويقول: لو قدرت عليه لقتلته بيدي. فقلت له: أيش الذي وجد الشيخ عليه؟ قال : قرأت آية من كتاب الله فقال: يمكنني أن أؤلف مثله، وأتكلم به قال أبو زرعة الطبري: وسمعت أبا يعقوب الأقطع يقول: زوجت ابنتي من الحسين الحلاج، لما رأيت من حسن طريقته، واجتهاده، فبان لي منه بعد مدة يسيرة، أنه ساحر محتال، خبيث كافر. قلت: كان تزويجه إياها بمكة، وهي أم الحسين بنت أبي يعقوب الأقطع، فأولدها ولده أحمد بن الحسين بن منصور، وقد ذكر سيرة أبيه، كما ساقها من طريق الخطيب. وذكر أبو القاسم القشيري في رسالته، في باب حفظ قلوب المشايخ: أن عمرو بن عثمان، دخل على الحلاج وهو بمكة وهو يكتب شيئا في أوراق فقال له : ماهذا؟ فقال : هو ذا أعارض القرآن قال : فدعا عليه فلم يفلح بعدها، وأنكر على أبي يعقوب الأقطع، تزويجه إياه ابنته. وكتب عمرو بن عثمان إلى الآفاق كتبًا كثيرة يلعنه فيها ويحذر الناس منه، فشرد الحلاج في البلاد فعاث يمينا وشمالا، وجعل يظهر أنه يدعو إلى الله، ويستعين بأنواع من الحيل، ولم يزل ذلك دأبه، وشأنه حتى أحل الله به بأسه، الذي لا يرد، عن القوم المجرمين، فقتله بسيف الشرع، الذي لا يقع إلا بين كتفي زنديق[1]، والله أعدل من أن يسلطه على صديق، كيف وقد تهجم على القرآن العظيم ، وقد أراد معارضته في البلد الحرام، حيث نزل به جبريل ، وقد قال تعالى : ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج : ٢٥] ولا إلحاد أعظم من هذا وقد أشبه الحلاج كفار قريش في معاندتهم، كما قال تعالى عنهم: ﴿ وإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال : ٣١] .

---

(١) الزنديق : جمعه : الزنادقة. وهو الخبيث الداهية ، ومن لا يراعى حرمة — الكافر باطنا مع التظاهر بالإيمان.

ذكر أشياء من حيل الحلاّج

روى الخطيب البغدادي، أن الحلاج بعث رجلا من خاصة أصحابه، وأمره أن يذهب بين يديه إلى بلد من بلاد الجبل، وأن يظهر لهم العبادة، والصلاح، والزهد، فإذا رآهم قد أقبلوا عليه، وأحبوه، واعتقدوا، أظهر لهم أنه قد عمي، ثم يظهر لهم بعد أيام، قد تكسح، فإذا سعوا في مداواته، قال لهم: يا جماعة الخير، إنه لا ينفعني شيء مما تفعلون، ثم يظهر لهم بعد أيام، أنه قد رأي رسول الله ﷺ في المنام، وهو يقول له: إن شفاءك لا يكون إلا على يدي القطب، وإنه سيقدم عليك في اليوم الفلانى فى الشهر الفلانى، وصفته كذا وكذا . وقال له الحلاج : إني سأقدم عليك فى ذلك الوقت فذهب ذلك الرجل، إلى تلك البلاد، فأقام بها يتعبد، ويظهر الصلاح، والتنسك، ويقرأ القرآن. فأقام مدة على ذلك، فاعتقدوه، وأحبوه، ثم أظهر لهم أنه قد عمي، فمكث حينا على ذلك؛ ثم أظهر لهم أنه قد زمن [1]، فسعوا بمداواته، بكل ممكن، فلم ينتج فيه شيء، فقال: لهم: يا جماعة الخير، هذا الذي تفعلونه معي، لا ينتج شيئا، وأنا قد رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وهو يقول لي: إن عافيتك، وشفاءك، إنما هو على يدي القطب، وإنه سيقدم عليك في اليوم الفلاني، في الشهر الفلاني، وكانوا أولا يقودونه إلى المسجد، ثم صاروا يحملونه، ويكرمونه، كان في الوقت الذي ذكر لهم، واتفق هو والحلاج عليه، أقبل الحلاج حتى دخل البلد، مختفيا، وعليه ثياب صوف بيض، فدخل المسجد، ولزم سارية يتعبد فيه، لا يلتفت إلى أحد فعرفه الناس بالصفات التي وصف لهم ذلك العليل، فابتدروا إليه، يسلمون عليه،ويتمسحون به، ثم جاءوا إلى ذلك الزمن المتعافي، فأخبره بخبره، فقال: صفوه لي، فوصفوه له. فقال: هذا الذي أخبرني عنه رسول الله ﷺ في المنام، وأن شفائي على يديه، اذهبوا بي إليه. فحملوه، حتى وضعوه، بين يديه، فكلمه، فعرفه فقال: يا أبا عبد الله إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام ثم ذكر له رؤياه، فرفع الحلاج يديه، فدعا له، ثم تفل من ريقه، في كفيه، ثم مسح بهما على عينيه، ففتحهما، كأن لم يكن بهما داء قط، فأبصر، ثم أخذ من ريقه، فمسح على رجليه، فقام من ساعته، فمشي، كأنه لم يكن شيء، والناس حضور، وأمراء تلك البلاد، وكبراؤهم عنده، فضج الناس ضجة عظيمة، وكبروا الله، وسبحوه، وعظموا الحلاج تعظيما زائدًا، على ما أظهر لهم، من الباطل، والزور. ثم أقام عندهم مدة، يكرمونه، ويعظمونه، ويودون لو طلب منهم، ماعساه أن يطلب من أموالهم فلما أراد الخروج عنهم، أرادوا أن يجمعوا له مالا كثيراً، فقال: أما أنا فلا حاجة لي بالدنيا، وإنما وصلنا إلى ماوصلنا إليه بترك الدنيا، ولعل صاحبكم هذا أن يكون له إخوان، وأصحاب من الأبدال، الذين يجاهدون، بثغر طرسوس، ويحجون، ويتصدقون، محتاجين إلى مايعينهم على ذلك، فقال ذلك الرجل المتزامن المتعافي: صدق الشيخ، قد رد الله على بصري، ومن الله علي بالعافية، لأجعل بقية عمري في الجهاد في سبيل الله،

(١) زمن : مرض طويل .

والحج إلى بيت الله مع إخواننا الأبدال، والصالحين، الذين نعرفهم، ثم حثهم على إعطائه من المال، ماطابت به أنفسهم، ثم إن الحلاج خرج عنهم، ومكث ذلك الرجل بين أظهرهم، مدة إلى أن جمعوا له مالا كثيراً، ألوفا من الذهب والفضة، فلما اجتمع له ما أراد، ودعهم، وخرج عنهم، فذهب إلى الحلاج، فاقتسما ذلك المال .

وروي عن بعضهم قال: كنت أسمع أن الحلاج له أحوال، وكرامات، فأحببت، أن أختبر ذلك، فجئته، فسلمت عليه، فقال لي: تشتهي على الساعة شيئا؟ فقلت: أشتهي سمكا طريا.فدخل منـــزله، فغاب ساعة، ثم خرج على، ومعه سمكة تضطرب، ورجلاه عليهما الطين فقال: دعوت الله، فأمرني أن آتي البطائح، لآتيك بهذه السمكة، فخضت الأهواز، وهذا الطين منها فقلت: إن شئت، أدخلتني منـــزلك، حتى أنظر، ليقوي يقيني بذلك، فإن ظهرت على شيء، وإلا آمنت بك فقال: ادخل، فدخلت، فأغلق على الباب، وجلس يراني فدرت البيت، فلم أجد فيه منفذا إلى غيره، فتحيرت في أمره، ثم نظرت فإذا أنا بتأزيرة [1] ــ وكان مؤزراً بإزار ساج ــ فحركتها، فانفلقت، فإذا هي باب منفذ، فدخلته، فأفضي بي إلى بستان هائل، فيه من سائر الثمار الجديدة، والعتيقة، قد أحسن إبقاءها وإذا أشياء كثيرة، معدودة للأكل، وإذا هناك بركة كبيرة، فيها سمك كثير، صغار وكبار، فدخلتها، فأخرجت منها واحدة فنال رجلي من الطين، مثل الذي نال رجليه، فجئت إلى الباب، فقلت: افتح قد آمنت بك فلما رآني على مثل حاله، أسرع خلفي جريا، يريد أن يقتلني فضربته بالسمكة في وجهه، وقلت : يا عدو الله، أتعبتني في هذا اليوم لما خلصت منه، لقيني بعد أيام، فضاحكني، وقال: لا تفش ما رأيت لأحد، وإلا بعثت إليك من يقتلك، على فراشك. قال: فعرفت أنه يفعل، إن أفشيت عليه، فلم أحدث به أحدًا حتى صلب .

وقال الحلاج يوما لرجل: آمن بي، حتى أبعث لك بعصفورة، تأخذ من ذرقها وزن حبة، فتضعه على كذا، منا من نحاس، فيصير ذهباً. فقال له الرجل: آمن أنت بي، حتى أبعث إليك، بفيل إذا استلقي، على قفاه، بلغت قوائمه إلى السماء، وإذا أردت أن تخفيه، وضعته في إحدى عينيك. قال: فبهت، وسكت، ولما ورد بغداد، يدعو إلى نفسه، ويظهر أشياء من المخاريق، والشعوذة، وغيرها من الأحوال الشيطانية، وأكثر ما كان يروج على الرافضة، لقلة عقولهم، وضعف تمييزهم، بين الحق والباطل وقد استدعى يومًا، برئيس من الرافضة، فدعاه إلى الإيمان به،فقال له الرافضي: إني رجل أحب النساء وإني أصلع الرأس، وقد شبت، فإن أنت أذهبت عني هذا، وهذا، آمنت بك، وأنك الإمام المعصوم، وإن شئت قلت : إنك نبي، وإن شئت قلت : إنك أنت الله قال: فبهت الحلاج و لم يحر إليه جوابا .

---

(١) التأزيرة : من الإزار، وهي هنا الستار.

قال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي: كان الحلاج متلونا، تارة يلبس المسوح، وتارة يلبس الدراعة، وتارة يلبس القباء، وهو مع كل قوم على مذهبهم: إن كانوا أهل سنة، أو رافضة أو معتزلة أو صوفية أو فساقا أو غيرهم، ولما أقام بالأهواز جعل ينفق من دراهم، يخرجها، يسميها دراهم القدرة، فسئل الشيخ أبو على الجبائي عن ذلك. فقال: إن هذا كله مما يناله البشر بالحيلة، ولكن أدخلوه بيتا لا منفذ له، ثم سلوه أن يخرج لكم جرزتين [1] من شوك فلما بلغ ذلك الحلاج، تحول من الأهواز، قال الخطيب: أنبأ إبراهيم بن مخلد، أنبأ إسماعيل بن على الخطيب في تاريخه. قال: وظهر أمر رجل، يقال له : الحلاج الحسين بن منصور، وكان في حبس السلطان، بسعاية وقعت به، وذلك في وزارة على بن عيسى الأولي، وذكر عنه ضروب من الزندقة، ووضع الحيل، على تضليل الناس، من جهات تشبه الشعوذة، والسحر، وادعاء النبوة، فكشفه على بن عيسى، عند قبضه عليه، وأنهي خبره إلى السلطان ـــ يعني الخليفة المقتدر بالله ـــ فلم يقر بما رمي به من ذلك، فعاقبه، وصلبه حياً، أياما متوالية في رحبة الجسر، في كل يوم غدوة، وينادي عليه مما ذكر عنه، ثم ينـــزل به، ثم يحبس، فأقام في الحبس سنين كثيرة، ينقل من حبس إلى حبس، خوفا من إضلاله أهل كل حبس، إذا طالت مدته عنده، إلى أن حبس آخر حبسة في دار السلطان، فاستغرى جماعة من غلمان السلطان، وموّه عليهم، واستمالهم، بضروب من الحيل، حتى صاروا يحمونه، ويدفعون عنه ويرفهونه، بالمآكل المطيبة، ثم أرسل جماعة من الكتاب، وغيرهم ببغداد، وغيرها، فاستجابوا له، وترقي به الأمر، إلى أن ادعي الربوبية، وسعي بجماعة من أصحابه إلى السلطان، فقبض عليهم، ووجد عند بعضهم، كتب تدل على تصديق ما ذكر عنه، وأقر بعضهم بذلك بلسانه، وانتشر خبره، وتكلم الناس في قتله، فأمر الخليفة بتسليمه إلى حامد بن العباس، وأمره أن يكشفه، بحضرة القضاة، والعلماء، ويجمع بينه، وبين أصحابه، فجري في ذلك خطوب طوال ثم استيقن السلطان أمره، ووقف على ما ذكر عنه، وثبت ذلك على يد القضاة، وأفتى به العلماء، فأمر بقتله وإحراقه بالنار، فأحضر مجلس الشرطة، بالجانب الغربي، في يوم الثلاثاء، لتسع بقين من ذي القعدة، سنة تسع وثلثمائة فضرب بالسياط نحواً من ألف سوط، ثم قطعت يداه ورجلاه، ثم ضربت عنقه وأحرقت جثته بالنار، ونصب رأسه للناس، على« سور الجسر الجديد، وعلقت يداه ورجلاه .

وقال أبو عبد الرحمن بن الحسن السلمي: سمعت إبراهيم بن محمد الواعظ يقول: قال أبو القاسم الرازي: قال أبو بكر بن ممشاذ: حضر عندنا بالدينور رجل، ومعه مخلاة، فما كان يفارقها ليلا ولا نهارا، فأنكروا ذلك من حاله، ففتشوا مخلاته، فوجدوا فيها كتابًا للحلاج عنوانه: من الرحمن الرحيم إلى فلان ابن فلان ـــ يدعوه إلى الضلالة والإيمان به ـــ فبعث بالكتاب إلى بغداد، فسئل الحلاج عن ذلك، فأقر أنه كتبه، فقالوا له: كنت تدعي النبوة،

---

(١) الجرزة : الحزمة اللسان مادة (جرز).

فصرت تدعي الألوهية، والربوبية؟ فقال: لا، ولكن هذا عين الجمع عندنا. هل الكاتب إلا الله، وأنا واليد آلة ؟ فقيل له : معك على ذلك أحد ؟ قال: نعم ابن عطاء، وأبو محمد الحريري، وأبو بكر الشبلي. فسئل الحريري عن ذلك، فقال: من يقول بهذا كافر. وسئل الشبلي عن ذلك، فقال: من يقول بهذا يمنع، وسئل ابن عطاء عن ذلك، فقال: القول ما يقول الحلاج في ذلك فعوقب ، حتى كان سبب هلاكه . ثم روى أبو عبد الرحمن السلمي عن محمد بن عبد الرحمن الرازي أن الوزير حامد بن العباس، لما أحضر الحلاج، سأله عن اعتقاده، فأقر به، فكتبه، فسأل عن ذلك فقهاء بغداد، فأنكروا ذلك، وكفروا من اعتقده، فكتبه،فقال الوزير: إن أبا العباس بن عطاء يقول : بهذا. فقالوا: من قال بهذا : فهو كافر ثم طلب الوزير ابن عطاء إلى منـــزله، فجاءه، فجلس في صدر المجلس، فسأله عن قول الحلاج. فقال: من لا يقول بهذا القول فهو بلا اعتقاد، فقال الوزير لابن عطاء: ويحك، تصوب مثل هذا القول، وهذا الاعتقاد؟ فقال ابن عطاء: مالك ولهذا عليك بما نصبت له من أخذ أموال الناس وظلمهم وقتلهم، فمالك ولكلام هؤلاء السادة من الأولياء. فأمر الوزير عند ذلك بضرب شدقيه، ونزع خفيه وأن يضرب بهما على رأسه، فما زال يفعل به ذلك حتى سال الدم، من منخريه وأمر بسجنه فقالوا له: إن العامة تستوحش من هذا، ولا يعجبها. فحمل إلى منـــزله، فقال ابن عطاء : اللهم اقتله، واقطع يديه، ورجليه ثم مات ابن عطاء بعد سبعة أيام، ثم بعد مدة قتل الوزير شر قتلة، وقطعت يداه، ورجلاه وأحرقت داره وكان العوام يرون ذلك بدعوة ابن عطاء، على دعوتهم في مراثيهم، فيمن أوذي، ممن لهم معه هوى: بل قد قال ذلك جماعة، ممن ينسب إلى العلم، فيمن يؤذي ابن عربي، أو يحط على حسين الحلاج أو غيره هذا بخطيئة فلان وقد اتفق علماء بغداد على كفر الحلاج وزندقته وأجمعوا على قتله وصلبه، وكان علماء بغداد إذا ذاك هم الدنيا .

قال أبو بكر محمد بن داود الظاهري، حين أحضر الحلاج، في المرة الأولي، قبل وفاة أبي بكر هذا وسئل عنه فقال: إن كان ما أنزل الله على نبيهﷺ حقاً وما جاء به حقا فما يقوله الحلاج: باطل، وكان شديداً عليه وقال أبو بكر الصولي: قد رأيت الحلاج، وخاطبته، فرأيته، جاهلاً يتعاقل، وغبيا يتبالغ، وخبيثاً مدعيا، وراغبا يتزهد، وفاجراً يتعبد ولما صلب في أول مرة، ونوديَ عليه أربعة أيام، سمعه بعضهم، وقد جيء به ليصلب، وهو راكب على بقرة يقول: ما أنا بالحلاج، ولكن ألقي على شبهه، وغاب عنكم، فلما أدني إلى الخشبة، ليصلب عليها سمعته وهو مصلوب يقول: يا معين الفنا على، أعنّي على الفنا. وقال بعضهم سمعته وهو مصلوب : يقول: إلهي، أصبحت في دار الرغائب، انظر إلى العجائب، إنك تتودد إلى من يؤذيك، فكيف بمن يؤذي فيك .

صفة مقتل الحلاج

قال الخطيبَ البغدادي وغيره: كان الحلاج قد قدم آخر قدمة، إلى بغداد، فصحب الصوفية، وانتسب إليهم، وكان الوزير، إذ ذاك حامد بن العباس، فبلغه أن الحلاج، قد أضل

خلقا من الحشم، والحجاب، في دار السلطان، ومن غلمان نصر القشوري الحاجب، وجعل لهم، في جملة ما ادعاه، أنه يحيى الموتى، وأن الجن يخدمونه، ويحضرون له ما شاء، ويختار ويشتهيه، وقال: إنه أحيا عدة من الطير وذكر لعلي بن عيسى، أن رجلا، يقال له : محمد بن على القنائي الكاتب، يعبد الحلاج، ويدعو الناس إلى طاعته، فطلبه، فكبس منـــزله، فأخذه، فأقر أنه من أصحاب الحلاج، ووجد في منـــزله، أشياء بخط الحلاج، مكتوبة بماء الذهب، في ورق الحرير، مجلدة بأفخر الجلود ووجد عنده سفطاً[1]، فيه من رجيع [2] الحلاج، وعذرته [3]، وبوله، وأشياء من آثاره، وبقية خبز من زاده فطلب الوزير من المقتدر، أن يتكلم في أمر الحلاج، ففوض أمره إليه، فاستدعي بجماعة من أصحاب الحلاج، فتهددهم، فاعترفوا له، أنه قد صح عندهم، أنه إله مع الله، وأنه يحيى الموتى، وأنهم كاشفوا الحلاج بذلك، ورموه به في وجهه، فجحد ذلك، وكذبهم، وقال: أعوذ بالله، أن أدعي الربوبية، أو النبوة، وإنما أنا رجل أعبد الله، وأكثر له الصوم، والصلاة، وفعل الخير، لا أعرف غير ذلك وجعل لا يزيد على الشهادتين، والتوحيد، ويكثر أن يقول: سبحانك لا إله إلا أنت، عملت سوءاً، وظلمت نفسي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وكانت عليه مدرعة سوداء، وفي رجليه، ثلاثة عشر قيداً، والمدرعة، واصلة إلى ركبتيه والقيود واصلة إلى ركبتيه، أيضا، وكان مع ذلك يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة .

وكان قبل احتياط الوزير حامد بن العباس عليه، في حجرة من دار نصر القشوري الحاجب، مأذونا لمن يدخل إليه، وكان يسمي نفسه تارة بالحسين بن منصور، وتارة محمد بن أحمد الفارسي، وكان نصر الحاجب هذا، قد افتتن به، وظن أنه رجل صالح، وكان قد أدخله على المقتدر بالله، فرقاه من وجع حصل له، فاتفق زواله عنه، وكذلك وقع لوالدة المقتدر، السيدة، رقاها، فزالت عنها، فنفق سوقه، وحظي في دار السلطان، فلما انتشر الكلام فيه، سلم إلى الوزير حامد بن العباس، فحبسه، في قيود كثيرة، في رجليه وجمع له الفقهاء، فأجمعوا على كفره، وزندقته، وأنه ساحر ممخرق ورجع عنه رجلان صالحان، ممن كان اتبعه، أحدهما أبو على هارون بن عبد العزيز الأوراجي، والآخر يقال له الدباس، فذكرا من فضائحه، وما كان يدعو الناس إليه، من الكذب، والفجور والمخرقة، والسحر شيئا كثيراً، وكذلك أحضرت زوجة ابنه سليمان، فذكرت عنه، فضائح كثيرة من ذلك، أنه أراد أن يغشاها، وهي نائمة، فانتبهت فقال: قومي إلى الصلاة، وإنما كان يريد أن يطأها وأمر ابنتها بالسجود له، فقالت: أو يسجد بشر لبشر؟ فقال: نعم إله في السماء، وإله في الأرض، ثم أمرها أن تأخذ من تحت بارية هنالك، ما أرادت، فوجدت تحتها، دنانير كثيرة مبدورة ولما كان معتقلا في دار حامد بن العباس الوزير، دخل عليه بعض الغلمان، ومعه طبق فيه طعام، ليأكل منه، فوجده قد ملأ البيت من سقفه إلى

---

(١) السفط : إناء .

(٢) الرجيع : الروث .

(٣) العذرة : الغائط .

أرضه، فذعر ذلك الغلام، وفزع فزعا شديداً، وألقي ماكان في يده، من ذلك الطبق والطعام ورجع محموماً فمرض عدة أيام .

ولما كان آخر مجلس من مجالسه، أحضر القاضي أبو عمر محمد بن يوسف، وجيء بالحلاج، وقد أحضر له كتاب، من دور بعض أصحابه وفيه: من أراد الحج، ولم يتيسر له، فليبن في داره بيتاً، لا يناله شيء من النجاسة، ولا يمكن أحداً من دخوله، فإذا كان في أيام الحج، فليصم ثلاثة أيام، وليطف به، كما يطاف بالكعبة، ثم يفعل في داره ما يفعله الحجيج بمكة، ثم يستدعي بثلاثين يتيما، فيطعمهم من طعامه، ويتولى خدمتهم بنفسه، ثم يكسوهم قميصا قميصا، ويعطي كل واحد منهم سبعة دراهم ـــ أو قال ثلاثة دراهم ـــ فإذا فعل ذلك قام له مقام الحج، وإن من صام ثلاثة أيام، لا يفطر إلا في اليوم الرابع على ورقات هندبا أجزأه ذلك عن صيام رمضان، ومن صلى في ليلة ركعتين، من أول الليل، إلى آخره، أجزأه ذلك عن الصلاة بعد ذلك. وأن من جاور بمقابر الشهداء، وبمقابر قريش، عشرة أيام، يصلي، ويدعو، ويصوم، ثم لا يفطر، إلا على شيء من خبز الشعير، والملح الجريش، أغناه ذلك عن العبادة في بقية عمره. فقال له القاضي أبو عمر: من أين لك هذا؟ فقال: من كتاب الإخلاص للحسن البصري. فقال له: كذبت يا حلال الدم، قد سمعنا كتاب الإخلاص للحسن بمكة، ليس فيه شيء من هذا فأقبل الوزير على القاضي فقال له: قد قلت يا حلال الدم، فاكتب ذلك في هذه الورقة، وألح عليه، وقدم له الدواة، فكتب ذلك في تلك الورقة، وكتب من حضر خطوطهم فيها، وأنفذها الوزير إلى المقتدر، وجعل الحلاج يقول لهم: ظهري حمي، ودمي حرام، وما يحل لكم، أن تتأولوا علي، ما يبيحه، واعتقادي الإسلام، ومذهبي السنة، وتفضيل أبو بكر، وعمر، وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف، وأبي عبيدة بن الجراح، ولي كتب في السنة، موجودة في الوارقين، فالله الله في دمي. فلا يلتفتون إليه، ولا إلى شيء مما يقول. وجعل يكرر ذلك، وهم يكتبون خطوطهم، بما كان من الأمر، ورد الحلاج إلى محبسه، وتأخر جواب المقتدر ثلاثة أيام، حتى ساء ظن الوزير حامد بن العباس، فكتب إلى الخليفة يقول له: إن أمر الحلاج قد اشتهر، ولم يختلف فيه اثنان، وقد افتتن كثير من الناس به، فجاء الجواب بأن يسلم إلى محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة وليضربه ألف سوط، فإن مات، وإلا ضربت عنقه، ففرح الوزير بذلك، وطلب صاحب الشرطة، فسلمه إليه، وبعث معه طائفة من غلمانه، يصلونه معه إلى محل الشرطة، من الجانب الغربي، خوفا من أن يستنقذ من أيديهم وذلك بعد عشاء الآخرة في ليلة الثلاثاء، لست بقين من ذي القعدة، من هذه السنة، وهو راكب على بغل، عليه إكاف [1]، وحوله جماعة من أعوان السياسة. على مثل شكله، فاستقر منـــزله، بدار الشرطة في هذه الليلة فذكر، أنه بات يصلي تلك الليلة، ويدعو دعاء كثيراً، قال أبو عبد الرحمن

(١) الإكاف : ما يوضع على ظهر الدابة من غطاء " برذعة الحمار " .

السلمي: سمعت أبا بكر الشاشي يقول: قال أبو الحديد ــ يعني المصري ــ : لما كانت الليلة، التي قتل في صبيحتها الحلاج، قام يصلي من الليل، فصلى ما شاء الله، فلما كان آخر الليل، قام قائماً، فتغطى بكسائه، ومد يده نحو القبلة، فتكلم بكلام جائز الحفظ، فكان مما حفظت منه قوله: نحن شواهدك، فلو دلتنا عزتك، لتبدي ما شئت، من شأنك ومشيئتك، وأنت الذي في السماء إله، وفي الأرض إله، تتجلى لما تشاء، مثل تجليك في مشيئتك، كأحسن الصورة، والصورة فيها الروح الناطقة، بالعلم، والبيان، والقدرة، ثم إني أوعزت إلى شاهدك؛ لأني في ذاتك الهوى، كيف أنت إذا مثلت بذاتي، عند حلول لذاتي، ودعوت إلى ذاتي بذاتي، وأبديت حقائق علومي، ومعجزاتي، صاعداً في معارجي إلى عروش أزلياتي، عند التولي عن برياتي، إني احتضرت، وقتلت، وصلبت، وأحرقت، واحتملت السافيات الذاريات ولجحت في الجاريات، وأن ذرة من ينجوج مكان هالوك متجلياتي، لأعظم من الراسيات ثم أنشأ يقول :

أنعي إليك نفوسًا طـــاحَ شاهدُها	فيما وراء الحيث بلْ في شاهد القدمِ
أنعي إليك قلوباً طـالما هَطَلَتْ	سحائبُ الوحيَ فيما أبحرَ الحكمِ
أنعى إليك لســانَ الحق منك ومن	أودى وتذكـاره في الوهن كالعدم
أنعى إليك بيانـــا يســـتكينُ لهُ	أقوال كلِّ فصيحٍ يقــول فَهِــم
أنعى إليك إشـــارات العقول معًا	لم يبقَ منهــن إلا دارس العلــم
أنعى وحبُّك أخـــلاقُ لطائفـــة	كانت مطاياهم من مكمــد الكظيم
مضى الجميعُ فـــلا عينٌ ولا أثـرٌ	مُضِيَ عــاد وفقـــدانَ الأولى إرمِ
وخلفوا معشرًا يحــذون ليستهـــم	أعمى من البُهم بل أعمى من النعمِ

قالوا: ولما أخرج الحلاج من المنــزل الذى بات فيه ليذهب به إلى القتل أنشد :

طلبتُ المســـتَقرَّ بكـــلِّ أرضٍ	فلــم أرَ لى بـــأرضٍ مســـتقرا
وذقتُ مِـــنَ الزمــــان وَذَاقَ منىَ	وجدتُ مــذاقهُ حــلوًا ومــــرّا
أطعتُ مطـــامعى فاســتعبدتنى	ولو أنّى قنعـــتُ لعشـــتُ حرّا

وقيل : إنه قالها حين قدم إلى الجذع ليصلب، والمشهور الأول، فلما أخرجوه للصلب ، مشي إليه ، وهو يتبختر في مشيته، وفي رجليه ثلاثة عشر قيداً، وجعل ينشد ويتمايل :

نـــديمى غيرُ منســـوب	إلى شـــىء مـــن الحيـــف
مثـــل مــــا يشـــربُ	فعلُ الضيـــف بالضيـــف
فَلَمَّـــا دارت الكـــأسُ	دعـــا بالنطـــع والسـيف[(١)]
كذا مَنْ يَشـــربُ الــــراحَ	مــع التنــينِ فـــى الصيــفَ[(٢)]

---

(١) النَّطع : بفتح الطاء وسكونها بساط من الجلد يُفْرش تحت المحكوم عليه بقطع الرأس .
(٢) التَّنِّينُ : جمع تَنَانين الحوت ، الحيَّةُ العظيمة .

ثم قال: ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ﴾ [الشورى : ١٨] . ثم لم ينطق بعد ذلك حتى فعل به ما فعل، قالوا: ثم قدم فضرب ألف سوط ثم قطعت يداه ورجلاه، وهو في ذلك كله ساكت، ما نطق بكلمة، ولم يتغير لونه، ويقال:، إنه جعل يقول، مع كل سوط: أحد أحد. قال أبو عبد الرحمن: سمعت عبد الله بن على يقول: سمعت عيسى القصار يقول: آخر كلمة تكلم بها الحلاج حين قتل أن قال: حسب الواحد إفراد الواحد له، فما سمع بهذه الكلمة، أحد من المشايخ إلا رق له، واستحسن هذا الكلام منه. وقال السلمي: سمعت أبا بكر المحاملي يقول: سمعت أبا الفاتك البغدادي — وكان صاحب الحلاج — قال: رأيت في النوم، بعد ثلاث من قتل الحلاج، كأني واقف بين يدي ربي عزّ وجلّ، وأنا أقول: يارب، ما فعل الحسين بن منصور؟ فقال : كاشفته بمعنى، فدعا الخلق إلى نفسه،، فأنزلت به ما رأيت، ومنهم من قال: بل جزع عند القتل جزعا شديدًا، وبكى بكاء كثيراً، فالله أعلم .

وقال الخطيب: ثنا عبد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي قال: قال لنا أبو عمر بن حيوية: لما أخرج الحسين بن منصور الحلاج، ليقتل، مضيت في جملة الناس، ولم أزل أزاحم، حتى رأيته، فدنوت منه، فقال لأصحابه: لا يهولنكم هذا الأمر، فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يوما. ثم قتل فما عاد. وذكر الخطيب : أنه قال، وهو يضرب لمحمد بن عبد الصمد والي الشرطة: أدع بي إليك، فإن عندي نصيحة، تعدل فتح القسطنطينية، فقال له: قد قيل لي : إنك ستقول مثل هذا، وليس إلى رفع الضرب عنك سبيل. ثم قطعت يداه، ورجلاه، وحز رأسه، وأحرقت جثته، وألقي رمادها في دجلة، ونصب الرأس يومين ببغداد على الجسر، ثم حمل إلى خراسان، وطيف به في تلك النواحي، وجعل أصحابه يعدون أنفسهم، برجوعه إليهم بعد ثلاثين يومًا، وزعم بعضهم أنه رأي الحلاج من آخر ذلك اليوم، وهو راكب على حمار في طريق النهروان فقال: لعلك من هؤلاء النفر، الذين ظنوا أني، أنا هو المضروب المقتول، إني لست به، وإنما ألقي شبهي على رجل، ففعل به ما رأيتم وكانوا بجهلهم يقولون: إنما قتل عدو من أعداء الحلاج فذكر هذا لبعض علماء ذلك الزمان. فقال: إن كان هذا الرأي صادقا، فقد تبدي له شيطان، على صورة الحلاج، ليضل الناس به. كما ضلت فرقة النصارى بالمصلوب .

قال الخطيب: اتفق له، أن دجلة زادت في هذا العام، زيادة كثيرة. فقال: إنما زادت؛ لأن رماد جثة الحلاج خالطها وللعوام في مثل هذا، وأشباهه، ضروب من الهذيانات، قديما، وحديثا. ونودي ببغداد، أن لا تشتري كتب الحلاج، ولا تباع وكان قتله يوم الثلاثاء، لست بقين من ذي القعدة، من سنة تسع وثلثمائة، ببغداد. وقد ذكره ابن خلكان، في الوفيات، وحكي اختلاف الناس فيه، ونقل عن الغزالي، أنه ذكره في مشكاة الأنوار، وتأول كلامه، وحمله على مايليق، ثم نقل ابن خلكان، عن إمام الحرمين، أنه كان يذمه، ويقول : إنه اتفق هو والجنابي، وابن المقفع، على إفساد عقائد الناس وتفرقوا في البلاد، فكان الجنابي، في هجر، والبحرين، وابن

المقفع بلاد الترك، ودخل الحلاج العراق، فحكم صاحباه عليه بالهلكة، لعدم انخداع أهل العراق بالباطل. قال ابن خلكان، وهذا لا ينتظم، فإن ابن المقفع، كان قبل الحلاج، بدهر في أيام السفاح والمنصور، ومات سنة خمس وأربعين ومائتين أو قبلها، ولعل إمام الحرمين، أراد ابن المقفع الخراساني، الذي ادعي الربوبية، وأوتي العمر، واسمه عطاء، وقد قتل نفسه بالسم، في سنة ثلاث وستين ومائة، ولا يمكن اجتماعه مع الحلاج أيضاً، وإن أردنا تصحيح كلام إمام الحرمين، فنذكر ثلاثة، قد اجتمعوا في وقت واحد، على إضلال الناس، وإفساد العقائد، كما ذكر، فيكون المراد بذلك، الحلاج، وهو الحسين بن منصور، الذي ذكره، وابن السمعاني ــ يعني أبا جعفر محمد بن علي ــ وأبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي، الذي قتل الحجاج، وأخذ الحجر الأسود، وطَمّ زمزم، ونهب أستار الكعبة، فهؤلاء يمكن اجتماعهم، في وقت واحد، كما ذكرنا ذلك مبسوطا، وذكره ابن خلكان ملخصا وفيها توفي من الأعيان .

أبو العباس بن عطاء أحد أئمة الصوفية

وهو أحمد بن محمد بن عطاء الأدمي حدث عن يوسف بن موسى القطان، والمفضل بن زياد، وغيرهما، وقد كان موافقا للحلاج، في بعض اعتقاده، على ضلاله، وكان أبو العباس هذا، يقرأ في كل يوم ختمة، فإذا كان شهر رمضان قرأ في كل يوم وليلة ثلاث ختمات، وكان له ختمة يتدبرها، ويتدبر معاني القرآن فيها، فمكث فيها سبع عشرة سنة، ومات ولم يختمها، وهذا الرجل ممن كان اشتبه عليه أمر الحلاج، وأظهر موافقته، فعاقبه الوزير حامد بن العباس، بالضرب البليغ على شدقيه، وأمر بنـــزع خفيه، وضربه بهما على رأسه، حتى سال الدم من منخريه، ومات بعد سبعة أيام من ذلك، وكان قد دعا على الوزير، بأن تقطع يداه، ورجلاه، ويقتل شر قتلة. فمات الوزير بعد مدة كذلك .

وفيها توفي : أبو إسحاق إبراهيم بن هارون الطبيب الحراني ، وأبو محمد عبدالله بن حمدون النديم.

ثم دخلت سنة عشر وثلثمائة

فيها: أطلق يوسف بن أبي الساج من الضيق وكان معتقلا، وردت إليه أمواله، وأعيد إلى عمله، وأضيف إليه بلدان أخرى، ووظف عليه في كل سنة خمسمائة ألف دينار، يحملها إلى الحضرة، فبعث حينئذ إلى مؤنس الخادم، يطلب منه أبا بكر بن الأدمي القارئ، وكان قد قرأ بين يديه ، حين اعتقل في سنة إحدى وستين ومائتين ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [هود :١٠٢] فخاف القارئ من سطوته واستعفي من مؤنس الخادم فقال له مؤنس: اذهب وأنا شريكك في الجائزة، فلما دخل عليه قرأ بين يديه ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ [يوسف : ٥٤] فقال: بل أحب أن تقرأ ذلك العشر الذي قرأته عند سجني

وإشهاري ﴿ وكَذَلكَ أخذُ رَبّكَ إذَا أخَذَ القُرَى وهيَ ظَالمَةٌ ﴾ [هود : ١٠٢] فإن ذلك كان سبب توبتي، ورجوعي إلى الله عزَّ وجلَّ، وكان ذلك على يديك. ثم أمر له بمال جزيل، وأحسن إليه، وفيها مرض على بن عيسى الوزير، فجاءه هارون بن المقتدر، ليعوده، ويبلغه سلام أبيه عليه، فبسط له الطريق، فلما اقترب من داره، تحامل، وخرج إليه، فبلغه سلام الخليفة، وجاء مؤنس الخادم معه، ثم جاء الخبر بأن الخليفة قد عزم، على عيادته، فاستعفي من مؤنس الخادم، ثم ركب على جهد عظيم، حتى سلم على الخليفة، لئلا يكلفه الركوب إليه. وفيها: قبض على القهرمانه أم موسى، ومن ينسب إليها، وكان حاصل ماحمل إلى بيت المال من جهتها، ألف ألف دينار. وفي يوم الخميس منها، لعشر بقين من ربيع الآخر، ولي المقتدر منصب القضاء، أبا الحسين عمر بن الحسين بن على الشيباني، المعروف بابن الأشناني ــ وكان من حفاظ الحديث، وفقهاء الناس ــ ولكنه عزل بعد ثلاثة أيام، وكان قبل ذلك محتسبا ببغداد، وفيها: عزل محمد بن عبد الصمد، عن شرطة بغداد، ووليها نازوك، وخلع عليه. وفيها في جمادي الآخرة فيها ظهر كوكب، له ذنب، طوله ذراعان، في برج السنبلة. وفي شعبان منها، وصلت هدايا نائب مصر، وهو الحسين بن الماردايي، وفي جملتها بغلة، معها فلوها، وغلام يصل لسانه، إلى طرف أنفه، وفيها قرئت الكتب على المنابر، بما كان من الفتوح على المسلمين ببلاد الروم. وفيها ورد الخبر بأنه انشق بأرض واسط، فلوع في الأرض، في سبعة عشر موضعاً، أكبرها طوله ألف ذراع، وأقلها مائتا ذراع، وأنه غرق من أمهات القري، ألف وثلثمائة قرية، وحج بالناس : إسحاق بن عبد الملك الهاشمي . ومن توفي فيها من الأعيان :

أبو بشر الدولابي

محمد بن أحمد بن حماد أبو سعيد أبو بشر الدولابي، مولي الأنصار، ويعرف بالوراق، أحد الأئمة من حفاظ الحديث، وله تصانيف حسنة في التاريخ، وغير ذلك، وروى عن جماعة كثيرة قال ابن يونس: كان يصعق، توفي وهو قاصد الحج بين مكة والمدينة، بالعرج، في ذي القعدة، وفيها توفي .

أبو جعفر بن جرير الطبري

محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الإمام أبو جعفر الطبري، كان مولده في سنة أربع وعشرين ومائتين، وكان أسمر، أعين مليح الوجه، مديد القامة، فصيح اللسان، روى الكثير عن الجم الغفير، ورحل إلى الآفاق، في طلب الحديث، وصنف التاريخ الحافل، وله التفسير الكامل، الذي لا يوجد له نظير، وغيرهما من المصنفات النافعة، في الأصول، والفروع ومن أحسن ذلك تهذيب الآثار، ولو كمل لما احتيج معه إلى شيء، ولكان فيه الكفاية، لكنه لم يتمه وقد روى عنه، أنه مكث أربعين سنة، يكتب في كل يوم أربعين ورقة. قال الخطيب البغدادي: استوطن ابن جرير بغداد، وأقام بها إلى حين وفاته، وكان من أكابر أئمة العلماء، ويحكم بقوله،

ويرجع إلى معرفته، وفضله، وكان قد جمع من العلوم، ما لم يشاركه فيه أحد، من أهل عصره، وكان حافظا لكتاب الله، عارفا بالقراءات كلها، بصيراً بالمعاني، فقيها في الأحكام، عالما بالسنن، وطرقها، وصحيحها، وسقيمها، وناسخها، ومنسوخها، عارفا بأقوال الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم، عارفا بأيام الناس، وأخبارهم، وله الكتاب المشهور، في تاريخ الأمم والملوك، وكتاب في التفسير، لم يصنف أحد مثله، وكتاب سماه (تهذيب الآثار) ، لم أر سواه في معناه، إلا أنه لم يتمه، وله في أصول الفقه، وفروعه، كتب كثيرة، واختيارات، وتفرد بمسائل، حفظت عنه .

قال الخطيب: وبلغني عن الشيخ أبي حامد بن أبي طاهر الفقيه الإسفرائيني أنه قال: لو سافر رجل إلى الصين، حتى ينظر في كتاب تفسير ابن جرير الطبري، لم يكن ذلك كثيراً، أو كما قال. وروى الخطيب عن إمام الأئمة أبي بكر بن خزيمة، أنه طالع تفسير محمد بن جرير في سنين من أوله إلى آخره، ثم قال: ما أعلم على أديم الأرض، أعلم من ابن جرير،ولقد ظلمته الحنابلة، وقال محمد، لرجل رحل إلى بغداد يكتب الحديث، عن المشايخ ـــ ولم يتفق له سماع من ابن جرير؛ لأن الحنابلة كانوا يمنعون أن يجتمع به أحد ـــ : فقال ابن خزيمة: لو كتبت عنه، لكان خيراً لك، من كل من كتبت عنه، قلت: وكان من العبادة، والزهادة، والورع، والقيام في الحق، لا تأخذه في ذلك لومة لائم، وكان حسن الصوت بالقراءة، مع المعرفة التامةبالقراءات، على أحسن الصفات، وكان من كبار الصالحين، وهو أحد المحدثين، الذين اجتمعوا في مصر، في أيام ابن طولون، وهم محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام الأئمة، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن هارون الروياني ومحمد بن جرير الطبري هذا. وقد ذكرناهم في ترجمة محمد بن نصر المروزي، وكان الذي قام فصلي هو محمد بن إسحاق بن خزيمة، وقيل : محمد بن نصر، فرزقهم الله، وقد أراد الخليفة المقتدر، في بعض الأيام، أن يكتب كتابًا، وقف تكون شروطه متفقا عليها بين العلماء، فقيل له: لا يقدر على استحضار ذلك، إلا محمد بن جرير الطبري، فطلب منه ذلك، فكتب له، فاستدعاه الخليفة إليه، وقرب منـــزلته عنده، وقال له: سل حاجتك، فقال: لا حاجة لي. فقال: لابد أن تسألني حاجة أو شيئا، فقال: أسأل من أمير المؤمنين أن يتقدم أمره إلى الشرطة حتى يمنعوا السؤال يوم الجمعة أن يدخلوا إلى مقصورة الجامع، فأمر الخليفة بذلك. وكان ينفق على نفسه من مغلّ قرية تركها له أبوه بطبرستان. ومن شعره :

إذا أَعَســـَـرتُ لم يعلـــم رفيقى   وأســـتَغْنى فيســـتغنى صديقى
حيائى حافظٌ لى ماءَ وَجْهـــــى   ورفيقـــى فى مطـــالبتى رفيقى
ولـــو أنى سَمَحْتُ بِبَـــذْلِ وجهـــى   لَكُنْتُ إلى الْغنَى سَهْـلَ الطـــريقِ

ومن شعره أيضاً :

خُلُقان لا أرضـــى طريقَهـــما   بَطَـــرُ الغنى وَمَـــذَلّةُ الفـــقر

فــإذا غَنيتَ فــلا تكــنْ بَطَــرًا وإذا افتقرتَ فَتِهْ علــى الدهـــــر

وقدَ كانت وفاته وقت المغرب، عشية يوم الأحد، ليومين بقيا منَ شوال، من سنة عشر وثلثمائة وقد جاوز الثمانين بخمس سنين، أو ست سنين، وفي شعر رأسه، ولحيته سواد كثير، ودفن في داره؛ لأن بعض عوام الحنابلة، ورعاعهم، منعوا من دفنه نهاراً، ونسبوه إلى الرفض، ومن الجهلة من رماه بالإلحاد، وحاشاه من ذلك كله. بل كان أحد أئمة الإسلام، علما، وعملاً بكتاب الله، وسنة رسوله، وإنما تقلدوا ذلك، عن أبي بكر محمد بن داود الفقيه الظاهري، حيث كان يتكلم فيه، ويرميه بالعظائم، وبالرفض، ولما توفي، اجتمع الناس، من سائر أقطار بغداد، وصلوا عليه بداره، ودفن بها، ومكث الناس يترددون إلى قبره، شهوراً، يصلون عليه، وقد رأيت له كتابا، جمع فيه أحاديث غديرخم، في مجلدين ضخمين، وكتابا جمع فيه طريق حديث الطير ونسب إليه، أنه كان يقول، بجواز مسح القدمين في الوضوء، وأنه لا يوجب غسلهما، وقد اشتهر عنه هذا فمن العلماء : من يزعم أن ابن جرير اثنان،أحدهما شيعي،وإليه ينسب ذلك،وينــزهون أبا جعفر هذا،عن هذه الصفات والذي عول عليه كلامه في التفسير،أنه يوجب غسل القدمين ويوجب مع الغسل دلكهما،ولكنه عبر عن الدلك بالمسح،فلم يفهم كثير من الناس مراده،ومن فهم مراده،نقلوا عنه،أنه يوجب الغسل،والمسح،وهو الدلك،والله أعلم.وقد رثاه جماعة من أهل العلم، منهم ابن الأعرابي .

حيث يقول :

حـــدثٌ مقطــعٌ وخَطْبٌ جليلُ دقّ عـــن مثْله اصطبــار الصّبور
قام ناعى العُلـــــوم أجمعُ لما قـــام نــــاعى محمد بن جرير
فهوتْ أنجـــــمٌ لها زاهــــراتٌ مؤذناتٌ رُسُــــومها بالدّثور [1]
وتغشى ضــياءهَا النــيرَ الإشــ راق ثوبُ الـــدجنّة الديجــور [2]
وغدا روضُها الأنيـــقُ هشــيماً ثم عادتْ ســـهُولُهاَ كـــالوعور
يا أبا جعفر مضيـــتَ حميــدًا غير وان في الـــجد والتشـمير
بين أجر علَى اجتهادك مـــوفــو رُسْــعي إلى التّقى مشـــكور
مستحقا به الخلود لــدى جــنـ ـــة عَدْن فــى غبْطَـــة وسُرور

ولأبي بكر بن دريد رحمه الله فيه مرثاة طويلة، وقد أوردها الخطيب البغدادي بتمامها والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وثلثمائة

فيها: دخل أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي، أمير القرامطة، في ألف وسبعمائة فارس، إلى البصرة ليلا، نصب السلالم الشعر، في سورها فدخلها قهراً، وفتحوا أبوابها، وقتلوا من لقوه

(١) الدثور : البلى والفناء .

(٢) الدجنة الديجور : الظلمة الشديدة .

من أهلها، وهرب أكثر الناس، فألقوا أنفسهم في الماء، فغرق كثير منهم، ومكث بها سبعة عشر يومًا، يقتل، ويأسر من نسائها، وذراريها، ويأخذ ما يختار من أموالها ثم عاد إلى بلده هجر، كلما بعث إليه الخليفة جنداً، من قبله، فرّ هاربا، وترك البلد خاويا، إنا لله وإنا إليه راجعون، وفيها عزل المقتدر عن الوزارة: حامد بن العباس، وعلي بن عيسى، وردها، إلى أبي الحسن بن الفرات، مرة ثالثة، وسلم إليه حامدًا، وعلي بن عيسى، فأما حامد، فإن المحسن بن الوزير ضمنه من المقتدر، بخمسمائة ألف ألف دينار، فتسلمه، فعاقبه بأنواع العقوبات، وأخذ منه أموالا جزيلة، لا تحصي، ولا تعد كثرة، ثم أرسله، مع موكلين عليه، إلى واسط، ليحتاطوا على أمواله، وحواصله هناك، وأمرهم، أن يسقوه سما، في الطريق، فسقوه ذلك، في بيض مشوي، كان قد طلبه منهم، فمات في رمضان، من هذه السنة. وأما على بن عيسى، فإنه صودر بثلثمائة ألف دينار، وصودر قوم آخرون، من كتابه، فكان جملة ما أخذ من هؤلاء، مع ما كان صودرت به القهرمانة، من الذهب شيئا كثيرا جدا، آلاف ألف من الدنانير، وغير ذلك من الأثاث، والأملاك، والدواب، والآنية من الذهب، والفضة وأشار الوزير ابن الفرات، على الخليفة المقتدر بالله، أن يبعد عنه، مؤنس الخادم إلى الشام — وكان قد قدم من بلاد الروم من الجهاد، وقد فتح شيئا كثيرا من حصون الروم وبلدالهم، وغنم مغانم كثيرة جداً — فأجابه إلى ذلك، فسأل مؤنس الخليفة أن ينظره، إلى سلخ شهر رمضان، وكان مؤنس قد أعلم الخليفة، بما يعتمده ابن الوزير، من تعذيب الناس، ومصادرتهم بالأموال، فأمر الخليفة مؤنسا بالخروج إلى الشام، وفيها كثر الجراد، وأفسد كثيراً من الغلات. وفي رمضان منها، أمر الخليفة، برد ما فضل من المواريث، على ذوي الأرحام. وفي رمضان، أحرق بالنار على باب العامة، مائتين وأربعة أعدال، من كتب الزنادقة، منها ما كان صنفه الحلاج، وغيره، فسقط منها ذهب كثير، كانت محلاة به، وفيها: اتخذ أبو الحسن بن الفرات الوزير، مرستانًا [١] في درب الفضل، وكان ينفق عليه من ماله، في كل شهر، مائتي دينار، وفيها توفي من الأعيان .

الخلال أحمد بن محمد

أبو بكر الخلال، صاحب الكتاب الجامع لعلوم الإمام أحمد، ولم يصنف في مذهب الإمام أحمد، مثل هذا الكتاب، وقد سمع الخلال الحديث من الحسن بن عرفة، وسودان بن نصر وغيرهما توفي يوم الجمعة قبل الصلاة ليومين مضتا من هذه السنة .

أبو محمد الجريري

أحد أئمة الصوفية أحمد بن محمد بن الحسين أبو محمد الجريري، أحد كبار الصوفية، صحب سريّا السقطي، وكان الجنيد يكرمه، ويحترمه ولما حضرت الجنيد الوفاة، أوصى أن

---

(١) مرستانا : مستشفى .

يجالس الجريري، وقد اشتبه على الجريري هذا شأن الحلاج، فكان ممن أجمل القول فيه، على أن الجريري هذا، مذكور بالصلاح، والديانة، وحسن الأدب .

الزجاج صاحب "معاني القرآن"

إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، كان فاضلا دينا حسن الاعتقاد، وله المصنفات الحسنة، منها : كتاب "معاني القرآن"، وغيره من المصنفات، العديدة المفيدة، وقد كان أول أمره، يخرط الزجاج، فأحب علم النحو، فذهب إلى المبرد، وكان يعطي المبرد كل يوم درهما، ثم استغني الزجاج، وكثر ماله، ولم يقطع عن المبرد ذلك الدرهم، حتى مات، وقد كان الزجاج مؤدبا للقاسم بن عبيد الله فلما ولي الوزارة، كان الناس يأتونه بالرقاع، ليقدمها إلى الوزير، فحصل له بسبب ذلك ما يزيد على أربعين ألف دينار. توفي في جمادى الأولى منها، وعنه أخذ أبو على الفارسي النحوي، وابن القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، نسب إليه لأخذه عنه، وهو صاحب (كتاب الجمل في النحو) .

بدر مولى المعتضد

وهو بدر الحمامي، ويقال له : بدر الكبير، كان في آخر وقت على نيابة فارس، ثم وليها من بعده ولده محمد .

حامد بن العباس

الوزير، استوزره المقتدر، في سنة ست وثلثمائة، وكان كثير المال، والغلمان، كثير النفقات كريما سخيا، كثير المروءة له حكايات، تدل على بذله، وإعطائه الأموال الجزيلة، ومع هذا، كان قد جمع شيئا كثيراً، وجد له في مطمورة ألوف من الذهب، كان كل يوم، إذا دخلها، ألقى فيها ألف دينار، فلما امتلأت طمها، فلما صودردل عليها، فاستخرجوا منها، مالا كثيرا جدا، ومن أكبر مناقبه، أنه كان من السعادة، في قتل الحسين الحلاج، كما ذكرنا ذلك، توفي الوزير حامد ابن العباس، في رمضان منها، مسموماً، وفيها. توفي عمر بن محمد بجتر البحتري صاحب الصحيح .

ابن خزيمة

محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي، مولي محسن بن مزاحم الإمام أبو بكر بن خزيمة، الملقب بإمام الأئمة، كان بحراً من بحور العلم، طاف البلاد، ورحل إلى الآفاق، في الحديث، وطلب العلم، فكتب الكثير، وصنف، وجمع، وكتابه الصحيح من أنفع الكتب، وأجلها، وهو المجتهدين في دين الإسلام، حكي الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، في "طبقات الشافعية" عنه، أنه قال: ما قلدت أحداً، منذ بلغت ست عشرة سنة وقد ذكرنا له ترجمة مطولة، في كتابنا "طبقات الشافعية". وهو أحد المحمدين الذين أرملوا بمصر، ثم رزقهم الله ببركة

صلاته. وقد ذكرنا نحو ذلك، في ترجمة الحسن بن سفيان، وفيها : توفي محمد بن زكريا الطبيب، صاحب المصنف الكبير في الطب .

ثم دخلت سنة ثنتي عشرة وثلثمائة

في المحرم منها اعترض القرمطي، أبو طاهر الحسين بن أبــي سعــيد الجنابــي ــ لعنه الله، ولعن أباه ــ للحجيج، وهم راجعون من بيت الله الحرام، وقد أدوا فرض الله عليهم، فقطع عليهم الطريق، فقاتلوه، دفعا عن أموالهم، وأنفسهم، وحريمهم، فقتل منهم خلقا كثيراً، لا يعلمهم إلا الله، وأسر من نسائهم، وأبنائهم، ما اختاره،واصطفى من أموالهم، ما أراد، فكان مبلغ ما أخذه من الأموال، ما يقاوم ألف ألف دينار، ومن الأمتعة، والمتاجر نحو ذلك، وترك بقية الناس، بعدما أخذ جمالهم، وزادهم، وأموالهم، ونساءهم، وأبناءهم، على بعد الديار، في تلك الفيافي ، والبرية ، بلا ماء ولا زاد ، ولا محمل وقد جاحف [1] عن الناس ، نائب الكوفة، أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان، فهزمه، وأسره، إنا لله وإنا إليه راجعون. وكان عدة من مع القرمطي ثمانمائة مقاتل، وعمره إذ ذاك سبع عشرة سنة ــ قصمه الله ــ ولما انتهى خبرهم إلى بغداد، قام نساؤهم، وأهاليهم في النياحة، ونشرن شعورهن، ولطمن خدودهن، وانضاف إليهن نساء الذين نكبوا، على يد الوزير وابنه، وكان ببغداد يوم مشهود، بسبب ذلك في غاية البشاعة، والشناعة، فسأل الخليفة عن الخبر، فذكروا له، أنهم نسوة الحجيج، ومعهن نساء الذين صادرهم ابن الفرات، وجاءت على يد الحاجب نصر بن القشوري، على الوزير، فقال: يا أمير المؤمنين، إنما استولي هذا القرمطي، على ما استولي عليه، بسبب إبعادك مؤنس الخادم المظفر، فطمع هؤلاء في الأطراف، وما أشار عليك بإبعاده، إلا ابن الفرات، فبعث الخليفة إلى ابن الفرات يقول له: إن الناس، يتكلمون فيك، لنصحك إياي وأرسل يطيب قلبه، فركب هو وولده إلى الخليفة، فدخلا عليه، فأكرمهما، وطيب قلوبهما، فخرجا من عنده، فنالهما أذى كثير، من نصر الحاجب، وغيره من كبار الأمراء، وجلس الوزير في دسته، فحكم بين الناس كعادته، وبات ليلته تلك مفكراً في أمره، وأصبح كذلك وهو ينشد :

فأصبح لا يدري وإنْ كان حازماً أقــدامُهُ خيرٌ لــــهُ أمْ إدباره ؟

ثم جاءه في ذلك اليوم أميران من جهة الخليفة، فدخلا عليه داره، إلى بين حريمه، وأخرجوه مكشوفا رأسه، وهو في غاية الذل، والصغار، والإهانة والعار، فأركبوه في حراقة إلى الجانب الآخر، وفهم الناس ذلك فرجموا ابن الفرات بالآجر، وتعطلت الجوامع، وخربت العامة المحاريب ولم يصلِّ الناس الجمعة فيها. وأخذ خط الوزير بألفي ألف دينار وأخذ خط ابنه بثلاثة آلاف ألف دينار ، وسلما إلى نازوك أمير الشرطة فاعتقلا حينا حتى خلعت منهما الأموال، ثم أرسل

---

(١) جاحف : دافع .

الخليفة خلف مؤمن الخادم فلما قدم سلمهما إليه فأهانهما غاية الإهانة، بالضرب، والتقريع له، ولولده المحرم، الذي ليس بمحسن، ثم قتلا بعد ذلك. واستوزر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن خاقان أبو القاسم، وذلك في تاسع ربيع الأول منها. ولما دخل مؤنس بغداد، دخل في تجمل عظيم، وشفع عند ابن خاقان، في أن يرسل إلى على بن عيسى — وكان قد صار إلى صنعاء اليمن مطرودا — فعاد إلى مكة، وبعث إليه الوزير، أن ينظر في أمر الشام، ومصر، وأمر الخليفة مؤنس الخادم، بأن يسير إلى الكوفة، لقتال القرامطة، وأنفق على خروجه ألف ألف دينار، وأطلق القرمطي من كان أسره من الحجيج، وكانوا ألفي رجل وخمسمائة امرأة، وأطلق أبا الهيجاء نائب الكوفة معهم أيضا، وكتب إلى الخليفة يسأل منه البصرة، والأهواز، فلم يجب إلى ذلك، وركب المظفر مؤنس في جحافل إلى بلاد الكوفة، فسكن أمرها، ثم انحدر منها إلى واسط، واستناب على الكوفة ياقوت الخادم، فتمهدت الأمور، وانصلحت وفي هذه السنة، ظهر رجل، بين الكوفة وبغداد، فادعي أنه محمد بن إسماعيل بن محمد بن محمد بن الحسين بن على بن أبي طالب، وصدقه على ذلك طائفة من الأعراب، والطغام، والتفوا عليه، وقويت شوكته في شوال. فأرسل إليه الوزير جيشاً، فقاتلوه، فهزموه، وقتلوا خلقا من أصحابه، وتفرق بقيتهم. وهذا المدعي المذكور هو رئيس الإسماعيلية، وهو أولهم وظفر نازوك صاحب الشرطة بثلاثة من أصحاب الحلاج: وهم حيدرة، والشعراني، وابن منصور، فطالبهم بالرجوع عن اعتقادهم فيه، فلم يرجعوا، فضرب رقابهم، وصلبهم في الجانب الشرقي. ولم يحج في هذه السنة أحد من أهل العراق لكثرة خوف الناس من القرامطة وفيها توفي من الأعيان :

إبراهيم بن خميس

أبو إسحاق الواعظ الزاهد، كان يعظ الناس، فمن جملة كلامه الحسن، قوله: يضحك القضاء من الحذر، ويضحك الأجل من الأمل، ويضحك التقدير من التدبير، وتضحك القسمة من الجهد والعناء .

على بن محمد بن الفرات

ولاه المقتدر الوزارة، ثم عزله، ثم ولاّه، ثم عزله، ثم ولاّه، ثم عز له، ثم ولاّه، ثم قتله، في هذه السنة، وقتل ولده، وكان ذا مال جزيل: ملك عشرة آلاف ألف دينار، وكان يدخل له من ضياعه، كل سنة ألف ألف دينار، وكان ينفق على خمسة آلاف من العباد، والعلماء، تجري عليهم نفقات، في كل شهر ما فيه كفايتهم، وكان له معرفة بالوزارة، والحساب، يقال : إنه نظر يومًا في ألف كتاب، ووقع على ألف رقعة، فتعجب من حضره من ذلك، وكانت فيه مروءة وكرم وحسن سيرة، في ولاياته، غير هذه المرة فإنه ظلم وغشم وصادر الناس، وأخذ أموالهم، فأخذه الله أخذ القرى وهي ظالمة، أخذ عزيز مقتدر. وقد كان ذا كرم، وسعة في النفقة، ذاكر عنده ذات ليلة، أهل الحديث، والصوفية، وأهل الأدب، فأطلق من ماله لكل

طائفة عشرين ألفا، وكتب رجل على لسانه، إلى نائب مصر كتابًا، فيه وصية به إلى الوزير فلما وقف عليه، عرف أنه كذب، وزوره، فاستشار الحاضرين عنده فيما يفعل، بالذي زور عليه، فقال بعضهم: تقطع يديه، وقال آخر: تقطع إبهاميه، وقال آخر : يضرب ضربا مبرحاً. فقال الوزير: أو خير من ذلك كله؟ ثم أخذ الكتاب، وكتب عليه: نعم هذا خطي، وهو من أخص أصحابي، فلا تتركن من الخير شيئا مما تقدر عليه، إلا أوصلته إليه، فلما عاد الكتاب أحسن نائب مصر، إلى ذلك الرجل، إحسانا بالغا، ووصله بنحو من عشرين ألف دينار، واستدعى ابن الفرات يوما ببعض الكتاب، فقال له: ويحك، إن نيتي فيك سيئة، وإني في كل وقت، أريد أن أقبض عليك، وأصادرك، فأراك في المنام، تمنعني برغيف، وقد رأيتك في المنام من ليال، وإني أريد القبض عليك، فجعلت تمتنع مني، فأمرت جندي أن يقاتلوك، فجعلوا كلما ضربوك، بشيء من سهام وغيرها، تتقي الضرب برغيف في يدك، فلا يصل إليك شيء فأعلمني ماقصة هذا الرغيف؟. فقال: أيها الوزير، إن أمي منذ كنت صغيراً كل ليلة تضع تحت وسادتي رغيفا، فإذا أصبحت تصدقت به عني،فلم يزل كذلك دأبها حتى ماتت فلما ماتت، فعلت أنا ذلك، مع نفسي، فكل ليلة، أضع تحت وسادتي رغيفا، ثم أصبح فأتصدق به، فعجب الوزير من ذلك، وقال: والله لا ينالك مني بعد اليوم سوء أبدًا، ولقد حسنت نيتي فيك، وقد أحببتك، وقد أطال ابن خلكان ترجمته فذكر بعض ما أوردناه في ترجمته .

محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث بن عبد الرحمن

أبو بكر الأزدي الواسطي، المعروف بالباغندي، سمع محمد بن عبد الله بن نمير، وابن أبي شيبة، وشيبان بن فروخ، وعلي بن المديني، وخلقا من أهل الشام، ومصر، والكوفة، والبصرة، وبغداد، ورحل إلى الأمصار البعيدة، وعني بهذا الشأن، واشتغل فيه، فأفرط، حتى قيل : إنه ربما سرد، بعض الأحاديث بأسانيدها، في الصلاة، والنوم، وهو لا يشعر، فكانوا يسبحون به، حتى يتذكر أنه في الصلاة، وكان يقول: أنا أجيب في ثلثمائة ألف مسألة، من الحديث، لا أتجاوزه، إلى غيره. وقد رأى رسول الله ﷺ في منامه، فقال له: يارسول الله، أيما أثبت في الأحاديث، منصور، أو الأعمش؟. فقال له: منصور. وقد كان يعاب بالتدليس، حتى قال الدارقطني: هو كثير التدليس، يحدث بما لم يسمع، وربما سرق بعض الأحاديث، والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة

قال ابن الجوزي: في ليلة بقيت من المحرم، انقض كوكب من ناحية الجنوب، إلى الشمال قبل مغيب الشمس، فأضاءت الدنيا منه، وسمع له صوت كصوت الرعد الشديد، وفي صفر منها بلغ الخليفة، أن جماعة من الرافضة يجتمعون في مسجد براثي، فينالون من الصحابة، ولا يصلون الجمعة ويكاتبون القرامطة، ويدعون إلى محمد بن إسماعيل، الذي ظهر بين الكوفة، وبغداد،

ويدعون أنه المهدي، ويتبرءون من المقتدر، وممن تبعه فأمر بالاحتياط عليهم، واستفتي العلماء بالمسجد فأفتوا بأنه مسجد ضرار، فضرب من قدر عليه منهم، الضرب المبرح، ونودي عليهم وأمر بهدم ذلك المسجد المذكور، فهدم. هدمه نازوك، وأمر الوزير الخاقاني، فجعل مكانه مقبرة، فدفن فيها جماعة من الموالي. وخرج الناس للحج في ذي القعدة، فاعترضهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي، فرجع أكثر الناس إلى بلدانهم، ويقال : إن بعضهم سأل منه الأمان، ليذهبوا، فأمنهم. وقد قاتله جند الخليفة، فلم يفد ذلك شيئا، لتمرده، وشدة بأسه،فانزعج أهل بغداد من ذلك، وترحل أهل الجانب الغربي، إلى الجانب الشرقي، خوفا منهم، ودخل القرامطي إلى الكوفة، فأقام بها شهراً، يأخذ من أموالها، ونسائها، ما يختار. قال ابن الجوزي: وكثر الرطب في هذه السنة ببغداد، حتى بيع كل ثمانية أرطال بحبة، وعمل منه، تمر وحمل إلى البصرة. وعزل المقتدر، وزيره الخاقاني بعد أن ولاه سنة وستة أشهر ويومين، وولي مكانه أبا القاسم أحمد ابن عبيد الله بن أحمد بن الخطيب الخصيبي لأجل مال بذله من جهة زوجة للحسن بن الفرات،وكان ذلك المال سبعمائة ألف دينار،فأمر الخصيبي على بن عيسى، على أن يكون مشرفا على ديار مصر، وبلاد الشام، وهو مقيم بمكة، يسير إلى تلك البلاد، في بعض الأوقات فيعمل ماينبغي، ثم يرجع إلى مكة وفيها توفي من الأعيان :

على بن عبد الحميد بن عبد الله بن سليمان

أبو الحسن الغضائري، سمع القواريري، وعباسا العنبري، وكان من العباد الثقات. قال: جئت يومًا إلى السري السقطي، فدققت عليه بابه، فخرج إلي، ووضع يده على عضادتي الباب، وهو يقول: اللهم، اشغل من شغلني عنك بك. قال: فنالتني بركة هذه الدعوة فحججت على قدمي، من حلب إلى مكة، أربعين حجة ذاهبا وآيباً .

أبو العباس السراج الحافظ

محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران بن عبد الله الثقفي مولاهم، أبو العباس السراج، أحد الأئمة الثقات الحفاظ، مولده سنة ثمان عشرة ومائتين، سمع قتيبة، وإسحاق بن راهويه، وخلقا كثيرا، من أهل خراسان، وبغداد والكوفة، والبصرة، والحجاز، وقد حدث عنه البخاري، ومسلم، وهما أكبر منه، وأقدم ميلاداً، ووفاة، وله مصنفات كثيرة نافعة جداً، وكان يعد من مجابي الدعوة، وقد رأي في منامه كأنه يرقي في سلم، فصعد فيه تسعاً وتسعين درجة، فما أولها على أحد، إلا قال له: تعيش تسعا وتسعين سنة، فكان كذلك. وقد ولد ابنه أبو عمر، وعمره ثلاث وثمانون سنة. قال الحاكم: فسمعت أبا عمر يقول: كنت إذا دخلت المسجد، على أبي، والناس عنده، يقول لهم : هذا عملته ، في ليلة ، ولي من العمر ثلاث وثمانون سنة .

ثم دخلت سنة أربع عشرة وثلاثمائة

فيها: كتب ملك الروم وهو الدمستق ــ لعنه الله ــ إلى أهل السواحل، أن يحملوا إليه الخراج، فأبوا عليه، فركب إليهم في جنوده في أول هذه السنة، فعاث في الأرض فسادا، ودخل ملطية، فقتل من أهلها خلقا وأسر وأقام بها ستة عشر يوما، وجاء أهلها إلى بغداد، يستنجدون الخليفة عليه، ووقع في بغداد حريق في مكانين، مات فيهما خلق كثير، وأحرق في أحدهما ألف دار ودكان، وجاءت الكتب بموت الدمستق ملك النصارى، فقرئت الكتب على المنابر. وجاءت الكتب من مكة، أنهم في غاية الانزعاج، بسبب اقتراب القرامطة إليهم، وقصدهم إياهم، فرحلوا منها إلى الطائف، وتلك النواحي. وفيها هبت ريح عظيمة، بنصيبين، اقتلعت أشجاراً كثيرة، وهدمت البيوت. قال ابن الجوزي: وفي يوم الأحد، لثمان مضين من شوال منها ــ وهو سابع كانون الأول ــ سقط ببغداد ثلج عظيم، جداً، حصل بسببه برد شديد، بحيث أتلف كثيرا من النخيل، والأشجار، وجمدت الأدهان، حتى الأشربة، وماء الورد، والخل والخلجان الكبار، ودجلة، وعقد بعض مشايخ الحديث مجلسا للتحديث على متن دجلة، من فوق الجمد، وكتب هناك، ثم انكسر البرد بمطر، وقع، فأزال ذلك كله ولله الحمد، وفيها: قدم الحجاج من خراسان، إلى بغداد، فاعتذر إليهم مؤنس الخادم بأن القرامطة قد قصدوا مكة، فرجعوا، ولم يتهيأ الحج في هذه السنة، من ناحية العراق بالكلية، وفي ذي القعدة عزل الخليفة، وزيره أبا العباس الخصيبي بعد سنة وشهرين، وأمر بالقبض عليه، وحبسه، وذلك لإهماله أمر الوزارة، والنظر في المصالح، وذلك لاشتغاله بالخمر في كل ليلة، فيصبح مخموراً، لا تمييز له، وقد وكل الأمور إلى نوابه، فخانوا، وعملوا مصالحهم، وولي أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذاني، نيابة عن علي بن عيسى حتى يقدم، ثم أرسل في طلب علي بن عيسى، وهو بدمشق، فقدم بغداد، في أبهة عظيمة، فنظر في المصالح الخاصة، والعامة، ورد الأمور إلى السداد، وتمهدت الأمور واستدعى بالخصيبي، فتهدده، ولامه، وناقشه على ما كان يعتمده، ويفعله، في خاصة نفسه، من معاصي الله عزَّ وجلَّ، وفي الأمور العامة، وذلك بحضرة القضاة والأعيان، ثم رده إلى السجن، وفيها: أخذ نصر ابن أحمد الساماني، الملقب بالسعيد بلاد الري، وسكنها، إلى سنة ست عشرة وثلثمائة، وفيها: غزت الصائفة من طرسوس، بلاد الروم، فغنموا وسلموا. ولم يحج ركب العراق خوفا من القرامطة.

وفيها: توفي من الأعيان سعد النوبي، صاحب باب النوبي، من دار الخلافة، ببغداد في صفر، وأقيم أخوه مكانه، في حفظ هذا الباب الذي صار ينسب بعد إليه، ومحمد بن محمد الباهلي، ومحمد بن عمر بن لبابة القرمطي. ونصر بن القاسم الفرائضي الحنفي أبو الليث، سمع القواريري. وكان ثقة عالما بالفرائض على مذهب أبي حنيفة، مقربا جليلا.

ثم دخلت سنة خمس عشرة وثلاثمائة

في صفر منها كان قدوم علي بن عيسى الوزير، من دمشق، وقد تلقاه الناس إلى أثناء الطريق، فمنهم من لقيه إلى الأنبار، ومنهم دون ذلك. وحين دخل إلى الخليفة، خاطبه الخليفة،

فأحسن مخاطبته، ثم انصرف إلى منـــزله، فبعث الخليفة وراءه بالفرش، والقماش، وعشرين ألف دينار، واستدعاه من الغد، فخلع عليه، فأنشد وهو في الخلعة :

ما الناسُ إلا مــعَ الدنيا وصاحبهــا ... فكيفَمــــا انقلــبت به انقلــبوا
يعــظِـــمونَ أخا الدنيا فـــإنْ وثبتْ ... يوماً عليه بما لا يشتـــهي وثبـــوا

وفيها: جاءت الكتب، بأن الروم دخلوا شميساط، وأخذوا جميع مافيها، ونصبوا فيها خيمة الملك، وضربوا الناقوس في الجامع بها، فأمر الخليفة مؤنس الخادم، بالتجهيز إليهم، وخلع عليه خلعة سنية. ثم جاءت الكتب بأن المسلمين وثبوا على الروم، فقتلوا منهم خلقا كثيرا جدا، فلله الحمد والمنة. ولما تجهّز مؤنس للمسير، جاءه بعض الخدم، فأعلمه، أن الخليفة، يريد أن يقبض عليه، إذا دخل لوداعه وقد حضرت له ربية في دار الخلافة، مغطاة ليقع فيها، فأحجم عن الذهاب وجاءت الأمراء إليه، من كل جانب ليكونوا معه على الخليفة، فبعث إليه الخليفة، رقعة فيها خطه يحلف له أن هذا الأمر الذي بلغه ليس بصحيح، فطابت نفسه، وركب إلى دار الخلافة في غلمانه، فلما دخل على الخليفة، خاطبه مخاطبة عظيمة، وحلف أنه طيب القلب عليه، وله عنده الصفاء الذي يعرفه ثم خرج من بين يديه معظماً مكرما، وركب العباس بن الخليفة، والوزير، ونصر الحاجب في خدمته، لتوديعه، وكبر الأمراء بين يديه مثل الحجبة،وكان خروجه يوما مشهوداً، قاصداً بلاد الثغور لقتال الروم. وفي جمادى الأولى منها قبض على رجل خنّاق، قد قتل خلقا من النساء، وكان يدعي لهن أنه يعرف العطف، والتنجيم، فقصده النساء لذلك. فإذا انفرد بالمرأة قام إليها ففعل معها الفاحشة، وخنقها بوتر [1] وأعانته امرأته، وحفر لها في داره، فدفنها، فإذا امتلأت تلك الدار من القتلى انتقل إلى دار أخرى ولما ظهر عليه، وجد في داره التي هو فيها أخيراً، سبع عشرة امرأة قد خنقهن، ثم تتبعت الدور التي سكنها فوجدوه، قد قتل شيئا كثيرًا من النساء، فضرب ألف سوط ثم خنق حتى مات، وفيها كان ظهور الديلم ــ قبّحهم الله ــ ببلاد الري، وكان فيهم ملك، غلب على أمرهم، يقال له : مرداويح، يجلس على سرير من ذهب، وبين يديه سرير من فضة، ويقول : أنا سليمان بن داود. وقد سار في أهل الري، وقزوين، وأصبهان، سيرة قبيحة جداً، فكان يقتل النساء والصبيان في المهد ويأخذ أموال الناس، وهو في غاية الجبروت ، والشدة والجرأة على محارم الله عزّ وجلّ، فقتلته الأتراك، وأراح الله المسلمين من شره. وفيها كانت بين يوسف بن أبي الساج، وبين أبي طاهر القرمطي عند الكوفة، موقعة فسبقه إليها أبو طاهر، فحال بينه وبينها، فكتب إليه يوسف بن أبي الساج: اسمع، وأطع وإلا فاستعد للقتال، يوم السبت تاسع شوال منها، فكتب إليه: هلم. فسار إليه، فلما تراءا الجمعان، استقل يوسف جيش القرمطي، وكان مع يوسف بن أبي الساج عشرون ألفا، ومع القرمطي ألف فارس وخمسمائة رجل فقال يوسف: وما قيمة هؤلاء الكلاب؟. وأمر

---

(١) الوتر : خيط من جلد أو نحوه .

الكاتب، أن يكتب بالفتح، إلى الخليفة قبل اللقاء، فلما اقتتلوا ثبت القرامطة ثباتاً عظيما، ونزل القرمطي، فحرض أصحابه، وحمل بهم حملة صادقة، فهزموا جند الخليفة، وأسروا يوسف بن أبي الساج، أمير الجيش، وقتلوا خلقا كثيراً، من جند الخليفة، واستحوذوا على الكوفة، وجاءت الأخبار بذلك إلى بغداد .

وشاع بين الناس أن القرامطة يريدون أخذ بغداد، فانزعج الناس لذلك،وظنوا صدقه، فاجتمع الوزير بالخليفة؛ وقال : يا أمير المؤمنين إن الأموال إنما تدخر لتكون عوناً على قتال أعداء الله ، وإن هذا الأمر لم يقع أمر بعد زمن الصحابة أفظع منه ، قد قطع هذا الكافر طريق الحج على الناس ، وفتك في المسلمين مرة بعد مرة ، وإن بيت المال ليس فيه شيء، فاتق الله يا أمير المؤمنين وخاطب السيدة – يعني أمه – لعل أن يكون عندها مال ادخرته لشدة، فهذا وقته. فدخل على أمه فكانت هي التي ابتدأته بذلك ، وبذلت له خمسمائة ألف دينار ، وكان في بيت المال مثلها ، فسلمها الخليفة إلى الوزير ليصرفها في تجهيز الجيوش نحو القرامطة ، فجهز جيشاً أربعين ألف مقاتل مع أمير يقال له : بلبق ، فسار نحوهم ، فلما سمعوا به أخذوا عليه الطرقات ، وكان يريد دخول بغداد فلم يمكنه ، ثم التقوا معه فلم يلبث بلبق وجيشه أن انهزم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وكان يوسف بن أبي الساج معهم مقيداً في خيمة فجعل ينظر إلى محل الوقعة ، فلما رجع القرمطي قال : أردت أن تهرب ؟ فأمر به فضربت عنقه . ورجع القرمطي. من ناحية بغداد إلى الأنبار . ثم انصرف إلى هيت. فأكثر أهل بغداد الصدقة ، وكذلك الخليفة وأمه والوزير شكراً لله عزّ وجلّ على صرفه عنهم. وفي هذه السنة بعث المهدي المدعي أنه فاطمي الذي ظهر ببلاد المغرب ولده أبا القاسم في جيش إلى بلاد منها ، فانهزم جيشه وقتل من أصحابه كثير .

وفيها اختطّ المهدي المذكور مدينته المحمدية . وفيها حاصر عبد الرحمن بن الداخل إلى بلاد المغرب الأموي مدينة طليطلة ، وكانوا مسلمين ، لكنهم نقضوا عهده. ففتحها قهراً وقتل خلقاً من أهلها . ومن توفي فيها من الأعيان :

ابن الجصاص الجوهري

واسمه الحسين بن عبد الله بن الجصاص الجوهري أبو عبد الله البغدادي ، كان ذا مال عظيم وثروة واسعة ، وكان أصل نعمته من بيت أحمد بن طولون ، كان قد جعله جوهرياً له يتسوق له ما يقع من نفائس الجواهر بمصر ، فاكتسب بسبب ذلك أموالا جزيلة جداً . قال ابن الجصاص : كنت يوماً بباب ابن طولون إذ خرجت القهرمانة وبيدها عقد فيه مائة حبة من الجوهر ، تساوي كل واحدة ألفي دينار . فقالت : أريد أن تأخذ هذا فتخرطه حتى يكون أصغر من هذا الحجم . فإن هذا نافر عما يريدونه . فأخذته منها وذهبت به إلى منــزلي، وجعلت جواهر أصغر منه تساوي أقل من عشر قيمة تلك بكثير ، فدفعتها إليها، وفزت أنا

بذلك الذي جاءت به ، وأرادت خرطه وإتلافه . فكانت قيمته مائتي ألف دينار . وقد اتفق أنه صودر في أيام المقتدر مصادرة عظيمة ، أخذ منه فيها ما يقاوم ستة عشر ألف ألف دينار ، وبقي معه من الأموال شيء كثير جداً . قال بعض التجار : دخلت عليه فوجدته يتردد في منـــزله كأنه مجنون ، فقلت له : ما لك هكذا؟ فقال : ويحك ، أخذ مني كذا وكذا فأنا أحس أن روحي ستخرج ، فعذرته ثم أخذت في تسليته فقلت له : إن دورك وبساتينك وضياعك الباقية لك تساوي سبعمائة ألف دينار ، وأصدقني كم بقي عندك الجواهر والمتاع ؟ فإذا شيء يساوي ثلاثمائة ألف دينار غير ما بقي عنده من الذهب والفضة المصكوكة . فقلت له : إن هذا أمر لا يشاركك فيه أحد من التجار ببغداد مع ما لك من الوجاهة عند الدولة والناس . قال : فسري عنه وتسلى عما فات عليه وأكل - وكان له ثلاثة أيام لم يأكل شيئاً - ولما خلص في مصادرة المقتدر بشفاعة أمه السيدة فيه حكي عن نفسه قال : نظرت في دار الخلافة إلى مائة حيشة فيها متاع رث مما حمل إلى من مصر، وهو عندهم في دار مضيعة وكان لي في حمل منها ألف دينار موضوعة في مصر لا يشعر بها أحد ، فاستوهبت ذلك من أم المقتدر فكلمت في ذلك ولدها فأطلقه إلي فتسلمته فإذا الذهب لم ينقص منه شيء .

وقد كان ابن الجصاص مع ذلك مغفلاً شديد التغفل في كلامه وأفعاله ، وقد ذكر عنه أشياء تدل على ذلك ، وقيل : إنه إنما كان يظهر ذلك قصداً ليقال : إنه مغفل، وقيل : إنه كان يقول ذلك على سبيل البسط والدعابة والله تعالى أعلم .

وفيها توفي : عبد الله بن محمد القزويني .

وعلي بن سليمان بن المفضل

أبو الحسن الأخفش ، روي عن المبرد وثعلب واليزيدي وغيرهم ، وعنه الروياني والمعافي وغيرهما. وكان ثقة في نقله ، فقيراً في ذات يده ، توصل إلى أبي علي بن مقلة حتى كلم فيه الوزير علي بن عيسى في أن يرتب له شيئاً، فلم يجبه إلى ذلك ، وضاق به الحال حتى كان يأكل اللفت النيء فمات فجأة من كثرة أكله في شعبان منها . وهذا هو الأخفش الصغير ، والأوسط هو: سعيد بن مسعدة تلميذ سيبويه . وأما الكبير فهو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد ، من أهل هجر، وهو شيخ سيبويه وأبي عبيد وغيرهما . وقيل : إن أبا بكر محمد بن السري السراج النحوي صاحب (الأصول في النحو) فيها مات . قاله ابن الأثير ، ومحمد بن المسيب الأرغياني .

ثم دخلت سنة ست عشرة وثلاثمائة

فيها: عاث أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي لعنه الله في الأرض فساداً ، حاصر الرحبة فدخلها قهراً وقتل من أهلها خلقاً كثيراً ، وطلب منه أهل قرقيسيا الأمان فأمنهم، وبعث سراياه إلى ما حولها من الأعراب فقتل منهم خلقاً أيضاً ، حتى صاروا إذا سمعوا بذكره يهربون من سماع اسمه، وقـــدر على الأعراب إمارة يحملونـــها إلى هجر في كل سنة ، عن كل

رأس ديناران . وعاث في نواحي الموصل فساداً وفي سنجار ونواحيها ، وخرب تلك الديار، وقتل وسبى ونهب . فقصده مؤنس الخادم فلم يتواجها بل رجع إلى بلده هجر فابتنى بها داراً سماها دار الهجرة ، ودعا إلى المهدي الذي ببلاد المغرب الذي بنى المهدية . وتفاقم أمره وكثر أتباعه فصاروا يكبسون القرية من أرض السواد فيقتلون أهلها وينهبون أموالها ، ورام في نفسه دخول الكوفة وأخذها فلم يقدر على ذلك، وعصمها الله منه. ولما رأي الوزير علي بن عيسى ما يفعله هذا القرمطي في بلاد الإسلام ، وليس له دافع استعفى من الوزارة ، وعزل نفسه منها، فسعى فيها علي بن مقلة الكاتب المشهور ، فوليها بسفارة نصر الحاجب وإلي عبد الله البريدي– بالباء الموحدة – من البريد ، ويقال : اليزيدي لخدمة جده يزيد بن منصور الجهيري . ثم جهز الخليفة جيشاً كثيفاً مع مؤنس الخادم فاقتتلوا مع القرامطة فقتلوا من القرامطة خلقاً كثيراً، وأسروا منهم طائفة كثيرة من أشرافهم ، ودخل مؤنس الخادم إلى بغداد والأسارى بين يديه وأعلام من أعلامهم منكسة مكتوب عليها ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص : ٥]. ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً ، وطابت أنفس أهل بغداد، وانكسر القرامطة الذين كانوا قد نشأوا وفشوا بأرض العراق ، وفوض القرامطة أمرهم إلى رجل يقال له : حريث بن مسعود ، ودعوا إلى المهدي الذي ظهر ببلاد المغرب جد الفاطميين ، وهم أدعياء كذبة، كما قد ذكر ذلك غير واحد من العلماء . كما سيأتي تفصيله وبيانه في موضعه .وفيها : وقعت وحشة بين مؤنس الخادم والمقتدر ، وسبب ذلك أن نازوكا أمير الشرطة وقع بينه وبين هارون بن عريب – وهو ابن خال المقتدر – فانتصر هارون على نازوك وشاع بين العامة أن هارون سيصير أمير الأمراء . فبلغ ذلك مؤنس الخادم وهو بالرقة بأسرع الأوبة إلى بغداد ، واجتمع بالخليفة فتصالحها ، ثم إن الخليفة نقل هارون إلى دار الخلافة فقويت الوحشة بينهما ، وانضم إلى مؤنس جماعة من الأمراء وترددت الرسل بينهما، وانقضت هذه السنة والأمر كذلك . وهذا كله من ضعف الأمور واضطرابها وكثرة الفتن وانتشارها . وفيها: كان مقتل الحسين بن القاسم الداعي العلوي صاحب الري على يد صاحب الديلم وسلطانهم مرداويج المجرم قبحه الله . وممن توفي فيها من الأعيان :

بنان بن محمد بن حمدان بن سعد

أبو الحسن الزاهد ، ويعرف بالحمال. وكانت له كرامات كثيرة، وله منــزلة كبيرة عند الناس ، وكان لا يقبل من السلطان شيئا ، وقد أنكر يوماً على ابن طولون شيئاً من المنكرات وأمره بالمعروف ، فأمر به فألقي بين يدي الأسد ، فكان الأسد يشمّه ويحجم عنه ، فأمر برفعه من بين يديه وعظّمه الناس أكثر ما كانوا يعظمونه. وقد سأله بعض الناس كيف كان حالك وأنت بين يدي الأسد فقال له : لم يكن علي بأس . قد كنت أفكر في سؤر [1] السباع أهو

---

(١) السؤر : ما بقى من الشراب فى قعر الإناء .

طاهر أم نجس؟. قالوا : وجاءه رجل فقال له : إن لي على رجل مائة دينار ، وقد ذهبت الوثيقة، وأنا أخشى أن ينكر ذلك الرجل ، فأسألك أن تدعو لي بأن يرد الله علي الوثيقة . فقال بنان : إني رجل قد كبرت سني ورق عظمي ، وأنا أحب الحلواء ، فاذهب فاشتر لي منها رطلاً واتني به حتى أدعو لك . فذهب الرجل فاشترى الرطل ثم جاء به إليه ففتح الورقة التي فيها الحلواء فإذا هي حجته بالمائة دينار . فقال له : أهذه حجتك ؟ قال : نعم . قال : خذها وخذ الحلواء فأطعمها صبيانك . ولما توفي خرج أهل مصر في جنازته تعظيماً لشأنه وإكراماً له .

وفيها توفي : محمد بن عقيل البلخي . وأبو بكر بن أبي داود السجستاني الحافظ ابن الحافظ. وأبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الأسفرائيني ، صاحب الصحيح المستخرج على مسلم، وقد كان من الحفاظ المكثرين ، والأئمة المشهورين .

ونصر الحاجب ، كان من خيار الأمراء ، ديناً عاقلاً ، أنفق من ماله في حرب القرامطة مائة ألف دينار . وخرج بنفسه محتسبا فمات في أثناء الطريق من هذه السنة. وكان حاجباً للخليفة المقتدر .

ثم دخلت سنة سبع عشرة وثلاثمائة

فيها: كان خلع المقتدر وتولية القاهر محمد بن المعتضد بالله : في المحرم من هذه السنة اشتدت الوحشة بين مؤنس الخادم والخليفة فالتف الأمراء على مؤنس الخادم ، وتفاقم الحال وآل إلى أن اجتمعوا على خلع المقتدر بالله وتوليه القاهر محمد بن المعتضد ، فبايعوه بالخلافة وسلموا عليه بها ، ولقبوه القاهر بالله . وذلك ليلة السبت للنصف من المحرم من هذه السنة ، وقلد علي بن مقلة وزارته ، ونهبت دار المقتدر بالله ، وأخذوا منها شيئاً كثيراً جداً ، وأخذوا لأم المقتدر ستمائة ألف دينار وكانت قد دفنتها في قبر في تربتها - فحملت إلى بيت المال ، وأخرج المقتدر وأمه وخالته وخواصه وجواريه من دار الخلافة ، وذلك بعد محاصرة دار الخلافة، وهرب من كان بها من الحجبة والخدم منها ، وولي نازوك الحجوبة مضافاً إلى ما بيده من الشرطة ، وألزم المقتدر بأن كتب على نفسه كتاباً بالخلع من الخلافة، وأشهد على نفسه بذلك جماعة من الأمراء والأعيان ، وسلم الكتاب إلى القاضي أبي عمر محمد بن يوسف ، فقال لولده أبي الحسين : احتفظ بهذا الكتاب فلا يرينه أحد من خلق الله . ولما أعيد المقتدر إلى الخلافة بعد يومين رده إليه ، فشكره على ذلك جداً وولاه قضاء القضاة . فلما كان يوم الأحد السادس عشر من المحرم جلس القاهر بالله في منصب الخلافة ، وجلس بين يديه الوزير أبو علي بن مقلة، وكتب إلى العمال بالآفاق يخبرهم بولاية القاهر بالخلافة عوضاً عن المقتدر ، وأطلق علي بن عيسى من السجن ، وزاد في أقطاع جماعة من الأمراء الذين قاموا بنصره ، منهم أبو الهيجاء بن حمدان . ولما كان يوم الاثنين جاء الجند وطلبوا أرزاقهم وشغبوا ، وسارعوا إلى نازوك فقتلوه ، وكان مخموراً ، ثم صلبوه . وهرب الوزير ابن مقلة ، والحجبة ونادوا يا مقتدر يا منصور ، ولم

يكن مؤنس يومئذ هناك ، وجاء الجند إلى بابه يطالبونه بالمقتدر ، فأغلق بابه دونهم وحاجف دونه خدمة . فلما رأي مؤنس أنه لابد من تسليم المقتدر إليهم أمره بالخروج ، فخاف المقتدر أن يكون حيلة عليه ، ثم تجاسر فخرج فحمله الرجال على أعناقهم حتى أدخلوه دار الخلافة ، فسأل عن أخيه القاهر وأبي الهيجاء بن حمدان ليكتب لهما أماناً ، فما كان عن قريب حتى جاءه خادم ومعه رأس أبي الهيجاء قد احتز رأسه وأخرج من بين كتفيه وجاء المقتدر بالله فجلس في البيت ، ثم استدعى بأخيه القاهر فأجلسه بين يديه واستدناه إليه ، وقبل بين عينيه ، وقال : يا أخي أنت لا ذنب لك ، وقد علمت أنك مكره مقهور - والقاهر يقول : الله الله ! نفسي نفسي يا أمير المؤمنين . فقال : وحق رسول الله ﷺ لا جري عليك مني سوء أبداً . وعاد ابن مقلة فكتب إلى الآفاق يعلمهم بعود المقتدر إلى الخلافة ، وتراجعت الأمور إلى حالها الأول ، وحمل رأس نازوك وأبي الهيجاء ونودي عليهما : هذا رأس من عصى مولاه وهرب أبو السرايا ابن حمدان إلى الموصل ، وكان ابن نفيس من أشد الناس على المقتدر ، فلما عاد إلى الخلافة خرج من بغداد متنكراً فدخل الموصل ، ثم صار إلى أرمينية ، ثم لحق بالقسطنطينية فتنصر بها مع أهلها لعنه الله وإياهم. وأما مؤنس فإنه لم يكن في الباطن على المقتدر ، وإنما وافق جماعة الأمراء مكرها ، ولهذا لما كان المقتدر في داره لم ينله منه شر ، بل كان يطيب قلبه ، ولو شاء لقتله لما طُلب من داره . فلهذا لما عاد المقتدر إلى الخلافة رجع إلى دار مؤنس فبات عنده لثقته به . وقرر أبا علي بن مقلة على الوزارة ، وولي محمد بن يوسف أبا عمر قضاء القضاة ، وجعل محمداً أخاه - وهو القاهر بالله - عند والدته بصفته محبوس عندها ، فكانت تحسن إليه غاية الإحسان، وتشتري له السراري وتكرمه غاية الإكرام .

ذكر أخذ القرامطة الحجر الأسود إلى بلادهم

فيها: خرج ركب العراق وأميرهم منصور الديلمي فوصلوا إلى مكة سالمين ، وتوافت الركوب هناك من كل مكان وجانب وفج ، فما شعروا إلا بالقرمطي قد خرج عليهم في جماعته يوم التروية ، فانتهب أموالهم واستباح قتالهم ، فقتل في رحاب مكة، وشعابها، وفي المسجد الحرام، وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقاً كثيراً ، وجلس أميرهم أبو طاهر لعنه الله على باب الكعبة ، والرجال تصرع حوله ، والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام في الشهر الحرام في يوم التروية ، الذي هو من أشرف الايام ، وهو يقول : أنا الله وبالله ، أنا أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا . فكان الناس يفرون منهم فيتعلقون، بأستار الكعبة فلا يجدى ذلك عنهم شيئاً بل يقتلون وهم كذلك ويطوفون فيقتلون فى الطواف وقد كان بعض أهل الحديث يؤمئذ يطوف ، فلما قضى طوافه أخذته السيوف ، فلما وجب أنشد وهو كذلك :

ترى المحبّينَ صَرْعَى في ديارِهُمُ ... كَفِتْيةِ الكهفِ لا يدروُن كم لبثوا

فلما قضى القرمطي لعنه الله أمره وفعل ما فعل بالحجيج من الأفاعيل القبيحة ، أمر أن تدفن القتلى في بئر زمزم ، ودفن كثيراً منهم في أماكنهم من الحرم ، وفي المسجد الحرام . ويا حبذا تلك القتلة وتلك الضجعة ، وذلك المدفن والمكان ، ومع هذا لم يغسلوا ولم يكفنوا ولم يصل عليهم لأنهم محرمون شهداء في نفس الأمر . وهدم قبة زمزم وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها ، وشققها بين أصحابه ، وأمر رجلاً أن يصعد إلى ميزاب الكعبة فيقتلعه ، فسقط على أم رأسه فمات إلى النار. فعند ذلك انكف الخبيث عن الميزاب ، ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود ، فجاءه رجل فضربه بمثقل في يده وقال : أين الطير الأبابيل؟، أين الحجارة من سجيل؟ ثم قلع الحجر الأسود وأخذوه حين راحوا معهم إلى بلادهم ، فكان عندهم اثنتين وعشرين سنة حتى ردوه ، كما سنذكره في موضعه في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولما رجع القرمطي إلى بلاده ومعه الحجر الأسود، وتبعه أمير مكة هو وأهل بيته وجنده وسأله وتشفع إليه أن يرد الحجر الأسود ليوضع في مكانه ، وبذل له جميع ما عنده من الأموال فلم يلتفت إليه ، فقاتله أمير مكة فقتله القرمطي وقتل أكثر أهل بيته ، وأهل مكة وجنده ، واستمر ذاهباً إلى بلاده ومعه الحجر وأموال الحجيج . وقد ألحد هذا اللعين في المسجد الحرام إلحاداً لم يسبقه إليه أحد ولا يلحقه فيه، وسيجازيه على ذلك الذي ﴿ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ . ولا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾ [الفجر: ٢٦] وإنما حمل هؤلاء على هذا الصنيع لأنهم كانوا كفار زنادقة ، وقد كانوا ممالئين للفاطميين الذين نبغوا في هذه السنة ببلاد إفريقية من أرض المغرب ، ويلقب أميرهم بالمهدي ، وهو أبو محمد عبيد الله بن ميمون القداح . وقد كان صباغاً بسلميه ، وكان يهودياً فادعى أنه أسلم ثم سار من سلمية فدخل بلاد إفريقية ، فادعى أنه شريف فاطمي ، فصدقه على ذلك طائفة كثيرة من البربر وغيرهم من الجهلة ، وصارت له دولة ، فملك مدينة سجلماسة ، ثم ابتنى مدينة وسماها المهدية ، وكان قرار ملكه بها ، وكان هؤلاء القرامطة يراسلونه ويدعون إليه ، ويترامون عليه ، ويقال : إنهم إنما كانوا يفعلون ذلك سياسة ودولة لا حقيقة له .

وذكر ابن الأثير أن المهدي هذا كتب إلى أبي طاهر القرمطي يلومه على ما فعل بمكة حيث سلط الناس على الكلام فيهم ، وانكشفت أسرارهم التي كانوا يبطنونها بما ظهر من صنيعهم هذا القبيح ، وأمره برد ما أخذه منها ، وعوده إليها . فكتب إليه بالسمع والطاعة ، وأنه قد قبل ما أشار إليه من ذلك . وقد أسر بعض أهل الحديث في أيدي هؤلاء القرامطة، فمكث في أيديهم مدة ، ثم فرج الله عنه ، وكان يحكي عنهم عجائب من قلة عقولهم وعدم دينهم ، وأن الذي أسره كان يستخدمه في أشق الخدمة وأشدها كان يعربد عليه إذا سكر . فقال لي ذات ليلة وهو سكران : ما تقول في محمدكم ؟ فقلت : لا أدري . فقال : كان رجلاً سائساً . ثم قال : ما تقول في أبي بكر ؟ فقلت : لا أدري. فقال : كان ضعيفا مهيناً . وكان عمر فظاً غليظاً .

وكان عثمان جاهلاً أحمق . وكان علي ممخرقاً أليس كان عنده أحد يعلمه ما ادعى أنه في صدره من العلم؟، أما كان يمكنه أن يعلم هذا كلمة وهذا كلمة ؟. ثم. قال: هذا كله مخرقة. فلما كان من الغد. قال : لا تخبر بهذا الذي قلت لك أحداً . ذكره ابن الجوزي في (منتظمه) .

وروي عن بعضهم أنه قال : كنت في المسجد الحرام يوم في مكان الطواف ، فحمل علي رجل كان إلى جانبي فقتله القرمطي ، ثم قال: يا حمير ، - أليس قلتم في بيتكم هذا ﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ﴾ [آل عمران : ٩٧] فأين الأمن ؟ قال : فقلت له : اسمع جوابك . قال : نعم : قلت: إنما أراد الله: فأمنوه . قال : فثنى رأس فرسه وانصرف . وقد سأل بعضهم ههنا سؤالاً . فقال: وقد أحل الله سبحانه بأصحاب الفيل – وكانوا نصارى – ما ذكره في كتابه، و لم يفعلوا بمكة شيئاً مما فعله هؤلاء ، ومعلوم أن القرامطة شر من اليهود والنصارى والمجوس ، بل ومن عبدة الأصنام ، وأنهم فعلوا بمكة ما لم يفعله أحد ، فهلا عوجلوا بالعذاب ولاعقوبة ، كما عوجل أصحاب الفيل ؟ وقد أجيب عن ذلك : بأن أصحاب الفيل إنما عوقبوا إظهاراً لشرف البيت ، ولما يراد به من التشريف العظيم بإرسال النبي الكريم من البلد الذي فيه البيت الحرام ، فلما أرادوا إهانة هذه البقعة التي يراد تشريفها وإرسال الرسول منها أهلكهم سريعاً عاجلاً ، و لم يكن شرائع مقررة تدل على فضله ، فلو دخلوه وأخربوه لانكرت القلوب فضله . وأما هؤلاء القرامطة فإنما فعلوا ما فعلوا بعد تقرير الشرائع وتمهيد القواعد ، والعلم بالضرورة من دين الله بشرف مكة والكعبة ، وكل مؤمن يعلم أن هؤلاء قد ألحدوا في الحرم إلحاداً بالغاً عظيماً ، وأنهم من أعظم الملحدين الكافرين ، بما تبين من كتاب الله وسنة رسوله ، فلهذا لم يحتج الحال إلى معاجلتهم بالعقوبة، بل أخرهم الرب تعالى ليوم تشخص فيه الأبصار ، والله سبحانه يمهل[1] ويملي ويستدرج ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر ، كما قال النبي ﷺ : "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته"[2] ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ ولا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فيه الأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم : ٤٢] وقال : ﴿ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي البلاد . مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وبِئْسَ المِهَادُ ﴾ [آل عمران : ١٩٦، ١٩٧] . وقال تعالى : ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [لقمان : ٢٤] . وقال : ﴿ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ العَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ [يونس : ٧٠] .

وفيها: وقعت فتنة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المروذي الحنبلي ، وبين طائفة من العامة ، اختلفوا في تفسير قوله تعالى : ﴿ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً ﴾ [الإسراء : ٧٩] فقال الحنابلة : يجلسه معه على العرش . وقال الآخرون : المراد بذلك الشفاعة العظمى ، فاقتتلوا بسبب ذلك وقتل بينهم قتلى ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وقد ثبت في صحيح البخاري أن

(١) يمهل : يطيل .

(٢) متفق عليه : رواه البخارى فى التفسير (٤٦٨٦) ، ومسلم فى البر والصلة (٢٥٨٣/٦١) .

المراد بذلك مقام الشفاعة العظمى [1]، وهي الشفاعة في فصل القضاء بين العباد ، وهو المقام الذي يرغب إليه فيه الخلق كلهم ، حتى إبراهيم، ويغبطه به الأولون والآخرون . وفيها: وقعت فتنة بالموصل بين العامة فيما يتعلق بأمر المعاش ، وانتشرت وكثر أهل الشر فيها واستظهروا ، وجرت بينهم شرور ثم سكنت . وفيها : وقعت فتنة ببلاد خراسان بين بني ساسان وأميرهم نصر بن أحمد الملقب بسعيد ، وخرج في شعبان خارجي بالموصل . وخرج آخر بالبواريج ، فقاتلهم أهل تلك الناحية حتى سكن شرهم وتفرق أصحابهم . وفيها: التقى مفلح الساجي وملك الروم الدمستق ، فهزمه مفلح وطرد وراءه إلى أرض الروم ، وقتل منهم خلقاً كثيراً .

وفيها: هبت ريح شديدة ببغداد تحمل رماداً أحمر يشبه رمل أرض الحجاز. فامتلأت منه البيوت.

وفيها توفي من الأعيان : أحمد بن الحسن بن الفرج بن سفيان أبو بكر النحوي ، كان عالماً بمذهب الكوفيين وله فيه تصانيف .

أحمد بن مهدي بن رحيم

العابد الزاهد أنفق في طلب العلم ثلاثمائة ألف درهم، ومكث أربعين سنة لا يأوي إلى فراش ، وقد روى الحافظ أبو نعيم عنه أنه جاءته امرأة ذات ليلة فقالت له : إني قد امتحنت بمحنة وأكرهت على الزنا وأنا حبلى منه ، وقد تسترت بك وزعمت أنك زوجي ، وأن هذا الحمل منك ، فاسترني سترك الله ولا تفضحني . فسكت عنها ، فلما وضعت جاءني أهل المحلة، وإمام مسجدهم يهنئونني بالولد ، فأظهرت البشر وبعثت فاشتريت بدينارين شيئاً حلواً وأطعمتهم ، وكنت أوجه إليها مع إمام المسجد في كل شهر دينارين صفة نفقة للمولود، وأقول: اقرئها مني السلام فإنه قد سبق مني ما فرق بيني وبينها . فمكثت كذلك سنتين ، ثم مات الولد فجاءوني يعزونني فيه ، فأظهرت الغم والحزن عليه ، ثم جاءتني أمه بالدنانير التي كنت أرسل بها إليها نفقة الولد ، قد جمعتها في صرة عندها ، فقالت لي : سترك الله وجزاك خيراً ، وهذه الدنانير التي كنت ترسل بها . فقلت : إني كنت أرسل بها صلة للولد وقد مات وأنت ترثينه فهي لك، فافعلي بها ما شئت فدعت وانصرفت .

بدر بن الهيثم

ابن خلف بن خالد بن راشد بن الضحاك بن النعمان بن محرق بن النعمان بن المنذر ، أبو القاسم البلخي القاضي الكوفي . نزل بغداد وحدث بها عن أبي كريب وغيره ، وكان سماعه للحديث بعد ما جاوز أربعين سنة ، وكان ثقة نبيلاً ، عاش مائة سنة وسبع عشرة سنة . وكانت وفاته في شوال منها بالكوفة .

---

(١) البخارى فى التفسير (٤٧١٨) .

عبد الله بن محمد بن عبد العزيز

ابن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه أبو القاسم البغوي ، ويعرف بابن بنت منيع ، ولد سنة ثلاث عشرة ، وقيل: أربع عشرة ومائتين. ورأى أبا عبيد القاسم بن سلام ، ولم يسمع منه ، وسمع من أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني ، ويحيى بن معين ، وعلي بن الجعد ، وخلف بن هشام البزار ، وخلق كثير ، وكان معه جزء فيه سماعه من ابن معين فأخذه موسى بن هارون الحافظ فرماه في دجلة ، وقال : يريد أن يجمع بين الثلاثة ؟ وقد تفرد عن سبعة وثمانين شيخاً ، وكان ثقة حافظاً ضابطاً ، روى عنه الحفاظ وله مصنفات . وقال موسى بن هارون الحافظ : كان ابن بنت منيع ثقة صدوقاً ، فقيل له : إن ههنا ناساً يتكلمون فيه . فقال : يحسدونه ، ابن بنت منيع لا يقول إلا الحق . وقال ابن أبي حاتم وغيره : أحاديثه تدخل في الصحيح . وقال الدار قطني : كان البغوي قل ما يتكلم على الحديث ، فإذا تكلم كان كلامه كالمسمار في الساج . وقد ذكره ابن عدي في كامله فتكلم فيه ، وقال : حدث بأشياء أنكرت عليه . وكان معه طرف من معرفة الحديث والتصانيف ، وقد انتدب ابن الجوزي للرد على ابن عدي في هذا الكلام ، وذكر أنه توفي ليلة عيد الفطر منها ، وقد استكمل مائة سنة وثلاث سنين وشهوراً ، وهو مع ذلك صحيح السمع والبصر والأسنان ، يطأ الإماء . وكانت وفاته ببغداد. ودفن بمقبرة باب التبن . رحمه الله وأكرم مثواه .

محمد بن أبي الحسين بن محمد بن عثمان

الشهيد الحافظ أبو الفضل الهروي ، يعرف بابن أبي سعد ، قدم بغداد وحدث بها عن محمد بن عبد الله الأنصاري . وحدث عنه ابن المظفر الحافظ ، وكان من الثقات الأثبات الحفاظ المتقنين ، له مناقشات على بضعة عشر حديثاً مسلم ، قتلته القرامطة يوم التروية بمكة في هذه السنة في جملة من قتلوا ، رحمه الله وأكرم مثواه .

الكعبي المتكلم

هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الكعبي المتكلم ، نسبة إلى بني كعب ، وهو أحد مشايخ المعتزلة ، وتنسب إليه الطائفة الكعبية منهم . قال القاضي ابن خلكان : كان من كبار المتكلمين ، وله اختيارات في علم الكلام . من ذلك أنه كان يزعم أن أفعال الله تقع بلا اختيار منه ولا مشيئة .

قلت : وقد خالف الكعبي نص القرآن في غير ما موضع . قال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص : ٦٨] . وقال : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام : ١١٢] ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ ﴾ [السجدة : ١٣] . ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ [الإسراء : ١٦] . وقال : إلى غير ذلك مما هو معلوم بالضرورة وصريح العقل والنقل .

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وثلاثمائة

فيها : عزل الخليفة المقتدر وزيره أبا علي بن مقلة ، وكانت مدة وزارته سنتين وأربعة أشهر وثلاثة أيام ، واستوزر مكانه سليمان بن الحسن بن مخلد ، وجعل علي بن عيسى ناظراً معه . وفي جمادى الأولى منها أحرقت دار أبي علي بن مقلة ، وكان قد أنفق عليها مائة ألف دينار ، فانتهب الناس أخشابها وما وجدوا فيها من حديد ورصاص وغير، وصادره الخليفة بمائتي ألف دينار – وفيها : طرد الخليفة الرجالة الذين كانوا بدار الخلافة عن بغداد ، وذلك أنهم لما ردَّ المقتدر إلى الخلافة شرعوا ينفسون بكلام كثير عليه ، ويقولون : من أعان ظالماً سلطة الله عليه . ومن أصعد الحمار على السطح لم يقدر أن ينـــزله . فأمر بإخراجهم ونفيهم عن بغداد ، ومن أقام منهم عوقب . فأحرقت دور كثيرة من قراباتهم ، واحترق بعض نسائهم وأولادهم ، فخرجوا منها في غاية الإهانة ، فنـــزلوا واسط وتغلبوا عليها وأخرجوا عاملها منها ، فركب إليهم مؤنس الخادم، فأوقع بهم بأساً شديداً ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، فلم يقم لهم بعد ذلك قائمة . وفي ربيع الأول منها عزل الخليفة ناصر الدولة بن حمدان عن الموصل ، وولي عليها عميه سعيداً ، ونصراً ابنا حمدان . وولاه ديار ربيعة : نصيبين ، وسنجار ، والخابور ، ورأس العين ، ومعها ميافارقين ، وأزرن ، ضمن ذلك من الخليفة بمال يحمله إليه في كل سنة . وفي جمادى الأولى منها خرج رجل ببلاد البواريج يقال له : صالح بن محمود ، فاجتمع عليه جماعة من بني مالك ، ثم سار إلى سنجار فحاصرها فدخلها وأخذ شيئاً كثيراً من أموالها ، وخطب بها خطبة ووعظ فيها وذكر، فكان في جملة ما قال : نتولى الشيخين ، ونتبرأ من الحسين ، ولا نرى المسح على الخفين. ثم سار فعاث في الأرض فساداً . فانتدب له نصر بن حمدان فقاتله فأسر صالح بن محمد هذا ومعه ابنان له . فحمل إلى بغداد فدخلها وقد اشتهر شهرة فظيعة . وخرج آخر ببلاد الموصل فاتبعه ألف رجل ، فحاصر أهل نصيبين فخرجوا إليه فاقتتلوا معه ، فقتل منهم مائة وأسر ألفاً ، ثم باعهم من نفوسهم وصادر أهلها بأربعمائة ألف درهم ، فانتدب إليه ناصر الدولة فقاتله فظفر به وأسره وأرسله إلى بغداد أيضاً . وفيها: خلع الخليفة على ابنه هارون وركب معه الوزير والجيش ، وأعطاه نيابة فارس وكرمان وسجستان ومكرمات ، وخلع على ابنه أبي العباس الراضي وجعله نائب بلاد المغرب ومصر والشام ، وجعل مؤنس الخادم يسد عنه أمورها . وحج بالناس فيها عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز الهاشمي . وخرج الحجيج بخفارة بدرقة حتى يسلموا في الدرب في الذهاب والإياب من القرامطة .

وفيها توفي من الأعيان

أحمد بن إسحاق

ابن البهلول بن حسان بن أبي سنان أبو جعفر التنوخي القاضي الحنفي ، العدل الثقة ، الرضى . وكان فقيهاً نبيلاً ، سمع الحديث الكثير ، وروي عن أبي كريب حديثاً واحداً ، وكان عالماً بالنحو ، فصيح العبارة ، جيد الشعر ، محموداً في الأحكام . اتفق أن السيدة أم المقتدر

وقفت وقفاً وجعل الحاكم هذا عنده نسخة به في سلة الحكم ، ثم أرادت أن تنقض ذلك الوقف فطلبت هذا الحاكم وأن يحضر معه كتاب الوقف لتأخذه منه فتعدمه ، فلما حضر من وراء الستارة فهم المقصود فقال لها : لا يمكن هذا ، لأني خازن المسلمين ، فإما أن تعزلوني عن القضاء وتولّوا هذا غيري ، وإما أن تتركوا هذا الذي تريدون أن تفعلوه ، فلا سبيل إليه وأنا حاكم . فشكته إلى ولدها المقتدر فشفع عنده المقتدر بذلك ، فذكر له صورة الحال. فرجع إلى أمه. فقال لها : إن هذا الرجل ممن يرغب فيه ولا يزهد فيه ، ولا سبيل إلى عزله ولا التلاعب به. فرضيت السيدة عنه وبعثت تشكره على ما صنع من ذلك . فقال : من قدم أمر الله على أمر العباد كفاه الله شرهم ورزقه خيرهم. وقد كانت وفاته في هذه السنة . وقد جاوز الثمانين .

يحيى بن محمد بن صاعد

أبو محمد مولى أبي جعفر المنصور ، رحل في طلب الحديث ، وكتب وسمع وحفظ ، وكان من كبار الحفاظ ، وشيوخ الرواية ، وكتب عنه جماعة من الأكابر ، وله تصانيف تدل على حفظة، وفقهه، وفهمه . توفي بالكوفة، وله سبعون سنة .

الحسن بن علي بن أحمد بن بشار بن زياد

المعروف بابن العلاف الضرير النهرواني ، الشاعر المشهور ، وكان أحد سمار الخليفة المعتضد بالله وله مرثاة طنانة في هرٍّ له ، قتله جيرانه لأنه أكل أفراخ حمامهم من أبراجهم . وفيها آداب ورقة ، ويقال : إنه أراد بها رثاء ابن المعتز لكنه لم يتجاسر أن ينسبها إليه من الخليفة المقتدر، لأنه هو الذي قتله . وأولها :

ياهرُّ فارقْتنا ولم تَعُـــدْ وكنتَ عندي بمنـــزلِ الولدِ

وهي خمسة وستون بيتا .

ثم دخلت سنة تسع عشرة وثلاثمائة

في المحرم منها دخل الحجيج بغداد ، وقد خرج مؤنس الخادم للحج فيها في جيش كثيف ، خوفاً من القرامطة ، ففرح المسلمون بذلك وزينت بغداد يومئذ وضربت الخيام والقباب لمؤنس الخادم ، وقد بلغ مؤنساً في أثناء الطريق أن القرامطة أمامه ، فعدل [١] بالناس عن جادة الطريق، وأخذ بهم في شعاب وأودية أياماً ، فشاهد الناس في تلك الأماكن عجائب ، ورأوا غرائب وعظاماً في غاية الضخامة ، وشاهدوا ناساً قد مسخوا حجارة – ورأى بعضهم امرأة واقفة على تنور تخبز فيه قد مسخت حجراً ، والتنور [٢] قد صار حجراً . وحمل مؤنس من ذلك شيئاً

---

(١) عدل بالناس : غيّر الطريق .

(٢) مايخبز فيه — الفرن – .

كثيراً إلى الخليفة ليصدق ما يخبر به من ذلك . ذكر ذلك ابن الجوزي في (منتظمه) . فيقال : إنهم من قوم عاد ، أو من قوم شعيب ، أو من ثمود فالله أعلم .

وفيها : عزل المقتدر وزيره سليمان بن الحسن بعد سنة وشهرين وتسعة أيام ، واستوزر مكانه أبا القاسم عبد الله بن محمد الكلوذاني ، ثم عزله بعد شهرين وثلاثة أيام ، واستوزر الحسين بن القاسم ثم عزله أيضاً . وفيها وقعت وحشة بين الخليفة ومؤنس الخادم ، بسبب أن الخليفة ولّى الحسبة لرجل اسمه محمد بن ياقوت ، وكان أميراً على الشرطة أيضاً ، وانصلح الحال بينهما . ثم تجددت الوحشة بينهما في ذي الحجة من هذه السنة ، وما زالت تتزايد حتى آل الحال إلى قتل المقتدر بالله كما سنذكره . فيها أوقع ثمل متولي طرسوس بالروم وقعة عظيمة ، قتل منهم خلقاً كثيراً وأسر نحواً من ثلاثة آلاف ، وغنم من الذهب والفضة والديباج شيئاً كثيراً جداً ، ثم أوقع بهم مرة ثانية كذلك . وكتب ابن الديراني الأرمني إلى الروم يحضهم على الدخول إلى بلاد الإسلام ووعدهم النصر منه والإعانة ، فدخلوا في جحافل عظيمة كثيرة جداً ، وانضاف إليهم الأرمني فركب إليهم مفلح غلام يوسف بن أبي الساج وهو يومئذ نائب أذربيجان واتبعه خلق كثير من المتطوعة ، فقصد أولاً بلاد ابن الديراني فقتل من الأرمن نحواً من مائة ألف ، وأسر خلقاً كثيراً ، وغنم أموالاً جزيلة ، وتحصن ابن الديراني في قلعة له هناك ، وكاتب الروم فوصلوا إلى شميساط فحاصروها ، فبعث أهلها يستصرخون سعيد بن حمدان نائب الموصل ، فسار إليهم مسرعاً ، فوجد الروم قد كادوا يفتحونها ، فلما علموا بقدومه رحلوا عنها واجتازوا بملطية فنهبوها ، ورجعوا خاسئين إلى بلادهم ، ومعهم ابن نفيس المتنصر، وقد كان من أهل بغداد. وركب ابن حمدان في آثار القوم فدخل بلادهم فقتل خلقاً كثيرا منهم، وأسروغنم أشياء كثيرة .

قال ابن الأثير : وفي شوال من هذه السنة جاء سيل عظيم إلى تكريت ارتفع في أسواقها أربعة عشر شبراً ، وغرق بسببه أربعمائة دار ، وخلق لا يعلمهم إلا الله ، حتى كان المسلمون والنصارى يدفنون جميعاً ، لا يعرف هذا من هذا . قال : وفيها هاجت بالموصل ريح محمرة ثم اسودت حتى كان الإنسان لا يبصر صاحبه نهاراً ، وظن الناس أنها القيامة، ثم انجلى ذلك بمطر أرسله الله عليهم .

وممن توفي فيها من الأعيان : الحسين بن عبد الرحمن أبو عبد الله الأنطاكي قاضي ثغور الشام، يعرف بابن الصابوني ، وكان ثقة نبيلاً قدم بغداد وحدّث بها .

علي بن الحسين بن حرب بن عيسى

تولى القضاء بمصر مدة طويلة جداً ، وكان ثقة عالماً من خيار القضاة وأعدلهم ، تفقه على مذهب أبي ثور ، وقد ذكرناه في « طبقات الشافعية » ، وقد استعفى عن القضاء فعزل عنه في

سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، ورجع إلى بغداد فأقام بها إلى أن مات في هذه السنة، في صفر منها، وصلّى عليه أبو سعيد الإصطخري ، ودفن بداره .

قال الدارقطني : حدّث عنه أبو عبد الرحمن النسائي في الصحيح ، ولعله مات قبله بعشرين سنة . وذكر من جلالته وفضله رحمه الله .

محمد بن الفضل بن العباس أبو عبد الله البلخي الزاهد : حكي عنه أنه مكث أربعين سنة لم يخط فيها خطوة في هوى نفسه ، ولا نظر في شيء فاستحسنه حياء من الله عزّ وجلّ .وأنه مكث ثلاثين سنة لم يمل على ملكيه قبيحاً .

محمد بن سعد بن أبو الحسين الوراق

صاحب أبي عثمان النيسابوري ، وكان فقيهاً يتكلم على المعاملات. ومن جيد كلامه قوله : من غض بصره عن محرم أورثه الله بذلك حكمة على لسانه يهتدي بها سامعوه، ومن غض نفسه على شبهة نوّر الله قلبه بنور يهتدي به إلى طريق مرضاتها لله .

يحيى بن عبد الله بن موسى أبو زكريا الفارسي، كتب بمصر عن الربيع بن سليمان، وكان ثقة صدوقاً حسن الصلاة عدلاً عند الحكام .

ثم دخلت سنة عشرين وثلاثمائة من الهجرة

فيها: كان مقتل المقتدر بالله الخليفة، وكان سبب ذلك، أن مؤنساً الخادم، خرج من بغداد في المحرم منها، مغاضبا الخليفة، في مماليكه، وحشمه، متوجها نحو الموصل، ورد من أثناء الطريق مولاه يسري، إلى المقتدر ليستعلم له أمره، وبعث معه رسالة يخاطب بها أمير المؤمنين، ويعاتبه في أشياء، فلما وصل أمر الوزير — وهو الحسين بن القاسم وكان من أكبر أعداء مؤنس — بأن يؤديها، فامتنع من أدائها، إلا إلى الخليفة، فأحضره بين يديه، وأمره بأن يقولها للوزير، فامتنع، وقال: ما أمرني بهذا صاحبي، فشتمه الوزير، وشتم صاحبه، مؤنساً، وأمر بضربه، ومصادرته، بثلثمائة ألف دينار، وأخذ خطه بها، وأمر بنهب داره، ثم أمر الوزير بالقبض على إقطاع مؤنس، وأملاكه، وأملاك من معه. فحصل من ذلك مال عظيم، وارتفع أمر الوزير عند المقتدر، ولقبه عميد الدولة، وضرب اسمه على الدراهم، والدنانير، وتمكن من الأمور جدا، فعزل، وولّى، وقطع، ووصل أياما يسيرة، وفرح بنفسه حينا قليلا. وأرسل إلى هارون بن عريب في الحال، وإلى محمد بن ياقوت، يستحضرهما إلى الحضرة، عوضاً عن مؤنس، فصمّم المظفر مؤنس في سيره، فدخل الموصل، وجعل يقول لأمراء الأعراب: إن الخليفة قد ولاني الموصل، وديار ربيعة فالتف عليه منهم خلق كثير، وجعل ينفق فيهم الأموال الجزيلة، وله إليهم قبل ذلك أيادي سابغة، وقد كتب الوزير إلى آل حمدان — وهم ولاة الموصل، وتلك النواحي — يأمرهم بمحاربته، فركبوا إليه في ثلاثين ألفا، وواجههم مؤنس في ثمانمائة من مماليكه وخدمه، فهزمهم، ولم يقتل منهم سوى رجل واحد، يقال له : داود، وكان من أشجعهم، وقد كان مؤنس رباه،

وهو صغير ودخل مؤنس الموصل، فقصدته العساكر، من كل جانب، يدخلون في طاعته، لإحسانه إليهم قبل ذلك، من بغداد، والشام، ومصر، والأعراب، حتى صار في جحافل من الجنود، وأما الوزير المذكور، فإنه ظهرت خيانته، وعجزه فعزله المقتدر في ربيع الآخر منها، وولي مكانه الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات، وكان آخر وزراء المقتدر، وأقام مؤنس بالموصل تسعة أشهر. ثم ركب في الجيوش في شوال، قاصدا بغداد، ليطالب المقتدر بأرزاق الأجناد، وإنصافهم، فسار — وقد بعث بين يديه الطلائع — حتى جاء، فنـــزل بباب الشماسية، ببغداد، وقابله عنده ابن ياقوت، وهارون بن عريب، عن كره منه وأشير على الخليفة، أن يستدين من والدته مالا، ينفقه في الأجناد، فقال: لم يبق عندها شيء، وعزم الخليفة على الهرب إلى واسط، وأن يترك بغداد إلى مؤنس، حتى يتراجع أمر الناس، ثم يعود إليها فرده عن ذلك ابن ياقوت وأشار بمواجهته لمؤنس وأصحابه، فإنهم متى رأوا الخليفة، هربوا كلهم إليه، وتركوا مؤنسا فركب وهو كاره، وبين يديه الفقهاء، ومعهم المصاحف المنشورة، وعليه البردة، والناس حوله، فوقف على تل عال بعيد من المعركة، ونودي في الناس: من جاء برأس فله خمسة دنانير، ومن جاء بأسير فله عشرة دنانير. ثم بعث إليه أمراؤه، يعزمون عليه، أن يتقدم فامتنع من التقدم إلى محل المعركة، ثم ألحوا عليه، فجاء، بعد تمنع شديد، فما وصل إليهم، حتى انهزموا، وفروا راجعين، ولم يلتفتوا إليه، ولا عطفوا عليه، فكان أول من لقيه من أمراء مؤنس، علي بن بليق، فلما رآه، ترجل، وقبل الأرض بين يديه وقال: لعن الله من أشار عليك بالخروج في هذا اليوم. ثم وكل به قومًا من المغاربة البربر، فلما تركهم وإياه، شهروا عليه السلاح، فقال لهم: ويلكم أنا الخليفة. فقالوا: قد عرفناك ياسفلة، إنما أنت خليفة إبليس، تنادي في جيشك، من جاء برأس فله خمسة دنانير؟ وضربه أحدهم بسيفه، على عاتقه، فسقط إلى الأرض وذبحه آخر، وتركوا جثته، وقد سلبوه كل شيء كان عليه، حتى سراويله، وبقي مكشوف العورة، مجندلا على الأرض، حتى جاء رجل، فغطى عورته، بحشيش، ثم دفنه في موضعه، وعفا أثره، وأخذت المغاربة، رأس المقتدر على خشبة، قد رفعوها، وهم يلعنونه، فلما انتهوا به إلى مؤنس — ولم يكن حاضرا الوقعة فحين نظر إليه، لطم رأس نفسه، ووجهه وقال: ويلكم، والله لم آمركم بهذا، لعنكم الله، والله لنقتلن كلنا. ثم ركب، ووقف عند دار الخلافة، حتى لا تنهب، وهرب عبد الواحد بن المقتدر، وهارون بن عريب، وأبناء رايق، إلى المدائن، وكان فعل مؤنس هذا سبباً، لطمع ملوك الأطراف في الخلفاء، وضعف أمر الخلافة جداً مع ما كان المقتدر يعتمده في التبذير والتفريط في الأموال، وطاعة النساء، وعزل الوزراء حتى قيل : إن جملة ما صرفه في الوجوه الفاسدة ما يقارب ثمانين ألف ألف دينار .

ترجمة المقتدر بالله

هو جعفر بن أحمد المعتضد بالله أحمد بن أبي أحمد الموفق بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، يكنّى أبا الفضل، أمير المؤمنين العباسي، مولده في ليلة الجمعة

لثمان بقين من رمضان، سنة ثنتين وثمانين ومائتين، وأمه أم ولد اسمها شغب، ولقبت في خلافة ولدها بالسيدة، بويع له بالخلافة، بعد أخيه المكتفي يوم الأحد، لأربع عشرة مضت من ذي القعدة، سنة خمس وتسعين ومائتين، وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وشهر وأيام، ولهذا أراد الجند خلعه في ربيع الأول من سنة ست وتسعين، محتجين بصغره، وعدم بلوغه، وتولية عبد الله ابن المعتز، فلم يتم ذلك، وانتقض الأمر في ثاني يوم، كما ذكرنا. ثم خلعوه في المحرم من سنة سبع عشرة وثلثمائة، وولوا أخاه محمد القاهر كما تقدم، فلم يتم ذلك سوي يومين، ثم رجع إلى الخلافة كما ذكرنا. وقد كان المقتدر ربعة من الرجال، حسن الوجه، والعينين، بعيد ما بين المنكبين، حسن الشعر مدور الوجه، مشربا بحمرة، حسن الخلق، قد شاب رأسه،وعارضاه، وقد كان معطاءاً، جواداً، وله عقل جيد، وفهم وافر، وذهن صحيح، وقد كان كثير التحجب، والتوسع في النفقات، وزاد في رسوم الخلافة، وأمور الرياسة، وما زاد شيء إلا نقص، كان في داره أحد عشر ألف خادم خصي، غير الصقالبة، وأبناء فارس، والروم، والسودان، وكان له دار، يقال لها : دار الشجرة، بها من الأثاث، والأمتعة شيء كثير جدًا، كما ذكرنا ذلك في سنة خمس، حين قدم رسول ملك الروم. وقد ركب المقتدر يوما في حراقة، وجعل يستعجل الطعام، فأبطأوا به، فقال للملاح: ويحك، هل عندك شيء آكل؟. قال: نعم،فأتاه بشيء من لحم الجدي، وخبز حسن، وملوحا، وغير ذلك. فأعجبه ثم استدعاه. فقال: هل عندك شيء من الحلواء؟، فإني لا أحس بالشبع حتى آكل شيئا من الحلواء. فقال: يا أمير المؤمنين، إن حلواءنا التمر، والكسب. فقال: هذا شيء لا أطيقه. ثم جيء بطعام، فأكل منه، وأوتي بالحلواءات، فأكل، وأطعم الملاحين، وأمر أن يعمل كل يوم في الحراقة بمائتي درهم، حتى إذا اتفق ركوبه فيها، أكل منها، وإن لم يتفق ركوبه، كانت للملاح. وكان الملاح يأخذ ذلك في كل يوم، عدة سنين متعددة و لم يتفق ركوبه مرة أخرى أبدًا. وقد أراد بعض خواصه أن يطهر ولده، فعمل أشياء هائلة، ثم طلب من أم الخليفة، أن يعار القرية التي عملت في طهور المقتدر، من فضة، ليراها الناس في هذا المهم، فتلطفت أم المقتدر، عند ولدها، حتى أطلقها له بالكلية، وكان صفة قرية من القرى كلها من فضة، بيوتها، وأعاليقها، وأبقارها، وجمالها ودوابها، وطيورها، وخيولها، وزروعها، وثمارها، وأشجارها، وأنهارها، وما يتبع ذلك، مما يكون في القري، الجميع من فضة مصور، وأمر بنقل سماطة إلى دار هذا الرجل، وأن لا يكلف شيء من المطاعم، سوي سمك طري، فاشتري الرجل بثلثمائة دينار سمكا طريا،وكان جملة ما أنفق الرجل على سماط المقتدر ألفا وخمسمائة دينار، والجميع من عند المقتدر، وكان كثير الصدقة، والإحسان إلى أهل الحرمين، وأرباب الوظائف، وكان كثير التنفل، بالصلاة، والصوم والعبادة، ولكنه كان مؤثراً لشهواته، مطيعًا لخصاياه، كثير العزل، والولاية، والتلون. ومازال ذلك دأبه، حتى كان هلاكه على يدي[غلمان] مؤنس الخادم، فقتل عند باب الشماسية، لليلتين بقيتا من شوال من هذه

السنة- أعني سنة ثلثمائة وعشرين- وله من العمر ثمان وثلاثون سنة، وكانت مدة خلافته، أربعا وعشرين سنة، وأحد عشر شهراً، وأربعة عشر يوماً، كان أكثر مدة ممن تقدمه من الخلفاء .

خلافة القاهر

لما قتل المقتدر بالله، عزم مؤنس، على تولية أبي العباس بن المقتدر، بعد أبيه ليطيب قلب أم المقتدر، فعدل عن ذلك جمهور من حضر من الأمراء، فقال أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختي: بعد التعب، والنكد، نبايع لخليفة صبي، له أم، وخالات يطيعهن، ويشاورهن؟ ثم أحضروا محمد بن المعتضد ــ وهو أخو المقتدر ــ فبايعه القضاة، والأمراء، والوزراء، ولقبوه بالقاهر بالله، وذلك في سحر يوم الخميس، لليلتين بقيتا من شوال منها، واستوزر أبا على بن مقلة، ثم أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبد الله، ثم أبا العباس، ثم الخصيبي . وشرع القاهر في مصادرة أصحاب المقتدر، وتتبع أولاده، واستدعى بأم المقتدر، وهي مريضة بالاستسقاء، وقد تزايد بها الوجع، من شدة جزعها على ولدها، حين بلغها قتله، وكيف بقي مكشوف العورة. فبقيت أياما، لا تأكل شيئا، ثم وعظها النساء، حتى أكلت شيئا يسيراً من الخبز والملح، ومع هذا كله استدعى بها القاهر، فقررها على أموالها، فذكرت له ما يكون للنساء من الحلي، والمصاغ، والثياب، ولم تقر بشيء من الأموال، والجواهر، وقالت له: لو كان عندي من هذا شيء ما سلمت ولدي. فأمر بضربها، وعلّقت برجليها، ومسها بعذاب شديد من العقوبة، فأشهدت على نفسها ببيع أملاكها، فأخذه الجند، مما يحاسبون به من أرزاقهم، وأرادها على بيع أوقافها، فامتنعت من ذلك، وأبت أشد الإباء. ثم استدعى القاهر بجماعة من أولاد المقتدر، منهم أبو العباس، وهارون، والعباس، وعلي، والفضل، وإبراهيم، فأمر بمصادرتهم، وحبسهم، وسلمهم إلى حاجبه على ابن بليق، وتمكن الوزير على بن مقلة، فعزل، وولّي، وأخذ، وأعطي أياما، ومنع البريدي من عمالتهم .

وفيها توفي من الأعيان :

أحمد بن عمير بن جوصا

أبو الحسن الدمشقي، أحد المحدثين الحفاظ، والرواة الأيقاظ. وإبراهيم بن محمد بن على بن بطحاء بن على بن مقلة أبو إسحاق التميمي المحتسب ببغداد، روى عن عباس الدوري، وعلي ابن حرب، وغيرهما، وكان ثقة فاضلا، مرّ يوما على باب القاضي أبي عمر محمد بن يوسف، والخصوم عكوف على بابه، والشمس قد ارتفعت عليهم، فبعث حاجبه إليه، يقول له : إما أن تخرج، فتفصل بين الخصوم، وإما أن تبعث، فتعتذر إليهم، إن كان لك عذر، حتى يعودوا إليك بعد هذا الوقت .

أبو على بن خيزران

الفقيه الشافعي، أحد أئمة المذهب، واسمه الحسين بن صالح بن خيران الفقيه الكبير الورع، عرض عليه منصب القضاء، فلم يقبل فختم عليه الوزير على بن عيسى على بابه ستة عشر يوماً،

حتى لم يجد أهله ماء، إلا من بيوت الجيران، وهو مع ذلك يمتنع عليهم، ولم يل لهم شيئا، فقال الوزير: إنما أردنا أن نعلم الناس، أن ببلدنا، وفي مملكتنا من عرض عليه قضاء قضاة الدنيا، في المشارق والمغارب، فلم يقبل، وقد كانت وفاته في ذي الحجة منها، وقد ذكرنا ترجمته في طبقات الشافعية بما فيه كفاية .

عبد الملك بن محمد بن عدي الفقيه الاسترابادي

أحد أئمة المسلمين، والحفاظ المحدثين، وقد ذكرناه أيضا في « طبقات الشافعية » .

القاضي أبو عمر المالكي محمد بن يوسف

ابن إسماعيل بن حماد بن زيد: أبو عمر : القاضي ببغداد، ومعاملاتها، في سائر البلاد، كان من أئمة الإسلام، علما ومعرفة وفصاحة، وبلاغة وعقلا ورياسة، بحيث كان يضرب بعقله المثل. وقد روى الكثير عن المشايخ، وحدّث عنه الدارقطني، وغيره من الحفاظ، وحمل الناس عنه علما كثيراً، من الفقه والحديث، وقد جمع قضاء القضاة في سنة سبع عشرة وثلثمائة. وله مصنفات كثيرة، وجمع مسندًا حافلا، وكان إذا جلس للحديث، جلس أبو القاسم البغوي عن يمينه، وهو قريب من سن أبيه، وجلس عن يساره أيضاً، ابن صاعد وبين يديه أبو بكر النيسابوري، وسائر الحفاظ حول سريره، من كل جانب، قالوا: ولم ينتقد عليه حكم من أحكامه، أخطأ فيه قط. قلت: وكان من أكبر صواب أحكامه، وأصوبها، قتله الحسين بن منصور الحلاج في سنة تسع وثلثمائة كما تقدم. وكان القاضي أبو عمر هذا جميل الأخلاق حسن المعاشرة، اجتمع عنده يوما أصحابه، فجيء بثوب فاخر، ليشتريه، بنحو من خمسين دينارًا ، فاستحسنه الحاضرون، فدعا بالقلانسي، وأمره أن يقطع ذلك الثوب قلانس. يعدد الحاضرين. وله مناقب، ومحاسن جمة ، رحمه الله تعالى. توفي في رمضان منها عن ثمان وسبعين سنة، وقد رآه بعضهم في المنام، فقال له : ما فعل بك ربك؟. فقال : غفر لي بدعوة الرجل الصالح، إبراهيم الحربي .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وثلثمائة

في صفر منها، أحضر القاهر رجلا، كان يقطع الطريق، فضرب بين يديه ألف سوط، ثم ضربت عنقه، وقطع أيدي أصحابه، وأرجلهم. وفيها أمر القاهر، بإبطال الخمر، والمغاني، والقيان، وأمر ببيع الجواري المغنيات بسوق النخس، على أنهن سواذج. قال ابن الأثير: وإنما فعل ذلك، لأنه كان محبا للغناء، فأراد أن يشتريهن، برخص الأثمان نعوذ بالله من هذه الأخلاق، وفيها أشاعت العامة بينهم، بأن الحاجب على بن بليق، يريد أن يلعن معاوية على المنابر. فلما بلغ الحاجب ذلك، بعث إلى رئيس الحنابلة البربهاري أبي محمد الواعظ، ليقابله على ذلك، فهرب، واختفي، فأمر بجماعة من أصحابه، فنفوا إلى البصرة. وفيها: عظم الخليفة وزيره على

ابن مقلة، وخاطبه بالاحترام، والإكرام، ثم إن الوزير، ومؤنسا الخادم، وعلي بن بليق، وجماعة من الأمراء اشتوروا فيما بينهم، على خلع القاهر، وتولية أبي أحمد المكتفي، وبايعوه سراً فيما بينهم، وضيقوا على القاهر بالله في رزقه وعلي من يجتمع به. وأرادوا القبض عليه سريعا ، فبلغ ذلك القاهر - بلغه طريق اليشكري - فسعي في القبض عليهم، فوقع في مخالبه الأمير المظفر مؤنس الخادم، فأمر بحبسه، قبل أن يراه، والاحتياط على دوره، وأملاكه - وكان فيه عجلة، وجرأة وطيش، وهوج وخرق شديد - وجعل في منـــزلته - أمير الأمراء، ورياسة الجيش - طريفا اليشكري، وقد كان أحد الأعداء، لمؤنس الخادم قبل ذلك. وقبض على بليق، واختفي ولده على بن بليق، وهرب الوزير بن مقلة، فاستوزر مكانه، أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله في مستهل شعبان وخلع عليه، وأمر بتحريق دار ابن مقلة، ووقع النهب ببغداد، وهاجت الفتنة، وأمر القاهر، بأن يجعل أبو أحمد المكتفي بين حائطين، ويسد عليه بالآجر والكلس، وهو حي، فمات،وأرسل منادي على المختفين: إن من أخفاهم قتل، وخربت داره. فوقع بعلي بن بليق فذبح بين يديه، كما تذبح الشاة، فأخذ رأسه في طست، ودخل به القاهر على أبيه بليق بنفسه، فوضع رأس ابنه بين يديه، فلما رآه بكى، وأخذ يقبله، ويترشفه، فأمر بذبحه أيضاً، فذبح، ثم أخذ الرأسين في طستين، فدخل بهما على مؤنس الخادم، فلما رآهما، تشهد، ولعن قاتلهما : فقال القاهر: جروا برجل الكلب، فأخذ فذبح أيضاً، وأخذ رأسه، فوضع في طست، وطيف بالرءوس في بغداد، ونودى عليهم: هذا جزاء من يخون الإمام، ويسعى في الدولة فساداً ثم أعيدت الرءوس إلى خزائن السلاح، وفي ذي القعدة منها قبض القاهر على الوزير أبي جعفر محمد بن القاسم، وسجنه، وكان مريضا بالقولنج، فبقي ثمانية عشر يوما، ومات وكانت وزارته ثلاثة أشهر واثني عشر يوما، واستوزر مكانه أبا العباس أحمد بن عبد الله ابن سليمان الخصيـــبي ، ثم قبض على طريف اليشكري، الذي تعاون على مؤنس، وابن بليق وسجنه، ولهذا قيل: من أعان ظالما، سلطه الله عليه فلم يزل اليشكري في الحبس، حتى خلع القاهر. وفيها: جاء الخبر بموت العامل بديار مصر، وأن ابنه محمداً، قد قام مقامه فيها، وسارت الخلع إليه من القاهر، بتنفيذ الولاية، واستقراره .

ابتداء أمر بني بويه وظهور دولتهم

وهم ثلاثة إخوة: عماد الدولة أبو الحسن على، وركن الدولة أبو على الحسين، ومعز الدولة أبو الحسين أحمد، أولاد أبي شجاع بويه بن قباخسرو بن تمام بن كوهي بن شيرزيل الأصغر بن شيركيده بن شيرزيل الأكبر بن شيران شاه بن شيرويه بن سيسان شاه بن سيس بن فيروز بن شيرزيل بن سيسان بن بهرام جور الملك بن يزدجرد الملك بن سابور الملك بن سابور ذي الأكتاف الفارسي. كذا نسبهم الأمير أبو نصر بن ماكولا في كتابه. وإنما قيل لهم : الديالمة؛ لأنهم جاوروا الديلم، وكانوا بين أظهرهم مدة، وقد كان أبوهم، أبو شجاع بويه، فقيراً،

مدقعا، يصطاد السمك، ويحتطب بنوه الحطب، على رءوسهم، وقد ماتت امرأته، وخلفت له هؤلاء الأولاد الثلاثة، فحزن عليها، وعليهم، فبينما هو يوما عند بعض أصحابه، وهو شهريار ابن رستم الديلمي، إذ مر منجم، فاستدعاه، فقال له: إني رأيت مناما غريبا، أحب أن تفسره لي: رأيت كأني أبول، فخرج من ذكري نار عظيمة، حتى كادت تبلغ عنان السماء ثم انفرقت، ثلاث شعب، ثم انتشرت كل شعبة، حتى صارت شعبا كثيرة، فأضاءت الدنيا بتلك النار، ورأيت البلاد، والعباد، قد خضعت لهذه النار. فقال له المنجم: هذا منام عظيم، لا أفسره لك إلا بمال جزيل. فقال: والله لا شيء عندي أعطيك، ولا أملك إلا فرسي هذه. فقال: هذا يدل على أنه يملك من صلبك ثلاثة ملوك، ثم يكون من سلالة كل واحد منهم ملوك عدة فقال له : ويحك،أتسخر بي؟ وأمر بنيه فصفعوه، ثم أعطاه عشرة دراهم. فقال لهم المنجم : اذكروا هذا، إذا قدمت عليكم، وأنتم ملوك. وخرج وتركهم. وهذا من أعجب الأشياء، وذلك أن هؤلاء الأخوة الثلاثة، كانوا عند ملك يقال له : «ما كان بن كاني» في بلاد طبرستان، فتسلط عليه مرداويح، فضعف ما كان، فتشاوروا في مفارقته، حتى يكون من أمره ما يكون، فخرجوا عنه، ومعهم جماعة من الأمراء، فصاروا إلى مرداويح، فأكرمهم، واستعملهم على الأعمال في البلدان، فأعطي عماد الدولة على بويه نيابة الكرخ، فأحسن فيها السيرة، والتف عليه الناس؛ وأحبوه، فحاربه نائبها، فهزمه عماد الدولة، هزيمة منكرة، واستولي على أصبهان. وإنما كان معه سبعمائة فارس، فقهر بها عشرة آلاف فارس، وعظم في أعين الناس فلما بلغ ذلك مرداويح، قلق منه، فأرسل إليه جيشا، فأخرجوه من أصبهان فقصد أذربيجان، فأخذها من نائبها، وحصل له من الأموال، شيء كثير جداً، ثم أخذ بلداناً كثيرة، واشتهر أمره وبعد صيته وحسنت سيرته. فقصده الناس محبة وتعظيما، فاجتمع إليه من الجند خلق كثير، وجم غفير، فلم يزل يترقي، في مراقي الدنيا، حتى آل به وبأخويه الحال. إلى أن ملكوا بغداد، من أيدي الخلفاء العباسين، وصار لهم فيها القطع والوصل، والولاية والعزل، وإليهم تجبي الأموال، ويرجع إليهم في سائر الأمور والأحوال، على ما سنذكر ذلك مبسوطا والله المستعان .

وفيها توفي من الأعيان:

أحمد بن محمد بن سلامة

ابن سلمة بن عبد الملك أبو جعفر الطحاوي: نسبة إلى قرية بصعيد مصر، الفقيه الحنفي، صاحب المصنفات المفيدة، والفوائد الغزيرة : وهو أحد الثقات الأثبات، والحفاظ الجهابذة، وطحا بلدة بديار مصر. وهو ابن أخت المزني. توفي في مستهل ذي القعدة منها، عن ثنتين وثمانين سنة، وذكر أبو سعيد السمعاني، أنه ولد في سنة تسع وعشرين ومائتين، فعلي هذا يكون قد جاوز التسعين والله أعلم. وذكر ابن خلكان في الوفيات، أن سبب انتقاله إلى مذهب أبي حنيفة، ورجوعه عن مذهب خاله المزني، أن خاله قال له يوما : والله لا يجيء منك شيء

فغضب وتركه، واشتغل على أبي جعفر بن أبي عمران الحنفي، حتى برع، وفاق أهل زمانه وصنف كتبا كثيرة منها أحكام القرآن، واختلاف العلماء، ومعاني الآثار والتاريخ الكبير. وله في الشروط كتاب، وكان بارعا فيها. وقد كتب للقاضي أبي عبد الله محمد بن عبد الله، وعدله القاضي أبو عبيدة بن حربويه، وكان يقول: رحم الله المزني، لو كان حياً لكفر عن يمنيه. توفي في مستهل ذي القعدة كما تقدم. ودفن بالقرافة، وقبره مشهور بها، رحمه الله. وقد ترجمه ابن عساكر، وذكر أنه قد قدم دمشق، سنة ثمان وستين ومائتي، وأخذ الفقه عن قاضيها أبي حازم .

أحمد بن محمد بن موسى بن النضر

ابن حكيم بن على بن زربي أبو بكر، المعروف بابن أبي حامد، صاحب بيت المال. سمع عباسا الدوري، وخلقا، وعنه الدارقطني، وغيره. وكان ثقة صدوقا، جوادًا ممدحا، اتفق في أيامه أن رجلا من أهل العلم كانت له جارية، يحبها حبا شديداً، فركبته ديون، اقتضت بيع تلك الجارية في الدين، فلما أن قبض ثمنها، ندم ندامة شديدة على فراقها، وبقي متحيراً في أمره ثم باعها الذي اشتراها، فوصلت إلى ابن أبي حامد هذا وهو صاحب بيت المال، فتشفع صاحبها الأول الذي باعها في الدين ــ ببعض أصحاب ابن أبي حامد، في أن يردها إليه بثمنها، وذكر له أنه يحبها، وأنه من أهل العلم، وإنما باعها في دين ركبه، لم يجد له وفاء. فلما قال له : ذلك لم يكن عند ابن أبي حامد شعور بما ذكر له من أمر الجارية، وذلك أن امرأته، كانت اشترتها له، ولم تعلمه بعد بأمرها، حتى تحل من استبرائها، وكان ذلك اليوم آخر الاستبراء، فألبستها الحلي، والمصاغ وصنعتها له، وهيأتها، حتى صارت كأنها فلقة قمر، وكانت حسناء، فحين شفع صاحبه وذكر أمرها، بهت لعدم علمه بها ثم دخل على أهله، يستكشف خبرها من امرأته، فإذا بها هيئت له، فلما رآها على تلك الصفة، فرح فرحاً شديداً، إذ وجدها كذلك،من أجل سيدها الأول، الذي تشفع فيه صاحبه. فأخرجها معه، وهو يظهر السرور، وامرأته تظن أنه إنما أخذها، ليطأها، فأتى بها إلى ذلك الرجل، بحليها، وزينتها، فقال له: هذه جاريتك؟ فلما رآها على تلك الصفة في ذلك الحلي والزينة، مع الحسن الباهر، اضطرب كلامه، واختلط في عقله، مما رأي من حسن منظرها، وهيئتها فقال: نعم، فقال: خذها بارك الله لك فيها، ففرح الفتي بها فرحاً شديداً، وقال : سيدي تأمر بمن يحمل ثمنها إليك؟ فقال: لا حاجة لنا بثمنها، وأنت في حل منه أنفقه عليك وعليها، فإني أخشي أن تفتقر، فتبيعها لمن لا يردها عليك. فقال: يا سيدي، وهذا الحلي، والمصاغ الذي عليها؟ فقال: هذا شيء وهبناه لها لا نرجع فيه ولا يعود إلينا أبداً، فدعا له، واشتد فرحه بها جداً، وأخذها وذهب فلما أراد أن يودع ابن أبي حامد، قال ابن أبي حامد للجارية: أيما أحب إليك نحن، أو سيدك هذا ؟ فقالت: أما أنتم، فقد أحسنتم إلى، وأعتنموني، فجزاكم الله خيراً، وأما سيدي هذا، فلو أني ملكت منه ما ملك مني لم أبعه بالأموال الجزيلة، ولا فرطت فيه أبداً، فاستحسن الحاضرون كلامها، وأعجبهم ذلك من قولها، مع صغر سنها .

شغب أم أمير المؤمنين المقتدر بالله الملقبة بالسيدة

كان دخلها من أملاكها، في كل سنة، ألف ألف دينار، فكانت، تتصدق بأكثر ذلك، على الحجيج، في أشربة، وأزواد، وأطباء يكونون معهم، وفي تسهيل الطرقات، والموارد. وكانت في غاية الحشمة، والرياسة، ونفوذ الكلمة أيام ولدها، فلما قتل، كانت مريضة، فزادها قتله مرضا إلى مرضها، ولما استقر أمر القاهر في الخلافة، وهو ابن زوجها المعتضد، وأخو ابنها المقتدر، وقد كانت حضنته حين توفيت أمه، وخلصته من ابنها لما أخذت البيعة بالخلافة له، ثم رجع ابنها إلى الخلافة، فشفعت في القاهر، وأخذته إلى عندها، فكانت تكرمه، وتشتري له الجواري، فلما قتل ابنها، وتولي مكانه طلبها وهي مريضة، فعاقبها عقوبة عظيمة جدا، حتى كان يعلقها برجليها، ورأسها منكوس، فربما بالت، فيسيل البول على وجهها، ليقررها على الأموال فلم يجد لها شيئا، سوي ثيابها، ومصاغها وحليها في صناديقها قيمة ذلك مائة ألف دينار، وثلاثون ألف دينار، وكان لها غير ذلك أملاك، أمر ببيعها، وأتي بالشهود، ليشهدوا عليها بالتوكيل في بيعها، فامتنع الشهود من الشهادة، حتى ينظروا إليها، ويحلوها، فرفع الستر بإذن الخليفة، فقالوا لها: أنت شغب جارية المعتضد أم جعفر المقتدر؟ فبكت بكاء طويلا، ثم قالت: نعم. فكتبوا حليتها، عجوز سمراء اللون، دقيقة الجبين. وبكى الشهود وتفكروا، كيف يتقلب الزمان بأهله، وتنقل الحدثان، وأن الدنيا دار بلاء، لا يفي مرجوها بمخوفها، ولا يسلم طلوعها من كسوفها، من ركن إليها أحرقته بنارها، ولم يذكر القاهر شيئا من إحسانها إليه، رحمها الله، وعفا عنها. توفيت في جمادى الأولى من هذه السنة، ودفنت بالرصافة .

عبد السلام بن محمد

ابن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان، مولي عثمان بن عفان، وهو أبو هاشم ابن أبي على الجبائي المتكلم ابن المتكلم، المعتزلي ابن المعتزلي، وإليه تنسب الطائفة الهاشمية من المعتزلة، وله مصنفات في الاعتزال، كما لأبيه من قبله، مولده سنة سبع وأربعين ومائتين، توفي في شعبان منها، قال ابن خلكان: وكان له ابن، يقال له : أبو على، دخل يوماً على الصاحب ابن عباد، فأكرمه، واحترمه، وسأله عن شيء من المسائل، فقال: لا أعرف نصف العلم. فقال: صدقت، وسبقك أبوك، إلى الجهل بالنصف الآخر .

أحمد بن الحسن بن دريد بن عتاهيه

أبو بكر بن دريد الأزدي اللغوي النحوي الشاعر صاحب المقصورة ولد بالبصرة في سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وتنقل في البلاد، لطلب العلم والأدب، وكان أبوه من ذوي اليسار، وقدم بغداد، وقد أسن فأقام بها، إلى أن توفي في هذه السنة. روى عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، وأبي حاتم، والرياشي وعنه أبو سعيد السيرافي، وأبو بكر بن شاذان، وأبو عبيد الله

ابن المرزبان، وغيرهم، ويقال : كان أعلم من شعر من العلماء وقد كان متهتكا في الشراب، منهمكا فيه. قال أبو منصور الأزهري: دخلت عليه، فوجدته سكران، فلم أعد إليه. وسئل عنه الدارقطني. فقال: تكلموا فيه. وقال ابن شاهين: كنا ندخل عليه، فنستحي مما نراه، من العيدان المعلقة، وآلات اللهو، والشراب المصفي، وقد جاوز التسعين، وقارب المائة. توفي يوم الأربعاء، لثنتي عشرة بقيت من شعبان، وفي هذا اليوم توفي أبو هاشم بن أبي على الجبائي المعتزلي، فصلي عليهما معا، ودفنا في مقبرة الخيزران، فقال الناس: مات اليوم عالم اللغة، وعالم الكلام. وكان ذلك يوما مطيراً ومن مصنفات ابن دريد « الجمهرة » في اللغة نحو عشرة مجلدات، وكتاب « المطر » ، « والمقصورة » ، « والقصيدة الأخرى في المقصور والممدود » وغير ذلك سامحه الله .

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وثلثمائة

فيها: قصد ملك الروم ملطية، في خمسين ألفا، فحاصرهم، ثم أعطاهم الأمان، حتى تمكن منهم، فقتل منهم خلقًا كثيراً، وأسر ما لا يحصون كثرة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وفيها: وردت الأخبار، أن مرداويج، قد تسلم أصبهان، وانتزعها من على بن بويه، وأن على بن بويه، توجه إلى أرّجان فأخذها. وقد أرسل ابن بويه إلى الخليفة بالطاعة والمعونة، وإن أمكن أن يقبل العتبة الشريفة، ويحضر بين يدي الخليفة إن رسم، ويذهب إلى شيراز، فيكون مع ابن ياقوت. ثم اتفق الحال بعد ذلك، أن صار إلى شيراز، وأخذها من نائبها ابن ياقوت، بعد قتال عظيم، ظفر فيه ابن بويه بابن ياقوت وأصحابه، فقتل منهم خلقا وأسر جماعة، فلما تمكن أطلقهم، وأحسن إليهم، وخلع عليهم، وعدل في الناس. وكانت معه أموال كثيرة، قد استفادها من أصبهان، والكرخ، وهمذان، وغيرها، وكان كريما، جوادا، معطيا للجيوش، الذين قد التفوا عليه، ثم إنه أملق في بعض الأحيان وهو بشيراز، وطالبه الجند وخاف أن ينحل نظام أمره، وملكه، فاستلقي على قفاه يومًا، مفكرا في أمره، وإذا حية، قد خرجت من شق، في سقف المكان، الذي هو فيه، ودخلت في آخر، فأمر بنـــزع تلك السقوف، فوجد هناك مكانا، فيه شيء كثير من الذهب، نحو من خمسمائة ألف دينار فأنفق في جيشه ما أراد وبقي عنده شيء كثير، وركب ذات يوم يتفرج، في جوانب البلد، وينظر إلى ما بنته الأوائل، ويتعظ بمن كان فيه قبله، فانخسفت الأرض من تحت قوائم فرسه، فأمر، فحفر هنالك، فوجد من الأموال شيئاً كثيراً أيضاً، واستعمل عند رجل خياط قماشاً، ليلبسه، فاستبطأه، فأمر بإحضاره، فلما وقف بين يديه، تهدده — وكان الخياط أصم لا يسمع جيداً — فقال: والله، أيها الملك، ما لابن ياقوت عندي سوي اثنا عشر صندوقا لا أدري ما فيها فأمر بإحضارها، فإذا فيها أموال عظيمة، تقارب ثلثمائة ألف دينار، واطلع على ودائع، كانت ليعقوب بن الليث، فيها من الأموال ما لا يحد ولا يوصف كثرة، فقوي أمره، وعظم سلطانه جدا. وهذا كله من الأمور المقدرة، لما يريد الله بهم من السعادة الدنيوية، بعد الجوع والقلة ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص : ٦٨] وكتب إلى

الراضي، وزيره ابن مقلة، أنْ يقاطع على ما قِبَله من البلاد، على ألف ألف في كل سنة، فأجابه الراضي إلى ذلك، وبعث إليه بالخلع، واللواء، وأبهة الملك. وفيها: قتل القاهر أميرين كبيرين، وهما: إسحاق بن إسماعيل النوبختي، وهو الذي كان قد أشار على الأمراء بخلافة القاهر. وأبا السرايا بن حمدان أصغر ولد أبيه، وكان في نفس القاهر منهما بسبب أنهما، زايداه من قبل أن يلي الخلافة، في جاريتين مغنيتين فاستدعاهما إلى المسامرة، فتطيبا وحضرا، فأمر بإلقائهما في جب هنالك، فتضرعا إليه، فلم يرحمهما، بل ألقيا فيها وطُمّ عليهما .

ذكر خلع القاهر وسمل عينيه وعذابه

وكان سبب ذلك، أن الوزير على بن مقلة، كان قد هرب، حين قبض على مؤنس، كما تقدم، فاختفى في داره، وكان يراسل الجند، ويكاتبهم، ويغريهم بالقاهر، ويخوّفهم سطوته، وإقدامه، وسرعة بطشة، ويخبرهم، بأن القاهر قد أعد لأكابر الأمراء، أماكن في دار الخلافة، يسجنهم فيها، ومهالك يلقيهم فيها، كما فعل بفلان وفلان. فهيجهم ذلك على القبض على القاهر، فاجتمعوا وأجمعوا رأيهم، على مناجزته في هذه الساعة، فركبوا مع الأمير المعروف بسيما، وقصدوا دار الخلافة، فأحاطوا بها، ثم هجموا عليه، من سائر أبوابها، وهو مخمور، فاختفى في سطح حمام، فظهروا عليه، فقبضوا عليه، وحبسوه في مكان طريف اليشكري، وأخرجوا طريفا من السجن، وخرج الوزير الخصيبي ، مستتراً في زي امرأة، فذهب واضطربت بغداد، ونهبت، وذلك يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الأولى فيها، في الشهر الذي ماتت فيه شغب فلم يكن بين موتها، والقبض عليه، وسمل عينيه، وعذابه بأنواع العقوبات، إلا مقدار سنة واحدة، وانّتقم الله منه. ثم أمروا بإحضاره، فلما حضر، سملوا عينيه، حتى سالتا على خديه وارتكب منه أمر عظيم، لم يسمع مثله في الإسلام، ثم أرسلوه وكان تارة يحبس، وتارة يخلي سبيله. وقد تأخر موته إلى سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة، وافتقر، حتى قام يوما بجامع المنصور، فسأل الناس، فأعطاه رجل خمسمائة دينار، ويقال : إنما أراد بسؤاله التشنيع عليهم وسنذكر ترجمته إذا ذكرنا وفاته .

خلافة الراضي بالله أبي العباس محمد بن المقتدر بالله

لما خلعت الجند القاهر، وسملوا عينيه، أحضروا أبا العباس محمد بن المقتدر بالله، فبايعوه بالخلافة ولقبوه الراضي بالله. وقد أشار أبو بكر الصولي، بأن يلقب بالمرضي بالله فلم يقبلوا. وذلك يوم الأربعاء، لست خلون من جمادى الأولى منها. وجاءوا بالقاهر وهو أعمي، قد سملت عيناه، فأوقف بين يديه، فسلم عليه بالخلافة، وسلمها إليه، فقام الراضي بأعبائها، وكان من خيار الخلفاء، على ما سنذكره. وأمر باحضار أبي على بن مقلة، فولاّه الوزارة، وجعل عَلِيَّ بن عيسى ناظراً، معه وأطلق كل من كان في حبس القاهر، واستدعى عيسى طبيب القاهر، فصادره بمائتي ألف دينار، وتسلم منه الوديعة، التي كان القاهر أودعه إياها، وكانت جملة

مستكثرة، من الذهب، والفضة، والجواهر النفيسة. وفيها عظم أمر مرداويج بأصبهان، وتحدث الناس، أنه يريد أخذ بغداد، وأنه ممالئ لصاحب البحرين، أمير القرامطة، وقد اتفقا على رد الدولة من العرب إلى العجم، وأساء السيرة في رعيته، لا سيما في خواصه، فتمالأوا عليه، فقتلوه، وكان القائم بأعباء قتله أخص مماليكه، وهو بجكم — بيض الله وجهه — وبجكم هذا هو الذي استنقذ الحجر الأسود، من أيدي القرامطة، حتى ردوه، اشتراه منهم بخمسين ألف دينار. ولما قتل الأمير بجكم مرداويج، عظم أمر على بن بويه، وارتفع قدره بين الناس، وسيأتي مآل إليه حاله، ولما خلع القاهر، وولي الراضي طمع هارون بن عريب في الخلافة لكونه ابن خال المقتدر، وكان نائباً على ماه، والكوفة، والدينور، وماسبذان، فدعا إلى نفسه، واتبعه خلق كثير، من الجند، والأمراء، وجبي الأموال، واستفحل أمره، وقويت شوكته، وقصد بغداد فخرج إليه محمد بن ياقوت، رأس الحجبة، بجميع جند بغداد، فاقتتلوا، فخرج في بعض الأيام هارون بن عريب، يتقصد لعله يعمل حيلة، في أسر محمد بن ياقوت، فتقنطر به فرسه، فألقاه في نهر فضربه غلامه، حتى قتله، وأخذ رأسه حتى جاء به إلى محمد بن ياقوت، وانهزم أصحاب هارون، ورجع ابن محمد بن ياقوت، فدخل بغداد، ورأس هارون بن عريب يحمل على رمح، ففرح الناس بذلك، وكان يوما مشهوداً .

وفيها ظهر ببغداد، رجل يعرف بأبي جعفر محمد بن علي الشلمغاني، ويقال له : ابن العرافة. فذكروا عنه، أنه يدعي ما كان يدعيه الحلاج، من الإلهية، وكانوا قد قبضوا عليه، في دولة المقتدر، عند حامد بن العباس، واتهم بأنه يقول بالتناسخ، فأنكر ذلك ولما كانت هذه المرة أحضره الراضي، وادعى عليه بما كان ذكر عنه، فأنكر، ثم أقر بأشياء، فأفتى قوم : أن دمه حلال، إلا أن يتوب من هذه المقالة، فأبى أن يتوب، فضرب ثمانين سوطا، ثم ضربت عنقه وصلب، وألحق بالحلاج، قبحهما الله، وقتل معه صاحبه ابن أبي عون، لعنه الله. وكان هذا اللعين من جملة من اتبعه، وصدقه فيما يزعمه من الكفر. وقد بسط ابن الأثير في كامله مذهب هؤلاء الكفرة، بسطًا جيداً، وشبه مذهبهم بمذهب النصيرية. وادعى رجل آخر ببلاد الشاش، النبوة، وأظهر المخاريق، وأشياء كثيرة من الحيل، فجاءته الجيوش، فقاتلوه، وانطفأ خبره واضمحل أمره .

وفاة المهدي صاحب إفريقية

وفيها: كان موت المهدي صاحب إفريقية، أول خلفاء الفاطميين الأدعياء الكذبة، وهو أبو محمد عبيد الله المدعي أنه علوي، وتلقب بالمهدي، وبنى المهدية، ومات بها عن ثلاث وستين سنة، وكانت ولاية — منذ دخل رقادة وادعى الإمامة — أربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً ، وهو أول الخلفاء الفاطميين وقد كان شهماً شجاعا، ظفر بجماعة ممن خالفه، وناوأه، وقاتله، وعاداه ، فلما مات، قام بأمر الخلافة من بعده ولده أبو القاسم الملقب بالخليفة القائم بأمر الله .

وحين توفي أبوه، كتم موته سنة، حتى دبر ما أراده من الأمور، ثم أظهر ذلك، وعزاه الناس فيه وقد كان كأبيه شهما شجاعا : فتح البلاد، وأرسل السرايا إلى بلاد الروم، ورام أخذ الديار المصرية، فلم يتفق له ذلك، وإنما أخذ الديار المصرية، ابن ابنه المعز الفاطمي، باني القاهرة المعزية، كما سنذكره إن شاء الله .

قال ابن خلكان في الوفيات : وقد اختلف في نسب المهدي هذا اختلافا كثيراً جدا، فقال صاحب تاريخ القيروان : هو عبيد الله بن الحسن بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وقال غيره : هو عبيد الله بن التقي وهو الحسين بن الوفي بن أحمد بن الرضي، وهو عبد الله، هذا وهو ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وقيل : غير ذلك في نسبه .

قال القاضي ابن خلكان : والمحققون ينكرون دعواه في النسب قلت : قد كتب غير واحد من الأئمة، منهم الشيخ أبو حامد الإسفراييني، والقاضي الباقلاني، والقدوري، أن هؤلاء أدعياء، ليس لهم نسب صحيح، فيما يزعمون، وأن والد عبيد الله المهدي هذا، كان يهوديا صباغاً، بسلمية، وقيل : كان اسمه سعد، وإنما لقب بعبيد الله زوج أمه الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح، وسمي القداح : لأنه كان كحالاً يقدح العيون. وكان الذي وطأ له الأمر، بتلك البلاد أبو عبد الله الشيعي كما قدمنا ذلك، ثم استدعاه، فلما قدم عليه من بلاد المشرق، وقع في يد صاحب سجلماسة، فسجنه، فلم يزل الشيعي يحتال له، حتى استنقذه من يده، وسلم إليه الأمر، ثم ندم الشيعي علي تسليمه الأمر، وأراد قتله ففطن عبيد الله لما أراد به، فأرسل إلى الشيعي من قتله، وقتل أخاه معه. ويقال : إن الشيعي لما دخل السجن، الذي قد حبس فيه عبيد الله هذا وجد صاحب سجلماسة قد قتله، ووجد في السجن رجلا مجهولا محبوسا، فأخرجه إلى الناس، لأنه كان قد أخبر الناس، أن المهدي كان محبوساً في سجلماسة، وأنه إنما يقاتل عليه، فقال للناس: هذا هو المهدي ـــ وكان قد أوصاه أن لا يتكلم إلا بما يأمره به وإلا قتله ـــ فراج أمره فهذه قصته وهؤلاء من سلالته والله أعلم .

وكان مولد المهدي هذا، في سنة ستين ومائتين، وقيل : قبلها، وقيل : بعدها، بسلمية، وقيل : بالكوفة، والله أعلم. وأول ما دعي له على منابر رقادة، والقيروان يوم الجمعة لسبع بقين من ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين، بعد رجوعه من سجلماسة، وكان ظهوره بها في ذي الحجة من السنة الماضية- سنة ست وتسعين ومائتين - فلما ظهر زالت دولة بني العباس عن تلك الناحية من هذا الحين إلى أن ملك العاضد في سنة سبع وستين وخمسمائة، كانت وفاته بالمهدية، التي بناها في أيامه، للنصف من ربيع الأول منها، وقد جاوز الستين علي المشهور، وسيفصل الله بين الآمر، والمأمور، يوم البعث والنشور .

وفيها توفي من الأعيان أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري قاضي مصر. حدث عن أبيه بكتبه المشهورة، وتوفي وهو قاض بالديار المصرية في ربيع الأول منها .

محمد بن أحمد بن القاسم أبو علي الروذباري

وقيل : اسمه أحمد بن محمد، ويقال : الحسين بن الهمام، والصحيح الأول. أصله من بغداد، وسكن مصر، وكان من أبناء الرؤساء، والوزراء، والكتبة، وصحب الجنيد، وسمع الحديث، وحفظ منه كثيراً، وتفقه بإبراهيم الحربي وأخذ النحو عن ثعلب، وكان كثير الصدقة، والبر للفقراء، وكان إذا أعطى الفقير شيئاً، جعله في كفه، تحت يد الفقير، ثم يتناوله الفقير، يريد أن لا تكون يد الفقير تحت يده .

قال أبو نعيم : سئل أبو علي الروذباري، عمن يسمع الملاهي، ويقول : إنه وصل إلى منـــزلة، لا يؤثر فيه اختلاف الأحوال؟ فقال : نعم وصل، ولكن إلى سقر. وقال : الإشارة الإبانة، لما تضمنه الوجد من المشار إليه لا غير، وفي الحقيقة، أن الإشارة، تصحبها العلل، والعلل، بعيدة عن غير الحقائق. وقال : من الاغترار، أن تسيء، فيحسن إليك، فتترك الإنابة، والتوبة توهما أنك تسامح في الهفوات، وترى أن ذلك من بسط الحق لك. وقال : تشوقت القلوب إلى مشاهدة ذات الحق، فألقيت إليها الأسامي، فركنت إليها مشغوفة بها عن الذات إلى أوان التحلي، فذلك قوله: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف : ١٨٠]. فوقفوا معها عن إدراك الحقائق، فأظهر الأسامي، وأبداها للخلق، لتسكين شوق المحبين إليه، وتأنيس قلوب العارفين به. وقال : لا رضى لمن لا يصبر، ولا كمال لمن لا يشكر، وبالله وصل العارفون إلى محبته، وشكروه على نعمته، وقال : إن المشتاقين إلى الله، يجدون حلاوة الشوق، عند ورود المكاشف لهم، عن روح الوصال إلى قربه، أحلى من الشهد. وقال : من رزق ثلاثة أشياء، فقد سلم من الآفات : بطن جائع معه قلب قانع، وفقر دائم معه زهد حاضر، وصبر كامل معه قناعة دائمة. وقال : في اكتساب الدنيا، مذلة النفوس، وفي اكتساب الآخرة، عزّها فيا عجبا، لمن يختار المذلة، في طلب ما يفنى، على العزّ في طلب ما يبقى ومن شعره :

لو مضى الكلُّ منّي لم يكُنْ عَجَبَــا ... وإنما عَجَبِي في البعض كيفَ بَقِي؟!
أدرِكْ بقيةَ روحٍ منكَ قد تَــلِفَــتْ ... قبــلَ الفِراقِ فهذا آخــرُ الــرَمَــقِ

محمد بن إسماعيل

المعروف بخير النساج أبو الصوفي، من كبار المشايخ، ذوي الأحوال الصالحة، والكرامات المشهورة أدرك سريًّا السقطي، وغيره من مشايخ القوم، وعاش مائة وعشرين سنة ولما حضرته الوفاة، نظر إلى زاوية البيت، فقال : قف رحمك الله، فإنك عبد مأمور، وأنا عبد مأمور، وما أمرت به لا يفوت ، وما أمرت به يفوت، ثم قام وتوضأ وصلى وتمدد، فمات رحمه الله . وقد رآه بعضهم في المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : استرحنا من دنياكم الوخيمة .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة

وفيها : أحضر ابن شنبوذ المقري، فأنكر عليه جماعة من الفقهاء، والقراء، حروفاً انفرد بها، فاعترف ببعضها، وأنكر بعضها، فاستتيب من ذلك، واستكتب خطه، بالرجوع عما نقم عليه، وضرب سبع درر، بإشارة الوزير أبي علي بن مقلة، ونفي إلى البصرة فدعا علي الوزير، أن تقطع يده، ويشتت شمله، فكانت ذلك عما قريب، وفي جمادى الآخرة، نادى ابن الحرسي صاحب الشرطة في الجانبي من بغداد أن لا يجتمع اثنان من أصحاب أبي محمد البربهاري الواعظ الحنبلي. وحبس من أصحابه جماعة، واستتر ابن البربهاري، فلم يظهر مدة. قال ابن الجوزي في (المنتظم) : وفي شهر أيار، تكاثفت الغيوم، واشتد الحر جدا، فلما كان آخر يوم منه ــ وهو الخامس والعشرين من جمادى الآخرة منها ــ هاجت ريح شديدة جدا، وأظلمت الأرض، واسودت إلى بعد العصر، ثم خفت، ثم عادت إلى بعد عشاء الآخرة وفيها: استبطأ الأجناد أرزاقهم، فقصدوا دار الوزير أبي علي بن مقلة، فنقبوها، وأخذوا ما فيها ووقع حريق عظيم، في طريق الموازين، فاحترق للناس شيء كثير، فعوض عليهم الراضي، بعض ما كان ذهب لهم. وفي رمضان، اجتمع جماعة من الأمراء، علي بيعة جعفر بن المكتفي، فظهر الوزير علي أمرهم، فحبس جعفراً، ونهبت داره، وحبس جماعة ممن كان بايعه، وانطفأت ناره. وخرج الحجاج في غفارة الأمير لؤلؤ، فاعترضهم أبو طاهر القرمطي، فقتل أكثرهم، ورجع من انهزم منهم إلى بغداد، وبطل الحج في هذه السنة، من طريق العراق. قال ابن الجوزي : وفيها تساقطت كواكب كثيرة، ببغداد، والكوفة، على صورة لم ير مثلها، ولا ما يقاربها، وغلا السعر في هذه السنة، حتى بيع الكرّ [1] من الحنطة بمائه وعشرين دينارا، وفيها علي الصحيح كان مقتل مرداويج بن زياد الديلمي، وكان قبّحه الله ــ سيئ السيرة، والسريرة، يزعم أن روح سليمان بن داود حلّت فيه، وله سرير من ذهب، يجلس عليه، والأتراك بين يديه، ويزعم أنهم الجن الذين سخروا لسليمان بن داود، وكان يسيء المعاملة لجنده، ويحتقرهم غاية الاحتقار، فما زال ذلك دأبه، حتى أمكنهم الله منه، فقتلوه، شر قتلة في حمام، وكان الذي مالأ على قتله، غلامه بجكم التركي،جازاه الله عن الإسلام وأهله خيرا. وكان ركن الدولة بن بويه، رهينة عنده، فأطلق لما قتل، فذهب إلى أخيه عماد الدولة وذهب طائفة من الأتراك معه إلى أخيه والتفت طائفة أخرى من الأتراك على بجكم، فسار بهم إلى بغداد بإذن الخليفة له في ذلك، ثم صرفوا إلى البصرة، فكانوا بها. وأما الديلم، فإنهم بعثوا إلى أخي مرداويج، وهو وشمكير، فلما قدم عليهم، تلقوه إلى أثناء الطريق، حفاة مشاة، فملكوه عليهم، لئلا يذهب ملكهم، فانتدب إلى محاربته، الملك السعيد نصر بن أحمد الساماني، نائب خراسان، وما وراء النهر، وما والاها من تلك البلاد والأقاليم، فانتزع منه بلدانا هائلة، وفيها: بعث القائم بأمر الله الفاطمي، جيشاً من إفريقية، في

---

(١) الكرّ : مكيال قيل : إنه أربعون إردبًا أو غير ذلك .

البحر، إلى ناحية الفرنج، فافتتحوا مدينة جنوه، وغنموا غنائم كثيرة، وثروة ورجعوا سالمين غانمين، وفيها بعث عماد الدولة بين يديه أخاه ركن الدولة إلى أصبهان، فاستولى عليها، وعلى بلاد الجبل، واتسعت مملكته. وفيها : كان غلاء شديد بخراسان، ووقع بها فناء كثير بحيث كان يهمهم أمر دفن الموتى، وفيها قتل ناصر الدولة أبو الحسن بن حمدان، نائب الموصل، عمه أبا العلاء سعيد بن حمدان ؛ لأنه أراد أن ينتزعها منه، فبعث إليه الخليفة، وزيره أبا علي بن مقلة في جيوش، فهرب منه ناصر الدولة، فلما طال مقام ابن مقلة بالموصل، ولم يقدر علي ناصر الدولة، رجع إلى بغداد، فاستقرت يد ناصر الدولة علي الموصل. وبعث به إلى الخليفة أن يضمنه تلك الناحية، فأجيب إلى ذلك، واستمر الحال علي ما كان وخرج الحجيج، فلقيهم القرمطي في القادسية فقاتلهم، وظفر بهم، فسألوه الأمان، فأمنهم، على أن يرجعوا بغداد، فرجعوا، وتعطل الحج عامهم ذلك أيضا . وفيها توفي من الأعيان :

نفطويه النحوي

واسمه إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي أبو عبد الله العتكي المعروف بنفطويه النحوي، له مصنفات فيه، وقد سمع الحديث، وروى عن المشايخ، وحدث عنه الثقات، وكان صدوقا، وله أشعار حسنة، وروى الخطيب عن نفطويه، أنه مر يوما علي بقال، فقال له : أيها الشيخ، كيف الطريق إلى درب الرآسين — يعني درب الرواسين؟. — فالتفت البقال إلى جاره، فقال له : قبح الله غلامي، أبطأ علي بالسلق، ولو كان عندي، لصفعت هذا بجزمة منه فانصرف عنه نفطويه، ولم يرد عليه، توفي نفطويه في شهر صفر، من هذه السنة، عن ثلاث وثمانين سنة وصلى عليه البربهاري رئيس الحنابلة، ودفن بمقابر باب الكوفة ومما أنشده له أبو علي القالي في الأمالي :

قلبي أرقُّ عليه من خَدَّيكا ... وفؤادي أوْهَى من قُوَى جفْنَيكا
لم ترِقُّ لِمَنْ يُعذِّبُ نفسَه ... ظُلْمًا ويعْطفُهُ هواهُ عَلَيْكا

قال ابن خلكان : وفي نفطويه، يقول أبو محمد عبد الله بن زيد بن علي بن الحسين الواسطي، المتكلم المشهور صاحب (الإمامة) ، (وإعجاز) القرآن، وغير ذلك من الكتب : مَنْ سَرَّهُ أن لا يرى فاسقًا، فليجتهد أن لا يرى نفطويه أحرقه الله بنصف اسمه، وصير الباقي صراخا عليه. قال الثعالبي : إنما سمي نفطويه لدمامته وقال ابن خالويه : لا يعرف من اسمه إبراهيم وكنيته أبو عبد الله سواه .

عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله أبو عبد الله الهاشمي العباسي

حدث عن بشار بن نصر الحلبي . وغيره . وعنه الدارقطني ، وغيره ، وكان ثقة فاضلا، فقيها شافعيا .

عبد الملك بن محمد بن عدي أبو نعيم الإستراباذي المحدث، الفقيه، الشافعي أيضاً، توفي عن ثلاث وثمانين سنة .

علي بن الفضل بن طاهر بن نصر بن محمد أبو الحسن البلخي، كان من الجوّالين في طلب الحديث، وكان ثقة حافظا، سمع أبا هاشم الرازي وغيره. وعنه الدارقطني، وغيره .

محمد بن أحمد بن أسد أبو بكر الحافظ، ويعرف بابن البستبنان. سمع الزبير بن بكار، وغيره، وعنه الدارقطني وغيره جاوز الثمانين .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وثلاثمائة

فيها جاءت الجند، فأحدقوا بدار الخلافة، وقالوا : ليخرج إلينا الخليفة الراضي بنفسه، فيصلي بالناس فخرج إليهم فصلى بهم، وخطبهم. وقبض الغلمان على الوزير ابن مقلة، وسألوا من الخليفة أن يستوزر غيره، فرد الخيرة، إليهم، فاختاروا علي بن عيسى فلم يقبل وأشار بأخيه عبد الرحمن بن عيسى فاستوزره وأحرقت دار ابن مقلة، وسلم هو إلى عبد الرحمن بن عيسى، فضرب ضربا عنيفاً، وأخذ خطه بألف ألف دينار، ثم عجز عبد الرحمن بن عيسى، فعزل بعد خمسين يومًا، وقلد الوزارة أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخي، فصادر علي بن عيسى بمائة ألف دينار، وصادر أخاه عبد الرحمن بن عيسى بسبعين ألف دينار، ثم عزل بعد ثلاثة أشهر ونصف، وقلد سليمان بن الحسين، ثم عزل بأبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات، وذلك في السنة الآتية، وأحرقت داره، كما أحرقت دار ابن مقلة، في يوم أحرقت تلك فيه، بينهما سنة واحدة، وهذا كله من تخبيط الأتراك والغلمان، ولما أحرقت دار ابن مقلة في هذه السنة، كتب بعض الناس، علي بعض جدرانها :

أحسنتَ ظنكَ بالأيامِ إذ حَسُنَــتْ	ولم تخفْ يـــومًا يـــأتي به القـــدرُ
وسالمتكَ الليالي فـــاغتررتَ بها	وعندَ صَفْوِ الليالي يحدثُ الكدرُ

وفيها : ضعف أمر الخلافة جداً، وبعث الراضي إلى محمد بن رائق ـــ وكان بواسط يدعوه إليه، ليوليه إمرة الأمراء ببغداد، وأمر الخراج، والمعاون في جميع البلاد، والدواوين، وأمر أن يخطب له على جميع المنابر، وأنفذ إليه بالخلع فقدم ابن رائق إلى بغداد، علي ذلك كله، ومعه الأمير بجكم التركي، غلام مرداويج وهو الذي ساعد على قتل مرداويج واستحوذ ابن رائق على أموال العراق بكماله، ونقل أموال بيت المال إلى داره، ولم يبق للوزير تصرف في شيء بالكلية. ووهى أمر الخلافة جداً، واستقل نواب الأطراف بالتصرف فيها، ولم يبق للخليفة حكم في غير بغداد ومعاملاتها. ومع هذا ليس له مع ابن رائق نفوذ في شيء، ولا تفرد بشيء، ولا كلمة تطاع، وإنما يحمل إليه ابن رائق، ما يحتاج إليه من الأموال، والنفقات، وغيرها وهكذا صار أمر من جاء بعده من أمراء الأكابر، كانوا لا يرفعون رأساً بالخليفة، وأمّا بقية الأطراف،

فالبصرة مع ابن رائق هذا، يولي فيها من شاء وخوزستان إلى أبي عبد الله البريدي، وقد غلب ابن ياقوت على ما كان بيده في هذه السنة من مملكة تستر وغيرها، واستحوذ على حواصلها، وأموالها. وأمر فارس إلى عماد الدولة - أبي الحسن علي - بن بويه وري وأصبهان والجبل بيد أخيه ركن الدولة بن بويه ينازعه في ذلك وشمكير أخوه مرداويج، وكرمان بيد أبي علي محمد ابن إلياس بن اليسع، وبلاد الموصل، والجزيرة، وديار بكر، ومضر، وربيعة مع بني حمدان، ومصر والشام في يد محمد بن طغج، وبلاد إفريقية، والمغرب في يد القائم بأمر الله ابن المهدي الدعي بأنه فاطمي، وقد تلقب بأمير المؤمنين والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد، الملقب بالناصر الأموي، وخراسان، وما وراء النهر في يد السعيد نصر بن أحمد الساماني، وطبرستان، وجرجان في يد الديلم، والبحرين، واليمامة، وهجر، في يد أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي، وفيها وقع ببغداد غلاء عظيم، وفناء كثير، بحيث عدم الخبز منها خمسة أيام، ومات من أهلها خلق كثير، وأكثر ذلك كان في الضعفاء، وكان الموتى يلقون في الطريق، ليس لهم من يقوم بهم، ويحمل علي الجنازة الواحدة الرجلان من الموتى، وربما يوضع بينهم صبي، وربما حفرت الحفرة الواحدة فتوسع حتى يوضع فيها جماعة. ومات من أهل أصبهان نحو من مائتي ألف إنسان، وفيها وقع حريق بعمان، أحرق فيها من السودان ألف، ومن البيضان خلق كثير، وكان جملة ما أحرق فيه أربعمائة حمل كافور، وعزل الخليفة أحمد بن كيغلغ عن نيابة الشام، وأضاف ذلك إلى ابن طغج نائب الديار المصرية. وفيها: ولد عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو ابن ركن الدولة بن بويه بأصبهان . وفيها توفي من الأعيان :

ابن مجاهد المقري

أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقري، أحد أئمة هذا الشأن حدث عن خلق كثير، وروى عنه الدراقطني، وغيره وكان ثقة مأمونا، وسكن الجانب الشرقي من بغداد، وكان ثعلب يقول : ما بقي في عصرنا أحد أعلم بكتاب الله منه، توفي يوم الأربعاء، وأخرج يوم الخميس، لعشر بقين من شعبان من هذه السنة. وقد رآه بعضهم في المنام، وهو يقرأ، فقال له : أما مت ؟ فقال: بلى، ولكن كنت أدعو الله عقب كل ختمة، أن أكون ممن يقرأ في قبره، فأنا ممن يقرأ في قبره رحمه الله .

جحظة الشاعر البرمكي

أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي، أبو الحسن النديم، المعروف بجحظة، الشاعر الماهر الأديب الإخباري، ذو الفنون في العلوم، والنوادر الحاضرة، وكان جيد الغناء ومن شعره :

قد نادَت الدنيا على نَفْسها لو كانَ في العالم مَنْ يَسْمَعُ
كمْ آملٍ خيبتْ آمالَهُ وجامع بددتْ ما يَجْمَعُ

وكتب له بعض الملوك رقعة، على صيرفي بمال أطلقه له، فلم يتحصل منها على شيء، وتعذر عليه قبضها، فكتب إلى الملك يذكر له ذلك .

إذا كانتْ صلتُكم رقاعًا تُخَطّطُ بالأنامل والأكفّ
فلا تُجْدِ الرقاعُ عليّ نفعاً فَهَا خطّي خُذُوه بألف ألف

ومن شعره يهجو صديقا له، ويذمه على شدة شحه وبخله وحرصه فقال :

لنا صاحبُ من أبرع الناسِ في البخلِ يُسمّي : بفضلِ وهو ليس بذي فضلِ
دعاني كما يدعو الصديقُ صديقَهُ فجئتُ كما يأتي إلى مثله مثلي
فلما جلسْنا للغداء رأيتُه يرى أنّما منْ بعضِ أعضائه أكلي
فيغتاظُ أحيانًا ويشتُمُ عبدَه فأعلمُ أنّ الغيظَ والشتمَ من أجلي
أمُدُّ يدي سرًّا لآكُلَ لقمةً فَيَلْحَظني شزرًا فأعبثُ بالبقلِ
إلى أنْ جَنَتْ كَفّي عليّ جناية وذلك أن الجوعَ أعدمَني عقلي
فأهوتْ يَميني نحو رِجْلِ دجاجة فجرّتْ لها رجلاً وجرّتْ يدي رِجْلي

ومن قوي شعره قوله :

رَحَلْتُمْ فكمْ مِنْ أنّة بعد حنّة مبيّنة للناس حزني عليكمو
وقد كنتُ أعتقتُ الجفونَ من البكا فَقَدْ رَدّها في الرقّ شوقي إليكمو

وقد أورد القاضي ابن خلكان من شعره الرائق قوله :

فقلتُ لها : بخلتِ عليّ يَقْظَى فَجُودي في المنام لمستهامِ
فقالتَ لي : وصرتَ تَنامُ أيضاً وتطمعُ أن أزورك في المنام ؟

قال : وإنما لقبه بجحظة عبد الله بن المعتز، وذلك لسوء منظره بمآقيه. قال بعض من هجاه :

ببيت جحظةَ تَسْعَينَّ جحوظةً من فيلِ شطرنجٍ ومن سرطانِ
وَارَحْمَتَا لمنادميه تحمّلُوا ألَمَ العيونِ للذّةِ الآذانِ

توفى سنة ست وعشرين. وقيل : أربع وعشرين وثلاثمائة بواسط .

ابن المغلس الفقية الظاهرى

المشهور. له المصنفات المفيدة في مذهبه. أخذ الفقه عن أبي بكر بن داود. وروى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، وعلي بن داود القنطري، وأبي قلابة الرياشي، وآخرين، وكان ثقة فقيها فاضلا، وهو الذي نشر علم داود، في تلك البلاد توفي بالسكتة .

أبو بكر بن زياد

النيسابوري عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون، أبو بكر الفقيه الشافعي النيسابوري، مولى أبان بن عثمان، رحل إلى العراق، والشام، ومصر، وسكن بغداد، حدث عن محمد بن يحيى الذهلي، وعباس الدوري، وخلق، وعنه الدارقطني، وغير واحد من الحفاظ، قال الدارقطني : لم ير في مشايخنا أحفظ منه للأسانيد، والمتون. وكان أفقه المشايخ، جالس المزني، والربيع. وقال عبد الله بن بطة : كنا نحضر مجلس ابن زياد، وكان يحرز من يحضره، من أصحاب المحابر ثلاثين ألفاً، وقال الخطيب : أخبرنا أبو سعد الماليني، أنبأ يوسف بن عمر بن مسرور، سمعت أبا بكر بن زياد النيسابوري يقول : أعرف من قام الليل أربعين سنة، لم ينم إلا جاثياً، ويتقوت كل يوم خمس حبات، ويصلي صلاة الغد بطهارة العشاء، ثم يقول : أنا هو، كنت أفعل هذا كله، قبل أن أعرف أم عبد الرحمن ـــ يعني أم ولده ـــ أيش أقول لمن زوجني؟، ثم قال في إثر هذا : ما أراد إلا الخير. توفي في هذه السنة عن ست وثمانين سنة .

عفان بن سليمان

ابن أيوب أبو الحسن التاجر، أقام بمصر، وأوقف بها أوقافا داره علي أهل الحديث، وعلى سلالة العشرة رضي الله عنهم، وكان تاجراً موسعا عليه في الدنيا، مقبول الشهادة عند الحكام. توفي في شعبان منها .

أبو الحسن الأشعري

قدم بغداد، وأخذ الحديث عن زكريا بن يحيى الساجي، وتفقه بابن سريج. وقد ذكرنا ترجمته في (طبقات الشافعية) . وذكر ابن خلكان أنه كان يجلس في حلقة الشيخ أبي إسحاق المروزي، وقد كان الأشعري معتزليًا، فتاب منه بالبصرة، فوق المنبر، ثم أظهر فضائح المعتزلة، وقبائحهم، وذكر له من التصانيف الموجز، وغيره، وحكيعن ابن حزم أنه قال : للأشعري خمسة وخمسون تصنيفاً وذكر أن مغلّه كان في كل سنة سبعة عشر ألف درهم، وأنه كان من أكثر الناس دعابة، وأنه ولد سنة سبعين ومائتين، وقيل : سنة ستين ومائتين، ومات في هذه السنة، وقيل : في سنة ثلاثين، وقيل : في سنة بضع وثلاثين وثلاث مائة فالله أعلم .

محمد بن الفضل بن عبد الله، أبو ذر التميمي، كان رئيس جرجان، سمع الكثير وتفقه بمذهب الشافعي، وكانت داره مجمع العلماء، وله أفضال كثير، على طلبة العلم، من أهل زمانه.

هارون بن المقتدر، أخو الخليفة الراضي، توفي في ربيع الأول منها، فحزن أخوه الراضي، وأمر بنفي بختيشوع بن يحيى المتطبب إلى الأنبار، لأنه اتهم في علاجه، ثم شفعت فيه أم الراضي فرده .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وثلاثمائة

في المحرم منها خرج الخليفة الراضي، وأمير الأمراء محمد بن رائق، من بغداد قاصدين واسط، لقتال أبي عبد الله البريدي، نائب الأهواز، الذي قد تجبر بها، ومنع الخراج، فلما سار ابن

رائق إلى واسط، خرج الحجون، فقاتلوه، فسلط عليهم بجكم، فطحنهم، ورجع فَلّهم إلى بغداد، فتلقاهم لؤلؤ أمير الشرطة، فاحتاط علي أكثرهم، ونهبت دورهم، ولم يبق لهم رأس يرتفع، وقطعت أرزاقهم من بيت المال بالكلية. وبعث الخليفة وابن رائق إلى أبي عبد الله البريدي، يتهددانه، فأجاب إلى حمل كل سنة ثلاثمائة ألف وستين ألف دينار يقوم بها، تحمل كل شهر على حدته، وإلى أن يجهز جيشا إلى قتال عضد الدولة بن بويه. فلما رجع الخليفة وابن رائق إلى بغداد، لم يحمل شيئا، ولم يبعث أحدًا، ثم بعث ابن رائق بجكم وبدرًا الحسيني، لقتال البريدي، فجرت بينهم حروب وخطوب، وأمور يطول ذكرها، ثم لجأ البريدي إلى عماد الدولة، واستجار به، واستحوذ بجكم علي بلاد الأهواز، وجعل إليه ابن رائق خراجها، وكان بجكم هذا شجاعا فاتكا، وفي ربيع الأول خلع الخليفة علي بجكم، وعقد له الإمارة ببغداد، وولاه نيابة المشرق إلى خراسان. وفيها توفي من الأعيان .

أحمد بن محمد بن الحسن

أبو حامد الشرقي، مولده سنة أربعين ومائتين، وكان حافظاً كبير القدر، كثير الحفظ، كثير الحج. رحل إلى الأمصار، وجاب الأقطار، وسمع من الكبار نظر إليه ابن خزيمة يومًا. فقال: حياة أبي حامد تحول بين الناس وبين الكذب على رسول الله ﷺ .

عبد الله بن محمد بن سفيان أبو الحسن الخزاز النحوي، حدث عن المبرد، وثعلب، وكان ثقة له مصنفات في علوم القرآن، غزيرة الفوائد. محمد بن إسحاق بن يحيى أبو الطيب النحوي، قال أبو الوفا: له مصنفات مليحة في الأخبار. وقد حدث عن الحارث بن أبي أسامة ، والمبرد ، وثعلب، وغيرهم ــ محمد بن هارون أبو بكر العسكري، الفقيه علي مذهب أبي ثور، روى عن الحسن بن عرفة، وعباس الدوري، وعن الدارقطني، والآجري، وغيرهما. والله أعلم .

ثم دخلت سنة ست وعشرين وثلاثمائة

فيها: ورد كتاب من ملك الروم، إلى الراضي، مكتوب بالرومية، والتفسير بالعربية، فالرومي بالذهب، والعربي بالفضة، وحاصله، طلب الهدنة بينه وبينه، ووجّه مع الكتاب بهدايا، وألطاف كثيرة فاخرة، فأجابه الخليفة إلى ذلك، وفودي من المسلمين ستة آلاف أسير، ما بين ذكر وأنثى علي نهر البدندون. وفيها: ارتحل الوزير أبو الفتح بن الفرات، من بغداد إلى الشام، وترك الوزارة، فوليها أبو علي بن مقلة، وكانت ولايته ضعيفة جداً، ليس له من الأمر شيء مع ابن رائق، وطلب من ابن رائق، أن يفرغ له عن أملاكه، فجعل يماطله، فكتب إلى بجكم، يطمعه في بغداد، وأن يكون عوضا عن ابن رائق، وكتب ابن مقلة أيضا إلى الخليفة الراضي يطلب منه أن يسلم إليه محمد بن رائق ، وابن مقاتل ويضمنهم بألفي ألف دينار، فبلغ ذلك ابن رائق، فأخذه، فقطع يده، وقال : هذا أفسد في الأرض ثم جعل يُحَسّنُ للراضي، أن يستوزره، وأن

قطع يده، لا يمنعه من الكتابة، وأنه يشد القلم على يده اليمنى المقطوعة، فيكتب بها، ثم بلغ ابن رائق، أنه قد كتب إلى بجكم بما تقدم، وأنه يدعو عليه، فأخذه فقطع لسانه، وسجنه في مكان ضيق، وليس عنده من يخدمه، فكان يستقي الماء بنفسه، يتناول الدلو بيده اليسرى، ثم يمسكه بفيه، ثم يجذب باليسرى، ثم يمسك بفيه، إلى أن يستقي، ولقي شدة وعناء، ومات في محبسه هذا وحيداً، فدفن فيه. ثم سأل أهله نقله، فدفن في داره، ثم نقل منها إلى غيرها، فاتفق له أشياء غريبة : منها أنه وزر ثلاث مرات، وعزل ثلاث مرات، وولّي لثلاث من الخلفاء، ودفن ثلاث مرات، وسافر ثلاث سفرات، مرتين منفياً، ومرة إلى الموصل، كما تقدم. وفيها دخل بجكم بغداد، فقلده الراضي إمرة الأمراء، مكان ابن رائق، وقد كان بجكم هذا من غلمان أبي علي العارض، وزير ما كان بن كالي الديلمي فاستوهبه ما كان من الوزير، فوهبه له، ثم فارق ما كان، ولحق بمرداويج، وكان في جملة من قتله في الحمام كما تقدم، فلما ولاه الخليفة، إمرة الأمراء، أسكن في دار مؤنس الخادم، وعظم أمره جدًا، وانفصل ابن رائق، وكانت أيامه سنة وعشرة أشهر وستة عشر يومًا. وفيها: بعث عماد الدولة بن بويه، أخاه معز الدولة، فأخذ الأهواز لأبي عبد الله البريدي، وانتزاعها من يد بجكم، وأعادها إليه وفيها استولى لشكري أحد أمراء وشمكير الديلمي، علي بلاد أذربيجان، وانتزعها من رستم بن إبراهيم الكردي، أحد أصحاب ابن أبي الساج، بعد قتال طويل. وفيها : اضطرب أمر القرامطة جداً، وقتل بعضهم بعضا، وانكفوا بسبب ذلك عن التعرض للفساد في الأرض، ولزموا بلدهم هجر، لا يرومون منه انتقالا إلى غيره، ولله الحمد والمنة .

وفيها توفي : أحمد بن زياد بن عبد الرحمن الأندلسي، كان أبوه من أصحاب مالك، وهذا الرجل هو أول من أدخل فقه مالك إلى الأندلس، وقد عرض عليه القضاء بها، فلم يقبل .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وثلاثمائة

في المحرم منها: خرج الراضي بالله أمير المؤمنين، إلى الموصل لمحاربة ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان نائبها، وبين يديه بجكم أمير الأمراء، وقاضي القضاة أبو الحسين عمر بن محمد بن يوسف، وقد استخلف علي بغداد ولده القاضي - أبا نصر يوسف بن عمر - في منصب القضاء، عن أمر الخليفة له بذلك وكان فاضلا عالما، ولما انتهى بجكم إلى الموصل والجزيرة، واقع الحسن بن عبد الله بن حمدان، فهزم بجكم ابن حمدان، وقرر الخليفة الموصل والجزيرة، وولي فيها، وأما محمد بن رائق، فإنه اغتنم غيبة الخليفة عن بغداد، واستحاش بألف من القرامطة، وجاء بهم، فدخل بغداد، فأكثر فيها الفساد، غير أنه لم يتعرض لدار الخلافة، ثم بعث إلى الخليفة، يطلب منه المصالحة، والعفو عما جنى، فأجابه إلى ذلك، وبعث إليه قاضي القضاة أبا الحسين عمر بن يوسف، وترحل ابن رائق عن بغداد، ودخلها الخليفة في جمادى الأولى، ففرح المسلمون بذلك. ونزل عند غروب الشمس أول ليلة من شهر أذار في جمادى الأولى مطر

عظيم، وبرد كبار كل واحدة نحو أوقيتين، واستمر، فسقط بسببه، دور كثيرة من بغداد، وظهر جراد كثير، في هذه السنة، وكان الحج من جهة درب العراق، قد تعطل من سنة سبع عشرة وثلاثمائة إلى هذه السنة، فشفع في الناس الشريف أبو علي محمد بن يحيى العلوي عند القرامطة، وكانوا يحبونه، لشجاعته، وكرمه في أن يمكنهم من الحج، وأن يكون لهم علي كل جمل خمسة دنانير، وعلى المحمل سبعة دنانير، فاتفقوا معه علي ذلك، فخرج الناس للحج هذه السنة علي هذا الشرط، فكان في جملة من خرج الشيخ أبو علي بن أبي هريرة أحد أئمة الشافعية، فلما احتاز بهم طالبوه بالخفارة، فثنى رأس راحلته، ورجع، وقال : ما رجعت شحا، ولكن سقط عني وجوب الحج، بطلب هذه الخفارة وفي هذه السنة وقعت فتنة بالأندلس، وذلك أن عبد الرحمن الأموي، صاحب الأندلس، الملقب بالناصر لدين الله، قتل وزيره أحمد، فغضب له أخوه أمية بن إسحاق ــ وكان نائبًا علي مدينة شنترين ــ فارتد، ودخل بلاد النصارى، واجتمع بملكهم ردمير، ودلّهم علي عورات المسلمين، فسار إليهم في جيش كثيف من الجلالقة، فخرج إليهم عبد الرحمن، فأوقع بهم بأساً شديداً، وقتل من الجلالقة خلقاً كثيرا، ثم كرّ الفرنج على المسلمين، فقتلوا منهم خلقًا كثيراً، قريباً ممن قتلوا منهم، ثم والى المسلمون الغارات، علي بلاد الجلالقة، فقتلوا منهم أمما لا يحصون كثرة ، ثم ندم أمية بن إسحاق علي ما صنع ، وطلب الأمان من عبد الرحمن، فبعث إليه بالأمان، فلما قدم عليه قبله واحترمه . وفيها توفي من الأعيان :

الحسن بن القاسم بن جعفر بن رحيم

أبو علي الدمشقي، من أبناء المحدثين، كان أخباريا له في ذلك مصنفات، وقد حدث عن العباس بن الوليد البيروتي، غيره. وتوفي بمصر في محرم هذه السنة وقد أناف على الثمانين سنة .

الحسين بن القاسم بن جعفر بن محمد بن خالد بن بشر أبو علي الكوكبي الكاتب، صاحب الأخبار، والآداب، روى عن أحمد بن أبي خيثمة، وأبي العيناء، وابن أبي الدنيا. روى عنه الدارقطني، وغيره .

عثمان بن الخطاب

ابن عبد الله أبو عمر البلوي، المغربي الأشج، ويعرف بأبي الدنيا. قدم هذا الرجل بغداد بعد الثلاثمائة، وزعم أنه ولد أول خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ببلاد المغرب، وأنه وفد هو وأبوه على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فأصابهم في الطريق عطش، فذهب يرتاد لأبيه ماء، فرأى عينا، فشرب منها، واغتسل، ثم جاء لأبيه ليسقيه، فوجده قد مات، وقدم هو عَلَى عليّ بن أبي طالب، فأراد أن يقبل ركبته، فصدمه الركاب، فشج رأسه، فكان يعرف بالأشج، وقد زعم صدقه في هذا الذي زعمه طائفة من الناس، ورووا عنه نسخة فيها أحاديث من روايته عن علي، وممن صدقه في ذلك الحافظ محمد بن أحمد بن المفيد، ورواها عنه، ولكن كان المفيد متهما بالتشيع، فسمع له بذلك، لانتسابه إلى عليٍّ، وأما جمهور المحدثين، قديماً وحديثاً ، فكذبوه

في ذلك، وردوا عليه كذبه، ونصوا على أن النسخة التي رواها موضوعة، ومنهم أبو طاهر أحمد ابن محمد السلفي، وأشياخنا الذين منهم : جهبذ الوقت شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية، والجهبذ أبو الحجاج المزي، والحافظ مؤرخ الإسلام أبو عبد الله الذهبي، وقد حررت ذلك في كتابي التكميل، ولله الحمد والمنة وقال المفيد : إن الأشج هذا مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، وهو راجع إلى بلده، والله أعلم .

محمد بن جعفر بن محمد بن سهل

أبو بكر الخراطي ، أصله من أهل " سُرَّ مَنْ رَأى " ، وسكن الشام، وحدث بها .

وممن توفي فيها : الحافظ الكبير ابن الحافظ الكبير أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد ابن إدريس الرازي، صاحب كتاب (الجرح والتعديل) ، وهو من أجل الكتب المصنفة، في هذا الشأن، وله التفسير الحافل، الذي اشتمل على النقل الكامل، الذي يربو فيه على تفسير ابن جرير الطبري، وغيره من المفسرين إلى زماننا، وله كتاب العلل المصنفة المرتبة على أبواب الفقه، وغير ذلك من المصنفات النافعة، وكان من العبادة، والزهادة، والورع والحفظ، والكرامات الكثيرة، المشهورة على جانب كبير، رحمه الله . وقد صلىٰ مرة، فلما سلم، قال له رجل، من بعض من صلى معه : لقد أطلت علينا ، ولقد سبحت في سجودي سبعين مرة. فقال عبد الرحمن : لكني والله ما سبحت إلا ثلاثا. وقد انهدم سور بلد، في بعض بلاد الثغور، فقال عبد الرحمن بن أبي حاتم للناس : أما تبنوه؟ وقد حثهم على عمارته، فرأى عندهم تأخراً فقال : من يبنيه وأضمن له على الله الجنة ؟ فقام رجل من التجار، فقال : اكتب لي خطك بهذا الضمان، وهذه ألف دينار لعمارته فكتب له رقعة بذلك، فعمر ذلك السور، ثم اتفق موت ذلك الرجل التاجر عما قريب، فلما حضر الناس جنازته ، طارت من كفنه رقعة، فإذا هي التي كان كتبها له ابن أبي حاتم ثم عادت وقد كتب ، في ظهرها : قد أمضينا لك هذا الضمان ، ولا تعد إلى ذلك . والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة

قال ابن الجوزي في منتظمه : في غرة المحرم منها، ظهرت في الجو، حمرة شديدة، في ناحية الشمال والمغرب، وفيها أعمدة بيض عظيمة كثيرة العدد. وفيها وصل الخبر، بأن ركن الدولة، أبا علي الحسن بن بويه، قد وصل إلى واسط، فركب الخليفة وبجكم إلى حربه فخاف فانصرف راجعاً، إلى الأهواز، ورجعا إلى بغداد. وفي هذه السنة ملك ركن الدولة بن بويه مدينة أصبهان، أخذها من وشمكير أخي مرداويج، لقلة جيشه في ذلك الحين، وفي شعبان منها زادت دجلة، زيادة عظيمة، وانتشرت في الجانب الغربي، وسقطت دور كثيرة، وانبثق بثق من نواحي الأنبار، فغرّق قرى كثيرة، وهلك بسببه حيوان وسباع كثيرة في البرية، وفيها: تزوج بجكم بسارة

بنت عبد الله البريدي ومحمد بن أحمد بن يعقوب الوزير يومئذ ببغداد، ثم صرف عن الوزارة بسليمان بن الحسن، وضمن البريدي بلاد واسط وأعمالها بستمائة ألف دينار .

وفيها: توفي قاضي القضاة أبو الحسن عمر بن محمد بن يوسف، وتولّى مكانه ولده أبو نصر يوسف بن عمر بن محمد بن يوسف، وخلع عليه الخليفة الراضي، يوم الخميس لخمس بقين من شعبان منها، ولما خرج أبو عبد الله البريدي إلى واسط، كتب إلى بجكم يحثه على الخروج إلى بلاد الجبل، ليفتحها، ويساعده هو على أخذ الأهواز، من يد عماد الدولة بن بويه، وإنما كان مقصوده، أن يبعده عن بغداد، ليأخذها منه. فلما انفصل بجكم بالجنود، بلغه ما يريده من المكيدة به، فرجع سريعًا إلى بغداد، وركب في جيش كثيف إليه، وأخذ الطرق عليه، من كل جانب لئلا يشعر به، إلا وهو عليه فاتفق أن بجكماً كان راكبا في زورق، وعنده كاتب له، إذ سقطت حمامة في ذنبها كتاب ، فأخذه بجكم، فقرأه، فإذا فيه كتاب من هذا الكاتب إلى أصحاب البريدي، يعلمهم بخبر بجكم، فقال له بجكم : ويحك ! هذا خطك ؟ قال : نعم ! و لم يقدر أن ينكر، فأمر بقتله، فقتل، وألقي في دجلة ولما أحس البريدي، بقدوم بجكم، هرب إلى البصرة، و لم يقم بها أيضًا، بل هرب منها إلى غيرها واستولى بجكم على بلاد واسط، وتسلط الديلم على جيشه، الذين خلفهم بالجبل، ففروا سراعا إلى بغداد. وفي هذه السنة استولى محمد ابن رائق علي بلاد الشام ، فدخل حمص أولا ، فأخذها ، ثم جاء إلى دمشق وعليها بدر بن عبد الله الأخشيد، المعروف ببدر الأخشيد، وهو محمد بن طغج، فأخرجه ابن رائق من دمشق قهراً، واستولى عليها. ثم ركب ابن رائق في جيش إلى الرملة، فأخذها، ثم إلى عريش مصر فأراد دخولها، فلقيه محمد بن طغج الأخشيد، فاقتتلا هناك، فهزمه ابن رائق، واشتغل أصحابه بالنهب، ونزلوا بخيام المصريين، فكر عليهم المصريون فقتلوهم قتلا عظيما، وهرب ابن رائق في سبعين رجلا من أصحابه، فدخل دمشق في أسوأ حال وشرها، وأرسل له ابن طغج أخاه نصر بن طغج، في جيش، فاقتتلوا عند اللجون في رابع ذي الحجة، فهزم ابن رائق المصريين، وقتل أخو الأخشيد فيمن قتل، فغسله ابن رائق، وكفنه، وبعث به إلى أخيه بمصر، وأرسل معه ولده، وكتب إليه، يحلف أنه ما أراد قتله، ولقد شق عليه، وهذا ولدي فاقتد منه فأكرم الأخشيد ولد محمد بن رائق، واصطلحا على أن تكون الرملة، وما بعدها إلى ديار مصر للأخشيد، ويحمل إليه الأخشيد، في كل سنة، مائة ألف دينار وأربعين ألف دينار، وما بعد الرملة إلى جهة دمشق، تكون لابن رائق. وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو محمد جعفر المرتعش

أحد مشايخ الصوفية، كذا ذكره الخطيب وقال أبو عبد الرحمن السلمي : اسمه عبد الله بن محمد أبو محمد النيسابوري، كان من ذوي الأموال، فتخلى منها، وصحب الجنيد، وأبا حفص، وأبا عثمان، وأقام ببغداد، حتى صار شيخ الصوفية، فكان يقال : عجائب بغداد ثلاث :

إشارات الشبلي، ونكت المرتعش، وحكايات جعفر الخواص. سمعت أبا جعفر الصائغ يقول : قال المرتعش : من ظن أن أفعاله تنجيه من النار، أو تبلغه الرضوان، فقد جعل لنفسه، وفعله، خطرا، ومن اعتمد على فضل الله بلغه الله أقصى منازل الرضوان، وقيل للمرتعش : إن فلانا يمشي علي الماء. فقال : إن مخالفة الهوى، أعظم من المشي على الماء، والطيران في الهواء، ولما حضرته الوفاة، وهو بمسجد الشونيزية، حسبوا ما عليه من الدين، فإذا عليه سبعة عشر درهماً، فقال : بيعوا خريقاتي هذه، واقضوا بها ديني، وأرجو من الله تعالى، أن يرزقني كفنا، وقد سألت الله ثلاثا : أن يميتني فقيرا، وأن يجعل وفاتي في هذا المسجد، فإني صحبت فيه أقواما، وأن يجعل عندي من آنس به وأحبه. ثم أغمض عينيه، ومات .

أبو سعيد الأصطخري الحسن بن أحمد

ابن يزيد بن عيسى بن الفضل بن يسار، أبو سعيد الأصطخري أحد أئمة الشافعية، كان زاهدًا ناسكًا عابدًا، ولي القضاء بقم، ثم حسبة بغداد، فكان يدور بها، ويصلي على بغلته، وهو دائر بين الأزقة، وكان مستقلا جداً، وقد ذكرنا ترجمته في طبقات الشافعية، وله كتاب القضاء، لم يصنف مثله في بابه، توفي وقد قارب التسعين رحمه الله .

علي بن محمد أبو الحسن المزين الصغير

أحد مشايخ الصوفية، أصله من بغداد، وصحب الجنيد، وسهلا التستري، وجاور بمكة، حتى توفي في هذه السنة، وكان يحكي عن نفسه، قال : وردت بئرا في أرض تبوك، فلما دنوت منها، زلقت فسقطت في البئر، وليس أحد يراني. فلما كنت في أسفله، إذا فيه مصطبة، فتعلقت بها، وقلت : إن مت لم أفسد على الناس الماء وسكنت نفسي وطابت للموت فبينا أنا كذلك إذا أفعى قد تدلت علي، فلفت علي ذنبها ثم رفعتني، حتى أخرجتني إلى وجه الأرض، وانسابت فلم أدر أين ذهبت؟. ولا من أين جاءت؟. وفي مشايخ الصوفية، آخر يقال له : أبو جعفر المزين الكبير، جاور بمكة، ومات بها أيضا، وكان من العباد. روى الخطيب عن علي بن أبي علي إبراهيم بن محمد الطبري، عن جعفر الخلدي : قال : ودعت في بعض حجاتي المزين الكبير، فقلت له : زوّدني. فقال لي : إذا فقدت شيئا، فقل يا جامع الناس، ليوم لا ريب فيه، إن الله لا يخلف الميعاد، اجمع بيني وبين كذا، فإن الله يجمع بينك، وبين ذلك الشيء قال : فجئت إلى الكتاني، فودعته، وسألته أن يزودني، فأعطاني خاتما، على فصه نقش، فقال : إذا اغتممت، فانظر إلى فص هذا الخاتم، يزول غمك. قال : فكنت لا أدعو بذلك الدعاء، إلا استجيب لي، ولا أنظر في ذلك الفص، إلا زال عني ما أجده من غم، فبينا أنا ذات يوم في سمرية، إذا هبت ريح شديدة، فأخرجت الخاتم لأنظر إليه، فلم أدر كيف ذهب؟ فجعلت أدعو بذلك الدعاء يومي كله أجمع، أن يجمع على الخاتم، فلما رجعت إلى المنـــزل، فتشت المتاع الذي في المنـــزل، فإذا الخاتم في بعض ثيابي، التي كانت بالمنـــزل .

صاحب كتاب العقد الفريد ــ أحمد بن عبد ربه

ابن حبيب بن جرير بن سالم أبو عمر القرطبي، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي. كان من الفضلاء المكثرين، والعلماء بأخبار الأولين، والمتأخرين، وكتابه العقد، يدل على فضائل جمة، وعلوم كثيرة مهمة، ويدل كثير من كلامه على تشيع فيه، وميل إلى الحط على بني أمية، وهذا عجيب منه، لأنه أحد مواليهم، وكان الأولى به، أن يكون ممن يواليهم، لا ممن يعاديهم. قال ابن خلكان : وله ديوان شعر حسن، ثم أورد منه أشعاراً، في التغزل في المردان والنسوان أيضاً. وكان مولده في رمضان سنة ست وأربعين ومائتين، وتوفي بقرطبة، يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى، من هذه السنة .

عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب

ابن حماد بن زيد بن درهم، أبو الحسين الأزدي، الفقيه المالكي، القاضي ابن القاضي، ناب عن أبيه وعمره عشرون سنة، وكان حافظا للقرآن والحديث والفقه على مذهب مالك والفرائض، والحساب، واللغة، والنحو، والشعر، وصنف مسنداً، فرزق قوة الفهم، وجودة القريحة، وشرف الأخلاق، وله الشعر الرائق الحسن، وكان مشكور السيرة في القضاء عدلا ثقة إماماً. قال الخطيب : أخبرنا أبو الطيب الطبري، سمعت المعافى بن زكريا الجريري يقول : كنا نجلس في حضرة القاضي أبي الحسين فجئنا يوما ننتظره على العادة، فجلسنا عند بابه، وإذا أعرابي جالس، كأن له حاجة، إذ وقع غراب على نخلة في الدار، فصرخ ثم طار. فقال الأعرابي: إن هذا الغراب يخبر أن صاحب هذه الدار يموت، بعد سبعة أيام. قال: فزبرناه فقام وانصرف، ثم خرج الإذن من القاضي أن هلموا، فدخلنا، فوجدناه متغير اللون مغتما، فقلنا له : ما الخبر ؟ فقال : إني رأيت البارحة في المنام شخصا يقول :

منازل آلِ حَمّادِ بنِ زيدٍ   على أهليكِ والنّعم السلامُ

وقد ضاق لذلك صدري. قال : فدعونا له، وانصرفنا فلما كان اليوم السابع من ذلك اليوم، دفن وقد كانت وفاته يوم الخميس لسبع عشرة مضت من شعبان من هذه السنة، وله من العمر تسع وثلاثون سنة، وصلى عليه ابنه أبو نصر ، وولي بعده القضاء، قال الصولي : بلغ القاضي أبو الحسين من العلم مبلغا عظيما مع حداثة سنه، وحين توفي كان الخليفة الراضي يبكي عليه، ويحرضنا، ويقول : كنت أضيق بالشيء ذرعا، فيوسعه علي، ثم يقول : والله لا بقيت بعده. فتوفي الراضي بعده في نصف ربيع الأول من هذه السنة الآتية رحمهما الله وكان الراضي أيضاً حدث السن .

ابن شنبوذ المقري

محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت أبو الحسن المقري المعروف بابن شنبوذ. روى عن أبي مسلم الكجّي، وبشر بن موسى، وخلق، وكان يختارحروفا فى القراءات أنكرت عليه، وصنف

أبو بكر الأنباري كتابا في الرد عليه، وقد ذكرنا فيما تقدم كيف أنه عقد له مجلس، في دار الوزير ابن مقلة ، وأنه ضرب، حتى رجع عن كثير منها، وكانت قراءات شاذة، أنكرها عليه قراء أهل عصره. توفي في صفر منها، وقد دعا ابن شنبوذ على ابن مقلة، حين أمر بضربه، فلم يفلح ابن مقلة بعدها، بل عوقب بأنواع من العقوبات. وقطعت يده ولسانه، وحبس حتى مات في هذه السنة، التي مات فيها ابن شنبوذ وهذه ترجمة ابن مقلة الوزير أحد الكتاب المشاهير وهو .

محمد بن علي بن الحسن بن عبد الله

أبو علي المعروف بابن مقلة الوزير، وقد كان في أول عمره ضعيف الحال، قليل المال، ثم آل به الحال، إلى أن ولي الوزارة، لثلاثة من الخلفاء المقتدر، والقاهر، والراضي، وعزل ثلاث مرات، وقطعت يده ولسانه، في أخر عمره، وحبس، فكان يستقي الماء بيده اليسرى، وأسنانه، وكان مع ذلك يكتب بيده اليمنى مع قطعها، كما كان يكتب بها، وهي صحيحة. وقد كان خطة من أقوى الخطوط، كما هو مشهور عنه وقد بني له داراً في زمان وزارته، وجمع عند بنيانها، خلقا من المنجمين، فاتفقوا على وضع أساسها في الوقت الفلاني، فأسس جدرانها بين العشاءين، كما أشار به المنجمون فما لبث بعد استتمامها إلا يسيرا حتى خربت وصارت كوماً، كما ذكرنا ذلك، وذكرنا ما كتبوا على جدرانها. وقد كان له بستان كبير جدا، عدة أجزبة — أي فدادين — وكان على جميعه شبكة من إبريسم، وفيه أنواع الطيور، من القماري، والهزار،والببغ، والبلابل، والطواويس وغير ذلك شيء كثير، وفي أرضه من الغزلان، وبقر الوحش، والنعام، وغير ذلك شيء كثير أيضا ثم صار هذا كله عما قريب بعد النضرة، والبهجة، والبهاء إلى الهلاك والبوار والفناء، والزوال. وهذه سنة الله في المغترين، الجاهلين الراكنين إلى دار الفناء، والغرور. وقد أنشد فيه بعض الشعراء، حين بنى داره، وبستانه، وما اتسع فيه من متاع الدنيا:

قُلْ لابن مقلةَ : لا تكنْ عَجِـــلاً	واصـــبرْ فإنّك في أضْغَـــاثِ أحلامِ
تبني بأحجرِ دورِ النـــاسِ مجتهـــداً	داراً ستُهْدَمُ قنصاً بعـــدَ أيـــامِ
ما زلتَ تختارُ سعدَ المشـــتَرَي لها	فكم نحوسٍ به مِـــنْ نَحْسِ بهْـــرامِ
إن القرآنَ وبطليموسَ مـــا اجْتمعَـــا	في حالِ نقضٍ ولا في حالِ إبـــرامِ

فعزل ابن مقلة عن وزارة، بغداد، وخربت داره، وانقلعت أشجاره، وقطعت يده، ثم قطع لسانه، وصودر بألف ألف دينار، ثم سجن وحده، ليس معه من يخدمه، مع الكبر، والضعف، والضرورة، وانعدام بعض أعضائه، حتى كان يستقي الماء بنفسه، من بئر عميق، فكان يدلي الحبل، بيده اليسرى، ويمسكه بفيه، وقاسى جهداً جهيداً بعد ما ذاق عيشاً رغيداً. ومن شعره في يده :

مَا سَئِمْتُ الحياةَ، لكـــن بأيمانهم	توثقـــتُ فَبَـــانَتْ يَمـــيني

بِعْتُ ديني لهم بـــدنيَايَ حــتى حَرَمُوني دُنيــاهُمُ بعـــدَ ديني
ولقد حَفِظْتُ ما استطعتُ بجهدي حفظَ أرواحِهم فما حَفِظُـــوني
ليس بَعْـدَ اليمينِ لَذَّةُ عيـــشٍ يا حيــاتي بانــتْ يميني فَبِيـــني

وكان يبكي على يده كثيراً، ويقول : كتبت بها القرآن مرتين، وخدمت بها ثلاثة من الخلفاء، تقطع كما تقطع أيدي اللصوص، ثم ينشد :

إذا ما ماتَ بعضُكَ فابْكِ بعضاً فإنَّ البعضَ مـــنْ بعضٍ قريبُ

وقد مات عفا الله عنه ، في محبسه هذا، ودفن في دار السلطان، ثم سأل ولده أبو الحسين أن يحول إلى عنده، فنبشوه، ودفنه ولده عنده في داره. ثم سألت زوجته المعروفة بالدينارية، أن يدفن في دارها، فأجيبت إلى ذلك، فنبش، ودفن عندها فهذه ثلاث مرات توفي وله من العمر ست وخمسون سنة .

أبو بكر بن الأنباري

محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة أبو بكر الأنباري، صاحب كتاب الوقف والابتداء، وغيره من الكتب النافعة، والمصنفات الكثيرة،. كان من بحور العلم في اللغة والعربية والتفسير والحديث وغير ذلك، سمع الكديمي، وإسماعيل القاضي، وثعلبا، وغيرهم، وكان ثقة صدوقا أديبا، دينا فاضلا، من أهل السنة. كان من أعلم الناس بالنحو والأدب، وأكثرهم حفظا له، وكان له من المحافيظ مجلدات عظيمة كثيرة، أحمال جمال، وكان لا يأكل إلا النقالي ولا يشرب ماء، إلا قريب العصر مراعاة لحفظه، ويقال: إنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً، وحفظ تعبير الرؤيا في ليلة، وكان يحفظ في كل جمعة عشرة آلاف ورقة، وكانت وفاته ليلة عيد النحر من هذه السنة .

أم عيسى بنت إبراهيم الحربي ، كانت عالمة فاضلة، تفتي في الفقه، توفيت في رجب، ودفنت إلى جانب أبيها، رحمهما الله تعالى .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وثلاثمائة

في المنتصف من ربيع الأول، منها كانت وفاة الخليفة الراضي بالله، أمير المؤمنين أبو العباس أحمد بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد العباسي استخلف بعد عمه القاهر لست خلون من جمادى الأولى سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة، وأمه أم ولد رومية تسمى: ظلوم كان مولده في رجب سنة سبع وتسعين ومائتين، وكانت خلافته ست سنين، وعشرة أشهر، وعشرة أيام، وعمره يوم مات إحدى وثلاثين سنة وعشرة أشهر، وكان أسمر رقيق السمرة، ذري اللون أسود الشعر سبطه، قصير القامة، نحيد

الجسم،في وجهه طول، وفي مقدم لحيته تمام، وفي شعرها رقة، هكذا وصفه من شاهده. قال الخطيب البغدادي : كان للراضي فضائل كثيرة، وختم الخلفاء في أمور عدة : منها أنه كان آخر خليفة له شعر، وآخرهم انفرد بتدبير الجيوش والأموال، وآخر خليفة خطب على المنبر يوم الجمعة، وآخر خليفة جالس الجلساء، ووصل إليه الندماء، وآخر خليفة كانت نفقته، وجوائزه، وعطاياه وجراياته وخزائنه ومطابخه ومجالسه وخدمه، وحجابه وأموره كلها، تجري على ترتيب المتقدمين من الخلفاء، وقال غيره : كان فصيحاً، بليغا، كريما، جوادا، ممدحا، ومن جيد كلامه الذي سمعه منه محمد بن يحيى الصولي : لله أقوام هم مفاتيح الخير، وأقوام، هم مفاتيح الشر، فمن أراد الله به خيراً، قصد به أهل الخير، وجعله الوسيلة إلينا، فنقضي حاجته، وهو الشريك في الثواب، والأجر، والشكر، ومن أراد الله به شراً، عدل به إلى غيرنا، وهو الشريك في الوزر، والإثم، والله المستعان على كل حال، ومن ألطف الاعتذارات، ما كتب به الراضي إلى أخيه المتقي، وهما في المكتب. وكان المتقي قد اعتدى على الراضي، والراضي هو الكبير منهما — فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم، أنا معترف لك بالعبودية فرضاً، وأنت معترف لي بالأخوة فضلا، والعبد يذنب والمولى يعفو. وقد قال الشاعر :

يا ذا الذي يغضبُ مِنْ غيرِ شَـيْءِ ... أعتـبْ فَعُتْبَـاك حبيـبٌ إليْ
أنـتَ علـى أنّـك لِيَ ظـالمٌ ... أعزُّ خلـقِ الله طـراً علـيّ

قال : فجاء إليه أخوه المتقي فأكب عليه يقبل يديه وتعانقا واصطلحا ومن لطيف شعره قوله فيما ذكره ابن الأسير في الكامل :

يصفرّ وجهـي إذا تـأمّلهُ ... طَرْفي ويحمـرُّ وَجْهُـهُ خجلاً
حتـى كأنّ الذي بوَجْنتيـه ... مِنْ دَمِ جسْمي إليه قـد نقـلاً

قال : ومما رثا به أباه المقتدر قوله :

ولو أنّ حياً كـان قبراً لميـتٍ ... لصيرّتُ أحشـائي لأعظُمـه قبرا
ولو أنّ عُمري كان طوعَ مَشيئتي ... وساعَدَني المقدورُ قاسَـمْتُهُ العُمـرا
بنفسي ثرى ضاجعتُ في تربه البِلى ... لقد ضمّ منك الغَيْثَ والليثَ والبدرا

ومما أنشده له ابن الجوزي في المنتظم :

لا تُكْثِرَنّ لومي عـلى الإسـرافِ ... ربحُ المحامد مَتْجَـرُ الأشـرافِ
أحوي لما يأتي المكـارم سَـابقًا ... وأشيـدُ ما قـد أسَّسَتْ أسلافي
إنّـي من القومِ الذين أكُفُّهـم ... معتـادةُ الإمْـلاقِ والإتـلافِ

ومن شعره الذي رواه الخطيب عنه من طريق أبي بكر بن محمد بن يحيى الصولي النديم عنه قوله:

كُـلُّ صَفْـوٍ إلى كَـدرٍ كُـلُّ أمـنٍ إلى حَـذَرْ

ومصـيرُ الشـبابِ للمو تِ فيـه أو الكِـبَرْ

درَّ دَرُّ المشـيبِ مِـنْ واعـظٍ يُنـذرُ البَشَرْ

أيُّهَـا الآمـلُ الـذي تاه في لُجَّـةِ الغـرورْ

أيْـنَ مَـنْ كـانَ قبلَنا؟ درسَ العـينُ والأثـرْ

سـيردُّ المعـادُ مَـنْ عُمْـرُه كـلُّه خطرْ

ربِّ إنّي ادخـرتُ عنـ دكَ أرجـوك مـدخرْ

ربِّ إنّي مـؤمنٌ بمـا بين الوحـي في السـورْ

واعترافي بتـرك نـفـ عي وإيثـاري الضـررْ

ربِّ فـاغفرْ لي الخطيـ ئَـةَ يـا خيـرَ من غفـرْ

وقد كانت وفاته بعلة الاستسقاء، في ليلة السادس عشر من ربيع الأول منها. وكان قد أرسل إلى بجكم، وهو بواسط، أن يعهد إلى ولده الأصغر أبي الفضل، فلم يتفق له ذلك، وبايع الناس أخاه المتقي لله إبراهيم بن المقتدر، وكان أمر الله قدرا مقدورا .

خلافة المتقي بالله أبي إسحاق إبراهيم بن المقتدر بالله

لما مات أخوه الراضي، احتمع القضاة، والأعيان، بدار بجكم، وتشاوروا فيمن يولون عليهم، فاتفق رأيهم كلهم على المتقي، فأحضروه في دار الخلافة، وأرادوا بيعته، فصلى ركعتين، صلاة الاستخارة، وهو على الأرض، ثم صعد إلى الكرسي بعد الصلاة، ثم صعد إلى السرير، وبايعه الناس، يوم الأربعاء، لعشر بقين من ربيع الأول منها، فلم يغير على أحد شيئا، ولا غدر بأحد، حتى ولا على سريته، لم يغيرها، ولم يتسّر عليها، وكان كاسمه المتقي بالله، كثير الصيام، والصلاة والتعبد. وقال : لا أريد جليسا، ولا مسامرًا، حسبي المصحف نديمًا، لا أريد نديما غيره فانقطع عنه الجلساء، والسمار، والشعراء، والوزراء، والتفوا على الأمير بجكم، وكان يجالسهم، ويحادثونه، ويتناشدون عنده الأشعار وكان بجكم لا يفهم كثير شيء مما يقولون، لعجمته، وكان في جملتهم، سنان بن ثابت الصابي المتطبب، وكان بجكم يشكو إليه قوة النفس الغضبية فيه، وكان سنان يهذب من أخلاقه، ويسكن جأشه، ويروض نفسه، حتى يسكن عن بعض ما كان يتعاطاه، من سفك الدماء، وكان المتقي بالله، حسن الوجه، معتدل الخلق، قصير الأنف، أبيض مشربا حمرة، وفي شعره شقرة، وجعودة، كث اللحية، أشهل العينين أبي النفس لم يشرب

النبيذ قط ، فالتقى فيه الاسم والفعل، ولله الحمد، ولما استقر المتقي في الخلافة، أنفذ الرسل، والخلع، إلى بجكم وهو بواسط، ونفذت المكاتبات إلى الآفاق بولايته .

وفيها : تحارب أبو عبد الله البريدي، وبجكم بناحية الأهواز، فقتل بجكم في الحرب، واستظهر البريدي عليه، وقوي أمره، فاحتاط الخليفة على حواصل بجكم، وكان في جملة ما أخذ من أمواله ألف ألف دينار، ومائة ألف دينار. وكانت أيام بجكم على بغداد سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام، ثم إن البريدي حدثته نفسه ببغداد، فأنفق المتقي أموالا جزيلة في الجند، ليمنعوه من ذلك، فركب بنفسه، فخرج لأثناء الطريق، ليمنعه من دخول بغداد، فخالفه البريدي، ودخل بغداد في ثاني رمضان، ونـزل بالشفيع، فلما تحقق المتقي ذلك، بعث إليه يهنئه، وأرسل إليه بالأطعمة، وخوطب بالوزير، ولم يخاطبه بإمرة الأمراء، فأرسل البريدي يطلب من المتقي خمسمائة ألف دينار، فامتنع الخليفة من ذلك، فبعث إليه يتهدده، ويتوعده، ويذكره ما حل بالمعز، والمستعين والمهتدي، والقاهر، واختلفت الرسل بينهم، ثم كان آخر ذلك، أن بعث الخليفة إليه بذلك قهراً، ولم يتفق اجتماع الخليفة، والبريدي ببغداد، حتى خرج منها البريدي إلى واسط، وذلك أنه ثارت عليه الديالمة، والتفوا على كبيرهم كورتكين، وراموا حريق دار البريدي، ونفرت عن البريدي طائفة من جيشه، يقال لهم البجكمية، لأنه لما قبض المال من الخليفة، لم يعطهم منه شيئا، وكانت من البجكمية، طائفة أخرى، قد اختلفت معه أيضاً، وهم الديالمة قد صاروا حزبين والتفوا مع الديالمة، فانهزم البريدي من بغداد، يوم سلخ رمضان، واستولى كورتكين على الأمور ببغداد، ودخل إلى المتقي، فقلّده إمرة الأمراء، وخلع عليه، واستدعى المتقي بالله علي بن عيسى، وأخاه عبد الرحمن، ففوض إلى عبد الرحمن تدبير الأمور من غير تسمية بوزارة، ثم قبض كورتكين على رئيس الأتراك بكبك، غلام بجكم، وغرّقه ثم تظلمت العامة من الديلم لأنهم كانوا يأخذون منهم دورهم فشكوا ذلك إلى كورتكين، فلم يشكهم، فمنعت العامة الخطباء أن يصلوا في الجوامع، واقتتل الديلم والعامة، فقتل من الفريقين خلق كثير، وجم غفير، وكان الخليفة قد كتب إلى أبي بكر محمد بن رائق صاحب الشام، يستدعيه إليه، ليخلصه من الديلم، ومن البريدي، فركب إلى بغداد، في العشرين من رمضان، ومعه جيش عظيم، وقد صار إليه من الأتراك البجكمية خلق كثير، وحين وصل إلى الموصل حاد عن طريقه ناصر الدولة بن حمدان، فتراسلا، ثم اصطلحا، وحمل ابن حمدان مائة ألف دينار، فلما اقترب ابن رائق من بغداد، خرج كورتكين في جيشه، ليقاتله، فدخل ابن رائق بغداد من غربها، ورجع كورتكين بجيشه، فدخل من شرقيها،، ثم تصافوا ببغداد للقتال، وساعدت العامة ابن رائق على كورتكين، فانهزم الديلم، وقتل منهم خلق كثير، وهرب كورتكين، فاختفى، واستقر أمر ابن رائق، وخلع عليه الخليفة، وركب هو وإياه في دجلة، فظفر ابن رائق بكورتكين، فأودعه السجن الذي في دار الخلافة .

قال ابن الجوزي : وفي يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الأولى، حضر الناس لصلاة الجمعة، بجامع براثي، وقد كان المقتدر أحرق هذا الجامع؛ لأنه كبسه، فوجد فيه جماعة من الشيعة، يجتمعون فيه للسب والشتم، فلم يزل خرابا، حتى عمره، بجكم في أيام الراضي، ثم أمر المتقي بوضع منبر فيه، كان عليه اسم الرشيد، وصلى الناس فيه الجمعة، قال : فلم يزل تقام فيه إلى ما بعد سنة خمسين وأربعمائة قال : وفي جمادى الآخرة في ليلة سابع ، كانت ليلة برد، ورعد، وبرق، فسقطت القبة الخضراء من قصر المنصور، وقد كانت هذه القبة تاج بغداد، ومأثرة من مآثر بني العباس عظيمة، بنيت أول ملكهم، وكان بين بنيانها، وسقوطها، مائة وسبع وثمانون سنة، قال ابن الجوزي : وخرج عن الناس التشرينان، والكانونان منها، ولم يمطروا فيها، سوى مطرة واحدة، لم ينبلّ منها التراب، فغلت الأسعار ببغداد، حتى بيع الكر بمائة وثلاثين دينارا. ووقع الفناء في الناس حتى كان الجماعة، يدفنون في القبر الواحد، من غير غسل ولا صلاة، وبيع العقار والأثاث بأرخص الأسعار، حتى كان يشترى بالدرهم، ما يساوي الدينار، في غير تلك الأيام، ورأت امرأة رسول الله ﷺ في منامها، وهو يأمرها بخروج الناس إلى الصحراء، لصلاة الاستسقاء، فأمر الخليفة بامتثال ذلك، فصلّى الناس، واستسقوا، فجاءت الأمطار فزدات الفرات شيئاً لم ير مثله، وغرقت العباسية، ودخل الماء الشوارع ببغداد، فسقطت القنطرة العتيقة، والجديدة، وقطعت الأكراد الطريق، على قافلة من خراسان، فأخذوا منهم ما قيمته ثلاثة آلاف ألف دينار، وكان أكثر ذلك من أموال بجكم التركي وخرج الناس للحج، ثم رجعوا من أثناء الطريق، بسبب رجل من العلويين، قد خرج بالمدينة النبوية، ودعا إلى نفسه وخرج عن الطاعة .

وفيها توفي من الأعيان ...

أحمد بن إبراهيم

ابن تزمرد الفقيه، أحد أصحاب ابن سريج، خرج من الحمام، إلى خارجه، فسقط عليه الحمام، فمات من فوره .

بجكم التركي

أمير الأمراء ببغداد، قبل بني بويه كان عاقلا، يفهم بالعربية، ولا يتكلم بها، يقول : أخاف أن أخطئ، والخطأ من الرئيس قبيح وكان مع ذلك يحب العلم، وأهله، وكان كثير الأموال، والصدقات، ابتدأ بعمل مارستان، ببغداد، فلم يتم، فجدده عضد الدولة بن بويه، وكان بجكم يقول : العدل ربح السلطان في الدنيا والآخرة، وكان يدفن أموالا كثيرة في الصحراء فلما مات،لم يدر أين هي؟، وكان ندماء الراضي، قد التفوا على بجكم، وهو بواسط، وكان قد ضمنها بثمان مائة ألف دينار من الخليفة، وكانوا يسامرونه كالخليفة، وكان لا يفهم أكثر ما يقولون، وراض له مزاحه الطبيب سنان بن ثابت الصابي، حتى لان خلقه، وحسنت سيرته،

وقلت سطوته، ولكن لم يعمر إلا قليلا بعد ذلك. ودخل عليه مرة رجل، فوعظه، فأبكاه، فأمر له بمائة ألف درهم، فلحقه بها الرسول، فقال بجكم لجلسائه : ما أظنه يقبلها، ولا يريدها، وما يصنع هذا بالدنيا ؟ هذا رجل مشغول بالعبادة، ماذا يصنع بالدراهم؟ فما كان بأسرع من أن رجع الغلام، وليس معه شيء، فقال بجكم : أقبلها؟ قال : نعم، فقال بجكم : كلنا صيادون، ولكن الشباك مختلفة. وكانت وفاته لتسع بقين من رجب من هذه السنة. وسبب موته، أنه خرج يتصيد، فلقي طائفة من الأكراد، فاستهان بهم، فقاتلوه فضربه رجل منهم، فقتله وكانت إمرته على بغداد سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام. وخلف من الأموال والحواصل ما ينيف على ألفي دينار، أخذها المتقي لله كلها .

أبو محمد البربهاري

العالم الزاهد الفقيه الحنبلي الواعظ، صاحب المروزي، وسهلا التستري، وتنـــزه عن ميراث أبيه، ــ وكان سبعين ألف ــ لأمر كرهه. وكان شديداً على أهل البدع، والمعاصي، وكان كبير القدر، تعظمه الخاصة، والعامة، وقد عطس يوماً، وهو يعظ، فشمته الحاضرون، ثم شمته من سمعهم، حتى شمته أهل بغداد، فانتهت الضجة إلى دار الخلافة، فغار الخليفة من ذلك، وتكلم فيه جماعة من أرباب الدولة، فطلب، فاستتر عند أخت بوران شهراً، ثم أخذه القيام – داء– فمات عندها، فأمرت خادمها، فصلي عليه، فامتلأت الدار رجالاً، عليهم ثياب بياض، ودفنته عندها، ثم أوصت إذا ماتت، أن تدفن عنده، وكان عمره يوم مات ستا وتسعين سنة رحمه الله .

يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول

أبو بكر الأزرق ــ لأنه كان أزرق العينين ــ التنوخي الكاتب، سمع جده، والزبير بن بكار والحسين بن عرفة، وغيرهم، وكان خشن العيش، كثير الصدقة، فيقال : إنه تصدق بمائة ألف دينار، وكان أمارًا بالمعروف، نهاء عن المنكر، روى عنه الدارقطني، وغيره من الحفاظ، وكان ثقة عدلاً توفي في ذي الحجة منها، عن ثنتين وتسعين سنة، رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة ثلاثين وثلاثمائة

قال ابن الجوزي : في المحرم منها ظهر كوكب بذنب، رأسه إلى المغرب، وذنبه إلى المشرق،وكان عظيما جداً، وذنبه منتشر،وبقي ثلاثة عشر يوما إلى أن اضمحل،قال : وفي نصف ربيع الأول بلغ الكر من الحنطة مائتي دينار، وأكل الضعفاء الميتة، ودام الغلاء وكثر الموت، وتقطعت السبل، وشغل الناس بالمرض والفقر، وتركوا دفن الموتى، وشغلوا عن الملاهي واللعب، قال : ثم جاء مطر، كأفواه القرب،. وبلغت زيادة دجلة عشرين ذراعا وثلثا، وذكر ابن الأثير في كامله : أن محمد بن رائق وقع بينه وبين البريدي وحشة لأن البريدي، منع خراج واسط،

فركب إليه ابن رائق، ليتسلم ما عنده من المال، فوقعت مصالحة، ورجع ابن رائق إلى بغداد، فطالبه الجند بأرزاقهم، وضاق عليه حاله، وتحيّز جماعة من الأتراك عنه إلى البريدي، فضعف جانب ابن رائق، وكاتب البريدي بالوزارة ببغداد، ثم قطع اسم الوزارة عنه، فاشتد حنق البريدي عليه، وعزم على أخذ بغداد، فبعث أخاه أبا الحسين، في جيش إلى بغداد، فتحصن ابن رائق مع الخليفة، بدار الخلافة، ونصبت فيها المجانيق، والعرادات ـــ العرادة شيء أصغر من المنجنيق ـــ على دجلة أيضا، فاضطربت أهل بغداد، ونهب الناس بعضهم بعضا، ليلاً ونهارا، وجاء أبو الحسين، أخو أبي عبد الله البريدي، بمن معه، فقاتلهم الناس، في البر، وفي دجلة، وتفاقم الحال جدًا، مع ما الناس فيه من الغلاء والوباء والفناء فإنا لله وإنا إليه راجعون ثم إن الخليفة وابن رائق، انهزما، في جمادى الآخرة ـــ ومع الخليفة ابنه منصـــور ـــ في عشرين فارسا، فقصدوا نحو الموصل، واستحوذ أبو الحسين على دار الخلافة، وقتل من وجد فيها من الحاشية، ونهبوها، حتى وصل النهب إلى الحريم، ولم يتعرضوا للقاهر، وهو إذ ذاك أعمى مكفوفا، وأخرجوا كورتكين من الحبس، فبعثه أبو الحسين إلى البريدي، فكان آخر العهد به ونهبوا بغداد، جهاراً علانية، ونزل أبو الحسين بدار مؤنس الخادم، التي كان يسكنها ابن رائق، وكانوا يكبسون الدور ويأخذون ما فيها من الأموال ، فكثر الجور ، وغلت الأسعار جداً ، وضرب أبو الحسين المكْسَ على الحنطة والشعير، وذاق أهل بغداد لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. وكان مع أبي الحسين في الجيش طائفة كبيرة من القرامطة، فأفسدوا في البلد فساداً عظيما، ووقع بينهم، وبين الأتراك حروب طويلة شديدة، فغلبهم الترك، وأخرجوهم من بغداد، فوقعت الحرب بين العامة، والديلم جند أبي الحسين، وفي شعبان منها اشتد الحال أيضا، ونهبت المساكن، وكبس أهلها ليلا ونهاراً، وخرج جند البريدي، فنهبوا الغلات من القرى والحيوانات، وجرى ظلم، لم يسمع بمثله .

قال ابن الأثير : وإنما ذكرنا هذا ليعلم الظلمة، أن أخبارهم الشنيعة تنقل، وتبقى بعدهم على وجه الأرض، وفي الكتب ليذكروا بها، ويذموا، ويعابوا، ذلك لهم خزي في الدنيا، وأمرهم إلى الله لعلهم أن يتركوا الظلم لهذا، إن لم يتركوه لله. وقد كان الخليفة، أرسل وهو ببغداد، إلى ناصر الدولة بن حمدان، نائب الموصل، يستمده، ويستحثه على البريدي، فأرسل ناصر الدولة أخاه سيف الدولة عليا في جيش كثيف، فلما كان بتكريت، إذا الخليفة وابن رائق، قد هربا، فرجع معهما سيف الدولة إلى أخيه، وخدم سيف الدولة الخليفة خدمة كثيرة ، ولما وصلوا إلى الموصل خرج عنها ناصر الدولة، فنـــزل شرقها، وأرسل التحف والضيافات، ولم يجئ إلى الخليفة، خوفا من الغائلة من جهة ابن رائق نائب العراق وصاحب الشام، فأرسل الخليفة ولده أبا منصور، ومعه ابن رائق، للسلام على ناصر الدولة، فصارا إليه، فأمر ناصر الدولة أن ينثر الذهب والفضة، على رأس ولد الخليفة، وجلسا عنده ساعة، ثم قاما، ورجعا، فركب ابن

الخليفة، وأراد ابن رائق أن يركب معه، فقال له ناصر الدولة : اجلس اليوم عندي حتى نفكر فيما نصنع، في أمرنا هذا، فاعتذر إليه بابن الخليفة، واستراب بالأمر، وخشي، فقبض ابن حمدان بكمه، فجبذه ابن رائق منه، فانقطع كمه، وركب سريعا، فسقط عن فرسه، فأمر ناصر الدولة بقتله فقتل، وذلك يوم الاثنين لسبع بقين من رجب منها ، فأرسل الخليفة إلى ابن حمدان، فاستحضره وخلع عليه، ولقبه ناصر الدولة يومئذ، وجعله أمير الأمراء، وخلع على أخيه أبي الحسن، ولقبه سيف الدولة يومئذ، ولما قتل ابن رائق، وبلغ خبر مقتله إلى صاحب مصر، الأخشيد محمد بن طغج، ركب إلى دمشق، فتسلمها من محمد بن يزداد نائب ابن رائق ولم ينتطح فيها عنـــزان، ولما بلغ خبر مقتله إلى بغداد، فارق أكثر الأتراك أبا الحسين البريدي، لسوء سيرته، وقبح سريرته ــ قبّحه الله ــ وقصدوا الخليفة، وابن حمدان في الموصل فتقوى بهم، وركب هو والخليفة إلى بغداد، فلما اقتربوا منها هرب عنها أبو الحسين، أخو البريدي، فدخلها المتقي، ومعه بنو حمدان، في جيوش كثيرة،وذلك في شوال منها، ففرح المسلمون فرحاً شديدا .

وبعث الخليفة إلى أهله ــ وقد كان أخرجهم إلى سامرا ــ فردهم، وتراجع أعيان الناس إلى بغداد، بعد ما كانوا قد ترحلوا عنها. ورد الخليفة أبا إسحاق الفزارى إلى الوزارة، وولى توزون شرطة جانبي بغداد، وبعث ناصر الدولة أخاه سيف الدولة في جيش، وراء أبي الحسين أخي البريدي، فلحقه عند المدائن فاقتتلوا قتالا شديدا في أيام نحسات، ثم كان آخر الأمر أن انهزم أبو الحسين إلى أخيه البريدي، بواسط، وقد ركب ناصر الدولة بنفسه، فنـــزل المدائن قوة لأخيه وقد انهزم سيف الدولة مرة من أبي الحسين أخي البريدي، فرده أخوه، وزاده جيشاً حتى كسر البريدي، وأسر جماعة من أعيان أصحابه، وقتل منهم خلقا كثيرا، ثم أرسل أخاه سيف الدولة إلى واسط، لقتال عبد الله البريدي، فانهزم منه البريدي، وأخوه إلى البصرة، وتسلم سيف الدولة واسطا، وسيأتي ماكان من خبره في السنة الآتية مع البريدي .

وأما ناصر الدولة، فإنه عاد إلى بغداد، فدخلها في ثالث عشر ذي الحجة، وبين يديه الأسارى، على الجمال، ففرح المسلمون، واطمأنوا، ونظر في المصالح العامة، وأصلح معيار الدينار، وذلك أنه وجده قد غيّر، عما كان عليه، فضرب دنانير سماها الإبريزية، فكانت تباع كل دينار بثلاثة عشر درهماً، وإنما كان يباع ما قبلها بعشرة، وعزل الخليفة بدرا الخرشني عن الحجابة، وولاها سلامة الطولوني، وجعل بدراً على طريق الفرات، فسار إلى الأخشيد، فأكرمه، واستنابه على دمشق، فمات بها. وفيها وصلت الروم إلى قريب حلب، فقتلوا خلقاً، وأسروا نحوا من خمسة عشر ألفاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وفيها دخل نائب طرسوس إلى بلاد الروم، فقتل، وسبى وغنم وسلم وأسر من بطارقتهم المشهورين منهم وغيرهم خلقا كثيرا، ولله الحمد . و فيها

توفي من الأعيان :

إسحاق بن محمد بن يعقوب النهرجوري

أحد مشايخ الصوفية، صحب الجنيد بن محمد وغيره، من أئمة الصوفية، وجاور بمكة، حتى مات بها، ومن كلامه الحسن : مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب.

الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن سعيد بن أبان

أبو عبد الله الضبي القاضي، المحاملي الفقيه المحدث سمع الكثير، وأدرك خلقا من أصحاب ابن عيينة، نحوًا من سبعين رجلا. وروى عن جماعة من الأئمة، وعنه الدارقطني،وخلق، وكان يحضر مجلسه نحو من عشرة آلاف. وكان صدوقا، دينا فقيها، محدثا، ولي قضاء الكوفة ستين سنة، وأضيف إليه قضاء فارس، وأعمالها، ثم استعفي من ذلك كله، ولزم منــزله، واقتصر على إسماع الحديث وسماعه. توفى في ربيع الآخر من هذه السنة عن خمس وتسعين سنة، وقد تناظر، هو وبعض الشيعة، بحضرة بعض الأكابر، فجعل الشيعي يذكر مواقف على يوم بدر، وأحد، والخندق، وخيبر، وحنين، وشجاعته. ثم قال للمحاملي : أتعرفها؟ قال : نعم، ولكن أتعرف أنت أين كان الصديق يوم بدر؟ كان مع رسول الله ﷺ في العريش، بمنــزلة الرئيس، الذي يحامي عنه، وعلي رضي الله عنه في المبارزة، ولو فرض أنه انهزم، أو قتل لم يخزل الجيش بسببه، فأفحم الشيعي، وقال له المحاملي : وقد قدمه الذين رووا لنا الصلاة، والزكاة، والوضوء، بعد رسول الله ﷺفقدموه عليه، حيث لا مال له، ولا عبيد، ولا عشيرة، وقد كان أبو بكر يمنع عن رسول الله ﷺ، ويحاجف [1] عنه، وإنما قدموه لعلمهم، أنه خيرهم فأفحمه أيضاً .

علي بن محمد بن سهل

أبو الحسن الصائغ أحد الزهاد العباد أصحاب الكرامات. روي عن ممشاد الدينوري : أنه شاهد أبا الحسن هذا يصلي في الصحراء في شدة الحر، ونسر قد نشر عليه جناحه، يظله من الحر.

قال ابن الأثير : وفيها: توفي أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، المتكلم المشهور، وكان مولده سنة ستين ومائتين، وهو من ولد أبي موسىالأشعري. قلت : الصحيح أن الأشعري توفي سنة أربع وعشرين ومائتين كما تقدم ذكره هناك، قال : وفيها توفي محمد بن يوسف بن النضر الهروي الفقيه الشافعي، وكان مولده سنة تسع وعشرين ومائتين، أخذ عن الربيع بن سليمان صاحب الشافعي .

قلت : وقد توفي فيها أبو حامد بن بلال. وزكريا بن أحمد البلخي. وعبد الغافر بن سلامة الحافظ، ومحمد بن رائق الأمير ببغداد. وفيها توفي الشيخ :

أبو صالح مفلح الحنبلي

واقف مسجد أبي صالح، ظاهر باب شرقي من دمشق، وكانت له كرامات، وأحوال، ومقامات، واسمه مفلح بن عبد الله أبو صالح المتعبد، الذي ينسب إليه المسجد خارج باب شرقي

---

(١) يحاجف : يعارض ويدافع ويرد (حجف) اللسان .

من دمشق، صحب الشيخ أبا بكر بن سعيد حمدونه الدمشقي، وتأدب به، وروى عنه الموحد ابن إسحاق بن البري، وأبو الحسن علي بن العجة قيم المسجد، وأبو بكر بن داود الدينوري الدقي. روى الحافظ بن عساكر من طريق الدقي عن الشيخ أبي صالح. قال : كنت أطوف بجبل لكام، أطلب العباد، فمررت برجل، وهو جالس، على صخرة، مطرق رأسه، فقلت له : ما تصنع ههنا ؟ فقال : أنظر، وأرعى. فقلت له : لا أرى بين يديك شيئاً. تنظر إليه، ولا ترعاه، إلا هذه العصاة والحجارة .

فقال : بل أنظر خواطر قلبي وأرعى أوامر ربي، وبالذي أطلعك على، إلا صرفت بصرك عني. فقلت له : نعم، ولكن عظني بشيء، أنتفع به، حتى أمضي عنك، فقال : من لزم الباب أثبت في الخدم، ومن أكثر ذكر الموت، أكثر الندم، ومن استغنى بالله أمن العدم، ثم تركني، ومضي. وقال أبو صالح: مكثت ستة أيام، أو سبعة، لم آكل، و لم أشرب، ولحقني عطش عظيم، فجئت إلى النهر الذي وراء المسجد ، فجلست أنظر إلى الماء ، فتذكرت قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ [هود : ٧] فذهب عني العطش، فمكثت تمام العشرة أيام، وقال : مكثت أربعين يوماً، لم أشرب، ثم شربت، وأخذ رجل فضلتي، ثم ذهب إلى امرأته، فقال : اشربي فضل رجل، قد مكث أربعين يوما لم يشرب الماء. قال أبو صالح : ولم يكن اطلع على ذلك أحد إلا الله عزّ وجلّ. ومن كلام أبي صالح : الدنيا حرام على القلوب حلال على النفوس لأن كل شيء يحل لك أن تنظر بعين رأسك إليه يحرم عليك، أن تنظر بعين قلبك إليه، وكان يقول : البدن لباس القلب، والقلب لباس الفؤاد، والفؤاد لباس الضمير، والضمير لباس السر، والسر لباس المعرفة به. ولأبي صالح مناقب كثيرة، رحمه الله. توفي في جمادى الأولى من هذه السنة ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة

في هذه السنة دخل سيف الدولة إلى واسط ، وقد انهزم عنها عبد الله البريدي ، وأخوه أبو الحسين، فاختلفت الترك على سيف الدولة، فهرب منها، قاصدا بغداد، وبلغ أخاه أمير الأمراء خبره، فخرج من بغداد إلى الموصل، فنهبت داره وكانت دولته على بغداد، ثلاثة عشر شهرا، وخمسة أيام. وجاء أخوه سيف الدولة، بعد خروجه منها، فنــزل بباب حرب، فطلب من الخليفة، أن يمده بمال، يتقوى به على حرب تورون، فبعث إليه بأربعمائة ألف درهم، ففرقها بأصحابه وحين سمع بقدوم توزون، خرج من بغداد، ودخلها تورون في الخامس والعشرين من رمضان، فخلع عليه الخليفة، وجعله أمير الأمراء، واستقر أمره ببغداد. وعند ذلك رجع البريدي إلى واسط، وأخرج من كان بها من أصحاب تورون، وكان في أسر تورون، غلام سيف الدولة، يقال له : ثمال، فأرسله إلى مولاه، ليخبره حاله، ويرفع أمره عند آل حمدان. وفيها: كانت زلزلة عظيمة، ببلاد نسا سقط منها عمارات كثيرة، وهلك بسببها خلق كثير. قال ابن الجوزي :

وكان ببغداد في أيلول وتشرين حر شديد، يأخذ بالأنفاس. وفي صفر منها، ورد الخبر، بورود الروم إلى أرزن، وميافارقين، وأنهم سبوا. وفي ربيع الآخر منها، عقد أبو منصور إسحاق ابن الخليفة المتقي لله، عقده على علوية بنت ناصر الدولة بن حمدان على صداق مائة ألف دينار، وألف ألف درهم، وولي العقد على الجارية المذكورة، أبو عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمي، ولم يحضر ناصر الدولة، وضرب ناصر الدولة سكة، ضرب فيها ناصر الدولة عبد آل محمد .

قال ابن الجوزي : وفيها : غلت الأسعار، حتى أكل الناس الكلاب، ووقع البلاء في الناس، ووافى من الجراد شيء كثير جداً، حتى بيع منه كل خمسين رطلا بالدرهم، فارتفق الناس به في الغلاء. وفيها: ورد كتاب ملك الروم إلى الخليفة يطلب فيه منديلا بكنيسة الرّها كان المسيح قد مسح بها وجهه، فصارت صورة وجهه فيه، وأنه متى وصل هذا المنديل يبعث من الأسارى خلقا كثيرا، فأحضر الخليفة العلماء، فاستشارهم في ذلك فمن قائل : نحن أحق بعيسى منهم، وفي بعثه إليه غضاضة على المسلمين، ووهن في الدين. فقال علي بن عيسى الوزير : يا أمير المؤمنين، إنقاذ أسارى المسلمين من أيدي الكفار خير، وأنفع للمسلمين من بقاء ذلك المنديل بتلك الكنيسة فأمر الخليفة بإرسال ذلك المنديل إليهم، وتخليص أسرى المسلمين من أيديهم، قال الصولي : وفيها . وصل الخبر بأن القرمطي، ولد له مولود، فأهدى إليه أبو عبد الله البريدي هدايا كثيرة منها : مهد من ذهب مرصع بالجوهر، وجلاله منسوج بالذهب، محلي باليواقيت، وغير ذلك. وفيها: كثر الرفض ببغداد، فنودي بها من ذكر أحداً من الصحابة بسوء، فقد برئت منه الذمة. وبعث الخليفة إلى عماد الدولة بن بويه خلعاً فقبلها، ولبسها، بحضرة القضاة، والأعيان. وفيها كانت وفاة السعيد نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني، صاحب خراسان، وما وراء النهر، وقد مرض قبل موته بالسل سنة وشهرا، واتخذ في داره بيتاً، سماه بيت العبادة، فكان يلبس ثيابا نظافا، ويمشي إليه حافياً، يصلّي فيه، ويتضرع، ويكثر الصلاة. وكان يجتنب المنكرات، والآثام، إلى أن مات رحمه الله، فقام بالأمر من بعده ولده نوح بن نصر الساماني ولقب بالأمير الحميد، وقتل محمد بن أحمد النسفي، وكان قد طعن فيه عنده وصلبه .

وفيها توفي من الأعيان :

ثابت بن سنان بن قرة الصابي

أبو سعيد الطبيب، أسلم على يد القاهر بالله، ولم يسلم ولده، ولا أحد من أهل بيته، وقد كان مقدماً في الطب، وفي علوم أخر كثيرة، توفي في ذي القعدة منها، بعلة الذرب، ولم تغن عنه صناعته شيئا، حتى جاءه الموت. وما أحسن ما قال بعض الشعراء في ذلك :

قلْ للذي صَنَعَ الدواءَ بكفِّه: أتردُّ مقدوراً عليكَ إذا جَرَى؟
ماتَ المُدَاوِي والمداوَى والذي صنعَ الدواءَ بِكَفِّهِ ومَنْ اشترى

وحسن الأشعري

ذكر ابن الجوزي في المنتظم : وفاة الأشعري فيها، وتكلم . فيه وحط عليه، كما جرت عادة الحنابلة، يتكلمون في الأشعرية، قديماً وحديثاً. وذكر أنه ولد سنة ستين ومائتين، توفي فى هذه السنة وأنه صحب الجبائي أربعين سنة، ثم رجع عنه، وتوفي ببغداد، ودفن بمشرعة السروانى .

محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة

ابن الصلت السدوسي ، مولاهم أبو بكر، سمع جده ، وعباساً الدوري ، وغيرهما، وعنه أبو بكر بن مهدي، وكان ثقة روى الخطيب، أن والد محمد هذا حين ولد أخذ طالع مولده المنجمون، فحسبوا عمره، وقالوا : إنه يعيش كذا وكذا، فأرصد أبوه له جباً، فكان يلقي فيه، عن كل يوم من عمره ، الذي أخبروه به ديناراً، فلما امتلأ أرصد له جباً آخر، كذلك، ثم أخر كذلك فكان يضع فيها في كل يوم ثلاثة دنانير على عدد أيام عمر ولده، ومع هذا ما أفاده ذلك شيئا ، بل افتقر هذا الولد، حتى صار يستعطي من الناس، وكان يحضر بجلس السماع عليه عباءة بلا إزار، فكان يتصدق عليه أهل المجلس، بشيء يقوم بأوده والسعيد من أسعده الله عزّ وجلّ .

محمد بن مخلد بن جعفر

أبو عمر الدوري العطار، كان يسكن الدور ــ وهي محلة بطرف بغداد ــ سمع الحسن بن عرفة، والزبير بن بكار، ومسلم بن الحجاج، وغيرهم، وعنه الدارقطني، وجماعة من الحفاظ، وكان ثقة، فهماً واسع الرواية، مشكور الديانة، مشهورا بالعبادة. توفي في جمادى الأولى منها، وقد استكمل سبعا وسبعين سنة وثمانية أشهر وأحد وعشرين يوماً .

المجنون البغدادي

روى ابن الجوزي من طريق أبي بكر الشبلي، قال : رأيت مجنوناً عند جامع الرصافة، وهو عريان، وهو يقول : أنا مجنون الله، أنا مجنون الله، فقلت له : مالك ألا تستتر، وتدخل الجامع، وتصلي؟ فأنشأ يقول :

يقولونَ: زُرنا واقضِ واجبَ حقّنا ... وقد أسقطتْ حالي حقوقَهمُ عنيّ
إذا هم رأوا حالي ولْم يأنَفُوا لها ... ولم يأنفوا منها أنِفْتُ لهمْ منيّ

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وثلاثمائة

فيها: خرج المتقي أمير المؤمنين، من بغداد، إلى الموصل، مغاضباً لتورون، أمير الأمراء وكان إذ ذاك بواسط، وقد زوج ابنته من أبي عبد الله البريدي، وصارا يداً واحدة على الخليفة ولكنه أرسل ابن شيرزاد، في ثلاثمائة غلام إلى بغداد، فأفسد فيها، وقطع، ووصل، واستقل بالأمور من غير مراجعة المتقي، فغضب المتقي، وخرج منها مغاضباً له بأهله، وأولاده، ووزيره، ومن اتبعه

من الأمراء وأعيان أهل بغداد، قاصدا الموصل إلى بني حمدان ، فتلقاه سيف الدولة إلى تكريت، ثم جاءه ناصر الدولة، وهو بتكريت أيضاً، وحين خرج المتقي من بغداد، أكثر ابن شيرزاد فيها الفساد، وظلم أهلها، وصادرهم، وأرسل يعلم تورون، فأقبل تورون مسرعا نحو تكريت، فتواقع هو وسيف الدولة فهزم تورون سيف الدولة، وأخذ معسكره، ومعسكر أخيه ناصر الدولة، ثم كر إليه سيف الدولة فهزمه تورون أيضاً، وانهزم المتقي وناصر الدولة وسيف الدولة، من الموصل إلى نصيبين، وجاء توزون، فدخل الموصل، وأرسل إلى الخليفة، يطلب رضاه، فأرسل الخليفة يقول :لا سبيل إلى ذلك، إلا أن تصالح بني حمدان، فاصطلحوا، وضمن ناصر الدولة بلاد الموصل، بثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف، ورجع توزون بن بويه إلى بغداد، وأقام الخليفة عند بني حمدان. وفي غيبة تورون هذه عن واسط، أقبل إليها معز الدولة بن بويه في خلق من الديلم كثيرين، فانحدر توزون مسرعا إلى واسط، فاقتتل مع معز الدولة بضعة عشر يوماً، وكان آخر الأمر أن انهزم معز الدولة، ونهبت حواصله، وقتل من جيشه خلق كثير، وأسر جماعة من أشراف أصحابه. ثم عاود تورون ما كان يعتريه من مرض الصرع، فشغل بنفسه، فرجع إلى بغداد .

وفيها : قتل أبو عبد الله البريدي أخاه أبا يوسف، وكان سبب ذلك، أن البريدي قلّ ما في يده من الأموال، فكان يستقرض من أخيه أبي يوسف، فيقرضه القليل، ثم يشنع عليه، ويذم تصرفه بمال الجند، إلى أن مال الجند إلى أبي يوسف، وأعرض غالبهم عن البريدي، فخشي أن يبايعوه، فأرسل إليه طائفة من غلمانه، فقتلوه غيلة، ثم انتقل إلى داره، وأخذ جميع حواصله، وأمواله، فكان قيمة ما أخذ منه من الأموال، مايقارب ثلاثمائة ألف ألف دينار. ولم يمتع بعده إلا ثمانية أشهر. مرض فيها مرضا شديدا بالحمى الحادة، حتى كانت وفاته في شوال من هذه السنة، فقام مقامه أخوه أبو الحسين ـــ قبحه الله ـــ فأساء السيرة في أصحابه، فثاروا عليه، فلجأ إلى القرامطة ـــ قبحهم الله ـــ فاستجار بهم، فقام بالأمر من بعده أبو القاسم بن أبي عبد الله البريدي في بلاد واسط، والبصرة وتلك النواحي من الأهواز، وغيرها .

وأما الخليفة المتقي لله، فإنه لما أقام عند أولاد حمدان، بالموصل، ظهر له منهم تضجر، وأنهم يرغبون في مفارقته. فكتب إلى تورون في الصلح، فاجتمع تورون مع القضاة، والأعيان ببغداد، وقرأوا كتاب الخليفة، وقابله بالسمع والطاعة، وحلف له، ووضع خطة بالإقرار له، ولمن معه بالإكرام، والاحترام والخضوع، فكان من الخليفة، ودخوله إلى بغداد، ما سيأتي في السنة الآتية .

وفيها : أقبلت طائفة من الروس، في البحر، إلى نواحي أذربيجان، فقصدوا بردعة فحاصروها، فلما ظفروا بأهلها، قتلوهم عن آخرهم، وغنموا أموالهم، وسبوا من استحسنوا من نسائهم، ثم مالوا إلى المراغة، فوجدوا بها ثمارا كثيرة، فأكلوا منها، فأصابهم وباء شديد، فمات أكثرهم، وكان إذا مات أحدهم، دفنوا معه ثيابه وسلاحه، فأخذه المسلمون، وأقبل إليهم المرزبان بن محمد فقتل منهم. وفي ربيع الأول منها ، جاء الدمستق ملك الروم، إلى رأس

العين،في ثمانين ألفا، فدخلها، ونهب ما فيها، وقتل أهلها وسبى منهم نحوا من خمسة عشر ألفا، وأقام بها ثلاثة أيام، فقصدته الأعراب من كل وجه، فقاتلوه قتالاً عظيما، حتى انجلى عنها. وفي جمادى الأولى منها غلت الأسعار ببغداد جداً، وكثرت الأمطار حتى تهدم البناء، ومات كثير من الناس تحت الهدم، وتعطلت أكثر الحمامات، والمساجد، من قلة الناس، ونقصت قيمة العقار، حتى كان يباع بالدرهم، ما كان يساوي الدينار، وخلت الدور. وكان الدلالون يعطون من يسكنها أجرة، ليحفظها من الداخلين إليها ليخربوها. وكثرت الكبسات من اللصوص بالليل، حتى كان الناس، يتحارسون بالبوقات والطبول، وكثرت الفتن من كل جهة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا .

وفي رمضان منها :كانت وفاة أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن الجنابي الهجري القرمطي رئيس القرامطة، لعنه الله، وهذا هو الذي قتل الحجيج حول الكعبة، وفي جوفها، وسلبها كسوتها، وأخذ بابها وحليتها، واقتلع الحجر الأسود من موضعه، وأخذ معه إلى بلده هجر، فمكث عنده من سنة تسع عشرة وثلاثمائة، ثم مات — قبحه الله — وهو عندهم، لم يردوه إلى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة كما سيأتي. ولما مات هذا القرمطي، قام بالأمر من بعده، إخوته الثلاثة : وهم أبو العباس الفضل، وأبو القاسم سعيد، وأبو يعقوب يوسف بنو أبي سعيد الجنابي، وكان أبو العباس ضعيف البدن، مقبلا على قراءة الكتب، وكان أبو يعقوب مقبلا على اللهو واللعب، ومع هذا كانت كلمة الثلاثة، واحدة، لا يختلفون في شيء، وكان لهم سبعة من الوزراء متفقون أيضاً . وفي شوال منها توفي أبو عبد الله البريدي، فاستراح المسلمون من هذا كما استراحوا من الآخر . وفيها توفي من الأعيان :

أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن

أبو العباس الكوفي المعروف - بابن عقدة - لقبوه بذلك، من أجل تعقيده في التصريف والنحو، وكان أيضاً عقدة في الورع والنسك، وكان أبو العباس بن عقبة من الحفاظ الكبار، سمع الحديث الكثير، ورحل، فسمع من خلائق من المشايخ، وسمع منه الطبراني والدارقطني ، وابن الجعابي، وابن عدي، وابن المظفر، وابن شاهين. قال الدارقطني : أجمع أهل الكوفة، على أنه لم ير من زمن ابن مسعود، إلى زمان ابن عقدة، أحفظ منه، ويقال : إنه كان يحفظ نحواً من ستمائة ألف حديث منها ثلاثمائة ألف في فضائل أهل البيت، بما فيها من الصحاح والضعاف، وكانت كتبه ستمائة حمل جمل، وكان ينسب مع هذا كله إلى التشيع والمغلاة، قال الدارقطني : كان رجل سوء. ونسبه ابن عدي إلى : أنه كان يعمل النسخ لأشياخ، ويأمرهم بروايتها ، قال الخطيب : حدثني علي بن محمد بن نصر : قال : سمعت حمزة بن يوسف سمعت أبا عمر بن حيوية يقول : كان ابن عقدة يجلس في جامع براثي، معدن الرفض يملي مثالب الصحابة، — أو

قال الشيخين ـــ فتركت حديثه لا أحدث عنه بشيء. قلت : وقد حررت الكلام فيه، في كتابنا التكميل، بما فيه كفاية، توفي في ذي القعدة منها .

أحمد بن عامر بن بشر بن حامد المروذى

نسبة إلى مرو الروذ، والروذ اسم للنهر، وهو الفقيه الشافعي، تلميذ الشيخ أبي إسحاق المروذي. نسبة إلى مروذ الشاهجان، وهي أعظم من تلك البلاد، له شرح مختصر المزني، وله كتاب الجامع في المذهب، وصنف في أصول الفقه، وكان إماماً لا يشق غباره. توفي في هذه السنة رحمه الله .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة

فيها: رجع الخليفة المتقي إلى بغداد، وخلع من الخلافة، وسملت عيناه، وكان ـــ وهو مقيم بالموصل ـــ قد أرسل إلى الأخشيد، محمد بن طغج، صاحب مصر، والبلاد الشامية، أن يأتيه، فأقبل إليه وقدم عليه في المنتصف من المحرم، من هذه السنة، وخضع للخليفة غاية الخضوع، وكان يقوم بين يديه كما تقوم الغلمان، ويمشي، والخليفة راكب، ثم عرض عليه أن يصير معه إلى الديار المصرية، أو يقوم ببلاد الشام، وليته فعل، بل أبى عليه، فأشار عليه بالمقام مكانه بالموصل ولا يذهب إلى تورون، وحذره من مكر تورون، وخديعته، فلم يقبل ذلك، وكذلك أشار عليه وزيره أبو حسين بن مقلة، فلم يسمع وأهدى ابن طغج للخليفة هدايا كثيرة فاخرة، وكذلك أهدي إلى الأمراء ، والوزير ، ثم رجع إلى بلاده، واجتاز بحلب، فانحاز عنها صاحبها أبو عبد الله بن سعيد بن حمدان. وكان ابن مقاتل بها، فأرسله إلى مصر نائبا عنه حتى يعود إليها. وأما الخليفة، فإنه ركب من الرقة، في الدجلة، إلى بغداد، وأرسل إلى تورون، فاستوثق منه، ما كان حلف له من الأيمان، فأكدها، وقررها، فلما قرب من بغداد خرج إليه تورون، ومعه العساكر، فلما رأى الخليفة قبل الأرض بين يديه، وأظهر له أنه قد وفى له بما كان حلف له عليه، وأنـــزله في منظرته، ثم جاء، فاحتاط على من مع الخليفة من الكبراء، وأمر بسمل عيني الخليفة، فسملت عيناه، فصاح صيحة عظيمة سمعها الحريم، فضجت الأصوات بالبكاء، فأمر تورون، بضرب الدبادب [1] حتى لا تسمع أصوات الحريم، ثم انحدر من فوره، إلى بغداد، فبايع المستكفي. فكانت خلافة المتقي ثلاث سنين وخمسة أشهر وعشرين يوماً، وقيل : وأحد عشر شهراً وستأتي ترجمته عند ذكر وفاته .

خلافة المستكفي بالله عبد الله بن المكتفي بن المعتضد

لما رجع تورون إلى بغداد، وقد سمل عيني المتقي بالله، استدعى بالمستكفى، فبايعه ولقب بالمستكفي بالله، واسمه عبد الله، وذلك في العشر الأواخر من صفر من هذه السنة، وجلس

(١) الدبادب : الطبول ونحوها المثيرة للضجة والصياح .

تورون بين يديه، وخلع عليه المستكفي، وكان المستكفي مليح الشكل، ربعة حسن الجسم، والوجه، أبيض اللون، مشربا حمرة، أكحل أقنى الأنف، خفيف العارضين، وكان عمره يوم بويع بالخلافة، إحدى وأربعين سنة. وأحضر المتقي بين يديه، وبايعه، وأخذ منه البردة، والقضيب، واستوزر أبا الفرج محمد بن علي السامري، ولم يكن إليه من الأمر شيء، وإنما الذي يتولى الأمور ابن شيرزاد، وحبس المتقي بالسجن. وطلب المستكفي أبا القاسم الفضل بن المقتدر، وهو الذي ولي الخلافة بعد ذلك، ولقب المطيع لله، فاختفى منه، ولم يظهر مدة خلافة المستكفي فأمر المستكفي بهدم داره التي عند دجلة .

وفيها : مات القائم الفاطمي، وتولى ولده المنصور إسماعيل، فكتم موت أبيه مدة، حتى اتفق أمره، ثم أظهره والصحيح أن القائم مات في التي بعدها. وقد حاربهم أبو يزيد الخارجي فيها، وأخذ منهم مدنا كبارا، وكسروه مراراً متعددة، ثم يبرز إليهم، ويجمع الرجال، ويقاتلهم، فانتدب المنصور هذا لقتاله بنفسه، وجرت بينهم حروب، يطول ذكرها، وقد بسطها ابن الأثير في كامله وقد انهزم في بعض الأحيان جيش المنصور، ولم يبق إلا في عشرين نفساً. فقاتل بنفسه قتالا عظيما، فهزم أبا يزيد بعد ما كاد يقتله، وثبت المنصور ثباتا عظيما، فعظم في أعين الناس، وزادت حرمته، وهيبته، واستنقذ بلاد القيروان منه، وما زال يحاربه، حتى ظفر المنصور به وقتله. ولما جيء برأسه سجد شكراً لله. وكان أبو يزيد هذا قبيح الشكل، أعرج، قصيرا، خارجياً شديداً يكفر أهل الملة .

وفي ذي الحجة منها ، قتل أبو الحسين البريدي، وصلب، ثم أحرق، وذلك أنه قدم بغداد، يستنجد بتورون، وأبي جعفر بن شيرزاد على ابن أخيه، فوعدوه النصر، ثم شرع يفسد ما بين تورون، وابن شيرزاد، فعلم بذلك ابن شيرزاد، فأمر بسجنه، وضربه، ثم أفتاه بعض الفقهاء، بإباحة دمه، فأمر بقتله، وصلبه، ثم أحرقه ، وانقضت أيام البريدية، وزالت دولتهم. وفيها أمر المستكفي بإخراج القاهر، الذي كان خليفة، وأنزله دار ابن طاهر، وقد افتقر حتى لم يبق له شيء من اللباس، سوى قطعة عباءة، يلتف بها، وفي رجله قبقاب من خشب .

وفيها : اشتد البرد والحر. وفيها ركب معز الدولة في رجب منها إلى واسط، فبلغ خبره إلى تورون، فركب هو والمستكفي بالله، فلما سمع بهما رجع إلى بلاده، وتسلمها الخليفة، وضمنها أبو القاسم بن أبي عبد الله، ثم رجع تورون، والخليفة إلى بغداد، في شوال منها، وفيها ركب سيف الدولة على ابن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان إلى حلب، فتسلمها من يأنس المؤنسي، ثم سار إلى حمص، ليأخذها، فجاءته جيوش الأخشيد محمد بن طغج، مع مولاه كافور، فاقتتلوا بقنسرين، فلم يظفر أحد منهما بصاحبه، ورجع سيف الدولة إلى الجزيرة، ثم عاد إلى حلب، فاستقر ملكه بها، فقصدته الروم في جحافل عظيمة، فالتقى معهم، فظفر بهم، فقتل منهم خلقا كثيرا .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة

في المحرم زاد الخليفة في لقبه إمام الحق، وكتب ذلك على السكة المتعامل بها، ودعا له الخطباء على المنابر أيام الجمع، وفي المحرم منها ، مات تورون التركي، في داره ببغداد، وكانت إمارته سنتين وأربعة أشهر وعشرة أيام. وكان ابن شيرزاد كاتبه، وكان غائباً بهيت، لتخليص المال، فلما بلغه الخبر، أراد أن يعقد البيعة لناصر الدولة بن حمدان، فاضطربت الأجناد، وعقدوا الرياسة عليهم لابن شيرزاد، فحضر، ونزل بباب حرب، مستهل صفر، وخرج إليه الأجناد كلهم، وحلفوا له وحلف الخليفة، والقضاة، والأعيان، ودخل على الخليفة، فخاطبه بأمير الأمراء، وزاد في أرزاق الجند، وبعث إلى ناصر الدولة، يطالبه بالخراج، فبعث إليه بخمسمائة ألف درهم، وبطعام يفرقه في الناس، وأمر، ونهى، وعزل، وولّى، وقطع، ووصل، وفرح بنفسه ثلاثة أشهر وعشرين يوماً، ثم جاءت الأخبار، بأن معز الدولة بن بويه، قد أقبل في الجيوش، قاصداً بغداد، فاختفى ابن شيرزاد، والخليفة أيضاً، وخرج إليه الأتراك، قاصدين الموصل، ليكونوا مع ناصر الدولة بن حمدان .

أول دولة بني بويه وحكمهم ببغداد

أقبل معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه، في جحافل عظيمة من الجيوش، قاصدا بغداد، فلما اقترب منها بعث إليه الخليفة المستكفي بالله الهدايا، والإنزالات، وقال للرسول : أخبره، أني مسرور به، وأني إنما اختفيت من شر الأتراك الذين انصرفوا إلى الموصل، وبعث إليه بالخلع والتحف، ودخل معز الدولة بغداد في جمادى الأولى من هذه السنة، فنــزل بباب الشماسية، ودخل من الغد إلى الخليفة، فبايعه، ودخل عليه المستكفي، ولقبه بمعز الدولة، ولقب أخاه أبا الحسن بعماد الدولة، وأخاه أبا علي الحسن بركن الدولة، وكتب ألقابهم على الدراهم والدنانير. ونزل معز الدولة بدار مؤنس الخادم، ونزل أصحابه من الديلم بدور الناس، فلقي الناس منهم ضائقة شديدة، وأمن معز الدولة ابن شيرزاد، فلما ظهر استكتبه على الخراج، ورتب للخليفة بسبب نفقاته خمسة آلاف درهم في كل يوم، واستقرت الأمور على هذا النظام، والله أعلم.

القبض على الخليفة المستكفي بالله وخلعه

لما كان اليوم الثاني والعشرين من جمادى الآخرة، حضر معز الدولة إلى الحضرة، فجلس على سرير بين يدي الخليفة، وجاء رجلان من الديلم فمدا أيديهما إلى الخليفة فأنزلاه عن كرسيه، وسحباه، فتحربت [1] عمامته في حلقه، ونهض معز الدولة واضطربت دار الخلافة، حتى خلص إلى الحريم، وتفاقم الحال، وسيق الخليفة ماشيا، إلى دار معز الدولة. فاعتقل بها، وأحضر

---

(١) تحربت : سلبت .

أبو القاسم الفضل بن المقتدر، فبويع بالخلافة، وسملت عينا المستكفي، وأودع السجن، فلم يزل به مسجونا، حتى كانت وفاته في سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة كما يأتي ذكر ترجمته هناك .

خلافة المطيع لله

لما قدم معز الدولة بغداد، وقبض على المستكفي، وسمل عينيه، استدعى بأبي القاسم الفضل ابن المقتدر بالله، وقد كان مختفيا من المستكفي، وهو يحث على طلبه، ويجتهد، فلم يقدر عليه، ويقال : إنه اجتمع بمعز الدولة سراً فحرضه على المستكفي، حتى كان من أمره ما كان، ثم أحضره، وبويع له بالخلافة، ولقب بالمطيع لله، وبايعه الأمراء، والأعيان، ومعز الدولة والعامة، وضعف أمر الخلافة جداً، حتى لم يبق للخليفة أمر ولا نهي ولا وزير أيضاً، وإنما يكون له كاتب على أقطاعه، وإنما الدولة ومورد المملكة، ومصدرها، راجع إلى معز الدولة، وذلك لأن بني بويه، ومن معهم من الديلم، كان فيهم تعسف شديد، وكانوا يرون أن بني العباس، قد غصبوا الأمر من العلويين، حتى عزم معز الدولة على تحويل الخلافة إلى العلويين، واستشار أصحابه في ذلك فكلهم أشار عليه بذلك، إلا رجلا واحداً من أصحابه كان سديد الرأي فيهم، فقال : لا أرى لك ذلك. قال : ولم ذاك؟ قال : لأن هذا خليفة ترى أنت وأصحابك أنه غير صحيح الإمارة،حتى لو أمرت بقتله قتله أصحابك، ولو وليت رجلاً من العلويين اعتقدت أنت، وأصحابك، ولايته صحيحة . فلو أمرت بقتله لم تطع بذلك، ولو أمر بقتلك لقتلك أصحابك. فلما فهم ذلك صرفه عن رأيه الأول، وترك ما كان عزم عليه للدنيا لا لله عزّ وجلّ .

ثم نشبت الحرب بين ناصر الدولة بن حمدان، وبين معز الدولة بن بويه، فركب ناصر الدولة، بعدما خرج معز الدولة، والخليفة، إلى عكبرا فدخل بغداد، فأخذ الجانب الشرقي، ثم الغربي، وضعف أمر معز الدولة، والديلم الذين كانوا معه، ثم مكر به معز الدولة، وخدعه، حتى استظهر عليه، وانتصر أصحابه، فنهبوا بغداد، وما قدروا عليه من أموال التجار، وغيرهم، وكان قيمة ما أخذ أصحاب معز الدولة من الناس عشرة آلاف ألف دينار، ثم وقع الصلح بين ناصر الدولة، ومعز الدولة، ورجع ابن حمدان إلى بلده الموصل، واستقر أمر معز الدولة بمدينة السلام ببغداد، ثم شرع في استعمال السعاة، ليبلغوا أخاه ركن الدولة أخباره، فغوي الناس في ذلك، وعلموا أبناءهم حتى كان من الناس من كان يقطع نيفا وثلاثين فرسخا في يوم واحد وأعجبه المصارعون، والملاكمون وغيرهم من أرباب هذه الصناعات، التي لا ينتفع بها إلا كل قليل العقل، فاسد المروءة، وتعلموا السباحة، ونحوها، وكانت تضرب الطبول بين يديه، ويتصارع الرجال، والكوسان [1] تدق حول سور المكان، الذي هو فيه، وكل ذلك رعونة، وقلة عقل،

---

(١) الكُوسُ : بالضم الطبل .

وسخافة منه. ثم احتاج معز الدولة إلى صرف أموال في أرزاق الجند، فأقطعهم البلاد عوضاً عن أرزاقهم،فأدى ذلك إلى خراب البلاد،وترك عمارتها، إلا الأراضي التي بأيدي أصحاب الجاهات.

وفي هذه السنة: وقع غلاء شديد ببغداد، حتى أكلوا الميتة، والسنانير، والكلاب، وكان من الناس من يسرق الأولاد، فيشويهم، ويأكلهم، وكثر الوباء في الناس، حتى كان لا يدفن أحد أحدا بل يتركون على الطرقات،فيأكل كثيرا منهم الكلاب، وبيعت الدور،والعقار بالخبز، وانتجع[1] الناس إلى البصرة، فكان منهم من مات في الطريق، ومنهم من وصل إليها بعد مدة مديدة .

وفيها : كانت وفاة القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن عبد الله المهدي، وولي الأمر من بعده ولده المنصور إسماعيل، وكان حازم الرأي، شديداً شجاعاً، كما ذكرنا ذلك في السنة الماضية، وكانت وفاته في شوال من هذه السنة على الصحيح . وفيها توفي : الأخشيد محمد بن طغج، صاحب الديار المصرية، والبلاد الشامية، وكانت وفاته بدمشق، وله من العمر بضع وستون سنة، وأقيم ولده أبو القاسم أبو جور ــ وكان صغيراً ــ وأقيم كافور الأخشيد أتابكه، وكان يدبر الممالك بالبلاد كلها، واستحوذ على الأمور كلها، وسار إلى مصر، فقصد سيف الدولة بن حمدان دمشق، فأخذها من أصحاب الأخشيد، ففرح بها فرحا شديداً، واجتمع بمحمد بن محمد بن نصر الفارابي التركي الفليسوف بها. وركب سيف الدولة يوماً مع الشريف العقيلي، في بعض نواحي دمشق، فنظر سيف الدولة إلى الغوطة فأعجبته، وقال : ينبغي أن يكون هذا كله لديوان السلطان ــ كأنه يعرض بأخذها من ملاكها ــ فأوغر ذلك صدر العقيلي، وأوعاه إلى أهل دمشق، فكتبوا إلى كافور الأخشيدي، يستنجدونه، فأقبل إليهم، في جيوش كثيرة كثيفة، فأجلى عنهم سيف الدولة، وطرده عن حلب أيضاً، واستناب عليها، ثم كرّ راجعاً إلى دمشق، فاستناب عليها بدراً الأخشيدي، ــ ويعرف ببدير ــ فلما صار كافور إلى الديار المصرية، رجع سيف الدولة إلى حلب، فأخذها كما كانت أولا له، ولم يبق له في دمشق شيء يطمع فيه وكافور هذا الذي هجاه المتنبي ومدحه أيضا. وممن توفي فيها من الأعيان .

عمر بن الحسين

صاحب المختصر في الفقه على مذهب الإمام أحمد، وقد شرحه القاضي أبو يعلى بن الفراء، والشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسي، وقد كان الخرقي هذا من سادات الفقهاء، والعباد كثير الفضائل والعبادة خرج من بغداد مهاجراً، لما كثر بها الشر، والسب للصحابة، وأودع كتبه في بغداد، فاحترقت الدار التي كانت فيها الكتب، وعدمت مصنفاته، وقصد دمشق، فأقام بها حتى مات في هذه السنة، وقبره بباب الصغير يزار قريباً من قبور الشهداء وذكر في مختصر هذا في الحج : يأتي الحجر الأسود، ويقبله إن كان هناك وإنما قال ذلك، لأن تصنيفه

(١) انتجع : خرج (نجع) اللسان .

لهذا الكتاب كان والحجر الأسود قد أخذته القرامطة، وهو في أيديهم في سنة سبع عشرة وثلاثمائة كما تقدم ذلك، ولم يرد إلى مكانه إلا سنة سبع وثلاثين كما سيأتي بيانه في موضعه، قال الخطيب البغدادي : قال لي القاضي أبو يعلى : كانت للخرقي مصنفات كثيرة، وتخريجات على المذهب، لم تظهر لأنه خرج من مدينته لما ظهر بها سب الصحابة، وأودع كتبه، فاحترقت الدار التي هي فيها، فاحترقت الكتب، ولم تكن قد انتشرت لبعده عن البلد. ثم روى الخطيب من طريقه عن أبي الفضل عبد السميع الهاشمي عن الفتح بن شخرف عن الخرقي : قال : رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في المنام، فقال لي : ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء!! قال : قلت : زدني يا أمير المؤمنين. قال : وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء قال : ورفع له كفه فإذا فيها مكتوب .

قد كنتَ ميتًا فصرتَ حيـًا ... وعن قريبٍ تعودُ ميتا

فابن بدارِ البقاءِ بيتـًا ... ودعْ بدارِ الفناءِ بيتا

قال ابن بطة : مات الخرقي بدمشق سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وزرت قبره رحمه الله .

محمد بن عيسي

أبو عبد الله بن موسى، الفقيه الحنفي، أحد أئمة العراقيين في زمانه، وقد ولي القضاء، ببغداد، للمتقي، ثم للمستكفي، وكان ثقة فاضلا، كبست اللصوص داره، يظنون أنه ذو مال، فضربه بعضهم بضربة أثخنته،فهرب منهم إلى السطوح فألقى نفسه من شدة الفزع إلى الأرض، فمات رحمه الله في ربيع الأول من هذه السنة .

محمد بن محمد بن عبد الله

أبو الفضل السلمي الوزير الفقيه المحدث الشاعر، سمع الكثير، وجمع، وصنف، وكان يصوم الاثنين، والخميس، ولا يدع صلاة الليل، والتصنيف، وكان يسأل الله تعالى الشهادة كثيرا، فولي الوزارة للسلطان، فقصده الأجناد، فطالبوه بأرزاقهم، واجتمع منهم ببابه خلق كثير، فاستدعى بحلاق، فحلق رأسه، وتنور وتطيب، ولبس كفنه، وقام يصلي، فدخلوا عليه، فقتلوه وهو ساجد، رحمه الله، في ربيع الآخر من هذه السنة .

الأخشيد محمد بن عبد الله بن طغج

أبو بكر، الملقب بالأخشيد، ومعناه ملك الملوك، لقبه بذلك الراضي؛ لأنه كان ملك فرغانة، وكل من ملكها كان يسمى الأخشيد، كما أن من ملك أشروسية، يسمى الآفشين. ومن ملك خوارزم، يسمى خوارزم شاه، ومن ملك جرجان، يسمى صوك، ومن ملك أذربيجان، يسمى أصبهند، ومن ملك طبرستان، يسمى أرسلان. قاله ابن الجوزي في منتظمه،

قال السهيلي : وكانت العرب، تسمي من ملك الشام مع الجزيرة كافرا: قيصر، ومن ملك الفرس: كسرى، ومن ملك اليمن: تبع، ومن ملك الحبشة: النجاشي، ومن ملك الهند: بطليموس، ومن ملك مصر كافرا: فرعون. ومن ملك الإسكندرية: المقوقس. وذكر غير ذلك. توفي بدمشق، ونقل إلى بيت المقدس، فدفن هناك، رحمه الله .

أبو بكر الشبلي

أحد مشايخ الصوفية، اختلفوا في اسمه على أقوال، فقيل : دلف بن جعفر، ويقال : دلف ابن جحدر، وقيل : جعفر بن يونس، أصله من قرية، يقال لها : شبلة، من بلاد أشروسية، من خراسان، وولد بسامرا، وكان أبوه، حاجب الحجاب للموفق، وكان خاله نائب الإسكندرية، وكانت توبة الشبلي على يدي خير النساج، سمعه يعظ، فوقع في قلبه كلامه، فتاب من فوره، ثم صحب الفقراء والمشايخ، ثم كان بعد ذلك من أئمة القوم. قال الجنيد : الشبلي تاج هؤلاء. وقال الخطيب : أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الزوزني قال : سمعت علي بن المثنى التميمي يقول: دخلت يوما على الشبلي في داره، وهو يهيج ويقول :

على بُعـــدكَ لايـــــــــصرُ ... مَـــــنْ عـــــادتُهُ القُـــــرْبُ
ولا يقــوى على هجـــــــرك ... مـــن تيّمـــــــه الحـــبُّ
فــــــإنْ لم تَــرَكَ العيـــنُ ... فقـــدْ يُبصـــــرُكَ القلـــبُ

وقد ذكر له أحوال، وكرامات، وقد ذكرنا أنه كان ممن اشتبه عليه أمر الحلاج، فيما نسب إليه، من الأقوال، من غير تأمل لما فيها، مما كان الحلاج يحاوله من الإلحاد، والاتحاد ولما حضرته الوفاة، قال لخادمه : قد كان على درهم مظلمة، فتصدقت عن صاحبه، بألوف، ومع هذا ما على قلبي شغل أعظم منه. ثم أمره بأن يوضئه، فوضأه، وترك تخليل لحيته فرفع الشبلي يده ـــ وقد كان اعتقل لسانه ـــ فجعل يخلل لحيته بنفسه، وذكره القاضي ابن خلكان في الوفيات وحكى عنه : أنه دخل يوماً على الجنيد، فوقف بين يديه، وصفق بيديه، وأنشد :

عَوَّدُوني الوصالَ والوصلُ عـــذبُ ... وَرَمُـــوني بالصــــدِّ والصـــدُّ صعبُ
زَعَمُواَ حـــين أَعْتَبوُا انّ جُـــرْمِي ... فرطُ حُبِّي لهـــم ومـــا ذاك ذنـــــــبُ
لا وَحَقِّ الخضوعِ عنـــدَ التلاقـــي ... ما جـــزاءُ مَنْ يُحبُّ إلا يُحَـــــــبُّ

وذكر عنه قال : رأيت مجنونا على باب جامع الرصافة يوم جمعة عريانا، وهو يقول : أنا مجنون الله أنا مجنون الله فقلت : ألا تستتر، وتدخل إلى الجامع، فتصلي الجمعة فقال :

يقولون: زُرْنا واقضِ واجـــبَ حَقِّنَا ... وَقَدْ أَسْقَطَـــتْ حالي حقوقَهـــم عـــنّي

إِذا ابْصرُوا حَالِي ولَمْ يأنفــُوا لَهَــا ولم يأنفــوا منها أَنِفْــتُ لَهُم مِنِّ

وذكر الخطيب في تاريخه عنه أنه أنشد لنفسه فقال :

مَضَتِ الشبيبةُ والحبيبةُ فــانْبَــرى دمعــانِ في الأجفــانِ يَزْدَحِمَــــانِ

ما أَنْصَفَتْنِي الحادثاتُ رَمَيْنَــنِي بمودّعَــــيْنِ وليـــس لي قَلْبَــــانِ

كانت وفاته رحمه الله ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من هذه السنة، وله سبع وثمانون سنة، ودفن في مقبرة الخيزران ببغداد، والله أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

في هذه السنة استقر أمر الخليفة المطيع لله في دار الخلافة، واصطلح معز الدولة بن بويه، وناصر الدولة بن حمدان على ذلك، ثم حارب ناصر الدولة تكين التركي، فاقتتلا مرات متعددة، ثم ظفر ناصر الدولة، بتكين، فسمل بين يديه، واستقر أمره بالموصل والجزيرة ، وفيها : استحوذ ركن الدولة بن بويه على الري، وانتزعها من الخراسانية، واتسعت مملكة بني بويه جدا، فإنه صار بأيديهم، أعمال الري، والجبل، وأصبهان، وفارس، والأهواز، والعراق، ويحمل إليهم ضمان الموصل، وديار ربيعة من الجزيرة، وغيرها ثم اقتتل جيش معز الدولة، وجيش أبي القاسم البريدي، فهزم أصحاب البريدي، وأسر من أعيانهم جماعة كثيرة. وفيها : وقع الفداء بين الروم والمسلمين، على يد نصر المستملي أمير الثغور لسيف الدولة بن حمدان، فكان عدة الأسارى، نحوا من ألفين وخمسمائة مسلم، ولله الحمد والمنة . وممن توفي فيها من الأعيان .

الحسن بن حمويه بن الحسين

القاضي الاستراباذي : روى الكثير وحدث، وكان له مجلس للإملاء، وحكم ببلده مدة طويلة، وكان من المجتهدين بالأسحار، ويضرب به المثل في ظرفه، وفكاهته. وقد مات فجأة على صدر جاريته عند إنزاله .

عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله

أبو عبد الله الختلي، سمع ابن أبي الدنيا وغيره. وحدث عنه الدارقطني وغيره، وكان ثقة ثبتا حافظا حدث من حفظه بخمسين ألف حديث .

عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن زيد بن تميم أبو محمد الكلبي الملقب بديك الجن الشاعر الماجن الشيعي ويقال : إنه من موالي بني تميم، له أشعار قوية. خمارية، وغير خمارية، وقد استجاد أبو نواس شعره في الخماريات .

علي بن عيسى بن داود بن الجراح

أبو الحسن الوزير للمقتدر، والقاهر، ولد سنة خمس وأربعين ومائتين، وسمع الكثير، وعنه الطبراني، وغيره، وكان ثقة ثبتا فاضلا عفيفا كثير التلاوة والصيام والصلاة، يحب أهل العلم، ويكثر مجالستهم، أصله من الفرس، وكان من أكبر القائمين على الحلاج، وروى عنه : أنه قال: كسبت سبعمائة ألف دينار، أنفقت منها في وجوه الخير ستمائة ألف وثمانين ألفا، ولما دخل مكة حين نفي من بغداد طاف بالبيت، وبالصفا والمروة وكان حر شديد،فجاء المنـــزل، فألقى نفسه، وقال : أشتهي على الله شربة ثلج. فقال له بعض أصحابه : هذا لا يتهيأ ههنا. فقال : أعرف، ولكن سيأتي به الله إذا شاء، وأصبر إلى المساء، فلما كان في أثناء النهار، جاءت سحابة، فأمطرت، وسقط منها برد شديد كثير، فجمع له صحابه من ذلك البرد شيئاً كثيراً، وخبأه له وكان الوزير صائما، فلما أمسى جاء به، فلما جاء المسجد، أقبل إليه صاحبه، بأنواع الأشربة، وكلها بثلج، فجعل الوزير يسقيه، لمن حواليه من الصوفية، والمجاورين، و لم يشرب هو منه شيئا، فلما رجع إلى المنـــزل جئته بشيء من ذلك الشراب، كنا خبأناه له، وأقسمت عليه ليشربنه، فشربه بعد جهد جهيد، وقال : أشتهي لو كنت تمنيت المغفرة، رحمه الله وغفر له. ومن شعره قوله :

فمنْ كانَ عَنّي ســـائلاً بشمـــاتةِ ... لما نَابَني أو شـــامتًا غيرَ سائـــلِ

فقدْ أبرزتْ مني الخطوبُ ابنَ حرةٍ ... صبـــورًا على أهوال تلكَ الزلازلِ

وقد روى أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي، عن أبيه عن جماعة : أن عطارا من أهل الكرخ كان مشهورا بالسنة، ركبه ستمائة دينار دينا، فأغلق دكانه، وانكسر عن كسبه، ولزم منـــزله، وأقبل على الدعاء، والتضرع والصلاة ليالي كثيرة، فلما كان في بعض تلك الليالي. رأي رسول الله ﷺ في المنام، وهو يقول له : اذهب إلى علي بن عيسى الوزير، فقد أمرته لك بأربعمائة دينار. فلما أصبح الرجل، قصد باب الوزير، فلم يعرفه أحد، فجلس لعل أحدا يستأذن له على الوزير حتى طال عليه المجلس، وهم بالانصراف، ثم إنه قال لبعض الحجبة : قل للوزير : إني رجل رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وأنا أريد أن أقصه على الوزير. فقال له الحاجب : وأنت صاحب الرؤيا؟ إن الوزير قد أنفذ في طلبك رسلا متعددة. ثم دخل الحجاب، فأخبروا الوزير، فقال : أدخله على سريعا فدخل عليه، فأقبل عليه الوزير، يستعلم عن حاله، واسمه وصفته ومنـــزله، فذكر ذلك له، فقال له الوزير : إني رأيت رسول الله ﷺ ، وهو يأمرني بإعطائك أربعمائة دينار، فأصبحت لا أدري من أسأل عنك ولا أعرفك؟ ولا أعرف أين أنت؟. وقد أرسلت في طلبك، إلى الآن، عدة رسل، فجزاك الله خيراً، في قصدك إياي، ثم أمر الوزير بإحضار ألف دينار فقال : هذه أربعمائة دينار لأمر رسول الله ﷺ ، وستمائة هبة من عندي. فقال الرجل : لا والله، لا أزيد على ما أمرني به رسول الله ﷺ ، فإني أرجو الخير، والبركة فيه. ثم أخذ منها أربعمائة دينار، فقال الوزير : هذا هو الصدق، واليقين. فخرج الرجل ومعه

الأربعمائة دينار، فعرض على أرباب الديون أموالهم، فقالوا : نحن نصبر عليك ثلاث سنين، وافتح بهذا الذهب دكانك، ودم على كسبك فأبى إلا أن يعطيهم من أموالهم الثلث، فدفع إليهم مائتي دينار، وفتح حانوته بالمائتي دينار الباقية، فما حال عليه الحول، حتى ربح ألف دينار. ولعلي بن عيسى الوزير أخبار كثيرة صالحة كانت وفاته في هذه السنة عن تسعين سنة ويقال : في التي قبلها والله أعلم .

محمد بن إسماعيل

ابن إسحاق بن بحر أبو عبد الله الفارسي الفقيه الشافعي، كان ثقة ثبتا فاضلا سمع أبا زرعة الدمشقي، وغيره، وعنه الدارقطني، وغيره، وآخر من حدث عنه أبو عمر بن مهدي. وكانت وفاته في شوال من هذه السنة .

هارون بن محمد

ابن هارون بن علي بن موسى بن عمرو بن جابر بن يزيد بن جابر بن عامر بن أسيد بن تميم بن صبح بن ذهل بن مالك بن سعيد بن حبنة أبو جعفر، والد القاضي أبي عبد الله الحسن ابن هارون كان أسلافه ملوك عمان في قديم الزمان، وجده يزيد بن جابر أدرك الإسلام فأسلم، وحسن إسلامه، وكان هارون هذا أول من انتقل من أهله من عمان فنـــزل بغداد وحدّث بها، وروى عن أبيه، وكان فاضلا متضلعا من كل فن، وكانت داره مجمع العلماء في سائر الأيام، ونفقاته دارة عليهم، وكان له منـــزلة عالية، ومهابة وافرة ببغداد، وقد أثنى عليه الدارقطني ثناء كثيراً، وقال : كان مبرزا في النحو واللغة والشعر، ومعاني القرآن، وعلم الكلام .

قال ابن الأثير : وفيها: توفي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العباس بن صول الصولي، وكان عالما بفنون الآداب والأخبار، وإنما ذكره ابن الجوزي في التي بعدها كما سيأتي .

أبو العباس – ابن القاضي – أحمد بن أبي أحمد الطبري

الفقيه الشافعي، تلميذ ابن سريج. له كتاب (التلخيص) ، وكتاب (المفتاح)، وهو مختصر شرحه أبو عبد الله الحسين، وأبو عبد الله السنجي أيضاً، وكان أبوه يقص على الناس الأخبار والآثار، وأما هو، فتولى قضاء طرسوس، وكان يعظ الناس أيضاً، فحصل له مرة خشوع، فسقط مغشيا عليه، فمات في هذه السنة .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وثلاثمائة

فيها: خرج معز الدولة، والخليفة المطيع لله من بغداد إلى البصرة، فاستنقذاها من يد أبي القاسم بن البريدي، وهرب هو وأكثر أصحابه، واستولى معز الدولة على البصرة، وبعث يتهدد القرامطة، ويتوعدهم بأخذ بلادهم، وزاد في أقطاع الخليفة ضياعًا، تعمل في كل سنة مائتي ألف

دينار، ثم سار معز الدولة لتلقي أخيه عماد الدولة بالأهواز، فقبل الأرض بين يدي أخيه، وقام بين يديه مقاماً طويلا، فأمره بالجلوس، فلم يفعل، ثم عاد إلى بغداد صحبة الخليفة، فتمهدت الأمور جيدا، وفي هذه السنة استحوذ ركن الدولة على بلاد طبرستان، وجرجان، من يد وشمكير أخي مرداويج ملك الديلم، فذهب وشمكير إلى خراسان، يستنجد بصاحبها كما سيأتي.

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو الحسين بن المنادي

أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله بن يزيد، سمع جده، وعباساً الدوري، ومحمد بن إسحاق الصاغاني. وكان ثقة أمينا حجة صادقا صنف كثيرا، وجمع علوما جمة، و لم يسمع الناس منها إلا اليسير، وذلك لشراسة أخلاقه، وآخر من روى عنه : محمد بن فارس اللغوي،ونقل ابن الجوزي، عن أبي يوسف القزويني : أنه قال : صنف أبو الحسين بن المنادي، في علوم القرآن، أربعمائة كتاب، ونيفا وأربعين كتابا، ولا يوجد في كلامه حشو، بل هو نقي الكلام، جمع بين الرواية، والدراية. وقال ابن الجوزي : ومن وقف على مصنفاته علم فضله واطلاعه، ووقف على فوائد، لا توجد في غير كتبه. وكانت وفاته في محرم من هذه السنة عن ثمانين سنة .

الصولي محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس

ابن محمد بن صول أبو بكر الصولي، كان أحد العلماء بفنون الأدب، وحسن المعرفة بأخبار الملوك، وأيام الخلفاء، ومآثر الأشراف، وطبقات الشعراء. روى عن أبي داود السجستاني، والمبرد وثعلب، وأبي العيناء، وغيرهم. وكان واسع الرواية، جيد الحفظ، حاذقا بتصنيف الكتب، وله كتب كثيرة هائلة، ونادم جماعة من الخلفاء، وحظي عندهم، وكان جده صول، وأهله ملوكا بجرجان، ثم كان أولاده من كبار الكتاب، وكان الصولي هذا جيد الاعتقاد، حسن الطريقة، وله شعر حسن، وقد روى عنه الدارقطني، وغيره من الحفاظ، ومن شعره قوله :

أحببتُ منْ أجلهِ منْ كانَ يُشبهُهُ ... وكلُ شيءٍ منَ المعشوقِ معشوقٌ

حتى حكيتُ بجسمي مـــاءَ مُقلتهِ ... كأنَ سَقَمِي من عينيهِ مســـروقُ

خرج الصولي من بغداد، إلى البصرة لحاجة لحقته، فمات بها في هذه السنة .

وفيها : كانت وفاة ابنة الشيخ أبي الزاهد المكي، وكانت من العابدات، الناسكات المقيمات بمكة، وكانت تقتات من كسب أبيها من عمل الخوص، في كل سنة ثلاثين درهما يرسلها إليها، فاتفق أنه أرسلها مرة مع بعض أصحابه، فزاد عليها ذلك الرجل عشرين درهما ـــ يريد بذلك برها، وزيادة في نفقتها ـــ فلما اختبرتها، قالت : هل وضعت في هذه الدراهم شيئا

من مالك؟ أصدقني بحق الذي حججت له، فقال : نعم عشرين درهما، فقالت : ارجع بها لا حاجة لي فيها، ولولا أنك قصدت الخير لدعوت الله عليك، فإنك قد أجعتني عامي هذا، ولم يبق لي رزق إلا من المزابل إلى قابل. فقال : خذي منها الثلاثين التي أرسل بها أبوك إليك، ودعي العشرين. فقالت : لا، إنما قد اختلطت بمالك، ولا أدري ما هو، قال الرجل : فرجعت بها إلى أبيها، فأبى أن يقبلها، وقال : شققت يا هذا على، وضيقت عليها، ولكن اذهب فتصدق بها .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة

فيها: ركب معز الدولة من بغداد إلى الموصل، فانهزم منه ناصر الدولة إلى نصيبين، فتملك معز الدولة بن بويه الموصل، في رمضان، فعسف أهلها، وأخذ أموالهم، وكثر الدعاء عليه ثم عزم على أخذ البلاد كلها من يد ناصر الدولة بن حمدان، فجاء خبر أخيه ركن الدولة يستنجده على من قبله من الخراسانية، فاحتاج إلى مصالحة ناصر الدولة، على أن يحمل ما تحت يده من بلاد الجزيرة والشام في كل سنة ثمانية آلاف ألف درهم، وأن يخطب له ولأخويه عماد الدولة وركن الدولة على منابر بلاده كلها ففعل، وعاد معز الدولة إلى بغداد، وبعث إلى أخيه،ركن الدولة بجيش هائل، وأخذ له عهد الخليفة بولاية خراسان. وفيها دخل سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب إلى بلاد الروم، فلقيه جمع كثيف من الروم، فاقتتلوا قتالا شديداً، فانهزم سيف الدولة، وأخذت الروم مرعش، وأوقعوا بأهل طرسوس بأسا شديدا، فإنا لله وإنا إليه راجعون. قال ابن الجوزي : وفي رمضان، انتهت زيادة دجلة، إلى أحد وعشرين ذراعا وثلثا . فغرقت الضياع والدور التي عليها واشرف الجانب الشرقي على الغرق وهم الناس بالهرب منه .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الله بن محمد بن حمدويه

ابن نعيم بن الحكم أبو محمد البيع، وهو والد الحاكم أبي عبد الله النيسابوري، أذن ثلاثا وستين سنة، وغزا اثنتين وعشرين غزوة، وأنفق على العلماء مائة ألف، وكان يقوم الليل كثيرا، وكان كثير الصدقة، أدرك عبد الله بن أحمد بن حنبل، ومسلم بن الحجاج، وروى عن ابن خزيمة وغيره، توفي عن ثلاث وتسعين سنة .

قدامة الكاتب المشهور

هو قدامة بن جعفر بن قدامة أبو الفرج الكاتب، له مصنف في الخراج، وصناعة الكتابة، وبه يقتدي علماء هذا الشأن، وقد سأل ثعلبا عن أشياء .

محمد بن علي بن عمر أبو علي : المذكر الواعظ بنيسابور، كان كثير التدليس عن المشايخ الذين لم يلقهم توفي في هذه السنة عن مائة وسبع سنين سامحه الله .

محمد بن مطهر بن عبد الله

أبو المنجا الفقيه الفرضي المالكي، له كتاب في الفقه على مذهب مالك، وله مصنفات في الفرائض قليلة النظير وكان أديباً إمامًا فاضلا صادقا، رحمه الله .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة

في ربيع الأول منها وقعت فتنة بين الشيعة، وأهل السنة، ونهبت الكرخ، وفي جمادى الآخرة تقلد أبو السائب عتبة بن عبيد الله الهمداني قضاء القضاة، وفيها: خرج رجل يقال له : عمران بن شاهين، كان قد استوجب بعض العقوبات، فهرب من السلطان إلى ناحية البطائح، فكان يقتات مما يصيده من السمك والطيور، والتف عليه خلق من الصيادين وقطاع الطريق فقويت شوكته، واستعمله أبو القاسم بن البريدي على جباية بعض تلك النواحي، وأرسل إليه معز الدولة بن بويه جيشا مع وزيره أبي جعفر بن بويه الضميري، فهزم ذلك الصياد الوزير، واستحوذ على ما معه من الأموال، فقويت شوكة ذلك الصياد، ودهم الوزير .

وفاة عماد الدولة ابن بويه وهو.

أبو الحسن علي بن بويه

وهو أكبر أولاد بويه، وأول من تملك منهم، وكان عاقلا، حاذقا، حميد السيرة، رئيسا في نفسه. كان أول ظهوره في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة كما ذكرنا، فلما كان في هذا العام، قويت عليه الأسقام، وتواترت عليه الآلام، فأحس من نفسه بالهلاك، ولم يفاد له، ولا دفع عنه أمرَ الله ما هو فيه من الأموال، والملك، وكثرة الرجال، والأموال، ولا رد عنه جيشه من الديالم، والأتراك، والأعجام، مع كثرة العَدَد والعُدَد، بل تخلوا عنه أحوج ما كان إليهم ، فسبحان الله الملك القادر القاهر العلاّم، ولم يكن له وَلد ذكر، فأرسل إلى أخيه ركن الدولة، يستدعيه إليه، وولده عضد الدولة، ليجعله ولي عهده من بعده، فلما قدم عليه، فرح به فرحا شديداً، وخرج بنفسه في جميع جيشه يتلقاه، فلما دخل إلى دار المملكة أجلسه على السرير، وقام بين يديه، كأحد الأمراء، ليرفع من شأنه، عند أمرائه، ووزرائه، وأعوانه ثم عقد له البيعة، على ما يملكه، من البلدان، والأموال، وتدبير المملكة والرجال، وفيهم من بعض رءوس الأمراء كراهة لذلك، فشرع في القبض عليهم، وقتل من شاء منهم، وسجن آخرين حتى تمهدت الأمور لعضد الدولة، ثم كانت وفاة عماد الدولة بشيراز، في هذه السنة، عن سبع وخمسين سنة، وكانت مدة ملكه : ست عشرة سنة، وكان من خيار الملوك في زمانه، وكان ممن حاز قصب السبق دون أقرانه، وكان هو أمير الأمراء، وبذلك كان يكاتبه الخلفاء، ولكن أخوه معز الدولة كان ينوب عنه في ببغداد والعراق والسواد ولما مات عماد الدولة، اشتغل الوزير أبو جعفر الضميري عن محاربة عمران بن شاهين الصياد ـــ وكان قد كتب إليه معز الدولة، أن يسير إلى

شيراز، ويضبط أمرها ـــ فقوي أمر عمران بعد ضعفه، وكان من أمره ما سيأتي في موضعه، وممن توفي فيها من الأعيان أبو جعفر النحاس النحوي .

أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس

أبو جعفر المرادي المصري النحوي المعروف بالنحاس، اللغوي المفسر الأديب، له مصنفات كثيرة في التفسير وغيره، وقد سمع الحديث، ولقي أصحاب المبرد، وكانت وفاته في ذي الحجة من هذه السنة، قال ابن خلكان : لخمس خلون منها يوم السبت. وكان سبب وفاته، أنه جلس عند المقياس، يقطع شيئا من العروض، فظنه بعض العامة يسحر النيل، فرفسه برجله، فسقط فغرق، ولم يدر أين ذهب ؟ وقد كان أخذ النحو عن علي بن سليمان الأحوص، وأبي بكر الأنباري، وأبي إسحاق الزجاج، ونفطويه، وغيرهم، وله مصنفات كثيرة، مفيدة منها : « تفسير القرآن » ، « والناسخ والمنسوخ » ، « وشرح أبيات سيبويه » ، ولم يصنف مثله ، « وشرح المعلقات » ، « والدواوين العشرة » ، وغير ذلك، وروى الحديث عن أبي عبد الرحمن النسائي، وكان بخيلا جداً، وانتفع الناس به. وفيها كانت وفاة الخليفة .

المستكفي بالله

عبد الله بن علي المكتفي بالله، وقد ولي الخلافة سنة وأربعة أشهر ويومين، ثم خلع، وسملت عيناه كما تقدم ذكره. توفي في هذه السنة، وهو معتقل في داره، وله من العمر ست وأربعون سنة وشهران .

علي بن ممشاد بن سحنون بن نصر

أبو المعدل، محدث عصره بنيسابور، رحل إلى البلدان، وسمع الكثير، وحدث، وصنف مسنداً أربعمائة جزء، وله غير ذلك مع شدة الإتقان والحفظ وكثرة العبادة، والصيانة، والخشية لله عزّ وجلّ، قال بعضهم : صحبته في السفر، والحضر فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة. وله تفسير في مائتي جزء ونيف، دخل الحمام من غير مرض، فتوفي فيه فجأة، وذلك يوم الجمعة الرابع عشر من شوال من هذه السنة رحمه الله .

علي بن محمد بن أحمد بن الحسن

أبو الحسن الواعظ البغدادي، ارتحل إلى مصر، فأقام بها حتى عرف بالمصري، وقد سمع الكثير، وروى عنه الدارقطني، وغيره، وكان له مجلس وعظ، يحضر فيه الرجال والنساء، وكان يتكلم، وهو مبرقع لئلا يري النساء حسن وجهه ، وقد حضر بمجلسه أبو بكر النقاش، مستخفيا، فلما سمع كلامه، قام قائما، وشهر نفسه وقال له : القصص بعدك حرام. قال الخطيب : كان ثقة أمينا عارفا. جمع حديث الليث، وابن لهيعة، وله كتب كثيرة في الزهد، توفي في ذي القعدة منها ، وله سبع وثمانون سنة والله أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة

في هذه السنة المباركة في ذي القعدة منها رد الحجر الأسود المكي إلى مكانه في البيت، وقد كان القرامطة أخذوه، في سنة سبع عشرة وثلاثمائة كما تقدم وكان ملكهم إذ ذاك أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسين الجنابي، ولما وقع هذا أعظم المسلمون ذلك، وقد بذل لهم الأمير بجكم التركي خمسين ألف دينار، على أن يردوه إلى موضعه، فلم يفعلوا، وقالوا : نحن أخذناه بأمر، فلا نرده إلا بأمر من أخذناه بأمره، فلما كان في هذا العام حملوه إلى الكوفة، وعلقوه على الأسطوانة السابعة من جامعها، ليراه الناس، وكتب أخو أبي طاهر كتابا فيه : إنا أخذنا هذا الحجر، بأمر، وقد رددناه بأمر من أمرنا بأخذه، ليتم حج الناس ومناسكهم ثم أرسلوه إلى مكة بغير شيء على قعود، فوصل في ذي القعدة من هذه السنة، ولله الحمد والمنة، وكان مدة مقامه عندهم ثنتين وعشرين سنة، ففرح المسلمون لذلك فرحا شديداً. وقد ذكر غير واحد، أن القرامطة، لما أخذوه، حملوه على عدة جمال، فعطبت تحته، واعترى أسنمتها القرح، ولما ردوه، حمله قعود واحد، و لم يصبه أذى .

وفيها : دخل سيف الدولة بن حمدان، بجيش عظيم، نحو من ثلاثين ألفا، إلى بلاد الروم، فوغل فيها، وفتح حصوناً، وقتل خلقاً، وأسر أمما وغنم شيئا كثيراً ثم رجع، فأخذت عليه الروم الدرب الذي يخرج منه، فقتلوا عامة من معه، وأسروا بقيتهم، واستردوا ما كان أخذه، ونجا سيف الدولة في نفر يسير من أصحابه فإنا لله وإنا إليه راجعون، وفيها : مات الوزير أبو جعفر الضميري، فاستوزر معز الدولة مكانه أبا محمد الحسين بن محمد المهلبي في جمادى الأولى. فاستفحل أمر عمران بن شاهين الصياد، وتفاقم الأمر به، فبعث إليه معز الدولة جيشا بعد جيش، كل ذلك يهزمهم مرة بعد مرة، ثم عدل معز الدولة إلى مصالحته، واستعماله له، على بعض تلك النواحي، ثم كان من أمره،ما سنذكره إن شاء الله تعالى. وممن توفي فيها من الأعيان:

الحسن بن داود بن باب شاذ

أبو الحسن المصري قدم بغداد. كان من أفاضل الناس وعلمائهم بمذهب أبي حنيفة،مبسوط الذكاء، قوي الفهم، كتب الحديث، وكان ثقة. مات ببغداد، في هذه السنة، ودفن بمقبرة الشونيزية، و لم يبلغ من العمر أربعين سنة .

محمد القاهر بالله أمير المؤمنين

ابن المعتضد بالله، ولي الخلافة سنة وستة أشهر وسبعة أيام، وكان بطاشا، سريع الانتقام. فخاف منه وزيره أبو علي بن مقلة، فاستتر منه،فشرع في العمل عليه عند الأتراك فخلعوه، وسملوا عينيه وأودع دار الخلافة برهة من الدهر ثم أخرج في سنة ثلاث وثلاثين إلى دار ابن

طاهر وقد نالته فاقة وحاجة شديدة، وسأل في بعض الأيام. ثم كانت وفاته في هذا العام، وله ثنتان وخمسون سنة، ودفن إلى جانب أبيه المعتضد .

محمد بن عبد الله بن أحمد

أبو عبد الله الصفار الأصبهاني، محدث عصره بخراسان، سمع الكثير، وحدث عن ابن أبي الدنيا ببعض كتبه، وكان مجاب الدعوة، ومكث لا يرفع رأسه إلى السماء نيفا وأربعين سنة، وكان يقول : اسمي محمد، واسم أبي عبد الله، واسم أمي آمنة، يفرح بهذه الموافقة في الاسم واسم الأب واسم الأم، لأن النبي ﷺ كان اسمه محمد، واسم أبيه عبد الله، وأمه اسمها آمنة .

أبو نصر الفارابي

التركي الفيلسوف، وكان من أعلم الناس بالموسيقى، بحيث كان يتوسل به، وبصناعته إلى الناس، في الحاضرين من المستمعين، إن شاء حرك ما يبكي، أو يضحك، أو ينوم وكان حاذقا في الفلسفة، ومن كتبه : تفقه ابن سينا، وكان يقول : بالمعاد الروحاني لا الجثماني، ويخصص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة، وله مذاهب في ذلك، يخالف المسلمين، والفلاسفة من سلفه الأقدمين، فعليه إن كان مات على ذلك لعنة رب العالمين. مات بدمشق، فيما قاله ابن الأثير في كامله، و لم أر الحافظ بن عساكر ذكره في تاريخه، لنتنه، وقباحته، فالله أعلم .

ثم دخلت سنة أربعين وثلاثمائة

فيها: قصد صاحب عمان البصرة ليأخذها في مراكب كثيرة، وجاء لنصرة أبو يعقوب الهجري، فمانعه الوزير أبو محمد المهلبي، وصـــده عنهـــا، وأسر جماعة من أصحابه، وسبا سبياً كثيرا من مراكبه، فساقها معه في دجلة، ودخل بها إلى بغداد، في أبهة عظيمة، ولله الحمد. وفيها: رفع إلى الوزير أبي محمد المهلبي، رجل من أتباع أبي جعفر محمد بن علي بن أبي العز، الذي كان قتل على الزندقة، كما قتل الحلاج، فكان هذا رجل يدعي ما كان يدعيه ابن أبي العز، وقد اتبعه جماعة من الجهلة، من أهل بغداد، وصدقوه في دعواه الربوبية، وأن أرواح الأنبياء، والصديقين، تنتقل إليهم ووجد في منـــزله كتب تدل على ذلك. فلما تحقق أنه هالك، ادعى أنه شيعي، ليحظى عند معز الدولة بن بوية. وقد كان معز الدولة بن بويه يحب الرافضة –قبّحه الله – فلما اشتهر عنه ذلك، لم يتمكن الوزير منه، خوفا على نفسه من معز الدولة، وأن تقوم عليه الشيعة، إنا لله وإنا إليه راجعون. ولكنه احتاط على شيء من أموالهم، فكان يسميها أموال الزنادقة .

قال ابن الجوزي : وفي رمضان منها وقعت فتنة عظيمة بسبب المذهب . وممن توفي من الأعيان : أشهب بن عبد العزيز بن أبي داود بن إبراهيم أبو عمر العامري –نسبة إلى عامر بن لوي– كان أحد الفقهاء المشهورين في المالكية وكانت وفاته في شعبان منها .

أبو الحسن الكرخي

أحد أئمة الحنفية المشهورين، ولد سنة ستين ومائتين، وسكن بغداد، ودرس فقه أبي حنيفة، وانتهت إليه رئاسة أصحابه في البلاد، وكان متعبداً كثير الصلاة والصوم، صبوراً على الفقر، عزوفا عما في أيدي الناس، وكان مع ذلك رأسا في الاعتزال، وقد سمع الحديث من إسماعيل بن إسحاق القاضي، وروى عنه حيوة، وابن شاهين. وأصابه الفالج (١) في آخر عمره، فاجتمع عنده بعض أصحابه، واشتوروا فيما بينهم، أن يكتبوا إلى سيف الدولة بن حمدان، ليساعده بشيء يستعين به في مرضه، فلما علم بذلك، رفع رأسه إلى السماء؛ وقال : اللهم لا تجعل رزقي إلا من حيث عودتني . فمات عقب ذلك، قبل أن يصل إليه ما أرسل به سيف الدولة، وهو عشرة آلاف درهم. فتصدقوا بها بعد وفاته، وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة، عن ثمانين سنة، وصلى عليه أبو تمام الحسن بن محمد الزينبي، وكان صاحبه. ودفن في درب أبي زيد على نهر الواسطيين .

محمد بن صالح بن يزيد

أبو جعفر الوراق سمع الكثير، وكان يفهم، ويحفظ وكان ثقة زاهد، لا يأكل إلا من كسب يده، ولا يقطع صلاة الليل. وقال بعضهم : صحبته سنين كثيرة، فما رأيته فعل إلا ما يرضي الله عزّ وجلّ. ولا قال : إلا ما يسأل عنه، وكان يقوم أكثر الليل .

وفيها : كانت وفاة منصور بن قرابكين، صاحب الجيوش الخراسانية، من جهة الأمير نوح الساماني، وكانت وفاته لمرض حصل له، وقيل : لأنه أدمن شرب الخمر، أياماً متتابعة فهلك بسبب ذلك، فأقيم بعده في الجيوش أبو علي المحتاج الزجاجي، مصنف « الجُمَلُ » .

وهو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق النحوي، اللغوي، البغدادي الأصل. ثم الدمشقي. مصنف الجمل في النحو،وهو كتاب نافع ، كثير الفائدة، صنفه بمكة، وكان يطوف بعد كل باب منه، ويدعو الله تعالى أن ينفع به. أخذ النحو أولا عن محمد بن العباس اليزيدي، وأبي بكر بن دريد، وابن الأنباري. توفي في رجب سنة سبع، وقيل : سنة تسع وثلاثين، وقيل : سنة أربعين وثلاثمائة. توفي في دمشق، وقيل : بطبرية. وقد شرح كتابه « الجمل » بشروح كثيرة، من أحسنها، وأجمعها، ما وضعه ابن عصفور، والله أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة

فيها: ملكت الروم سروج، وقتلوا أهلها، وخربوا مساجدها، قال ابن الأثير : وفيها قصد موسى بن وجيه صاحب عمان البصرة، فمنعه منها المهلبي، كما تقدم. وفيها: نقم معز الدولة

(١) الفالج : داء يحدث في أحد شِقّي البدن فيبطل إحساسه وحركته - الشَّلَلُ - .

على وزيره، فضربه مائة وخمسين مقرعة، ولم يعزله بل رسم عليه، وفيها: اختصم المصريون، والعراقيون، بمكة، فخطب لصاحب مصر، ثم غلبهم العراقيون، فخطبوا لركن الدولة بن بويه .

وفيها كانت وفاة .

المنصور الفاطمي

وهو أبو طاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهدي صاحب المغرب وله من العمر تسع وثلاثون سنة، وكانت خلافته سبع سنين وستة عشر يوما، وكان عاقلا شجاعا، فاتكا، قهر أبا يزيد الخارجي الذي كان لا يطاق شجاعة، وإقداماً، وصبراً، وكان فصيحا بليغاً، يرتجل الخطبة على البديهة في الساعة الراهنة. وكان سبب موته، ضعف الحرارة الغريزية، كما أورده ابن الأثير في كامله، فاختلف عليه الأطباء، وقد عهد بالأمر من بعده لولده المعز الفاطمي، وهو باني القاهرة المعزيه، كما سيأتي بيانه، واسمه، وكان عمره إذ ذاك، أربعا وعشرين سنة، وكان شجاعا عاقلا أيضا حازم الرأي أطاعه من البربر، وأهل تلك النواحي، خلق كثير، وبعث مولاه جوهر القائد، فبنى له القاهرة، المتاخمة لمصر، واتخذ له فيها دار الملك، وهما القصران اللذان هناك ـــ اللذان يقال لهما : بين القصرين اليوم ـــ وذلك في سنة أربع وستين وثلاثمائة كما سيأتي. وممن توفي فيها من الأعيان :

إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح

أبو علي الصفار أحد المحدثين، لقي المبرد، واشتهر بصحبته، وكان مولده في سنة سبع وأربعين ومائتين، وسمع الحسن بن عرفة، وعباسا الدوري، وغيرهما. وروى عنه جماعة منهم الدارقطني. وقال : صام أربعة وثمانين رمضانا، وقد كانت وفاته، في هذه السنة، عن أربع وتسعين سنة، رحمه الله تعالى .

أحمد بن محمد بن زياد

ابن يونس بن درهم أبو سعيد بن الأعرابي، سكن مكة، وصار شيخ الحرم، وصحب الجنيد ابن محمد، والنوري، وغيرهما، وأسند الحديث، وصنف كتبا للصوفية .

إسماعيل بن القائم بن المهدي

الملقب بالمنصور العبيدي الذي يزعم أنه فاطمي، صاحب بلاد المغرب. وهو والد المعز باني القاهرة، وهو باني المنصورية، ببلاد المغرب كان شجاعا فصيحا بليغا قال أبو جعفر المروزي : خرجت معه، لما كسر أبا يزيد الخارجي، فبينما أنا أسير معه، إذ سقط رمحه، فنــزلت فناولته إياه، وذهبت أفاكهه، بقول الشاعر :

فألْقَتْ عَصَاها واستقرَّ بها النَّوى   كما قَرَّ عَيْنًا بالإيابِ المسافِرُ

فقال : هلا قلت : كما قال الله تعالى :﴿ وأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ . فَوَقَعَ الحَقُّ وبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُون . فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾ [الأعراف ١١٧ - ١١٩] قال : فقلت له : أنت ابن بنت رسول الله ﷺ، قلت : كما علمت، وأنا قلت : كما بلغ به أكثر علمي . قال ابن خلكان : وهذا كما جرى لعبد الملك بن مروان، حين أمر الحجاج أن يبني بابا بيت المقدس ويكتب عليه اسمه فبنى له بابا وبني لنفسه بابا آخر فوقعت صاعقة على باب عبد الملك، فأحرقته، فكتب إلى الحجاج بالعراق، يسأله عما أهمه من ذلك، يقول : ما أنا وأنت، إلا كما قال الله تعالى :﴿ واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا ولَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ ﴾ [المائدة ٢٧] فرضي عنه الخليفة بذلك توفى المنصور في هذه السنة، أصابه برد شديد، والله أعلم .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة

فيها : دخل سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب إلى بلاد الروم؛ فقتل منهم خلقا كثيراً وأسر آخرين، وغنم أموالا جزيلة، ورجع سالما غانما وفيها: اختلف الحجيج بمكة، ووقعت حروب بين أصحاب ابن طغج، وأصحاب معز الدولة، فغلبهم العراقيون، وخطبوا لمعز الدولة، ثم بعد انقضاء الحج، اختلفوا أيضاً فغلبهم العراقيون أيضا، وجرت حروب كثيرة بين الخراسانية والسامانية، اقتصاها ابن الأثير في كامله وممن توفي فيها من الأعيان :

علي بن محمد بن أبي الفهم

أبو القاسم التنوخي، جد القاضي أبي القاسم التنوخي، شيخ الخطيب البغدادي، ولد بأنطاكية، وقدم بغداد، فتفقه بها على مذهب أبي حنيفة، وكان يعرف الكلام على طريقة المعتزلة، ويعرف النجوم، ويقول الشعر، وولي القضاء بالأهواز، وغيرها، وقد سمع الحديث من البغوي، وغيره، وكان فهماً، ذكياً، حفظ وهو ابن خمس عشرة سنة، قصيدة دعبل الشاعر، في ليلة واحدة وهي ستمائة بيت، وعرضها على أبيه، صبيحتها، فقام إليه، وضمه، وقبل بين عينيه، وقال : يا بني لا تخبر بهذا أحداً، لئلا تصيبك العين. وذكر ابن خلكان : أنه كان نديماً للوزير المهلبي، ووفد على سيف الدولة بن حمدان، فأكرمه، وأحسن إليه، وأورد له من شعره أشياء حسنة فمن ذلك قوله في الخمر :

وراحٍ [٢] من الشمس مَخْلُوقَةٌ ... بَدَتْ لك في قَدَحٍ من نَهَارِ
هواءٌ ولكنهُ جَامِدٌ ... ومَاءٌ ولَكنّه غَيرُ جَارِ
كَأَنَّ المديرَ [٣] له باليمين ... إذا مال للسَقي أو باليسارْ
تدّرع ثوباً من الياسمين ... لَه بُرْدُ كمّ من الجُلّنَارِ [١]

---

(١) تدرَّع : الدِّرعُ درع المرأة : قميصها أو ثوب تلبسه فى بيتها . بُرْد :ثوب مخطط وهى ثياب غالية .جُلْنارُ: زهر الرمان (فارسية) .

(٢) راحٍ : الخمر الصافية الضاربة إلى الصفرة فى لونها . بدت ظهرت : قَدَحٌ : الذى يشرب فيه .

(٣) المدير : ساقى الخمر الذى يدور بها على الشاربين .

محمد بن إبراهيم

ابن الحسين بن الحسن بن عبد الخلاق أبو الفرج البغدادي الفقيه الشافعي، يعرف بابن سكره، سكن مصر، وحدث بها، وسمع منه أبو الفتح بن مسرور، وذكر أن فيه لينا .

محمد بن موسى بن يعقوب

ابن المأمون بن الرشيد هارون أبو بكر، ولي إمرة مكة، في سنة ثمان وستين ومائتين، وقدم مصر، فحدث بها عن علي بن عبد العزيز البغوي، بموطأ الإمام مالك. وكان ثقة مأمونا، توفي بمصر، في ذي الحجة منها .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة

فيها : كانت وقعة بين سيف الدولة بن حمدان، وبين الدمستق، فقتل خلقا من أصحاب الدمستق، وأسر آخرين، في جماعة من رؤساء بطارقته، وكان في جملة من قتل، قسطنطين بن الدمستق، وذلك في ربيع الأول من هذه السنة، ثم جمع الدمستق خلقاً كثيرا، فالتقوا مع سيف الدولة، في شعبان منها، فجرت بينهم حروب عظيمة، وقتال شديد، فكانت الدائرة للمسلمين، وخذل الله الكافرين، فقتل منهم خلق كثير، وأسر جماعة من الرؤساء، وكان منهم صهر الدمستق، وابن بنته أيضا، وفيها: حصل للناس أمراض كثيرة، وحمى، وأوجاع في الحلق، وفيها: مات الأمير الحميد بن نوح بن نصر الساماني صاحب خراسان، وما وراء النهر، وقام بالأمر من بعده ولده عبد الملك .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن أحمد

أبو علي الكاتب المصري، صحب أبا علي الروذباري وغيره، وكان عثمان المغربي يعظم أمره، ويقول : أبو علي الكاتب، من السالكين إلى الله. ومن كلامه الذي حكاه عنه أبو عبد الرحمن السلمي قوله : روائح نسيم المحبة، تفوح من المحبين وإن كتموها، ويظهر عليهم دلائلها وإن أخفوها، وتبدوا عليهم وإن ستروها، وأنشد :

إذا ما استَسَرّتْ أنفسُ الناسِ ذكـرَهُ تبيـنّ فيـهمْ وَإنْ لَـمْ يَتَكَلّـمُوا

تطـيّبهم أنفاسهمْ فـتذيـعهـا وهلْ سـرُّ مِسْكٍ أُودعَ الريحُ يُكتمُ ؟

علي بن محمد بن عقبة بن همام

أبو الحسن الشيباني الكوفي. قدم بغداد، فحدث بها عن جماعة، وروى عنه الدارقطني. وكان ثقة عدلاً. كثير التلاوة. فقيها، مكث يشهد على الحكام ثلاثا وسبعين سنة، مقبولاً عندهم، وأذن في مسجد حمزة الزيات، نيفاً وسبعين سنة، وكذلك أبوه من قبله .

محمد بن علي بن أحمد بن العباس

الكرخي الأديب، كان عالما زاهدا ورعا، يختم القرآن كل يوم، ويديم الصيام، سمع الحديث من عبدان وأقرانه .

أبو الخير التيناني

العابد الزاهد، أصله من العرب، كان مقيما بقرية يقال لها : تينان، من عمل أنطاكية، ويعرف بالأقطع لأنه كان مقطوع اليد، كان قد عاهد الله عهداً، ثم نكثه، فاتفق له، أنه مسك مع جماعة من اللصوص في الصحراء، وهو هناك سائح يتعبد، فأخذ معهم، فقطعت يده معهم، وكانت له أحوال، وكرامات، وكان ينسج الخوص بيده الواحدة. دخل عليه بعض الناس، فشاهد منه ذلك، فأخذ منه العهد أن لا يخبر به أحداً، ما دام حياً، فوفى له بذلك .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وثلاثمائة

قال ابن الجوزي : فيها شمل الناس ببغداد، وواسط، وأصبهان، والأهواز داء مركب من دم، وصفراء ووباء، مات بسبب ذلك خلق كثير بحيث كان يموت في كل يوم قريب من ألف نفس، وجاء فيها جراد عظيم، أكل الخضروات، والأشجار، والثمار. وفي المحرم منها، عقد معز الدولة لابنه أبي منصور باختيار الأمر من بعده بإمرة الأمراء، وفيها خرج رجل من أذربيجان : ادعى أنه يعلم الغيب، وكان يحرم اللحم، وما يخرج من الحيوانات، فأضافه مرة رجل، فجاءه بطعام كشكية بشحم، فأكله، فقال له الرجل بحضرة من معه : إنك تدعي أنك تعلم الغيب، وهذا طعام فيه شحم، وأنت تحرمه، فلم لا علمته؟ فتفرق عنه الناس. وفيها: جرت حروب كثيرة، بين المعز الفاطمي، وبين صاحب الأندلس عبد الرحمن الناصر الأموي، استقصاها ابن الأثير.

وممن توفي فيها من الأعيان :

عثمان بن أحمد

ابن عبد الله بن يزيد أبو عمرو الدقاق : المعروف بابن السماك : روى عن حنبل بن إسحاق وغيره، وعنه الدارقطني، وغيره، وكان ثقة ثبتا، كتب المصنفات الكثيرة بخطه. توفي في ربيع الأول منها، ودفن بمقبرة باب التبن، وحضر جنازته خمسون ألفا .

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد

أبو جعفر القاضي السامالي، ولد سنة إحدى وستين ومائتين، وسكن بغداد، وحدث بها، وكان ثقة، عالما سخيا، حسن الكلام، عراقي المذهب، وكانت داره مجمع العلماء،ثم ولي قضاء الموصل، وتوفي بها في هذه السنة في ربيع الأول منها .

محمد بن أحمد بن بُطة بن إسحاق الأصبهاني

أبو عبد الله سكن نيسابور ثم عاد إلى أصبهان وليس هذا بعبد الله بن بطة العكبري هذا متقدم عليه. هذا شيخ الطبراني وابن بطة الثاني يروي عن الطبراني، وهذا بضم الباء من بطة وابن بطه الثاني وهو الفقيه الحنبلي بفتحها وقد كان جد هذا، وهو ابن بطة بن إسحاق أبو سعيد، من المحدثين أيضا، ذكره ابن الجوزي في منتظمه .

محمد بن محمد بن يوسف بن الحجاج

أبو النضر الفقيه الطوسي، كان فقيها عالما ثقة عابدا. يصوم النهار، ويقوم الليل، ويتصدق بالفاضل من قوته، ويأمر بالمعروف، وينهي عن المنكر، وقد رحل في طلب الحديث إلى الأقاليم النائية، والبلدان المتباعدة، وكان قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء، فثلث للنوم، وثلث للتصنيف، وثلث للقراءة. وقد رآه بعضهم في النوم، بعد وفاته، فقال له : وصلت إلى ما طلبت؟ فقال : إي والله، نحن عند رسول الله ﷺ ، وقد عرضت مصنفاتي في الحديث عليه، فقبلها .

أبو بكر بن الحداد

الفقيه الشافعي، هو محمد بن أحمد بن محمد أبو بكر بن الحداد. أحد أئمة الشافعية، روى عن النسائي، وقال : رضيت به حجة بيني وبين الله عزّ وجلّ، وقد كان ابن الحداد فقيها فروعيا، ومحدثا، ونحويا، وفصيحاً في العبارة، دقيق النظر في الفروع، له كتاب في ذلك (غريب الشكل) ، وقد ولي القضاء بمصر، نيابة عن أبي عبيد بن حربويه. ذكرناه في طبقات الشافعية .

أبو يعقوب الأذرعي

إسحاق بن إبراهيم بن هاشم بن يعقوب بن ابراهيم النهدي، قال ابن عساكر : من أهل أذرعات ــ مدينة بالبلقاء ــ أحد الثقات، من عباد الله الصالحين. رحل، وحدث عنه جماعة من أجل أهل دمشق، وعبادها، وعلمائها، وقد روى عنه ابن عساكر أشياء تدل على صلاحه، وخرق العادة له، فمن ذلك قال: إنه قال : سألت الله أن يقبض بصري، فعميت، فلما استضررت بالطهارة، سألت الله عوده، فرده علي . توفي بدمشق في هذه السنة ــ سنة أربع وخمسين ــ وصححه ابن عساكر، وقد نيف على التسعين .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وثلاثمائة

وفيها : عصى الروزبهان على معز الدولة، وانحاز إلى الأهواز، ولحق به عامة من كان مع المهلبي، الذي كان يحاربه، فلما بلغ ذلك معز الدولة، لم يصدقه؛ لأنه كان قد أحسن إليه ، ورفع من قدره ، بعد الضعة والخمول ، ثم تبين له أن ذلك حق ، فخرج لقتاله ، فاتبعه الخليفة

المطيع لله، خوفا من ناصر الدولة بن حمدان، فإنه قد بلغه، أنه جهز جيشا مع ولده، أبي المرجا جابر إلى بغداد ليأخذها، فأرسل معز الدولة،حاجبه، سبكتكين إلى بغداد، ليحفظها وصمد معز الدولة إلى الروزبهان فاقتتلوا قتالا شديداً، وهزمه معز الدولة، وفرق أصحابه، وأخذه أسيراً إلى بغداد،فسجنه، ثم أخرجه ليلا، وغرقه؛ لأن الديلم أرادوا إخراجه من السجن قهرا. وانطوى ذكر روزبهان وإخوته، وكان قد اشتعل اشتعال النار وحظيت الأتراك عند معز الدولة، وانحطت رتبة الديلم عنده، لأنه ظهر له خيانتهم في أمر الروزبهان وإخوته .

وفيها: دخل سيف الدولة إلى بلاد الروم فقتل وسبى ورجع إلى حلب ، فحميت الروم فجمعوا وأقبلوا إلى ميا فارقين وسبوا وحرقوا ورجعوا ، وركبوا فى البحر إلى طرسوس فقتلوا من أهلها ألفا وثمانمائة ، وسبوا وحرقوا قرى كثيرة . وفيها: زلزلت همذان زلزالا شديداً تهدمت البيوت وانشق قصر شيرين بصاعقة ، ومات تحت الهدم خلق كثير لا يحصون كثرة ، ووقعت فتنة عظيمة بين أهل أصبهان وأهل قم بسبب سب الصحابة من أهل قم ، فثاروا عليهم أهل أصبهان وقتلوا منهم خلقا كثيراً ، ونهبوا أموال التجار ، فغضب ركن الدولة لأهل قم ، لأنه كان شيعياً، فصادر أهل أصبهان بأموال كثيرة .

وفيها توفى من الأعيان

غلام ثعلب

محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم أبو عمرو والزاهد غلام ثعلب ، روى عن الكديمى وموسى بن سهل الوشاء وغيرهما ، روى عنه جماعة ، وآخر من حدث عنه أبو على بن شاذان وكان كثير العلم والزهد حافظا مطيقا يملى من حفظه شيئا كثيراً ، ضابطا لما يحفظه . ولكثرة إغرابه اتهمه بعض الرواة ورماه بالكذب ، وقد اتفق له مع القاضى أبى عمر حكاية ـــ وكان يؤدب ولده ـــ فانه أملى من حفظه ثلاثين مسألة بشواهدها وأدلها من لغة العرب ، واستشهد على بعضها ببيتين غريبين جدا ، فعرضهما القاضى أبو عمر على ابن دريد، وابن الأنبارى، وابن مقسم ، فلم يعرفوا منهما شيئا . حتى قال ابن دريد : هذا ما وضعه أبو عمر ومن عنده ، فلما جاء أبو عمر وذكر له القاضى ما قال ابن دريد عنه ، فطلب أبو عمرو أن يحضر له من كتبه دواوين العرب . فلم يزل أبو عمرو يعمد إلى كل مسأله ويأتيه بشاهد بعد شاهد حتى خرج من الثلاثين مسألة ثم قال : وأما البيتان فإن ثعلبا أنشدناهما وأنت حاضر فكتبتهما فى دفترك الفلانى، فطلب القاضى دفتره فإذا هما فيه ، فلما بلغ ذلك ابن دريد كف لسانه عن أبى عمرو الزاهد فلم يذكره حتى مات . توفى أبو عمر وهذا يوم الأحد ودفن يوم الاثنين الثالث عشر من ذى القعدة، ودفن فى الصفة المقابلة لقبر معروف الكوخى ببغداد رحمه الله .

محمد بن على بن أحمد بن رستم

أبو بكر المادرائى الكاتب ، ولد فى سنة خمس وخمسين ومائتين بالعراق ، ثم صار إلى مصر هو وأخوه أحمد مع أبيهما ، وكان على الخراج لخمارويه بن أحمد بن طولون ، ثم صار هذا الرجل من رؤساء الناس وأكابرهم ، سمع الحديث من أحمد بن عبد الجبار وطبقته . وقد روى الخطيب عنه أنه قال: كان ببابى شيخ كبير من الكتاب قد تعطل عن وظيفته ، فرأيت والدى فى المنام وهو يقول : يا بنى أما تتقى الله ؟ أنت مشغول بلذاتك والناس ببابك يهلكون من العرى والجوع ، هذا فلان قد تقطع سراويله ولا يقدر على إبداله ، فلا تهمل أمره . فاستيقظت مذعوراً وأنا ناوله الإحسان ، ثم نمت فأنسيت المنام ، فبينا أنا أسير إلى دار الملك ، فإذا بذلك الرجل الذى ذكره على دابة ضعيفة ، فلما رآنى أراد أن يترجل لى فبدا لى فخذه وقد لبس الخف بلا سراويل ، فلما رأيت ذلك ذكرت المنام فاستدعيت به وأطلقت له ألف دينار وثياب، ورتبت له على وظيفته مائتى دينار كل شهر ، ووعدته بخير فى الآجل أيضاً .

أحمد بن محمد بن أسماعيل

ابن إبراهيم بن طباصبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب ، الشريف الحسنى الرسى ــ قبيلة من الأشراف ــ أبو القاسم المصرى الشاعر ــ كان نقيب الطالبيين بمصر ومن شعره قوله :

قالتْ لطيفِ خيالٍ زارانى ومضى :بالله صفهُ ، ولا تنقــصْ ولا تزدِ
فقلت : أبصرتهُ لوْ ماتَ منْ ظمأ وقال : قــف لا تردِ الماءَ لم يردِ
قالتْ : صدقتَ ، وفاءُ الحبِّ عادتُهُ يَابَرْدَ ذاكَ الذى قالتْ على كبدى

توفى ليلة الثلاثاء لخمس بقين من هذه السنة .

ثم دخلت سنة ست وأربعين وثلاثمائة

فيها: وقعت فتنة بين أهل الكوخ وأهل السنة بسبب السب ، فقتل من الفريقين خلق كثير وفيها: نقص البحر المالح ثمانين ذراعا . ويقال: باعا . فبدت به جبال زجزائر وأماكن لم تكن ترى قبل ذلك . وفيها: كان بالعراق وبلاد الرى والجبل وقم ونحوها زلازل كثيرة مستمرة نحو أربعين يوماً ، تسكن ثم تعود ، فتهدمت بسبب ذلك أبنية كثيرة وغارت مياه كثيرة ، ومات خلق كثير. وفيها: تجهز معز الدولة بن بويه لقتال ناصر الدولة بن حمدان بالموصل ، فراسله ناصر الدوله والتزم له بأموال يحملها إليه كل سنة ، فسكت عنه ، ثم إنه مع ما اشترط على نفسه لم يرجع عنه معز الدولة ، بل قصده فى السنة الآتية كما سيأتى بيانه . وفى تشرين منها كثرت فى الناس أو رام فى حلوقهم ومناخرهم وكثر فيهم موت الفجاة ، حتى إن لصاً نقب داراً ليدخلها

فمات وهو فى النقب . ولبس القاضى خلعة القضاء ليخرج للحكم فلبس إحدى خفيه فمات قبل أن يلبس الأخرى .

وممن توفى فيها من الأعيان :

أحمد بن عبد الله بن الحسين

أبو هريرة العذرى ، المستملى على المشايخ ، كتب عن أبى مسلم الكجى وغيره ، وكان ثقة توفى فى ربيع الأول منها .

الحسن بن خلف بن شاذان

أبو على الواسطى روى عن إسحاق الأزرق ويزيد بن هارون وغيرهما ، وروى عنه البخارى فى صحيحه . توفى فى هذه السنة . هكذا رأيت ابن الجوزى ذكر هذه الترجمة فى هذه السنة فى منتظمه والله أعلم .

أبو العباس الأصم

محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان بن عبد الله الأموى مولاهم أبو العباس الأصم مولده فى سنة سبع وأربعين ومائتين ، رأى الذهلى ولم يسمع منه ، ورحل به أبوه إلى أصبهان ومكة ومصر والشام والجزيرة وبغداد وغيرها من البلاد ، فسمع الكثير بها عن الجم الغفير ، ثم رجع إلى خراسان وهو ابن ثلاثين سنة ، وقد صار محدثاً كبيراً ، ثم طرأ عليه الصمم فاستحكم حتى كان لا يسمع نهيق الحمار ، وكان مؤذنا فى مسجده ثلاثين سنة ، وحدث ستا وسبعين سنة ، فألحق الأحفاد بالأجداد وكان ثقة صادقا ضابطا لما سمعه ويسمعه ، وكف بصره قبل موته بشهر ، وكان يحدث من حفظه بأربعة عشر حديثا ، وسبع حكايات ومات وقد بقى له سنة من المائة .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وثلثمائة

فيها: كانت زلزلة ببغدا فى شهر نيسان[1] فى غيرها من البلاد الشرقية فمات بسببها خلق كثير ، وخرجت دور كثيرة ، وظهر فى آخر نيسان وشهر إيار جراد كثير أتلف الغلات الصيفية والثمار . ودخلت الروم آمد ، وميا فارقين ، فقتلوا ألفا وخمسمائة إنسان ، وأخذوا مدينة سمساط وأخربوها . وفى المحرم منها ركب معز الدولة إلى الموصل فأخذها من يد ناصر الدولة ، وهرب ناصر الدولة إلى نصيبين ، ثم إلى ميا فارقين ، فلحقه معز الدولة فصار إلى حلب إلى عند أخيه سيف الدولة ، ثم أرسل سيف الدولة إلى معز الدولة فى المصالحة بيته وبين أخيه ، فوقع الصلح على أن يحمل ناصر الدولة فى كل سنة ألفى ألف وتسعمائة ألف ، ورجع معز الدولة إلى بغداد بعد انعقاد الصلح ، وقد امتلأت البلاد رفضا وسبا للصحابة من بنى بويه ، وبنى حمدان

---

(١) نيسان : شهر إبريل .

والفاطمين ، وعلى ملوك البلاد مصراً وشاماً وعراقا وخراسان وغير ذلك من البلاد ، وكانوا رفضا ، وكذلك الحجاز وغيره ، وغالب بلاد المغرب فكثر السب والتكفير منهم للصحابة .

وفيها: بعث المعز الفاطمى مولاه أبا الحسن جوهر القائد فى جيوش معه، ومعه زيرى بن هناد الصنهاجى ففتحوا بلادا كثيرة من أقصى بلاد المغرب ، حتى انتهوا إلى البحر المحيط ، فأمر جوهر بأن يصطاد له منه سمك ، فأرسل به فى قلال الماء إلى المعز الفاطمى ، وحظى عنده جوهر وعظم شأنه حتى صار بمنزلة الوزير . وممن توفى فيها من الأعيان .

الزبير بن عبد الرحمن

ابن محمد بن زكريا بن صالح بن إبراهيم . أبو عبد الله الاستراباذى ، رحل وسمع الحديث وطوف الأقاليم ، سمع الحسن بن سفيان، وابن خزيمة، وأبا يعلى، وخلقا ، وكان حافظا متقنا صدوقا ، صنف الشروح والأبواب .

أبو سعيد بن يونس

صاحب (تاريخ) مصر . هو عبد الرحمن بن يونس بن عبد الأعلى الصدفى المصرى المؤرخ ، كان حافظًا مكثراً خبيراً بأيام الناس وتواريخهم ، له تاريخ مفيد جداً لأهل مصر ومن ورد إليها . وله ولد يقال له: أبو الحسن على ، كان منجما له زيج مفيد يرجع إليه أصحابة هذا الفن - كما يرجع أصحاب الحديث إلى أقوال أبيه وما يؤرخه وينقله ويحكيه ، ولد الصدفى سنة إحدى وثمانين ومائتين وتوفى فى هذه السنة يوم الاثنين السادس والعشرين من جمادى الآخر فى القاهرة.

ابن درستويه النحوى

عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان أبو محمد الفارسى النحوى ، سكن بغداد وسمع عباسا الدورى، وابن قتيبة، والمبرد ، وسمع منه الدارقطنى وغيره من الحفاظ ، وأثنى عليه غير واحد، منهم أبو عبد الله بن منده ، توفى فى صفر منها ، وذكر له ابن خلكان مصنفات كثيرة مفيدة ، فيما يتعلق باللغة والنحو وغيره .

محمد بن الحسن

ابن عبد الله بن على بن محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب ، أبو الحسن القرشى الأموى قاضى بغداد ، كان حسن الأخلاق طلابة للحديث ، ومع هذا كان ينسب إلى أخذ الرشوة فى الأحكام والولايات رحمه الله .

محمد بن على

أبو عبد الله الهاشمى الخاطب الدمشقى . وأظنه الذى تنسب إليه حارة الخاطب من نواحى باب الصغير ، كان خطيب دمشق فى أيام الأخشيد ، وكان شابا حسن الوجه مليح الشكل ،

كامل الخلق . توفى يوم الجمعة السابع والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، وحضر جنازته نائب السلطنة وخلق كثير لا يحصون كثرة ، هكذا أرخه ابن عساكر ، ودفن بباب الصغير .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة

فيها: كانت فتنة بين الرافضة وأهل السنة قتل فيها خلق كثير ، ووقع حريق بباب الطاق ، وغرق فى دجلة خلق كثير من حجاج الموصل ، نحو من ستمائة نفس . وفيها: دخلت الروم طرسوس والرها وقتلوا وسبوا ، وأخذوا الأموال ورجعوا . وفيها: قلت الأمطار وغلت الأسعار واستسقى الناس فلم يسقوا ، وظهر جراد عظيم فى آذار [1] فأكل ما نبت من الخضروات ، فاشتد الأمر جدا على الخلق فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . وفيها: عاد معز الدولة إلى بغداد من الموصل وزوج ابنته من ابن أخية مؤيد الدولة بن معز الدولة ، وسيرها معه إلى بغداد .

وممن توفى من الأعيان :

إبراهيم بن شيبان القرميسينى

شيخ الصوفية بالجبل ، صحب أبا عبد الله المغربى . ومن جيد كلامه قوله : إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه ، وطرد عنه الرغبة فى الدنيا .

أبو بكر النجاد

أحمد بن سليمان بن الحسن بن إسرائيل بن يونس ، أبو بكر النجاد الفقية ، أحمد أئمة الحنابلة ولد سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، سمع عبد الله بن أحمد ، وأبا داود ، والباغندى، وابن أبى الدنيا وخلقا كثيراً ، وكان يطلب الحديث ماشياً حافياً ، وقد جمع المسند وصنف فى السنن كتابا كبيرا ، وكان له بجامع المنصور حلقتان ، واحدة للفقه وأخرى لإملاء الحديث ، وحدث عنه الدارقطنى، وابن رزقويه، وابن شاهين، وأبو بكر بن مالك القطيعى وغيرهم ، وكان يصوم الدهر ويفطر كل ليلة على رغيف ويعزل منه لقمة ، فإذا كانت ليلة الجمعة أكل اللقم وتصدق بالرغيف صحيحا . توفى ليلة الجمعة لعشرين من ذى الحجة عن خمس وتسعين سنة ودفن قريباً من قبر بشر الحافى رحمه الله .

جعفر بن محمد بن نصير بن القاسم

أبو محمد الخواص المعروف بالخلدى ، سمع الكثير وحدث كثيراً ، وحج ستين حجة ، وكان ثقة صدوقا دينا .

محمد بن إبراهيم بن يوسف بن محمد

أبو عمر الزجاج النيسابورى ، صحب أبا عثمان والجنيد والنورى والخواص وغيرهم ، وأقام بمكة وكان شيخ الصوفية بها ، وحج ستين حجة ، ويقال: إنه مكث أربعين سنة لم يتغوط ولم يبل إلا خارج الحرم بمكة .

---

(١) آذار : شهر مارس .

محمد بن جعفر بن محمد بن فضالة

ابن يزيد بن عبد الملك أبو بكر الأدمى ، صاحب الألحان ، كان حسن الصوت بتلاوة القرآن وربما سمع صوته من بعد من الليل ، وحج مرة مع أبى القاسم البغوى ، فلما كانوا بالمدينة دخلوا المسجد النبوى فوجدوا شيخا أعمى يقص على الناس أخباراً موضوعة مكذوبة ، فقال البغوى : ينبغى الإنكار عليه ، فقال له بعض أصحابة : إنك لست ببغداد يعرفك الناس إذا أنكرت عليه ، ومن يعرفك هنا قليل والجمع كثير ، ولكن ترى أن تأمر أبا بكر الأدمى فيقرأ ، فأمره فاستفتح فقرأ فلم يتم الاستعاذة حتى انجفل الناس عن ذلك الأعمى وتركوه وجاءوا إلى أبى بكر ولم يبق عند الضرير أحد ، فأخذ الأعمى بيد قائده وقال له : اذهب بنا فهكذا تزول النعم . توفى يوم الأربعاء لليلتين بقينا من ربيع الأول من هذه السنة ، عن ثمان وثمانين سنة ، وقد رآه بعضهم فى المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : وقفنى بين يديه وقاسيت شدائد وأهوال . فقلت له : فتلك القراءة الحسنة وذلك الصوت الحسن وتلك المواقف ؟ فقال : ما كان شيء أضر على من ذلك ، لأنها كانت للدنيا . فقلت : إلى أى شيء انتهى أمرك ؟ فقال : قال الله عزَّ وجلَّ آليت على نفسى أن لا أعذب أبناء الثمانين .

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن على

ابن الحسن بن إبراهيم بن طبطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الهاشمى المصرى ، كان من سادتها وكبرائها ، لا تزال الحلوى تعقد بداره ، ولا يزال رجل يكسر اللوز بسببها ، وللناس عليه رواتب من الحلوى ، فمنهم من يهدى إليه كل يوم ، ومنهم فى الجمعة ، ومنهم فى الشهر . وكان لكافور الأخشيد عليه فى كل يوم جامان ورغيف من الحلوى ، ولما قدم المعز الفاطمى إلى القاهرة وتلقاه سأله : إلى من ينتسب مولانا من أهل البيت ؟ فقال : الجواب إلى أهل البلد ، فلما دخل القصر جمع الأشراف وسل نصف سيفه وقال هذا نسبى ، ثم نثر عليهم الذهب وقال : هذا حسبى . فقالوا : سمعنا وأطعنا . والصحيح أن القائل للمعز هذا الكلام ابن هذا [1] أو شريف آخر فالله أعلم . فإن وفاة هذا كانت فى هذا العام عن ثنتين وستين سنة ، والمعز إنما قدم مصر فى سنة ثنتين وستين وثلاثمائة كما سيأتى .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وثلثمائة

فيها: ظهر رجل بأذربيجان من أولاد عيسى بن المكتفى بالله فلقب بالمستجير بالله ودعا إلى الرضا من آل محمد، وذلك لفساد دولة المرزبان فى ذلك الزمان ، فاقتتلوا قتالا شديدًا ثم انهزم أصحاب المستجير وأخذ أسيراً فمات ، واضمحل أمره . ومنها دخل سيف الدولة بن حمدان بلاد الروم فقتل من أهلها خلقا كثيراً ، وفتح حصونا وأحرق بلدانا كثيرة ، وسبى وغنم وكر راجعا،

---

(١) كذا بالأصل . وليحرر .

فأخذت الروم عليه فمنعوه من الرجوع ووضعوا السيف فى أصحابه فما نجا هو فى ثلاثمائة فارس إلا بعد جهد جهيد . وفيها كانت فتنة عظيمة ببغداد بين الرافضة وأهل السنة قتل فيها كثير ، وفى آخرها توفى أتوجور بن الأخشيد صاحب مصر ، فأقام بالأمر بعده أخوه على . وفيها:مات أبو القاسم عبد الله بن أبى عبد الله البريدى الذى كان صاحب الأهواز وواسط . وفيها: رجع حجيج مصر من مكة فنزلوا واديا فجاءهم سيل فأخذهم فألقاهم فى البحر عن آخرهم . وفيها أسلم من الترك مائتا ألف من خركاه فسموا ترك إيمان ثم خفف اللفظ بذلك ، وفقيل تركمان :

وممن توفى فيها من الأعيان :

جعفر بن حرب الكاتب

كانت له نعمة وثروة عظيمةتقارب أبهة الوزارة ، فاجتاز يوما وهو راكب فى موكب له عظيم ، فسمع رجلا يقرأ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الحديد : ١٦] فصاح : اللهم بلى ، وكررها دفعات ثم بكى ثم نزل عن دابته ونزع ثيابة وطرحها ودخل دجلة فاستتر بالماء ولم يخرج منه حتى فرق جميع أمواله فى المظالم التى كانت عليه ، وردها إلى أهلها ، وتصدق بالباقى ولم يبق له شىء بالكلية ، فاجتاز به رجل فتصدق عليه بثوبين فلبسهما وخرج فانقطع إلى العلم والعبادة حتى مات رحمه الله .

ابو على الحافظ

ابن على بن يزيد بن داود أبو على الحافظ النيسابورى ، وأحد أئمة الحفاظ المتقين المصنفين . قال الدارقطنى : كان إماماً مهذباً ، وكان ابن عقدة لا يتواضع لأحد كتواضعه له . توفى فى جمادى الأخر عن اثنتين وخمسين سنة .

حسان بن محمد بن أحمد بن مروان

أبو الوليد القرشى الشافعى إمام أهل الحديث بخراسان فى زمانه ، وأزهدهم وأعبدهم ، أخذ الفقه عن ابن سريج وسمع الحديث من الحسن بن سفيان وغيره ، وله التصانيف المفيدة ، وقد ذكرنا ترجمته فى الشافعيين . كانت وفاته ليلة الجمعة لخمس مضين من ربيع الأول من هذه السنة ، عن ثنتين وسبعين سنة .

حَمْدُ بن إبراهيم بن الخطاب

أبو سليمان الخطابى ، سمع الكثير وصنف التصانيف الحسان ، منها (المعالم) شرح فيها (سنن أبى داود) ، (والأعلام) شرح فيه البخارى ، (وغريب الحديث) . وله فهم مليح وعلم غزير ومعرفة باللغة والمعانى والفقه . ومن أشعاره قوله :

مـــا دمـــتَ حياً فدارُ الناس كُلَّهـمُ　　　فإنّــما أنـــتَ فى دار المُــــدارة

مَنْ يَدْرِ دارى وَمَنْ لم يَدْرِ سَوْفَ يُرَى عمّـــا قليـــلٍ نديماً للندامـــاتِ

هكذا ترجمه أبو الفرج ابن الجوزى حرفا بحرف .

عبد الواحد بن عمر بن محمد

ابن أبى هاشم . كان من أعلم الناس بحروف القراءات ، وله فى ذلك مصنفات ، وكان من الأمناء الثقات ، روى عن ابن مجاهد، وأبى بكر بن أبى داود ، وعنه أبو الحسن الحمانى ، توفى فى شوال منها ، ودفن الخيزران .

أبو أحمد العسال

الحافظ محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن محمد أبو أحمد العسال الأصبهانى أحد الأئمة الحفاظ وأكابر العلماء ، سمع الحديث وحدث به ، قال ابن منده : كتبت عن ألف شيخ لم أر أفهم ولا أتقن من أبى أحمد العسال . توفى فى رمضان منها رحمه الله . والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة خمسين وثلثمائة

فى المحرم منها مرض معز الدولة بن بويه بانحصار البول فقلق من ذلك وجمع بين صاحبه سبكتين ووزيره المهلبى ، وأصلح بينهما ووصاهما بولده بختيار آخيراً ، ثم عوفى من ذلك فعزم على الرحيل إلى الأهواز لاعتقادة أن ما أصابه من هذه العلة بسبب هواء بغداد ومائها ، فأشاروا عليه بالمقام بها ، وأن يبنى بها داراً فى أعلاها حيث الهواء أرق والماء أصفى ، فبنى له داراً غرم عليه ثلاثة عشر ألف ألف درهم ، فاحتاج لذلك أن يصادر بعض أصحابه ، ويقال: أنفق عليها ألفى ألف دينار ، ومات وهو يبنى فيها ولم يسكنها ، وقد خرب أشياء كثيرة من معالم الخلفاء ببغداد فى بنائها ، وكان مما خرب المعشوق من سُرَّ مَنْ رَأَى ، وقلع الأبواب الحديد التى على مدينة المنصور، والرصافة، وقصورها ، وحولها إلى داره هذه ، لا تمت فرحته بها ، فإنه كان رافضياً خبيثا .

وفيها: مات القاضى أبو السائب عتبة بن عبد الله وقبضت أملاكه ، وولى بعده القضاء أبو عبد الله الحسين بن أبى الشوارب ، وضمن أن يودى فى كل سنة إلى معز الدولة مائتى ألف درهم ، فخلع عليه معز الدوله وسار ومعه الدبابات والبوقات إلى منزله ، وهو أول من ضمن القضاء ورشى عليه والله أعلم . ولم يأذن له الخليفة المطيع لله فى الحضور عنده ولا فى حضور ولا فى حضور الموكب من أجل ذلك غضبا عليه، ثم ضمن معز الدولة الشرطة وضمن الحسبة أيضا.

وفيها: سار قفل من أنطاكية يريدون طرسوس ، وفيهم نائب أنطاكية ، فثار عليهم الفرنج فأخذوهم عن بكرة أبيهم ، فلم يفلت منهم سوى النائب جريحا فى مواضع من بدنه . وفيها: دخل نجا غلام سيف الدولة بلادالروم فقتل وسبى وغنم ورجع سالما .

وفيها توفى الأمير :

نوح بن عبد الملك الساماني

صاحب خراسان وَغزته وما رواه النهر ، سقط عن فرسه فمات ، فقام بالأمر من بعده أخوه منصور بن نوح الساماني .

وفيها توفى :

الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموى

صاحب الأندلس ، وكانت خلافته خمسين وستة أشهر ، وله من العمر يوم مات ثلاث وسبعون سنة ، وترك أحد عشر ولدا ، كان أبيض حسن الوجه عظيم الجسم طويل الظهر قصير الساقين وهو أول من تلقب بأمير المؤمنين من أولاد الأمويين الداخلين إلى المغرب ، وذلك حين بلغه ضعف الخلفاء بالعراق ، وتغلب الفاطميين ، فتلقب قبل موته بثلاث وعشرين سنة . ولما توفى قام بالأمر من بعده ولده الحكم وتلقب بالمنتصر ، وكان الناصر شافعى المذهب ناسكا شاعرا ، ولا يعرف فى الخلفاء أطول مدة منه ، فإنه أقام خليفة خمسين سنة ، إلا الفاطمى المستنصر بن الحاكم الفاطمى صاحب مصر ، فإنه مكث ستين سنة كما سيأتى ذلك .

وممن توفى من الأعيان : .

أبو سهل بن زياد القطان

أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد أبو سهل القطان . كان ثقة حافظا كثير التلاوة للقرآن، حسن الانتزاع للمعاني من القرآن، فمن ذلك أنه استدل على تكفير المعتزلة بقوله تعالى ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِنْدَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ﴾ [آل عمران : ١٥٦] . إسماعيل بن على بن إسماعيل بن بيان أبو محمد الحطى سمع الحديث من ابن أبي أسامة وعبد الله بن أحمد، والكوكبي ، وعنه الدارقطني وغيره ، وكان ثقة حافظا فاضلا نبيلا عارفا بأيام الناس ، وله تاريخ مرتب على السنين ، وكان أديباً لبيبا عاقلا صدوقا ، توفى فى جمادى الآخرة من هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة .

أحمد بن محمد بن سعيد

ابن عبيد الله بن أحمد بن سعيد بن أبي مريم أبو بكر القرشي الوراق ، ويعرف بابن فطيس وكان حسن الكتابة مشهوراً بها ، وكان يكتب الحديث لابن جوصا ، ترجمه ابن عساكر وأرخ وفاته بثاني شوال من هذه السنة .

تمام بن محمد بن عباس

ابن عبد المطلب أبو بكر الهاشمى العباسى ، حدث عن عبد الله بن أحمد وعنه ابن رزقويه توفى فى هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة .

الحسين بن القاسم

أبو على الطبرى الفقيه الشافعى ، أحد الأئمة المحررين فى الخلاف ، وهو أول من صنف فيه ، وله الإيضاح فى المذهب ، وكتاب فى الجدل ، وفى أصول الفقه وغير ذلك من المصنفات ، وقد ذكرناه فى الطبقات .

عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم

ابن عيسى بن جعفر بن أبى جعفر المنصور الهاشمى الإمام ، ويعرف بابن بويه ، ولد سنة ثلاث وستين ومائتين ، روى عن ابن أبى الدنيا وغيره ، وعنه ابن رزقويه ، وكان خطيباً بجامع المنصور مدة طويلة ، وقد خطب فيه سنة ثلاثين وثلثمائة وقبلها تمام سنة ، ثم خطب فيه الواثق سنة ثلاثين ومائتين وهما فى النسب إلى المنصور سواء . توفى فى صفر منها .

عتبه بن عبد الله : بن موسى بن عبد الله أبو السائب القاضى الهمدانى الشافعى ، كان فاضلا بارعا ، ولى القضاء ، وكان فيه تخليط فى الأمور ، وقد رآه بعضهم بعد موته فقال : ما فعل الله بك ؟ لا أعذب أبناء الثمانين . وهذا الرجل أول من ولى قضاء القضاء ببغداد من الشافعيه والله أعلم .

محمد بن أحمد بن حيان : أبو بكر الدهقان ، بغدادى ، سكن بخارى وحدث بها عن يحيى ابن أبى طالب ، والحسن بن مكروم وغيرهما ، وتوفى عن سبع وثمانين سنة .

أبو على الخازن : توفى فى شعبان منها فوجد فى داره من الدفائن وعند الناس من الودائع ما يقارب أربعمائة ألف دينار . والله أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وثلثمائة

فيها: كان دخول الروم إلى حلب صحبة الدمستق ملك الروم لعنه الله ، فى مائتى ألف مقاتل ، وكان سبب ذلك أنه ورد إليها بغتة فنهض إليه سيف الدولة بن حمدان بمن حضر عنده من المقاتلة ، فلم يقو به لكثرة جنودة ، وقتل من أصحاب سيف الدولة خلقا كثيراً ، وكان سيف الدولة قليل الصبر ففر منهزماً فى نفر يسير من أصحابه ، فأول ما استفتح به الدمستق قبحه الله أن استحوذ على دار سيف الدولة ، وكانت ظاهر حلب ، فأخذ ما فيها من الأموال العظيمة والحوامل الكثيرة ، والعدد وآلات الحرب ، أخذ من ذلك ما لا يحصى كثرة ، وأخذ ما فيها من النساء والولدان وغيرهم ، ثم حاصر سور حلب فقاتل أهل البلد دونه قتالا عظيما ، وقتلوا خلقا كثيرا من الروم ، وثلمت الروم بسور حلب ثلمة عظيمة ، فوقف فيها الروم فحمل المسلمون عليهم فأزاحوهم عنها ، فلما جن الليل جد المسلمون فى إعادتها فما أصبح الصباح إلا وهى كما كانت ، وحفظوا السور حفظا عظيما ، ثم بلغ المسلمون أن الشرط والبلاحية قد عاثوا فى داخل البلد ينهبون البيوت ، فرجع الناس إلى منازلهم يمنعونها منهم قبحهم الله ، فإنهم

أهل شر وفساد ، فلما فعلوا ذلك غلبت الروم على السور فعلوه ودخلوا البلد يقتلون من لقوه ، فقتلوا من المسلمين خلقا كثيرا وانتهبوا الأموال وأخذوا الأولاد والنساء . وخلصوا من كان بأيدى المسلمين من أسارى الروم ، وكانوا ألفا وأربعمائة ، فأخذ الأسارى السيوف وقاتلوا المسلمين ، وكانوا أضر على المسلمين من قومهم ، وأسروا نحوًا من بضعة عشر ألفا ما بين صبى وصبية ، ومن النساء شيئا كثيراً ، ومن الرجال الشباب ألفين ، وخربوا المساجد وأحرقوها ، وصبوا فى جباب الزيت الماء حتى فاض الزيت على وجه الأرض ، وأهلكوا كل شيء قدروا عليه ، وكل شيء لا يقدرون على حمله أحرقوه ، وأقاموا فى البلد تسعة أيام يفعلون فيها الأفاعيل الفاسدة العظيمة ، كل ذلك بسبب فعل البلاحية والشرط فى البلد قاتلهم الله .

وكذلك حاكمهم ابن حمدان كان رافضياً يحب الشيعة ويبغض أهل السنة ، فاجتمع على أهل حلب عدة مصائب ، ثم عزم الدمستق على الرحيل عنهم خوفا من سيف الدولة ، فقال له ابن أخيه : أين تذهب وتدع القلعة وأموال الناس غالبها فيها ونساؤهم ؟ فقال له الدمستق : إنا قد بلغنا فوق ما كنا نأمل ، وإن بها مقاتلة ورجالا غزاه ، فقال له: لابد لنا منها ، فقال له : اذهب إليها ، فصعد إليها فى جيش ليحاصرها فرموه بحجر فقتلوه فى الساعة الراهنة من بين الجيش كله، فغضب عند ذلك الدمستق وأمر بإحضار من فى يديه من أسارى المسلمين ، وكانوا قريبا من ألفين ، فضربت أعناقهم بين يديه لعنه الله ، ثم كر راجعا . وقد دخلوا عين زربة قبل ذلك فى المحرم من هذه السنة ، فأستأمنه أهلها فأمنهم وأمر بأن يدخلوا كلهم المسجد ومن بقى فى منزله قتل ، فصاروا إلى المسجد كلهم ثم قال : لا يبقين أحد من أهلها اليوم إلا ذهب حيث شاء ، ومن تأخر قتل ، فازد حموا فى خروجهم من المسجد فمات كثير منهم ، وخرجوا على وجوهم لا يدرون أين يذهبون ؟، فمات فى الطرقات منهم خلق كثير . ثم هدم الجامع وكسر المنبر وقطع من حول البلد أربعين ألف نخلة ، وهدم سور البلد والمنازل المشار إليها ، وفتح حولها أربعة وخمسين حصنا بعضها بالسيف وبعضها بالأمان ، وقتل الملعون خلقا كثيرا ، وكان فى جملة من أسر أبو فراس بن سعيد بن حمدان نائب منبج من جهة سيف الدولة ، وكان شاعرا مطيقا ، له ديوان شعر حسن ، وكان مدة مقامة بعين زربة إحدى وعشرين يوما ، ثم سار إلى قيسرية فلقيه أربعة آلاف من أهل طرسوس مع نائبها ابن الزيات ، فقتل أكثرهم وأدركه صوم النصارى فاشتغل به حتى فرغ منه ، ثم هجم على حلب بغته ، وكان من أمره ما ذكرناه .

وفيها: كتبت العامة من الروافض على أبواب المساجد لعنة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه، وكتبوا أيضاً : ولعن الله من غصب فاطمة حقها ، وكانوا يلعنون أبا بكر ومن أخرج العباس من الشورى ، يعنون عمر ، ومن نفى أبا ذر ــ يعنون عثمان ــ رضى الله عن الصحابة ، وعلى من لعنهم لعنة الله ، ولعنوا من منع من دفن الحسن عند جده يعنون مروان بن الحكم ، ولما بلغ ذلك جميعه معز الدولة لم ينكره ولم يغيره ، ثم بلغه أن أهل السنة محوا ذلك وكتبوا عوضه: لعن

الله الظالمين لآل محمد من الأولين والآخرين ، والتصريح باسم معاوية فى اللعن ، فأمر بكتب ذلك ، قبحه الله وقبح شيعته من الروافض ، لا جرم أن هؤلاء لا ينصرون ، وكذلك سيف الدولة بن حمدان بحلب فيه تشيع وميل إلى الروافض ، لا جرم أن الله لا ينصر أمثال هؤلاء ، بل يديل عليهم أعداءهم ، وتقليدهم سادتهم وكبراءهم وآباءهم وتركهم أبناءهم وعلماءهم ولهذا لما ملك الفاطميون بلاد مصر والشام ، وكان فيهم الرفض وغيره ، استحوذ الفرنج على سواحل الشام وبلاد الشام كلها ، حتى بيت المقدس ، ولم يبق مع المسلمين سوى حلب وحمص وحماة ودمشق وبعض أعمالها ، وجميع السواحل وغيرها مع الفرنج ، والنواقيس النصرانية والطقوص الإنجليلية تضرب فى شواهق الحصون والقلاع ، وتكفر فى أماكن الإيمان من المساجد وغيرها من شريف البقاع ، والناس معهم فى حصر عظيم ، وضيق من الدين ، وأهل هذه المدن التى فى يد المسلمين فى خوف شديد فى ليلهم ونهارهم من الفرنج ، فإنا لله وإنا إليه راجعون وكل ذلك من بعض عقوبات المعاصى والذنوب ، وإظهار سب خير الخلق بعد الأنبياء .

وفيها: وقعت فتنة عظيمة بين أهل البصرة بسبب السب أيضاً ، قتل فيها خلق كثير وجم غفير . وفيها: أعاد سيف الدولة له ابن حمدان بناء عين زربة ، وبعث مولاه نجا فدخل بلاد الروم، فقتل منها خلقا كثيراً وسبى جما غفيرا ، وغنم وسلم . وبعث حاجبه مع جيش طرسوس فدخلوا بلاد الروم فغنوا وسبوا ورجعوا سالمين . وفيها: فتح المعز الفاطمى حصن طبرمين من بلاد المغرب ــ وكان من أحصن بلاد الفرنج ــ فتحه قسراً بعد محاصرة سبعة أشهر ونصف ، وقصد الفرنج جزيرة إقريطش فاستنجد أهلها المعز ، فأرسل إليهم جيشاً فانتصروا على الفرنج ولله الحمد والمنة .

وممن توفى فيها من الأعيان :

الحسن بن محمد بن هارون

المهلبى الوزير لمعز الدولة ابن بويه ، مكث وزيراً له ثلاث عشرة سنة ، وكان فيه حلم وكرم وأناة ، حكى أبو إسحاق الصابى قال : كنت يوماً عنده وقد جىء بدواة قد صنعت له ومرفع قد حليا له بحلية كثيرة، فقال أبو محمد الفضل بن عبد الله الشيرازى - سرًّا بينى وبينه -: ما كان أحوجنى إليها لأبيعها وأنتفع بها ، قلت : وأى شىء ينتفع الوزير بها ؟ فقال : تدخل فى خزانتها ، فسمعها الوزير ــ وكان مصغ لنا ولا نشعر ــ فلما أمسى بعث بالدواة إلى أبى محمد الشيرازى ومرفعها وعشرة ثياب وخمسة آلاف درهم ، واصطنع له غيرها . فاجتمعنا يوماً آخر عنده وهو يوقع من تلك الداواة الجديدة ، تنظر إلينا فقال : من يريدها منكما ؟ قال : فاستحيينا وعلمنا أنه قد سمع كلامنا ذلك اليوم ، وقلنا: يمتع الله الوزير بها ويبقيه ليهب لنا مثلها . توفى المهلبى فى هذه السنة عن أربع وستين سنة .

دعلج بن أحمد بن عبد الرحمن

أبو محمد السجستانى المعدل ، سمع بخراسان وحلوان وبغداد والبصرة والكوفة ومكة وكان من ذوى اليسار والمشهورين بالبر والإفضال ، حارية ، وأوقاف دارة دائرة على أهل الحديث ببغداد وسجستان ، كانت له دار عظيمة ببغداد ، وكان يقول : ليس فى الدنيا مثل بغداد ، ولا فى بغداد مثل القطيعة ، ولا فى القطيعة مثل دار أبى خلف ، ولا فى دار أبى خلف مثل دارى . وصنف الدارقطنى له مسند . وكان إذا شك فى حديث طرحه جملة ، وكان الدارقطنى يقول : ليس فى مشايخنا أثبت منه ، وقد أنفق فى ذوى العلم والحاجات أموالا جزيلة كثيرة جداً ، اقترض منه بعض التجار عشرة آلف دينار فاتجر بها ، فربح فى مدة ثلاث سنين ثلاثين ألف دينار، فعزل منها عشرة آلاف دينار وجاءه بها فأضافه دعلج ضيافة حسنة ، فلما فرغ من شأنها قال له : ما شأنك ؟ قال له : هذه العشرة آلاف دينار التى تفضلت بها قد أحضرت فقال : يا سبحان الله إنى لم أعطكها لتردها فصل بها الأهل . فقال : إنى قد ربحت بها ثلاثين ألف دينار فهذه منها . فقال له دعلج : اذهب بارك الله لك ، فقال له : كيف يتسع مالك لهذا ؟ ومن أين أفدت هذا المال ؟ قال : إنى كنت فى حداثة سنى أطلب الحديث ، فجاءنى رجل تاجر من أهل البحر فدفع إلى ألف ألف درهم ، وقال : اتجر فى هذه ، فما كان من ربح فبينى وبينك ، وما كان من خسارة فعلىَّ دونك ، وعليك عهد الله وميثاقه إن وجدت ذا حاجة أوخلة إلا سددتها من مالى هذا دون مالك ، ثم جاءنى فقال : إنى أريد الركوب فى البحر فإن هلكت فالمال فى يدك على ما شرطت عليك . فهو فى يدى على ما قال. ثم قال لى : لا تخبر بها أحد مدة حياتى. فلم أخبر به أحد حتى مات . توفى فى جمادى الآخرة من هذه السنة عن أربع أو خمس وتسعين سنة . رحمه الله .

عبد الباقى بن قانع

ابن مرزوق أبو الحسن الأموى مولاهم ، سمع الحارث بن أسامة ، وعنه الدارقطنى وغيره ، وكان ثقة أيضا حافظا ، ولكنه تغير فى آخر عمره . قال الدارقطنى : كان يخطئ ويصر على الخطأ ، توفى فى شوال منها .

أبو بكر النقاش المفسر

محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر ، أبو بلك النقاش المفسر المقرئ ، مولى أبى دُجانة سماك بن خرشة ، أصله من المواصل ، كان عالما بالتفسير وبالقراءات وسمع الكثير فى بلدانٍ شتى عن خلق من المشايخ ، وحدث عنه أبو بكر بن مجاهد ، والخلدى ، وابن شاهين، وابن زرقويه وخلق ، وآخر من حدث عنه ابن شاذان ، وتفرد بأشياء منكرة ، وقد وثقه الدارقطنى على كثير من خطئه ثم رجع عن ذلك ، وصرح بعضهم بتكذيبه والله أعلم . وله

كتاب التفسير الذى سماه (شفاء الصدور) وقال بعضهم : بل هو سقام الدور ، وقد كان رجلا صالحا فى نفسه عابدا ناسكا ، حكى من حضره وهو يجود بنفسه وهو يدعو بدعاء ثم رفع صوته يقول : ﴿ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ [الصافات : ٦١]يرددها ثلاث مرات ثم خرجت روحه الله . توفى يوم الثلاثاء الثانى من شوال منها ودفن بداره بدار القطن . محمد بن سعيد أبو بكر الحربى الزاهد ، ويعرف بابن الضرير ، كان ثقة صالحا عابدا . ومن كلامه : دافعت الشهوات حتى صارت شهوتى المدافعة .

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وثلثمائة

فى عاشر المحرم من هذه السنة أمر معز الدولة بن بويه قبحه الله أن تغلق الأسواق وأن يلبس النساء المسرح من السعر وأن يخرجن فى الأسواق حاسرات عن وجوههن ، ناشرات شعورهن يلطمن وجوههن ينحن على الحسين بن على بن أبى طالب ، ولم يمكن أهل السنة منع ذلك لكثرة الشيعة وظهورهم ، وكون السلطان معهم . وفى عشر ذى الحجة منها أمر معز الدولة بن بويه بإظهار الزينة فى بغداد وأن تفتح الأسواق بالليل كما فى الأعياد ، وأن تضرب الدبادب والبوقات ، وأن تشعل النيران فى أبواب الأمراء وعند الشرط ، فرحا بعيد الغدير - غدير خم - فكان وقتا عجيباً مشهوداً ، وبدعة شنيعة ظاهرة منكرة . وفيها: أغارت الروم على الرها ، فقتلوا وأسروا ورجعوا موقرين ، ثم ثارت الروم بملكهم فقتلوه وولوا غيره ، مات الدمستق أيضاً ملك الأرمن واسمه النقفور ، وهو الذى أخذ حلب وعمل فيها ما عمل ، وولوا غيره .

ترجمة النقفور ملك الأرمن وأسمه الدمستق

الذى توفى فى سنة ثنتين ، وقيل: ست وخمسين وثلثمائة لا رحمه الله .

كان هذا الملعون من أغلظ الملوك قلبا ، وأشدهم كفراً ، وأقواهم بأسا ، وأحدهم شوكة، وأكثرهم قتلا وقتالا للمسلمين فى زمانه استحوذ فى أيامه لعنه الله على كثير من السواحل ، وأكثرها انتزعها من أيدى المسلمين قَسْرًا ، واستمرت فى يده قهراً وأضيفت إلى مملكة الروم قَدَرًا. وذلك لتقصير أهل ذلك الزمان ، وظهور البدع الشنيعة فيهم وكثرة العصيان من الخاص والعام منهم ، وفشو البدع فيهم ، وكثرة الرفض والتشيع منهم ، وقهر أهل السنة بينهم ، فلهذا أديل عليهم أعداء الإسلام ، فانتزعوا ما بأيديهم من البلاد مع الخوف الشديد ونكد العيش والفرار من بلاد إلى بلاد ، فلا يبيتون ليلة إلا فى خوف من قوارع الأعداء وطوارق الشرور المترادفة ، فالله المستعان . وقدورد حلب فى مائتى ألف مقاتل بغتة فى سنة إحدى وخمسين ، وجال فيها جولة . ففر من بين يديه صاحبها سيف الدولة ففتحها اللعين عنوة ، وقتل من أهلها من الرجال والنساء مالا يعلمه إلا الله ، وخرب دار سيف الدولة التى كانت ظاهر حلب ، وأخذ أموالها وحواصلها وعددها وبدّد شملها ، وفرق عددها ، واستفحل أمر الملعون بها فإنا لله وإنا إليه

راجعون . وبالغ فى الاجتهاد فى قتال الإسلام وأهله ، وجد فى التشمير ، فالحكم لله العلى الكبير . وقد كان لعنه الله لا يدخل فى بلد إلا قتل المقاتلة وبقية الرجال ، وسبى النساء والأطفال ، وجعل جامعها اصطبلا لخيوله ، وكسر منبرها واستنكث مئذنتها بخيله ورجله وطبوله . ولم يزل ذلك من دأبه وديدنه حتى سلط الله عليه زوجته فقتلته بجواريها فى وسط مسكنه . وأراح الله منه الإسلام وأهله ، وأزاح عنهم قيام ذلك الغمام ومزق شمله ، فلله النعمة والإفضال ، وله الحمد على كل حال . واتفق فى سنة وفاته موت صاحب القسطنطينية . فتكاملت المسرات وحصلت الأمنية ، فالحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتذهب السيئات ، وبرحمته تغفر الزلات .

والمقصود أن هذا اللعين — أعنى النقفور الملقب بالدمستق ملك الأرمن — كان قد أرسل قصيدة إلى الخليفة المطيع لله ، نظمها له بعض كتابه ممن كان قد خذله الله وأذله ، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، وصرفه عن الإسلام وأصله . يفتخر فيها بهذا اللعين ، ويتعرض لسب الإسلام والمسلمين ، ويتوعد فيها أهل حوزة الإسلام بأن سيملكها كلها حتى الحرمين الشريفين ، عما قريب من الأعوام ، وهو أقل وأذل وأخس وأضل من الأنعام ، ويزعم أنه ينتصر لدين المسيح عليه السلام ابن البتول ، وربما يعرض فيها بجناب الرسول عليه من ربه التحية والإكرام ، ودوام الصلاة مدى الأيام . ولم يبلغنى عن أحد من أهل ذلك العصر أنه رد عليه جوابه ، إما لأنها لم تشتهر ، وإما لأنه أقل من أن يردوا خطابه لأنه كالمعاند الجاحد. ونفس ناظمها تدل على أنه شيطان مارد وقد انتخى الجواب عنها بعد ذلك أبو محمد بن حزم الظاهرى : وأجاد ، وأجاب عن كل فصل باطل بالصواب والسداد ، فبل الله بالرحمة ثراه . وجعل الجنة متقلبه ومثواه .

وها أنا أذكر القصيدة الأرمنية المخذولة الملعونة ، وأتبعها بالفريدة الإسلامية المنصورة الميمونة قال المرتد الكافر الأرمنى على لسان ملكه لعنهما الله وأهل ملتهم أجمعين أكتعين أبتعين أبصعين آمين يارب العالمين.ومن خط ابن عساكر كتبتها، وقد نقلوها من كتاب صلة الصلة للفرغانى:

مـــن الملـــك الطُّهْرِ المسيحىِّ مالك ... إل خلـــفِ الأملاكِ من آلِ هاشمِ
إلى الملكِ الفضلِ المَطيعِ أخى العلا ... ومـــن يرتجى للمعضلات العظائمِ
أمَا سَمعَـتْ أذناك مـا أنا صـانعٌ ... ولكـن دَهَاك الوهنُ عن فَعَلِ حازمِ
فإنْ تَـكُ عَمًّـا قـد تقلَّدْتَ نائمًا ... فـإنى عَمًّـا هَمَّنى غيرُ نائمِ
ثغورُكم لم يبـقَ فيهـا — لو هنكم ... وضعفكـم — إلا رسـومُ المعالمِ
فتحنَـا الثغـورَ الأرمنيَّـةَ كُلَّها ... بفتيـان صدْق كالليوث الضراغمِ
ونحن صَلَبْنا الخيـلَ تَعْلَـكُ لجمَها ... وتبلـغُ منهَـا قَضْمَهاَ للشكائمِ
إلى كـلِّ ثغـر بالجزيـرة آهل ... إلى جنـد قنسـرينكم فالعواصم

ملطية مع سميساط من بعد كركرٍ … وفى البحر أضعاف الفتوح التواخم
وبالحدث الحمراء جالتْ عساكرى … وكَيْسُوم بعد الجعفرى للمعالم
وكم قد ذللْنا من أعزة أهلها … فصاروا لنَا من بين عبد وخادم
وسد سروج إذ خربنا بجمعنا … لنا رتبةٌ تعلو على كل قائمِ
وأهل الرها لاذوا بنا وتحزَّبوا … بمنديل مولى علا عن وصف آدمى
وصبح رأس العين منا بطارقٌ … ببيضٍ غزوناها بضرب الجماجم
ودارا وميافارقين وأزرنا … أذقناهُم بالخيل طعمَ العلاقم
وأقريطش قد جازت إليها مراكبى … على ظهر بحرٍ مُزْبد متلاطمِ
فحزتهم أسرى وسيقتْ نساؤُهم … ذواتُ الشعور المسبَلاتُ النواعمَ
هناك فتحنا عينَ زربة عَنْوَة … نَعَمْ وأبدنا كل طَاغٍ وظالمِ
إلى حلب حتى استبحنا حريمها … وَهَدَمَ منها سوَرها كُلُّ هادمِ
أخذنا النسا ثم البنات نسوقهم … وصبيانهم مثل المماليك خادمَ
وقد فَرَّ عنها سيفُ دولة دينكم … وناصرُكم منا على رَغْمِ رَاغِمِ
وملنا على طرسوسَ مَيلةَ حازم … أذقنا لمن فيها لحَزَّ الحلاقم
فكم ذات عزٍّ حرة علوية … مُنَعَّمَة الأطراف رَيًّا المعاصم
سَبَيْنا فَسُقْنَا خاضعات حواسراً (١) … بغير مهور ، لا ولا حُكْم حاكم
وكم من قتيلٍ قد تَرَكنا مجندلا … يصبُّ دمًا بين اللها واللهازم(٢)
وكم وقعة فى الدربِ أفنت كُماتكم(٣) … وسقناهم قسراً كسوق البهائم
وملنا على أرياحكم وحريمها … مدوخة تحت العجاج السواهم
فأهوت أعاليها وبُدِّلَ رسْمُها … من الإنس وَحْشًا بعد بيض نواعم
إذا صاح فيها البومُ جاوَبَهُ الصدى … وأتبعه فى الربع نوحُ الحمائم(٤)
وإنطاك (٥) لم تَبْعُدْ على وإننى … سأفتحُها يوماً بهتْك المحارمِ
ومسكن آبائى دمشق فإننى … سأرجعُ فيها مُلْكَنَا تَحتَ خاتمى
ومصر سأفتحُها بسيفى عَنْوةً (٦) … وآخذ أموالا بها وبهائمى
وأجزى كافوراً بما يستحقه … بمُشْط ومقراضٍ وقَصٍّ محاجمِ(٧)

---

(١) حواسر : جمع حاسرة : سافرة مكشوفة .
(٢) اللها : واحدها اللهاة : الهنة — اللحمة — المطبقة فى أقصى سقف الفم . اللهازم : عظم ناتئ فى اللحى تحت الأذن وهما يهزمتان .
(٣) الكماة : واحدها الكمى : الشجاع أو لابس السلاح .
(٤) الربع : المحلة — الحى — . نوح : البكاء بصياح .
(٥) إنطاك : إنطاكية المدينة .
(٦) عَنْوَةَ : أَخْذُ الشىء قسرًا وقهرًا .
(٧) كافور — حاكم مصر — كافور الإخشيد — مشط — مقراض — قصٌّ — أسماء للآلات . محاجم : جمع مِحْجَم : آلة الحجم .

ألا شـمروا يا أهـلَ حمدان شمروا ... أتيْكُم جيوشُ الرومِ مثلَ الغمائم
فـإنْ تهربوا تنجوا كراماً وتسلموا ... من الملـكِ الصادى بقتل المسالم
كـذاك نصيبيـن وموصلها (١) إلى ... جزيـرة آبائـى وملـك الأقادم
سأفتـح سامـرا وكوثا وعكبرا ... وَتَكْريتُهـا مـع ماردين العواصم
وأقتـل أهليهـا الرجـالَ بأسرها ... وأغنـمُ أمـوالا بها وحرائم
ألا شـمروا يا أهلَ بغدادَ وَيْلَكُم ... فكلكـم مُستَضْعَـفٌ غيرُ رائم
رضيتـم بحكـم الدَّيْلَميِّ ورفضه ... فصـرتم عبيـداً للعبيدالديالم
وياقاطني الرملات ويلكم ارجعـوا ... إلى أرض صنعا (٢) راعيـين البهائم
وعودوا إلى أرضِ الحجـازِ أذلةً ... وخلـوا بـلاد الروم أهل المكارم
سألقـى جيوشًـا نحو بغدادَ سائراً ... إلى بـاب طاق حيث دار القماقم
وأحْـرقُ أعلاَهـا وأهدمُ سورَها ... وأسبى ذَرَاريها على رغم راغم
وأحـرزُ أمـوالاً بـها وَأَسِرَّةً ... وأقتـل مَـنْ فيها بسيفِ النقائم
وأسرى بجيشى نحو الأهواز مسرعًا ... لإحـراز ديبـاج وخز السواسم(٣)
وأشعلُهـا نهبـاً وأهدمُ قَصورَها ... وأسبى ذَراريهـا كفعل الأقادم
ومنها إلى شـيراز والـرِّىِّ فاعملوا ... خراسـان قـصرى والجيوش بحارم
إلى شـاس بلـخ بعدَها وخواتها ... وفرغانـة مـع مروها والمخازم
وسابـور أهْدمُها وَأَهْدِمُ حُصُونَهَا ... وأوردها يومـا كيـوم السمائم
وَكِرْمَان لا أنسى سجستان كلها ... وكابلهـا النـائى وملك الأعاجم
أسيرُ بجنـدى نحـو بصـرتها التى ... لـها بـحر عجـاج رائع متلازم
إلى واسط وسط العراق وكوفة ... كما كان يوماً جندنا ذو العزائم
وأخرج منها نحـو مكـةَ مسرعاً ... أجـر جيوشاً كالليالى السواجم
فأملكُهـا دهـرًا عزيـزاً مسلماً ... أقيـمُ بهـا للحق كرسى عالم
وَأَحْـوِىَ نـجداً كلهـا وتهامهـا ... وسراً والهـام مـذحج وقحاطـم
وأغـزو يمانـ: كُلَّها وزبيدَها ... وصنعاءها مع صعدة والتهائم
فأتركُها أيضا خـراباً بـلاقعاً(٤) ... خـلاء مـن الأهلـين أهل نعائم
وأحوى أمـوال اليمانـين كلها ... ومـا جـمع القرماط يوم محارم

(١) نصيبين ، الموصل : مدينتان .
(٢) صنعا : مدينة صنعاء باليمن .
(٣) ديباج : الثوب الذى سداه ولحمته حرير (فارسية) . خزّ : الحرير .
(٤) بلاقع : البلقعة الأرض القفر التى لا شىء فيها .

أعودُ إلى القدس التى شرفت بنا ... بعزٍّ مكين ثابت الأهل قائم
وأعلو سريرى للسجود مُعَظَّماً ... وتبقى ملوكُ الأرضِ مثلَ الخوادم
هنالك تخلو الأرضُ من كلِّ مسلم ... لكل نقى الدين أغلف زاعم
نُصرنا عليكم حين جارت ولاتكم ... وأعلنتمو بالمنكرات العظائم
قُضاتُكم باعوا القضاءَ بدينهم ... كبيع ابن يعقوبَ ببخسِ الدراهم
عدوٌّ لكم بالزور يشهدُ ظاهراً ... وبالإفك والبرطيل[1] مع كل قائم
سأفتحُ أرضَ الله شرقاً ومغرباً ... وأنشرُ ديناً للصليب بصارمى[2]
فعيسى علا فوق السموات عرشُهُ ... يفوزُ الذى والاهُ يومَ التخاصم
وصاحبكم بالتُّرْب أَوْدىَ به الثرى ... فصار رُفَاتاً بَيْن تلك الرمائم[3]
تناولتم أصْحَابَهُ بَعد موته ... بسَبٍّ وقذف وانتهاك المحارم

هذا آخرها لعن الله ناظمها وأسكنه النار ﴿ يَوْمَ لاَ يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [غافر : ٥٢] يوم يدعو ناظمها ثبوراً ويصلى ناراً سميراً ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىَ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يَوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً ﴾ [الفرقان : ٢٧ - ٢٩] . إن كان مات كافراً .

وهذا جوابها لأبى محمد بن حزم الفقيه الظاهرى الأندلسى قالها ارتجالا حين بلغته هذه الملعونة غضباً لله ولرسوله ولدينه كما ذكر ذلك من رآه ، فرحمه الله وأكرم مثواه وغفر له خطاياه .

مِنْ المحتمى لله ربِّ العوالِمِ ... ودين رسول الله منْ آل هاشم
مُحَمَّدٌ الهادى إلى الله بالتقى ... وبالرشد والأسلام أفضل قائم
عليه من الله السلامُ مُرَدَّداً ... إلى أن يوافى الحشر كل العوالِم
إلى قائل بالافك جهلاً وضلةً ... عن النقفور المفترى فى الأعاجم
دعوت إماماً ليس من أمرائه ... بكفيه إلا كالرسول الطواسم
دَهَتْهُ الدواهى فى خلافته كما ... دَهَتْ قَبْلَه الأملاكُ دَهْمَ الدواهم
ولا عجبَ من نَكْبَة أو مُلمَّة ... تصيبُ كريمَ الجدود الأكارم
ولو أنَّه فى حال ماضى جدوده ... لَجُرِّعتُمو منه سُمُوم الاراقم[4]
عسى عَطْفَةُ لله فىَ أهل دينه ... تجدد منه دارساتُ المعالِمِ[5]

(١) الإفك : الكذب . البِرْطِيلُ : الرِشْوَةُ .
(٢) الصارم : السيف القاطع .
(٣) التُّربُ : التراب . أودى : هالك . الثرى : التراب الندى . رُفَاتًا : الحطام كل ما تكسر وَبَلِىَ . الرمائم : العظام البالية .
(٤) الأرقم : الحية التى فيها سواد وبياض .
(٥) دارسات : الشىء ذهب أثره وعفا وانمحى الرسم ما كان لاصقا بالأرض من أثار الدار.

فَخَــرْتُم بما لــو كان فيكم حقيقةً … لكــان بفضــل الله أحكمُ حاكم
إذن لاعتَرَتكم خجلةٌ عند ذكره … وَأُخرِسَ منكم كُلُّ فَاه مُخاصمِ
سَلَبْنــاكم كــرًّا فَفُزْتُــم بِغِرَّةٍ (١) … مِــنَ الكرِّ أفعالُ الضعافِ العزائمِ
فَطِرْتُــم سُروراً عند ذاك ونشوةً … كفعــل المهــين الناقــص المتعالمِ
ومَــا ذاك إلا فى تضاعيف عَقْله … عريقاً وصرفُ الدهرِ جَمَّ الملاحمِ(٢)
ولــما تنازعنــا الأمــورَ تخاذلاً … ودانتْ لأهــل الجهــل دولةُ ظالمِ
وقــد شعلــت فينــا الخلائفُ فتنةً … لعَبَــدْاتهم مــع تُرْكهم والدلائم
بكفــر أياديهم وجحد حقوقهم … بــمَن رَفَعُــوه من حضيضِ البهائمِ
وَثَبْتُمْ على أطرافنا عنــدَ ذاكُمــو … وُثُــوبَ لصــوصٍ عندَ غَفلة نــائمِ

ألم تُنْتَزَعْ منكم بأعظمِ قوةٍ … جميعُ بلادِ الشامِ ضربةَ لازمِ ؟
ومصراً وأرضَ القيروان بأسرِهاَ … وأندلسًا قَسْرًا (٣) بضرب الجماجم
ألم تَنْتزِعْ منكم على ضعفِ حالنا … صقليــةَ فى بحرهــا المتلاطــمِ
مشاهــدُ تقديساتكــم وبيوتَها … لنــا وبأيدينــا علــى رغم راغم
أما بيــت لــحم والقمامة بعدها … بأيــدى رجال المسلمين الأعاظم
وسركيسكــم فى أرض إسكندرية … وكرسيكم فى القدس فى أدرناكم
ضممناكم قسراً برغــم أنوفكــم … وكرســى قسطنطينية فى المعالم
ولابد من عَوْد الجميــع بأســره … إلينــا بعِــزٍّ قاهــرٍ متعاظم
أليس يزيدُ حَلَّ وَسْــطَ ديــاركم … على باب قسطنطينية بالصوارم (٤) ؟
وَمَسْلَمَةُ قد داسَها بــعد ذاكمــو … بجيش تَهام قد دُوَى بالضراغمِ (٥)
وأخدمكم بالذلّ مسجدَنا الذى … بنى فيكــم فى عصــره المتقادم
إلى جنب قصر الملك منْ دَارمُلْكِكُمُ … ألاَ هــذه حــقُّ صرامةُ صارمِ(٦)
وأدّى لهــارون الرشيد مَليكُكُم … رفادةَ مغلــوب وجــزيةَ غارم

---

(١) الغِرَّةُ : الغفلة.
(٢) الملاحم : جمع واحدته ملحمة " الوقعة العظيمة " .
(٣) القَسْرُ : الإكراه على الشيء وقهره .
(٤)الصوارم : صارم : السيف القاطع .
(٥) الضراغم : الأسد — الشجعان الأقوياء .
(٦) صرامة صارم : تجلد الشجاع الماضى فى كل أمر .

سلبنـــاكم مصـــراً شهود بقوة حَبَانا بها الرحمنُ أرحم راحم
إلى بيت يعقوبَ وأرباب دومةٍ إلى لُجَّـــة البحـــر المحيط المحاوم
فهل سِـــرْتُم فى أرضنا قط جمعـــةً أبى لله ذاكـــم يابقايـــا الهزائم ؟
فما لكم إلا الأمـــانىَ وَحْدَهـــا بَضَائعَ نَوْكَـــى [(١)] تلك أحلامُ نائمِ
رويداً بعـــد نحـــو الخلافة نورها وسفـــر مغـــير وجوه الهواشم
وحينئذ تدرون كيف قرارُكم إذا صدمتْكم خيلُ جيشٍ مصادمِ
علـــى سالف العادات منا ومنكمو ليالى بُهْـــم [(٢)] فى عـــداد الغنائم
سبيتـــم سَبايـــا يحصر العَدُّونها وَسَبْيُكـــم فينـــا كقطر الغمائم
فلو رَامَ خلقٌ عـــدَّها رامٍ معجزًا وأنَّى بتعـــداد لـــرَشِّ الحمائم
بابنا بنى حمـــدان وكافور صلتمو أراذل أنجـــاس قصار المعاصم
دَعِىٌّ وحجـــام سطـــرتم عليهما ومـــا قدر مَصَّاص دماء المحاجم
فَهَلاَّ على دميانـــة قبـــل ذاك أو على محل أربا رماةُ الضراغم
ليالى قادُوكم كما اقتادَكم أقيـــالُ جـــرجان بحَزِّ الحلاقم
وساقوا على رِسْلٍ بنات مُلوككُـــمُ سبايا كما سيقَتْ ظبـــاءُ الصرائـــم
ولكن سَلُوا عنا هَرقلا ومن خَلاَ لكم من مُلُوك مكرمين قماقم[(٣)]
يُخبِرُكم عنا التنوخُ وقيصرُ وكم قد سَبَيْناَ من نساء كرائمِ
وَعَمَّا فتحنا من منيع بلادكم وعمَّا أقمنا فيكم من مآتم
وَدَعْ كُلَّ نَذْلٍ مُفْتَرٍ لا تَعُدُّه إماماً ولا الدعوى له بالتقادم
فهيهات سامَّرا وتكريت منكمو إلى جبل تلكم أمانى هائم
مُنىً يتمناها الضعيفُ وَدُونَها نظائرُها .... وَحَزُّ الغلاصم[(٤)]
تُريدون بغدادَ سُوقاً جديدةً مسيرة شهر للفنيق القواصمِ
مَحَلةُ أهلِ الزهد والعلمِ والتقى ومنزَلَةٌ يختارُها كُلُّ عالَم
دعوا الرملةَ الصهباءَ عنكم فدونَها من المسلمين الغُرِّ كلُّ مقاومِ
ودون دمشقَ جمعُ جيش كأنَّه سحائبُ طير ينتحى بالقوادمِ
وضرب يلقى الكفـــر كـــل مـــذلة كما ضرب السِّكى بيض الدراهـــم

---

(١) النوكى : الأشد حمقاً – العاجز الجاهل .

(٢) البُهْمُ : السود .

(٣) القماقم : العدد الكثير .

(٤) الغلاصم : واحدته الغَلْصَمَةُ : رأس الحُلْقُوم وهو الموضع . الناتئ فى الحلق .

ومن دون أكناف الحجاز جحافلٌ ... كقطر الغيوم الهاطلات السواحم
بها من بنى عدنانَ كلّ سَمَيْدَعٍ[١] ... ومن حَىّ قَحطان كرام العمائم
ولو قد لقيتم من قضاعةَ كُبّةً ... لقيتم ضراماً فى يبيس الهشائم
إذا أصبحُوكم ذكّرُوكم بما خلا ... لهم معكم من صادق متلاحم
زمان يقودون الصوافنَ[٢] نحوكم ... فجئتم ضماناً أنّكم فى الغنائم
سيأتيكم منهم قريباً عصائبُ ... تُنسيكم تذكارَ أخذ العواصمِ
وأموالُكم حِلٌّ لهم ودماؤكم ... بها يشتفى حَرُّ الصدورِ الحوايم
وأرضيكم حقاً سيقتسمونها ... كما فعلوا دهراً بعدلِ المقاسم
ولو طرقتكم من خراسانَ عصبةٌ ... وشيرازَ والرى الملاحُ القوائم
لما كان منكم عند ذلك غَيْرُ ما ... عهدنا لكم : ذلٌّ وعَضُّ الأباهمِ
فقد طالما زاروكم فى دياركم ... مسيرةَ عامٍ بالخيول الصوادم
فأمّا سجستان وكرمان بالـ ... ـأولى وكابلِ حلوانِ بلاد المراهم
وفى فارسَ والسوسَ جمعٌ عرمرم[٣] ... وفى أصبهانَ كلُّ أروع عارم
فلو قد أتاكم جَمْعُهم لَغَدَوْتُم ... فرائسَ كالآساد فوق البهائم
وبالبُصْرَة الغراء والكوفة التى ... سَمَتْ وبآدى واسط بالعظائم
جموعُ تَسامى الرمل عداً وكثرةً ... فما أحدٌ عَادُوه منه بسالم
وَمنْ دون بيت الله فى مكة التى ... حباها بمجد للبرايا مراحم
محلَ جميعَ الأرض منها تيقنا ... محلة سفل الخُف من فَصٍّ خاتم
دفاع من الرحمن عنها بحقّها ... فما هو عنها ردّ طرف برائم
بها وقع الأحْبُوشُ هلكى وَفيلُهم ... بحصباء طير فى ذرى الجَوّ حائم
وجمع كجميع البحر ماض عرمرم ... حمى بُنْيَةَ البطحاء ذات المحارمِ
ومن دون قبر المصطفى وسط طيبة ... جموع كَمُسْوَدٍّ من الليلَ فاحم
يقودُهم جَيْشُ الملائكة العُلى ... دفاعاً ودفعاً عن مُصَلٍّ وصائم
فلو قد لَقَيْناكم لعدتم رمائماً ... كما فرق الإعصارُ عظمَ البهائم
وَبالْيَمَنِ الممنوعِ فتيانُ غارة ... إذا مالقوكم كنتمو كالمطاعم
وفى جَانبى أرضِ اليمامة عصبةٌ ... مَعَاذرُ أمجاد طوالُ البراجم
وَتَفْنيكم والقرمطيين دولةٌ ... تَقَوَّوْا بميمونِ التقية حازم
خليفةُ حَقٍّ ينصرُ الدينَ حكمُهُ ... ولا يتقى فى الله لَومةَ لائم
إلى ولد العباس تنمى جدودُهُ ... بفخر عميم مُزْبد الموج فاعم

---

(١) السميدع : السيد الكريم الشريف الشجاع .
(٢) الصوافن : من الخيل القائم على ثلاث قوائم .
(٣) العرمرم : الجيش الكثير .

ملوكٌ جَرى بالنصرِ طائرُ سَعْدهـم   فأهْـلاً بـعـاصٍ منهـم وبقـادم

مَحَلُّهم فى مسجد القدس أوَ لدى   منازلِ بغدادَ محلِّ المكارم

وإنْ كان من عَلْيا عَدىٍّ وَتَيْمها   ومن أسد هذا الصلاح الحضارم

فأهْلاً وسهلاً ثم نعمى ومرحَباً   بهم من خيار سالفين أقادم

هُمْ نصروا الإسلامَ نصراً مؤزراً   وهم فتحوا البلدانَ فتحَ المراغم

رويداً فوعدُ الله بالصدقِ واردٌ   بتجريعِ أهلِ الكفرِ طعمَ العلاقم

سنفتحُ قسطنطينية وذواتها   ونجعلُكم فوقَ النسورِ القعاشم

ونفتحُ أرضَ الصين والهند عَنْوةً   بجيشٍ لأرضِ الترك والخزرِ حاطم

مواعيدُ للرحمن فينا صَحيحةٌ   وليست كآمالِ العقولِ السواقم

ونملكُ أقصى أرضَكم وبلادَكم   ونلزُمكم ذُلَّ الحرا والغارم

إلى أن ترى الإسلامَ قد عَمَّ حكمُه   جميعَ الأراضى بالجيوشِ الصوارم

أتقرنُ يامخذولُ دينًا مثلثاً   بعيداً عن المعقول بادى المآثم

تدينُ لمخلوق يدينُ لغَيْره   فَبالَكَ سُحْقاً ليس يخفى لعالم

أَناجيلُكم مصنوعةٌ قد تشابهتْ   كلامُ الأولى فيها أتَوْا بالعظائم

وَعُودُ صليب ماتزالون سُجَّداً   له يا عقولَ الهاملات السوائم

تدينون تضـلالاً بصلـب إلهكـم   بأيـدى يهـودٍ أرذليـنَ لآثم

إلى ملَة الإسلام توحيدُ ربنا   فما دينُ ذى دينٍ لها بمقاوم

وصدق رسالات الذى جاء بالهدى   محمدٌ الآتى برفعِ المظالمِ

وأذعنَت الأملاكُ طوعاً لدينه   ببرهان صدق طاهرٍ فى المواسم

كما دانَ فى صنعاء مالكُ دَولة   وأهلُ عُمان حيث رهطُ فى الجهاضم

وسائرُ أملاك اليمانين أسلموا   ومن بلد البحرين قوم اللهازم

أجابوا لدين الله لا من مخافة   ولا رغبة يحظى بها كَفٌّ عادم

فَحَلُّوا عُرى التيجان طوعاً ورغبةً   بحقٍّ يقين بالبراهين فاحم

وحاباه بالنصر المكين إلهُهُ   وَصَيَّرَ مَنْ عاداهُ تحتَ المناسم

فقيرٌ وحيدٌ لم تُعنْهُ عشيرةٌ   ولا دفعوا عنه شتيمة شاتم

ولا عنده مالٌ عتيدٌ لناصرٍ   ولا دفع مرهوب ولا لمسالم

ولا وعد الأنصارَ مالاً يخصُّهم   بلى كان معصوماً لأقدر عاصم

ولم تنهنهه قَطّ قوةُ آسرٍ   ولا مُكِّنَتْ من جسمه يَدُ ظالم

كما يفترى إفكاً وزوراً وضلةً   على وجه عيسى منكم كل لاطمِ

على أنكم قد قلتمو هو ربُّكم   فيالضلال فى القيامة عائمِ

أبى اللهُ أنْ يُدْعَى له ابنٌ وصـاحبٌ   ستلقى دعاةُ الكفـر حـالةَ نـادمِ

ولكنّه عبدٌ نَبيٌّ رسولٌ مكرمٌ   من الناس مخلوقٌ ولا قول زاعم

أَيُلْطَمُ وَجْهُ الربِّ تَبّاً لدينكم لقد فُقْتُمُو فى قولكم كلَّ ظالمِ؟!
وكم آية أَبْدَى النبىُّ محمدٌ وكم علم أبداه للشرك حاطمِ
تَسَاوَى جميعُ الناسِ فى نَصْرِ حَقِّه بل لكلٍّ فى إعطائه حالُ خادمِ
فَعُرْبٌ وأحبوشٌ وفرسٌ وبربرٌ وكُرْديُّهم قد فاز قدحُ المراحمِ
وقبطٌ وأنباط وخزر وديلم وَرُومُ رَمَوْكُم دُونَه بالقواصمِ
أَبَوْا كُفْرَ أسلافٍ لهم فتمنعوا فآبوا بحظٍّ فى السعادة لازمِ
به دخلوا فى ملَّة الحقِّ كلُّهم ودانوا لأحكامِ الإلهِ اللوازمِ
به صَحَّ تفسيرُ المَنامِ الذى أتى به دانيالُ قبله حم حاتمِ
وَهِنْد وَسِنْد أسلموا وتدينوا بدين الهدى رَفْضًا لدين الأعاجمِ
وَشُقَّ له بَدْرُ السمــوات آيــةً وَأَشْبَعَ مِنْ صَاعٍ لــه كُــلَّ طاعــمِ
وَسَالَتْ عُيُونُ الماء فى وَسط كَفِّه فأروى به جيشاً كثيراً هماهم[1]
وجاء بما تقضى العقولُ بصدقه ولا كدعاء غير ذات قوائم
عليه سلامُ الله ما ذَرَّ شارقٌ تعقبُهُ ظلمــاءُ أسحــم قائم
يراهينُهُ كالشمس لامثلَ قَوْلكم وتخليطكم فى جوهــر وأقانم[2]
لنا كُلُّ علمٍ من قديم ومحدث وأنــتم حمــيرٌ دامياتُ المحازم
أَتَيْتُمُ بشعرٍ بَــارد مُتَخَــاذلٍ ضعيف معانى النظمِ جَمّ البلاعم
فدونكها كالعقدِ فيــه زمــردٌ ودُرٌّ وُيَاقــوتُ بإحكــامِ حاكمِ

وفيها: عزل ابن أبى الشوارب عن القضاء ونقضت سجلاته وأبطلت أحكامه مدة أيامه ، وولى القضاء عوضه أبو بشر عمر بن أكثم بن رزق ، ورفع عنه ما كان يحمله ابن أبى الشوارب فى كل سنة وفى ذى الحجة منها استسقى الناس لتأخر المطر – وذلك فى كانون الثانى [3] – فلم يسقوا . وحكى ابن الجوزى فى (المنتظم) عن ثابت بن سنان المؤرخ قال : حدثنى جماعة ممن أثق بهم أن بعض بطارقة الأرمن أنفذ فى سنة ثنتين وخمسين وثلثمائة إلى ناصر الدولة بن حمدان رجلين من الأرمن ملتصقين سنهما خمس وعشرون سنة ، ملتحمين ومعهما أبوهما ، ولهما سرتان وبطنان ومعدتان وجوعهما وريهما يختلفان ، وكان أحدهما يميل إلى النساء والآخر يميل إلى الغلمان ، وكان يقع بينهما خصومة وتشاجر ، وربما يحلف الآخر لا يكلم الآخر فيمكث كذلك أياماً ثم يصطلحان ،وهبهما ناصر الدولة ألفى درهم ، وخلع عليهما ودعاهما إلى الإسلام . فيقال : إنهما أسلما . وأراد أن يبعثهما إلى بغداد ليراهما الناس ثم رجع عن ذلك ، ثم إنهما رجعا إلى بلدهما مع أبيهما فاعتل أحدهما ومات وأنتن ريحه وبقى الآخر لا يمكنه التخلص

(١) هماهم : تردد الصوت فى الصدر .
(٢) أقانيم : الأصول واحدها (أقنوم) رومية وهى الأصول فى الديانة المسيحية وهى الأقانيم الثلاثة .
(٣) يناير .

منه ، وقد كان اتصال ما بينهما من الخاصرتين ، وقد كان ناصر الدولة أراد فصل أحدهما عن الآخر وجمع الأطباء لذلك فلم يمكن ، فلما مات أحدهما حار أبوهما فى فصله عن أخيه فاتفق اعتلال الآخر من غمه ونتن فمات غما فدفنا جميعا فى قبر واحد .

وممن توفى فيها من الأعيان :

عمر بن أكثم بن أحمد بن حيان بن بشر أبو بشر الأسدى ، ولد سنة أربع وثمانين ومائتين ، وولى القضاء فى زمن المطيع نيابة عن أبى السائب عتبة بن عبيد الله ثم ولى قضاء القضاة ، وهو أول من ولى قضاء القضاه من الشافعية سوى أبى السائب ، وكان جيد السيرة فى القضاء . توفى فى ربيع الأول منها .

ثم دخلت ثلاث وخمسين وثلثمائة

فى عاشر المحرم منها عملت الرافضة عزاء الحسين كما تقدم فى السنة الماضية فاقتتل الروافض وأهل السنة فى هذا اليوم قتالا شديدا ، وانتهبت الأموال . وفيها : عصى نجا غلام سيف الدولة عليه ، وذلك أنه كان فى العام الماضى قد صادر أهل حران وأخذ منهم أموالا جزيلة فتمرد بها وذهب إلى أذربيجان وأخذ طائفة منها من يد رجل من الأعراب يقال له: أبو الورد ، فقتله وأخذ من أمواله شيئا كثيراً وقويت شوكته بسبب ذلك ، فسار إليه سيف الدولة فأخذه وأمر بقتله بين يديه ، وألقيت جثته فى الأقذار . وفيها وجاء الدمستق إلى المصيصة فحاصرهما وثقب سورها فدافعه أهلها فأحرق رستاقها وقتل ممن حولها خمسة عشر ألفا وعانوا فساداً فى بلاد أذنة وطرسوس ، وكر راجعاً إلى بلاده . وفيها قصد معز الدولة الموصل وجزيرة ابن عمر فأخذ الموصل وأقام بها ، فراسله فى الصلح صاحبها فاصطلحا على أن يكون الحمل فى كل سنة، وأن يكون أبو تغلب بن ناصر الدولة ولى عهد أبيه من بعده ، فأجاب معز الدولة إلى ذلك ، وكر راجعا إلى بغداد بعد ما جرت له خطوب كثيرة استقصاها ابن الأثير .وفيها : ظهر رجل ببلاد الديلم وهو أبو عبد الله محمد بن الحسين من أولاد الحسين بن على ، ويعرف بابن الراعى ، فالتف عليه خلق كثير ، ودعا إلى نفسه وتسمى بالمهدى ، وكان أصله من بغداد وعظم شأنه بتلك البلاد ، وهرب منه ابن الناصر العلوى . وفيها: قصد . ملك الروم فى صحبته الدمستق ملك الأرمن - بلاد طرسوس فحاصرها مدة ثم غلت عليهم الأسعار وأخذهم الوباء فمات كثير منهم فكروا راجعين ، ﴿ **ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا** ﴾ [الأحزاب : ٢٥] وكان من عزمهم يريدون أن يستحوذوا على البلاد الإسلامية كلها ، وذلك لسوء حكامها وفساد عقائدهم فى الصحابة فسلم الله ورجعوا خائبين . وفيها : كانت وقعة المختار ببلاد صقلية ، وذلك أنه أقبل من الروم خلق كثير ، ومن الفرنج ما يقارب مائة ألف ، فبعث أهل صقلية إلى المعز الفاطمى يستنجدونه،

فبعث إليهم جيوشاً كثيرة فى الأسطول ، وكانت بين المسلمين والمشركين وقعة عظيمة صبر فيها الفريقان من أول النهار إلى العصر ، ثم قتل أمير الروم مويل ، وفرت الروم وانهزموا هزيمة قبيحة قتل المسلمون منهم خلقاً كثيرة وسقط الفرنج فى واد من الماء عميق فغرق أكثرهم وركب الباقون فى المراكب ، فبعث الأمير أحمد صاحب صقلية فى آثارهم مراكب أخر فقتلوا أكثرهم فى البحر أيضاً وغنموا فى هذه الغزوة كثيراً من الأموال والحيوانات والأمتعة والأسلحة، فكان فى جملة ذلك سيف مكتوب عليه : هذا سيف هندى زنته مائة وسبعون مثقالا ، طالما قوتل به بين يدى رسول الله ﷺ ، فبعثوا به فى جمله تحف إلى المعز الفاطمى إلى إفريقية . وفيها:قصدت القرامطة مدينة طبرية ليأخذوها من يد الأخشيد صاحب مصر والشام ، وطلبوا من سيف الدولة أن يمدهم بحديد يتخذون منه سلاحاً ، فقلع لهم أبواب الرقة — وكانت من حديد صامت — وأخذ لهم من حديد الناس حتى أخذ أواقى الباعة والأسواق ، وأرسل بذلك كله إليهم ، فأرسلوا إليه يقولون : اكتفينا . وفيها : طلب معز الدولة من الخليفة أن يأذن له فى دخول دار الخلافة ليتفرج فيها فأذن له فدخلها ، فبعث الخليفة خادمه وصاحبه معه فطافوا بها وهو مسرع خائف ، ثم خرج منها وقد خاف من غائلة ذلك وخشى أن يقتل فى دهاليزها ، فتصدق بعشرة آلاف لما خرج شكراً لله على سلامته ، وازداد حبا فى الخليفة المطيع من يومئذ ، وكان فى جملة ما رأى فيها من العجائب صنم من نحاس على صورة امرأة حسناء جداً ، وحولها أصنام فى هيئة الخدم لها كان قد أتى بها فى زمن المقتدر فأقيمت هناك ليتفرج عليها الجوارى والنساء ، فهم معز الدولة أن يطلبه من الخليفة ثم ارتأى فترك ذلك .

وفى ذى الحجة منها: خرج رجل بالكوفة فادعى أنه علوى ، وكان يتبرقع فسمى المتبرقع وغلظت فتنته وبعد صيته ، وذلك فى غيبة معز الدولة عن بغداد واشتغاله بأمر الموصل كما تقدم، فلما رجع إلى بغداد اختفى المتبرقع وذهب فى البلاد فلم ينتج له أمر بعد ذلك .

وممن توفى من الأعيان ..

بكار بن أحمد

ابن بكار بن بيان بن بكار بن درستويه بن عيسى المقرى ، روى الحديث عن عبد الله بن أحمد وعنه أبو الحسن الحمانى ، وكان ثقة أقرأ القرآن أزيد من ستين سنة رحمه الله . توفى فى ربيع الأول منها وقد جاوز السبعين وقارب الثمانين ، ودفن بمقبرة الخيزران عند قبر أبى حنيفة .

أبو إسحاق الجهمى

ولد سنة خمسين ومائتين ، وسمع الحديث وكان إذا سئل أن يحدّث يقسم أن لا يحدّث حتى يجاوز المائة فأبر الله قسمه وجاوزها فأسمع . توفى عن مائة سنة وثلاثين سنة رحمه الله .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وثلثمائة

فى عاشر منها عملت الشيعة مأتمهم وبدعتهم على ما تقدم قبل ، وغلقت الأسواق وعلقت المسوح ، وخرجت النساء سافرات ناشرات شعروهن ، ينحن ويلطمن وجوههن فى الأسواق والأزقة على الحسين ، وهذا تكلف لا حاجة إليه فى الإسلام ، ولو كان هذا أمراً محموداً لفعله خير القرون وصدر هذه الأمة وخيرتها وهم أولى به ﴿ لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ﴾ [الأحقاف : ١١]وأهل السنة يقتدون ولا يبتدعون ، ثم تسلطت أهل السنة على الروافض فكبسوا مسجدهم (مسجد براثا) الذى هو عش الروافض وقتلوا بعض من كان فيه من القومة. وفيها فى رجب منها جاء ملك الروم بجيش كثيف إلى المصيصة فأخذها قسراً وقتل من أهلها خلقاً ، واستاق بقيتهم معه أسارى ، وكانوا قريباً من مائتى ألف إنسان ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . ثم جاء إلى طرسوس فسأل أهلها منه الأمان فأمنهم وأمرهم بالجلاء عنها والانتقال منها ، واتخذ مسجدها الأعظم إسطبلا لخيوله وحرق المنبر ونقل قناديله إلى كنائس بلده ، وتنصر بعض أهلها معه لعنه الله . وكان أهل طرسوس والمصيصة قد أصابهم قبل ذلك بلاء وغلاء عظيم ، ووباء شديد بحيث كان يموت منهم فى اليوم الواحد ثمانمائة نفر ، ثم دهمهم هذا الأمر الشديد فانتقلوا من شهادة إلى شهاد أعظم منها . وعزم ملك الروم على المقام بطرسوس ليكون أقرب إلى بلاد المسلمين ، ثم عَنَّ له فسار إلى القسطنطينية وفى خدمته الدمستق ملك الأرمن لعنه الله. وفيها جعل أمر تسفير الحجيج إلى نقيب الطالبيين وهو : أبو أحمد — الحسن بن موسى الموسوى — وهو والد الرضى والمرتضى وكتب له منشور بالنقابة والحجيج .

وفيها : توفيت أخت معز الدولة فركب الخليفة فى طيارة وجاء لعزائه فقبَّل معز الدولة الأرض بين يديه وشكر سعيه إليه ، وصدقاته عليه . وفى ثانى عشر ذى الحجة منها عملت الروافض عيد غدير خم على العادة الجارية كما تقدم . وفيها تغلب على إنطاكية رجل يقال له رشيق النسيمى بمساعدة رجل يقال له ابن الأهوازى ، وكان يضمن الطواحين ، فأعطاه أموالا عظيمة وأطمعه فى أخذ انطاكية وأخبره أن سيف الدولة قد اشتغل عنه بميا فارقين وعجز عن الرجوع إلى حلب ، ثم تم لهما مارماه من أخذ إنطاكية ، ثم ركبا منها فى جيوش إلى حلب فجرت بينهما وبين نائب سيف الدولة حروب عظيمة،ثم أخذ البلد وتحصن النائب بالقلعة وجاءته نجده من سيف الدولة مع غلام له اسمه بشارة ، فانهزم رشيق فسقط عن فرسه فابتدره بعض الأعراب فقتله وأخذ رأسه وجاء به إلى حلب ، واستقل ابن الأهوازى سائراً إلى إنطاكية، فأقام رجلا من الروم اسمه دزبر فسماه الأمير ، وأقام آخر من العلويين ليجعله خليفة وسماه الأستاذ . فقصده نائب حلب وهو قرعويه فاقتتلا قتالا شديداً فهزمه ابن الأهوازى [واستقر بأنطاكية ، فلما عاد سيف الدولة إلى حلب لم يبت بها إلا ليلة واحدة حتى سار إلى إنطاكية فالتقاه ابن الأهوازى فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزم دزبر ، وابن الأهوازى] [1]وأسرا فقتلهما سيف الدولة.

---

(١) سقط من المصرية .

وفيها: ثار رجل من القرامطة اسمه مروان كان يحفظ الطرقات لسيف الدولة ، ثار بحمص فملكها وما حولها ، فقصده جيش من حلب مع الأمير بدر فاقتتلوا معه فرماه بدر بسهم مسموم فأصابه واتفق أن أسر أصحاب مروان بدراً فقتله مروان بين يديه صبراً ومات مروان بعد أيام وتفرق عنه أصحابه . وفيها : عصى أهل سجستان أميرهم خلف بن أحمد ، وذلك أنه حج فى سنة ثلاث وخمسين واستخلف عليهم طاهر بن الحسين ، فطمع فى الملك بعده واستمال أهل البلد ، فلما رجع من الحج لم يسلمه البلد وعصى عليه . فذهب إلى بخارا إلى الأمير منصور ابن نوح السامانى فاستنجده ، فبعث معه جيشا فاستنقذ البلد من طاهر وسلمها إلى الأمير - خلف ابن أحمد - وقدكان خلف عالماً محباً للعلماء - فذهب طاهر فجمع جموعاً ثم جاء فحاصر خلفا وأخذ منه البلد . فرجع خلف إلى الأمير منصور السامانى فبعث معه من استرجع له البلد ثانية وسلمها إليه ، فلما استقر خلف بها وتمكن منها منع ما كان يحمله من الهدايا والتحف والخلع إلى الأمير منصور السامانى ببخارا ، فبعث إليه جيشا فتحصن خلف فى حصن يقال له حصن إراك ، فنازله الجيش فيه تسع سنين لم يقدروا عليه ، وذلك لمناعة هذا الحصن وصعوبته وعمق خندقه وارتفاعه ، وسيأتى ما آل إليه أمر خلف بعد ذلك . وفيها : قصدت طائفة من الترك بلاد الخزر فاستنجد أهل الخزر بأهل خوارزم فقالوا لهم : لو أسلمتم لنصرناكم. فأسلموا إلا ملكهم ، فقاتلوا معهم الترك فأجلوهم عنها ثم أسلم الملك ولله الحمد والمنة .

وممن توفى من الأعيان :

المتنبى الشاعر المشهور

أحمد بن الحسين بن عبد الصمد أبو الطيب الجعفى الشاعر المعروف بالمتنبى ، كان أبوه يعرف بعيدان السقا وكان يسقى الماء لأهل الكوفة على بعير له ، وكان شيخا كبيراً . وعيدان هذا قال ابن ما كولا والخطيب : هو بكسر العين المهملة وبعدها ياه مثناة من تحت ، وقيل : بفتح العين لا كسرها ، فالله أعلم . كان مولد المتنبى بالكوفة سنة ست وثلثمائة ونشأ بالشام بالبادية فطلب الأدب ففاق أهل زمانه فيه ، ولزم جناب سيف الدولة بن حمدان وامتدحه وحظى عنده، ثم صار إلى مصر وامتدح الأخشيد ثم هجاه وهرب منه ، وورد بغداد فامتدح بعض أهلها ، وقدم الكوفة ومدح ابن العميد فوصله من جهته ثلاثون ألف دينار ، ثم سار إلى فارس فامتدح عضد الدولة بن بويه فأطلق له أموالا جزيلة تقارب مائتى ألف درهم ، وقيل : بل حصل له منه نحو من ثلاثين ألف دينار ، ثم دس إليه من يسأله أيما أحسن عطايا عضد الدولة بن بويه أو عطايا سيف الدولة بن حمدان ؟ فقال : هذه أجزل وفيها تكلف ، وتلك ولكن أقل ولكن عن طيب نفس من معطيها ، لأنها عن طبيعة وهذه عن تكلف . فذكر ذلك لعضد الدولة فتغيظ عليه ودس عليه طائفة من الأعراب فوقفوا له فى أثناء الطريق وهو راجع إلى بغداد ، ويقال: إنه كان قد هجى مقدمهم ابن فاتك الأسدى - وقد كانوا يقطعون الطريق - فلهذا أوعز إليهم عضد الدولة أن

يتعرضوا له فيقتلوه ويأخذوا ما معه من الأموال ، فانتهوا إليه ستون راكبا فى يوم الأربعاء وقد بقى من رمضان ثلاثة أيام ، وقيل: بل قتل فى يوم الأربعاء لخميس بقين من رمضان ، وقيل : بل كان ذلك فى شعبان ، وقد نزل عند عين تحت شجرة أنجاص ، وقد وضعت سفرته ليتغدى، ومعه ولده محسن وخمسة عشر غلاماً له ، فلما رآهم قال : هلموا يا وجوه العرب إلى الغداء ، فلما لم يكلموه أحس بالشر فنهض إلى سلاحه وخيله فتواقفوا ساعة فقتل ابنه محسن وبعض غلمانه وأراد أن ينهزم . فقال له مولى له : أين تذهب وأنت القائل :

فالخيلُ والليلُ والبيـــداءُ تعـــرفُنى والطعنُ والضربُ والقرطاسُ والقلمُ؟

فقال له : ويحك قتلتنى ، ثم كَرَّ راجعًا فطعنه زعيم القوم برمح فى عنقه فقتله . ثم اجتمعوا عليه فطعنوه بالرماح حتى قتلوه . وأخذوا جميع ما معه ، وذلك بالقرب من النعمانية ، وهو آيب إلى بغداد ، ودفن هناك وله من العمر ثمان وأربعون سنة . وذكر ابن عساكر أنه لما نزل تلك المنزلة التى كانت قبل منزلته التى قتل بها ، سأله بعض الأعراب أن يعطيهم خمسين درهماً ويخفرونه ، فمنعه الشح والكبر ودعوى الشجاعة من ذلك . وقد كان المتنبى جعفى النسب صليبة منهم ، وقد ادعى حين كان مع بنى كلب بأرض السماوة قريبا من حمص أنه علوى ، ثم ادعى أنه نبى يوحى إليه ، فاتبعه جماعة من جهلتهم وسفلتهم ، وزعم أنه أنزل عليه قرآن فمن ذلك قوله : «والنجم السيار، والفلك الدوار، والليل والنهار ، إن الكافر لفى خسار ،امض على سنتك واقْفُ أثر من كان قبلك من المرسلين، فإن الله قامع بك من ألحد فى دينه ، وضل عن سبيله» وهذا من خذلانه وكثرة هذيانه وفشاره ، ولو لزم قافية مدحه النافق بالنفاق ، والهجاء بالكذب والشقاق ، لكان أشعر الشعراء ، وأفصح الفصحاء ولكن أراد بجهله وقلة عقله أن يقول ما يشبه كلام رب العالمين الذى لو اجتمعت الجن والإنس والخلائق أجمعون على أن يأتوا بسورة مثل سورة من أقصر سوره لما استطاعوا . ولما اشتهر خبره بأرض السماوة وأنه قد التف عليه جماعة من أهل الغباوة ، خرج إليه نائب حمص من جهة بنى الأخشيد وهو الأمير لؤلؤ بيض الله وجهه، فقاتله وشرد شمله ، وأسر مذمومًا مدحوراً ، وسجن دهراً طويلا ، فمرض فى السجن وأشرف على التلف ، فاستحضره واستتابه وكتب عليه كتابا اعترف فيه ببطلان ما ادعاه من النبوة ، وأنه قد تاب من ذلك ورجع إلى دين الإسلام ، فأطلق الأمير سراحه فكان بعد ذلك إذا ذكر له هذا يجحده إن أمكنه وإلا اعتذر منه واستحيا ، وقد اشتهر بلفظة تدل على كذبه فيما كان ادعاه من الإفك والبهتان ، وهى لفظة المتنبى ، والدالة على الكذب ولله الحمد والمنة وقد قال بعضهم يهجوه :

أَىُّ فَضْـــلٍ لشاعـــرٍ يطلبُ الـــ فضـــلَ من الناسِ بُكْرَةً وَعَشيًا
عاشَ حيناً يبيعُ فى الكوفَـــةِ المـــا ءَ وَحِينـــا يبيـــعُ مَاءَ المحَيَّـــا

وللمتنبى ديوان شعر مشهور ، فيه أشعار ومعان ليست بمسبوقة ، بل مبتكرة شائقة . وهو فى الشعراء المحدثين كامرئ القيس فى المتقدمين ، وهو عندى كما ذكر من له خبرة بهذه الأشياء مع تقدم أمره . وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزى فى منتظمه قطعاً رائقة استحسنها من شعره ، وكذلك الحافظ بن عساكر شيخ إقليمه ، فما استحسنه ابن الجوزى قوله :

عزيزاً سبى مَنْ دَاؤُه الحدقُ النجلُ ... عَيَاءٌ به ماتَ المحبونُ مِنْ قَبْلُ
فَمَنْ شاءَ فلينظرْ إلىَّ فمنظرى ... نذيرٌ إلى من ظنَّ أنَّ الهوى سهلُ
جَرَى حُبُّهَا مَجْرى دَمى فى مفاصلى ... فأصبحَ لى عن كلِّ شُغْلٍ بها شُغْلُ
وَمِنْ جَسَدى لم يترك السقمُ شعرةً ... فما فَوْقَها إلا وَفَا له فعْلُ
كأنَّ رقيباً منك سَدَّ مسامعى ... عن العذلِ حتى ليس يدخلُها العَذلُ
كأنَّ سُهَادَ الليلِ يَعْشَقُ مُقْلَتى ... فَبيْنَهُمَا فى كلِّ هَجْرٍ لَنَا وَصْلُ

ومن ذلك قوله :

كَشَفَتْ ثلاثَ ذَوَائب منْ شَعْرِهَا ... فى لَيْلَة فَأَرَتْ ليالَى أَرْبَعَا
واسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السماءِ بوَجْهِهَا ... فَأَرَتْنى الْقَمَرَيْنِ فِى وَقْــتٍ مَعَـــا

ومن ذلك قوله :

مَا نَالَ أَهْلُ الجاهلية كُلُّهم ... شِعْرِىَ ولا سَمِعَتْ بسحْرِى بَابلُ
وإذا أتَتْكَ مَذَمَّتى مِنْ نَاقصٍ ... فهى الشهادَةُ لِىَ بأنِّى كَاملُ
مَنْ لِى بفَهْم أُهَيْلِ عصرٍ يَدَّعى ... أنَّهُ يحسبُ الهندى منهم باقلُ

ومن ذلك قوله :

ومنْ نَكد الدنيا على الحرِّ أنْ يرى ... عَدُوًّا له مَا مِنْ صَدَاقَته بُدُّ
وله وإذَا كَانَــت النفوسُ كباراً ... تَعِبَتْ فى مُرَادِها الأَجسامُ
وله وَمَنْ صَحِبَ الدنيا طويلاً تَقَلَّبَتْ ... على عينيه يرى صدْقَها كذباً
وله خذ ما تراه وَدَعْ شيئاً سَمِعْتَ به ... فى طلعةِ الشمسِ مَا يُغْنِيكَ عن زُحَل

وله فى مدح بعض الملوك :

تَمضى الكواكبُ والأبصارُ شَاخصَةٌ ... منها إلى الملك الميمون طائرهُ
قَد حُزْنَ فى بَشَر فى ، تَاجه قَمرٌ ... فى درْعه أسدٌ تُدمى أظافرُهُ
حُلْــوٌ خلائقُـــهُ شوسٌ حَقَائقُهُ ... يُحْصَى قَبْلَ أن تُحصَى مَآثرُهُ

ومنها قوله :

يَا مَـــنْ أَلوذ بـــه فيمَا أُؤَمِّلُهُ ... وَمَــنْ أَعُــوذُ به ممَّـــا أُحاذره
لا يجْبُر الناسُ عظمًا أنْــتَ كَاسِــرُهُ ... وَلا يَهيضُونَ عَظْمًا أنْــتَ جَابِــرُهُ

وقد بلغني عن شيخنا العلامة شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله أنه كان ينكر على المتنبي هذه المبالغة في مخلوق ويقول : إنما يصلح هذا لجناب الله سبحانه وتعالى . وأخبرني العلامة شمس الدين بن القيم رحمه الله أنه سمع الشيخ تقي الدين المذكور يقول : ربما قلت هذين البيتين في السجود أدعو الله بما تضمناه من الذل والخضوع . ومما أورده ابن عساكر للمتنبي في ترجمته قوله :

أبعَين مُفْتَقرٍ إليك رأيتني فأهَنْتَني وَقَذَفْتَني من حَالقِ
لَسْتَ الملومُ أنا الملومُ ، لأنني أنْزَلْتُ آمالي بغَيْرِ الخالقِ

قال ابن خلكان : وهذان البيتان ليسا في ديوانه ،وقد عزاهما الحافظ الكندي إليه بسند صحيح ومن ذل قوله :

إذا ما كُنْتَ في شرف مَرُومٍ فَلاَ تَقْنَعْ بما دُونَ النجومِ
فَطَعْمُ الموتِ في أمرٍ حقيرٍ كَطَعْمِ الموتِ في أمْرٍ عظيمِ

وله قوله :

وَمَا أنا بالباغي على الحبِّ رشوةً قَبيحٌ هوى يُرَجَّى عليه ثوابُ
إذا نلْتُ منْكَ الوُدَّ فالكُلُّ هَيِّنٌ وكَانَ الذى فَوْقَ التراب تُرَابُ

وقد تقدم أنه ولد بالكوفة سنة ست وثلثمائة ، وأنه قتل في رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة قال ابن خلكان : وقد فارق سيف الدولة بن حمدان سنة أربع وخمسين لما كان من ابن خالويه إليه ما كان من ضربه إياه بمفتاح في وجهه فأدماه ، فصار إلى مصر فامتدح كافور الأخشيد وأقام عنده أربع سنين ، وكان المتنبي يركب في جماعة من مماليكه فتوهم منه كافور فجأة ، فخاف المتنبي فهرب فأرسل في طلبه فأعجزه ، فقيل لكافور : ما هذا حتى تخافه ؟ فقال: هذا رجل أراد أن يكون نبياً بعد محمد ، أفلا يروم أن يكون ملكا بديار مصر ؟ والملك أقل وأذل من النبوة . ثم صار المتنبي إلى عضد الدولة فامتدحه فأعطاه مالا كثيراً ثم رجع من عنده فعرض له فاتك ابن أبي الجهل الأسدى فقتله وابنه محسن وغلامه مفلح يوم الأربعاء لست بقين من رمضان وقيل : لليلتين ، بسواء بغداد ، وقد رثاه الشعراء ،وقد شرح ديوانه العلماء بالشعر نحواً من ستين شرحا وجيزاً وبسيطا .

وممن توفى فيها من الأعيان أبو حاتم البستي صاحب « الصحيح » .

محمد بن حبان

ابن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد أبو حاتم البستي صاحب (الأنواع والتقاسيم) ، وأحد الحفاظ الكبار المصنفين المجتهدين ، ورحل إلى البلدان وسمع الكثير من المشايخ ، ثم ولى قضاء بلده ومات بها في هذه السنة وقد حاول بعضهم الكلام فيه من جهة معتقده ونسبه إلى القول بأن النبوة مكتسبة ، وهي نزعة فلسفية والله أعلم عزوها إليه ونقلها عنه . وقد ذكرته في (طبقات الشافعية) .

محمد بن الحسن بن يعقوب

ابن الحسن بن الحسين بن مقسم أبو بكر بن مقسم المقرى ، ولد سنة خمس ومائتين ، وسمع الكثير من المشايخ ، وروى عنه الدراقطنى وغيره ، وكان من أعرف الناس بالقراءات ، وله كتاب فى النحو على طريقة الكوفيين ، سماه (كتاب الأنوار) . قال ابن الجوزى : ما رأيت مثله ، وله تصانيف غيره ، ولكن الناس فيه بسبب تفرده بقراءات لا تجوز عند الجميع ، وكان يذهب إلى أن كل مالا يخالف الرسم ويسوغ من حيث المعنى تجوز القراءة به كقوله تعالى ﴿ **فلما استيئسوا منه خلصوا نجياً** ﴾ [يوسف : ٨٠] أى يتناجون . قال : لو قرئ نجيباً من النجابة لكان قويا . وقد ادعى عليه وكتب عليه مكتوب أنه قد رجع عن مثل ذلك ، ومع هذا لم ينته عما كان يذهب إليه حتى مات . قاله ابن الجوزى .

محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد ربه

ابن موسى أبو بكر الشافعى ، ولد بجبلان سنة ستين ومائتين ، وسمع الكثير ، وسكن بغداد، وكان ثقة ثبتاً كثير الرواية ، سمع منه الدارقطنى وغيره من الحافظ ، وكان يحدث بفضائل الصحابة حين الديالم من ذلك بالجامع بمدينة المنصور مخالفة لهم ، وكذلك بمسجده بباب الشام.

توفى فى هذه السنة عن أربع وتسعين سنة رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وثلثمائة

فى عاشر المحرم : عملت الروافض بدعتهم الشنعاء وضلالتهم الصماء على عادتهم ببغداد . وفيها : أجلى القرامطة الهجريين من عمان . وفيها : قصدت الروم آمد فحاصروها فلم يقدروا عليها ، ولكن قتلوا من أهلها ثلثمائة وأسروا منهم أربعمائة ، ثم ساروا إلى نصيبين ، وفيها سيف الدولة فهم بالهرب مع العرب ، ثم تأخر مجيء الروم فثبت مكانه وقد كادت تزلزل أركانه . وفيها : وردت طائفة من جيش خراسان — وكانوا بضعة عشر ألفا — يظهرون أنهم يريدون غزو الروم، فأكرمهم ركن الدولة بن بويه وأمنوا إليهم وأخذوا الديلم على غرة فقاتلهم ركن الدولة فظفر بهم لأن البغى له مصرع وخيم وهرب أكثرهم . وفيها : خرج معز الدولة من بغداد إلى واسط لقتال عمران بن شاهين حين تفاقم الحال بشأنه ، واشتهر أمره فى تلك النواحى ، فقوى المرض بمعز الدولة فاستناب على الحرب ورجع إلى بغداد فكانت وفاته فى السنة الآتيه كما سنذكره — إلى حيث ألقت . وفيها : قوى أمر أبى عبد الله بن الداعى ببلاد الديلم وأظهر النسك والعبادة ، ولبس الصوف وكتب إلى الآفاق حتى إلى بغداد يدعو إلى الجهاد فى سبيل الله لمن سب أصحاب رسول الله ﷺ وفى جمادى الآخر نودى برفع المواريث الحشرية وأن ترد إلى ذوى الأرحام . وفيها : وقع الفداء بين سيف الدولة وبين الروم فاستنقذ منهم أسارى كثيرة ، ومنهم ابن عمه أبو فراس بن سعيد بن حمدان ، وأبو الهيثم بن حصن

القاضى ، وذلك فى رجب منها . وفيها : ابتدأ معز الدولة بن بويه فى بناء مارستان وأرصد له أوقافا جزيلة . وفيها : قطعت بنو سليم السابلة على الحجيج من أهل الشام ومصر والمغرب ، وأخذوا منهم عشرين ألف جمل بأحمالها ، وكان عليها من الأموال والأمتعة ما لا يقدر كثرة ، وكان لرجل يقال له : ابن الخواتيمى قاضى طرسوس مائة ألف دينار وعشرين ألف عينا ، وذلك أنه أراد التحول من بلاد الشام إلى العراق بعد الحج ، وكذلك أراد كثير من الناس ، وحين أخذوا جمالهم تركوهم على برد الديار لا شىء لهم، فقل منهم من سلم والأكثر عطب، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وحج بالناس الشريف أبو أحمد نقيب الطالبيين من جهة العراق .

وممن توفى فيها من الأعيان ....

الحسن بن داود

ابن على بن عيسى بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسين بن على بن أبى طالب أبو عبد الله العلوى الحسنى . قال الحاكم : أبو عبد الله كان شيخ آل رسول الله ﷺ فى عصره بخراسان وسيد العلوم فى زمانه ، وكان من أكثر الناس صلاة وصدقة ومحبة للصحابة ، وصحبته مدة فما سمعته ذكر عثمان إلا قال : الشهيد ، ويبكى . وما سمعته ذكر عائشة إلا قال: الصديقة بنت الصديق ، حبيبة حبيب الله ، ويبكى . وقد سمع الحديث من ابن خزيمة وطبقته ، وكان آباؤه بخراسان وفى سائر بلدانهم سادات نجباء حيث كانوا :

مِنْ آلِ بَيْتِ رسولِ اللهِ مِنْهُمُ ... لَهُمْ دَانَتْ رِقَابُ بَنِى مَعْدِ

محمد بن الحسين بن على بن الحسن

ابن يحيى بن حسان بن الوضاح ، أبو عبد الله الأنبارى الشاعر المعروف بالوضاحى ، كان يذكر أنه سمع الحديث من المحاملى ، وابن مخلد ، وأبى روق . روى عنه الحاكم شيئا من شعره كان أشعر من فى وقته ومن شعره :

سَقَى اللهُ بَابَ الكوخِ رَبْعاً وَمَنْزِلاً ... وَمَنْ حَلَّهُ صَوْبَ السحابِ المُجَلَّلِ

فَلَوْ أَنَّ باكى دمْنَة الدارِ بالكوى ... وجارتَــها أُمَّ الربـــابَ تَمأسَلِ

رَأَى عَرَصاتِ الكَرْخِ أَوْ حَلَّ أَرْضَهَا ... لأَمْسَـكَ عَنْ ذِكْرِ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

أبو بكر بن الجعابى

محمد بن عمر بن سلم بن البراء بن سبرة بن سيار ، أبو بكر الجعابى ، قاضى الموصل ، ولد فى صفر سنة أربع وثمانين ومائتين ، سمع الكثير ويخرج بأبى العباس بن عقدة ، وأخذ عنه علم الحديث وشيئا من التشيع أيضاً ، وكان حافظا مكثرا ، يقال : إنه كان يحفظ أربعمائة ألف حديث بأسانيدها ومتونها ، ويذاكر بستمائة ألف حديث ويحفظ من المراسيل والمقاطيع

والحكايات قريبا من ذلك ويحفظ أسماء الرجال وجرحهم وتعديلهم ، وأوقات وفياتهم ومذاهبهم، حتى تقدم على أهل زمانه وفاق سائر أقرانه . وكان يجلس للإملاء فيزدحم الناس عند منزله ، وإنما كان يملي من حفظه إسناد الحديث ومتنه جيداً محرراً صحيحاً ، وقد نسب إلى التشيع كأستاذه ابن عقدة ، وكان يسكن بباب البصره عندهم ، وقد سئل عنه الدارقطني فقال: خلط . وقال أبو بكر الربقاني : صاحب غرائب ومذهبه معروف في التشيع ، وقد حكى عنه قلة دين ، وشرب خمر فالله أعلم . ولما احتضر أوصى أن تحرق كتبه فحرقت ، وقد أحرق معها كتب كثيرة كانت عنده للناس ، فبئس ما عمل . ولما أخرجت جنازته كانت سكينة نائحة الرافضة تنوح عليه في جنازته .

ثم دخلت سنة ست وخمسين وثلثمائة

استهلت هذه السنة والخليفة المطيع لله ، والسلطان معز الدولة بن بويه الديلي وفيها عملت الروافض في يوم عاشوراء عزاء الحسين على عادة ما ابتدعوه من النوح وغيره كما تقدم .

وفاة معز الدولة بن بويه

ولما كان ثالث عشر ربيع الأول منها توفي أبو الحسن أحمد بن بويه الديلي الذي أظهر الروافض يقال له معز الدولة ، بعله الذرب فصار لا يثبت في معدته شيء بالكلية ، فلما أحس بالموت أظهر التوبة وأناب إلى الله عزَّ وجلَّ ، ورد كثيراً من المظالم ، وتصدق بكثير من ماله ، واعتنق طائفة كثيرة من مماليكه ، وعهد بالأمر إلى بلده بختيار عز الدولة ، وقد اجتمع ببعض العلماء فكلمه في السنة وأخبره أن علياً زوج ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب ، فقال : والله ما سمعت بهذا قط ، ورجع إلى السنة ومتابعتها ، ولما حضر وقت الصلاة خرج عنه ذلك الرجل العالم فقال له معز الدولة : إلى أين تذهب ؟ فقال : إلى الصلاة فقال له: ألا تصلي ههنا ؟ قال : لا، قال : ولم ؟ قال : لأن دارك مغصوبة . فاستحسن منه ذلك . وكان معز الدولة حليماكريما عاقلا ، وكانت إحدى يديه مقطوعة ، وهو أول من أجرى السعاة بين يديه ليبعث بأخباره إلى أخيه ركن الدولة سريعاً إلى شيراز ، وحظى عنده أهل هذه الصناعة وكان عنده في بغداد ساعيان ماهران ، وهما فضل ، وبرغوش ، يتعصب لهذا عوام أهل السنة ، ولهذا عوام أهل الشيعة ، وجرت لهما مناصف ومواقف . ولما مات معز الدولة دفن بباب التبن في مقابر قريش ، وجلس ابنه للعزاء . وأصاب الناسَ مطرٌ ثلاثة أيام تباعاً ، وبعث عز الدولة إلى رءوس الأمراء في هذه الأيام بمال جزيل لئلاتجتمع الدولة على مخالفته قبل استحكام مبايعته ، وهذا من دهائه ، وكان عمر معز الدولة ثلاثاً وخمسين سنة ، ومدة ولايته إحدى وعشرين سنة وإحدى عشر شهرا ويومين ، وقد كان نادى في أيامه برد المواريث إلى ذوى الارحام قبل بيت المال وقد سمع بعض الناس ليلة توفي معز الدولة هاتفا يقول :

لَمَّـــا بَلَغْـــتَ أَبَـــا الحسين مُـــرادَ نَفْسِـــكَ بالطَّلَـــب
وَأَمِنْـــتَ مِـــنْ حَـــدَث الليا لى واحْتَجَبْـــتَ عـــن النُّوَبَ
مُدَّت إليـــكَ يَـــدُ الـــردى وَأخذتَ مِـــنْ بَـــيْنِ الـــرُّتَـــب

ولما مات قام بالأمر بعده ولده عز الدولة فأقبل على اللعب واللهو والاشتغال بأمر النساء فتفرق شمله واختلفت الكلمة عليه ، وطمع الأمير منصور بن نوح الساماني صاحب خراسان فى ملك بنى بويه ، وأرسل الجيوش الكثيرة صحبة وشمكير ، فلما علم بذلك ركن الدولة بن بويه أرسل إلى ابنه عضد الدولة وابن أخيه عز الدولة يستنجدهما ، فأرسلا إليه بجنود كثيرة ، فركب فيها ركن الدولة وبعث إليه وشمكير يتهدده ويتوعده ، ويقول : لئن قدرت عليك لأفعلن بك ولأفعلن بك ولأفعلن ، فبعث إليه ركن الدولة يقول : لكنى إن قدرت عليك لأحسنن إليك ولأصفحن عنك . فكانت الغلبة لهذا ، فدفع الله عنه شره ، وذلك أن وشميكير ركب فرسا صعباً يتصيد عليها فحمل عليه خنزير فنفرت منه الفرس فألقته على الأرض فخرج الدم من أذنيه فمات من ساعته وتفرقت العساكر . وبعث ابن وشمكير يطلب الأمان من ركن الدولة فأرسل إليه بالمال والرجال ، ووفى بما قال من الإحسان ، وصرف الله عنه كيد السامانية ، وذلك بصدق النية وحسن الطوية والله أعلم .

وممن توفى فيها من الأعيان ...

أبو الفرج الأصبهانى

صاحب (كتاب الأغانى) . واسمه على بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان ابن محمد بن مروان بن الحكم الأموى ، صاحب (كتاب الأغانى) و(كتاب أيام العرب) ، ذكر فيه ألفا وسبعمائة يوم من أيامهم ، وكان شاعراً أديبا كاتباً ، عالما بأخبار الناس وأيامهم ، وكان فيه تشيع . قال ابن الجوزى :ومثله لا يوثق به ، فإنه يصرح فى كتبه بما يوجب العشق ويهون شرب الخمر ، وربما حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمل (كتاب الأغانى) رأى فيه كل قبيح ومنكر ، وقد روى الحديث عن محمد بن عبد الله بن بطين وخلق ، وروى عنه الدارقطنى وغيره، توفى فى ذى الحجة من هذه السنة ، وكان مولده فى سنة أربع وثمانين ومائتين ، التى توفى فيها البحترى الشاعر ، وقد ذكر له ابن خلكان مصنفات عديدة منها (الأغانى) و (المزارات) و (أيام العرب) . وفيها توفى .

سيف الدولة

أحد الأمراء الشجعان ، والملوك الكثيرى الإحسان ، على ما كان فيه من تشيع ، وقد ملك دمشق فى بعض السنين ، واتفق له أشياء غريبة ، منها أن خطيبه كان مصنف الخطب النباتيه أحد الفصحاء البلغاء . ومنها أن شاعره كان المتنبى ، ومنها أن مُطْرِبَه كان أبو نصر

الفارابى . وكان سيف الدولة كريما جواداً معطياً للجزيل . ومن شعره فى أخيه ناصر الدولة صاحب الموصل :

رَضيتُ لك العليا ، وقد كنتَ أهْلَها ... وقلت لهم : بيني وبين أخي فرق
وَمَاَ كان لى عنها نُكُولُ ، وَإِنَّما ... تجاوزتُ عن حقي فَتَمَّ لك السبقُ
أما كنتَ ترضى أنْ أكونَ مصلّيا ... إذا كنتُ أرضى أنْ يكونَ السبقُ
قد جرى فى دمعه دَمُهُ ... قال لى : كَمْ أنْتَ تَظْلِمُه
رُدَّ عنه الطَرفُ منكَ ... فَقَدْ جَرَحَتْه منكَ أسْهُمُهُ
كَيْفَ تستطيعُ التَّجَلّدَ ... من خَطَراتِ الوَهْم تُؤْلِمُهُ

وكان سبب موته الفالج ، وقيل: عسر البول . توفى بحلب وحمل تابوته إلى ميَّافا رقين فدفن بها ، وعمره ثلاث وخمسون سنة ، ثم أقام فى ملك حلب بعده ولده سيف الدولة أبو المعالى الشريف ، ثم تغلب عليه مولى أبيه قرعويه فأخرجه من حلب إلى أمه بميافارقين ، ثم عاد إليها كما سيأتى . وذكر ابن خلكان أشياء مما قاله سيف الدولة ، وقيل فيه ، قال: ولم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من الشعراء ، وقد أجاز لجماعة منهم ، وقال : إنه ولد سنة ثلاث ، وقيل: إحدى وثلثمائة وأنه ملك حلب بعد الثلاثين والثلثمائة ، وقيل: ذلك ملك واسطا ونواحيها ، ثم تقلبت به الأحوال حتى ملك حلب . انتزعها من يد أحمد بن سعيد الكلابى صاحب الأخشيد وقد قال يوماً : أيكم يجيز قولى وما أظن أحداً منكم يجيز ذلك ؟

لَكَ جِسْمِى تَعله فَدَمِى لم تَحِلُّهُ ؟

فقال أبو فراس أخوه بديهة :

إنْ كُنْتَ مَالكَا الأَمْرَ كُلُّهُ .

وقد كان هؤلاء الملوك رفض وهذا من أقبح القول ، وفيها توفى .

كافور الأخشيد

مولى محمد بن طنج الأخشيدى ، وقد قام بالأمر بعده مولاه لصغر ولده . تملك كافور مصر ودمشق وقاده لسيف الدولة وغيره . وقد كتب على قبره .

انْظُرْ إلى غيَرِ الأَيَّامَ مَا صَنَعَتْ ... أَفْنَتْ قُرُونًا بهَا كَانُوا وَمَا فَنِيَتْ
دُنْيَاهُمُ ضَحِكَتْ أَيَّامَ دَوْلَتِهِمُ ... حَتى إذا فَنِيَتْ نَاحَتْ لَهُمْ وَبَكَتْ

أبو على القالى

صاحب الأمالى، إسماعيل بن القاسم بن عبدون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان، أبو على القاضى القالى اللغوى الأموى مولاهم ، لأن سليمان هذا كان مولى لعبد الملك بن مروان، والقالى نسبة إلى قلا. ويقال: إنها أردن الروم فالله أعلم . وكان مولده بميافارقين ، جزء من أرض الجزيرة من ديار بكر ، وسمع الحديث من أبى يعلى الموصلى وغيره ، وأخذ النحو واللغة عن ابن دريد ، وأبى الأنبارى ، ونفطويه وغيرهم ، وصنف الأمالى وهو مشهور ، وله

كتاب التاريخ على حروف المعجم فى خمسة آلف ورقة ، وغير ذلك من المصنفات فى اللغة ، ودخل بغداد وسمع بها ثم ارتحل إلى قرطبة فدخلها فى سنة ثلاثين وثلثمائة واستوطنها ، وصنف بها كتبا كثيرة إلى أن توفى بها فى هذه السنة عن ثمانين وستين قاله ابن خلكان .

وفيها: توفى أبو على محمد بن إلياس صاحب بلاد كرمان ومعاملاتها ، فأخذ عضد الدولة ابن ركن الدولة بلاد كرمان من أولاد محمد بن إلياس — وهم ثلاثة — اليسع ، إلياس ، وسليمان، والملك الكبير ، وشمكير ، كما قدمنا .

وفيها : توفى من الملوك أيضاً الحسن بن الفيرزان . فكان هذه السنة محل موت الملوك مات فيها معز الدولة ، وكافور ، وسيف الدولة ، قال ابن الأثير : وفيها: هلك نقفور ملك الأرض وبلاد الروم — يعنى الدمستق كما تقدم — .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وثلثمائة

فيها: شاع الخبر ببغداد وغيرها من البلاد أن رجلا ظهر يقال له : محمد بن عبد الله وتلقب بالمهدى وزعم أنه الموعود به ، وأنه يدعو إلى الخير وينهى عن الشر ، ودعا إليه ناس من الشيعة ، وقالوا : هذا علوى من شيعتنا ، وكان هذا الرجل إذ ذاك مقيما بمصر عند كافور الأخشيدى قبل أن يموت وكان يكرمه ، وكان من جملة المستحسنين له سبكتكين الحاجب ، وكان شيعياً فظنه علويا ، وكتب إليه أن يقدم إلى بغداد ليأخذ له البلاد ، فترحل عن مصر قاصداً العراق فتلقاه سبكتكين الحاجب إلى قريب الأنبار ، فلما رآه عرفه وإذا هو محمد بن المستكفى بالله العباسى ، فلما تحقق أنه عباسى وليس بعلوى انثنى رأيه ، فتفرق شمله وتمزق أمره، وذهب أصحابه كل مذهب ، وحمل إلى معز الدولة فأمنه وسلمه إلى المطيع لله فجدع أنفه واختفى أمره، فلم يظهر له خبر بالكلية بعد ذلك . وفيها : وردت طائفة من الروم إلى بلاد إنطاكية فقتلوا خلقا من حواضرها وسبوا اثنى عشر ألفا من أهلها ورجعوا إلى بلادهم ، ولم يعرض لهم أحد . وفيها : عملت الروافض فى يوم عاشوراء منها المآتم على الحسين ، وفى يوم غدير خم الهناء والسرور . وفيها : فى تشرين عرض للناس داء الماشرى فمات به خلق كثير . وفيها : مات أكثر جمال الحجيج فى الطريق من العطش ، ولم يصل منهم إلى مكة إلا القليل ، بل مات أكثر من وصل منهم بعد الحج . وفيها : اقتتل أبو المعالى شريف بن سيف الدولة هو وخاله، وابن عم أبيه أبو فراس فى المعركه . قال ابن الأثير : ولقد صدق من قال : إن الملك عقيم .

وفيها : توفى من الأعيان أيضاً :

إبراهيم المتقى لله، وكان قد ولى الخلافة ثم ألجئ أن خلع من سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة إلى هذه السنة ، وألزم بيته فمات فى هذه السنة ودفن بداره عن ستين سنة .

عمر بن جعفر بن عبد الله

ابن أبى السرى : أبو جعفر البصرى الحافظ ولد سنة ثمانين ومائتين ، حدث عن أبى الفضل ابن الحباب وغيره ، وقد انتقد عليه مائة حديث وضعها . قال الدارقطنى : فنظرت فيها فإذا الصواب مع عمر بن جعفر .

محمد بن أحمد بن على بن مخلد

أبو عبد الله الجوهرى المحتسب ، ويعرف بابن المخرم ، كان أحد أصحاب ابن جرير الطبرى وقد روى عن الكديمى وغيره ، اتفق له أنه تزوج امرأة فلما دخلت عليه جلس يكتب الحديث فجاءت أمها فأخذت الدواة فرمت بها وقالت : هذه أضر على ابنتى من مائة ضرة . توفى فى هذه السنة عن ثلاث وتسعين سنة ، وكان يضعف فى الحديث .

كافور بن عبد الله الأخشيدى

كان مولى السلطان محمد بن طفج ، اشتراه من بعض أهل مصر بثمانية عشر ديناراً ، ثم قربه وأدناه وخصه من بين الموالى واصطفاه ، ثم جعله أتابكا حين ملك ولداه ، ثم استقل بالأمور بعد موتهما فى سنة خمس وخمسين ، واستقرت المملكة باسمه فدعى له على المنار بالديار المصرية والشامية والحجازية ، وكان شهماً شجاعاً ذكيا جيد السيرة ، مدحه الشعراء ، منهم المتنبى ، وحصل له منه مال ثم غضب عليه فهجاه ورحل عنه إلى عضد الدولة ، ودفن كافور بتربته المشهورة به ، وقام فى الملك بعده أبو الحسن على بن الأخشيد ، ومنه أخذ الفاطميون الأدعياء بلاد مصر كما سيأتى . ملك كافور سنتين وثلاثة أشهر .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة .

فى عاشوراء منها عملت الروافض بدعتهم وفى يوم خم عملوا الفرح والسرور المبتدع على عادتهم وفيها: حصل الغلاء العظيم حتى كاد أن يعدم الخبز بالكلية ، وكاد الناس أن يهلكوا . وفيها: عاث الروم فى الأرض فسادا وحرقوا حمص وأفسدوا فيها فسادا عريضا ، وسبوا من المسلمين نحوا من مائة ألف إنسان فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وفيها: دخل أبو الحسن جوهر القائد الرومى فى جيش كثيف من جهة المعز الفاطمى إلى ديار مصر يوم الثلاثاء لثلاثة عشر بقيت من شعبان فلما كان يوم الجمعة خطبوا للمعز الفاطمى على منابر الديار المصرية وسائر أعمالها ، وأمر جوهر المؤذنين بالجوامع أن يؤذنوا بحَىّ على خير العمل ، وأن يجهر الأئمة بالتسليمة الأول ، وذلك أنه لما مات كافور لم يبق بمصر من تجتمع القلوب عليه ، وأصابهم غلاء شديد أضعفهم ، فلما بلغ ذلك المعز بعث جوهراً هذا — وهو مولى أبيه المنصور — فى جيش إلى مصر . فلما بلغ ذلك أصحاب كافور هربوا منها قبل دخول جوهر إليها ، فدخلها بلا ضربة ولا طعنة ، ففعل ولا ممانعة ، ما ذكرنا ، واستقرت أيدى الفاطميين على تلك البلاد وفيها: شرع جوهر القائد فى بناء القاهرة المعزية ، وبناء القصرين عندها على ما نذكره . وفيها: شرع فى الإمامات إلى مولاة المعز الفاطمى. وفيها: أرسل جوهر جعفر بن فلاح فى جيش كثيف إلى الشام فاقتتلوا قتالا شديداً ، وكان بدمشق أبو القاسم بن يعلى الهاشمى ، وكان مطاعاً فى أهل الشام فجاحف عن العباسيين مدة طويلة ، ثم آل الحال أن يخطبوا للمعز بدمشق ، وحمل الشريف أبو القاسم هذا إلى الديار المصرية،

وأسر الحسن بن طفج وجماعة من الأمراء وحملوا إلى الديار المصرية ، فحملهم جوهر القائد إلى المعز بإفريقية ، واستقرت يد الفاطميين على دمشق فى سنة ستين كما سيأتى وأذن فيها وفى نواحيها بحى على خير العمل أكثر من مائة سنة ، وكتب لعنة الشيخين على أبواب الجوامع بها، وأبواب المساجد ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . ولم يزل ذلك كذلك حتى أزالت ذلك دولة الأتراك والأكراد نور الدين الشهيد ، وصلاح الدين بن أيوب على ما سيأتى بيانه . وفيها دخلت الروم إلى حمص فوجدوا أكثر أهلها قد انجلوا عنها وذهبوا ، فحرقوها وأسروا ممن بقى فيها ومن حولها نحواً من مائة ألف إنسان ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وفى ذى الحجة منها نقل عز الدولة والده معز الدولة بن بويه من داره إلى تربته بمقابر قريش .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وثلثمائة

فى عاشر المحرم منها : عملت الرافضة بدعتهم الشنعاء فغلقت الأسواق وتعطلت المعايش ودارت النساء سافرات عن وجوهن ينحن على الحسين بن على ويلطعمن وجوههن ، والمسوح معلقة فى الأسواق وال تبن مدرور فيها . وفيها: دخلت الروم إنطاكية فقتلوا من أهلها الشيوخ والعجائز وسبوا الصبايا والأطفال نحواً من عشرين ألف فإنا لله وإنا إليه راجعون . وذلك كله بتدبير ملك الأرمن نقفور لعنه الله ، وكل هذا فى ذمة ملوك الأرض أهل الرفض الذين قد استحوذوا على البلاد وأظهروا فيها الفساد قبحهم الله . قال ابن الجوزى : وكان قد تمرد وطغا، وكان الخبيث قد تزوج بامرأة الملك الذى كان قبله ، ولهذا الملك المتقدم ابنان ، فأراد أن يخصيهما ويجعلهما فى الكنيسة لئلا يصلحا بعد ذلك للملك ، فلما فهمت ذلك أمهما عملت عليه وسلطت عليه الأمراء فقتلوه وهو نائم وملكوا عليهم أكبر ولديها . وفى ربيع الأول صرف عن القضاء أبو بكر أحمد بن سيار وأعيد إليه أبو محمد بن معروف . قال ابن الجوزى : وفيها نقصت دجله حتى غارت الآبار . وحج بالناس الشريف أبو أحمد النقيب وانقض كوكب فى ذى الحجة فأضاءت له الأرض حتى بقى له شعاع كالشمس ، ثم سمع له صوت كالرعد . قال ابن الأثير : وفى المحرم منها خطب للمعز الفاطمى بدمشق عن أمر جعفر بن فلاح الذى أرسله جوهر القائد بعد أخذه مصر ، فقاتله أبو محمد الحسن بن عبد الله بن طغج بالرملة فغلبه ابن فلاح وأسره وأرسله إلى جوهر فأرسله إلى المعز وهو بإفريقية . وفيها: وقعت المنافرة بين ناصر الدولة بن حمدان وبين ابنه أبى تغلب ، وسببه أنه لما مات معز الدولة بن بويه عزم أبو تغلب ومن وافقه من أهل بيته على أخذ بغداد ، فقال لهم أبوهم : إن معز الدولة قد ترك لولده عز الدولة أموالا جزيلة فلا تقدرون عليه ما دامت فى يده ، فاصبروا حتى ينفقها فإنه مبذر ، فإذا أفلس فسيروا إليه فإنكم تغلبونه ، فحقد عليه ولده أبو تغلب بسبب هذا القول ولم يزل بأبيه حتى سجنه بالقلعة ، فاختلف أولاده بينهم وصاروا أحزابا ، وضعفوا عما فى أيديهم ، فبعث أبو تغلب إلى عز الدولة يضمن منه بلاد الموصل بألف ألف كل سنة ، واتفق موت أبيه ناصر الدولة فى هذه

السنة واستقر أبو تغلب بالموصل وملكها ، إلا أنهم فيما بينهم مختلفين متحاربين . وفيها : دخل ملك الروم إلى طرابلس فأحرق كثيرا منها وقتل خلقا ، وكان صاحب طرابلس قد أخرجه أهلها منها لشدة ظلمه ، فأسرته الروم واستحوزوا على جميع أمواله وحواصله ، وكانت كثيرة جدا ، ثم مالوا على السواحل فملكوا ثمانية عشر بلدا سوى القرى ، وتنصر خلق كثير على أيديهم فانا لله ، وإنا إليه راجعون . وجاؤا إلى حمص فأحرقوا ونهبوا وسبوا ، ومكث ملك الروم شهرين يأخذ ما أراد من البلاد ويأسر من قدر عليه ، وصارت له مهابة فى قلوب الناس ، ثم عاد إلى بلده ومعه من السبى نحو من مائة ألف مابين صبى وصبية ، وكان سبب عوده إلى بلاده كثرة الأمراض فى جيشه واشتياقهم إلى أولادهم ، وبعث سرية إلى الجزيرة فنهبوا وسبوا ، وكان قرعويه غلام سيف الدولة قد استحوذ على حلب وأخرج منها ابن أستاذه شريف ، فسار إلى طرف وهى تحت حكمه فأبوا أن يمكنوه من الدخول إليهم ، فذهب إلى أمه بميَّافارقين ، وهى ابنة سعيد بن حمدان فمكث عندها حينا ثم سار إلى حماه فملكها ، ثم عاد إلى حلب بعد ستين كما سيأتى ، ولما عانت الروم فى هذه السنة بالشام صانعهم قرعويه عن حلب ، وبعث إليهم بأموال وتحف ثم عادوا إلى إنطاكية فملكوها وقتلوا خلقا كثيراً من أهلها ، وسبوا عامة أهلها وركبوا إلى حلب وأبو المعالى شريف محاصر قرعويه بها ، فخافهم فهرب عنها فحاصرها الروم فأخذوا البلد ، وامتنعت القلعة عليهم ثم اصطلحوا مع قرعويه على هدية ومال يحمله إليهم كل سنة ، وسلموا إليه البلد ورجعوا عنه . وفيها: خرج على المعز الفاطمى وهو بإفريقية رجل يقال له: أبو خزر فنهض إليه بنفسه وجنوده ، وطرده ثم عاد فاستأمنه فقبل منه وصفح عنه وجاءه الرسول من جوهر يبشره بفتح مصر وإقامة الدعوة له بها ، ويطلبه إليها ، ففرح بذلك وامتدحه الشعراء من جملتهم شاعره محمد بن هانئ قصيدة له أولها :

يَقولُ بَنُو العباسِ قد فُتِحَتْ مِصْرُ فَقُلْ لِبَنِي العباسِ قَدْ قُضِيَ الأَمْرُ

وفيها رام عز الدولة صاحب بغداد محاصرة عمران بن شاهين الصياد فلم يقدر عليه ، فصالحه ورجع إلى بغداد . وفيها قرعويه وأبو المعالى شريف ، فخطب له قرعويه بحلب وجميع معاملاتها تخطب للمعز الفاطمى ، وكذلك حمص ودمشق ، ويخطب بمكه للمطيع بالله وللقرامطة ، وبالمدينة للمعز الفاطمى . وخطب أبو أحمد الموسرى بظاهرها للمطيع . وذكر ابن الأثير أن نقفور توفى فى هذه السنة ثم صار ملك الروم إلى ابن الملك الذى قبله ، قال: وكان يقال له: الدمستق ، وكان من أبناء المسلمين كان أبوه من أهل طرسوس من خيار المسلمين يعرف بابن الفقاس ، فتنصر ولده هذا وحظى عند النصارى حتى صار من أمره ما صار ، وقد كان من أشد الناس على المسلمين ، وأخذ منهم بلاداً كثيرة عنوة من ذلك طرسوس والأذنة وعين زربة والمصيصة وغير ذلك ، وقتل من المسلمين خلقا لا يعلمهم إلا الله وسبى منهم مالا يعلم عدتهم إلا الله ، وتنصروا أو غالبهم ، وهو الذى بعث تلك القصيدة إلى المطيع كما تقدم .

ومما توفى فيها من الأعيان ...

محمد بن أحمد بن الحسين

ابن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله أبو على الصواف ، روى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل وطبقته ، وعنه خلق منهم الدارقطنى . وقال: ما رأت عيناى مثله فى تحريره ودينه ، وقد بلغ تسعاً وثمانين سنة رحمه الله .

محارب بن محمد بن محارب

أبو العلاء الفقيه الشافعى من ذرية محارب بن دثار ، كان ثقة عالما ، روى عن جعفر الفريابى وغيره .

أبو الحسين أحمد بن محمد

المعروف بابن القطان أحد أئمة الشافعية ، تفقه على ابن سريج ، ثم الشيخ أبى إسحاق الشيرازى وتفرد برياسة المذهب بعد موت أبى القاسم الداراني، وصنف فى أصول الفقه وفروعه، وكانت الرحلة إليه ببغداد ، ودرس بها وكتب شيئا كثيراً . توفى فى جمادى الأولى منها.

ثم دخلت سنة ستين وثلثمائة

في عاشر محرمها، عملت الرافضة بدعتهم المحرمة، على عادتهم المتقدمة. وفي ذي القعدة منها، أخذت القرامطة دمشق، وقتلوا نائبها جعفر بن فلاح،وكان رئيس القرامطة وأميرهم الحسين بن أحمد بن بهرام، وقد أمده عزّ الدولة من بغداد بسلاح، وعدد كثيرة، ثم ساروا إلى الرملة، فأخذوها، وتحصن بها من كان بها من المغاربة نوابا ثم إن القرامطة تركوا عليهم من يحاصرها ثم ساروا نحو القاهرة في جمع كثير من الأعراب والإخشيدية والكافورية، فوصلوا عين شمس فاقتتلوا هم وجنود جوهر القائد قتالاً شديداً ، والظفر للقرامطة وحصروا المغاربة حصراً عظيماً . ثم حملت المغاربة في بعض الأيام على ميمنة القرامطة فهزمتها ورجعت القرامطة إلى الشام فجدوا في حصار باقي المغاربة فأرسل جوهر إلى أصحابه خمسة عشر مركباً ميرة لأصحابه، فأخذها القرامطة سوى مركبين أخذهما الأفرنج. وجرت خطوب كثيرة. ومن شعر الحسين بن أحمد بن بهرام أمير القرامطة في ذلك :

زعمتْ رجـالُ الغرب أنّي هِبتُها ... فـدَمي إذنْ ما بَيْنَهـم مَطْلُولُ
يا مصرُ إنْ لم أَسْقِ أرضَكِ مِنْ دمٍ ... يَرْوِي ثَرَاكِ فلا سَقَاني النيلُ

وفيها : تزوج أبو تغلب بن حمدان بنت بختيار بن عز الدولة وعمرها ثلاث سنين على صداق مائة ألف دينار، ووقع العقد في صفر منها. وفيها : استوزر مؤيد الدولة بن ركن الدولة الصاحب أبا القاسم بن عباد فأصلح أموره وساس دولته جيداً. وفيها : أذن بدمشق وسائر الشام بحي على خير العمل .

قال ابن عساكر في ترجمة جعفر بن فلاح نائب دمشق : وهو أول من تأمر بها عن الفاطميين، أخبرنا أبو محمد الأكفاني قال : قال أبو بكر أحمد بن محمد بن شرام : وفي يوم الخميس لخمس خلون من صفر من سنة ستين وثلاثمائة أعلن المؤذنون في الجامع بدمشق وسائر مآذن البلد، ومآذن المساجد بحي على خير العمل بعد حي على الفلاح، أمرهم بذلك جعفر بن فلاح، ولم يقدروا على مخالفته، ولا وجدوا من المسارعة إلى طاعته بداً. وفي يوم الجمعة الثامن من ذي الحجة أمر المؤذنون أن يثنوا الأذان والتكبير في الإقامة مثنى مثنى. وأن يقولوا في الإقامة : حي على خير العمل، فاستعظم الناس ذلك وصبروا على حكم الله تعالى .

وفيها توفي من الأعيان :

سليمان بن أحمد بن أيوب

أبو القاسم الطبراني الحافظ الكبير صاحب المعاجم الثلاثة: «الكبير»، «والأوسط»، «والصغير» . وله كتاب « السنة » وكتاب « مسند الشاميين » ، وغير ذلك، من المصنفات المفيدة، عمر مائة سنة. وتوفى بأصبهان ودفن على بابها عند قبر حممة الصحابي، قاله أبو الفرج بن الجوزي .

وقال ابن خلكان : سمع من ألف شيخ . قال : وكانت وفاته يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة من هذه السنة وقيل : في شوال منها، وكان مولده في سنة ستين ومائتين فمات وله من العمر مائة سنة .

الرفا الشاعر أحمد بن السري أبو الحسن

الكندي الرفا الشاعر الموصلي، أرخ وفاته ابن الأثير في هذه السنة توفى في بغداد. وذكر ابن الجوزي أنه توفي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة كما سيأتي .

محمد بن جعفر

ابن محمد بن الهيثم بن عمران بن يزيد أبو بكر بن المنذر أصله أنباري. سمع من أحمد بن الخليل بن البرجلاني، ومحمد بن العوام الرياحي، وجعفر بن محمد الصائغ، وأبي إسماعيل الترمذي. قال ابن الجوزي وهو آخر من روى عنهم : قالوا : وكانت أصوله جياداً بخط أبيه، وسماعه صحيحاً، وقد انتقى عنه أبو عمرو البصري. توفى فجأة يوم عاشوراء وقد جاوز التسعين .

محمد بن الحسين بن عبد الله أبو بكر الآجري

سمع جعفر الفريابي، وأبا شعيب الحراني، وأبا مسلم الكجي وخلقاً، وكان ثقة صادقاً ديناً، وله مصنفات كثيرة مفيدة، منها الأربعون الآجرية، وقد حدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة، ثم انتقل إلى مكة فأقام بها حتى مات بعد إقامته بها ثلاثين سنة رحمه الله .

محمد بن جعفر بن محمد

أبو عمرو الزاهد، سمع الكثير ورحل إلى الآفاق المتباعدة، وسمع منه الحفاظ الكبار، وكان فقيراً متقللاً يضرب اللَّبِنَ بقبور الفقراء، ويتقوت برغيف وجزرة أو بصلة، ويقوم الليل كله. توفي في جمادى الآخرة منها عن خمس وتسعين سنة .

محمد بن داود أبو بكر الصوفي

ويعرف بالدقي أصله من الدينور وأقام ببغداد، ثم ارتحل وانتقل إلى دمشق، وقد قرأ على ابن مجاهد وسمع الحديث من محمد بن جعفر الخرائطي، صاحب ابن الجلاء، والدقاق. توفي في هذه السنة وقد جاوز المائة .

محمد بن الفرحاني

ابن زرويه المروزي الطبيب، دخل بغداد وحدث بها عن أبيه بأحاديث منكرة، روى عن الجنيد ، وابن مرزوق، قال ابن الجوزي : وقد كان فيه ظرف ولباقة، غير أنهم كانوا يتهمونه بوضع الحديث .

أحمد بن الفتح

ويقال : ابن أبي الفتح بن خاقان، أبو العباس بن النجاد، إمام جامع دمشق.

قال ابن عساكر: كان عابداً صالحاً، وذكر أن جماعة جاءوا لزيارته فسمعوه يتأوه مع وجع كان به، فأنكروا عليه ذلك، فلما خرج إليهم قال لهم : إن آه اسم من أسماء الله يستروح إليه الأعلى، قال فزاد في أعينهم وعظموه .

قلت : لكن هذا الذي قاله لا يؤخذ عنه مُسَلَّماً إليه فيه، بل يحتاج إلى نقل صحيح عن المعصوم، فإن أسماء الله تعالى توقيفية على الصحيح .

ثم دخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائة

في عاشر المحرم منها عملت الروافض بدعتهم كما تقدم وفي المحرم منها أغارت الروم على الجزيرة وديار بكر فقتلوا خلقاً من أهل الرها، وساروا في البلاد كذلك يقتلون ويأسرون ويغنمون إلى أن وصلوا نصيبين ففعلوا ذلك، ولم يغن عن تلك النواحي أبو تغلب بن حمدان متوليها شيئاً، ولا دافع عنهم ولا له قوة، فعند ذلك ذهب أهل الجزيرة إلى بغداد وأرادوا أن يدخلوا على الخليفة المطيع لله وغيره يستنصرونه ويستصرخون، فرثا لهم أهل بغداد وجاءوا معهم إلى الخليفة فلم يمكنهم ذلك، وكان بختاير بن معز الدولة مشغولاً بالصيد فذهبت الرسل وراءه فبعث الحاجب سبكتكين يستنفر الناس، فتجهز خلق كثير من العامة، وكتب إلى تغلب أن يعد الميرة والإقامة، فأظهر السرور بذلك والفرح والابتهاج، ولما تجهزت العامة للغزاة وقعت بينهم فتنة شديدة بين الروافض وأهل السنة، وأحرق أهل السنة دور الروافض في الكرخ وقالوا: الشركله منكم، وثار العيارون [1] ببغداد يأخذون أموال الناس، وتناقض النقيب أبو أحمد الموسوي والوزير أبو الفضل الشيرازي، وأرسل بختيار بن معز الدولة إلى الخليفة يطلب منه

---

(١) العيارون : السّراق-اللسان .

أموالاً يستعين بها على هذه الغزوة، فبعث إليه يقول : لو كان الخراج يجيء إليَّ لدفعت منه ما يحتاج المسلمون إليه، ولكن أنت تصرف منه في وجوه ليس بالمسلمين إليها ضرورة وأما أنا فليس عندي شيء أرسله إليك، فترددت الرسل بينهما وأغلظ بختيار للخليفة في الكلام وهدده فاحتاج الخليفة أن يحصل له شيئاً فباع بعض ثياب بدنه وشيئاً من أثاث بيته، ونقض بعض سقوف داره وحصل له أربعمائة ألف درهم فصرفها بختيار في مصالح نفسه وأبطل تلك الغزاة، فنقم الناس للخليفة وساءهم ما فعل به ابن بويه الرافضي من أخذه مال الخليفة وتركه الجهاد في سبيل الله، فلا جزاه الله خيراً عن المسلمين ولا عن إمامهم. وفيها: تسلم أبو تغلب بن حمدان قلعة ماردين فنقل حواصلها وما فيها إلى الموصل. وفيها: اصطلح الأمير منصور بن نوح الساماني صاحب خراسان وركن الدولة بن بويه وابنه عضد الدولة على أن يحملا إليه في كل سنة مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار، وتزوج بابنة ركن الدولة، فحمل إليه من الهدايا والتحف ما لا يعد ولا يحصى. وفي شوال منها خرج المعز الفاطمي بأهله وحاشيته وجنوده من مدينة المنصورة من بلاد المغرب قاصداً الديار المصرية، بعد ما مهد له مولاه جوهر القائد أمرها وبنى له بها القصرين، واستخلف المعز على بلاد المغرب ونواحيها وصقلية وأعمالها نواباً من جهته وحزبه وأنصاره من أهل تلك البلاد، واستصحب معه شاعره محمد بن هانئ الأندلسي، فتوفي في أثناء الطريق، وكان قدوم المعز إلى القاهرة في رمضان من السنة الآتية على ما سيأتي . وفيها: حج بالناس الشريف أبو أحمد الموسوي النقيب على الطالبيين كلهم . وفيها توفي من الأعيان:

سعيد بن أبي سعيد الجنابي

أبو القاسم القرمطي الهجري، وقام بالأمر من بعده أخوه أبو يعقوب يوسف، ولم يبق من سلالة أبي سعيد سواه .

عثمان بن عمر بن خفيف

أبو عمر المقري المعروف بالدراج، حدث عن أبي بكر بن أبي داود وعنه ابن زرقويه، وكان من أهل القراءات والفقه والدراية والديانة والسيرة الجميلة .

وكان يعد من الأبدال [1]. توفي يوم الجمعة في رمضان منها .

علي بن إسحاق بن خلف

أبو الحسين القطان الشاعر المعروف بالمراهي، ومن شعره :

قُمْ فَهَنِّ عاشقَيْن ... أصْبَحا مُصْطَحِبَيْن
جُمِعَا بعدَ فِراقٍ ... فُجِعَا منه بِبَيْن [2]

(١) الأبدال : قوم من الصالحين . اللسان (بدل).
(٢) فجع : الفجيعة المصيبة . بَيْنٌ : الفراق والبعاد .

ثم عـــــادَا في ســـــرورٍ مـــــنْ صُـــــدُودٍ آمنين
همـــــا روحُ ولكـــــنْ رُكِّبَـــــتْ في بَدَنَـــــيْنِ

أحمد بن سهل

ابن شداد أبو بكر المخزومي، سمع أبا خليفة وجعفر الفريابي، وابن أبي الفوارس وابن جرير وغيرهم، وعنه الدارقطني ، وابن زرقويه ، وأبو نعيم، وقد ضعفه البرقاني ، وابن أبي الفوارس ، وابن الجوزي وغيرهم .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين وثلاثمائة

في عاشر محرمها عملت الروافض من النياحة وتعليق المسوح وغلق الأسواق ما تقدم قبلها. وفيها اجتمع الفقيه أبو بكر الرازي الحنفي وأبو الحسن علي بن عيسى الرماني وابن الدقاق الحنبلي بعز الدولة بختيار بن بويه وحرّضوه على غزو الروم فبعث جيشاً لقتالهم فأظفره الله بهم، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وبعثوا برؤوسهم إلى بغداد فسكنت أنفس الناس. وفيها : سارت الروم مع ملكهم لحصار آمد وعليها هزرمرد غلام أبي الهيجاء بن حمدان، فكتب إلى أبي تغلب يستنصره فبعث إليه أخاه أبا القاسم هبة الله ناصر الدولة بن حمدان، فاجتمعا لقتاله فلقياه في آخر يوم من رمضان في مكان ضيق لا مجال للخيل فيه، فاقتتلوا مع الروم قتالاً شديداً فعزمت الروم على الفرار فلم تقدر فاستحر فيهم القتل وأخذ الدمستق أسيراً فأودع السجن فلم يزل فيه حتى مرض ومات في السنة القابلة، وقد جمع أبو تغلب الأطباء له فلم ينفعه شيء. وفيها أحرق الكرخ ببغداد وكان سببه أن صاحب المعونة ضرب رجلاً من العامة فمات فثارت عليه العامة وجماعة من الأتراك، فهرب منهم فدخل داراً فأخرجوه مسحوباً وقتلوه وحرقوه، فركب الوزير أبو الفضل الشيرازي – وكان شديد التعصب للسنة – وبعث حاجبه إلى أهل الكرخ فألقى في دورهم النار فاحترقت طائفة كبيرة من الدور والأموال من ذلك ثلاثمائة دكان وثلاثة وثلاثون مسجداً، وسبعة عشر ألف إنسان، فعند ذلك عزله بختيار عن الوزارة وولاّها محمد بن بقية . فتعجب الناس من ذلك ، وذلك أن هذا الرجل كان وضيعاً عند الناس لا حرمة له، كان أبوه فلاحاً بقرية كوثاً، وكان هو ممن يخدم عز الدولة، كان يقدم له الطعام ويحمل منديل الزفر على كتفه، إلى أن ولي الوزارة، ومع هذا كان أشد ظلماً للرعية من الذي قبله، وكثر في زمانه العيارون ببغداد . وفسدت الأمور ببغداد .

وفيها : وقع الخلاف بين عز الدولة وبين حاجبه سبكتكين ثم اصطلحا على دخن. وفيها: كان دخول المعز الفاطمي الديار المصرية وصحبته توابيت آبائه، فوصل إلى الإسكندرية في

شعبان منها، وقد تلقاه أعيان مصر إليها، فخطب الناس هنالك خطبة بليغة ارتجالاً، ذكر فيها فضلهم وشرفهم، وقد كذب؛ فقال فيها : إن الله أغاث الرعايا بهم وبدولتهم. وحكى قاضي بلاد مصر وكان جالساً إلى جنبه فسأله : فقال : هل رأيت خليفة أفضل مني ؟ فقال له : لم أر أحداً من الخلفاء سوى أمير المؤمنين. فقال له : أحججت؟ قال نعم : قال : وزرت قبر الرسول ﷺ ؟ قال : نعم. قال : وقبر أبي بكر وعمر؟ قال : فتحيرت ماذا أقول ؟ فإذا ابنه قائم مع كبار الأمراء. فقلت : شغلني عنهما رسول الله كما شغلني أمير المؤمنين عن السلام على ولي العهد من بعده، ونهضت إليه فسلمت عليه ورجعت فانفسح المجلس إلى غيره، ثم سار من الإسكندرية إلى مصر فدخلها في الخامس من رمضان من هذه السنة فنـــزل، بالقصرين. فقيل : إنه أول ما دخل إلى محل ملكه خرَّ ساجداً شكرا لله عزَّ وجلَّ ، ثم كان أول حكومة انتهت إليه أن امرأة كافور الأخشيدى ذكرت أنها كانت أودعت رجلاً من اليهود الصواغ قباء [1]من لؤلؤ منسوج بالذهب، وأنه جحدها ذلك، فاستحضره وقرره فجحد ذلك وأنكره. فأمر أن تحفر داره ويستخرج منها ما فيها، فوجدوا القباء بعينه قد جعله في جرة ودفنها في بعض المواضع من داره، فسلمه المعزّ إليها ووفره عليها، ولم يتعرض إلى القباء فقدمته إليه فأبى أن يقبله منها ورده عليها فاستحسن الناس منه ذلك. وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ : « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » [2].

وممن توفي فيها من الأعيان :

السري بن أحمد بن أبي السري

أبو الحسن الكندي الموصلي، الرفا الشاعر، له مدائح في سيف الدولة بن حمدان وغيره من الملوك والأمراء، وقد قدم بغداد فمات بها في هذه السنة، وقيل : في سنة أربع وقيل : خمس وقيل: ست وأربعون. وقد كان بينه وبين محمد بن سعيد معاداة، وادعى عليه أنه سرق شعره، وكان مغنياً ينسج على ديوان كشاجم الشاعر، وربما زاد فيه من شعر الخالديين ليكثر حجمه .

قال ابن خلكان : وللسري الرفا هذا ديوان كبير جداً وأنشد من شعره .

يلقى النـــدى برقيقِ وجـــه مســـفرِ ... فإذا التقى الجمعـــــان عادَ صفيقًا

رحبَ المنازل ما أقام، فـــإنْ سَرَى ... في جحفلٍ تـــركَ الفضاءَ مَضيقَـــــا

وقوله :

ألبستـــــني نعماً لَقيتُ بهـــا الدُّجَى ... صُبُحـــاً وكنتُ أرى الصباحَ بهيما

فغدوتُ يَحْسُدني الصـــديقُ وَقَبْلَها ... قد كان يلقاني العـــدوُّ رَحِيمـــــا

---

(١) القباء : ثوب يلبس فوق القميص .

(٢) متفق عليه : رواه البخارى فى الجهاد (٣٠٦٢) وفى القدر (٦٦٠٦) ومسلم فى الإيمان (١١١/١٧٨) .

وقوله :

بنفسي مَنِ أحـــودُ له بنَفْســـي وَيَبْخَـــلُ بالتحيـــةِ والسـلامِ
وَحَتْفِي كـــائنٌ في مُقْلَتيـــــه كَكَونِ الموتِ في حلـدِ الحســـامِ

محمد بن هانئ

الأندلسي الشاعر كان قد استصحبه المعز الفاطمي من بلاد القيروان حين توجه إلى مصر، فمات ببعض الطريق، وجد مقتولاً على حافة البحر في رحب منها، وقد كان قوي النظم إلا أنه قد كفره غير واحد من العلماء في مبالغته في مدحه الخلق، فمن ذلك قوله يمدح المعز :

ما شِئْتَ لا ما شَاءت الأقدارُ فاحكمْ فأنتَ الواحدُ القهارُ

وهذا من أكبر الكفر. وقال أيضا قبحه الله وأخزاه :

وَلَطَالَمَا زَاحَمَتْ تَحْتَ رِكَابِه جِبْرِيلاً

ومن ذلك قوله – قال ابن الأثير : ولم أرها في شعره ولا في ديوانه :

حلّ بزيـــادة جـــلّ المســـيحُ بهـــا وَحَـــلَّ آدمُ ونـــوحُ
حـــلّ بهـــا اللهُ ذو المعــــالي فكـــلُّ شـــيء سواهُ ريـــحُ

وقد اعتذر عنه بعض المتعصبين له . قلت : هذا الشعر إن صح عنه فليس عنه اعتذار لا في الدار الآخرة ولا في هذه الدار. وفيها توفى :

إبراهيم بن محمد

ابن شحنونة بن عبد الله المزكي أحد الحفاظ المبرزين أنفق على الحديث وأهله أموالاً جزيلة وأسمع الناس بتخريجه، وعقد له مجلس للإملاء بنيسابور، ورحل وسمع من المشايخ شرقاً وغرباً، ومن مشايخه ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وكان يحضر مجلسه خلق كثير من كبار المحدثين، منهم أبو العباس الأصم وأضرابه، عن سبع وستين سنة .

سعيد بن القاسم بن العلاء بن خالد

أبو عمرو البردعي أحد الحافظ، روى عنه الدارقطني وغيره .

محمد بن الحسن بن كوثر بن علي

أبو بحر البرهاري، روى عن إبراهيم الحربي وتمام والباغندي والكديمي وغيرهم، وعنه ابن زرقويه وأبو نعيم وانتخب عليه الدار قطني، وقال : اقتصروا على ما خرجته له فقد اختلط صحيح سماعه بفاسده. وقد تكلم فيه غير واحد من حفاظ زمانه بسبب تخليطه وغفلته واتهمه بعضهم بالكذب أيضاً .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة

فيها: في عاشوراء عملت البدعة الشنعاء على عادة الروافض، ووقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أهل السنة والروافض، وكلا الفريقين قليل عقل أو عديمه، بعيد عن السداد، وذلك أن جماعة من أهل أركبوا امرأة جملاً وسموها عائشة، وتسمى بعضهم بطلحة، وبعضهم بالزبير، وقالو : نقاتل أصحابَ عَليٍّ ، فقتل بسبب ذلك من الفريقين خلق كثير، وعاث العيارون في البلد فساداً، ونهبت الأموال، ثم أخذ جماعة منهم فقتلوا وصلبوا فسكنت الفتنة، وفيها : أخذ عزّ الدولة الموصل، وزوج ابنته بابن أبي تغلب بن حمدان. وفيها: وقعت الفتنة بالبصرة، بين الديالم والأتراك، فقويت الديلم على الترك بسبب أن الملك منهم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وحبسوا رؤوسهم ونهبوا كثيراً من أموالهم. وكتب عز الدولة إلى أهله أني سأكتب إليكم أني قدمت فإذا وصل إليكم الكتاب فأظهروا النوح واجلسوا للعزاء، فإذا جاء سبكتكين للعزاء فاقبضوا عليه فإنه ركن الأتراك ورأسهم. فلما جاء البريد إلى بغداد بذلك أظهروا النوح وجلسوا للعزاء ففهم سبكتكين أن هذه مكيدة فلم يقربهم، وتحقق العداوة بينه وبين عز الدولة، وركب من فوره في الأتراك فحاصر دار عز الدولة ببغداد يومين، ثم أنزل أهله منها ونهب ما فيها وأحضرهم إلى دجلة وإلى واسط منفيين، وكان قد عزم على بعث الخليفة المطيع معهم، فتوسل الخليفة إليه فعفا عنه وأقره بداره، وقويت شوكة سبكتكين والأتراك ببغداد، ونهبت الأتراك دور الديلم، وخلع سبكتكين على رؤوس العامة، لأنهم كانوا معه على الديلم، وقويت السنة على الشيعة وأحرقوا الكرخ - لأنه محل الرافضة - ثانياً، وظهرت السنة على يدي الأتراك، وخلع المطيع وولّى ولده على ما سنذكر إن شاء الله سبحانه وتعالى .

خلافة الطائع وخلع المطيع

ذكر ابن الأثير أنه لما كان الثالث عشر من ذي القعدة، وقال ابن الجوزي في (منتظمه) : كان ذلك يوم الثلاثاء التاسع عشر من ذي القعدة من هذه السنة، خلع المطيع لله وذلك لفالج أصابه فثقل لسانه، فسأله سبكتكين أن يخلع نفسه ويولّي من بعده ولده الطائع، فأجاب إلى ذلك فعقدت البيعة للطائع بدار الخلافة على يدي الحاجب سبكتكين، وخلع أبوه المطيع بعد تسع وعشرين سنة كانت له في الخلافة، ولكن تعوض بولاية ولده. واسم الطائع : أبو بكر عبد الكريم ابن المطيع أبي القاسم،ولم يل الخلافة من اسمه عبد الكريم سواه، ولا من أبوه حي سواه، ولا من كنيته أبو بكر سواه وسوى أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ولم يل الخلافة من بني العباس أسن منه، كان عمره لما تولى ثمانياً وأربعين سنة، وكانت أمه أم ولد اسمها : غيث، وكانت تعيش يوم بويع بالخلافة. ولما بويع الطائع ركب وعليه البردة وبين يديه سبكتكين والجيش، ثم خلع من الغد على سبكتكين خلع الملوك ولقبه ناصر الدولة، وعقد له الإمارة. ولما كان يوم الأضحى

ركب الطائع وعليه السواد، فخطب الناس بعد الصلاة خطبة خفيفة حسنة، وحكى ابن الجوزي في (منتظمه) : أن المطيع لله كان يسمى بعد خلعه بالشيخ الفاضل .

الحرب بين المعز الفاطمي والحسين

لما استقر المعز الفاطمي بالديار المصرية وابتنى فيها القاهرة والقصرين وتأكد ملكه، سار إليه الحسين بن أحمد القرمطي من الأحساء في جمع كثيف من أصحابه، والتف معه أمير العرب ببلاد الشام وهو حسان بن الجراح الطائي، في عرب الشام بكمالهم، فلما سمع بهم المعز الفاطمي أسقط في يده لكثرتهم، وكتب إلى القرمطي يستميله ويقول : إنما دعوة آبائك كانت إلى آبائي قديماً، فدعوتنا واحدة، ويذكر له فضله وفضل آبائه، فرد عليه الجواب : وصل كتابك الذي كثر تفضيله وقل تحصيله ونحن سائرون إليك على إثره والسلام. فلما انتهوا إلى ديار مصر عاثوا فيها قتلاً ونهباً وفساداً وحار المعزّ فيما يصنع وضعف جيشه عن مقاومتهم، فعدل إلى المكيدة والخديعة، فراسل حسان بن الجراح أمير العرب ووعده بمائة ألف دينار إن هو خذل بين الناس، فأرسل إليه أن أبعث إلى بما التزمت وتعال بمن معك، فإذا لقيتنا انهزمت بمن معي فلا يبقى للقرمطي قوة فتأخذه كيف شئت فأرسل عليه المعز بمائة ألف دينار في أكياسها، ولكن أكثرها زغل ضرب النحاس وألبسه الذهب وجعله في أسفل الأكياس، وجعل في رؤوسها الدنانير الخالصة، ولما بعثها إليه ركب في إثرها بجيشه فالتقى الناس ولما تواجه الفريقان ونشبت الحرب بينهم انهزم حسان بن جراح بمن معه فضعف جانب القرمطي وقوي عليه الفاطمي فكسره، وانهزمت القرامطة بين يديه فرجعوا إلى أذرعات في أذل حال وأرذله، وبعث المعز في آثارهم القائد أبا المحمود بن إبراهيم في عشرة آلاف فارس، ليحسم مادة القرامطة ويطفئ نارهم عنه .

المعز الفاطمي ينتزع دمشق من القرامطة

لما انهزم القرمطي بعث المعز سرية وأمر عليهم ظالم بن موهوب العقيلي، فجاءوا إلى دمشق فتسلمها من القرامطة بعد حصار شديد واعتقل متوليها أبا الهيجاء القرمطي وابنه، واعتقل رجلاً يقال له: أبو بكر من أهل نابلس، كان يتكلم في الفاطميين ويقول : لو كان معي عشرة أسهم لرميت الروم بواحد ورميت الفاطميين بتسعة، فأمر به فسلخ بين يدي المعز وحشي جلده تبناً وصلب بعد ذلك. ولما تفرغ أبو محمود القائد من قتال القرامطة أقبل نحو دمشق فخرج إليه ظالم ابن موهوب فتلقاه إلى ظاهر البلد وأكرمه وأنزله ظاهر دمشق، فأفسد أصحابه في الغوطة والمرج ونهبوا الفلاحين وقطعوا الطرقات على الناس، فتحول أهل الغوطة إلى البلد من كثرة النهب، وجيء بجماعة من القتلى فألقوا فكثر الضجيج، وغلقت الأسواق، واجتمعت العامة للقتال، والتقوا مع المغاربة فقتل من الفريقين جماعة وانهزمت العامة غير مرة، وأحرقت المغاربة ناحية باب الفراديس، فاحترق شيء كثير من الأموال والدور، ولبث الحرب بينهم إلى سنة أربع

وستين وثلاثمائة وأحرقت البلد مرة أخرى بعد عزل ظالم بن موهوب وتوليه جيش بن صمصامة ابن أخت أبي المحمود قبحه الله، وقطعت القنوات وسائر المياه عن البلد، ومات كثير من الفقراء في الطرقات من الجوع والعطش، ولم يزل الحال كذلك حتى ولي عليهم الطواشي ريان الخادم من جهة المعزّ الفاطمي، فسكنت النفوس . والله الحمد .

فصل

ولما قويت الأتراك ببغداد تحير بختيار بن معز الدولة في أمره وما يصنع وهو مقيم بالأهواز لا يستطيع الدخول إلى بغداد، فأرسل إلى عمه ركن الدولة يستنجده. فأرسل إليه بعسكر مع وزيره أبي الفتح بن العميد، وأرسل إلى عَمِّه عَمُّه ركن الدولة فأبطأ عليه وأرسل إلى عمران بن شاهين فلم يجبه، وأرسل إلى أبي تغلب بن حمدان فأظهر نصره وإنما يريد في الباطن أخذ بغداد، وخرجت الأتراك من بغداد في جحفل عظيم ومعهم الخليفة الطائع، وأبوه المطيع، فلما انتهوا إلى واسط توفي المطيع وبعد أيام توفي سبكتكين، فحملا إلى بغداد والتف الأتراك على أمير يقال له: أفتكين، فاجتمع شملهم والتقوا مع بختيار فضعف أمره جداً وقوي عليه ابن عمه عضد الدولة فأخذ منه ملك العراق وتمزق شمله، وتفرق أمره وفيها: خطب للمعز الفاطمي بالحرمين مكة والمدينة المنورة. وفيها : خرج جمع من بني هلال وطائفة من العرب على الحجاج فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وعطلوا على من بقي منهم الحج في هذا العام وفيها: انتهى تاريخ ثابت بن سنان ابن ثابت بن قرة وأوله من سنة خمس وتسعين ومائتين، وهي أول دولة المقتدر. وفيها: كانت زلزلة شديدة بواسط، وحج بالناس فيها الشريف أبو أحمد الموسوي، ولم يحصل لأحد حج في هذه السنة سوى من كان معه على درب العراق، وقد أخذ بالناس على طريق المدينة فتم حجهم .

وفيها توفي من الأعيان :

العباس بن الحسين

أبو الفضل السراجي الوزير لعز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه، وكان من الناصرين للسنة المتعصبين لها، عكس مخدومه، فعزله وولي محمد بن بقية البابا كما تقدم، وحبس هذا فقتل في محبسه في ربيع الآخر منها، عن تسع وخمسين سنة، وكان فيه ظلم وحيف والله أعلم .

وأبو بكر عبد العزيز بن جعفر

الفقيه الحنبلي المعروف بغلام الخلال، أحد مشاهير الحنابلة الأعيان وممن صنف وجمع وناظر، وسمع الحديث من أبي القاسم البغوي وطبقته، ومات وقد عدا الثمانين. قال ابن الجوزي : وله « المقنع » في مائة جزء و« الشافي » في ثمانين جزءاً، وزاد المسافر والخلاف مع الشافعي وكتاب القولين ومختصر السنة، وغير ذلك في التفسير والأصول .

علي بن محمد

أبو الفتح البستي الشاعر المشهور، له ديوان جيد قوي، وله في المطابقة والمجانسة اليد الطولى، ومبتكرات أولى. وقد ذكر ابن الجوزي له في (منتظمة) من ذلك : قطعة كبيرة مرتبة على حروف المعجم، من ذلك قوله :

إذا قنعتَ بميسورٍ من القوتِ ... بقيتَ في الناس حُرّاً غيرَ ممقوتِ
يا قوتَ يومي إذا ما درّ خلفُكَ لي ... فلستُ آسى على درٍّ وياقوتِ

وقوله :

يا أيُّها السائلُ عن مَذْهَبِي ... لِيَقْتَدِي فيه بِمِنْهَاجِي
مِنْهَاجِيَ الحقُّ وقمعُ الهوى ... فهل لمنهاجِيَ مِنْ هَاجِي؟

وقوله :

أَفِدْ طبعَكَ المكدودَ بالجدِّ راحةً ... تجم، وعلّلهُ بشيء من المزحِ
ولكن إذا أعطيتَ ذلك فليكنْ ... بمقدار ما تعطي الطعامَ من الملِح

وقوله :

إذا خدمتَ الملوكَ فالْبِسْ ... مِنَ التَّوقي أعزَّ ملبسِ
وادخلْ عليهم إذا دخلتَ أعْمَى ... واخرجْ إذا ما خرجتَ أخرس

وقوله :

إذا ما شِئْتَ أنْ تَلَقى عَدُوَّك راغماً ... وَتَقْتُلَه وتحرقَه غَمّا
فسامِ العُلَى وازْدَدْ من الفضلِ إنّه ... مَنِ ازدادَ فضلاً زاد حاسِدُه غَمّا

وقوله :

إنَّ أسيافنا العُصَاةُ الدَّوامي ... قَرَّنَتْ مُلْكَنا بطولِ الدوامِ
لم نَزلْ نَحْنُ مِنْ سدادِ ثغورِ ... واصطلامِ الأعداء وَسْطَ لام
واقتحام الأهوالِ من وقتِ حامِ ... واقتسامِ الأقوالِ من وقتِ سامِ

وقوله :

يا خادمَ الجسمِ كَمْ تَسْعَى لِخِدْمَتِه ... وَتَطْلُبُ الربحَ فِيمَا فيه خُسْرَانُ
أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ واستكملْ فَضَائِلَها ... فَأَنْتَ بالنَّفْسِ لا بالجِسْمِ إِنْسَانُ

أبو فراس بن حمدان الشاعر

له ديوان مشهور. استنابه أخوه سيف الدولة على حران ومنبج، فقاتل مرة الروم فأسروه ثم استنقذه سيف الدولة، واتفق موته في هذه السنة عن ثمان وأربعين سنة، وله شعر رائق ومعان حسنة، وقد رثاه أخوه سيف الدولة فقال :

المرءُ رهنُ مصـــائب لا تَنْقَـضي   حتى يـُـوَارَى جسمُه في رمسه (١)
فَمُؤَجَلٌ يَلْقَـى الرّدى في أهـــله   وَمُعَجّلٌ يَلْقى الرّدى في نفســهِ (٢)

فلما قالهما كان عنده رجل من العرب، فقال: قل : في معناهما. فقال الأعرابي:

مَـنْ يتمــنى العُمْرَ فليتخـــذْ   صـــبراً على فقـــد أحبـــابه
ومن يُعَمرْ يَلْقَ في نَفْســه   مـــا يتمنـــاهُ لأعـــدائه

كذا ذكر ابن الساعي هذين البيتين، من شعر سيف الدولة، في أخيه أبي فراس، وذكرها ابن الجوزي من شعر أبي فراس نفسه، وأن الأعرابي أجازهما بالبيتين المذكورين بعدهما. ومن شعر أبي فراس :

سيَفقدُنى قَوْمي إذا جَـــدَّ جدُّهم   وفي الليلة الظلمـــاء يُفْتَقَدُ البـدرُ
ولو سَدّ غيرى ما سَدَدْتُ اكتفوا به   وَمَا كانَ يَغْلُو التِّبْرُ لَـوْ نَفَقَ الصَّخْرُ

ومن ذلك قوله من قصيدة :

إلى الله أشْـكُو إنّنـــا بمنـــازل   تَحكَّـــمَ في آســـادهنَّ كِلابُ
فَلَيْتَكَ تَحْلوُ والحيـــاةُ مـريرةٌ   وليتَكَ تَرْضَى والأنـــامُ غِضَـــابُ
وَلَيْتَ الذى بَيْنِى وَبيْنَـــكَ عَـــامِرُ   وَبَيْنِى وَبَيْنَ العـــالمينَ خـَـرَابُ

ثم دخلت سنة أربع وستين وثلثمائة

فيها : جاء عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، إلى واسط، ومعه وزير أبيه أبو الفتح بن العميد فهرب منه الفتكين في الأتراك إلى بغداد فسار خلفهم فنـــزل في الجانب الشرقي منها وأمر بختيار بأن ينـــزل على الجانب الغربي، وحصر الترك حصراً شديداً، وأمر أمراء الأعراب، أن يغيروا على الأطراف، ويقطعوا عن بغداد الميرة الواصلة إليها فغلت الأسعار، وامتنع الناس من المعاش من كثرة العيارين والنهوب وكبس الفتكين البيوت لطلب الطعام واشتد الحال ثم التقت الأتراك وعضد الدولة، فكسرهم، وهربوا إلى تكريت، واستحوذ عضد الدولة على

---

(١) الرمس : القبر.القاموس .
(٢) الرّدى : الهلاك .

بغداد، وما والاها من البلاد، وكانت الترك قد أخرجوا معهم الخليفة فرده عضد الدولة إلى دار الخلافة مكرما، ونزل هو بدار الملك، وضعف أمر بختيار جدا، ولم يبق معه شيء بالكلية فأغلق بابه وطرد الحجبة والكتبة عن بابه، واستعفى عن الإمارة، وكان ذلك بمشورة عضد الدولة، فاستعطفه عضد الدولة في الظاهر، وقد أشار عليه في الباطن، أن لا يقبل فلم يقبل وترددت الرسل بينهما، فصمم بختيار على الامتناع ظاهراً، فألزم عضد الدولة بذلك وأظهر للناس أنه إنما يفعل هذا عجزا منه عن القيام بأعباء الملك، فأمر بالقبض على بختيار وعلى أهله وإخوته، ففرح بذلك الخليفة الطائع، وأظهر عضد الدولة من تعظيم الخلافة ما كان دارسا، وجدد دار الخلافة، حتى صار كل محل منها آنساً، وأرسل إلى الخليفة بالأموال والأمتعة الحسنة العزيزة، وقتل المفسدين من مردة الترك، وشطار العيارين .

قال ابن الجوزي: وفي هذه السنة، عظم البلاء بالعيارين ببغداد وأحرقوا سوق باب الشعير وأخذوا أموالا كثيرة وركبوا الخيول وتلقبوا بالقواد وأخذوا الخفر من الأسواق والدروب، وعظمت المحنة بهم جدا، واستفحل أمرهم، حتى أن رجلا منهم أسود كان مستضعفا، نجم فيهم، وكثر ماله، حتى اشتري جارية بألف دينار، فلما حصلت عنده، حاولها عن نفسها، فأبت عليه . فقال لها: ماذا تكرهين مني؟ قالت: أكرهك كلك. فقال: فما تحبين؟. فقالت: تبيعني، فقال: أو خير من ذلك؟ فحملها إلى القاضي، فأعتقها، وأعطاها ألف دينار، وأطلقها، فتعجب الناس من حلمه، وكرمه، مع فسقه، وقوته. قال: وورد الخبر في المحرم، بأنه خطب للمعز الفاطمي بمكة والمدينة في الموسم، ولم يخطب للطائع. قال: وفي رجب منها غلت الأسعار ببغداد، حتى بيع السكر الدقيق الحواري بمائة ونيف وسبعين ديناراً. قال: وفيها: اضمحل أمر عضد الدولة بن بويه، وتفرق جنده عنه، ولم يبق معه سوى بغداد وحدها، فأرسل إلى أبيه، يشكو له ذلك، فأرسل يلومه على الغدر بابن عمه عزّ الدولة فلما بلغه ذلك خرج من بغداد إلى فارس، بعد أن أخرج ابن عمه من السجن، وخلع عليه، وأعاده إلى ما كان عليه، وشرط عليه بأن يكون نائبا له بالعراق، يخطب له بها، وجعل معه أخاه أبا إسحاق أمير الجيوش لضعف بختيار عن تدبير الأمور، واستمر ذاهبا إلى بلاده، وذلك كله عن أمر أبيه له بذلك، وغضبه عليه، بسبب غدره بابن عمه، وتكرار مكاتبته فيه إليه. ولما سار ترك بعده وزير أبيه أبا الفتح بن العميد ولما استقر أمر عز الدولة بختيار ببغداد، وملك العراق لم يف لابن عمه عضد الدولة بشيء مما قال، ولا ما كان التزم له به بين يديه، بل تمادى على ضلاله القديم، واستمر على مشيه الذي هو غير مستقيم، من الرفض، وغيره .

قال: وفي يوم الخميس لعشرة خلون من ذي القعدة، تزوج الخليفة الطائع شاه باز بنت عز الدولة، على صداق مائة ألف دينار، وفي سلخ ذي القعدة، عزل القاضي أبو الحسن محمد بن صالح ابن أم شيبان وقلده أبو محمد بن معروف. وإمام الحج فيها أصحاب المعز الفاطمي، وخطب له بالحرمين، دون الطائع، والله سبحانه أعلم .

ذكر أخذ دمشق من أيدي الفاطميين

ذكر ابن الأثير في كامله أن الفتكين غلام معز الدولة الذي كان قد خرج عن طاعته، كما تقدم، والتف عليه عساكر وجيوش من الديلم، والترك، والأعراب، نزل في هذه السنة على دمشق، وكان عليها من جهة الفاطميين ريان الخادم، فلما نزل بظاهرها خرج إليه كبراء أهلها، وشيوخها، فذكروا له ماهم فيه من الظلم، والغشم ومخالفة الاعتقاد، بسبب الفاطميين، وسألوه أن يصمم على أخذها ليستنقذها منهم فعند ذلك صمم على أخذها ولم يزل حتى أخذها وأخرج منها ريان الخادم، وكسر أهل الشر بها، ورفع أهـــل الخير، ووضع في أهلها العدل، وقمع أهل اللعب واللهو، وكف أيدي الأعراب، الذين كانوا قد عاثوا في الأرض فسادا، وأخذوا عامة المرج، والغوطة، ونهبوا أهلها. ولما استقامت الأمور على يديه، وصلح أمر أهل الشام، كتب إليه المعز الفاطمي يشكر سعيه ويطلبه إليه ليخلع عليه، ويجعله نائباً من جهته فلم يجبه إلى ذلك. بل قطع خطبته من الشام، وخطب للطائع العباسي، ثم قصد صيدا، وبها خلق من المغاربة، عليهم ابن الشيخ، وفيهم ظالم بن موهوب العقيلي الذي كان نائبا على دمشق للمعز الفاطمي، فأساء بهم السيرة، فحاصرهم، ولم يزل حتى أخذ البلد منهم، وقتل منهم نحواً من أربعة آلاف من سراتهم [1]، ثم قصد طبرية، ففعل بأهلها مثل ذلك، فعند ذلك عزم المعز الفاطمي على المسير إليه، فبينما هو يجمع له العساكر، إذ توفي المعز في سنة خمس وستين كما سيأتي، وقام بعده ولده العزيز، فاطمأن عند ذلك الفتكين بالشام، واستفحل أمره وقويت شوكته، ثم اتفق أمر المصريين على أن يبعثوا جوهرا القائد لقتاله، وأخذ الشام من يده، فعند ذلك حلف أهل الشام لأفتكين أنهم معه على الفاطميين، وأنهم ناصحون له غير تاركيه، وجاء جوهر، فحصر دمشق سبعة أشهر، حصراً شديداً، ورأى من شجاعة الفتكين ما بهره، فلما طال الحال، أشار من أشار من الدماشقة على الفتكين أن يكتب إلى الحسين بن أحمد القرمطي وهو بالأحساء ليجيء إليه، فلما كتب إليه، أقبل لنصره، فلما سمع به جوهر لم يمكنه أن يبقى بين عدوين من داخل البلد وخارجها، فارتحل قاصدا الرملة، فتبعه الفتكين والقرمطي في نحو من خمسين ألفا، فتواقعوا عند نهر الطواحين على ثلاثة فراسخ من الرملة، وحصروا جوهرا بالرملة، فضاق حاله جدا، من قلة الطعام والشراب، حتى أشرف هو ومن معه على الهلاك، فسأل من الفتكين على أن يجتمع هو وهو على ظهور الخيل، فأجابه إلى ذلك، فلم يزل يترفق له، أن يطلقه حتى يذهب بمن معه من أصحابه إلى أستاذه شاكراً له، مثنيا عليه الخير، ولا يسمع من القرمطي فيه ــ وكان جوهر داهية ــ فأجابه إلى ذلك، فندّمه القرمطي، وقال: الرأي أنا كنا نحصرهم، حتى يموتوا عن آخرهم، فإنه يذهب إلى أستاذه، ثم يجمع العساكر، ويأتينا، ولا طاقة لنا به. وكان الأمر كما قال، فإنه لما أطلقه الفتكين من الحصر، لم يكن له دأب، إلا أنه

(١) سراتهم : سادتهم ورؤساؤهم .

حث العزيز على الخروج إلى الفتكين بنفسه، فأقبل في جحافل أمثال الجبال، وفي كثرة من الرجال، والعدد والأثقال، والأموال، وعلى مقدمته جوهر القائد. وجمع الفتكين والقرمطي الجيوش والأعراب، وساروا إلى الرملة، فاقتتلوا في محرم، سنة سبع وستين، ولما تواجهوا، رأى العزيز من شجاعة الفتكين ما بهره، فأرسل إليه يعرض عليه، إن أطاعه، ورجع إليه، أن يجعله مقدم عساكره، وأن يحسن إليه غاية الإحسان فترجل الفتكين عن فرسه، بين الصفين، وقبل الأرض نحو العزيز، وأرسل يقول: لو كان هذا القول سبق قبل هذا الحال لأمكنني، وسارعت، وأطعت، وأما الآن فلا. ثم ركب فرسه، وحمل على ميسرة العزيز، ففرق شملها، وبدد خيلها، ورجلها، فبرز عند ذلك العزيز من القلب، وأمر الميمنة، فحملت حملة صادقة، فانهزم القرمطي، وتبعه بقية الشاميين، وركبت المغاربة أقفيتهم، يقتلون، ويأسرون من شاءوا، وتحول العزيز فنـــزل خيام الشاميين بمن معه وأرسل السرايا وراءهم، وجعل لا يؤتى بأسير، إلا خلع على من جاء به، وجعل لمن جاءه بالفتكين مائة ألف دينار، فاتفق أن الفتكين عطش عطشا شديدا، فاجتاز بمفرج بن دغفل، وكان صاحبه، فاستسقاه فسقاه، وأنزله عنده في بيوته، وأرسل إلى العزيز يخبره، بأن طلبته عنده، فليحمل المال إليّ وليأخذ غريمه، فأرسل إليه بمائة ألف دينار، وجاء من تسلمه منه، فلما أحيط بالفتكين، لم يشك أنه مقتول، فما هو إلا أن حضر عند العزيز أكرمه غاية الإكرام واحترمه غاية الاحترام ورد إليه حواصله، وأمواله، لم يفقد منها شيئا، وجعله من أخص أصحابه،و أمرائه، وأنزله إلى جانب منـــزله، ورجع به إلى الديار المصرية، مكرماً، معظماً، وأقطعه هنالك إقطاعات جزيلة، وأرسل إلى القرمطي، أن يقدم عليه، ويكرمه، كما أكرم الفتكين، فامتنع عليه، وخاف منه، فأرسل إليه بعشرين ألف دينار، وجعلها له عليه في كل سنة، يكف بها شره، ولم يزل الفتكين مكرماً عند العزيز حتى وقع بينه وبين الوزير ابن كلس، فعمل عليه حتى سقاه سما، فمات، وحين علم العزيز بذلك غضب على الوزير، وحبسه بضعاً وأربعين يوما، وأخذ منه خمسمائة ألف دينار، ثم رأى أن لا غنى به عنه، فأعاده إلى الوزارة. وهذا ملخص ما ذكره ابن الأثير . وفيها توفي من الأعيان :

سبكتكين الحاجب التركي

مولى المعز الديلمي وحاجبه، وقد ترقى في المراتب، حتى آل به الأمر، إلى أن قلده الطائع الإمارة، وخلع عليه، وأعطاه اللواء، ولقبه بنور الدولة، وكانت مدة أيامه في هذا المقام شهرين وثلاثة عشر يوماً، ودفن ببغداد، وداره هي دار الملك ببغداد، وهي دار عظيمة جدا، وقد اتفق له، أنه سقط مرة عن فرسه، فانكسر صلبه، فداواه الطبيب حتى استقام ظهره وقدر على الصلاة، إلا أنه لا يستطيع الركوع، فأعطاه شيئا كثيراً من الأموال، وكان يقول للطبيب: إذا ذكرت وجعي ومداواتك لي لا أقدر على مكافأتك، ولكن إذا تذكرت، وضعك قدميك على ظهري، اشتد غضبي منك. توفي ليلة الثلاثاء، لسبع بقين من المحرم منها، وقد ترك من الأموال

شيئا كثيراً جدا، من ذلك ألف ألف دينار، وعشرة آلاف ألف درهم، وصندوقان من جوهر، وخمسة عشر صندوقا من البلور، وخمسة وأربعين صندوقا من آنية الذهب، ومائة وثلاثون كوكبا من ذهب، منها خمسون وزن كل واحد ألف دينار، وستمائة مركب من فضة، وأربعة آلاف ثوب من ديباج، وعشرة آلاف ديبقي وعتابي، وثلثمائة عدل معكومة [١] من الفرش، وثلاثة آلاف فرس، وألف جمل، وثلثمائة غلام، وأربعون خادما، وذلك غير ما أودع عند أبي بكر البزار، وكان صاحبه .

ثم دخلت سنة خمس وستين وثلثمائة

فيها: قسم ركن الدولة بن بويه ممالكه بين أولاده، عندما كبرت سنه، فجعل لولده عضد الدولة بلاد فارس، وكرمان، وأرجان، ولولده مؤيد الدولة، الري وأصبهان، ولفخر الدولة، همدان، والدينور، وجعل ولده أبا العباس، في كنف عضد الدولة، وأوصاه به. وفيها: جلس قاضي القضاة، ببغداد أبو محمد بن معروف، في دار عز الدولة، لفصل الحكومات، عن أمره له بذلك، فحكم بين يديه بين الناس، وفيها: حج بالناس أمير المصريين من جهة العزيز الفاطمي، بعد ما حاصر أهل مكة، ولقوا شدة عظيمة، وغلت الأسعار بها جدا، وفيها ذكر ابن الأثير : أن يوسف بلكين، نائب المعز الفاطمي على بلاد إفريقية، ذهب إلى سبتة، فأشرف عليها من جبل، فطل عليها، فجعل يتأمل من أين يحاصرها؟ فحاصرها نصف يوم، فخافه أهلها خوفا شديدا، ثم انصرف عنها، إلى مدينة هنالك، يقال لها : بصرة في المغرب، فأمر بهدمها، ونهبها، ثم سار إلى مدينة برغواطة، وبها رجل يقال له : عيسى بن أم الأنصار، وهو ملكها، وقد اشتدت المحنة به لسحره، وشعبذته، وادعى أنه نبي، فأطاعوه، ووضع لهم شريعة، يقتدون بها فقاتلهم بلتكين، فهزمهم، وقتل هذا الفاجر، ونهب أموالهم وسبى ذراريهم، فلم ير سبي أحسن أشكالا منهم، فيما ذكره أهل تلك البلاد، في ذلك الزمان .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن جعفر بن محمد بن مسلم

أبو بكر الحنبلي، له مسند كبير، روى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، وأبي محمد الكجي، وخلق، وروى عنه الدارقطني، وغيره، وكان ثقة، وقد قارب التسعين .

ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابي

المؤرخ فيما ذكره ابن الأثير في الكامل .

الحسين بن محمد بن أحمد

أبو علي الماسرجسي الحافظ، رحل، وسمع الكثير، وصنّف مسندا في ألف وثلثمائة جزء، بطرقه وعلله، وله المغازي والقبائل، وخرج على الصحيح، وغيره، قال ابن الجوزي: وفي بيته، وسلفه تسعة عشر محدثا، توفي في رجب منها .

---

(١) العدل : الكيس الكبير، والمعكومة : المشدودة بالعكام ، وهو ما يشدّ به كالحبل وغيره .

أبو أحمد بن عدي الحافظ

أبو عبد الله بن محمد بن أبي أحمد الجرجاني ـــ أبو أحمد بن عدي ـــ الحافظ الكبير، المفيد. الإمام. العالم. الجوال النقال. الرحال. له كتاب (الكامل في الجرح والتعديل) ،لم يسبق إلى مثله، ولم يلحق في شكله قال حمزة عن الدارقطني: فيه كفاية، لا يزاد عليه. ولد أبو أحمد بن عدي، في سنة سبع وسبعين ومائتين وهي السنة التي توفي فيها أبو حاتم الرازي، وتوفي ابن عدي في جمادى الآخرة من هذه السنة .

المعز الفاطمي

باني القاهرة معد بن إسماعيل بن سعيد بن عبد الله أبو تميم المدعي أنه فاطمي، صاحب الديار المصرية، وهو أول من ملكها من الفاطميين، وكان أولا ملكا ببلاد إفريقية، وما والاها من بلاد المغرب، فلما كان في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة، بعث بين يديه جوهراً القائد، فأخذ له بلاد مصر، من كافور الأخشيدي، بعد حروب تقدم ذكرها، واستقرت أيدي الفاطميين عليها، فبنى بها القاهرة وبنى منـــزل الملك وهما القصران ثم أقام جوهر الخطبة للمعز الفاطمي، في سنة ثنتين وستين وثلثمائة، ثم قدم المعز بعد ذلك، ومعه جحافل من الجيوش، وأمراء من المغاربة، والأكابر، وحين نزل الإسكندرية تلقاه وجوه الناس، فخطبهم بها خطبة بليغة، ادعى فيها أنه ينصف المظلوم من الظالم، وافتخر فيها بنسبه، وأن الله قد رحم الأمة بهم، وهو مع ذلك متلبس بالرفض، ظاهرا، وباطنا، كما قاله القاضي الباقلاني، إن مذهبهم الكفر المحض، واعتقادهم الرفض، وكذلك أهل دولته، ومن أطاعه، ونصره، ووالاه، قبّحهم الله وإياه. وقد أحضر إلى بين يديه، الزاهد، العابد، الورع، الناسك، التقي، أبو بكر النابلسي، فقال له المعز: بلغني عنك، أنك قلت : لو أن معي عشرة أسهم، لرميت الروم بتسعة، ورميت المصريين بسهم، فقال: ما قلت هذا؟. فظن أنه رجع عن قوله، فقال: كيف قلت؟: قال: قلت : ينبغي أن نرميكم بتسعة، ثم نرميهم بالعاشر قال: ولِمَ ؟. قال: لأنكم غيرتم دين الأمة، وقتلتم الصالحين، وأطفأتم نور الإلهية، وادعيتم ما ليس لكم. فأمر بإشهاره في أول يوم، ثم ضرب في اليوم الثاني بالسياط ضربا شديدا مبرحاً، ثم أمر بسلخه في اليوم الثالث، فجيء بيهودي، فجعل يسلخه، وهو يقرأ القرآن. قال اليهودي: فأخذتني رقة عليه، فلما بلغت تلقاء قلبه طعنته بالسكين، فمات رحمه الله. فكان يقال له : الشهيد، وإليه ينسب بنو الشهيد من أهل نابلس إلى اليوم، ولم تزل فيهم بقايا خير، وقد كان المعز قبّحه الله ـــ فيه شهامة، وقوة حزم، وشدة عزم، وله سياسة، وكان يظهر أنه يعدل، وينصر الحق، ولكنه كان مع ذلك منجما، يعتمد على حركات النجوم، قال له منجمه: إن عليك قطعاً ـــ أي خوفا ـــ في هذه السنة، فتوار عن وجه الأرض حتى تنقضي هذه المدة فعمل له سردابا، وأحضر الأمراء، وأوصاهم بولده نزار، ولقبه العزيز، وفوض إليه الأمر، حتى يعود إليهم، فبايعوه على ذلك، ودخل المعز ذلك السرداب، فتوارى فيه سنة

فكانت المغاربة، إذا رأوا سحابا، ترجل الفارس منهم له عن فرسه، وأومأ إليه بالسلام، ظانين أن المعز في ذلك الغمام: ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ [الزخرف : ٥٤] ثم برز إليهم بعد سنة، وجلس في مقام الملك، وحكم على عادته أياماً، ولم تطل مدته، بل عاجله القضاء المحتوم، وناله رزقه المقسوم، فكانت وفاته في هذه السنة، وكانت أيامه في الملك، قبل أن يملك مصر، وبعد ما ملكها، ثلاثا وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام، منها بمصر سنتان وتسعة أشهر، والباقي ببلاد المغرب، وجملة عمره كلها خمس وأربعون سنة وستة أشهر، لأنه ولد بإفريقية في عاشر رمضان سنة تسع عشرة وثلثمائة، وكانت وفاته بمصر، في اليوم التاسع عشر، من ربيع الآخر، سنة خمس وستين وثلثمائة، وهي هذه السنة .

ثم دخلت سنة ست وستين وثلثمائة

فيها: توفي ركن الدولة بن على بن بويه، وقد جاوز التسعين سنة، وكانت أيام ولايته نيفا وأربعين سنة، وقبل موته بسنة، قسم ملكه بين أولاده، كما ذكرنا، وقد عمل ابن العميد مرة ضيافة في داره، وكانت حافلة حضرها ركن الدولة، وبنوه، وأعيان الدولة، فعهد ركن الدولة في هذا اليوم إلى ابنه عضد الدولة، وخلع عضد الدولة على إخوته وسائر الأمراء الأقبية والأكسية على عادة الديلم، وحفوه بالريحان، على عادتهم أيضا، وكان يوماً مشهودا. وقد كان ركن الدولة، قد أسن وكبر، وتوفي بعد هذه الوليمة بقليل، في هذه السنة، وكان حليما، وقوراً، كثير الصدقات، محبا للعلماء، فيه بر، وكرم، وإيثار، وحسن عشرة، ورياسة، وحنو على الرعية، وعلى أقاربه وحين تمكن ابنه عضد الدولة، قصد العراق، ليأخذها من ابن عمه بختيار، لسوء سيرته، ورداءة سريرته، فالتقوا في هذه السنة بالأهواز، فهزمه عضد الدولة، وأخذ أثقاله، وأمواله، وبعث إلى البصرة، فأخذها، وأصلح بين أهلها حيّ ربيعة ، ومضر، وكان بينهما خلاف متقادم من نحو مائة وعشرين سنة، وكانت مضر تميل إليه، وربيعة عليه، ثم اتفق الحيَّان عليه، وقويت شوكته، وأذل بختيار، وقبض على وزيره ابن بقية لأنه استحوذ على الأمور دونه وجبى الأموال إلى خزائنه، فاستظهر عضد الدولة، بما وجده في الخزائن، والحواصل لابن بقية، ولم يبق له منها بقية. وكذلك أمر ركن الدولة بالقبض على وزير أبيه أبي الفتح بن العميد، لموجدة [1] تقدمت منه إليه، وقد سلف ذكرها. ولم يبق لابن العميد أيضا في الأرض بقية، وقد كانت الأكابر تتقيه. وقد كان ابن العميد من الفسوق والعصيان، بأوفر مكان، فخانته المقادير، ونزل به غضب السلطان، ونحن نعوذ بالله من غضب الرحمن .

وفي منتصف شوال منها توفي الأمير منصور بن نوح الساماني، صاحب بلاد خراسان، وبخارى، وغيرها، وكانت ولايته خمس عشرة سنة، وقام بالأمر من بعده، ولده أبو القاسم نوح، وكان عمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة، ولقب بالمنصور .

(١) الموجدة : الغضب،القاموس .

وفيها : توفي الحاكم، وهو المستنصر بالله بن الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي، وقد كان هذا من خيار الملوك، وعلمائهم، وكان عالما بالفقه، والخلاف، والتواريخ، محبا للعلماء، محسنا إليهم، توفي وله من العمر ثلاث وستون سنة وسبعة أشهر، ومدة خلافته منها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، وقام بالأمر من بعده، ولده هشام، وله عشر سنين، ولقب بالمؤيد بالله، وقد اختلف عليه في أيامه، واضطربت الرعايا عليه، وحبس مدة، ثم أخرج، وأعيد إلى الخلافة، وقام بأعباء أمره حاجبه المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر المعافري، وابناه المظفر والناصر، فساسوا الرعايا جيداً وعدلوا فيهم، وغزوا الأعداء واستمر لهم الحال كذلك نحوا من ست وعشرين سنة، وقد ساق ابن الأثير هنا قطعة من أخبارهم وأطال .

وفيها : رجع ملك حلب إلى أبي المعالي شريف بن سيف الدولة بن حمدان، وذلك أنه لما مات أبوه،وقام هو من بعده تغلب مولاه قرعويه مولاهم، واستولى عليهم، سار إليه، فأخرجه منها، خائفا يترقب، ثم جاء، فنــزل حماة، وكانت الروم قد خربت حمص، فسعى في عمارتها، وترميمها، وسكنها، ثم لما اختلفت الأمور على قرعويه، كتب أهل حلب إلى أبي المعالي هذا، وهو بحمص، أن يأتيهم، فسار إليهم، فحاصر حلب أربعة أشهر، فافتتحها، وامتنعت منه القلعة، وقد تحصن بها نكجور، ثم اصطلح مع أبي المعالي على أن يؤمنه على نفسه، ويستنيبه بحمص، ثم انتقل إلى نيابة دمشق، وإليه تنسب هذه المزرعة، ظاهر دمشق التي تعرف بالقصر النكجوري .

ابتداء ملك بني سبكتكين

والد محمود صاحب غزنة. وقد كان سبكتكين مولى الأمير أبي إسحاق بن البتكين صاحب جيش غزنة وأعمالها للسامانية، وليس هذا حاجب معزّ الدولة، ذاك توفي قبل هذه السنة كما تقدم، وأما هذا، فإنه لما مات مولاه، لم يترك أحداً يصلح للملك من بعده، لا من ولده، ولا من قومه، فاصطلح الجيش على مبايعة سبكتكين هذا لصلاحه فيهم، وخيره، وحسن سيرته، وكمال عقله، وشجاعته، وديانته، فاستقر الملك في يده، واستمر من بعده، في ولده السعيد محمود بن سبكتكين، وقد غزا هذا بلاد الهند، وفتح شيئا كثيراً من حصونهم، وغنم أموالا كثيرة، وكسر من أصنامهم، ونذورهم، أمراً هائلا، وباشر بمن معه من الجيوش حروبا تشيب الولدان، وقد قصده جيبال، ملك الهند الأعظم بنفسه، وجنوده، التي تعم السهول، والجبال، فكسرهم مرتين، وردهم إلى بلادهم، في أسوأ حال، وأردأ بال، وذكر ابن الأثير في كامله، أن سبكتكين، لما التقى مع جيبال، ملك الهند، في بعض الغزوات، كان بالقرب منهم عين في عقبة باغورك، وكان من عادتهم، أنها إذا وضعت فيها نجاسة، أو قذرا، اكفهرت [١] السماء، وأرعدت، وأبرقت، وأمطرت، ولا تزال كذلك حتى تطهر تلك العين، من ذلك الشيء

(١) اكفهرت : تغيّر لونها ومال إلى السواد .

الذي ألقي فيها، فأمر سبكتكين بإلقاء نجاسة فيها ــ وكانت قريبة من العدو ــ فلم يزالوا في رعود وبروق وأمطار وصواعق، حتى ألجأهم ذلك إلى الهرب، والرجوع إلى بلادهم خائبين هاربين، وأرسل ملك الهند، يطلب من سبكتكين الصلح، فأجابه بعد امتناع من ولده محمود على مال جزيل يحمله إليه، وبلاد كثيرة يسلمها إليه، وخمسين فيلا، ورهائن من رءوس قومه، يتركها عنده، حتى يقوم بما التزمه من ذلك .

وفيها توفي :

أبو يعقوب يوسف

ابن الحسين الجنابي، صاحب هجر، ومقدم القرامطة، وقام بالأمر من بعده ستة من قومه، وكانوا يسمون بالسادة، وقد اتفقوا على تدبير الأمر من بعده، ولم يختلفوا، فمشي حالهم. وفيها كانت وفاة .

الحسين بن أحمد

ابن أبي سعيد الجنابي أبو محمد القرمطي، قال ابن عساكر: واسم أبي سعيد الحسين بن بهرام، ويقال : ابن أحمد، يقال : أصلهم من الفرس، وقد تغلب هذا على الشام في سنة سبع وخمسين وثلثمائة، ثم عاد إلى الأحساء، بعد سنة، ثم عاد إلى دمشق، في سنة ستين، وكسر جيش جعفر بن فلاح أول من ناب بالشام عن المعزّ الفاطمي، وقتله، ثم توجه إلى مصر فحاصرها، في مستهل ربيع الأول، من سنة إحدى وستين واستمر محاصرها شهوراً، وقد كان استخلف على دمشق ظالم بن موهوب، ثم عاد إلى الأحساء، ثم رجع إلى الرملة، فتوفي بها في هذه السنة، وقد جاوز التسعين، وهو يظهر طاعة عبد الكريم الطائع لله العباسي، وقد أورد له ابن عساكر أشعاراً رائقة، من ذلك ما كتب به إلى جعفر بن فلاح، قبل وقوع الحرب بينهما، وهي من أفحل الشعر :

الكتـبُ مُعْـذِرَةٌ والرسلُ مخبرةٌ ... والحـقُ متبـعٌ والخيرُ محمـودُ
والحربُ سـاكنةٌ والخيـلُ صافنةٌ ... والسلمُ مبتذلٌ والظلُّ ممدودُ [1]
فإنْ أنبتمُ فمقبـولٌ إنَابَتكـم ... وإن أبيتُمْ فهذا الكورُ مشـدودُ [2]
على ظُهـورِ المنـايا أو يَرِدْنَ بنا ... دمشقَ والباب مسـدودٌ ومـردودُ
إنّي امـرؤ ليسَ من شأني ولا أرَبي ... طبلٌ يرنُّ ولا نـايٌ ولا عـودُ
ولا اعتكافٌ على خمرٍ ومخمـرةٍ ... وذات دلٍّ لهـا غنـجٌ وتفنيـدُ

(١) الصافنة: الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر.(اللسان).
(٢) أنبتم : رجعتم عما أنتم فيه . والكور : الرحل.اللسان .

ولا أبيتُ بطينَ البطنِ مـن شبعٍ ولي رفيقٌ خميصُ البطنِ مجهودُ (١)
ولا تسامتْ بي الدُّنيا إلى طمعٍ يوماً ولا غرّني فيها المواعيدُ

ومن شعره أيضاً :

يا ساكنَ البلدِ المنيفِ تعزّزاً بقلاعهِ وحصونه وكُهُوفه
لا عزَّ إلا للعزيزِ بنفسه وبخيله وبرجله وسيوفه
وبقبَّة بيضاءَ قد ضُربتْ على شرفِ الخيامِ بجاره وضيوفه
قومٌ إذا اشتدّ الوغى أرْدَى العدا وشفى النفوسَ بضربه وزحوفه(٢)
لم يجعلِ الشرفَ التليدَ لنفسه حتى أفادَ تليدَهُ بطَريفه

وفيها : تملك قابوس بن وشمكير بلاد جرجان، وطبرستان، وتلك النواحي. وفيها دخل الخليفة الطائع بشاه باز بنت عزّ الدولة بن بويه، وكان عرساً حافلا، وفيها : حجت جميلة بنت ناصر الدولة بن حمدان، في تحمل عظيم، حتى كان يضرب المثل بحجها، وذلك أنها عملت أربعمائة محمل، وكان لا يدرى في أيّها هي، ولما وصلت إلى الكعبة، نثرت عشرة آلاف دينار على الفقراء، والمجاورين، وكست المجاورين بالحرمين كلهم، وأنفقت أموالا جزيلة في ذهابها وإيابها. وحج بالناس من العراق الشريف أحمد بن الحسين بن محمد العلوي، وكذلك حج بالناس إلى سنة ثمانين وثلثمائة، وكانت الخطبة بالحرمين في هذه السنة للفاطميين أصحاب مصر دون العباسيين .

وممن توفي فيها من الأعيان:

إسماعيل بن نجيد

ابن أحمد بن يوسف أبو عمرو السلمي، صحب الجنيد، وغيره، وروى الحديث، وكان ثقة، ومن جيد كلامه قوله: من لم تهذبك رؤيته، فليس بمهذب. وقد احتاج شيخه أبو عثمان مرة إلى شيء، فسأل أصحابه فيه، فجاءه ابن نجيد بكيس فيه ألفا درهم، فقبضه منه، وجعل يشكره إلى أصحابه، فقال له ابن نجيد بين أصحابه: ياسيدي، إن المال الذي دفعته إليك كان من مال أمي أخذته وهي كارهة، فأنا أحب أن ترده إلي حتى أرده إليها فأعطاه إياه، فلما كان الليل جاء به، وقال: أحب أن تصرفها في أمرك، ولا تذكرها لأحد. فكان أبو عثمان يقول: أنا أحتمي من همة أبي عمرو بن نجيد، رحمهم الله تعالى .

(١) بطين البطن : متخم ومكتظة بطنه من كثرة الطعام . الخميص : الجائع . المجهود : المتعب .
(٢) زحوفة : دَبَّ على مقعدته ، أو على ركبتيه قليلاً قليلاً .

الحسن بن بويه

أبو علي ركن الدولة، عرض له قولنج، فمات في ليلة السبت الثامن والعشرين من المحرم منها، وكانت مدة ولايته أربعاً وأربعين سنة وشهرا وتسعة أيام، ومدة عمره ثمان وسبعون سنة، وكان حليما كريما .

محمد بن إسحاق

ابن إبراهيم بن أفلح بن رافع بن إبراهيم بن أفلح بن عبد الرحمن بن رفاعة بن رافع أبو الحسن الأنصاري الزرقي، كان نقيب الأنصار ببغداد، وقد سمع الحديث من أبي القاسم البغوي وغيره، وكان ثقة يعرف أيام الأنصار ومناقبهم، وكانت وفاته في جمادى الآخرة منها .

محمد بن الحسن

ابن أحمد بن إسماعيل أبو الحسن السراج، سمع يوسف بن يعقوب القاضي وغيره، وكان شديد الاجتهاد في العبادة صلى حتى أقعد، وبكي حتى عمي، توفي يوم عاشوراء منها .

القاضي منذر البلوطي

رحمه الله : قاضي قضاة الأندلس، كان إماما فقيها عالما فصيحا خطيباً شاعرا أديبا كثير الفضل جامعا لصنوف من الخير والتقوى والزهد وله مصنفات واختيارات منها أن الجنة التي سكنها آدم وأهبط منها كانت في الأرض وليست بالجنة التي أعدها الله لعباده في الآخرة ، وله في ذلك مصنف مفرد له وقع في النفوس وعليه حلاوة وطلاوة. دخل يوماً على الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي، وقد فرغ من بناء المدينة الزهراء، وقصورها، وقد بني له فيها قصر عظيم منيف، وقد زخرف بأنواع الدهانات، وكسي الستور، وجلس عنده رءوس دولته، وأمراؤه، فجاءه القاضي، فجلس إلى جانبه، وجعل الحاضرون يثنون على ذلك البناء، ويمدحونه، والقاضي ساكت لا يتكلم، فالتفت إليه الملك، وقال: ماتقول أنت يا أبا الحكم؟ فبكى القاضي، وانحدرت دموعه على لحيته، وقال: ماكنت أظن أن الشيطان أخزاه الله، يبلغ منك هذا المبلغ المفضح المهتك المهلك لصاحبه في الدنيا والآخرة، ولا أنك تمكنه من قيادك، مع ما آتاك الله، وفضلك به على كثير من الناس حتى أنزلك منازل الكافرين والفاسقين. قال الله تعالى:﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ . وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ . وَزُخْرُفًا...﴾ الآية [الزخرف : ٣٣ – ٣٥] قال: فوجم الملك عند ذلك، وبكى، وقال: جزاك الله خيراً، وأكثر في المسلمين مثلك. وقد قحط في بعض السنين، فأمره الملك أن يستسقي للناس فلما جاءته الرسالة مع البريد . قال للرسول: كيف تركت الملك ؟ فقال: تركته أخشع ما يكون وأكثره دعاء، وتضرعا. فقال القاضي: رحمتم وسقيتم والله إذا خشع جبار الأرض رحم جبار السماء. ثم قال لغلامه: ناد في

الناس الصلاة فجاء الناس إلى محل الاستسقاء، وجاء القاضي منذر، فصعد المنبر، والناس ينظرون إليه، ويسمعون ما يقول، فلما أقبل عليهم، كان أولُ ما خطبهم به قال: ﴿فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام : ٥٤] ثم أعادها مراراً، فأخذ الناسُ في البكاءِ والنحيب، والتوبة، والإنابة، فلم يزالوا كذلك، حتى سقوا ورجعوا يخوضون الماء .

أبو الحسن على بن أحمد

ابن المرزبان البغدادي الفقيه الشافعي، تفقه بأبي الحسين بن القطان، وأخذ عنه الشيخ أبو حامد الإسفراييني.قال ابن خلكان: كان ورعا زاهدا، ليس لأحد عنده مظلمة، وله في المذهب وجه، وكان له درس ببغداد، توفي في رجب منها .

ثم دخلت سنة سبع وستين وثلثمائة

فيها : دخل عضد الدولة إلى بغداد، وخرج منها عزّ الدولة بختيار بن معزّ الدولة، واتبعه عضد الدولة ليقاتله وأخذ معه الخليفة الطائع فاستعفاه الخليفة من الخروج فأعفاه، وسار عضد الدولة وراءه، فأخذه أسيراً، ثم قتل سريعاً، وتصرّمت دولته، واستقر أمر عضد الدولة ببغداد، وخلع عليه الخليفة، الخلع السنية، والأسورة ، والطوق ، وأعطاه لواءين أحدهما ذهب والآخر فضة، ولم يكن هذا لغيره، إلا لأولياء العهد، وأرسل إليه الخليفة بتحف سنية، وبعث عضد الدولة إلى الخليفة أموالا جزيلة من الذهب والفضة، واستقرت يده على بغداد، وما والاها، من البلاد، وزلزلت بغداد مراراً في هذه السنة، وزادت دجلة، زيادة كثيرة، غرق بسببها خلق كثير، وقيل لعضد الدولة : إن أهل بغداد، قد قلُّوا كثيرا بسبب الطاعون، وما وقع بينهم من الفتن بسبب الرفض، والسنة، وأصابهم حريق وغرق، فقال: إنما يهيج الشر بين الناس هؤلاء القصاص والوعاظ ثم رسم أن أحداً لا يقص، ولا يعظ في سائر بغداد، ولا يسأل سائل باسم أحد من الصحابة، وإنما يقرأ القرآن، فمن أعطاه أخذ منه، فعمل بذلك في البلد، ثم بلغه أن أبا الحسين ابن سمعون الواعظ — وكان من الصالحين — لم يترك الوعظ بل استمر على عادته، فأرسل إليه من جاء به، وتحول عضد الدولة من مجلسه، وجلس وحده، لئلا يبدر من ابن سمعون إليه بين الدولة كلام يكرهه، وقيل لابن سمعون: إذا دخلت على الملك، فتواضع في الخطاب، وقبل التراب. فلما دخل دار الملك، وجده قد جلس وحده، لئلا يبدر من ابن سمعون في حقه كلام بحضرة الناس، يؤثر عنه ودخل الحاجب بين يديه يستأذن له عليه، ودخل ابن سمعون وراءه، ثم استفتح القراءة بقوله:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ الآية [هود : ١٠٢]. ثم التفت بوجهه نحو دار عزّ الدولة، ثم قرأ ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس : ١٤] ثم أخذ في مخاطبة الملك، ووعظه فبكى عضد الدولة بكاء كثيراً

وجزاه خيرا فلما خرج من عنده . قال للحاجب: اذهب فخذ ثلاثة آلاف درهم، وعشرة أثواب، وادفعها له، فإن قبلها جئني برأسه، قال الحاجب: فجئته، فقلت: هذا أرسل به الملك إليك . فقال: لا حاجة لي به، هذه ثيابي من عهد أبي، منذ أربعين سنة كلما خرجت إلى الناس لبستها، فإذا رجعت طويتها، ولي دار آكل من أجرتها، تركها لي أبي، فأنا في غنية عما أرسل به الملك. فقلت: فرقها في فقراء أهلك . فقال: فقراء أهله أحق بها من فقراء أهلي وأفقر إليها . فرجعت إلى الملك لأشاوره وأخبره بما قال . فسكت ساعة . ثم قال: الحمد لله الذي سلمه منا، وسلمنا منه. ثم إن عضد الدولة أخذ ابن بقية الوزير لعزّ الدولة فأمر به فوضع بين قوائم الفيلة فتخبطته بأرجلها حتى هلك ، ثم صلب على رأس الجسر في شوال منها، فرثاه أبو الحسن ابن الأنباري بأبيات يقول فيها :

علوٌّ في الحيـــاةِ وفي الممـــاتِ … بحقٍّ أنتَ إحــــدى المعجزاتِ

كأنّ الناسَ حَـــوْلَكَ حينَ قامُـــوا … وفودُ نــَدَاكَ أيـــامَ الصِّلاتِ

كأنّكَ واقفٌ فيهــــمُ خَطيـــباً … وكلُّهم وقـــوفٌ للصـــلاةِ

مددتَ يَدَيْكَ نحوَهُمُ احتفــــاءً … كمـدّهما إليهــم بالهبـــاتِ

وهي قصيدة طويلة أورد كثيرا منها ابن الأثير في كامله .

مقتل عز الدين بختيار

لما دخل عضد الدولة بغداد، وتسلمها خرج منها بختيار ذليلا طريدا في فَلٍّ من الناس، ومن عزمه أن يذهب إلى الشام فيأخذها، وكان عضد الدولة قد حلفه أن لا يتعرض لأبي تغلب لمودة كانت بينهما، ومراسلات، فحلف له على ذلك، وحين خرج من بغداد، كان معه حمدان بن ناصر الدولة بن حمدان، فحسن لعزّ الدولة أخذ بلاد الموصل من أبي تغلب لأنها أطيب، وأكثر مالا من الشام، وأقرب إليه، وكان عز الدولة ضعيف العقل، قليل الدين، فلما بلغ ذلك أبا تغلب، أرسل إلى عزّ الدولة يقول له : لئن أرسلت إليّ ابن أخي حمدان بن ناصر الدولة أغنيتك بنفسي وجيشي، حتى آخذ لك ملك بغداد من عضد الدولة، وأردّك إليها. فعند ذلك، أمسك حمدان، وأرسله إلى عمه - أبي تغلب - فسجنه في بعض القلاع، وبلغ ذلك عضد الدولة، وأنهما قد اتفقا على حربه، فركب إليهما بجيشه، وأراد إخراج الخليفة الطائع معه فاستعفاه فأعفاه، فذهب إليهما، فالتقى معهما، فكسرهما، وهزمهما، وأخذ عزّ الدولة أسيرا، وقتله من فوره، وأخذ الموصل، ومعاملتها، وكان قد حمل معه ميرة كثيرة، وشرد أبا تغلب في البلاد، وبعث وراءه السرايا في كل وجه، وأقام بالموصل إلى أواخر سنة ثمان وستين وفتح ميافارقين، وآمد وغيرهما من بلاد بكر وربيعة، وتسلم بلاد مضر من أيدي نواب أبي تغلب، وأخذ منهم

الرحبة، ورد بقيتها على صاحب حلب سعد الدولة بن سيف الدولة، وتسلّط على سعد الدولة وحين رجع من الموصل، استناب عليها أبا الوفا، وعاد إلى بغداد، فتلقاه الخليفة، ورءوس الناس إلى ظاهر البلد، وكان يوما مشهوداً .

ومما وقع من الحوادث فيها الوقعة التي كانت بين العزيز بن المعزّ الفاطمي، وبين الفتكين غلام معزّ الدولة، صاحب دمشق، فهزمه العزيز وأخذه معه إلى الديار المصرية مكرما، ومعظما كما تقدم، وتسلم العزيز دمشق وأعمالها، وقد تقدم بسط ذلك في سنة أربع وستين .

وفيها : خلع على القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي بقضاء قضاة الري وما تحت حكم مؤيد الدولة بن ركن الدولة وله مصنفات حسنة منها (دلائل النبوة) ، و(عمد الأدلة) ، وغيرها. وحج بالناس فيها نائب المصريين،وهو الأمير باديس بن زيري أخو يوسف بن بلكين. ولما دخل مكة اجتمع إليه اللصوص وسألوا منه أن يُضمِّنهم الموسم هذا العام بما شاء من الأموال . فأظهر لهم الإجابة إلى ما سألوا، وقال لهم : اجتمعوا كلكم، حتى أضمنكم كلكم، فاجتمع عنده بضع وثلاثون حرامياً، فقال: هل بقي منكم أحد؟ فحلفوا له إنه لم يبق منهم أحد. فأخذ عند ذلك بالقبض عليهم، وبقطع أيديهم كلهم، ونعمًا ما فعل وكانت الخطبة في الحجاز للفاطميين دون العباسيين .

وممن توفي فيها من الأعيان الملك عزّ الدولة :

بختيار بن بويه الديلمي

ملك بعد أبيه، وعمره فوق العشرين سنة بقليل، وكان حسن الجسم، شديد البطش، قوي القلب، يقال : إنه كان يأخذ بقوائم الثور الشديد، فيلقيه في الأرض من غير أعوان، ويقصد الأسود في أماكنها، ولكنه كثير اللهو، واللعب، والإقبال على اللذات، ولما كسره ابن عمه، ببلاد الأهواز، كان في جملة ما أخذ منه أمرد [1] كان يحبه حبا شديدا لا يهنأ بالعيش إلا معه، فبعث يترفق له في رده إليه، وأرسل إليه بتحف كثيرة، وأموال جزيلة، وجاريتين عوادتين [2]، لا قيمة لهما، فرد عليه الغلام المذكور، فكثر تعنيف الناس له عند ذلك، وسقط من أعين الملوك، فإنه كان يقول: ذهاب هذا الغلام مني، أشد علي من أخذ بغداد من يدي، بل وأرض العراق كلها، ثم كان من أمره بعد ذلك أن ابن عمه أسره، كما ذكرنا، وقتله سريعاً، فكانت مدة حياته ستا وثلاثين سنة، ومدة دولته منها إحدى وعشرين سنة وشهور، وهو الذي أظهر الرفض ببغداد، وجرى بسبب ذلك شرور كما تقدم .

---

(١) أمرد : الشاب طرَّ شاربه و لم تنبت لحيته.(مرد) اللسان .

(٢) عوادتين : تحسنان الضرب على العود .

محمد بن عبد الرحمن

أبو بكر القاضي، المعروف بابن قريعة، ولي القضاء بالسندية، وكان فصيحاً، يأتي بالكلام المسجوع، من غير تكلف ولا تردد، وكان جميل المعاشرة ومن شعره :

لِي حيلةٌ فـي مَـنْ ينـمُّ ... وليسَ في الكـذّابِ حيلـةُ
مَنْ كانَ يـخلـقُ ما يـقـو ... لُ فَحيلَتـي فـيهِ قـليلةُ

وكان يقول للرجل من أصحابه إذا تماشيا: إذا تقدمت بين يديك، فإني حاجب، وإن تأخرت فواجب، توفي يوم السبت لعشر بقين من جمادى الآخرة منها .

ثم دخلت سنة ثمان وستين وثلثمائة

في شعبان منها : أمر الطائع لله أن يدعى لعضد الدولة بعد الخليفة على المنابر ببغداد، وأن تضرب الدبادب على بابه، وقت الفجر، وبعد المغرب، والعشاء، قال ابن الجوزي: وهذا شيء لم يتفق لغيره من بني بويه، وقد كان معزّ الدولة سأل من الخليفة أن يضرب الدبادب على بابه فلم يأذن له، وقد افتتح عزّ الدولة في هذه السنة، وهو مقيم بالموصل، أكثر بلاد أبي تغلب ابن حمدان، كآمد والرحبة وغيرهما، ثم دخل بغداد، في سلخ ذي القعدة، فتلقاه الخليفة، والأعيان، إلى أثناء الطريق .

قسّام التراب يملك لدمشق

لما ذهب الفتكين إلى ديار مصر، نهض رجل من أهل دمشق، يقال له : قسّام التراب، كان الفتكين يقربه، ويدنيه، ويأمنه على أسراره، فاستحوذ على دمشق، وطاوعه أهلها، وقصدته عساكر العزيز من مصر، فحاصروه، فلم يتمكنوا منه، وجاء أبو تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان، فحاصره، فلم يقدر أن يدخل دمشق، فانصرف عنه خائبا إلى طبرية، فوقع بينه وبين بني عقيل، وغيرهم من العرب، حروب طويلة، آل الحال إلى أن قتل أبو تغلب، وكانت معه أخته، وجميلة امرأته، وهي بنت سيف الدولة، فردتا إلى سعد الدولة بن سيف الدولة بحلب، فأخذ أخته، وبعث بجميلة إلى بغداد، فحبست في دار، وأخذ منها أموال جزيلة، وأما قسّام التراب هذا - وهو من بني الحارث بن كعب من اليمن — فإنه أقام بالشام، فسد خللها، وقام بمصالحها مدة سنين عديدة، وكان مجلسه بالجامع، يجتمع الناس إليه، فيأمرهم وينهاهم، فيمتثلون ما يأمر به. قال ابن عساكر: أصله من قرية تلفيتا، وكان ترابا، قلت: والعامة يسمونه قسيم الزبال، وإنما هو قسام، ولم يكن زبالا، بل ترابا، من قرية تلفيتا بالقرب من قرية منين، وكان بدوُّ أمره، أنه انتمى إلى رجل من أحداث أهل دمشق، يقال له : أحمد بن المسطان، فكان من حزبه، ثم استحوذ على الأمور، وغلب على الولاة، والأمراء، إلى أن قدم بلكتكين التركي من مصر، في

يوم الخميس السابع عشر من المحرم سنة ست وسبعين وثلثمائة، فأخذها منه، واختفى قسّام التراب مدة، ثم ظهر فأخذه أسيرا وأرسله مقيدا إلى الديار المصرية، فأطلق وأحسن إليه، وأقام بها مكرما .

وممن توفي فيها من الأعيان :

العقيقي

صاحب الحمام والدار المنسوبتين إليه بدمشق، بمحلة باب البريد، واسمه أحمد بن الحسن العقيقي بن ضعقن بن عبد الله بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب الشريف أبو القاسم الحسين العقيقى ، قال ابن عساكر: كان من وجوه الأشراف بدمشق، وإليه تنسب الدار والحمام بمحلة باب البريد، وذكر أنه توفي يوم الثلاثاء، لأربع خلون من جمادى الأولى منها، وأنه دفن من الغد، وأغلقت البلد لأجل جنازته، وحضرها نكجور وأصحابه - يعني نائب دمشق — ودفن خارج باب الصغير . قلت : وقد اشترى الملك الظاهر بيبرس داره، وبناها مدرسة ودار حديث وتربة وبها قبره، وذلك في حدود سنة سبعين وستمائة كما سيأتي .

أحمد بن جعفر

ابن مالك بن شبيب بن عبد الله أبو بكر بن مالك القطيعي — من قطيعة الدقيق ببغداد — راوي مسند أحمد عن ابنه عبد الله، وقد روى عنه غير ذلك من مصنفات أحمد، وحدث عن غيره من المشايخ ، وكان ثقة كثير الحديث ، حدث عنه الدارقطني، وابن شاهين، والبرقاني، وأبو نعيم، والحاكم، ولم يمتنع أحد من الرواية عنه، ولا التفتوا إلى ما طعن عليه بعضهم، وتكلم فيه، بسبب غرق كتبه، حين غرقت القطيعة بالماء الأسود، فاستحدث بعضها من نسخ أخرى، وهذا ليس بشيء ؛ لأنها قد تكون معارضة على كتبه التي غرقت، والله أعلم. ويقال : إنه تغير في آخر عمره فكان لا يدري ماجرى عليه، وقد جاوز التسعين .

تميم بن المعز الفاطمي

وبه كان يكنى، وقد كان من أكابر أمراء دولة أبيه وأخيه العزيز ، وقد اتفقت له كائنة غريبة، وهي أنه أرسل إلى بغداد، فاشتريت له جارية مغنية، بمبلغ جزيل، فلما حضرت عنده، أضاف أصحابه، ثم أمرها ، فغنت — وكانت تحب شخصا ببغداد : -

وبدا له منْ بعدِ ما اندملَ الهوى ... برقٌ تألّقَ موهناً لمعانُه

يبدو لحاشيَةِ الرداءِ ودونَهُ ... صعبُ الذُرى مُتمنِّعٌ أركانُهُ

فبدا لينظرَ كيفَ لاحَ فلم يطقْ ... نظراً إليه وشدَّةُ أشجانُه

فالنارُ ما اشتملتْ عليه ضلوعُه ... والماءُ ما سَمحتْ به أجفانُه

ثم غنته أبياتا غيرها، فاشتد طرب تميم هذا، وقال لها: لابد أن تسأليني حاجة، فقالت: عافيتك . فقال: ومع العافية . فقالت: تردني إلى بغداد، حتى أغني بهذه الأبيات فوجم لذلك، ثم لم يجد بداً من الوفاء لها بما سألت، فأرسلها مع بعض أصحابه، فحجبها، ثم سار بها على طريق العراق، فلما أمسوا في الليلة التي يدخلون فيها بغداد، من صبيحتها، ذهبت في الليل، فلم يدر أين ذهبت؟، فلما سمع تميم خبرها، شق عليه ذلك، وتألم ألما شديدا، وندم ندما شديدا، حيث لا ينفعه الندم .

أبو سعيد السيرافي

النحوي الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو سعيد القاضي، سكن بغداد، وولي القضاء بها نيابة، وله شرح « كتاب » سيبويه، « وطبقات النحاة » . روى عن أبي بكر بن دريد، وغيره، وكان أبوه مجوسيا، وكان أبو سعيد هذا عالما باللغة، والنحو، والقراءات، والفرائض، والحساب، وغير ذلك من فنون العلم، وكان مع ذلك زاهدا، لا يأكل إلا من عمل يده، وكان ينسخ في كل يوم عشر ورقات بعشرة دراهم، تكون منها نفقته، وكان من أعلم الناس بنحو البصريين، وكان ينتحل مذهب أهل العراق في الفقه، وقرأ القراءات على ابن مجاهد، واللغة على ابن دريد، والنحو على ابن السراج، وابن المرزبان، ونسبه بعضهم إلى الاعتزال، وأنكره آخرون، توفي في رجب منها عن أربع وثمانين سنة، ودفن بمقبرة الخيزران .

عبد الله بن إبراهيم

ابن أبي القاسم الريحاني، ويعرف بالأنبدري، رحل في طلب الحديث إلى الآفاق، ووافق ابن عدي، في بعض ذلك، ثم سكن بغداد، وحدث بها، عن أبي يعلي، والحسن بن سفيان، وابن خزيمة، وغيرهم، وكان ثقة ثبتا، له مصنفات، زاهدا، روى عنه البرقاني، وأثني عليه خيراً، وذكر أن أكثر أدم أهله الخبز المأدوم بمرق الباقلا، وذكر أشياء من تقلله، وزهده، وورعه، توفي عن خمس وتسعين سنة .

عبد الله بن محمد بن ورقاء

الأمير أبو أحمد الشيباني، من أهل البيوتات والحشمة، بلغ التسعين سنة، روي عن ابن الأعرابي، أنه أنشد في صفة النساء :

هي الضِّلعُ العوجاءُ لستَ تُقيمَها ... ألاَ إنّ تقويمَ الضلوعِ انكسَارُها

أيَجْمَعْنَ ضعفاً واقتداراً على الفتي؟ ... أليسَ عجيباً ضعفُها واقتدارها؟

قلت: وهذا المعني أخذه من الحديث الصحيح:« **إن المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج**» [(١)] .

---

(١) متفق عليه: البخارى فى الأنبياء باب (٣٣٣١) ومسلم فى الرضاع (١٤٦٨) .

محمد بن عيسى : بن عمرويه الجلودي، راوي صحيح مسلم، عن إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه، عن مسلم بن الحجاج، وكان من الزهاد يأكل من كسب يده، من النسخ، وبلغ ثمانين سنة .

ثم دخلت سنة تسع وستين وثلثمائة

في المحرم منها، توفي الأمير عمر بن شاهين، صاحب بلاد البطيحة، منذ أربعين سنة، تغلب عليها، وعجز عنه الأمراء والملوك، والخلفاء، وبعثوا إليه الجنود، والسرايا، والجيوش غير مرة، فكل ذلك يفلها، ويكسرها، وكل ما له في تمكن وزيادة وقوة، ومكث كذلك هذه المدة، ومع هذا كله مات على فراشه حتف أنفه، فلا نامت أعين الجبناء. وقام بالأمر من بعده ولده الحسن، فرام عضد الدولة أن ينتزع الملك من يده، فأرسل إليه سرية حافلة من الجنود فكسرهم الحسن بن عمر بن شاهين، وكاد أن يتلفهم بالكلية، حتى أرسل إليه عضد الدولة، فصالحه على مال يحمله إليه في كل سنة وهذا من العجائب الغريبة. وفي صفر قبض على الشريف أبي أحمد الحسن بن موسى الموسوي نقيب الطالبيين، وقد كان أمير الحج مدة سنين، اتهم بأنه يفشي الأسرار، وأن عزّ الدولة أودع عنده عقداً ثميناً، ووجدوا كتابا بخطه في إفشاء الأسرار، فأنكر أنه خطه، وكان مزوراً عليه، واعترف بالعقد، فأخذ منه، وعزل عن النقابة، وولوا غيره، وكان مظلوما. وفي هذا الشهر أيضاً، عزل عضد الدولة قاضي القضاة : أبا محمد بن معروف، وولّى غيره. وفي شعبان منها ورد البريد من مصر، إلى عضد الدولة بمراسلات كثيرة، فرد الجواب بما مضمونه صدق النية، وحسن الطوية، ثم سأل عضد الدولة من الطائع أن يجدد عليه الخلع، والجواهر، وأن يزيد في ألقابه تاج الدولة، فأجابه إلى ذلك، وخلع عليه من أنواع الملابس، ما لم يتمكن معه من تقبيل الأرض بين يدي الخليفة، وفوض إليه ما وراء بابه من الأمور ومصالح المسلمين، في مشارق الأرض ومغاربها، وحضر ذلك أعيان الناس، وكان يوما مشهودا. وأرسل في رمضان إلى الأعراب من بني شيبان، وغيرهم، فعقرهم، وكسرهم، وكان أميرهم منبه بن محمد الأسدي متحصنا بعين التمر مدة نيف وثلاثين سنة، فأخذ ديارهم وأموالهم .

وفي يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي القعدة : تزوج الطائع لله بنت عضد الدولة الكبرى، وعقد العقد بحضرة الأعيان، على صداق مبلغه مائة ألف دينار، وكان وكيل عضد الدولة الشيخ أبو علي الحسين بن أحمد الفارسي النحوي، صاحب (الإيضاح والتكملة) ، وكان الذي خطب خطبة العقد القاضي أبو علي الحسن بن علي التنوخي قال ابن الأثير: وفيها: جدد عضد الدولة عمارة بغداد ومحاسنها، وجدد المساجد والمشاهد، وأجرى على الفقهاء الأرزاق، وعلى الأئمة، من الفقهاء، والمحدثين،والأطباء، والحساب، وغيرهم، وأطلق الصلات لأرباب البيوتات والشرف، وألزم أصحاب الأملاك بعمارة بيوتهم ودورهم، ومهد الطرقات، وأطلق المكوس،

وأصلح الطريق للحجاج من بغداد إلى مكة، وأرسل الصدقات للمجاورين بالحرمين. قال: وأذن لوزيره نصر بن هارون - وكان نصرانيا - بعمارة البيع، والأديرة، وأطلق الأموال لفقرائهم .

وفيها توفي :

حسنويه بن حسين الكردي، وكان قد استحوذ على نواحي بلاد الدينور، وهمدان، ونهاوند، مدة خمسين سنة، وكان حسن السيرة، كثير الصدقة بالحرمين، وغيرهما، فلما توفي، اختلف أولاده من بعده، وتمزق شملهم، وتمكن عضد الدولة من أكثر بلادهم، وقويت شوكته في تلك الأرض .

وفيها : ركب عضد الدولة في جنود كثيفة إلى بلاد أخيه فخر الدولة، وذلك لما بلغه من ممالأته لعز الدولة، واتفاقهم عليه، فتسلم بلاد أخيه، فخر الدولة، وهمدان، والري، وما بينهما من البلاد، وسلم ذلك إلى مؤيد الدولــة ــ وهو أخوه الآخر ــ ليكون نائبه عليها، ثم سار إلى بلاد حسنويه الكردي، فتسلمها، وأخذ حواصله، وذخائره، وكانت كثيرة جداً، وحبس بعض أولاده، وأسر بعضهم، وأرسل إلى الأكراد الهكارية فأخذ منهم بعض بلادهم . وعظم شأنه وارتفع صيته، إلا أنه أصابه في هذا السفر داء الصداع، وكان قد تقدم له بالموصل مثله، وكان يكتمه، إلى أن غلب عليه كثرة النسيان، فلا يذكر الشيء، إلا بعد جهد جهيد ، والدنيا لا تسر بقدر ما تضر :

دارٌ متى ما أضحكَتْ في يومها ... أبْكَتْ غداً بُعْداً لها من دارِ

وفيها توفي من الأعيان :

أحمد بن زكريا أبو الحسن اللغوي

صاحب كتاب « المجمل في اللغة » وغيره، ومن شعره قبل موته بيومين :

يارب إنّ ذنوبي قد أحَطْتَ بهـا ... علمـــاً وَبي وَبإعْلانِي وَأسْرَارِي

أنَا المُوَحِّـدُ لَكِنِّ المقرُّ بِهَـا ... فَهَـبْ ذُنُوبي لِتَوْحِيدِي وَإِقْرارِي

ذكر ذلك ابن الأثير .

أحمد بن عطاء بن أحمد

أبو عبد الله الروذباري أسند الحديث، وكان يتكلم على مذهب الصوفية، وكان قد انتقل من بغداد، فأقام بصور، وتوفي بها في هذه السنة. قال: رأيت في المنام كأن قائلا: أي شيء أصح في الصلاة؟ فقلت: صحة القصد. فسمعت قائلاً يقول: رؤية المقصود بإسقاط رؤية القصد أتم، وقال: مجالسة الأضداد ذوبان الروح، ومجالسة الأشكال تلقيح العقول، وليس كل من يصلح للمجالسة يصلح للمؤانسة، ولا كل من يصلح للمؤانسة يؤمن على الأسرار، ولا يؤمن على الأسرار إلا الأمناء فقط. وقال: الخشوع في الصلاة علامة الفلاح، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ

الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١ – ٢] وترك الخشوع في الصلاة، علامة النفاق، وخراب القلب. قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٧] .

عبد الله بن إبراهيم

ابن أيوب بن ماسي أبو محمد البزاز، أسند الكثير، وبلغ خمساً وتسعين سنة، وكان ثقة ثبتا. توفي في رجب منها ..

محمد بن صالح

ابن علي بن يحيي أبو الحسن الهاشمي، يعرف بابن أم شيبان، كان عالما فاضلا، له تصانيف، وقد ولي الحكم ببغداد قديما،وكان جيد السيرة، توفي فيها، وقد جاوز السبعين وقارب الثمانين.

ثم دخلت سنة سبعين وثلثمائة

فيها : ورد الصاحب بن عباد من جهة مؤيد الدولة، إلى أخيه عضد الدولة، فتلقاه عضد الدولة إلى ظاهر البلد، وأكرمه، وأمر الأعيان باحترامه، وخلع عليه، وزاده في إقطاعه، ورد معه هدايا كثيرة، وفي جمادى الآخرة منها، رجع عضد الدولة إلى بغداد، فتلقاه الخليفة الطائع، وضرب له القباب، وزينت الأسواق. وفي هذا الشهر أيضاً، وصلت هدايا من صاحب اليمن إلى عضد الدولة، وكانت الخطبة بالحرمين لصاحب مصر، وهو العزيز بن المعزّ الفاطمي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو بكر الرازي الحنفي

أحمد بن على أبو بكر الفقيه الحنفي الرازي، أحد أئمة أصحاب أبي حنيفة، وله من المصنفات المفيدة كتاب (أحكام القرآن) ، وهو تلميذ أبي الحسن الكرخي، وكان عابدا زاهداً ورعا، انتهت إليه رياسة الحنفية في وقته، ورحل إليه الطلبة من الآفاق، وقد سمع الحديث من أبي العباس الأصم، وأبي القاسم الطبراني، وقد أراده الطائع، على أن يوليه القضاء، فلم يقبل، توفي في ذي الحجة من هذا العام، وصلّى عليه أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي .

محمد بن جعفر

ابن محمد بن زكريا أبو بكر الوراق، ويلقب بغندر، كان جوالا رحالاً، سمع الكثير ببلاد فارس ، وخراسان، وسمع الباغندي، وابن صاعد، وابن دريد، وغيرهم، وعنه الحافظ أبو نعيم الأصفهاني، وكان ثقة حافظا .

ابن خالويه

الحسين بن أحمد بن خالوية، أبو عبد الله النحوي اللغوي، صاحب المصنفات أصله من همذان، ثم دخل بغداد، فأدرك بها مشايخ هذا الشأن: كابن دريد؛ وابن مجاهد، وأبي عمر الزاهد، واشتغل على أبي سعيد السيرافي، ثم صار إلى حلب، فعظمت مكانته عند آل حمدان،

وكان سيف الدولة يكرمه، وهو أحد جلسائه، وله مع المتنبي مناظرات. وقد سرد له ابن خلكان مصنفات كثيرة، منها : كتاب ليس في كلام العرب ــ لأنه كان يكثر أن يقول : ليس في كلام العرب كذا وكذا ــ وكتاب « الآل » ، تكلم فيه على أقسامه ، وترجم الأئمة الاثني عشر ، « وأعرب ثلاثين سورة من القرآن » ، « وشرح الدريدية » ، وغير ذلك، وله شعر حسن، وكان به داء كانت به وفاته .

ثم دخلت سنة إحدي وسبعين وثلثمائة

في ربيع الأول منها، وقع حريق عظيم بالكرخ، وفيها: سرق شيء نفيس لعضد الدولة، فتعجب الناس من جرأة من سرقه، مع شدة هيبة عضد الدولة، ثم مع هذا اجتهدوا كل الاجتهاد، فلم يعرفوا من أخذ. ويقال: إن صاحب مصر، بعث من فعل ذلك، فالله أعلم .

وممن توفي فيها من الأعيان ..

الإسماعيلي

أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس أبو بكر الإسماعيلي الجرجاني، الحافظ الكبير، الرحال الجوال، سمع الكثير، وحدث، وخرّج، وصنّف، فأفاد، وأجاد، وأحسن الانتقاد والاعتقاد، صنف كتابا على صحيح البخاري، فيه فوائد كثيرة، وعلوم غزيرة. قال الدارقطني: كنت عزمت غير مرة على الرحلة إليه، فلم أرزق، وكانت وفاته يوم السبت، عاشر رجب سنة إحدي وسبعين وثلثمائة، وهو ابن أربع وسبعين سنة، رحمه الله .

الحسن بن صالح

أبو محمد السبيعي، سمع ابن جرير، وقاسما المطرز،وغيرهما، وعنه الدارقطني، والبرقاني، وكان ثقة حافظاً مكثراً، وكان عسر الرواية .

الحسن بن على بن الحسن

ابن الهيثم بن طهمان أبو عبد الله الشاهد، المعروف بالبادي، سمع الحديث، وكان ثقة، عاش سبعا وتسعين سنة، منها خمس عشرة سنة مقيدا أعمى .

عبد الله بن الحسين

ابن إسماعيل بن محمد أبو بكر الضبي القاضي، ولي الحكم ببغداد، وكان عفيفاً نزيهاً دينا .

عبد العزيز بن الحارث

ابن أسد بن الليث أبو الحسن التميمي الفقيه الحنبلي. له كلام ومصنف في الخلاف، وسمع الحديث، وروى عن غير واحد، وقد ذكر الخطيب البغدادي أنه وضع حديثا. وأنكر ذلك ابن

الجوزي، وقال: مازال هذا دأب الخطيب في أصحاب أحمد بن حنبل. قال: وشيخ الخطيب الذي حكى عنه هذا،هو : أبو القاسم عبد الواحد بن أسد العكبري، لا يعتمد على قوله، فإنه كان معتزليا، وليس من أهل الحديث، وكان يقول : بأن الكفار لا يخلدون في النار. قلت: وهذا غريب. فإن المعتزلة يقولون : بأن الكفار يخلدون في النار، بل يقولون : بتخليد أصحاب الكبائر.قال: وعنه حكى الكلام عن ابن بطة أيضاً .

على بن إبراهيم

أبو الحسن الحصري، الصوفي الواعظ شيخ المتصوفة ببغداد، أصله من البصرة صحب الشبلي، وغيره، وكان يعظ الناس بالجامع، ثم لما كبرت سنه بني له الرباط المقابل لجامع المنصور، ثم عرف بصاحبه المروزي، وكان لا يخرج إلا من الجمعة إلى الجمعة، وله كلام جيد في التصوف على طريقتهم. ومما نقله ابن الجوزي عنه أنه قال: ما عليّ مني؟ وأي شيء لي فيّ حتى أخاف وأرجو؟ ، إن رحم رحم ما له، وإن عذب عذب ما له. توفي في ذي الحجة، وقد نيف على الثمانين، ودفن بمقبرة دار حرب من بغداد .

على بن محمد الأحدب المزور

كان قوي الخط، له ملكة على التزوير، لا يشاء يكتب على أحد كتابه إلا فعل فلا يشك ذلك المزور عليه أنه خطه، وحصل للناس به بلاء عظيم، وختم السلطان على يده مراراً، فلم يقدر، وكان يزور، ثم كانت وفاته في هذه السنة .

الشيخ أبو زيد المروزي الشافعي

محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد أبو زيد المروزي، شيخ الشافعية في زمانه، وإمام أهل عصره في الفقه، والزهد، والعبادة، والورع. سمع الحديث، ودخل بغداد، وحدث بها فسمع منه الدارقطني، وغيره. قال أبو بكر البزار: عادلت الشيخ أبا زيد في طريق الحج، فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة. وقد ذكرت ترجمته بكمالها في (طبقات الشافعية) . قال الشيخ أبو نعيم: توفي بمرو يوم الجمعة، الثالث عشر من رجب من هذه السنة .

محمد بن خفيف

أبو عبد الله الشيرازي أحد مشاهير الصوفية، صحب الجريري، وابن عطاء، وغيرهما. قال ابن الجوزي: وقد ذكرت في كتابي المسمي (بتلبيس إبليس) عنه حكايات، تدل على أنه كان يذهب مذهب الإباحية .

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة

قال ابن الجوزي: في المحرم منها، جرى الماء الذي ساقه عضد الدولة إلى داره وبستانه. وفي صفر، فتح المارستان الذي أنشأه عضد الدولة في الجانب الغربي من بغداد، وقد رتب فيه

الأطباء والخدم، ونقل إليه من الأدوية، والأشربة، والعقاقير شيئا كثيراً. وقال: وفيها: توفي عضد الدولة، فكتم أصحابه، حتى أحضروا ولده صمصام الدولة، فولوه الأمر، وراسلوا الخليفة، فبعث إليه بالخلع والولاية .

شيء من أخبار عضد الدولة

أبو شجاع بن ركن الدولة أبو علي الحسين بن بويه الديلمي، صاحب ملك بغداد وغيره، وهو أول من تسمى شاهنشاه، ومعناه: ملك الملوك. وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **أوضع اسم ــ وفي رواية ــ أخنع اسم ــ عند الله رجل تسمي ملك الملوك** » وفي رواية « **ملك الأملاك لا مالك إلا الله عزّ وجلّ** » [1]. وهو أول من ضربت له الدبادب ببغداد، وأول من خطب له بها مع الخليفة. وذكر ابن خلكان : أنه امتدحه الشعراء بمدائح هائلة، منهم المتنبي، وغيره، فمن ذلك قول أبي الحسن محمد بن عبد الله السلامي في قصيدة له :

إليك طوىَ عرضَ البسيطةِ جــاعلٌ ... قصــارى المطايا أنْ يلوحَ لها القصرُ

فكنتَ وعزمي في الظلال وَصَارِمي ... ثلاثةَ أشــياءِ كمـــا اجْتمعَ النسرُ

وبشّرتْ آمالي بملكٍ هو الـــورى ... ودارٍ هي الدنيـــا ويومٍ هُو الدّهرُ

وقال المتنبي أيضا :

هي الغرضُ الأقْصَى ورؤيتُكَ المُنَى ... ومنــزِلُكَ الدّنيا وأنتَ الخلائقُ

قال : وقال أبو بكر أحمد الأرجاني في قصيدة له : بيتا فلم يلحق السلامي أيضاً، وهو قوله :

لقيتُهُ فرأيتُ النـــاسَ في رَجُلٍ ... والدهرَ في ســاعةٍ والأرضَ في دارِ

قال : وكتب إليه الفتكين، مولى أخيه، يستمده بجيش إلى دمشق، يقاتل به الفاطميين، فكتب إليه عضد الدولة « **غرَّكَ عزُّك، فصار قصاراك ذلك، فاخشَ فاحشَ فعلك، فعلّك بهذا تهدأ** ». قال ابن خلكان: ولقد أبدع فيها كل الإبداع، وقد جرى له من التعظيم من الخليفة، مالم يقع لغيره قبله، وقد اجتهد في عمارة بغداد، والطرقات، وأجري النفقات على المساكين، والمحاويج، وحفر الأنهار وبني المارستان العضدي، وأدار السور على مدينة الرسول، فعل ذلك مدة ملكه على العراق، وهي خمس سنين، وقد كان عاقلاً. فاضلاً، حسن السياسة، شديد الهيبة بعيد الهمة، إلا أنه كان يتجاوز في سياسة الأمور الشرعية، كان يحب جارية، فألهته عن تدبير المملكة، فأمر بتغريقها. وبلغه أن غلاماً له، أخذ لرجل بطيخة، فضربه بسيفه، فقطعه نصفين وهذه مبالغة. وكان سبب موته الصرع وحين أخذ في علة موته لم يكن له كلام سوى تلاوة

---

(١) **متفق عليه** : البخارى فى الأدب (٦٢٠٥ ، ٦٢٠٦) ومسلم فى الأدب (٢١٤٣) والرواية الثانية عند مسلم وقيل : أخنع بمعنى أفجر .

قوله تعالى: ﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ . هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ [الحاقة : ٢٨ ، ٢٩] فكان هذا هجيراه[1] حتى مات. وحكى ابن الجوزي : أنه كان يحب العلم والفضيلة، وكان يقرأ عنده كتاب إقليدس، وكتاب النحو لأبي علي الفارسي، وهو الإيضاح والتكملة الذي صنفه له وقد خرج مرة إلى بستان له، فقال أود لو جاء المطر، فنـزل المطر فأنشأ يقول :

ليس شربُ الراحِ إلا في المطرِ ... وغناءُ من جوارٍ في السحرِ
غنياتٌ سالباتٌ للنهى ... ناعماتٌ في تضاعيفِ الوترِ
راقصاتٌ زاهراتٌ نجلُ ... رافلاتٌ في أفانينِ الحبر[2]
مطرباتٌ غنجاتٌ[3] لحن ... رافضاتُ الهمِّ آمالُ الفكر
مبرزاتُ الكأسِ مِنْ مَطْلَعِها ... مسقياتُ الخمرِ مَنْ فاقَ البشرِ
عضدُ الدولةِ وابنُ رُكْنِها ... مالكُ الأملاكِ غلاّبَ القدر
سهلَ اللهُ إليه نصرَهُ ... في ملوكِ الأرضِ ما دامَ القمرُ
وأراه الخيرَ في أولادهِ ... ولباسُ الملكِ فيهم بالغررِ

قبّحه الله، وقبّح شعره، وقبّح أولاده، فإنه قد اجترأ في أبياته هذه، فلم يفلح بعدها، فيقال: إنه حين أنشد قوله غلاب القدر، أخذه، فأهلكه، ويقال: إن هذه الأبيات إنما أنشدت بين يديه، ثم هلك عقيبها. مات في شوال من هذه السنة، عن سبع أو ثمان وأربعين سنة،وحمل إلى مشهد علي، فدفن فيه، وكان فيه رفض وتشيع، وقد كتب على قبره في تربته عند مشهد علي: هذا قبر عضد الدولة، وتاج المملكة، أبي شجاع بن ركن الدولة، أحب مجاورة هذا الإمام المتقي، لطمعه في الخلاص﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ [النحل : ١١١] والحمد لله، وصلواته على محمد، وعترته الطاهرة. وقد تمثل عند موته بهذه الأبيات وهي للقاسم بن عبيد الله :

قلتُ : صَنَادِيدُ الرجالِ فلم أدعْ ... عدواً و لم أُمهلْ على ظنِّه خلقا
وأخليتُ دارَ الملك مَنْ كانَ باذلاً ... فشرَّدْتُهم غرباً وشرّدْتُهم شرقا
فلما بلغتُ النجم عزّاً ورفعةً ... وصارتْ رقابُ الخلقِ أجمع لي رقّا
رَمَانِي الرَّدَى سَهْما فأخمدَ جذّتي ... فَهَا أَنَا ذَا في حُفْرَتِي عَاجلاً مُلْقَى
فأذهبتُ دُنْيَايَ وَدِينِي سَفَاهَةً ... فمَنْ ذا الذي مِنِّي بمصرعِهِ أشقى؟

(١) هجيراه : هذيانه .
(٢) الحبر : بُرُدٌ يمانية .
(٣) غنجات : متدللات .

ثم جعل يكرر هذه الأبيات، وهذه الآية : ﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ . هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ [الحاقة: ٢٨ ، ٢٩] إلى أن مات. وأجلس ابنه صمصامة على الأرض، وعليه ثياب السواد، وجاءه الخليفة معزّيا، وناح النساء عليه في الأسواق، حاسرات عن وجوههن أياما كثيرة، ولما انقضى العزاء، ركب ابنه صمصامة إلى دار الخلافة فخلع عليه الخليفة سبع خلع، وطوقه، وسوره، وألبسه التاج، ولقبه شمس الدولة، وولاه ما كان يتولاه أبوه، وكان يوما مشهوداً .

محمد بن جعفر

ابن أحمد بن جعفر بن الحسن بن وهب أبو بكر الجريري، المعروف بزوج الحرة، سمع ابن جرير، والبغوي، وابن أبي داود، وغيرهم، وعنه ابن رزقويه، وابن شاهين، والبرقاني، وكان أحد العدول الثقات، جليل القدر. وذكر ابن الجوزي، والخطيب، سبب تسميته بزوج الحرة : أنه كان يدخل إلى مطبخ أبيه، بدار مولاته، التي كانت زوجة المقتدر بالله، فلما توفي المقتدر، وبقيت هذه المرأة سالمة من النكبات، والمصادرات، وكانت كثيرة الأموال، وكان هذا غلاماً شاباً، حدث السن، يحمل شيئا من حوائج المطبخ على رأسه، فيدخل به إلى مطبخها، مع جملة الخدم، وكان شابا رشيقا حركا، فنفق على القهرمانة، حتى جعلته كاتبا على المطبخ، ثم ترقى، إلى أن صار وكيلا للست على ضياعها، ينظر فيها، وفي أموالها، ثم آل به الحال. حتى صارت الست تحدثه من وراء الحجاب، ثم علقت به، وأحبته، وسألته أن يتزوج بها، فاستصغر نفسه، وخاف من غائلة ذلك، فشجعته هي، وأعطته أموالا كثيرة، ليظهر عليه الحشمة والسعادة، مما يناسبها ليتأهل لذلك، ثم شرعت تهادي القضاة والأكابر، ثم عزمت على تزويجه، ورضيت به عند حضور القضاة، واعترض أولياؤها عليها، فغلبتهم بالمكارم والهدايا، ودخل عليها فمكثت معه دهرا طويلا، ثم ماتت قبله، فورث منها نحو ثلثمائة ألف دينار، وطال عمره بعدها، حتى كانت وفاته في هذه السنة والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة

فيها : غلت الأسعار ببغداد، حتى بلغ الكرّ من الطعام إلى أربعة آلاف وثمانمائة، ومات كثير من الناس جوعاً، وجافت الطرقات من الموتى من الجوع، ثم تساهل الحال في ذي الحجة منها، وجاء الخبر بموت مؤيد الدولة بن ركن الدولة، وأن أبا القاسم بن عباد الوزير، بعث إلى أخيه فخر الدولة، فولاه الملك مكانه، فاستوزر ابن عباد أيضاً على ماكان عليه، ولما بلغ القرامطة موت عضد الدولة، قصدوا البصرة، ليأخذوها مع الكوفة، فلم يتم لهم ذلك، ولكن صولحوا على مال كثير، فأخذوه وانصرفوا .

وممن توفي فيها من الأعيان :

بويه مؤيد الدولة بن ركن الدولة، وكان ملكا على بعض ما كان أبوه يملكه، وكان الصاحب أبو القاسم بن عباد وزيره، وقد تزوج مؤيد الدولة هذا ابنة عمه معز الدولة، فغرم على عرسه سبعمائة ألف دينار، وهذا سرف عظيم .

بلكين بن زيري بن منادي

الحميري الصنهاجي، ويسمى أيضا يوسف، وكان من أكابر أمراء المعز الفاطمي، وقد استخلفه على بلاد إفريقية، حين سار إلى القاهرة، وكان حسن السيرة، له أربعمائة حظية، وقد بُشّر في ليلة واحدة بتسعة عشر ولدا، وهو جدُّ باديس المغربي .

سعيد بن سلام

أبو عثمان المغربي أصله من بلاد القيروان، ودخل الشام، وصحب أبا الخير الأقطع، وجاور بمكة مدة سنين ، وكان لا يظهر في المواسم ، وكانت له كرامات ، وقد أثنى عليه أبو سليمان الخطابي وغيره، وروي له أحوال صالحة رحمه الله تعالى .

عبد الله بن محمد

ابن عبد الله بن عثمان بن المختار بن محمد المرى الواسطي، يعرف بابن السقا، سمع عبدان وأبا يعلي الموصلي، وابن أبي داود، والبغوي، وكان فهماً حافظا، دخل بغداد، فحدث بها مجالس كثيرة من حفظه، وكان يحضره الدارقطني، وغيره من الحفاظ، فلم ينكروا عليه شيئا. غير أنه حدث مرة عن أبي يعلي بحديث أنكروه عليه، ثم وجدوه في أصله بخط الضبي، كما حدث به، فبرئ من عهدته .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وثلثمائة

فيها : جرى الصلح بين صمصامة وبين عمه فخر الدولة، فأرسل الخليفة لفخر الدولة خلعا وتحفا، قال ابن الجوزي: وفي رجب منها، عمل عرس في درب رياح، فسقطت الدار على من فيها، فهلك أكثر النساء بها، ونبش من تحت الردم، فكانت المصيبة عامة .

وفيها كانت وفاة :

الحافظ أبي الفتح محمد بن الحسن

ابن أحمد بن الحسين الأزدي الموصلي، المصنف في الجرح والتعديل، وقد سمع الحديث من أبي يعلي وطبقته، وضعفه كثير من الحفاظ من أهل زمانه، واتهمه بعضهم بوضع حديث رواه لابن بويه، حين قدم عليه بغداد، فساقه، بإسناد إلى النبي ﷺ " أن جبريل كان ينـــزل عليه في مثل صورة ذلك الأمير " فأجازه، وأعطاه دراهم كثيرة. والعجب إن كان هذا صحيحا، كيف راج على أحد ممن له أدنى فهم وعقل، وقد أرخ ابن الجوزي وفاته : في هذه السنة، وقد قيل : إنه توفي سنة تسع وستين .

الخطيب بن نباتة الحذّاء

في بطن من قضاعة، وقيل : من إياد الفارقي، خطيب حلب، في أيام سيف الدولة بن حمدان، ولهذا أكثر ديوانه الخطب الجهادية، ولم يسبق إلى مثل ديوانه هذا، ولا يلحق إلا أن

يشاء الله شيئا، لأنه كان فصيحاً، بليغا، دينا، ورعا، روى الشيخ تاج الدين الكندي عنه : أنه خطب يوم الجمعة بخطبة المنام، ثم رأى ليلة السبت رسول الله ﷺ في جماعة من أصحابه، بين المقابر، فلما أقبل عليه . قال له: مرحبا بخطيب الخطباء، ثم أومأ إلى قبور هناك، فقال لابن نباتة:كأنهم لم يكونوا للعيون قرة ولم يعدوا في الأحياء مرة، أبادهم الذي خلقهم، وأسكتهم الذي أنطقهم، وسيجدُّهم كما أخلقهم، ويجمعهم كما فرقهم، فتمم الكلام ابن نباته حتى انتهى إلى قوله ﴿ لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة : ١٤٣] وأشار إلى الصحابة الذين مع الرسول- ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة : ١٤٣] وأشار إلى رسول الله ﷺ فقال: أحسنت أحسنت، أدنه أدنه، فقبل وجهه، وتفل في فيه ـــ وقال : وفقك الله. فاستيقظ، وبه من السرور أمر كبير، وعلى وجهه بهاء ونور، ولم يعش بعد ذلك إلا سبعة عشر يوما، لم يستطعم بطعام، وكان يوجد منه مثل رائحة المسك، حتى مات رحمه الله. قال ابن الأزرق الفارقي: ولد ابن نباته في سنة خمس وثلاثين وثلثمائة، وتوفي في سنة أربع وسبعين وثلثمائة. حكاه ابن خلكان .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثلثمائة

فيها : خلع الخليفة على صمصامة الدولة، وسوره وطوقه وأركب على فرس بسرج ذهب، وبين يديه جنيب مثله، وفيها: ورد الخبر، بأن اثنين من سادة القرامطة، وهما إسحاق، وجعفر، دخلا الكوفة، في حفل عظيم، فانزعجت النفوس بسبب ذلك، وذلك لصرامتهما، وشجاعتهما، ولأن عضد الدولة مع شجاعته، كان يصانعهما، وأقطعهما أراضي من أراضي واسط، وكذلك عزّ الدولة من قبله أيضا. فجهز إليهما صمصامة جيشا، فطردهما عن تلك النواحي، التي قد أكثروا فيها الفساد، وبطل ما كان في نفوس الناس منهما. وفيها : عزم صمصامة الدولة على أن يضع مكسا على الثياب الإبريسميات فاجتمع الناس بجامع المنصور، وأرادوا تعطيل الجمعة، وكادت الفتنة تقع بينهم، فأعفوا من ذلك .

وفي ذي الحجة، ورد الخبر : بموت مؤيد الدولة، فجلس صمصامة للعزاء، وجاء إليه الخليفة معزّيا له، فقام إليه صمصامة، وقبّل الأرض بين يديه، وتخاطبا في العزاء بألفاظ حسنة. وفيها توفي الشيخ .

أبو على بن أبي هريرة

واسمه الحسن بن الحسين، وهو أحد مشايخ الشافعية، وله اختيارات كثيرة غريبة في المذهب، وقد ترجمناه في (طبقات الشافعية) .

الحسين بن على

ابن محمد بن يحيى أبو أحمد النيسابوري، المعروف بحسنك، كانت تربيته عند ابن خزيمة، وتلميذا له، وكان يقدمه على أولاده، ويقر له ما لا يقر لغيره، وإذا تخلف ابن خزيمة عن مجالس

السلطان، بعث حسنك مكانه. ولما توفي ابن خزيمة، كان عمر حسينك ثلاثا وعشرين سنة، ثم عمر بعده دهراً طويلا، وكان من أكثر الناس عبادة، وقراءة للقرآن، ولا يترك قيام الليل، حضرا ولا سفرا، كثير الصدقات، والصلات، وكان يحكي وضوء ابن خزيمة، وصلاته، ولم يكن في الأغنياء أحسن صلاة منه، رحمه الله، وصلى عليه الحافظ أبو أحمد النيسابوري .

أبو القاسم الداركي

عبد العزيز بن عبد الله بن محمد أبو القاسم الداركي، أحد أئمة الشافعية في زمانه، نزل نيسابور، ثم سكن بغداد، إلى أن مات بها، قال الشيخ أبو حامد الإسفراييني: ما رأيت أفقه منه، وحكى الخطيب عنه، أنه كان يسأل عن الفتوى، فيجيب بعد تفكر طويل، فربما كانت فتواه مخالفة لمذهب الشافعي، وأبي حنيفة، فيقال له : في ذلك : فيقول: ويلكم، روى فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ كذا وكذا، فالأخذ به أولى، من الأخذ بمذهب الشافعي وأبي حنيفة، ومخالفتهما أسهل من مخالفة الحديث. قال ابن خلكان: وله في المذهب وجوه جيدة دالة على متانة علمه،وكان يتهم بالاعتزال،وكان قد أخذ العلم عن الشيخ أبي إسحاق المروزي، والحديث عن جده لأمه الحسن بن محمد الداركي،وهو أحد مشايخ أبي حامد الإسفراييني، وأخذ عنه عامة شيوخ بغداد؛ وغيرهم من أهل الآفاق، وكانت وفاته في شوال، وقيل : في ذي القعدة منها، وقد نيف على السبعين رحمه الله .

محمد بن أحمد بن محمد بن حسنويه

أبو سهل النيسابوري، ويعرف بالحسنوي، كان فقيهاً شافعياً، أديباً، محدثاً، مشتغلا بنفسه عما لا يعنيه رحمه الله تعالى .

محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح

أبو بكر الفقيه المالكي، سمع من ابن أبي عمرويه، والباغندي، وأبي بكر بن أبي داود، وغيرهم، وعنه البرقاني، وله تصانيف في شرح مذهب مالك، وانتهت إليه رياسة مذهب مالك، وعرض عليه القضاء فأباه، وأشار بأبي بكر الرازي الحنفي، فلم يقبل الآخر أيضاً. توفي في شوال منها عن ست وثمانين سنة رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة ست وسبعين وثلثمائة

قال ابن الجوزي: في محرمها، كثرت الحميات في بغداد، فهلك بسبب ذلك خلق كثير. ولسبع خلون من ربيع الأول ـــ وكان يوم العشرين من تمـــوز ـــ وقع مطر كثير، ببرق ورعد، وفي رجب غلت الأسعار جداً، وورد الخبر فيه : بأنه وقع بالموصل زلزلة عظيمة، سقط بسببها عمران كثير، ومات من أهلها أمة عظيمة وفيها: وقع بين صمصام الدولة، وبين أخيه شرف

الدولة، فاقتتلا فغلبه شرف الدولة، ودخل بغداد، فتلقاه الخليفة، وهنأه بالسلامة، ثم استدعي شرف الدولة بفراش، ليكحل صمصام الدولة، فاتفق موته، فأكحله بعد موته، وهذا من غريب ماوقع. وفي ذي الحجة منها قبل قاضي القضاة أبو محمد بن معروف شهادة القاضي الحافظ أبي الحسن الدارقطني، وأبي محمد بن عقبة، فذكر أن الدارقطني ندم على ذلك، وقال: كان يقبل قولي على رسول الله ﷺ وحدي، فصار لا يقبل قولي على نقلي إلا مع غيري .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثلثمائة

في صفرها : عقد مجلس بحضرة الخليفة فيه القضاة، وأعيان الدولة، وجددت البيعة بين الطائع وبين شرف الدولة بن عضد الدولة، وكان يوما مشهودا، ثم في ربيعها الأول، ركب شرف الدولة من داره إلى دار الخليفة، وزينت البلد، وضربت البوقات، والطبول، والدبادب، فخلع عليه، وسوره، وأعطاه لواءين معه، وعقد له على ماوراء داره، واستخلفه على ذلك، وكان في جملة من قدم مع شرف الدولة القاضي أبو محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف، فلما رآه الخليفة قال :

مَرْحبًا بالأحبةِ القادمينا أَوْحَشُونَا وطالَ ما آنَسُونَا

فقبل الأرض بين يدي الخليفة، ولما قضيت البيعة، دخل شرف الدولة على أخته امرأة الخليفة، فمكث عندها إلى العصر، والناس ينتظرونه، ثم خرج وسار إلى داره للتهنئة. وفيها اشتد الغلاء جداً، ثم لحقه فناء كثير، وفيها توفيت أم شرف الدولة ــ وكانت تركية أم ولد ــ فجاءه الخليفة فعزاه. وفيها ولد لشرف الدولة ابنان توأمان .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن الحسين بن علي

أبو حامد المروزي، ويعرف بابن الطبري، كان حافظا للحديث، مجتهدا في العبادة، متقنا بصيرا بالأثر، فقيها حنفيا، درس على أبي الحسين الكرخي، وصنف كتباً في الفقه والتاريخ، وولي قضاء القضاة بخراسان، ثم دخل بغداد، وقد علت سنه، فحدث الناس، وكتب الناس عنه، منهم الدارقطني .

إسحاق بن المقتدر بالله

توفي ليلة الجمعة، لسبعة عشر من ذي الحجة، عن ستين سنة، وصلى عليه ابنه القادر بالله، وهو إذ ذاك أمير المؤمنين، ودفن في تربة جدته شغب أم المقتدر، وحضر جنازته الأمراء، والأعيان من جهة الخليفة، وشرف الدولة، وأرسل شرف الدولة من عزى الخليفة فيه، واعتذر من الحضور لوجع حصل له .

جعفر بن المكتفي بالله

كان فاضلا توفي فيها أيضا .

أبو علي الفارسي النحوي

صاحب « الإيضاح » ، والمصنفات الكثيرة، ولد ببلده، ثم دخل بغداد، وخدم الملوك، وحظي عند عضد الدولة، بحيث إن عضد الدولة يقول: أنا غلام أبي علي في النحو، وحصلت له الأموال، وقد اتهمه قوم بالاعتزال، وفضله قوم من النحاة من أصحابه على المبرد، وممن أخذ عنه أبو عثمان بن جني، وغيره، توفي فيها عن بضع وتسعين سنة .

ستيتة

بنت القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي، وتكنى أم عبدالواحد، وقرأت القرآن، وحفظت الفقه، والفرائض، والحساب، والدور، والنحو، وغير ذلك، وكانت من أعلم الناس في وقتها بمذهب الشافعي، وكانت تفتي به مع الشيخ أبي علي بن أبي هريرة، وكانت فاضلة في نفسها، كثيرة الصدقة، مسارعة إلى فعل الخيرات، وقد سمعت الحديث أيضاً، وكانت وفاتها في رجب عن بضع وتسعين سنة .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وثلثمائة

في محرمها كثر الغلاء، والفناء، ببغداد، وفي شعبان، كثرت الرياح، والعواصف، بحيث هدمت كثيرا من الأبنية، وغرق شيء كثير من السفن، واحتملت بعض الزوارق، فألقته بالأرض من ناحية جوخي، وهذا أمر هائل ، وخطب شامل .

وفي هذا الوقت، لحق أهل البصرة حر شديد، بحيث سقط كثير من الناس في الطرقات، وماتوا من شدته . **وفيها توفي من الأعيان** ...

الحسن بن علي بن ثابت

أبو عبد الله المقري ولد أعمى، وكان يحضر مجلس ابن الأنباري، فيحفظ ما يقول، وما يمليه كله، ظريفا حسن الزي، وقد سبق الشاطبي إلى قصيدة عملها في القراءات السبع، وذلك في حياة النقاش، وكانت تعجبه جدا، و كذلك شيوخ ذلك الزمان أذعنوا إليها .

الخليل بن أحمد القاضي

شيخ الحنفية في زمانه، كان مقدماً في الفقه والحديث، سمع ابن جرير، والبغوي، وابن صاعد، وغيرهم، ولهذا سمي باسم النحوي المتقدم .

زياد بن محمد بن زياد بن الهيثم

أبو العباس الخرخاني ــ بخاءين معجمتين ــ نسبة إلى قرية من قرى قومس، ولهم الجرجاني بجيمين، وهم جماعة، ولهم الخرجاني بخاء معجمة ثم جيم. وقد حرر هذه المواضع الشيخ ابن الجوزي في (منتظمه) .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وثلثمائة

فيها : كانت وفاة شرف الدولة بن عضد الدولة بن بويه الديلمي، وكان قد انتقل إلى قصر معزّ الدولة، عن إشارة الأطباء لصحة الهواء، وذلك لشدة ماكان يجده من الداء، فلما كان في جمادى الأولى، تزايد به، ومات في هذا الشهر، وقد عهد إلى ابنه أبي نصر، وجاء الخليفة في طيارة، لتعزيته في والده، فتلقاه أبو النصر، والترك بين يديه، والديلم، فقبل الأرض بين يدي الخليفة، وكذلك بقية العسكر، والخليفة في الطيارة، وهم يقبلون الأرض إلى ناحيته وجاء الرئيس أبو الحسين على بن عبد العزيز من عند الخليفة، إلى أبي نصر، فبلغه تعزيته له في والده، فقبل الأرض أيضا ثانية، وعاد الرسول أيضا إلى الخليفة، فبلغه شكر الأمير، ثم عاد من جهة الخليفة، لتوديع أبي نصر، فقبل الأرض ثالثا، ورجع الخليفة. فلما كان يوم السبت، عاشر هذا الشهر، ركب الأمير أبو نصر إلى حضرة الخليفة الطائع لله ومعه الأشراف، والأعيان، والقضاة والأمراء، وجلس الخليفة في الرواق، فلما وصل الأمير أبو نصر، خلع عليه الخليفة سبع خلع، أعلاهن السواد، وعمامة سوداء، وفي عنقه طوق، وفي يده سواران، ومشى الحجاب بين يديه بالسيوف والمناطق فقبل الأرض ثانية، ووضع له كرسي، فجلس عليه، وقرأ الرئيس أبو الحسن عهده، وقدم إلى الطائع لواءه، فعقده بيده، ولقبه بهاء الدولة، وضياء الملة، ثم خرج من بين يديه، والعسكر معه حتى عاد إلى دار المملكة، وأقر الوزير أبا منصور بن صالح على الوزارة، وخلع عليه. وفيها: بني جامع القطيعة ــ قطيعة أم جعفر ــ بالجانب الغربي من بغداد، وكان أصل بناء هذا المسجد : أن امرأة رأت في منامها رسول الله ﷺ، يصلي في مكانه، ووضع يده في جدار هناك، فلما أصبحت فذكرت ذلك، فوجدوا أثر الكف في ذلك الموضع، فبني مسجدا ثم توفيت تلك المرأة في ذلك اليوم، ثم إن الشريف أبا أحمد الموسوي، جدده، وجعله جامعا، وصلى الناس فيه في هذه السنة . وفيها توفي من **الأعيان**:

شرف الدولة

ابن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه الديلمي، تملك بغداد بعد أبيه، وكان يحب الخير، ويبغض الشر، وأمر بترك المصادرات. وكان مرضه بالاستسقاء، فتزايد به حتى كانت وفاته، ليلة الجمعة، الثاني من جمادى الآخرة، عن ثمان وعشرين سنة وخمسة أشهر، وكانت مدة ملكه سنتين وثمانية أشهر، وحمل تابوته إلى تربة أبيه، بمشهد علي، وكلهم فيهم تشيّع ورفض .

محمد بن جعفر بن العباس

أبو جعفر، وأبو بكر النجار، ويلقب غندر أيضا، روى عن أبي بكر النيسابوري وطبقته، وكان فهما، يفهم القرآن فهماً حسنا، وهو من ثقات الناس .

عبد الكريم بن عبد الكريم

ابن بديل أبو الفضل الخزاعي الجرجاني، قدم بغداد، وحدث بها. قال الخطيب: كانت له عناية بالقراءات، وصنف أسانيدها، ثم ذكر أنه كان يخلط، ولم يكن مأمونا على ما يرويه، وأنه وضع كتابا في الحروف، ونسبه إلى أبي حنيفة، فكتب الدارقطني، وجماعة : أن هذا الكتاب موضوع لا أصل له، فافتضح، وخرج من بغداد إلى الجبل، فاشتهر أمره هناك، وحبطت منـــزلته، وكان يسمي نفسه أولا جميلا، ثم غيره إلى محمد .

محمد بن المطرف

ابن موسى بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن سلمة بن إياس، أبو الحسين البزار الحافظ، ولد في محرم سنة ثلثمائة، ورحل إلى بلاد شتى، وروى عن ابن جرير، والبغوي، وخلق، وروى عنه جماعة من الحفاظ — منهم الدارقطني — شيئا كثيراً، وكان يعظمه، ويجله، ولا يستند بحضرته، كان ثقة ثبتا، وكان قديما ينتقد على المشايخ، ثم كانت وفاته في هذه السنة، ودفن يوم السبت، لثلاث خلون من جمادى الأولى، أو الأخرى منها.

ثم دخلت سنة ثمانين وثلاثمائة من الهجرة

فيها : قلد الشريف أبو أحمد الحسن بن موسى الموسوي، نقابة الأشراف الطالبيين، والنظر في المظالم، وإمرة الحاج، وكتب عهده بذلك، واستخلف ولداه المرتضى أبو القاسم، والرضى أبو الحسين، على النقابة، وخلع عليهما، وفيها : تفاقم الأمر بالعيارين ببغداد، وصار الناس أحزابا في كل محلة أمير مقدم، واقتتل الناس، وأخذت الأموال، واتصلت الكبسات، وأحرقت دور كبار، ووقع حريق بالنهار في نهر الدجاج، فاحترق بسببه شيء كثير للناس، والله أعلم .

وفيها توفي من الأعيان

يعقوب بن يوسف

أبو الفتوح بن كلس، وزير العزيز صاحب مصر، وكان شهما فهماً، ذا همة وتدبير، وكلمة نافذة عند مخدومه وقد فوض إليه أموره في سائر مملكته، ولما مرض عاده العزيز وأوصاه الوزير بأمر مملكته، ولما مات، دفنه في قصره، وتولى دفنه بيده، وحزن عليه كثيرا، وأغلق الديوان أياماً من شدة حزنه عليه .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة

فيها: كان القبض على الخليفة الطائع لله، وخلافة القادر بالله أبي العباس أحمد ابن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله، وكان ذلك في يوم السبت التاسع عشر من شعبان منها، وذلك أنه

جلس الخليفة على عادته في الرواق [١] ، وقعد الملك بهاء الدولة على السرير، ثم أرسل من اجتذب الخليفة بحمائل سيفه عن السرير، ولفوه في كساء، وحملوه إلى الخزانة، من دار المملكة، وتشاغل الناس بالنهب، ولم يدر أكثر الناس ما الخطب، وما الخبر؟ حتى أن كبير المملكة بهاء الدولة ظن الناس أنه هو الذي مسك، فنهبت الخزائن والحواصل، وأشياء من أثاث دار الخلافة، حتى أخذت ثياب الأعيان، والقضاة، والشهود، وجرت كائنة [٢] عظيمة جدا، ورجع بهاء الدولة إلى داره، وكتب على الطائع كتابا بالخلع من الخلافة، وأشهد عليه الأشراف، وغيرهم، أنه قد خلع نفسه من الخلافة، وسلمها إلى القادر بالله، ونودي بذلك في الأسواق، وتشعبت الديلم والأتراك، وطالبوا برسم البيعة، وراسلوا بهاء الدولة في ذلك، وتطاول الأمر في يوم الجمعة، ولم يمكنوا من الدعاء له على المنبر بصريح اسمه، بل قالوا: اللهم أصلح عبدك وخليفتك القادر بالله. ثم أرضوا وجوههم وأكابرهم، وأخذت البيعة له، واتفقت الكلمة، وأمر بهاء الدولة بتحويل جميع ما في دار الخلافة من الأواني، والأثاث، وغيره، إلى داره، وأبيحت للعامة والخاصة، فقلعوا وشعثوا أبنيتها، هذا والخليفة القادر قد هرب إلى أرض البطيحة من الطائع، حين كان يطلبه، ولما رجع إلى بغداد، منعته الديلم من الدخول إليها، حتى يعطيهم رسم البيعة، وجرت بينهم خطوب طويلة، ثم رضوا عنه، ودخل بغداد، وكان يوما مشهودا وكانت مدة هربه إلى أرض البطيحة ثلاث سنين. ولما دخل بغداد، جلس في اليوم الثاني جلوسا عاماً إلى التهنئة وسماع المدائح، والقصائد فيه، وذلك في العشر الأخير من شوال، ثم خلع على بهاء الدولة، وفوض إليه ما وراء بابه، وكان الخليفة القادر بالله من خيار الخلفاء، وسادات العلماء في ذلك الزمان، وكان كثير الصدقة، حسن الاعتقاد، وصنف قصيدة فيها فضائل الصحابة، وغير ذلك، فكانت تقرأ في حلق أصحاب الحديث، كل جمعة في جامع المهدي، تجتمع الناس لسماعها مدة خلافته، وكان ينشد هذه الأبيات يترنم بها وهي لسابق البربري :

سبقَ القضاءُ بكُلِّ مَا هو كائنُ ... والله يـا هـذا لـرزْقُكَ ضامنُ
تُعنى بمـا تُكفى وتتركُ مـا بهِ ... تُعنى كأنّك للحوادثِ آمنُ
أو ما ترى الدنيا ومصرعَ أهلهـا ؟ ... فاعمـلْ ليـوم فراقها يا خائنُ
واعلم بأنّك لا أبَا لكَ في الـذي ... أصبحتَ تجمعُهُ لِغَيْرِكَ خـازنُ
يا عـامَرَ الدنيا أتعـمرُ منـزلاً ... لم يبقَ فيه مَع المنيـةِ سـاكنُ
الموتُ شـيءٌ أنتَ تعـلمُ أنّهُ ... حقٌ وأنتَ بـذكره متهـاونُ
إنّ المنيـةَ لا تؤامرُ مـَنْ أتَتْ ... في نَفْسِه يـومًا ولا تستأذنُ

---

(١) الرواق : البهو الذى يستقبل فيه السلطان الناس .
(٢) الكائنة : الحادثة .

وفي اليوم الثالث عشر من ذي الحجة ــ وهو يوم غدير خم ــ جرت فتنة بين الروافض، والسنة، واقتتلوا، فقتل منهم خلق كثير، واستظهر أهل باب البصرة، وحرقوا أعلام السلطان، فقتل جماعة اتهموا بفعل ذلك، وصلبوا على القناطر، ليرتدع أمثالهم. وفيها: ظهر أبو الفتوح الحسين بن جعفر العلوي أمير مكة، وادعى أنه خليفة، وسمى نفسه الراشد بالله، فمالأه أهل مكة، وحصل له أموال من رجل أوصى له بها، فانتظم أمره بها، وتقلد سيفا، وزعم أنه ذو الفقار، وأخذ بيده قضيبا، زعم أنه كان لرسول الله ﷺ ، ثم قصد بلاد الرملة، ليستعين بعرب الشام، فتلقوه بالرحب، وقبّلوا له الأرض، وسلموا عليه بأمير المؤمنين، وأظهر الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود . ثم إن الحاكم صاحب مصر ــ وكان قد قام بالأمر من بعد أبيه العزيز في هذه السنة ــ بعث إلى عرب الشام بملطفات ووعدهم من الذهب بألوف ومئات، وكذلك إلى عرب الحجاز، واستناب على مكة أميرا، وبعث إليه بخمسين ألف دينار، فانتظم أمر الحاكم، وتمزق أمر الراشد، وانسحب إلى بلاده، كما بدأ منها، وعاد إليها كما خرج عنها، واضمحل حاله، وانتقضت حباله، وتفرق عنه رجاله .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن الحسن بن مهران

أبو بكر المقري، توفي في شوال منها عن ست وثمانين سنة، واتفق له أنه مات في يوم وفاته أبو الحسن العامري الفيلسوف، فرأى بعض الصالحين أحمد بن الحسن بن مهران هذا في المنام، فقيل له: أي شيء فعل الله بك ؟ فقال: أقام أبا الحسن العامري إلى جانبي، وقال: هذا فداؤك من النار .

عبد الله بن أحمد بن معروف

أبو محمد قاضي قضاة بغداد، روى عن ابن صاعد، وعنه الخلال، والأزهري، وغيرهما، وكان من العلماء الثقات، العقلاء، الفطناء حسن الشكل، جميل اللبس، عفيفاً عن الأموال، توفي عن خمس وسبعين سنة، وصلى عليه أبو أحمد الموسوي، فكبّر عليه خمساً، ثم صلى عليه ابنه بجامع المنصور، فكبر عليه أربعاً، ثم دفن في داره سامحه الله .

جوهر بن عبد الله

القائد باني القاهرة، أصله أرمني، أخذ مصر بعد موت كافور الأخشيدي، أرسله مولاه العزيز الفاطمي إليها في ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، فوصل إليها في شعبان منها، في مائة ألف مقاتل، ومعه من الأموال ألف ومائتي صندوق، لينفقه في عمارة القاهرة فبرزوا لقتاله، فكسرهم، وجدد الأمان لأهلها، ودخلها يوم الثلاثاء لثماني عشرة خلت من شعبان، فشق مصر، ونزل في مكان القاهرة اليوم، وأسس من ليلته القصرين، وخطب يوم الجمعة الآتية لمولاه

وقطع خطبة بني العباس، وذكر في خطبته الأئمة الاثني عشر، وأمر فأذن بحي على خير العمل، وكان يظهر الإحسان إلى الناس، ويجلس كل يوم سبت مع الوزير بن الفرات والقاضي، واجتهد في تكميل القاهرة. وفرغ من جامعها الأزهر سريعاً، وخطب به في سنة إحدى وستين، وهو الذي يقال له : الجامع الأزهر، ثم أرسل جعفر بن فلاح إلى الشام، فأخذها، ثم قدم مولاه المعز في سنة اثنتين وستين كما تقدم، فنــزل بالقصرين ولم تزل منــزلته عالية عنده، إلى أن مات في هذه السنة، وقام مكانه الحسين، الذي كان يقال له : قائد القواد، وهو أكبر أمراء الحاكم، ثم كان قتله على يديه في سنة إحدى وأربعمائة، وقتل معه صهره وزوج أخته : القاضي عبد العزيز ابن النعمان، وأظن هذا القاضي هو الذي صنف البلاغ الأكبر، والناموس الأعظم، الذي فيه من الكفر، ما لم يصل إبليس إلى مثله، وقد رد على هذا الكتاب أبو بكر الباقلاني، رحمه الله .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة

في عاشر محرمها : أمر الوزير أبو الحسين على بن محمد الكوكبي ــ ويعرف بابن المعلم. وكان قد استحوذ على السلطان ــ أهل الكرخ، وباب الطاق من الرافضة، بأن لا يفعلوا شيئاً من تلك البدع، التي كانوا يتعاطونها في عاشوراء: من تعليق المسوح، وتغليق الأسواق، والنياحة على الحسين، فلم يفعلوا شيئاً من ذلك ولله الحمد. وقد كان هذا الرجل من أهل السنة، إلا أنه كان طماعاً، رسم أن لا يقبل أحداً من الشهود، ممن أحدثت عدالته بعد ابن معروف، وكان كثيراً منهم قد بذل أموالاً جزيلة في ذلك، فاحتاجوا إلى أن جمعوا له شيئاً فوقّع لهم بالاستمرار، ولما كان في جمادى الآخرة سعت الديلم، والترك على ابن المعلم هذا، وخرجوا بخيامهم إلى باب الشماسية، وراسلوا بهاء الدولة ليسلمه إليهم، لسوء معاملته لهم، فدافع عنه مدافعة عظيمة في مرات متعددة ولم يزالوا يراسلونه في أمره، حتى خنقه في حبل، ومات، ودفن بالمخرم. وفي رجب منها سُلم الخليفة الطائع الذي خلع، إلى أمير المؤمنين خليفة الوقت القادر، فأمر بوضعه في حجرة من دار الخلافة، وأمر أن تجرى عليه الأرزاق، والتحف، والألطاف، مما يستعمله الخليفة القادر، من مأكل وملبس، وطيب، وغيره، ووكل به من يحفظه ويخدمه، وكان يتعّنت على القادر في تقلله في المأكل والملبس، فرتب من يخدمه ويحضر له من سائر الأنواع، ولم يزالوا كذلك حتى توفي وهو في السجن. وفي شوال منها، ولد للخليفة القادر ولد ذكر، وهو أبو الفضل محمد بن القادر بالله، وقد ولاه العهد من بعده، وسماه الغالب بالله، فلم يتم له الأمر. وفي هذا الوقت غلت الأسعار ببغداد، حتى بيع رطل الخبز بأربعين درهماً، والجزر بدرهم. وفي ذي القعدة، قدم صاحب الصفراء الأعرابي، والتزم بحراسة الحجاج في ذهابهم وإيابهم، وبشرط أن يخطب للقادر من اليمامة والبحرين إلى الكوفة، فأجيب إلى ذلك، وأطلقت له الخلع والأموال والأواني وغيرها .

وممن توفي فيها من الأعيان ..

محمد بن العباس

ابن محمد بن محمد بن زكريا بن يحيى بن معاذ أبو عمر القزاز المعروف بابن حيوة، سمع البغوي والباغندي وابن صاعد، وخلقاً كثيرا، وانتقد عليه الدارقطني، وسمع منه الأعيان، وكان ثقة ديناً متيقظاً ذا مروءة، وكتب من الكتب الكبار كثيراً بيده، وكانت وفاته في ربيع الآخر منها، وقد قارب التسعين .

أبو أحمد العسكري

الحسن بن عبد الله بن سعيد، أحد الأئمة في اللغة، والأدب، والنحو والنوادر، وله في ذلك تصانيف مفيدة، منها التصحيف، وغيره، وكان الصاحب بن عباد، يود الاجتماع به فسافر إلى عسكر خلفه. حتى اجتمع به، فأكرمه وراسله بالأشعار. توفي فيها وله تسعون سنة. كذا ذكره ابن خلكان. وذكره ابن الجوزي فيمن توفي في سنة سبع وثمانين كما سيأتي .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة

فيها : أمر القادر بالله بعمارة مسجد الحربية وكسوته، وأن يجري مجرى الجوامع في الخطب، وغيرها، وذلك بعد أن استفتى العلماء في جواز ذلك. قال الخطيب البغدادي: أدركت الجمعة، تقام ببغداد في مسجد المدينة، ومسجد الرصافة، ومسجد دار الخلافة، ومسجد براثا، ومسجد قطيعة أم جعفر، ومسجد الحربية. قال: ولم يزل الأمر على هذا، إلى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة، فتعطلت في مسجد براثا. وفي جمادى الأولى فرغ من الجسر الذي بناه بهاء الدولة في مشرعة القطانين، واجتاز عليه هو بنفسه، وقد زين المكان. وفي جمادى الآخرة، شعثت الديالم، والأتراك، في نواحي البلد، لتأخر العطاء عنهم، وغلت الأسعار، وراسلوا بهاء الدولة فأزيحت عللهم .

وفي يوم الخميس الثاني من ذي القعدة . تزوج الخليفة سكينة بنت بهاء الدولة، على صداق مائة ألف دينار، وكان وكيل بهاء الدولة الشريف أبو أحمد الموسوي، ثم توفيت هذه المرأة قبل دخول الخليفة بها. وفيها: ابتاع الوزير أبو نصر سابور بن أزدشير داراً بالكرخ، وجدد عمارتها، ونقل إليها كتبا كثيرة، ووقفها على الفقهاء، وسماها دار العلم. وأظن أن هذه أول مدرسة وقفت على الفقهاء، وكانت قبل النظامية بمدة طويلة. وفيها في أواخرها، ارتفعت الأسعار، وضاق الحال، وجاع العيال . وفيها توفي من الأعيان ...

أحمد بن إبراهيم

ابن الحسن بن شاذان بن حرب بن مهران، أبو بكر البزار، سمع الكثير من البغوي، وابن صاعد، وابن أبي داود ، وابن دريد، وعنه الدارقطني، والبرقاني، والأزهري، وغيرهم، وكان ثبتاً، صحيح السماع، كثير الحديث، متحريا ورعاً. توفي عن خمس وثمانين سنة، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وثلاثمائة

فيها : عظم الخطب بأمر العيارين، وعاثوا ببغداد فسادا، وأخذوا الأموال، والعملات الثقال، ليلا ونهارا، وحرقوا مواضع كثيرة، وأخذوا من الأسواق الجبايات، وتطلبهم الشرط، فلم يفد ذلك شيئا، ولا فكروا في الدولة، بل استمروا على ما هم عليه من أخذ الأموال، وقتل الرجال، وإرعاب النساء والأطفال، في سائر المحال. فلما تفاقم الحال بهم. تطلبهم السلطان بهاء الدولة، وألح في طلبهم، فهربوا بين يديه، واستراح الناس من شرهم. وأظن هذه الحكايات التي يذكرها بعض الناس عن أحمد الدنف عنهم، أو كان منهم. والله أعلم .

وفي ذي القعدة : عزل الشريف الموسوي وولداه عن نقابة الطالبيين. وفيها : رجع ركب العراق من أثناء الطريق بعد ما فاتهم الحج، وذلك أن الأصيفر الأعرابي، الذي كان قد تكفل بحراستهم اعترض لهم في الطريق، وذكر لهم أن الدنانير التي أقطعت له من دار الخلافة كانت دراهم مطلية، وأنه يريد من الحجيج بدلها، وإلا لا يدعهم يتجاوزون هذا المكان، فمانعوه، وراجعوه، فحبسهم عن السير، حتى ضاق الوقت، ولم يبق ما يدركون فيه الحج، فرجعوا إلى بلادهم: ولم يحج منهم أحد، وكذلك ركب الشام وأهل اليمن، لم يحج منهم أحد، وإنما حج أهل مصر والمغرب خاصة. وفي يوم عرفة، قلد الشريف أبو الحسين الزينبي محمد بن علي بن أبي تمام الزينبي نقابة العباسيين، وقرئ عهده بين يدي الخليفة، بحضرة القضاة والأعيان.

وفيها توفي من الأعيان: الصابئ الكاتب المشهور صاحب التصانيف، وهو :

إبراهيم بن هلال

ابن إبراهيم بن زهرون بن حبون أبو أسحاق الحراني، كاتب الرسائل للخليفة، ولمعز الدولة ابن بويه، كان على دين الصابئة إلى أن مات عليه، وكان مع هذا يصوم رمضان ويقرأ القرآن من حفظه، وكان يحفظه حفظا حسنا، ويستعمل منه في الرسائل، وكانوا يحرصون على أن يسلم فلم يفعل، وله شعر جيد قوي. توفي في شوال منها وقد جاوز السبعين، وقد رثاه الشريف الرضي. وقال: إنما رثيت فضائله. وليس له فضائل ولا هو أهل لها ولا كرامة .

عبد الله بن محمد

ابن نافع بن مكرم أبو العباس البستي الزاهد، ورث من آبائه أموالا كثيرة، فأنفقها كلها في وجوه الخير، والقرب، وكان كثير العبادة، يقال : إنه مكث سبعين سنة لم يستند إلى حائط ولا إلى شيء، ولا اتكأ على وسادة، وحج من نيسابور ماشيا حافيا، ودخل الشام، وأقام ببيت المقدس شهوراً، ثم دخل مصر، وبلاد المغرب، وحج من هناك، ثم رجع إلى بلده بست، وكان له بها بقية أموال وأملاك، فتصدق بها كلها، ولما حضرته الوفاة، جعل يتألم، ويتوجع، فقيل له في ذلك فقال: أرى بين يدي أموراً هائلة، ولا أدري كيف أنجو منها؟. توفي في المحرم من هذه

السنة عن خمس وثمانين سنة، وليلة موته رأت امرأة أمها بعد موتها، وعليها ثياب حسان وزينة، فقالت: يا أمه ما هذه الزينة؟ فقالت: نحن في عيد لأجل قدوم عبيد الله بن محمد الزاهد البستي علينا . رحمه الله تعالى .

على بن عيسى بن عبد الله

أبو الحسن النحوي، المعروف بالرماني، روى عن ابن دريد، وكانت له يد طولى في النحو واللغة والمنطق والكلام، وله تفسير كبير، وشهد عند ابن معروف، فقبله، وروى عنه التنوخي، والجوهري، قال ابن خلكان: والرماني نسبة إلى بيع الرمان بواسط. توفي عن ثمان وثمانين سنة، ودفن في الشونيزية، عند قبر أبي علي الفارسي .

محمد بن العباس بن أحمد بن القزّاز

أبو الحسن الكاتب، المحدث. الثقة المأمون. قال الخطيب: كان ثقة، كتب الكثير، وجمع ما لم يجمعه أحد في وقته، بلغني أنه كتب مائة تاريخ، وخلف ثمانية عشر صندوقا مملوءة كتبا، أكثرها بخطه، سوي ما سرق له، وكان حفظه في غاية الصحة، ومع هذا كان له جارية تعارض معه ــ أي تقابل ما يكتبه ــ رحمه الله تعالى .

محمد بن عمران موسى بن عبيد الله

أبو عبد الله الكاتب المعروف بابن المرزبان، روى عن البغوي، وابن دريد، وغيرهما، وكان صاحب اختيار، وآداب وصنف كتبا كثيرة في فنون مستحسنة، وهو مصنف كتاب (تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب)، وكان مشايخه، وغيرهم، يحضرون عنده، ويبيتون في داره على فرش وأطعمة، وغير ذلك، وكان عضد الدولة إذا اجتاز بداره، لا يجوز حتى يسلم عليه، وكان يقف. حتى يخرج إليه، وكان أبو علي الفارسي، يقول عنه: هو من محاسن الدنيا. وقال العقيقي: كان ثقة. وقال الأزهري: ما كان ثقة. وقال ابن الجوزي: ما كان من الكذابين، وإنما كان فيه تشيع، واعتزال، ويخلط السماع بالإجازة وبلغ الثمانين سنة رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثلاثمائة

فيها استوزر ابن ركن الدولة بن بويه أبا العباس أحمد بن إبراهيم الضبي، الملقب بالكافي، وذلك بعد وفاة الصاحب إسماعيل بن عباد، وكان من مشاهير الوزراء. وفيها: قبض بهاء الدولة على القاضي عبد الجبار، وصادره بأموال جزيلة، فكان من جملة ما بيع له في المصادرة ألف طيلسان وألف ثوب معدني، ولم يحج في هذه السنة، وما قبلها، وما بعدها، ركب العراق، والخطبة في الحرمين للفاطميين .

ومن توفي فيها من الأعيان ...

الصاحب بن عباد

وهو إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقاني : أبو القاسم الوزير المشهور بكافي الكفاة، وزر لمؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، وقد كان من العلم، والفضيلة، والبراعة، والكرم، والإحسان إلى العلماء، والفقراء، على جانب عظيم، كان يبعث في كل سنة إلى بغداد بخمسة آلاف دينار، لتصرف على أهل العلم، وله اليد الطولى في الأدب، وله مصنفات في فنون العلم، واقتنى كتبا كثيرة، وكانت تحمل على أربعمائة بعير، ولم يكن في وزراء بني بويه مثله، ولا قريب منه، في مجموع فضائله، وقد كانت دولة بني بويه مائة وعشرين سنة وأشهراً، وفتح خمسين قلعة لمخدومه مؤيد الدولة، وابنه فخر الدولة، بصرامته، وحسن تدبيره، وجودة رأيه، وكان يحب العلوم الشرعية، ويبغض الفلسفة، وما شابهها من علم الكلام، والآراء البدعية، وقد مرض مرة بالإسهال، فكان كلما قام عن المطهرة، وضع عندها عشرة دنانير، لئلا يتبرم به الفراشون، فكانوا يتمنون لو طالت علته، ولما عوفي، أباح للفقراء نهب داره، وكان فيها ما يساوي نحواً من خمسين ألف دينار من الذهب، وقد سمع الحديث من المشايخ الجياد، العوالي الإسناد، وعقد له في وقت مجلس للإملاء، فاحتفل الناس لحضوره، وحضره وجوه الأمراء، فلما خرج إليه، لبس زي الفقهاء، وأشهد على نفسه بالتوبة والإنابة مما يعانيه من أمور السلطان، وذكر للناس أنه كان يأكل من حين نشأ إلى يومه هذا من أموال أبيه، وجده، مما ورثه منهم، ولكن كان يخالط السلطان، وهو تائب مما يمارسونه، واتخذ بناء في داره، سماه بيت التوبة، ووضع العلماء خطوطهم بصحة توبته، وحين حدث استملى عليه جماعة، لكثرة مجلسه، فكان في جملة من يكتب عنه ذلك اليوم، القاضي عبد الجبار الهمداني، وأضرابه من رءوس الفضلاء، وسادات الفقهاء، والمحدثين، وقد بعث إليه قاضي قزوين بهدية كتب سنية، وكتب معها :

العميديُّ عبدُ كافي الكفـــاة ... وإنّه العقلُ في وجـوه القضاة
خَدَمَ المجلسَ الرفيعَ بكتبٍ ... مُنعماتٍ مِنْ حُسْنِها مُترعاتِ[1]

فلما وصلت إليه، أخذ منها كتابا واحدا، ورد باقيها، وكتب تحت البيتين.

قَدْ قَبِلْنَا مِنَ الجميعِ كِتَاباً ... وَرَدَدْنَا لِوَقْتِها الباقياتِ
لستُ أستغنمُ الكثيرَ وَطَبْعِي ... قولُ: خذْ، ليسَ مذهبي قولُ : هاتِ

وجلس مرة في مجلس شراب، فناوله الساقي كأسا، فلما أراد شربها، قال له بعض خدمه: إن هذا الذي في يدك مسموم. قال: وما الشاهد على صحة قولك؟ قال: تجربه. قال: فيمن؟ قال: في الساقي. قال: ويحك، لا أستحل ذلك. قال: ففي دجاجة. قال: إن التمثيل بالحيوان لا

(١) مُترعات : مُمتلئات .

يجوز. ثم أمر بصب مافي ذلك القدح، وقال للساقي: لا تدخل بعد اليوم داري، ولم يقطع عنه معلومه. وقد عمل عليه الوزير أبو الفتح بن ذي الكفايتين حتى عزله عن وزارة مؤيد الدولة في وقت وباشرها عوضه، واستمر فيها مدة. فبينما هو ذات ليلة قد اجتمع عنده أصحابه، وهو في أتم السرور، قد هيئ له في مجلس حافل بأنواع اللذات، وقد نظم أبياتاً، والمغنون يغنونه بها، وهو في غاية الطرب، والسرور، والفرح، وهي هذه الأبيات :

دعوتُ الهَنَا ودعــــوتُ العُـــلاَ   فلمّا أجـــابَا دعـــــوتُ القدحْ

وقلتُ لأيامِ شــــــرخ الشبـــا   ب : إليّ فهـــذا أوانُ الفــــــرحْ

إذا بلـــغَ المـــــــرءُ آمــــالَهُ   فليْسَ لَهُ بَعْدَهــــا مُنْتـــزَحْ

ثم قال لأصحابه: باكروني غدا إلى الصبوح. ونهض إلى بيت منامه، فما أصبح حتى قبض عليه مؤيد الدولة، وأخذ جميع ما في داره من الحواصل، والأموال، وجعله مثلة في العباد، وأعاد إلى وزارته ابن عباد. وقد ذكر ابن الجوزي : أن ابن عباد، هذا حين حضرته الوفاة جاءه الملك فخر الدولة بن مؤيد الدولة، يعوده، ليوصيه في أموره، فقال له: إني موصيك أن تستمر في الأمور على ما تركتها عليه، ولاتغيرها، فإنك إن استمريت بها نسبت إليك من أول الأمر إلى آخره، وإن غيرتها، وسلكت غيرها، نسب الخير المتقدم إليّ لا إليك، وأنا أحب أن تكون نسبة الخير إليك، وإن كنت أنا المشير بها عليك فأعجبته ذلك منه، واستمر بما أوصاه به من الخير، وكانت وفاته في عشية يوم الجمعة لست بقين من صفر منها. قال ابن خلكان: وهو أول من تسمى من الوزراء بالصاحب، ثم استعمل بعده منهم، وإنما سمي بذلك، لكثرة صحبته الوزير أبا الفضل بن العميد، ثم أطلق عليه أيام وزارته. وقال الصابئ في كتابه الناجي: إنما سماه الصاحب مؤيد الدولة، لأنه كان صاحبه من الصغر، وكان إذ ذاك يسميه الصاحب، فلما ملك، واستوزره، سماه به، واستمر، فاشتهر به، وسمي به الوزراء بعده، ثم ذكر ابن خلكان : قطعة صالحة من مكارمه، وفضائله، وثناء الناس عليه، وعدد له مصنفات كثيرة، منها كتابه " المحيط في اللغة " في سبع مجلدات، يحتوي على أكثر اللغة وأورد من شعره أشياء منها في الخمر :

رقَّ الزجاجُ وراقـــــتْ الخمـــرُ   وتـــشــــابَها فتشاكلَ الأمـــرُ

فــكـــأنمّـــا خـــمرٌ ولا قـــــدحٌ   وكـــأنمّـــا قـــدحُ ولاخـــمـــرُ

قال ابن خلكان : توفي بالري في هذه السنة، وله نحو ستين سنة ونقل إلى أصبهان، رحمه الله.

الحسن بن حامد

أبو محمد الأديب، كان شاعرا متجولا كثير المكارم، روى عن علي بن محمد بن سعيد الموصلي وعنه الصوري، وكان صدوقا. وهو الذي أنزل المتنبي داره، حين قدم بغداد، وأحسن إليه، حتى قال له المتنبي: لو كنت مادحاً تاجراً لمدحتك، وقد كان أبو محمد هذا شاعراً ماهراً، فمن شعره الجيد قوله :

شـــربتُ المعالي غيرَ منـــتظرٍ بها كساداً ولا سوقاً يقامُ لها أحرى
وما أنا مِنْ أهلِ المكاسبِ ، كلّما توفّرَتِ الأثمانُ كنتُ لها أشرى

ابن شاهين الواعظ

عمر بن أحمد بن عثمان بن محمد بن أيوب بن زذان، أبو حفص بن شاهين المشهور، سمع الكثير، وحدث عن الباغندي، وأبي بكر بن أبي داود، والبغوي، وابن صاعد، وخلق. وكان ثقة أمينا، يسكن الجانب الشرقي من بغداد، وكانت له المصنفات العديدة. ذكر عنه أنه صنف ثلاثمائة وثلاثين مصنفا، منها التفسير في ألف جزء، «والمسند» في ألف وخمسمائة جزء، « والتاريخ » في مائة وخمسين جزءا، « والزهد » في مائة جزء. توفي في ذي الحجة منها، وقد قارب التسعين، رحمه الله .

الحافظ الدارقطني

علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن دينار بن عبد الله الحافظ الكبير، أستاذ هذه الصناعة، وقبله بمدة وبعده إلى زماننا هذا، سمع الكثير، وجمع، وصنف، وألف، وأجاد، وأفاد، وأحسن النظر، والتعليل، والانتقاد، والاعتقاد، وكان فريد عصره، ونسيج وحده، وإمام دهره، في أسماء الرجال، وصناعة التعليل، والجرح والتعديل، وحسن التصنيف، والتأليف، واتساع الرواية، والاطلاع التام في الدراية، له كتاب السنن الكبير المشهور من أحسن المصنفات في بابه، لم يسبق إلى مثله، ولا يخلق في شكله، إلا من استمد من بحره، وعمل كعمله، وله كتاب « العلل » بين فيه الصواب من الدخل، والمتصل من المرسل، والمنقطع، والمعضل، وكتاب « الإفراد » ، الذي لا يفهمه، فضلا عن أن ينظمه، إلا من هو من الحفاظ الأفراد، والأئمة النقاد، والجهابذة [1] الجياد، وله غير ذلك من المصنفات، التي هي كالعقود في الأجياد، وكان من صغره موصوفا بالحفظ الباهر، والفهم الثاقب، والبحر الزاخر، جلس مرة في مجلس إسماعيل الصفار، وهو يملي على الناس الأحاديث، والدارقطني ينسخ في جزء حديث، فقال له بعض المحدثين في أثناء المجلس: إن سماعك لا يصح، وأنت تنسخ. فقال الدارقطني: فهمي للإملاء خلاف فهمك وأحضر. ثم قال له ذلك الرجل: أتحفظ كم أملى حديثا؟ فقال: إنه أملى ثمانية عشر حديثا إلى الآن، والحديث الأول منها عن فلان عن فلان ثم ساقها كلها، بأسانيدها، وألفاظها، لم يخرم منها شيئا، فتعجب الناس منه. وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري: لم ير الدارقطني مثل نفسه. وقال ابن الجوزي: وقد اجتمع له مع معرفة الحديث، والعلم بالقراءة، والنحو، والفقه والشعر، مع الإمامة، والعدالة، وصحة العقيدة، وقد كانت وفاته في يوم الثلاثاء،

---

(١) الجهابذة : المتبحرين من العلماء .

السابع من ذي القعدة منها، وله من العمر سبع وسبعون سنة ويومان، ودفن من الغد، بمقبرة معروف الكرخي. رحمه الله .

قال ابن خلكان: وقد رحل إلى الديار المصرية، فأكرمه أبو الفضل جعفر بن حنْزابة، وزير كافور الأخشيدي، وساعده هو، والحافظ عبد الغني على إكمال مسنده، وحصل للدارقطني منه: مال جزيل. قال: والدارقطني نسبة إلى دار القطن، وهي محلة كبيرة ببغداد. وقال عبد الغني ابن سعيد الضرير: لم يتكلم على الأحاديث، مثل علي بن المديني في زمانه، وموسى بن هارون في زمانه، والدارقطني في زمانه. وسئل الدارقطني: هل رأي مثل نفسه؟ قال: أما في فن واحد فربما رأيت من هو أفضل مني، وأما فيما اجتمع لي من الفنون فلا. وقد روى الخطيب البغدادي، عن الأمير أبي نصر هبة الله بن ماكولا : قال: رأيت في المنام، كأني أسأل عن حال أبي الحسن الدارقطني، وما آل أمره إليه في الآخرة، فقيل لي: ذاك يدعي في الجنة الإمام .

عباد بن عباس بن عباد

أبو الحسن الطالقاني، ولد الوزير إسماعيل بن عباد المتقدم ذكره، سمع أبا خليفة الفضل بن الحباب، وغيره من البغداديين، والأصفهانيين، والرازيين، وغيرهم، وحدث عنه ابنه الوزير أبو الفضل القاسم، وأبو بكر بن مردويه، ولعباد هذا، كتاب في أحكام القرآن، وقد اتفق موته، وموت ابنه، في هذه السنة، رحمهما الله .

عقيل بن محمد بن عبد الواحد

أبو الحسن الأحنف العكبري الشاعر المشهور، له ديوان مفرد، ومن مستجاد شعره ما ذكره ابن الجوزي في منتظمه قوله :

أقضــــي علــىّ مـــــن الأجــل ... عـــــذلُ العــــذولِ إذا عَـــــذَلْ
وأشـــــدُّ من عــذلِ العـــــذولِ ... صــدود إلـــــفٍ قـــدْ وصــلْ
وأشـــــــدُّ مـــــنْ هـــــذا وذا ... طلـــبُ النـــوالِ مـــن السفـــــلْ

وقوله:

مَـــــنْ أرادَ العـــــزّ والـــــرا ... حـــــةَ مـــــن هَـــــمّ طويلِ
فليكـــنْ فـــــرداً من النـــــا ... سِ ويــرضـــــى بالقليـــــلِ
ويـــــــرى أنّ سَـــــيْرى ... كـــــافياً غـــــيرَ قليـــــلِ
ويـــــرى بالحـــــزم أنّ الـــحَزْ ... مَ تـــــــركُ الفضـــــولِ
ويـــــداوي مــــــرضَ الــو ... حـــــدَةِ بالصـــــبرِ الجمـيلِ

لا يُمـــاري أحـــدًا مـــا	عــاش في قـــالٍ وقيــلِ
يــلزمُ الصمــتَ فإنّ الصمـ	تَ تـــهذيــبُ العقـــولِ
يـَــذَرُ الكـبرَ لأهــلِ الكِبْـ	ـرِ ويـــرْضَى بالخمـــولِ
أيُّ عيــــشٍ لامــــرئٍ	يصبـــحُ في حـــالٍ ذليــلِ
بَيْن قصـــدِ مـــنْ عــدو	وَ ومُـــداراة جَهُـــولِ
و اعتـــلالٍ مـــن صديــقٍ	وتجنّــى مــن ملــولِ
واحتــراسٍ مــنْ ظُنُــونِ السو	ءِ مـــع عَـــذْلِ العـذولِ
وممـــاشـــاةِ بَغيــضٍ	ومـــُدَانَـــاةِ ثقــيلِ
أُفٍّ مــنْ معـــرفةِ النـــا	سِ علـــى كـــلِّ سبيــلِ
وتمـــامُ الأمـــرِ لا يعـ	ـرفُ سَــمْحًا مــنْ بخـيلِ
فإذا أكْمَـــلَ هـــذا كا	نَ في ظـــلٍّ ظليـــلِ

محمد بن عبد الله بن سكرة

أبو الحسين الهاشمي، من ولد علي بن المهدي، كان شاعراً خليعاً ظريفا، وكان ينوب في نقابة الهاشميين. فترافع إليه رجل اسمه علي، وامرأة اسمها عائشة، يتحاكمان في جمل، فقال: هذه قضية لا أحكم فيها بشيء، لئلا يعود الحال خدعة. ومن مستجاد شعره ولطيف قوله:

في وجهِ إنســانية كُلِّفْــتُ بـــها	أربعـــةُ ما اجتمعـــنَ في أحــدِ
الوجــهُ بــدرٌ والصُّـــدْغُ غَالِيةٌ	والريـــقُ خمرٌ ، والثغرُ مـــن بـــردِ

وله في قوله ــ وقد دخل حماما ــ فسرق نعليه ــ فعاد إلى منــزله حافيا، فقال:

إليكَ أذُمُّ حـــمَّامَ ابـــنِ موســى	وَإِنْ فـــاقَ الـــمنى طيبـــًا وحـــرًّا
تكاثــرتِ اللصـــوصُ علـــيه حتى	ليحفـــى مَـــنْ يطيفُ به ويَـــعْرَى
ولم أفقـــدْ به ثـــوبًا ولكـــنْ	دخلتُ محمـــدًا وخرجـــتُ بشـــرا

يوسف بن عمر بن مسرور

أبو الفتح القواس، سمع البغوي، وابن أبي داود، وابن صاعد، وغيرهم. وعنه الخلال، والعشاري والبغدادي، والتنوخي، وغيرهم، وكان ثقة ثبتا، يعد من الأبدال. قال الدارقطني:

كنا نتبرك به وهو صغير. توفي لثلاث بقين من ربيع الآخر، عن خمس وثمانين سنة، ودفن بباب حرب.

يوسف بن أبي سعيد

السيرافي أبو محمد النحوي، وهو الذي تمم شرح أبيه لكتاب سيبويه، وكان يرجع إلى علم ودين، وكانت وفاته في ربيع الأول منها، عن خمس وخمسين سنة .

ثم دخلت سنة ست وثمانين وثلاثمائة

في محرمها : كشف أهل البصرة عن قبر عتيق، فإذا هم بميت طري، عليه ثيابه، وسيفه، فظنوه الزبير بن العوام، فأخرجوه، وكفنوه، ودفنوه واتخذوا عند قبره مسجدا، ووقف عليه أوقاف كثيرة، وجعل عنده خدام، وقوام، وفراش، وتنوير. وفيها : ملك الحاكم العبيدي بلاد مصر، بعد أبيه العزيز بن المعز الفاطمي، وكان عمره إذ ذاك إحدى عشرة سنة وستة أشهر، وقام بتدبير المملكة أرجوان الخادم وأمين الدولة الحسن بن عمارة، فلما تمكن الحاكم قتلهما، وأقام غيرهما، ثم قتل خلقا حتى استقام له الأمر على ما سنذكره. وحج بالناس الأمير الذي من جهة المصريين، والخطبة لهم .

وفيها توفي من الأعيان ...

أحمد بن إبراهيم

ابن محمد بن يحيي بن سحنويه أبو حامد بن إسحاق المزكي النيسابوري، سمع الأصم، وطبقته، وكان كثير العبادة، من صغره إلى كبره، وصام في عمره سرداً تسعا وعشرين سنة، وقال الحاكم: وعندي أن الملائكة لم تكتب عليه خطيئة، توفي في شعبان منها، عن ثلاث وستين سنة.

أبو طالب المكي

صاحب (قوت القلوب) ، محمد بن علي بن عطية أبو طالب المكي الواعظ المذكر، الزاهد المتعبد، الرجل الصالح، سمع الحديث، وروى عن غير واحد. قال العتيقي: كان رجلا صالحا، مجتهدا في العبادة، وصنف كتابا سماه قوت القلوب، وذكر فيه أحاديث لا أصل لها، وكان يعظ الناس في جامع بغداد، وحكى ابن الجوزي : أن أصله من الجبل، وأنه نشأ بمكة، وأنه دخل البصرة، بعد وفاة أبي الحسن بن سالم، فانتمى إلى مقالته، ودخل بغداد، فاجتمع عليه الناس، وعقد له مجلس الوعظ بها، فغلط في كلام، وحفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوقين أضر من الخالق. فبّدعه الناس، وهجروه، وامتنع من الكلام على الناس. وقد كان أبو طالب هذا يبيح السماع، فدعا عليه عبد الصمد بن علي، ودخل عليه، فعاتبه على ذلك، فأنشد أبو طالب :

فيا ليلُ كَم فيكَ مِنْ مُتْعَبٍ ... ويا صبحُ ليتَكَ لم تَقْرُبِ

فخرج عبد الصمد مغضبا. وقال أبو القاسم بن بشران: دخلت على شيخنا أبي طالب المكي، وهو يموت، فقلت له: أوص. فقال: إذا ختم لي بخير، فانثر على جنازتي لوزا وسكراً،

فقلت: كيف أعلم بذلك؟ فقال: اجلس عندي، ويدك في يدي، فإن قبضت على يدك، فاعلم أنه قد ختم لي بخير. قال: ففعلت، فلما حان فراقه، قبض على يدي قبضاً شديداً، فلما رفع على جنازته، نثرت اللوز والسكر على نعشه. قال ابن الجوزي: توفي في جمادى الآخرة منها، وقبره ظاهر في جامع الرصافة .

العزيز صاحب مصر

نزار بن المعز معد أبي تميم، ويكنى نزار بأبي منصور، ويلقب بالعزيز، توفي عن اثنتين وأربعين سنة منها، وكانت ولايته بعد أبيه إحدى وعشرين سنة، وخمسة أشهر وعشرة أيام، وقام بالأمر من بعده، ولده الحاكم ـــ قبّحه الله ـــ والحاكم هذا، هو الذي ينسب إليه الفرقة الضالة، المضلة الزنادقة، الحاكمية، وإليه ينسب أهل وادي التيم من الدرزية، أتباع هستكر، غلام الحاكم، الذي بعثه إليهم، يدعوهم إلى الكفر المحض، فأجابوه، لعنه الله وإياهم أجمعين، أما العزيز هذا، فإنه كان قد استوزر رجلا نصرانيا، يقال له : عيسى بن نسطورس، وآخر يهوديا اسمه : ميشا، فعز بسببهما أهل هذين الملتين في ذلك الزمان على المسلمين، حتى كتبت إليه امرأة قصة في حاجة لها تقول فيها: بالذي أعز النصارى بعيسى بن نسطورس، واليهود بميشا، وأذل المسلمين بهما لما كشفت ظلامتي. فعند ذلك أمر بالقبض على هذين الرجلين، وأخذ من النصارى ثلاثمائة ألف دينار .

وفيها : توفيت بنت عضد الدولة – امرأة الطائع – فحملت تركتها إلى ابن أخيها بهاء الدولة، وكان فيها جوهر كثير، والله أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثلاثمائة

فيها توفي : فخر الدولة أبو الحسن علي بن ركن الدولة بن بويه، وأقيم ولده رستم في الملك مكانه، وكان عمره أربع سنين، وقام خواص أبيه، بتدبير الملك في الرعايا .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو أحمد العسكري اللغوي .

الحسن بن عبيد الله

ابن سعيد بن أحمد العسكري اللغوي، العلامة في فنه وتصانيفه، المفيد في اللغة وغيرها، يقال : إنه كان يميل إلى الاعتزال، ولما قدم الصاحب بن عباد، هو وفخر الدولة، البلدة التي كان فيها أبو أحمد العسكري ـــ وكان قد كبر وأسن ـــ بعث إليه الصاحب رقعة، فيها هذه الأبيات :

ولما أبيتُمْ أن تَزُورُوا وقلتُمْ ... ضَعُفْنَا فما نَقْوَى على الوحدانِ
أتيناكُمُو مِنْ بَعدِ أرضٍ نزورُكُم ... فكمْ مِنْ منزلٍ بكرٍ لنا وعوانِ
نناشدُكُمُو هل مِنْ قِرىً لِنَزيلكم ... بطولِ جوارٍ لا يَمَلّ حفانِ؟
تضمَّنت بنتَ ابن الرشيدِ كأنَّما ... تعَمّدَ تشبيهي بهِ وَعَنانِي
أَهُمُّ بأمرِ الحزمِ لا استطيعُه ... وقدْ حيلَ بينَ العيرِ والنزوانِ[1]

ثم ركب بغلته، تحاملاً، وصار إلى الصاحب، فوجده مشغولا في خيمته، بأبهة الوزارة، فصعد أكمة ثم نادى بأعلى صوته متمثلا بقول أبي تمام :

ما لي أرىَ القبّةَ الفيحاءَ مقفلَةً ... دوني وقد طالَ ما استفتحتُ مُقْفَلُها
كأنّها جنةُ الفردوسِ معرضة ... وليسَ لي عملُ ذاك فأدْخُلُها

فلما سمع الصاحب صوته ناداه: ادخلها يا أبا أحمد، فلك السابقة الأولى، فلمّا صار إليه، أحسن إليه. توفي في يوم التروية منها. قال ابن خلكان: وكانت ولادته يوم الخميس، لست عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاثة وتسعين ومائتين، وتوفي يوم الجمعة، لسبع خلون من ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة .

عبد الله بن محمد بن عبد الله

ابن إبراهيم بن عبيد الله بن زياد بن مهران، أبو القاسم، الشاعر المعروف بابن الثلاج لأن جده أهدى لبعض الخلفاء ثلجاً، فوقع منه موقعا، فعرف عند الخليفة بالثلاج، وقد سمع أبو القاسم : هذا من البغوي، وابن صاعد، وأبي داود، وحدث عنه التنوخي، والأزهري، والعقيقي، وغيرهم من الحفاظ. قال ابن الجوزي: وقد اتهمه المحدثون : منهم الدارقطني، ونسبوه إلى أنه كان يركب الإسناد، ويضع الحديث على الرجال. توفي في ربيع الأول فجأة .

ابن زولاق

الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي بن خالد بن راشد بن عبيد الله بن سليمان بن زولاق، أبو محمد المصري الحافظ، صنف كتابا في قضاة مصر، ذيل به على كتاب أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي إلى سنة ست وأربعين ومائتين وذيل ابن زولاق من القاضي بكار إلى سنة ست وثمانين وثلاثمائة، وهي أيام محمد بن النعمان قاضي الفاطميين، الذي صنف البلاغ الذي انتصب فيه للرد على القاضي الباقلاني، وهو أخو عبد العزيز بن النعمان، والله أعلم. وكانت وفاته في أواخر ذي القعدة من هذه السنة، عن إحدى وثمانين سنة.

ابن بطة عبيد الله بن محمد

ابن حمدان، أبو عبد الله العكبري، المعروف بابن بطة، أحد علماء الحنابلة، وله التصانيف الكثيرة، الحافلة، في فنون من العلوم، سمع الحديث من البغوي، وأبي بكر النيسابوري، وابن

(١) حيل : منع . العير : النوق وغيرها . النزوان : الوثوب .

صاعد، وخلق في أقاليم متعددة، وعنه جماعة من الحفاظ، منهم أبو الفتح بن أبي الفوارس، والأزجي، والبرمكي، وأثنى عليه غير واحد من الأئمة، وكان ممن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وقد رأى بعضهم رسول الله ﷺفقال: يا رسول الله، قد اختلفت عليّ المذاهب. فقال: عليك بأبي عبد الله بن بطة، فلما أصبح ذهب إليه ليبشره بالمنام، فحين رآه ابن بطة، تبسم إليه، وقال له ــ قبل أن يخاطبه ــ صدق رسول الله ﷺثلاث مرات. وقد تصدى الخطيب البغدادي للكلام في ابن بطة، والطعن عليه، وفيه، بسبب بعض الجرح في ابن بطة، الذي أسنده إلى شيخه عبد الواحد بن علي الأسدي، المعروف بابن برهان اللغوي، فانتدب ابن الجوزي للرد على الخطيب، والطعن عليه أيضاً، بسبب بعض مشايخه، والانتصار لابن بطة، فحكي عن أبي الوفا ابن عقيل أن ابن برهان كان يرى مذهب مرجئة المعتزلة في : أن الكفار لا يخلدون في النار وإنما قالوا : ذلك لأن دوام ذلك إنما هو للتشفي، ولا معنى له هنا، مع أنه قد وصف نفسه بأنه غفور رحيم، وأنه أرحم الراحمين، ثم شرع ابن عقيل يرد على ابن برهان. قال ابن الجوزي: فكيف يقبل الجرح من مثل هذا ؟ ثم روى ابن الجوزي بسنده، عن ابن بطة، أنه سمع المعجم من البغوي، قال: والمثبت مقدم على النافي، قال الخطيب: وحدثني عبد الواحد ابن برهان، قال: ثنا محمد بن أبي الفوارس، روى عن ابن بطة، عن البغوي، عن أبي مصعب، عن مالك عن الزهري عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « **طلب العلم فريضة على كل مسلم**» [1] . قال الخطيب: وهذا باطل من حديث مالك، والحمل فيه على ابن بطة. قال ابن الجوزي: والجواب عن هذا من وجهين: أحدهما: أنه وجد بخط ابن برهان: ماحكاه الخطيب في القدح في ابن بطة، وهو شيخي أخذت عنه العلم في البداية. الثاني: أن ابن برهان قد تقدم القدح فيه، بما خالف فيه الإجماع، فكيف قبلت القول في رجل قد حكيت عن مشايخ العلماء : أنه رجل صالح . مجاب الدعوة؟ نعوذ بالله من الهوى .

علي بن عبد العزيز بن مدرك

أبو الحسن البردعي، روى عن أبي حاتم وغيره، وكان كثير المال، فترك الدنيا، وأقبل على الآخرة فاعتكف في المسجد، وكان كثير الصلاة والعبادة .

فخر الدولة بن بويه

عَليُّ بن ركن الدولة أبي على الحسن بن بويه الديلمى ، ملك بلاد الرّى ونواحيها. وحين مات أخوه مؤيد الدولة كتب إليه الوزير ابن عباد بالإسراع إليه ، فولاّه الملك بعده ، واستوزر

---

(١) صحيح: وقد روى عن جماعة من الصحابة منهم أنس بن مالك ، وعبد الله بن عمر ، وأبو سعيد الخدرى ، وعبد الله بن مسعود ، وعلى بن أبي طالب . وطرق الحديث يقوى بعضها بعضاً . وانظر تحقيق ذلك فى كتاب " تخريج مشكلة الفقر " (٨٦) شيخنا الألبانى رحمه الله .

ابن عباد على ما كان عليه . توفي عن ست وأربعين سنة ، منها مدة ملكه ثلاث عشرة سنة وعشرة أشهر وسبعة عشر يوما. وترك من الأموال شيئاً كثيراً : من الذهب ما يقارب ثلاثة آلاف ألف دينار ، ومن الجواهر نحوًا من خمس عشرة ألف قطعة ، يقارب قيمتها ثلاثة آلاف ألف دينار ذهبياً . وغير ذلك من أواني الذهب زنة ألف ألف دينار ، ومن الفضة زنته ثلاثة آلاف ألف درهم، كلها آنية ومن الثياب ثلاثة آلاف حمل ، وخزانة السلاح ألف حمل ، ومن الفرس ألف وخمسمائة حمل ، ومن الأمتعة مما يليق بالملوك شيئاً كثيراً لا يحصر ، ومع هذا لم يصلوا ليلة موته إلى شيء من المال ولم يحصل له كفن إلا ثوب من المجاورين في المسجد ، واشتغلوا عنه بالملك حتى تمّ لولده رستم من بعده فأنتن الملك، ولم يتمكن أحد من الوصول إليه فربطوه في حبال وجروه على درج القلعة من نتن ريحه، فتقطع ﴿ جَزَاءً وِفَاقاً ﴾ [سورة النبأ: ٢٦].

ابن سمعون الواعظ

محمد بن أحمد بن إسماعيل أبو الحسين بن سمعون الواعظ، أحد الصلحاء والعلماء، كان يقال له : الناطق بالحكمة، روى عن أبي بكر بن داود وطبقته، وكان له يد طولى في الوعظ، والتدقيق في المعاملات ، وكانت له كرامات ، ومكاشفات ، كان يوما يعظ على المنبر، وتحته أبو الفتح بن القواس، وكان من الصالحين المشهورين، فنعس ابن القواس، فأمسك ابن سمعون عن الوعظ، حتى استيقظ، فحين استيقظ، قال ابن سمعون: رأيت رسول الله ﷺ في منامك هذا؟ قال: نعم قال: فلهذا أمسكت عن الوعظ، حتى لا أزعجك عما كنت فيه. وكان لرجل ابنة مريضة مدنفة [١] ، فرأى أبوها رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول له:« اذهب إلى ابن سمعون، ليأتي منـــزلك، فيدعو لابنتك، تبرأ بإذن الله ». فلما أصبح، ذهب إليه فلما رآه نهض، ولبس ثيابه، وخرج مع الرجل، فظن الرجل، أنه يذهب إلى مجلس وعظه، فقال في نفسه: أقول : له في أثناء الطريق فلما مر بدار الرجل، دخل إليها، فأحضر إليه ابنته، فدعا لها، وانصرف فبرأت من ساعتها : وبعث إليه الخليفة الطائع لله، من أحضره إليه، وهو مغضب عليه، فخيف على ابن سمعون منه، فلما جلس بين يديه، أخذ في الوعظ، وكان أكثر ما أورده من كلام علي بن أبي طالب، فبكى الخليفة حتى سمع نشيجه [٢] ، ثم خرج من بين يديه، وهو مكرم، فقيل للخليفة: رأيناك طلبته وأنت غضبان، فقال: بلغني أنه ينتقص عليًّا، فأردت أن أعاقبه، فلما حضر، أكثر من ذكر علي، فعلمت أنه موفق، فذكرني، وشفي ما كان في خاطري عليه. ورأى بعضهم في المنام رسول الله ﷺ ، وإلي جانبه عيسى بن مريم عليه السلام، وهو يقول: أليس من أمتي الأحبار؟، أليس من أمتي الرهبان ؟. أليس من أمتي أصحاب الصوامع؟. فبينا هما كذلك إذ دخل ابن سمعون، فقال رسول الله ﷺ : أفي أمتك مثل هذا ؟ . فسكت عيسى عليه الصلاة

---

(١) المرض الملازم .

(٢) صوت البكاء من غير انتحاب،اللسان (نشج).

والسلام. ولد ابن سمعون في سنة ثلاثمائة، وتوفي يوم الخميس الرابع عشر من ذي القعدة، في هذه السنة، ودفن بداره. قال ابن الجوزي: ثم أخرج بعد سنتين إلى مقبرة أحمد بن حنبل، وأكفانه لم تبل، رحمه الله .

آخر ملوك السامانية نوح بن منصور

ابن نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل، أبو القاسم الساماني، ملك خراسان، وغزنة، وما وراء النهر، ولي الملك وعمره ثلاث عشرة سنة، واستمر في الملك إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر، ثم قبض عليه خواصه ، وأجلسوا مكانه أخاه عبد الملك فقصدهم محمود بن سبكتكين فانتزع الملك من أيديهم، وقد كان لهم في الملك مائة وستين سنة، فباد ملكهم في هذا العام، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

أبو الطيب سهل بن محمدر

ابن سليمان بن محمد بن سليمان الصعلوكي الفقيه الشافعي إمام أهل نيسابور، وشيخ تلك الناحية، كان يحضر مجلسه خمسمائة محبرة، وكانت وفاته في هذه السنة على المشهور. وقال الحافظ أبو يعلي الخليلي في الإرشاد: مات في سنة ستين وأربعمائة فالله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة

قال ابن الجوزي: في ذي الحجة منها سقط في بغداد برد عظيم، بحيث جمد الماء في الحمامات، وبول الدواب في الطرقات. وفيها: جاءت رسل أبي طالب بن فخر الدولة في البيعة له فبايعه الخليفة وأمره على بلاد الري ولقبه مجد الدولة كهف الأمة، وبعث إليه بالخلع والألوية، وكذلك فعل ببدر بن حسنويه ولقبه ناصر الدين والدولة، وكان كثير الصدقات. وفيها: هرب أبو عبد الله بن جعفر المعروف بابن الوثاب، المنتسب إلى جده الطائع، من السجن بدار الخلافة، إلى البطيحة، فآواه صاحبها مهذب الدولة، ثم أرسل القادر بالله في أمره فجيء به مضيقا عليه فاعتقله، ثم هرب من الاعتقال أيضا. فذهب إلى بلاد كيلان فادعى أنه الطائع لله، فصدقوه وبايعوه وأدوا إليه العشر، وغير ذلك من الحقوق، ثم اتفق مجيء بعضهم إلى بغداد فسألوا عن الأمر فإذا ليس له أصل ولا حقيقة، فرجعوا عنه واضمحل أمره وفسد حاله، فانهزم عنهم، وحج بالناس فيها أمير المصريين، والخطبة بالحرمين للحاكم العبيدي قبّحه الله .

وممن توفي فيها من الأعيان ...

الخطابي

أبو سليمان حمد ويقال : أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي البستي، أحد المشاهير الأعيان، والفقهاء المجتهدين المكثرين له من المصنفات : معالم السنن وشرح البخاري، وغير ذلك. وله شعر حسن. فمنه قوله :

مادمــتَ حيًا فدارِ الناسَ كُلَّهـم — فــإنّما أنــتَ في دارِ المداراةِ
مَنْ يَدْرِ دَارَى وَمَنْ لم يدرِ سـوفَ — يرى عَمـّا قليـلٍ نَديماً للنداماتِ

توفي بمدينة بست في ربيع الأول من هذه السنة. قاله ابن خلكان .

الحسين بن أحمد بن عبد الله

ابن عبد الرحمن بن بكر أبو عبد الله الصيرفي الحافظ المطبق سمع إسماعيل الصفار ، وابن السماك ، والنجاد، والخلدي، وأبا بكر الشاشي، وعنه ابن شاهين، والأزهري، والتنوخي، وحكى الأزهري أنه دخل عليه، وبين يديه أجزاء كبار، فجعل إذا ساق إسنادا، أورد متنه من حفظه، وإذا سرد متنا، ساق إسناده من حفظه. قال: وفعلت هذا معه مراراً، كل ذلك يورد الحديث، إسنادا، ومتنا، كما في كتابه. قال: وكان ثقة، فحسدوه. وتكلموا فيه. وحكي الخطيب : أن ابن أبي الفوارس، اتهمه بأنه يزيد في سماع الشيوخ، ويلحق رجالا في الأحاديث، ويصل المقاطيع، توفي في ربيع الأول منها عن إحدى وسبعين سنة .

صمصام الدولة

ابن عضد الدولة، صاحب بلاد فارس، خرج عليه ابن عمه أبو نصر بن بختيار، فهرب منه، ولجأ إلى جماعة من الأكراد، فلما وغلوا به في بلادهم، أخذوا ما في خزائنه، وحواصله، ولحقه أصحاب ابن بختيار، فقتلوه، وحملوا رأسه إليه، فلما وضع بين يدي ابن بختيار . قال: هذه سُنَّةٌ سَنَّها أبوك. وكان ذلك في ذي الحجة من هذه السنة، وكان عمره يوم قتل خمسا وثلاثين سنة، ومدة ملكه منها تسع سنين وأشهر .

عبد العزيز بن يوسف الحطان

أبو القاسم : كاتب الإنشاء لعضد الدولة، ثم وزر لابنه بهاء الدولة خمسة أشهر، وكان يقول الشعر. توفي في شعبان منها ...

محمد بن أحمد

ابن إبراهيم أبو الفتح المعروف بغلام الشنبوذي، كان عالما بالقراءات، وتفسيرها، يقال : إنه كان يحفظ خمسين ألف بيت من الشعر شواهد للقرآن، ومع هذا تكلموا فيه وفي روايته عن أبي الحسين بن شنبوذ، وأساء الدارقطني القول فيه. توفي في صفر منها، وولد سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وثلاثمائة

فيها: قصد محمود بن سبكتكين بلاد خراسان، فاستلب ملكها من أيدي السامانية، وواقعهم مرات متعددة، في هذه السنة، وما قبلها، حتى أزال اسمهم، ورسمهم عن البلاد بالكلية،

وانقرضت دولتهم بالكلية، ثم صمد لقتال ملك الترك، بما وراء النهر، وذلك بعد موت الخاقان الكبير، الذي يقال له : فائق، وجرت له معهم حروب، وخطوب، وفيها: استولى بهاء الدولة على بلاد فارس، وخوزستان، وفيها: أرادت الشيعة أن يصنعوا ما كانوا يصنعونه، من الزينة يوم غدير خم، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة فيما يزعمونه، فقاتلهم جهلة آخرون من المنتسبين إلى السنة، فادعوا أن في مثل هذا اليوم حصر النبي ﷺ وأبو بكر في الغار، فامتنعوا من ذلك، وهذا أيضا جهل من هؤلاء، فإن هذا إنما كان أوائل ربيع الأول من أول سني الهجرة، فإنهما أقاما فيه ثلاثا، وحين خرجا منه قصدا المدينة فدخلاها بعد ثمانية أيام أو نحوها، وكان دخولهما المدينة في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، وهذا أمر معلوم مقرر محرر. ولما كانت الشيعة يصنعون في يوم عاشوراء مأتما يظهرون فيه الحزن على الحسين بن علي قابلتهم طائفة أخرى من جهلة أهل السنة، فادعوا أن في اليوم الثاني عشر من المحرم، قتل مصعب بن الزبير، فعملوا له مأتما، كما تعمل الشيعة للحسين، وزاروا قبره، كما يزار قبر الحسين، وهذا من باب مقابلة البدعة ببدعة مثلها، ولا يرفع البدعة إلا السنة الصحيحة. وفيها : وقع برد شديد مع غيم مطبق، وريح قوية، بحيث أتلفت شيئا كثيرا من النخيل ببغداد، فلم يتراجع حملها إلى عادتها إلا بعد سنتين. وفيها: حج بركب العراق الشريفان : الرضي والمرتضي، فاعتقلهما أمير الأعراب ابن الجراح، فافتديا أنفسهما منه بتسعة آلاف دينار من أموالهما، فأطلقهما .

وممن توفي فيها من الأعيان :

زاهر بن عبد الله

ابن أحمد بن محمد بن عيسي السرخسي، المقرئ، الفقية، المحدث، وشيخ عصره بخراسان، قرأ على ابن مجاهد، وتفقه بأبي إسحاق المروزي، إمام الشافعية، وأخذ اللغة، والأدب، والنحو، عن أبي بكر بن الأنباري، توفي في ربيع الآخر، عن ست وتسعين سنة .

عبد الله بن محمد بن إسحاق

ابن سليمان بن مخلد بن إبراهيم بن مروز أبو القاسم المعروف بابن حبابة، روى عن البغوي، وأبي بكر بن أبي داود، وطبقتهما، وكان ثقة مأمونا مسندا، ولد ببغداد سنة تسع وتسعين ومائتين، ومات في جمادى الأولى من هذه السنة، عن تسعين سنة، وصلّى عليه الشيخ أبو حامد الإسفراييني، شيخ الشافعية، ودفن في مقابر جامع المنصور .

ثم دخلت سنة تسعين وثلاثمائة

فيها : ظهر بأرض سجستان، معدن من ذهب، كانوا يحفرون فيه مثل الآبار، ويخرجون منه ذهباً أحمر، وفيها : قتل الأمير أبو نصر بن بختيار، صاحب بلاد فارس، واستولى عليها بهاء الدولة. وفيها : قلد القادر بالله القضاء بواسط، وأعمالها، أبا حازم محمد بن الحسن الواسطي،

وقرئ عهده بدار الخلافة، وكتب له القادر وصية حسنة طويلة، أوردها ابن الجوزي في منتظمه، وفيها مواعظ، وأوامر، ونواهي، حسنة جيدة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد

ابن أبي موسى أبو بكر الهاشمي، الفقيه المالكي، القاضي بالمدائن، وغيرها، وخطب بجامع المنصور، وسمع الكثير، وروى عن الجم الغفير، وعنه الدارقطني الكبير، وكان عفيفا، نزهاً ثقة دينا. توفي في محرم هذه السنة عن خمس وسبعين سنة .

عبيد الله بن عثمان بن يحيى

أبو القاسم الدقاق، ويعرف بابن حنيفا، قال القاضي العلامة أبو يعلى بن الفراء ـــ وهذا جده ـــ وروي باللام لا بالنون ـــ حليفا ـــ وقد سمع الحديث سماعا صحيحاً، وروى عنه الأزهري، وكان ثقة مأمونا، حسن الخلق، ما رأينا مثله في معناه .

الحسين بن محمد بن خلف

ابن الفراء، والد القاضي أبي يعلى، وكان صالحا، فقيها على مذهب أبي حنيفة، أسند الحديث، وروى عنه ابنه أبو حازم محمد بن الحسين .

عبد الله بن أحمد

ابن علي بن أبي طالب البغدادي، نزل مصر، وحدث بها، فسمع منه الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري .

عمر بن إبراهيم

ابن أحمد أبو نصر المعروف بالكتاني المقري، ولد سنة ثلاثمائة، روى عن البغوي، وابن مجاهد، وابن صاعد، وعنه الأزهري، وغيره، وكان ثقة صالحا .

محمد بن عبد الله بن الحسين

ابن عبد الله بن هارون، أبو الحسين الدقاق، المعروف بابن أخي ميمي، سمع البغوي، وغيره، وعنه جماعة، ولم يزل على كبر سنه، يكتب الحديث، إلى أن توفي، وله تسعون سنة، وكان ثقة مأمونا، دينا، فاضلا، حسن الأخلاق، توفي ليلة الجمعة، لثمان وعشرين من شعبان منها .

محمد بن عمر بن يحيى

ابن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الشريف أبو الحسن العلوي، الكوفي، ولد سنة خمس عشرة، وسمع من أبي العباس بن عقدة، وغيره، وسكن بغداد، وكانت له أموال كثيرة، وضياع، ودخل عظيم، وحشمة وافرة، وهمة عالية، وكان مقدما على

الطالبيين في وقته، وقد صادره عضد الدولة في وقت، واستحوذ على جمهور أمواله، وسجنه، ثم أطلقه شرف الدولة بن عضد الدولة، ثم صادره بهاء الدولة بألف ألف دينار، ثم سجنه، ثم أطلقه، واستنابه على بغداد. ويقال : إن غلاته، كانت تساوي في كل سنة ألفي ألف دينار، وله وجاهة كبيرة جداً. ورياسة باذخة .

الأستاذ أبو الفتوح برجوان

الناظر في الأمور بالديار المصرية في الدولة الحاكمية، وإليه تنسب حارة برجوان بالقاهرة، كان أولا من غلمان العزيز بن المعز، ثم صار عند الحاكم نافذ الأمر، مطاعاً، كبيرا في الدولة، ثم أمر بقتله في القصر، فضربه الأمير ريدان ــ الذي تنسب إليه الريدانية خارج باب الفتوح ــ بسكين في بطنه فقتله. وقد ترك شيئا كثيراً من الأثاث والثياب، من ذلك ألف سراويل بيدقي، بألف تكة من حرير، قاله ابن خلكان. وولى الحاكم بعده في منصبه، الأمير حسين ابن القائد جوهر .

الجريري المعروف بابن طرار

اسمه المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد بن حماد بن داود أبو الفرج النهرواني القاضي ــ لأنه ناب في الحكم ــ المعروف بابن طرار الجريري لأنه اشتغل على ابن جرير الطبري، وسلك وراءه في مذهبه، فنسب إليه. سمع الحديث من البغوي، وابن صاعد، وخلق، وروى عنه جماعة، وكان ثقة مأمونا، عالما، فاضلا، كثير الآداب، والتمكن في أصناف العلوم، وله المصنفات الكثيرة منها كتابه المسمى بالجليس والأنيس، فيه فوائد كثيرة جمة، وكان الشيخ أبو محمد الباقلاني أحد أئمة الشافعية يقول: إذا حضر المعافى، حضرت العلوم كلها، ولو أوصى رجل بثلث ماله لأعلم الناس، لوجب أن يصرف إليه. وقال غيره: اجتمع جماعة من الفضلاء، في دار بعض الرؤساء، وفيهم المعافى، فقالوا: هل نتذاكر في فن من العلوم؟ فقال المعافى لصاحب المنــزل ــ وكان عنده كتب كثيرة في خزانة عظيمة ــ : مر غلامك أن يأتي بكتاب من هذه الكتب، أي كتاب كان ؛ نتذاكر فيه. فتعجب الحاضرون من تمكنه، وتبحره في سائر العلوم، وقال الخطيب البغدادي: أنشدنا الشيخ أبو الطيب الطبري، أنشدنا المعافى بن زكريا لنفسه :

ألا قُلْ لمـــــنْ كانَ لي حاســداً ... أتــدري على مَنْ أسأتَ الأدبْ ؟

أســـــأتَ على اللهِ ســـــبحانَهُ ... لأنَّك لا تَرْضَى لِيَ مَـــــا وَهَبْ

فجازاكَ عَنِّــــي بــــــأنْ زَادَني ... وسدَّ عليكَ وَجُـــــوهَ الطَّـــلَبْ

توفي في ذي الحجة من هذه السنة، عن خمس وثمانين سنة، رحمه الله .

ابن فارس

صاحب « المجمل » ، وقيل : إنه توفي في سنة خمس وتسعين كما سيأتي .

أم السلامة

بنت القاضي أبي بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة، أم الفتح، سمعت من محمد بن إسماعيل النصلاني وغيره، وعنها الأزهري، والتنوخي، وأبو يعلى بن الفراء، وغيرهم، وأثنى عليها غير واحد في دينها، وفضلها، وسيادتها، وكان مولدها في رجب من سنة ثمان وتسعين، وتوفيت في رجب أيضا من هذه السنة، عن ثنتين وتسعين سنة، رحمها الله تعالى .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة

فيها : بايع الخليفة القادر بالله، لولده أبي الفضل، بولاية العهد من بعده، وخطب له على المنابر بعد أبيه، ولقب بالغالب بالله، وكان عمره حينئذ ثماني سنين وشهوراً، ولم يتم له ذلك، وكان سبب ذلك، أن رجلا يقال له : عبد الله بن عثمان الواقفي، ذهب إلى بعض الأطراف من بلاد الترك، وادعى أن القادر بالله، جعله ولي العهد من بعده، فخطبوا له هنالك، فلما بلغ القادر أمره. بعث يتطلبه، فهرب في البلاد، وتمزق، ثم أخذه بعض الملوك، فسجنه في قلعة إلى أن مات، فلهذا بادر القادر إلى هذه البيعة. وفي يوم الخميس الثامن عشر من ذي القعدة، ولد الأمير أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله، وهذا هو الذي صارت إليه الخلافة، وهو القائم بأمر الله .

وفيها : قتل الأمير حسام الدولة المقلد بن المسيب العقيلي غيلة، ببلاد الأنبار، وكان قد عظم شأنه بتلك البلاد، ورام المملكة، فجاءه القدر المحتوم، فقتله بعض غلمانه الأتراك، وقام بالأمر من بعده، ولده قرواش. وحج بالناس المصريون .

وفيها توفي من الأعيان :

جعفر بن الفضل بن جعفر

ابن محمد بن الفرات أبو الفضل، المعروف بابن حنـزابة الوزير، ولد سنة ثمان وثلاثمائة ببغداد، ونزل الديار المصرية، ووزر بها للأمير كافور الأخشيدي، وكان أبوه وزيراً للمقتدر، وقد سمع الحديث من محمد بن هارون الحضرمي، وطبقته من البغداديين، وكان قد سمع مجلساً من البغوي، ولم يكن عنده، وكان يقول: من جاءني به أغنيته، وكان له مجلس للإملاء بمصر، وبسببه رحل الدارقطني إلى مصر، فنـزل عنده، وخرّج له مسندا، وحصل له منه مال جزيل، وحدث عنه الدارقطني، وغيره من الأكابر. ومن مستجاد شعره قوله :

مَنْ أخملَ النفسَ أحْيَاها وروَّحَها ... ولم يبتْ طاويًا منها على ضجرِ
إنّ الرِّيَاحَ إذا اشتدتْ عواصفُها ... فليس تَرْمِي سوي العالي من الشجرِ

قال ابن خلكان: كانت وفاته في صفر، وقيل : في ربيع الأول منها، عن ثنتين وثمانين سنة، ودفن بالقرافة، وقيل : بداره، وقيل : إنه كان قد اشترى بالمدينة النبوية داراً، فجعل له فيها تربة، فلما نقل إليها، تلقته الأشراف لإحسانه إليهم، فحملوه، وحجوا به، ووقفوا به بعرفات، ثم أعادوه إلى المدينة، فدفنوه بتربته .

ابن الحجاج الشاعر

الحسين بن أحمد بن الحجاج أبو عبد الله الشاعر الماجن، المقذع في نظمه، يستنكف اللسان عن التلفظ بها، والأذنان عن الاستماع لها، وقد كان أبوه من كبار العمال، وولي هو حسبة بغداد في أيام عز الدولة، فاستخلف عليها نوابا ستة، وتشاغل هو بالشعر السخيف، والرأي الضعيف، إلا أن شعره جيد من حيث اللفظ، وفيه قوة تدل على تمكين واقتدار على سبك المعاني القبيحة، التي هي في غاية الفضيحة، في الألفاظ الفصيحة، وله غير ذلك من الأشعار المستجادة، وقد امتدح مرة صاحب مصر، فبعث إليه بألف دينار. وقول ابن خلكان، بأنه عزل عن حسبة بغداد، بأبي سعيد الأصطخري قول ضعيف لا يسامح بمثله، فإن أبا سعيد توفي في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، فكيف يعزل به ابن الحجاج، وهو لا يمكن ادعاء أن يلي الحسبة بعده أبو سعيد الأصطخري، وابن خلكان قد أرخ وفاة هذا الشاعر : بهذه السنة، ووفاة الأصطخري بما تقدم. وقد جمع الشريف الرضي أشعاره الجيدة على حدة، في ديوان مفرد، ورثاه حين توفي هو وغيره من الشعراء :

عبد العزيز بن أحمد بن الحسن الجزري

القاضي بالحرم، وحريم دار الخلافة، وغير ذلك من الجهات، كان ظاهريا على مذهب داود، وكان لطيفا، تحاكم إليه وكيلان، فبكي أحدهما في أثناء الخصومة، فقال له القاضي: أرني وكالتك فناوله، فقرأها، ثم قال له: لم يجعل إليك أن تبكي عنهم فاستضحك الناس، ونهض الوكيل خجلا .

عيسى ابن الوزير علي بن عيسي

ابن داود بن الجراح، أبو القاسم البغدادي، وكان أبوه من كبار الوزراء، وكتب هو للطائع أيضاً، وسمع الحديث الكثير، وكان صحيح السماع، كثير العلوم، وكان عارفا بالمنطق، وعلم الأوائل، فاتهموه بشيء من مذهب الفلاسفة، ومن جيد شعره قوله :

رُبَّ ميت صـارَ بـالعلـم حيّاً ... ومبقّـىً قـد ماتَ جهـلاً وغيّا

فاقْتَنُوا العـلمَ كي تنالُوا خُلُوداً ... لا تَعُـدُّوا الحيـاةَ في الجهل شيًّا[1]

ولد في سنة اثنتين وثلاثمائة، وتوفي في هذه السنة، عن تسع وثمانين سنة، ودفن في داره ببغداد .

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة

في محرمها : غزا يمين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الهند، فصمد له ملكها جيبال، في جيش عظيم، فاقتتلوا قتالا شديدا، ففتح الله على المسلمين، وانهزمت الهنود، وأسر ملكهم جيبال، وأخذوا من عنقه، قلادة قيمتها ثمانون ألف دينار، وغنم المسلمون منهم أموالا عظيمة

---

(١) شيًّا: أصلها شيئا . وورد كذلك لضرورة الشعر . وقرأ بها الإمام حمزة رحمه الله عند الوقف على لفظة (شيئًا) المنصوبة كما في قوله تعالى: ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ﴾ [الانفطار : ١٩] وأيضاً (شَيًا) بتخفيف الياء.

وفتحوا بلادا كثيرة، ثم إن محمودا سلطان المسلمين، أطلق ملك الهند احتقارا له، واستهانة به، ليراه أهل مملكته، والناس في المذلة، فحين وصل جيبال إلى بلاده، ألقى نفسه في النار، التي يعبدونها من دون الله، فاحترق لعنه الله. وفي ربيع الأول منها، ثارت العوام على النصارى، ببغداد، فنهبوا كنيستهم التي بقطيعة الدقيق، وأحرقوها، فسقطت على خلق، فماتوا، وفيهم جماعة من المسلمين رجال ونساء وصبيان . وفي رمضان منها قوي أمر العيارين، وكثرت العملات، ونهبت بغداد، وانتشرت الفتنة. قال ابن الجوزي: وفي ليلة الاثنين منها، ثالث القعدة، انقض كوكب، أضاء كضوء القمر ليلة التمام، ومضى الشعاع، وبقي جرمه، يتموج نحو ذراعين في ذراعين، في رأي العين، ثم توارى بعد ساعة. وفي هذا الشهر قدم الحجاج من خراسان إلى بغداد، ليسيروا إلى الحجاز، فبلغهم عيث الأعراب في الأرض بالفساد، وأنه لا ناصر لهم، ولا ناظر ينظر في أمرهم، فرجعوا إلى بلادهم، ولم يحج من بلاد المشرق أحد في هذه السنة، وفي يوم عرفة منها، ولد لبهاء الدولة ابنان توأمان، فمات أحدهما بعد سبع سنين، وأقام الآخر حتى قام بالأمر من بعد أبيه، ولقب شرف الدولة، وحج المصريون فيها بالناس .

وممن توفي فيها من الأعيان ..

ابن جنّي

أبو الفتح عثمان بن جنّي الموصلي، النحوي، اللغوي، صاحب التصانيف الفائقة المتداولة في النحو واللغة، وكان جنّي عبدا روميا، مملوكا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي، ومن شعره في ذلك قوله :

فإنْ أُصْبِحَ بلا نسبٍ ... فَعِلْمِيَ في الورى نَسَبِي

على أنّي أءولُ إلى ... قرومٍ سادةٍ نُجُبِ [1]

قياصرةٌ إذا نَطَقُوا ... أرمُّوا الدهرَ ذا الخُطُبِ [2]

أولاك دعاً النبيُّ لهم ... كفى شَرَفاً دُعَاءُ نَبِي

وقد أقام ببغداد، ودرس بها العلم، إلى أن توفي ليلة الجمعة، لليلتين خلتا من صفر منها .

قال ابن خلكان : ويقال : إنه كان أعور وله في ذلك :

صدودُك عَنّي ولا ذَنْبَ لِي ... يدلُ على نيةٍ فَاسِدَةِ

فقد - وحياتك- مِمَّا بكيتُ ... خشيتُ على عيني الواحِدَةِ

---

(١) أءول : انتسب . القرومُ : السادةُ . النجبُ : الكرامُ .

(٢) أرموا : لم يتركوا منه شيئا

ولـــــولا مخـــــــافةُ أن لا أرا كَ لما كـــانَ في تَرْكِها فـــــائدةُ

ويقال: إن هذه الأبيات لغيره، وكان قائلها أعور. وله في مملوك حسن الصورة أعور قوله:

له عينٌ أصابتْ كلَّ عينٍ وعينٌ قد أصابتها العيونُ

أبو الحسن الجرجاني الشاعر الماهر على بن عبد العزيز: القاضي بالري، سمع الحديث، وترقى في العلوم، حتى أقر له الناس بالتفرد، وله أشعار حسان من ذلك قوله:

يقـــولُونَ لي : فيـــكَ انقباضٌ وإنّما رأوا رجلاً عن موقفِ الذلِ أحجما

أرى الناسَ مَنْ داناهُمُ هَانَ عنـــْدَهم ومَنْ أكــــــرَمَتْه عزّةُ النفس أكرما

و لم أقضِ حقَّ العلمِ إنْ كـــانَ كُلّمَا بدا طمعٌ صيّـــــرتُه لي سُـــــلّما

إذا قيلَ : هذا منهك قُلتُ : قَدْ أرى ولكنَّ نفسَ الحرِّ تحتمـــــلُ الظـــما

و لم أبتذلْ في خدمةِ العلـــمِ مُهْجَتِي لأخدمُ مَنْ لاقيـــــتُ لكن لأُخْدَمَا

أأشقى به غرسًا وأجْنيـــه ذلَّـــــةً ؟ إذاً فاتّباعُ الجهلِ قدْ كـــــاَن أحزما

ولـــو أنَّ أهلَ العلمِ صَانُوهُ صانهم ولو عظّمـــُـــوهُ في النفوسِ لعُظّـــما

ولكنْ أهانُـــــوه، فهـــانَ، ودنَّسُوا محيَّـــاهُ بالأطمـــــاعِ حـــتى تجهّما

ومن مستجاد شعره أيضا:

ما تطعّمـــــْـتُ لـــذةَ العيشِ حتى صــــرتُ للبيتِ والكتابِ جَليسا

ليس عندي شــــــيءٌ ألــذُ من الـــ علمِ فما أبتغي ســـــواهُ أنيـــــسا

إذا شئْتَ أنْ تَسْـــتَقْرِضَ المالَ مُنْفقًا على شهواتِ النفسِ فى زمنِ العسرِ

فسَلْ نَفْسَكَ الإنفاق من كنْزِ صَبْرِها عليكَ وإنظـــــارًا إلى زمـــنِ اليسرِ

فإنْ فَعَلَتَ كنتَ الغَنـــــيَّ وإنْ أبَتْ فَكُلُّ ممنوعٍ بعدها واســـعُ العذر

توفي رحمه الله في هذه السنة، وحمل تابوته إلى جرجان، فدفن بها .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة

وفيها : كانت وفاة الطائع لله، على ماسنذكره . وفيها : منع عميد الجيوش الشيعة من النوح على الحسين، في يوم عاشوراء، ومنع جهلة السنة، بباب البصرة، وباب الشعير، من النوح على مصعب بن الزبير، بعد ذلك بثمانية أيام، فامتنع الفريقان، ولله الحمد والمنة. وفي أواخر المحرم خلع بهاء الدولة وزيره أبا غالب محمد بن خلف عن الوزارة، وصادره بمائة ألف دينار قاشانية، وفي أوائل صفر منها غلت الأسعار ببغداد جدا، وعدمت الحنطة حتى بيع السكر بمائة

وعشرين ديناراً . وفيها : برز عميد الجيوش إلى " سُرَّ مَنْ رَأى " واستدعى سيد الدولة أبا الحسن : علي بن فريد، وقرر عليه في كل سنة أربعين ألف دينار، فالتزم بذلك، فقرره على بلاده. وفيها: هرب أبو العباس الضبي، وزير مجد الدولة بن فخر الدولة من الري، إلى بدر بن حسنويه، فأكرمه، وولي بعد ذلك وزارة مجد الدولة أبو علي الخطير. وفيها: استناب الحاكم، على دمشق وجيوش الشام أبا محمد الأسود، ثم بلغه أنه عزر رجلا مغربياً، سب أبا بكر ، وعمر رضي الله عنهما، وطاف به في البلد، فخاف من معرة ذلك، فبعث إليه، فعزله مكرا وخديعة. وانقطع الحج فيها من العراق بسبب الأعراب . وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن أحمد بن محمد

أبو إسحاق الطبري، الفقيه المالكي، مقدم المعدلين ببغداد، وشيخ القراءات، وقد سمع الكثير من الحديث، وخرج له الدراقطني خمسمائة جزء حديث، وكان كريما مفضلا على أهل العلم .

الطائع لله عبد الكريم بن المطيع

تقدم خلعه، وذكر ما جرى له، توفي ليلة عيد الفطر منها، عن خمس أو ست وسبعين سنة، منها سبع عشرة سنة وستة أشهر وخمسة أيام خليفة، وصلى عليه الخليفة القادر، فكبر عليه خمساً، وشهد جنازته الأكابر، ودفن بالرصافة .

محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن زكريا

أبو طاهر المخلص، شيخ كبيركثير الرواية، سمع البغوي، وابن صاعد، وخلقا، وعنه البرقاني، والأزهري، والخلال، والتنوخي، وكان ثقة من الصالحين. توفي في رمضان منها، عن ثمان وثمانين سنة رحمه الله .

محمد بن عبد الله

أبو الحسن السلامي الشاعر المجيد، له شعر مشهور، ومدائح في عضد الدولة وغيره .

ميمونة

بنت شاقولة، الواعظة التي هي للقرآن حافظة، ذكرت يوما في وعظها، أن ثوبها الذي عليها، وأشارت إليه ـــ له في صحبتها تلبسه منذ سبع وأربعين سنة، وما تغير، وأنه كان من غزل أمها. قالت: والثوب إذا لم يُعْصَ الله فيه، لا يتخرّق سريعا وقال ابنها عبد الصمد: كان في دارنا حائط، يريد أن ينقض، فقلت لأمي: ألا ندعو البناء ليصلح هذا الجدار؟. فأخذت رقعة، فكتبت فيها شيئا، ثم أمرتني أن أضعها في موضع من الجدار، فوضعتها، فمكث على ذلك عشرين سنة، فلما توفيت، أردت أن أستعلم ما كتبت في الرقعة، فحين أخذتها من الجدار سقط، وإذا في الرقعة ﴿ إنَّ اللّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ أن تَزُولا ﴾ [فاطر : ٤١] اللهم ممسك السموات والأرض أمسكه .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وثلاثمائة

وفيها: ولى بهاء الدولة الشريف أبا أحمد الحسين بن أحمد بن موسى الموسوي، قضاء القضاة، والحج، والمظالم، ونقابة الطالبيين، ولقب بالطاهر الأوحد، ذي المناقب، وكان التقليد له بشيراز، فلما وصل الكتاب إلى بغداد، لم يأذن له الخليفة القادر في قضاء القضاة، فتوقف حاله بسبب ذلك. وفيها ملك أبو العباس بن واصل بلاد البطيحة، وأخرج منها مهذب الدولة، فقصده زعيم الجيوش، ليأخذها منه، فهزمه ابن واصل، ونهب أمواله، وحواصله، وكان في جملة ما أصاب في خيمة الخزانة ثلاثون ألف دينار، وخمسون ألف درهم. وفيها خرج الركب العراقي إلى الحجاز، في جحفل عظيم كبير، وتجمل كثير، فاعترضهم الأصيفر أمير الأعراب، فبعثوا إليه بشابين، قارئين مجيدين، كانا معهم، يقال لهما : أبو الحسن بن الرفا، وأبو عبد الله بن الزجاجي، وكانا من أحسن الناس قراءة، ليكلماه في شيء يأخذه من الحجيج، ويطلق سراحهم، ليدركوا الحج، فلما جلسا بين يديه، قرآ جميعا عشراً بأصوات هائلة، مطربة مطبوعة، فأدهشه ذلك، وأعجبه جدا، وقال لهما: كيف عيشكما ببغداد؟. فقالا: بخير، لا يزال الناس يكرموننا، ويبعثون إلينا بالذهب والفضة والتحف. فقال لهما: هل أطلق لكما أحد منهم ألف ألف دينار في يوم واحد؟ فقال: لا، ولا ألف درهم في يوم واحد. قال: فإني أطلق لكما ألف ألف دينار في هذه اللحظة، أطلق لكما الحجيج كله، ولولاكما لما قنعت منهم بألف ألف دينار. فأطلق الحجيج كله بسببهما فلم يتعرض أحد من الأعراب لهم، وذهب الناس إلى الحج سالمين شاكرين لذينك الرجلين المقرئين. ولما وقف الناس بعرفات، قرأ هذان الرجلان قراءة عظيمة، على جبل الرحمة، فضج الناس بالبكاء، من سائر الركوب لقراءتهما، وقالوا لأهل العراق: ما كان ينبغي لكم أن تخرجوا معكم بهذين الرجلين في سفرة واحدة، لاحتمال أن يصابا جميعا، بل كان ينبغي أن تخرجوا بأحدهما، وتدعوا الآخر، فإذا أصيب سلم الآخر. وكانت الحجة، والخطبة، للمصريين، كما هي لهم من سنين متقدمة، وقد كان أمير العراق عزم على العود سريعاً إلى بغداد، على طريقهم التي جاءوا منها، وأن لا يسيروا إلى المدينة النبوية، خوفا من الأعراب، وكثرة الخفارات، فشق ذلك على الناس، فوقف هذان الرجلان القارئان، على جادة الطريق، التي منها يعدل إلى المدينة النبوية، وقرآ : ﴿ **مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ** ﴾ الآيات [التوبة : ١٢٠] فضج الناس بالبكاء، وأمالت النوق أعناقها نحوهما، فمال الناس بأجمعهم، والأمير، إلى المدينة النبوية، فزاروا، وعادوا سالمين إلى بلادهم، ولله الحمد والمنة. ولما رجع هذان القارئان، رتبهما ولي الأمر مع أبي بكر بن البهلول ــ وكان مقرئا مجيداً أيضاً ــ ليصلوا بالناس صلاة التراويح في رمضان، فكثر الجمع وراءهم، لحسن تلاوتهم، وكانوا يطيلون الصلاة جدا، ويتناوبون في الإمامة، يقرأون في كل ركعة بقدر ثلاثين آية، والناس لا ينصرفون من التراويح، إلا في الثلث الأول من الليل، أو قريب النصف منه، وقد قرأ ابن البهلول يوماً في جامع المنصور قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن**

تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الحديد : ١٦] فنهض إليه رجل صوفي، وهو يتمايل، فقال: كيف قلت ؟. فأعاد الآية، فقال الصوفي: بلى والله. وسقط ميتا، رحمه الله. قال ابن الجوزي: وكذلك وقع لأبي الحسن بن الخشاب، شيخ ابن الرفا، وكان تلميذا لأبي بكر بن الأدمي المتقدم ذكره، وكان جيد القراءة حسن الصوت أيضا، قرأ ابن الخشاب هذا في جامع الرصافة، في الأحياء، هذه الآية: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الحديد : ١٦] فتواجد رجل صوفي، وقال: بلى والله قد آن . وجلس، وبكى بكاء طويلا، ثم سكت سكتة، فإذا هو ميت رحمه الله .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو علي الإسكافي الحسن بن محمد بن إسماعيل

ويلقب الموفق، وكان مقدما عند بهاء الدولة، فولاه بغداد، فأخذ أموالا كثيرة من اليهود، ثم هرب إلى البطيحة، فأقام بها سنتين، ثم قدم بغداد، فولاه بهاء الدولة الوزارة، وكان شهما، منصورا في الحرب، ثم عاقبه بعد ذلك، وقتله في هذه السنة، عن تسع وأربعين سنة .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثلاثمائة

فيها: عاد مهذب الدولة إلى البطيحة، ولم يمانعه ابن واصل، وقرر عليه في كل سنة لبهاء الدولة خمسين ألف دينار. وفيها: كان غلاء عظيم بإفريقية، بحيث تعطلت المخابز والحمامات، وذهب خلق كثير من الفناء، وهلك آخرون من شدة الغلاء، فنسأل الله حسن العافية والخاتمة آمين. وفيها: أصاب الحجيج في الطريق عطش شديد بحيث هلك كثير منهم. وكانت الخطبة للمصريين .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن أحمد بن موسى بن جعفر

أبو نصر البخاري، المعروف بالملاحمي، أحد الحفاظ، قدم بغداد وحدث بها عن محمود بن إسحاق عن البخاري، وروى عن الهيثم بن كليب وغيره، وحدث عنه الدارقطني، وكان من أعيان أصحاب الحديث. توفي ببخارى في شعبان منها، وقد جاوز الثمانين .

محمد بن أبي إسماعيل

علي بن الحسين بن الحسن بن القاسم أبي الحسن العلوي، ولد بهمذان ونشأ ببغداد، وكتب الحديث عن جعفر الخلدي، وغيره، وسمع بنيسابور من الأصم وغيره، ودرس فقه الشافعي على عليٍّ بن أبي هريرة، ثم دخل الشام فصحب الصوفية حتى صار من كبارهم، وحج مرات على الوحدة، توفي في محرم هذه السنة ...

أبو الحسين أحمد بن فارس

ابن زكريا بن محمد بن حبيب اللغوي الرازي، صاحب « المجمل في اللغة » ، وكان مقيما بهمذان، وله رسائل حسان، أخذ عنه البديع صاحب المقامات، ومن رائق شعره قوله :

مرّتْ بنـــا هيفاءُ مجـــدولةٌ ... تركيـــةُ تنـــمي لتـــركيِّ

تَرْنُو بطـــرفٍ فاتــرٍ فاتــن أضعـــفَ من حـجةِ نحـويِّ

وله أيضاً:

إذا كنــتَ في حاجــةٍ مُرسلاً وأنــتَ بــها كَــلِفٌ مغرمُ
فأرْسِــلْ حَكيمــاً ولا تُوصـِه وذاكَ الحكيــمُ هــو الــدِّرهمُ

قال ابن خلكان: توفي سنة تسعين وثلاثمائة، وقيل : سنة خمس وتسعين. والأول أشهر .

ثم دخلت سنة ست وتسعين وثلاثمائة

قال ابن الجوزي: في ليلة الجمعة مستهل شعبان طلع نجم يشبه الزهرة في كبره وكثرة ضوئه عن يسار القبلة يتموج، وله شعاع على الأرض كشعاع القمر، وثبت إلى النصف من ذي القعدة ثم غاب. وفيها: ولّي محمد بن الأكفاني قضاء جميع بغداد. وفيها : جلس القادر بالله للأمير قرواش بن أبي حسان وأقره في إمرة الكوفة ولقبه معتمد الدولة. وفيها : قلد الشريف الرضي نقابة الطالبيين، ولقب بالرضي ذي الحسنيين، ولقب أخوه المرتضي ذا المجدين. وفيها : غزا يمين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الهند فافتتح مدنا كبارا، وأخذ أموالا جزيلة، وأسر بعض ملوكهم وهو ملك كراشي حين هرب منه لما افتتحها، وكسر أصنامها، فألبسه منطقته وشدها على وسطه بعد تمنع شديد وقطع خنصره ثم أطلقه إهانة له، وإظهاراً لعظمة الإسلام وأهله. وفيها: كانت الخطبة للحاكم العبيدي، وتجدد في الخطبة أنه إذا ذكر الخطيب الحاكم يقوم الناس كلهم إجلالا له، وكذلك فعلوا بديار مصر مع زيادة السجود له، وكانوا يسجدون عند ذكره، يسجد من هو في الصلاة ومن هو في الأسواق يسجدون لسجودهم، لعنه الله وقبّحه .

وممن توفي فيها من الأعيان ...

أبو سعيد الإسماعيلى

إبراهيم بن إسماعيل أبو سعيد الجرجاني، المعروف بالإسماعيلي، ورد بغداد والدارقطني حيّ فحدث عن أبيه أبي بكر الإسماعيلي والأصم بن عدي، وحدث عنه الخلال والتنوخي، وكان ثقة فقيها فاضلا، على مذهب الشافعي، عارفا بالعربية، سخياً جوادا على أهل العلم، وله ورع ورياسة إلى اليوم في بلده في أولاده. قال الخطيب: سمعت الشيخ أبا الطيب يقول: ورد أبو سعيد الإسماعيلي بغداد فعقد له الفقهاء مجلسين تولى أحدهما أبو حامد الإسفراييني ، وتولى الثاني أبو محمد الباجي، فبعث الباجي إلى القاضي المعافى بن زكريا الجريري يستدعيه إلى حضور المجلس ليحمل المجلس، وكانت الرسالة مع ولده أبي الفضل، وكتب على يده هذين البيتين :

إذا أكــرمَ القــاضي الجليلُ وَليَّهُ وصاحِبَـهُ ألفاه للشــكرِ موضعا
ولي حاجةٌ يأتي بُنَــي بـذكْرِها ويسألُهُ فِيهـا التطــوّلَ أجمعا

فأجابه الحريري مع ولد الشيخ:

دعا الشيخُ مطـــــواعًا سميعًا لأمره يُواتيه باعـــــا حيـــثُ يرسمُ أصنعا

وها أنا غــــادٍ في غــدٍ نحو داره أُبادرُ ما قـــدْ حدّهُ لي مســــرعا

توفي الإسماعيلي فجأة بجرجان في ربيع الآخر وهو قائم يصلي في المحراب، في صلاة المغرب، فلما قرأ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] فاضت نفسه فمات رحمه الله .

محمد بن أحمد

ابن محمد بن جعفر بن محمد بن محمد بن بحير أبو عمرو المزكى: الحافظ النيسابوري، ويعرف بالحيري، رحل إلى الآفاق في طلب العلم، وكان حافظا جيد المذاكرة، ثقة ثبتا، حدث ببغداد وغيرها من البلاد، وتوفي في شعبان عن ثلاث وسبعين سنة .

أبو عبد الله بن منده

الحافظ محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده أبو عبد الله الأصفهاني الحافظ، كان ثبت الحديث والحفظ، رحل إلى البلاد الشاسعة، وسمع الكثير وصنف التاريخ، والناسخ والمنسوخ. قال أبو العباس جعفر بن محمد: ما رأيت أحفظ من ابن منده، توفي في أصفهان في صفر منها .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثلاثمائة

فيها : كان خروج أبي ركوة على الحاكم العبيدي صاحب مصر. وملخص أمر هذا الرجل: أنه كان من سلالة هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي، واسمه الوليد، وإنما لقب بأبي ركوة لركوة كان يصحبها في أسفاره على طريق الصوفية، وقد سمع الحديث بالديار المصرية، ثم أقام بمكة ثم رحل إلى اليمن ثم دخل الشام، وهو في غضون ذلك يبايع من انقاد له، ممن يرى عنده همة ونهضة للقيام في نصرة ولد هشام، ثم إنه أقام ببعض بلاد مصر في محلة من محال العرب، يعلم الصبيان ويظهر التقشف والعبادة والورع، ويخبر بشيء من المغيبات، حتى خضعوا له وعظموه جدا، ثم دعا إلى نفسه وذكر لهم أنه الذي يدعى إليه من الأمويين، فاستجابوا له وخاطبوه بأمير المؤمنين، ولقب بالثائر بأمر الله المنتصر من أعداء الله، ودخل برقة في جحفل عظيم، فجمع له أهلها نحوا من مائتي ألف دينار، وأخذ رجلا من اليهود اتهم بشيء من الودائع، فأخذ منه مائتي ألف دينار أيضا، ونقشوا الدراهم والدنانير بألقابه، وخطب بالناس يوم الجمعة، ولعن الحاكم في خطبته، ونعمًا فعل، فالتف على أبي ركوة من الجنود، نحو من ستة عشر ألفا، فلما بلغ الحاكم أمره وما آل إليه بعث بخمسمائة ألف دينار وخمسة آلاف ثوب إلى مقدم جيوش أبي ركوة — وهو الفضل بن عبد الله — يستميله إليه ويثنيه عن أبي ركوة فحين وصلت

الأموال إليه رجع عن أبي ركوة وقال:إنا لا طاقة لنا بالحاكم، وما دمت بين أظهرنا فنحن مطلوبون بسببك، فاختر لنفسك بلدا تكون فيها. فسأل أن يبعثوا معه فارسين يوصلانه إلى النوبة فإن بينه وبين ملكها مودة وصحبة، فأرسله، ثم بعث وراءه من رده إلى الحاكم بمصر، فلما وصل إليه أركبه جملا وشهره ثم قتله في اليوم الثاني، ثم أكرم الحاكم الفضل وأقطعه أقطاعا كثيرة. واتفق مرض الفضل فعاده الحاكم مرتين، فلما عوفي قتله وألحقه بصاحبه. وهذه مكافأة التمساح. وفي رمضان منها : عزل قرواش عما كان بيده ووليه أبو الحسن علي بن يزيد، ولقب بسند الدولة. وفيها : هزم يمين الدولة محمود بن سبكتكين ملك الترك عن بلاد خراسان وقتل من الأتراك خلقا كثيراً. وفيها : قتل أبو العباس بن واصل وحمل رأسه إلى بهاء الدولة فطيف به بخراسان وفارس. وفيها : ثارت على الحجيج وهم بالطريق ريح سوداء مظلمة جدا، واعترضهم ابن الجراح أمير الأعراب فاعتاقهم عن الذهاب ففاتهم الحج فرجعوا إلى بلادهم فدخلوها في يوم التروية. وكانت الخطبة بالحرمين للمصريين. وفيها توفي من الأعيان :

عبد الصمد بن عمر بن إسحاق

أبو القاسم الدينوري الواعظ الزاهد، قرأ القرآن ودرس على مذهب الشافعي على أبي سعيد الأصطخري،وسمع الحديث من النجاد، وروى عنه الصيمري، وكان ثقة صالحاً، يضرب به المثل في مجاهدة النفس،واستعمال الصدق المحض،والتعفف والتفقه والتقشف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،وحسن وعظه ووقعه في القلوب،جاءه يوماً رجل بمائة دينار فقال:أنا غني عنها، قال: خذها ففرقها على أصحابك هؤلاء،فقال:ضعها على الأرض. فوضعها ثم قال للجماعة: ليأخذ كل واحد منكم حاجته منها،فجعلوا يأخذون بقدر حاجاتهم حتى أنفذوها، وجاء ولده بعد ذلك فشكى إليه حاجتهم، فقال: اذهب إلى البقال فخذ على ربع رطل تمر. ورآه رجل وقد اشترى دجاجة وحلواء فتعجب من ذلك فاتبعه إلى دار فيها امرأة ولها أيتام فدفعها إليهم. وقد كان يدق السعد للعطارين بالأجرة ويقتات منه، ولما حضرته الوفاة جعل يقول: سيدي لهذه الساعة خبأتك. توفي يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي الحجة منها، وصلي عليه بالجامع المنصوري، ودفن بمقبرة الإمام أحمد .

أبو العباس بن واصل

صاحب سيراف والبصرة وغيرهما، كان أولا يخدم بالكرخ، وكان منصوراً له أنه سيملك، كان أصحابه يهزأون به، فيقول أحدهم : إذا ملكت فأي شئ تعطيني، ويقول الآخر:ولّني، ويقول الآخر: استخدمني، ويقول الآخر: اخلع عليّ. فقدر له أنه تقلبت به الأحوال حتى ملك سيراف والبصرة، وأخذ بلاد البطيحة من مهذب الدولة، وأخرجه منها طريدا، بحيث إنه احتاج في أثناء الطريق إلى أن ركب بقرة واستحوذ ابن واصل على ما هناك، وقصد الأهواز وهزم بهاء الدولة، ثم ظفر به بهاء الدولة . فقتله في شعبان منها، وطيف برأسه في البلاد .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة

فيها غزا يمين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الهند، ففتح حصوناً كثيرة، وأخذ أموالا جزيلة وجواهر نفيسة، وكان في جملة ما وجد بيت طوله ثلاثون ذراعاً وعرضه خمسة عشر ذراعًا مملوء فضة، ولما رجع إلى غزنة بسط هذه الأموال كلها في صحن داره وأذن لرسل الملك فدخلوا عليه فرأوا ما بهرهم وهالهم، وفي يوم الأربعاء الحادي عشر من ربيع الآخر وقع ببغداد ثلج عظيم، بحيث بقي على وجه الأرض ذراعاً ونصفا، ومكث أسبوعاً لم يذب، وبلغ سقوطه إلى تكريت والكوفة وعبادان والنهروان. وفي هذا الشهر كثرت العملات جهرة وخفية، حتى من المساجد والمشاهد ثم ظفر أصحاب الشرطة بكثير منهم فقطعوا أيديهم وكحّلوهم [1] .

قصة مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وتحريقه

"على فتيا الشيخ أبي حامد الإسفراييني فيما ذكره ابن الجوزي في منتظمه " .

وفي عاشر رجب : جرت فتنة بين السنة والرافضة، سببها أن بعض الهاشميين قصد أبا عبد الله محمد بن النعمان المعروف بابن المعلم ـــ وكان فقيه الشيعة ـــ في مسجده بدرب رباح، فعرض له بالسب فثار أصحابه له واستنفر أصحاب الكرخ وصاروا إلى دار القاضي أبي محمد ابن الأكفاني والشيخ أبي حامد الإسفراييني، وجرت فتنة عظيمة طويلة، وأحضرت الشيعة مصحفًا ذكروا أنه مصحف عبد الله بن مسعود، وهو مخالف للمصاحف كلها، فجمع الأشراف والقضاة والفقهاء يوم جمعة لليلة بقيت من رجب، وعرض المصحف عليهم فأشار الشيخ أبو حامد الإسفراييني والفقهاء بتحريقه، ففعل ذلك بمحضر منهم، فغضب الشيعة من ذلك غضباً شديداً، وجعلوا يدعون ليلة النصف من شعبان على من فعل ذلك ويسبونه، وقصد جماعة من أحداثهم دار الشيخ أبي حامد ليؤذوه فانتقل منها إلى دار القطن، وصاحوا يا حاكم يا منصور، وبلغ ذلك الخليفة فغضب وبعث أعوانه لنصرة أهل السنة، فحرقت دور كثيرة من دور الشيعة، وجرت خطوب شديدة، وبعث عميد الجيوش إلى بغداد لينفي عنها ابن المعلم فقيه الشيعة، فأخرج منها ثم شفع فيه، ومنعت القصاص من التعرض للذكر والسؤال باسم أحد من الشيخين ، وعليّ رضى الله عنهم ، وعاد الشيخ أبو حامد إلى داره على عادته. وفي شعبان منها : زلزلت الدينور زلزالا شديدا، وسقطت منها دور كثيرة، وهلك للناس شيء كثير من الأثاث والأمتعة، وهبت ريح سوداء بدقوقي وتكريت وشيراز، فأتلفت كثيراً من المنازل والنخيل والزيتون، وقتلت خلقا كثيراً، وسقط بعض شيراز ووقعت رجفة بشيراز غرق بسببها مراكب كثيرة في البحر ووقع بواسط برد زنة الواحدة مائة درهم وستة دراهم، ووقع ببغداد في رمضان- وذلك في أيار - مطر عظيم سالت منه المزاريب .

---

(١) سملوا عيونهم .

تخريب قمامة في هذه السنة

وفيها : أمر الحاكم بتخريب قمامة وهي كنيسة النصارى ببيت المقدس، وأباح للعامة ما فيها من الأموال والأمتعة وغير ذلك، وكان سبب ذلك البهتان الذي يتعاطاه النصارى في يوم الفصح من النار التي يحتالون بها، وهي التي يوهمون جهلتهم أنها نزلت من السماء، وإنما هي مصنوعة بدهن البلسان في خيوط الإبريسم، والرقاع المدهونة بالكبريت وغيره، بالصنعة اللطيفة التي تروج على الطغام [١] منهم والعوام، وهم إلى الآن يستعملونها في ذلك المكان بعينه. وكذلك هُدم في هذه السنة عدة كنائس ببلاد مصر، ونودي في النصارى: من أحب الدخول في دين الإسلام دخل ، ومن لا يدخل فليرجع إلى بلاد الروم آمنا، ومن أقام منهم على دينه فليلتزم بما شرط عليهم من الشروط التي زادها الحاكم على العمرية، من تعليق الصلبان على صدورهم، وأن يكون الصليب من خشب زنته أربعة أرطال، وعلي اليهود تعليق رأس العجل زنته ستة أرطال في الحمام يكون في عنق الواحد منهم قربة زنة خمسة أرطال، بأجراس، وأن لا يركبوا خيلا. ثم بعد هذا كله أمر بإعادة بناء الكنائس التي هدمها وأذن لمن أسلم منهم في الارتداد إلى دينه. وقال : ننـــزه مساجدنا أن يدخلها من لا نية له، ولا يعرف باطنه، قبّحه الله .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو محمد الباجي

سبق ذكره، اسمه عبد الله بن محمد الباجي البخاري الخوارزمي؛ أحد أئمة الشافعية، تفقه على أبي القاسم الداركي ودرس مكانه، وله معرفة جيدة بالأدب والفصاحة والشعر، جاء مرة ليزور بعض أصحابه فلم يجده في المنـــزل فكتب هذه الأبيات :

قد حَضَرْنَا وليسَ نقضي التلاقي ... نسـَـــألُ اللهَ خـــيرَ هذا الفـــراقِ
إنْ تَغبْ لم أغبْ وإنْ لم تَغـــبْ ... غبـــتُ كأنَّ افتـــراقنا بــــاتفاقِ

توفي في محرم هذه السنة، وقد ذكرنا ترجمته في (طبقات الشافعية) .

عبد الله بن أحمد

ابن على بن الحسين، أبو القاسم المقري المعروف بالصيدلاني، وهو آخرَ من حدث عن ابن صاعد من الثقات، وروى عنه الأزهري، وكان ثقة مأموناً صالحاً. توفي في رجب من هذه السنة وقد جاوز التسعين .

الببغاء الشاعر

عبد الواحد بن نصر بن محمد، أبو الفرج المخزومي، الملقب بالببغاء، توفي في شعبان من هذ السنة، وكان أديباً فاضلا مترسلاً شاعراً مطبقاً، فمن ذلك قوله :

---

(١) الطغام : الواحدة " طغامة " أوغاد الناس للواحد والجمع . والعامة تقول : أوباش .

يا مَنْ تشابَهَ منـــه الخَلْقُ والخُلُقُ فما تسافرُ إلاّنـــحوهُ الْحَـــدَقُ
فَوَرْدُ دَمْعِيَ من خَدَّيْكَ مُخْتلسُ وَسُقْمُ جِسمِيَ من جَفْنَيْكَ مُسترَقُ
لم يبقَ لي رمـــقٌ أشكو هواك به وإنّما يتشــــكّى مَــنْ بِهِ رَمَقُ

محمد بن يحيى

أبو عبد الله الجرجاني، أحد العلماء الزهاد العباد، المناظرين لأبي بكر الرازي، وكان يدرس في قطيعة الربيع، وقد فلج في آخر عمره، وحين مات دفن مع أبي حنيفة .

بديع الزمان

صاحب المقامات، أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد أبو الفضل الهمداني، الحافظ المعروف ببديع الزمان صاحب الرسائل الرائقة والمقامات الفائقة، وعلى منواله نسج الحريري، واقتفى أثره وشكر تقدمه، واعترف بفضله، وقد كان أخذ اللغة عن ابن فارس، ثم برز، وكان أحد الفضلاء الفصحاء، ويقال : إنه سُمَّ وأخذته سكتة، فدفن سريعاً، ثم عاش في قبره وسمعوا صراخه فنبشوا عنه فإذا هو قد مات وهو آخذ على لحيته من هول القبر، وذلك يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الآخرة منها، رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثلاثمائة

فيها : قتل أبو علي بن ثمال نائب الرحبة من طرف الحاكم العبيدي، قتله عيسى بن خلاط العقيلي، وملكها، فأخرجه منها عباس بن مرداس صاحب حلب ومَلكها، وفيها: صُرِفَ عمرو ابن عبد الواحد عن قضاء البصرة ووليه أبو الحسن ابن أبي الشوارب، فذهب الناس يهنون هذا ويعزون هذا، فقال في ذلك العصفري :

عِنْــــدي حديـــثٌ ظريفٌ بِمِثْــــــله يتغَـــــنّى
من قــــاضِيَيْنِ يُعــــزّى هـــذا وهـــذا يُهـــنّا
فــذا يقـــولُ : أكْـــرَهُوني وذا يقــولُ : اســـتَرحْنـــا
وَيَكـــذِبـــانِ جميعـــاً ومــــن يُصَـــدِّقُ مــنّا

وفي شعبان من هذه السنة عصفت ريح شديدة فألقت وحلاً أحمر في طرقات بغداد. وفيها: هبت على الحجاج ريح سوداء مظلمة واعترضهم الأعراب فصدوهم عن السبيل، وأعاقوهم حتى فاتهم الحج فرجعوا، وأخذت بنو هلال طائفة من حجاج البصرة نحواً من ستمائة واحد، وأخذوا منهم نحواً من ألف ألف دينار، وكانت الخطبة فيها للمصريين .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الله بن بكر بن محمد بن الحسين

أبو أحمد الطبراني، سمع بمكة وبغداد وغيرهما من البلاد، وكان مكرماً، سمع منه الدارقطني وعبد الغني بن سعيد ثم أقام بالشام بالقرب من جبل عند بانياس يعبد الله تعالى إلى أن مات في ربيع الأول منها .

محمد بن على بن الحسين

أبو مسلم كاتب الوزير ابن خنــزابة، روى عن البغوي، وابن صاعد، وابن دريد، وابن أبي داود، وابن عرفة ، وابن مجاهد وغيرهم، وكان آخر من بقي من أصحاب البغوي، وكان من أهل العلم والحديث والمعرفة والفهم، وقد تكلم بعضهم في روايته عن البغوي لأن أصوله كان غالبها مفسودا. وذكر الصوري أنه خلط في آخر عمره .

أبو الحسن على بن أبي سعيد

عبد الواحد بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري، صاحب كتاب « الزيج الحاكمي » في أربعة مجلدات، كان أبوه من كبار المحدثين الحفاظ، وقد وضع لمصر تاريخاً نافعاً يرجع العلماء إليه فيه، وأما هذا فإنه اشتغل في علم النجوم فنال من شأنه منالاً جيداً، وكان شديد الاعتناء بعلم الرصد وكان مع هذا مغفلاً سيء الحال، رثّ الثياب، طويلا يتعمم على طرطور طويل، ويتطيلس فوقه، ويركب حماراً، فمن رآه ضحك منه، وكان يدخل على الحاكم فيكرمه ويذكر من تغفله ما يدل على اعتنائه بأمر نفسه، وكان شاهداً معدلاً، وله شعر جيد، فمنه ما ذكره ابن خلكان في الوفيات :

أحملُ نشــــَر الريحِ عندَ هُبُــوبِهِ ... رســـالةَ مُشْـــتاقٍ لوَجــه حَبِيبِهِ

بنفسي من تحيا النفوسُ بقُــرْبه ... وَمَـــنْ طـــابت الدنيا به وبطيبه

يُجدِّدُ وَجْدى طائفُ مــه فى الكرا ... سَرَى مــُوهناً فى جَفْنه منْ رقيبه [(١)]

لعمري لقدَ عطّلتُ كــــأسي بعدَهُ ... وَغَيّبْتهــا عَني لطُــولِ مَغيــبهِ [(٢)]

تمني أم أمير المؤمنين القادر بالله

مولاة عبد الواحد بن المقتدر، كانت من العابدات الصالحات، ومن أهل الفضل والدين . توفيت ليلة الخميس الثاني والعشرين من شعبان منها، وصلى عليها ابنها القادر، وحملت بعد العشاء إلى الرصافة .

---

(١) وَجْدى : حُزْني . طائف: الخيال أثناء النوم. الكرى : النعاس . موهنا : ضعيفا . رقيب : الحارس والجمع رقباء .

(٢) عطلت : خَلاَ الكأس من الخمر . - وخلا جيد المرأة من القلائد .

ثم دخلت سنة أربعمائة من الهجرة

في ربيع الآخر منها : نقصت دجلة نقصاً كثيراً، حتى ظهرت جزائر لم تعرف، وامتنع سير السفن في أعاليها من أذنة والراشدية، فأمر بكَرْي تلك الأماكن ولم تكن قبل ذلك، وفيها كمل السور على مشهد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام الذي بناه أبو إسحاق الأحاني، وذلك أن أبا محمد بن سهلان مرض فنذر إن عوفي لَيَبْنِيَنَّهُ فعوفي. وفي رمضان أرجف الناس بالخليفة القادر بالله بأنه مات فجلس للناس يوم جمعة بعد الصلاة وعليه البردة وبيده القضيب، وجاء الشيخ أبو حامد الإسفراييني فقبل الأرض بين يديه وقرأ: ﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾ الآية [الأحزاب : ٦٠] فتباكى الناس ودعوا وانصرفوا وهم فراحا. وفيها : ورد الخبر بأن الحاكم أنفذ إلى دار جعفر بن محمد الصادق بالمدينة فأخذ منها مصحفا وآلات كانت بها، وهذه الدار لم تفتح بعد موت صاحبها إلى هذا الآن، وكان مع المصحف قعب خشب مطوق بحديد ودرقة خيزران وحربة وسرير، حمل ذلك كله جماعة من العلويين إلى الديار المصرية، فأطلق لهم الحاكم أنعاما كثيرة ونفقات زائدة، ورد السرير وأخذ الباقي، وقال: أنا أحق به، فردوا وهم ذامون له داعون عليه. وبنى الحاكم فيها داراً للعلم وأجلس فيها الفقهاء، ثم بعد ثلاث سنين هدمها وقتل خلقا كثيرا ممن كان فيها من الفقهاء والمحدثين وأهل الخير. وفيها: عمر الجامع المنسوب إليه بمصر وهو جامع الحاكم، وتأنق في بنائه. وفي ذي الحجة منها أعيد المؤيد هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الأموي إلى ملكه بعد خلعه وحبسه مدة طويلة، وكانت الخطبة بالحرمين للحاكم صاحب مصر والشام .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو أحمد الموسوي النقيب

الحسن بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الموسوي، والد الرضي والمرتضي، وليّ نقابة الطالبيين مرات نحوا من خمس مرات، يعزل ويعاد، ثم أقر في آخر عمره، وتوفي عن سبع وتسعين سنة، وصلى عليه ابنه المرتضي، ودفن في مشهد الحسين. وقد رثاه ابنه المرتضي في قصيدةٍ حسنة قوية المنـزع والمطلع فمنها :

سـلامُ الله تَنْقُلُهُ الليـالي	وتُهـديه الغـُدوُّ إلى الرواحِ
على جدثٍ حسـيبٍ مـن	لؤي لينبـوعِ العبـادةِ والصلاحِ
فتى لم يُرْوَ إلاّ مـنْ حـلالٍ	ولم يـكُ زادُه إلاّ المبـاحِ
ولا دُنِّسَتْ لـه أُزُرُ بـوزْرٍ	ولا عَلِقَتْ لـه راحٌ بـراحِ [1]

(١) الدنس : الوسخ والمعايب الخلقية : أُزُرٌ : مفردها : إزار : كُلُّ ما سترك (العفاف). وزر : الإثم . راحٌ: الكف . براحٍ : الخمر وبينهما محسن بديعي جناس تام .

خفيفُ الظهر مِنْ ثِقَـــلِ الخطايا وعريانُ الجوارحِ مـــن جنـــاح
مشوقٌ في الأمـــورِ إلى عُلاَها ومدلولٌ على بـــابِ النجـــاحِ
مِنَ القومِ الذين لهـــم قلـــوبٌ بذكـــرِ اللهِ عـــامرةُ النواحي
بأجسامٍ مِنَ التقوى مـــراضٍ لِنُضْـــرَتِها وَأَدْيَانٍ صحـــاحِ

الحجاج بن هرمز أبو جعفر

نائب بهاء الدولة على العراق، وكان تليده لقتال الأعراب والأكراد، وكان من المقدمين في أيام عضد الدولة، وكانت له خبرة تامة بالحرب، وحزمة شديدة، وشجاعة تامة وافرة، وهمة عالية وآراء سديدة. ولما خرج من بغداد في سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة كثرت بها الفتن. توفي بالأهواز عن مائة سنة وخمس سنين. رحمه الله .

أبو عبد الله بن القمي المصري التاجر

كان ذا مال جزيل جداً، اشتملت تركته على أزيد من ألف ألف دينار، من سائر أنواع المال. توفي بأرض الحجاز ودفن بالمدينة النبوية عند قبر الحسن بن علي، رضي الله عنهم .

أبو الحسين بن الرفا المقري

تقدم ذكره في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة، كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن وأحلاهم أداء رحمه الله .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعمائة

في يوم الجمعة الرابع من المحرم منها خطب بالموصل للحاكم العبيدي عن أمر صاحبها قرواش بن مقلد أبي منيع، وذلك لقهره رعيته، وقد سرد ابن الجوزي صفة الخطبة بحروفها. وفي آخر الخطبة صلوا على آبائه من الخلفاء المهدي ثم ابنه القائم ثم المنصور، ثم ابنه المعز، ثم ابنه العزيز، ثم ابنه الحاكم صاحب الوقت، وبالغوا في الدعاء لهم ولا سيما للحاكم المذكور، وكذلك تبعته أعمالها من الأنبار والمدائن وغيرهما. وكان سبب ذلك: أن الحاكم ترددت مكاتباته ورسله وهداياه إلى قرواش يستميله إليه، وليقبل بوجهه عليه، حتى فعل ما فعل من الخطبة وغيرها، فلما بلغ الخبر القادر بالله العباسي كتب يعاتب قرواش على ما صنع، ونفذ بهاء الدولة إلى عميد الجيوش بمائة ألف دينار لمحاربة قرواش. فلما بلغ ذلك قرواشاً رجع عن رأيه وندم على ما كان منه، وأمر بقطع الخطبة للحاكم من بلاده، وخطب للقادر على عادته. قال ابن الجوزي: ولخمس بقين من رجب زادت دجلة زيادة كثيرة واستمرت الزيادة إلى رمضان، وبلغت واحدًا وعشرين ذراعاً وثلثاً، ودخل إلى أكثر دور بغداد. وفيها: رجع الوزير أبو غالب

ابن خلف إلى بغداد ولقب فخر الملك بعميد الجيوش. وفيها عصى أبو الفتح الحسن بن جعفر العلوي ودعا إلى نفسه وتلقب بالراشد بالله. و لم يحج فيها أحد من أهل العراق والخطبة للحاكم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن محمد بن عبيد

أبو مسعود الدمشقي الحافظ الكبير، مصنف كتاب « الأطراف على الصحيحين » ، رحل إلى بلاد شتى كبغداد والبصرة والكوفة وواسط والأهواز وأصبهان وخراسان، وكان من الحفاظ الصادقين، والأمناء الضابطين، و لم يرو إلا اليسير، روى عنه أبو القاسم وأبو ذر الهروي، ومرة السهمي، وغيرهم. توفي ببغداد في رجب وأوصى إلى أبي حامد الإسفراييني فصلّى عليه، ودفن في مقبرة جامع المنصور قريباً من السكك. وقد ترجمه ابن عساكر وأثنى عليه .

عميد الجيوش الوزير

الحسن بن أبي جعفر أستاذ هرمز ولد سنة خمسين وثلاثمائة، وكان أبوه من حجاب عضد الدولة، وولاّه بهاء الدولة وزارته سنة اثنتين وتسعين، والشرور كثيرة منتشرة، فمهد البلاد وأخاف العيارين واستقامت به الأمور، وأمر بعض غلمانه أن يحمل صينية فيها دراهم مكشوفة من أول بغداد إلى آخرها وأن يدخل بها في جميع الأزقة، فإن اعترضه أحد فليدفعها إليه وليعرف ذلك المكان، فذهب الغلام فلم يعترضه أحد، فحمد الله وأثنى عليه، ومنع الروافض من النياحة في يوم عاشوراء، وما يتعاطونه من الفرح في يوم ثامن عشر ذي الحجة الذي يقال له : عيد غدير خم،وكان عادلا منصفا .

خلف الواسطي

صاحب « الأطراف » أيضا ، خلف بن محمد بن علي بن حمدون، أبو محمد الواسطي: رحل إلى البلاد وسمع الكثير ثم عاد إلى بغداد، ثم رحل إلى الشام ومصر، وكتب الناس عنه بانتخابه، وصنف أطرافاً على الصحيحين، وكانت له معرفة تامة، وحفظ جيد، ثم عاد إلى بغداد واشتغل بالتجارة وترك النظر في العلم حتى توفي في هذه السنة سامحه الله. روى عنه الأزهري .

أبو عبيد الهروي

صاحب « الغريبين » ، أحمد بن محمد بن أبي عبيد العبدي أبو عبيد الهروي اللغوي البارع، كان من علماء الناس في الأدب واللغة، وكتابه الغريبين في معرفة غريب القرآن والحديث، يدل على اطلاعه وتبحره في هذا الشأن، وكان من تلامذة أبي منصور الأزهري. قال ابن خلكان:وقيل: كان يحب التنـــزه ويتناول في خلوته ما لا يجوز ويعاشر أهل الأدب في مجلس

اللذة والطرب، والله أعلم ساعه الله. قال: وكانت وفاته في رجب سنة إحدى وأربعمائة، وذكر ابن خلكان أن في هذه السنة أو التي قبلها كانت وفاة أبي الفتح البستي الشاعر وهو:

على بن محمد بن الحسين بن يوسف الكاتب

صاحب الطريقة الأنيقة والتجنيس الأنيس، البديع التأسيس، والحذاقة والنظم والنثر، وقد ذكرناه، ومما أورد له ابن خلكان قوله: من أصلح فاسده أرغم حاسده، ومن أطاع غضبه أضاع أدبه. من سعادة جدك وقوفك عند حدك. المنية تضحك من الأمنية. الرشوة رشا [1] الحاجات. حد العفاف الرضى بالكفاف.

ومن شعره:

إنْ هــزّ أقلامَه يــومًا ليعملَهـــا ... أنســـاك كـــلّ كمي هزّ عامله

وإنْ أمرّ على رقٍ أنامـــلـــَــهُ ... أقرّ بـــالرقّ كتـــابُ الأنامِ له

وله:

إذا تحـــدثتَ في قوم لتُؤْنسَهـــم ... بما تـــحَدّثَ من ماضٍ ومن آتِ

فلا تعد لحـــديثٍ إنّ طبعَهـــم ... موكـــلُ بمعـــاداةِ المعـــاداتِ

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعمائة

في المحرم منها أذن فخر الملك الوزير للروافض أن يعملوا بدعتهم الشنعاء، والفضيحة الصلعاء، من الانتحاب والنوح والبكاء، وتعليق المسوح وأن تغلق الأسواق من الصباح إلى المساء، وأن تدور النساء حاسرات عن وجوههن ورءوسهن، يلطمن خدودهن، كفعل الجاهلية الجهلاء، على الحسين بن علي، فلا جزاه الله خيراً، وسود الله وجهه يوم الجزاء، إنه سميع الدعاء. وفي ربيع الآخر أمر القادر بالله بعمارة مسجد الكف بقطيعة الدقيق، وأن يعاد إلى أحسن ما كان، ففعل ذلك وزخرف زخرفة عظيمة جداً، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

الطعن من أئمة بغداد وعلمائهم في نسب الفاطميين

وفي ربيع الآخر منها: كتب هؤلاء ببغداد محاضر تتضمن الطعن والقدح في نسب الفاطميين وهم ملوك مصر وليسوا كذلك، وإنما نسبهم إلى عبيد بن سعد الجرمي، وكتب في ذلك جماعة من العلماء والقضاة والأشراف والعدول، والصالحين والفقهاء، والمحدثين، وشهدوا جميعا أن الحاكم بمصر هو منصور بن نزار الملقب بالحاكم ــ حكم الله عليه بالبوار والخزي والدمار ــ ابن معد بن إسماعيل بن عبد الله بن سعيد ــ لا أسعده الله ــ فإنه لما صار إلى بلاد

---

(١) الرشا: الحبل.

المغرب تسمي بعبيد الله، وتلقب بالمهدي، وأن من تقدم من سلفه أدعياء خوارج، لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب، ولا يتعلقون بسبب، وأنه منـــزه عن باطلهم، وأن الذي ادعوه إليه باطل وزور، وأنهم لا يعلمون أحدا من أهل بيوتات علي بن أبي طالب توقف عن إطلاق القول في أنهم خوارج كذبة، وقد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعاً في الحرمين، وفي أول أمرهم بالمغرب منتشراً انتشاراً يمنع أن يدلس أمرهم على أحد، أو يذهب وهم إلى تصديقهم بما ادعوه، وأن هذا الحاكم بمصر هو وسلفه كُفّار فُساق فُجار، ملحدون زنادقة، معطلون، وللإسلام جاحدون، ولمذهب المجوسية والثنوية معتقدون، قد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمر وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية. وكتب في سنة اثنتين وأربعمائة، وقد كتب خطه في المحضر خلق كثير، فمن العلويين: المرتضي والرضي وابن الأزرق الموسوي ، وأبو طاهر بن أبي الطيب ، ومحمد بن محمد بن عمرو بن أبي يعلى. ومن القضاة : أبو محمد بن الأكفاني وأبو القاسم الجزري، وأبو العباس بن الشيوري. ومن الفقهاء : أبو حامد الإسفراييني وأبو محمد بن الكسفلي، وأبو الحسن القدوري، وأبو عبد الله الصيمري، وأبو عبد الله البيضاوي، وأبو على بن حمكان. ومن الشهود : أبو القاسم التنوخي في كثير منهم. وكتب فيه خلق كثير. هذه عبارة أبي الفرج بن الجوزي .

قلت: ومما يدل على أن هؤلاء أدعياء كذبة، كما ذكر هؤلاء السادة العلماء، والأئمة الفضلاء، وأنهم لا نسب لهم إلى علي بن أبي طالب، ولا إلى فاطمة كما يزعمون، قول ابن عمر للحسين بن علي حين أراد الذهاب إلى العراق، وذلك حين كتب عوام أهل الكوفة بالبيعة إليه فقال له ابن عمر: لا تذهب إليهم فإني أخاف عليك أن تقتل، وإن جدك قد خير بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا، وأنت بضعة منه، وإنه والله لا تنالها لا أنت ولا أحد من خلفك ولا من أهل بيتك. فهذا الكلام الحسن الصحيح المتوجه المعقول، من هذا الصحابي الجليل، يقتضي أنه لا يلي الخلافة أحد من أهل البيت إلا محمدُ بن عبد الله المهدي الذي يكون في آخر الزمان عند نزول عيسى بن مريم، رغبة بهم عن الدنيا، وأن لا يدنسوا بها ومعلوم أن هؤلاء قد ملكوا ديار مصر مدة طويلة، فدل ذلك دلالة قوية ظاهرة على أنهم ليسوا من أهل البيت، كما نص عليه سادة الفقهاء. وقد صنف القاضي الباقلاني كتاباً في الرد على هؤلاء سماه " كشف الأسرار وهتك الأستار " بيّن فيه فضائحهم وقبائحهم، ووضح أمرهم لكل حد، ووضوح أمرهم ينبئ عن مطاوي أفعالهم، وأقوالهم، وقد كان الباقلاني يقول في عبارته عنهم: هم قوم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض. والله سبحانه أعلم .

وفي رجب وشعبان ورمضان : أجرى الوزير فخر الملك صدقات كثيرة على الفقراء والمساكين والمقيمين بالمشاهد والمساجد وغير ذلك، وزار بنفسه المساجد والمشاهد، وأخرج خلقاً من المحبوسين وأظهر نسكاً كثيراً، وعمر داراً عظيمة عند سوق الدقيق. وفي شوال عصفت

ريح شديدة فقصفت كثيرا من النخل وغيره ــ أكثر من عشرة آلاف نخلة ــ وورد كتاب من يمين الدولة محمود بن سبكتكين ــ صاحب غزنة ــ بأنه ركب بجيشه إلى أرض العدو فجازوا بمفازة فأعوزهم الماء حتى كادوا يهلكون عن آخرهم عطشاً، فبعث الله لهم سحابة فأمطرت عليهم حتى شربوا وسقوا واستقوا، ثم تواقفوا هم وعدوهم، ومع عدوهم نحو من ستمائة فيل، فهزموا العدو وغنموا شيئا كثيرا من الأموال ولله الحمد. وفيها : عملت الشيعة بدعتهم التي كانوا يعملونها يوم غدير خم، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، وزينت الحوانيت وتمكنوا بسبب الوزير وكثير من الأتراك تمكنا كثيراً . وفيها توفي من الأعيان :

الحسن بن الحسن بن على بن العباس

ابن نوبخت أبو محمد النوبختي، ولد سنة عشرين وثلاثمائة، وروى عن المحاملي وغيره، وعنه البرقاني وقال: وكان شيعياً معتزلياً، إلا أنه تبين لي أنه كان صدوقاً، وروى عنه الأزهري وقال: كان رافضياً، رديء المذهب. وقال العقيقي: كان فقيراً في الحديث، ويذهب إلى الاعتزال والله أعلم .

عثمان بن عيسى أبو عمرو الباقلاني

أحد الزهاد الكبار المشهورين، كان له نخلات يأكل منها ويعمل بيده في البواري، ويأكل من ذلك، وكان في غاية الزهادة والعبادة الكثيرة، وكان لا يخرج من مسجده إلا من يوم الجمعة إلى يوم الجمعة، لأجل صلاة الجمعة ثم يعود إلى مسجده، وكان لا يجد شيئا يشعله في مسجده، فسأله بعض الأمراء أن يقبل شيئا ولو زيتاً يشعله في قناديل مسجده، فأبى الشيخ ذلك، ولهذا وأمثاله لما مات رأى بعضهم بعض الأموات من جيرانه في القبور فسأله عن جواره فقال: وأين هو؟، لما مات ووضع في قبره سمعنا قائلاً يقول: إلى الفردوس الأعلى، إلى الفردوس الأعلى أو كما قال. توفي في رجب منها عن ست وثمانين سنة .

محمد بن جعفر بن محمد

ابن هارون بن فروة بن ناجية أبو الحسن النحوي المعروف بابن النجار التميمي الكوفي وقدم بغداد وروى عن ابن دريد والصولي ونفطوية وغيرهم وكانت وفاته في جمادى الأولى منها عن سبع وسبعين سنة .

أبو الطيب سهل بن محمد

الصعلوكي النيسابوري، قال أبو يعلى الخليلي. توفي فيها وقد ترجمناه في سنة سبع وثمانين وثلاثمائة.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعمائة

في سادس عشر محرمها : قلد الشريف الرضي أبو الحسن الموسوي نقابة الطالبيين في سائر الممالك وقرىء تقليده في دار الوزير فخر الملك ، بمحضر القضاة الأعيان ، وخلع عليه السواد ،

وهو أول طالبي خلع عليه السواد . وفيها جيء بأمير بني خفاجة أبو قلنبة قبّحه الله وجماعة من رؤوس قومه أسارى ، وكانوا قد اعترضوا الحجيج في السنة الماضية وهم راجعون ، وغوروا المناهل التي يردها الحجاج ، ووضعوا فيها الحنظل بحيث إنه مات من الحجاج من العطش نحو من خمسة عشر ألفا ، وأخذوا بقيتهم فجعلوهم رعاة لمواشيهم في أسوأ حال ، وأخذوا جميع ما كان معهم من الأحمال والأجمال ، فحين حضروا عند دار الوزير فخر الملك سجنهم ومنعهم الماء ، ثم صلبهم تلقاء دجلة يرون صفاء الماء ولا يقدرون على شيء منه ، حتى ماتوا عطشاً جزاء وفاقاً ، وقد أحسن في هذا الصنيع اقتداء بحديث أنس – في الرعاء الذين اعتقلوا في زمن النبي ﷺ – والحديث في الصحيحين [1] . ثم بعث إلى أولئك الذين اعتقلوا في بلاد بني خفاجة من الحجاج فجيء بهم ، وقد تزوجت نساؤهم وقسمت أموالهم ، فردوا إلى أهاليهم وأموالهم . قال ابن الجوزي : وفي رمضان منها انقض كوكب من المشرق إلى المغرب غلب ضوءه على ضوء القمر ، وتقطع قطعاً وبقي ساعة طويلة . قال : وفي شوال توفيت زوجة بعض رؤساء النصارى ، فخرجت النوائح والصلبان معها جهارًا ، فأنكر ذلك على الهاشميين فضربه بعض غلمان ذلك الرئيس النصراني بدبوس في رأسه فشجه ، فثار المسلمون بهم فانهزموا ولجئوا إلى كنيسة لهم هناك ، فدخلت العامة إليها فنهبوا ما فيها ، وما قرب منها من دور النصارى ، وتتبعوا النصارى في البلد ، وقصدوا دار الناصح وابن أبي إسرائيل فقاتلهم غلمانهم ، وانتشرت الفتنة ببغداد ، ورفع المسلمون المصاحف في الأسواق ، وعطلت الجمع في بعض الأيام ، واستعانوا بالخليفة ، فأمر بإحضار ابن أبي إسرائيل فامتنع ، فعزم الخليفة على الخروج من بغداد، وقويت الفتنة جداً ونهبت دور كثير من النصارى ، ثم أحضر ابن أبي إسرائيل فبذل أموالاً جزيلة، فعفى عنه وسكنت الفتنة . وفي ذي القعدة ورد كتاب من يمين الدولة محمود إلى الخليفة فذكر أنه ورد إليه رسول من الحاكم صاحب مصر ومعه كتاب يدعوه إلى طاعته فبصق فيه وأمر بتحريقه ، وأسمع رسوله أغلظ ما يقال . وفيها : قلد أبو نصر بن مروان الكردي آمد وميافارقين وديار بكر ، وخلع عليه طوق وسواران ، ولقب نصير الدولة ، ولم يتمكن ركب العراق وخراسان في هذه السنة من الحج لفساد الطريق ، وغيبة فخر الملك في إصلاح الأراضي.

وفيها : عادت مملكة الأمويين ببلاد الأندلس فتولى فيها سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الأموي ، ولقب بالمستعين بالله ، وبايعه الناس بقرطبة . وفيها : مات بهاء الدولة بن بويه الديلمي صاحب بغداد وغيرها ، وقام بالأمر من بعده ولده سلطان الدولة أبو شجاع. وفيها : مات ملك الترك الأعظم واسمه إيلك الخان ، وتولى مكانه أخوه طغان خان . وفيها هلك شمس المعالي قابوس بن وشمكير ، أدخل بيتاً بارداً في الشتاء وليس عليه ثياب حتى

(١) متفق عليه : رواه البخارى فى الوضوء (٢٣٣) وفى الزكاة (١٥٠١) وفى الطب (٥٦٨٥، ٥٦٨٦) وفى المحاربين (٦٨٠٤، ٦٨٠٥) ومسلم فى القسامة (١٦٧١/١٠) .

مات كذلك ، وولي الأمر من بعده منوجهر ، ولقب فلك المعالي ، وخطب لمحمود بن سبكتكين ، وقد كان شمس المعالي قابوس عالماً فاضلاً أديباً شاعراً، فمن شعره قوله :

قُلْ للـــــذي بصروفِ الدهر عيّرنا :هل عاندَ الدهرُ إلا مَـــنْ لَهُ خطرُ ؟

أما ترى البحرَ يطفـــــو فوقَهُ جيَفٌ ويستـــــقرُّ بأقصـــــى قَعْرِه الدررُ ؟

فإن تكنْ نَشَبَتْ أيدي الخطـوبِ بنا ومسّنـــــا مِـــنْ توالي صَرْفها ضررُ

ففي السماءِ نجومٌ غَـــــيرُ ذي عددٍ وليس يُكْسَـــفُ إلاّ الشمسُ والقمرُ

ومن مستجاد شعره قوله :

خطراتُ ذكـــــركِ تَسْـتَثيرُ مَودّتي فَأُحِـسُّ منهـــــا في الفـــؤادِ دبيباَ

لا عُضْوَ لي إلا وفيــــه صَبـــــابَةٌ وكـــــأن أعضــــائِيَ خُلقْنَ قُلُوباَ

وفيها توفي من الأعيان :

أحمد بن علي أبو الحسن الليثي

كان يكتب للقادر وهو بالبطيحة ، ثم كتب له على ديوان الخراج والبريد ، وكان يحفظ القرآن حفظاً حسناً ، مليح الصوت والتلاوة حسن المجالسة ، ظريف النادرة ، كثير الضحك والمجانة ، خرج في بعض الأيام هو والشريفان الرضى والمرتضي وجماعة من رؤوس الأكابر لتلقي بعض الملوك، فخرج عليهم اللصوص فجعلوا يرمونهم بالّحراقات ويقولون : يا أزواج القحاب(١) ، فقال الليثي : ما خرج هؤلاء علينا إلا بعين ، فقالوا : ومن أين علمت هذا ؟ فقال: وإلا من أين علموا أننا أزواج قحاب ؟ .

الحسن بن حامد بن علي بن مروان

الوراق الحنبلي ، كان مدرس أصحاب أحمد وفقيههم في زمانه ، وله المصنفات المشهورة ، منها كتاب الجامع في اختلاف العلماء في أربعمائة جزء ، وله في أصول الفقه والدين ، وعليه اشتغل القاضي أبو يعلي بن الفراء ، وكان معظماً في النفوس ، مقرباً عند السلطان ، وكان لا يأكل إلا من كسب يديه من النسج ، وروي الحديث عن أبي بكر الشافعي ، وابن مالك القطيعي ، وغيرهما ، وخرج في هذه السنة إلى الحج فلما عطش الناس في الطريق استند هو إلى حجر هناك في الحر الشديد ، فجاءه رجل بقليل من ماء فقال له ابن حامد : من أين لك هذا ؟ فقال : ما هذا وقت سؤالك ؟ اشرب ، فقال : بلى هذا وقته عند لقاء الله عزّ وجلّ ، فلم يشرب ومات من فوره رحمه الله .

---

(١) القحاب : واحدها القحبة : الفاسدة الفاجرة / البَغيّ .

الحسين بن الحسن

ابن محمد بن حليم ، أبو عبد الله الحليمي ، صاحب (المنهاج في أصول الديانة) ، كان أحد مشايخ الشافعية ، ولد بجرجان وحمل إلى بخارى ، وسمع الحديث الكثير حتى انتهت إليه رياسة المحدثين في عصره ، وولي القضاء ببخارى ، قال ابن خلكان : انتهت إليه الرياسة فيما وراء النهر ، وله وجوه حسنة في المذهب ، وروي عنه الحاكم أبو عبد الله .

فيروز أبو نصر

الملقب ببهاء الدولة بن عضد الدولة الديلمي ، صاحب بغداد وغيرها ، وهو الذي قبض على الطائع وولي القادر ، وكان يحب المصادرات فجمع من الأموال ما لم يجمعه أحد ممن كان قبله من بني بويه ، وكان بخيلاً جداً ، توفي بأرجان في جمادى الآخرة منها عن ثنتين وأربعين سنة وثلاثة أشهر وكان مرضه الصرع ، ودفن بمشهد علي إلى جانب أبيه .

قابوس بن وشمكير

كان أهل دولته قد تغيروا عليه فبايعوا ابنه منوجهر وقتلوه كما ذكرنا ، وكان قد نظر في النجوم فرأي أن ولده يقتله ، وكان يتوهم أن ولده داراً ، لما يرى من مخالفته له ، ولا يخطر بباله منوجهر لما يرى من طاعته له، فكان هلاكه على يد منوجهر،وقد قدمنا شيئاً من شعره في الحوادث.

القاضي أبو بكر الباقلاني

محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني ، رأس المتكلمين على مذهب الشافعي ، وهو من أكثر الناس كلاماً وتصنيفاً في الكلام ، يقال : إنه كان لا ينام كل ليلة حتى يكتب عشرين ورقة في مدة طويلة من عمره، فانتشرت عنه تصانيف كثيرة، من جيدها كتاب « التبصرة » ، « ودقائق الحقائق » ، « والتمهيد في أصول الفقه » ، « وشرح الإبانة » ، وغير ذلك من المجاميع الكبار والصغار ، ومن أحسن تصانيفه كتابه في الرد على الباطنية ، الذي سماه " كشف الأسرار وهتك الأستار " وقد اختلفوا في مذهبه في الفروع : فقيل : شافعي وقيل : مالكي ، حكي ذلك عنه أبو ذر الهروي ، وقد قيل : إنه كان يكتب على الفتاوى : كتبه محمد بن الطيب الحنبلي ، وهذا غريب جداً ، وقد كان في غاية الذكاء والفطنة .

ذكر الخطيب وغيره عنه أن عضد الدولة بعثه في رسالة إلى ملك الروم ، فلما انتهى إليه إذا هو لا يدخل عليه أحد إلا من باب قصير كهيئة الراكع ، ففهم الباقلاني أن مراده أن ينحني الداخل عليه له كهيئة الراكع لله عزّ وجلّ ، فدار استه [1] إلى الملك ودخل الباب بظهره يمشي إليه القهقري ، فلما وصل إليه انفتل فسلم عليه ، فعرف الملك ذكاءه ومكانه من العلم والفهم ،

---

(١) الإِسْتُ : الدُّبُرُ .

فعظمه . ويقال : إن الملك أحضر بين يديه آلة الطرب المسماة بالأرغل ، ليستفز عقله بها ، فلما سمعها الباقلاني خاف على نفسه أن يظهر منه حركة ناقصة بحضرة الملك ، فجعل لا يألو جهداً أن جرح رجله حتى خرج منها الدم الكثير ، فاشتغل بالألم عن الطرب ، ولم يظهر عليه شيء من النقص والخفة ، فعجب الملك من كمال عقله ، ثم إن الملك استكشف عن أمره فإذا هو قد جرح نفسه بما أشغله عن الطرب ، فتحقق الملك وفور علمه وعلو فهمه ، فإن هذه الآلة لا يسمعها أحد إلا طرب شاء أم أبي . وقد سأله بعض الأساقفة بحضرة ملكهم . فقال : ما فعلت زوجة نبيكم ؟ وما كان من أمرها بما رميت به من الإفك ؟. فقال الباقلاني مجيباً له على البديهة: هما امرأتان ذكرتا بسوء : مريم ، وعائشة ، فبرأهما الله عزّ وجلّ ، وكانت هذه ذات زوج ولم تأت بولد ، وأتت مريم بولد ولم يكن لها زوج – يعني : أن عائشة أولى بالبراءة من مريم – وكلتاهما برئية مما قيل فيها ، فإن تطرق في الذهن الفاسد احتمال ريبة إلى هذه فهو إلى تلك أسرع وهما بحمد الله منــزهتان مبرأتان من السماء بوحي الله عزّ وجلّ عليهما السلام .

وقد سمع الباقلاني الحديث من أبي بكر بن مالك القطيعي وأبي محمد بن ماسي وغيرهما ، وقد قبله الدار قطني يوماً بين عينيه وقال : هذا يرد على أهل الأهواء باطلهم ، ودعا له . وكانت وفاة الباقلاني يوم السبت لسبع بقين من ذي القعدة، ودفن بداره ثم نقل إلى مقبرة باب حرب.

محمد بن موسى بن محمد

أبو بكر الخوارزمي شيخ الحنفية وفقيههم ، أخذ العلم عن أبي بكر أحمد بن علي الرازي ، وانتهت إليه رياسة الحنفية ببغداد ، وكان معظماً عند الملوك ، ومن تلامذة الرضي والصيمري ، وقد سمع الحديث من أبي بكر الشافعي وغيره ، وكان ثقة ديناً حسن الصلاة على طريقة السلف، ويقول في الاعتقاد : ديننا دين العجائز ، لسنا من الكلام في شيء ، وكان فصيحاً حسن التدريس ، دعي إلى ولاية القضاء غير مرة فلم يقبل ، كانت وفاته ليلة الجمعة الثامن عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعمائة ، ودفن بداره من درب عبده .

الحافظ أبو الحسن علي بن محمد بن خلف

المعافري القابسي مصنف « التلخيص » ، أصله قزويني وإنما غلب عليه القابسي لأن عمه كان يتعمم قابسية ، فقيل : لهم ذلك ، وقد كان حافظاً بارعاً في علم الحديث . رجلاً صالحاً جليل القدر ، ولما توفي في ربيع الآخر ، من هذه السنة عكف الناس على قبره ليالي يقرأون القرآن ويدعون له، وجاء الشعراء من كل أوب يرثون ويترحمون ، ولما أجلس للمناظرة أنشد لغيره :

لَعَمْـــــرُ أبيك مـــــا نُسبَ المعلّى ... إلى كـــــرمٍ وفي الدنيـــــا كـــريمُ
ولكنّ البـــــلادَ إذا اقْشَعَــــرَّتْ ... وصـــوّحَ نَبْتُهـــا رُعِيَ الهشيمُ (١)

---

(١) اقشعر : اقشعر جلده ارتعد وتقبض والشعر قام وانتصب من فزع أو بَرد . الهشيم : النبات اليابس المتكسر .

ثم بكى وأبكى ، وجعل يقول : أنا الهشيم أنا الهشيم . رحمه الله تعالى .

الحافظ الفرضى

أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي الفرضي ، قاضي بلنسية ، سمع الكثير وجمع وصنف التاريخ ، وفي (المؤتلف والمختلف) ، ومشتبه النسبة وغير ذلك ، وكان علامة زمانه ، قتل شهيداً على يد البربر فسمع وهو جريح طريح يقرأ على نفسه الحديث الذي في الصحيح : "**ما يُكْلَمُ أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يُكْلَم في سبيله إلا جاء يوم القيامة وكَلْمُه يدمي، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك**" [1] . وقد كان سأل الله تعالى الشهادة عند أستار الكعبة فأعطاه الله إياها ، ومن شعره قوله :

أســـيرُ الخطايــا عند بابكَ واقفُ ... على وجـــلٍ مما بـــه أنتَ عارفُ
يخافُ ذُنوباً لم يغـــبْ عنك غيُّها ... ويرجوكَ فيها وهـــو راجٍ وخائفُ
ومن ذا الذي يُرجي ســواك ويُتقي ... ومالك في فصلِ القضــاءِ مخالفُ
فياسَيِّدي لا تخـزني في صحيفـتي ... إذا نُشِرَتْ يومَ الحسابِ الصحـائفُ
وَكُنَ مؤنسي في ظلمةِ القـبرِ عندما ... يصدرُ ذوو القربى ويجفو المؤالفُ [2]
لئن ضاقَ عني عفُوك الواسعُ الذي ... أُرجّي لإسْرافي فإني تــالفُ

ثم دخلت سنة أربع وأربعمائة

في يوم الخميس غرة ربيع الأول منها : جلس الخليفة القادر بالله في أبهة الخلافة وأحضر بين يديه سلطان الدولة والحجبة. فخلع عليه سبع خلع على العادة ، وعممه بعمامة سوداء ، وقلد سيفاً وتاجاً مرصعاً ، وسوارين وطوقا ، ولواءين عقدهما الخليفة بيده ، ثم أعطاه سيفاً وقال للخادم : قلده به ، فهر شرف له ولعقبة ، يفتح به شرق الأرض وغربها ، وكان ذلك يوماً مشهوداً ، حضره القضاة والأمراء والوزراء ، وفيها : غزا محمود بن سبكتكين بلاد الهند ففتح وقتل وسبي وغنم ، وسلم ، وكتب إلى الخليفة المقتدر بالله أن يوليه ما بيده من مملكة خراسان وغيرها من البلاد ، فأجابه إلى ما سأل . وفيها : عاثت بنو خفاجة ببلاد الكوفة فبرز إليهم نائبها أبو الحسن بن مزيد فقتل منهم خلقاً وأسر محمد بن يمان وجماعة من رؤسهم ،

---

(١) متفق عليه : رواه البخارى فى الجهاد (٢٨٠٣) ومسلم فى الإمارة (١٠٣/١٨٧٦) والترمذى فى فضائل الجهاد (١٦٥٦) وأحمد (٢٤٢/٢) .

(٢) يصدر : يرجع .

وانهزم الباقون ، فأرسل الله عليهم ريحاً حارة فأهلك منهم خمسمائة إنسان . وحج بالناس في هذه السنة أبو الحسن محمد بن الحسن الأفساسي . وفيها توفي من الأعيان :

الحسن بن أحمد

ابن جعفر بن عبد الله المعروف بابن البغدادي ، سمع الحديث ، وكان زاهداً عابداً كثير المجاهدة ، لا ينام إلا عن غلبة ، وكان لا يدخل الحمام ولا يغسل ثيابه إلا بماء ، وجده الحسين ابن عثمان بن علي أبو عبد الله المقري الضرير المجاهدي ، قرأ علي ابن مجاهد القرآن وهو صغير، وكان آخر من بقي من أصحابه ، توفي في جمادى الأولى منها ، وقد جاوز المائة سنة ، ودفن في مقابر الزرادين .

علي بن سعيد الإصطخري

أحد شيوخ المعتزلة ، صنف للقادر بالله الرد على الباطنية فأجري عليه جراية سنية ، وكان يسكن درب رباح ، توفي في شوال وقد جاوز الثمانين .

ثم دخلت سنة خمس وأربعمائة

فيها: منع الحاكم صاحب مصر النساء من الخروج من منازلهن ، أو أن يطلعن من الأسطحة أو من الطاقات ، ومنع الخفافين من عمل الأخفاف لهن ، ومنعهن من الخروج إلى الحمامات ، وقتل خلقاً من النساء على مخالفته في ذلك ، وهدم بعض الحمامات عليهن ، وجهز نساء عجائز يستعلمن أحوال النساء لمن يعشقن أو يعشقهن ، بأسمائهن وأسماء من يتعرض لهن ، فمن وجد منهن كذلك أطفأها وأهلكها ، ثم إنه أكثر من الدوران بنفسه ليلاً ونهاراً في البلد ، في طلب ذلك ، وغرق خلقاً من الرجال والنساء والصبيان ممن يطلع على فسقهم ، فضاق الحال واشتد على النساء وعلى الفساق ذلك ، ولم يتمكن أحد منهن أن يصل إلى أحد إلا نادراً ، حتى أن امرأة كانت عاشقة لرجل عشقاً قوياً كادت أن تهلك بسببه ، لما حيل بينها وبينه ، فوقفت لقاضي القضاة بالديار المصرية وهو مالك بن سعد الفارقي وحلفته بحق الحاكم لما وقف لها واستمع كلامها ، فرحمها فوقف لها فبكت إليه بكاء شديداً مكراً وحيلة وخداعاً ، وقالت له: أيها القاضي إن لي أخاً ليس لي غيره ، وهو في السياق وإني أسألك بحق الحاكم عليك لما أوصلتني إلى منـــزله، لأنظر إليه قبل أن يفارق الدنيا ، وأجرك على الله ، فرق لها القاضي رقة شديدة وأمر رجلين كانا معه يكونان معها حتى يبلغاها إلى المنـــزل الذي تريده ، فأغلقت بابها وأعطت المفتاح لجارتها ، وذهبت معهما حتى وصلت إلى منـــزل معشوقها ، فطرقت الباب ودخلت وقالت لهما : اذهبا هذا منـــزله فإذا رجل كانت تهواه وتحبه ويهواها ويحبها ، فقال لها: كيف قدرت على الوصول إلي ؟ فأخبرته بما احتالت به من الحيلة على القاضي ، فأعجبه ذلك من مكرها وحيلتها ، وجاء زوجها من آخر النهار فوجد بابه مغلقاً وليس في بيته أحد ،

فسأل الجيران عن أمرها فذكرت له جارتها ما صنعت. فاستغاث على القاضي وذهب إليه ، وقال له : ما أريد امرأتي إلا منك الساعة ، وإلا عرفت الحاكم ، فإن امرأتي ليس لها أخ بالكلية، وإنما ذهبت إلى معشوقها ، فخاف القاضي من معرة هذا الأمر ، فركب إلى الحاكم وبكى بين يديه ، فسأله عن شأنه فأخبره بما اتفق له من الأمر مع المرأة ، فأرسل الحاكم مع ذينك الرجلين من يحضر المرأة والرجل جميعاً ، على أي حال كانا عليه فوجدهما متعانقين سكارى ، فسألهما الحاكم عن أمرهما فأخذا يعتذران بما لا يجدي شيئاً ، فأمر بتحريق المرأة في بادية وضرب الرجل ضرباً مبرحاً حتى أتلفه ، ثم ازداد احتياطاً وشدة على النساء حتى جعلهن في أضيق من جحر ضب ، ولا زال هذا دأبه حتى مات . ذكره ابن الجوزي .

وفي رجب منها : ولّي أبو الحسن أحمد بن أبي الشوارب قضاء الحضرة بعد موت أبي محمد الأكفاني . وفيها عمّر فخر الدولة مسجد الشرقية ونصب عليه الشبابيك من الحديد .

وممن توفي فيها من الأعيان :

بكر بن شاذان بن بكر

أبو القاسم المقري الواعظ ، سمع أبا بكر الشافعي ، وجعفر الخلدي ، وعنه الأزهري والخلال ، وكان ثقة أميناً صالحاً عابداً زاهداً ، له قيام ليل ، وكريم أخلاق . مات فيها وقد نيف على الثمانين ، ودفن بباب حرب .

بدر بن حسنويه بن الحسين

أبو النجم الكردي ، كان من خيار الملوك بناحية الدينور وهمدان ، وله سياسة وصدقة كثيرة ، كنّاه القادر بالله أبا النجم ، ولقبه ناصر الدولة ، وعقد له لواء وأنفذه إليه ، وكان في غاية الأمن والطيبة ، بحيث إذا أعيى جمل أحد من المسافرين أو دابته عن حمله يتركها بما عليها في البرية فيرد عليه ، ولو بعد حين لا ينقص منه شيء ، ولما عاثت أمراؤه في الأرض فساداً عمل لهم ضيافة حسنة ، فقدمها إليهم و لم يأتهم بخبز ، فجلسوا ينتظرون الخبز ، فلما طال ذلك سألوا عنه ، فقال لهم : إذا كنتم تهلكون الحرث وتظلمون الزراع ، فمن أين تؤتون بالخبز ؟ ثم قال لهم : لا أسمع بأحد أفسد في الأرض بعد اليوم إلا أرقت دمه . واجتاز مرة في بعض أسفاره برجل قد حمل حزمة حطب وهو يبكي . فقال له : ما لك تبكي ؟ فقال : إني كان معي رغيفان أريد أن أتقوتهما فأخذهما مني بعض الجند ، فقال له : أتعرفه إذا رأيته ؟. قال : نعم . فوقف به في موضع مضيق حتى مر عليه ذلك الرجل الذي أخذ رغيفيه ، قال : هذا هو ، فأمر به أن ينـــزل عن فرسه وأن يحمل حزمته التي احتطبها حتى يبلغ بها إلى المدينة ، فأراد أن يفتدي من ذلك بمال جزيل فلم يقبل منه ، حتى تأدب به الجيش كلهم وكان يصرف في كل جمعة عشرة آلاف درهم على الفقراء والأرامل والأيتام ، وفي كل شهر عشرين ألف درهم في تكفين

الموتى ، ويصرف في كل سنة ألف دينار إلى عشرين نفساً يحجون عن والديه ، وعن عضد الدولة ، لأنه كان السبب في تمليكه ، وثلاثة آلاف دينار في كل سنة إلى الحدادين والحذائين للمنقطعين بين همذان وبغداد ، يصلحون لهم الأحذية ونعال دوابهم ، ويصرف في كل سنة مائة ألف دينار إلى الحرمين صدقة على المجاورين ، وعمارة المصانع ، وإصلاح المياه في طريق الحجاز وإطلاقاً لأهل المنازل وحفر الآبار وإصلاحها ، وما اجتاز في طريقه وأسفاره بماء إلا بنى عنده قرية ، وعمر في أيامه من المساجد والخانات ما ينيف على ألفي مسجد وخان ، هذا كله خارجاً عما يصرف من ديوانه من الجرايات ، والنفقات والصدقات ، والبر والصلات ، على أصناف الناس ، من الفقهاء والقضاة والمؤذنين والأشراف ، والشهود والفقهاء والمساكين والأيتام والأرامل . وكان مع هذا كثير الصلاة والذكر وكان له من الدواب المربوطة في سبيل الله وفي الحشر ما ينيف على عشرين ألف دابة . وكانت وفاته في هذه السنة رحمه الله عن نيف وثمانين سنة ، ودفن في مشهد علي ، وترك من الأموال أربع عشرة ألف بدرة ، ونيفاً وأربعين بدرة ، البدرة عشرة آلاف ، رحمه الله تعالى .

الحسن بن الحسين بن حمكان

أبو علي الهمداني ، أحد الفقهاء الشافعية ببغداد، عني أولاً بالحديث فسمع أبا حامد المروزي ، وروي عن الأزهري ، وقال : كان ضعيفاً ليس بشيء في الحديث .

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم

أبو محمد الأسدي المعروف بابن الأكفاني ، قاضي قضاة بغداد ، ولد سنة ست عشرة وثلاثمائة وروي عن القاضي المحاملي ، ومحمد بن خلف ، وابن عقدة وغيرهم ، وعنه البرقاني والتنوخي ، يقال : إنه أنفق على طلب العلم مائة ألف دينار ، وكان عفيفاً نزهاً صين العرض . توفي في هذه السنة عن خمس وثمانين سنة ، وولي الحكم منها أربعين سنة نيابة واستقلالاً ، رحمه الله تعالى .

عبد الرحمن بن محمد

ابن محمد بن عبد الله بن إدريس بن سعد ، الحافظ الإستراباذي المعروف بالإدريسي ، رحل في طلب العلم والحديث ، وعني به وسمع الأصم وغيره ، وسكن سمرقند ، وصنف بها تاريخاً وعرضه على الدارقطني فاستحسنه ، وحدث ببغداد فسمع منه الأزهري والتنوخي ، وكان ثقة حافظاً .

أبو نصر عبد العزيز بن عمر

ابن أحمد بن نباتة الشاعر المشهور، امتدح سيف الدولة بن حمدان أظنه أخو الخطيب بن نباتة أو غيره ، وهو القائل البيت المطروق المشهور :

وَمَنْ لم يَمُتْ بالسيفِ ماتَ بِغَيْرِه ... تَنَوّعَتِ الأسبابُ والموتُ واحدُ

عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نباتة

أبو نصر السعدي الشاعر وشعره موقوف ومن شعره قوله :

وإذا عجـــزتَ عن العدو فداره وامـــزجْ لـــــه إنّ المزاجَ وفـــاقُ
كالماءِ بالنـــــارِ الذي هو ضدّهَا يعطي النضاجَ [1] وطبعُها الإحراقُ

وتوفي فيها : عبد الغفار بن عبد الرحمن أبو بكر الدينوري الفقيه السفياني ، وهو أخر من كان يفتي بمذهب سفيان الثوري ببغداد، في جامع المنصور، وكان إليه النظر في الجامع والقيام بأمره.

توفى فيها ودفن خلف جامع الحاكم :

الحاكم النيسابوري

صاحب «المستدرك» ، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، ابن نعيم بن الحكم ، أبو عبد الله الحاكم الضبي الحافظ ، ويعرف بابن البيع ، من أهل نيسابور ، وكان من أهل العلم والحفظ والحديث ، ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، وأول سماعه من سنة ثلاثين وثلاثمائة ، فسمع الكثير وطاف في الآفاق ، وصنف الكتب الكبار والصغار ، فمن ذلك المستدرك على الصحيحين ، وعلوم الحديث والإكليل وتاريخ نيسابور ، وقد روي عن خلق ، ومن مشايخه الدار قطني وابن أبي الفوارس وغيرهما ، وقد كان من أهل الدين والأمانة والصيانة ، والضبط ، والتجرد، والورع.لكن قال الخطيب البغدادي:كان ابن البيع يميل إلى التشيع،فحدثني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأرموي ، قال: جمع الحاكم أبو عبد الله أحاديث زعم أنها صحاح على شرط البخاري ومسلم ، يلزمهما إخراجها في صحيحيهما ، فمنها حديث الطير ، " ومن كنت مولاه فعلي مولاه" ، فأنكر عليه أصحاب الحديث ذلك و لم يلتفتوا إلى قوله ولاموه في فعله . وقال محمد بن طاهر المقدسي : قال الحاكم : حديث الطير لم يخرج في الصحيح وهو صحيح ، قال ابن طاهر : بل هو موضوع لا يروى إلا عن أسقاط أهل الكوفة من المجاهيل ، عن أنس : فإن كان الحاكم لا يعرف هذا فهو جاهل ، وإلا فهو معاند كذاب . وقال أبو عبد الرحمن السلمي: دخلت على الحاكم وهو مختف من الكرامية لا يستطيع أن يخرج منهم ، فقلت له : لو خرجت فأمليت حديثاً في فضائل معاوية لاسترحت مما أنت فيه ، فقال : لا يجيء من قبلي ، توفي فيها عن أربع وثمانين سنة .

ابن كج

يوسف بن أحمد بن كج أبو القاسم القاضي : أحد أئمة الشافعية ، وله وجوه غريبة يحكيها في المذهب ، وكانت له نعمة عظيمة جداً ، وولي القضاء بالدينور لبدر بن حسنويه فلما تغيرت البلاد بعد موت بدر وثب عليه جماعة من العيارين فقتلوه ليلة سبع وعشرين من رمضان من هذه السنة .

تم الجزء الحادى عشر من البداية والنهاية
ويليه الجزء الثانى عشر وأوله سنة ست وأربعمائة وبالله التوفيق

---

(١) نضج : نَضْجًا ؛ الثمر أو اللحم : أدرك وطاب أكْلُهُ .

البداية والنهاية

للإمام الحافظ أبو الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

الجزء الثاني عشر

خرج أحاديثه

الشيخ / محمد بيومى
أ/ عبد الله المنشاوى
أ/ محمد رضوان مهنا

الناشر
مكتبة الإيمان
المنصورة ☏ ٢٥٧٨٨٢

الناشر

مكتبة الإيمان

المنصورة ☏ ٢٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾

(سورة الحشر : آية ٧)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة ست وأربعمائة

في يوم الثلاثاء مستهل المحرم منها وقعت فتنة بين أهل السنة والروافض، ثم سكّن الفتنة الوزير فخر الملك، على أن تعمل الروافض بدعتهم يوم عاشوراء من تعليق المسوح والنوح .

وفي هذا الشهر ورد الخبر بوقوع وباء شديد في البصرة أعجز الحفارين والناس عن دفن موتاهم، وأنه أظلت البلد سحابة في حزيران، فأمطرتهم مطراً شديداً كثيراً. وفي يوم السبت، ثالث صفر، تولي المرتضى نقابة الطالبيين، والمظالم والحج، وجميع ما كان يتولاه أخوه الرضي، وقرئ تقليده بحضرة الأعيان، وكان يوما مشهودا. وفيها ورد الخبر عن الحجاج بأنه هلك منهم بسبب العطش أربعة عشر ألفا، وسلم ستة آلاف، وأنهم شربوا بول الجمال من العطش. وفيها غزا محمود بن سبكتكين بلاد الهند فأخذه الأدلاء فسلكوا به على بلاد غريبة فانتهوا إلى أرض قد غمرها الماء من البحر فخاض بنفسه الماء أياماً، وخاض الجيش، حتى خلصوا بعد ما غرق كثير من جيشه، وعاد إلى خراسان بعد جهد جهيد. ولم يحج فيها من العراق ركب لفساد البلاد من الأعراب .

فيها توفى من الأعيان :

الشيخ أبو حامد الإسفرايينى

أحمد بن محمد بن أحمد : إمام الشافعية في زمانه، ولد في سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، وقدم بغداد وهو صغير، سنة ثلاث أو أربع وستين وثلاثمائة، فدرس الفقه على أبي الحسن بن المرزبان، ثم على أبي القاسم الداركي، ولم يزل تترقى به الأحوال، حتى صارت إليه رياسة الشافعية، وعظم جاهه عند السلطان، والعوام، وكان فقيهاً إماماً، جليلاً نبيلاً، شرح المزني في تعليقة حافلة نحواً من خمسين مجلداً، وله تعليقة أخرى في أصول الفقه، وروى عن الإسماعيلي وغيره. قال الخطيب البغدادي : ورأيته غير مرة، وحضرت تدريسه بمسجد عبد الله بن المبارك، في قطيعة الربيع، وحدثنا عنه الأزجي والخلال، وسمعت من يذكر : أنه كان يحضر تدريسه سبعمائة متفقه، وكان الناس يقولون : لو رآه الشافعي لفرح به. وقال أبو الحسن القدوري : ما رأيت في الشافعية أفقه من أبي حامد. وقد ذكرت ترجمته مستقصاة في طبقات الشافعية. وذكر ابن خلكان : أن القدوري كان يقول : هو أفقه وأنظر من الشافعي. قال الشيخ أبو إسحاق : وليس هذا بمسلم، فإن أبا حامد وأمثاله بالنسبة إلى الشافعي كما قال الشاعر :

نزلوا بمكَّةَ في قَبَائِلِ نَوْفَلٍ ونزلتُ بالبيداءِ أبعدَ مَنْـــزِلِ

قال ابن خلكان : وله مصنفات : (التعليقة الكبرى) ، وله كتاب (البستان) ، وهو صغير فيه غرائب؛ قال: وقد اعترض عليه بعض الفقهاء في بعض المناظرات ، فأنشأ الشيخ أبو حامد يقول :

جفاءُ جَرَى جَهْرًا لدي الناس وانبسطَ ... وعذرُ أتى سرًّا فأكَّدَ ما فرط

ومَنْ ظنّ أن يمحُوَ جَليَّ جَفَائه ... خَفَي اعتذارٍ فهو في أعظمِ الغلط

توفى ليلة السبت، لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال منها ، ودفن بداره بعد ما صلي عليه بالصحراء، وكان الجمع كثيرا، والبكاء غزيرا، ثم نقل إلى مقبرة باب حرب، في سنة عشر وأربعمائة. قال ابن الجوزي : وبلغ من العمر إحدى وستين سنة وأشهراً .

أبو أحمد الفرضي

عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن مهران، أبو مسلم الفرضي المقري : سمع المحاملي، ويوسف بن يعقوب، وحضر مجلس أبي بكر بن الأنباري، وكان إماما ثقة، ورعا وقورا، كثير الخير، يقرأ القرآن كثيرا، ثم سمع الحديث، وكان معظما جليلاً إذا قدم على الشيخ أبي حامد الإسفراييني، نهض إليه حافيا، فتلقاه إلى باب المسجد، توفي وقد جاوز الثمانين .

الشريف الرضي

محمد بن الطاهر أبو أحمد الحسين بن موسى أبو الحسن العلوي، لقبه بهاء الدولة بالرضي، ذي الحسبتين، ولقب أخاه المرتضى ذي المجدين، وُلّي نقابة الطالبيين ببغداد بعد أبيه، وكان شاعرا مطبقا، سخياً جواداً.وقال بعضهم : كان الشريف الرضي فى كثرة أشعاره أشعر قريش، فمن شعره المستجاد قوله :

اشترِ العزَّ بما شئـ ... ـتَ فما العزُّ بغال

بالقصارِ البيضِ إن شئـ ... ـتَ أو السُمْرِ الطوالَ

ليس بالمغبون عقلاً ... مَنْ شَرَي عزًّا بمالَ

إنَّما يُدّخَرُ الما ... لُ لحاجاتِ الرجالِ

والفتي مَنْ جَعَلَ الأموا ... لَ أثمانَ المعالي

ومن شعره رحمه الله تعالى:

يا طائرَ البانِ غرّيدًا على فَنَنِ ... ما هاجَ نَوحُكَ يا طائرَ البانِ[1]

هل أنتَ مبلغُ مَنْ هَامَ الفؤادُ به؟ ... إنّ الطليقَ يؤدّي حاجةَ العانى[2]

جنايةُ ما جناها غيرُ مُتْلفنا ... يومَ الوداعِ وَوَا شَوْقي إلى الجاني

لوَلا تذكُّرُ أيامِ بذي سلمٍ ... وعند رامةَ أوطاري وأوطاني

لما قدحتُ بنارِ الوَجْدِ[3] في كبدِي ... ولا بللتُ بماءِ الدمعِ أجفاني

وقد نسب إلى الرضي قصيدة، يتمني فيها أن يكون عند الحاكم العبيدي، ويذكر فيها أباه، ويا ليته كان عنده ، حين يرى حاله ومنزلته عنده ، وأن الخليفة لما بلغه ذلك أراد أن يسيره إليه ليقضي أربه، ويعلم الناس كيف حاله. يقول في هذه القصيدة :

---

(١) البان : واحدته البانة : شجر معتدل القوام ورقه لين يُشبَّهُ به القَدُّ لطوله . (غريدًا) : التطريب فى الصوت والغناء. (فنن) : الغصن اللدن الطويل المسترسل . (هاج) : ثار وتحرك واضطرب . (الفوح) النياحة: البكاء بصياح .

(٢) العانى : الأسير . وفى الشطر الثانى محسن بديعى طباق بين (الطليق – الحر ، والعانى) .

(٣) الوجد : الحزن .

ألبسُ الذلَّ في بلادِ الأعادي وبمصـرَ الخليفـةُ العلـويُّ
مَنْ أبوه أبي ومولاهَ مـولا يَ إذا ضـامَني البعيـدُ القصيُّ

إلى آخرها ، فلما سمع الخليفة القادر بأمر هذه القصيدة ، انزعج ، وبعث إلى أبيه الموسوي، يعاتبه، فأرسل إلى ابنه الرضي، فأنكر أن يكون قالها بالمرة، والروافض من شأنهم التزوير. فقال له أبوه : فإذا لم تكن قلتها، فقل أبياتا تذكر فيها أن الحاكم بمصر دعي لا نسب له . فقال : إني أخاف غائلة ذلك، وأصر على أن لا يقول ما أمره به أبوه، وترددت الرسل من الخليفة إليهم في ذلك، وهم ينكرون ذلك، حتى بعث الشيخ أبا حامد الإسفراييني، والقاضي أبا بكر إليهما، فحلف لهما بالأيمان المؤكدة أنه ما قالها، والله أعلم بحقيقة الحال. توفى في خامس المحرم منها، عن سبع وأربعين سنة، وحضر جنازته الوزير، والقضاة وصلي عليه الوزير، ودفن بداره بمسجد الأنباري،وولي أخوه الشريف المرتضى ما كان يليه، وزيد على ذلك أشياء، ومناصب أخرى، وقد رثاه أخوه بمرثاة حسنة .

أبو المعز مناذر بن باديس (١)

نائب الحاكم على بلاد إفريقية وابن نائبها، لقبه الحاكم بنصير الدولة، كان ذا همة وسطوة وحرمة وافرة، كان إذا هز رمحا كسره، توفي فجأة ليلة الأربعاء، سلخ ذي القعدة منها ، ويقال: إن بعض الصالحين، دعي عليه، تلك الليلة، وقام في الأمر بعده ، ولده المعز مناذر.

ثم دخلت سنة سبع وأربعمائة

في ربيع الأول منها، احترق مشهد الحسين بن علي بكربلاء وأروقته، وكان سبب ذلك أن القومة أشعلوا شمعتين كبيرتين، فمالتا في الليل على التازير، ونفذت النار منه إلى غيره، حتى كان منه ما كان. وفي هذا الشهر أيضاً، احترقت دار القطن ببغداد، وأماكن كثيرة، بباب البصرة، واحترق جامع سامرا، وفي هذا الشهر ورد الخبر بتشعيث الركن اليماني من المسجد الحرام، وسقوط جدار بين يدي قبر الرسول ﷺ بالمدينة، وأنه سقطت القبة الكبيرة على صخرة بيت المقدس، وهذا من أغرب الاتفاقات وأعجبها.

وفي هذه السنة : قتلت الشيعة الذين ببلاد إفريقية، ونهبت أموالهم، ولم يترك منهم إلا مَن لا يعرف. وفيها كان ابتداء دولة العلويين، ببلاد الأندلس، وليها على بن حمود بن أبي العيس العلوي، فدخل قرطبة في المحرم منها وقتل سليمان بن الحكم الأموي، وقتل أباه أيضا، وكان شيخا صالحا، وبايعه الناس، وتلقب بالمتوكل على الله، ثم قتل في الحمام، في ثامن عشر ذي القعدة منها ، عن ثمان وأربعين سنة، وقام بالأمر من بعده أخوه القاسم بن حمود، وتلقب

(١) في النجوم الزاهرة : المعز بن باديس بن منصور بن بلكين الحميري .

بالمأمون، فأقام في الملك ست سنين، ثم قام ابن أخيه يحيي بن إدريس، ثم ملك الأمويون حتى ملك أمر المسلمين على بن يوسف بن تاشفين. وفيها : ملك محمود بن سبكتكين بلاد خوارزم، بعد ملكها خوارزم شاه، مأمون بن مأمون، وفيها : استوزر سلطان الدولة أبا الحسن على بن الفضل الرامهرمزي، عوضا عن فخر الملك، وخلع عليه. ولم يحج أحد في هذه السنة من بلاد المغرب ، لفساد البلاد والطرقات .

وفيها توفي من الأعيان :

أحمد بن محمد بن يوسف بن دوست :

أبو عبد الله البزار : أحد حفاظ الحديث، وأحد الفقهاء على مذهب مالك، كان يذكر بحضرة الدارقطني، ويتكلم في علم الحديث، فيقال : إن الدارقطني تكلم فيه لذلك السبب، وقد تكلم فيه غيره، بما لا يقدح فيه كبير شيء. قال الأزهري : رأيت كتبه كلها طرية وكان يذكر أن أصوله العُتق غرقت، وقد أملي الحديث من حفظه، والمخلص وابن شاهين حيان موجودان. وتوفى في رمضان عن أربع وثمانين سنة .

الوزير فخر الملك

محمد بن علي بن خلف أبو غالب الوزير : كان من أهل واسط، وكان أبوه صيرفيا، فتنقلت به الأحوال، إلى أن وزّر لبهاء الدولة ، وقد اقتني أموالا جزيلة، وبني دارا عظيمة، تعرف بالفخرية، وكانت أولا للخليفة المتقي لله، فأنفق عليها أموالا كثيرة، وكان كريما جوادا، كثير الصدقة ، كسي في يوم واحد ألف فقير، وكان كثير الصلاة أيضا، وهو أول من فرق الحلاوة ليلة النصف من شعبان، وكان فيه ميل إلى التشيع، وقد صادره سلطان الدولة في هذه السنة بالأهواز، وأخذ منه شيئاً أزيد من ستمائة ألف دينار، خارجا عن الأملاك والجواهر والمتاع، قتله سلطان الدولة، وكان عمره يوم قتل ثنتين وخمسين سنة وأشهرا، وقد قيل . إن سبب هلاكه أن رجلا قتله بعض غلمانه، فاستعدت امرأة الرجل على الوزير هذا، ورفعت إليه قصتها، وكل ذلك لا يلتفت إليها، فقالت له ذات يوم : أيها الوزير، أرأيت القصص التي رفعتها إليك ؟ ، فلم تلتفت إليها، قد رفعتها إلى الله عزّ وجلّ، وأنا أنتظر التوقيع عليها، فلما مسك الوزير قال : قد والله خرج توقيع المرأة ؛ فكان من أمره ما كان .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعمائة

فيها : وقعت فتنة عظيمة بين أهل السنة والروافض ببغداد، قتل فيها خلق كثير من الفريقين .

وفيها : ملك أبو المظفر بن أرسلان خاقان بلاد ما وراء النهر وغيرها، وتلقب بشرف الدولة، وذلك بعد وفاة أخيه طغان خان، وقد كان طغان خان هذا دينا فاضلا، يحب أهل العلم

والدين، وقد غزا الترك مرة، فقتل منهم مائتي ألف مقاتل، وأسر منهم مائة ألف، وغنم من أواني الذهب والفضة وأواني الصين شيئا لم يعهد لأحد مثله، فلما مات ظهرت ملوك الترك على البلاد الشرقية. وفي جمادى الأولى منها، ولي أبو الحسين أحمد بن مهذب الدولة على بن نصر بلاد البطائح، بعد أبيه، فقاتله ابن عمه، فغلبه وقتله، ثم لم تطل مدته فيها حتى قتل، ثم آلت تلك البلاد بعد ذلك إلى سلطان الدولة صاحب بغداد وفي هذه السنة ضعف أمر الديلم ببغداد، وطمع فيهم العامة، فنـــزلوا إلى واسط فقاتلوهم مع الترك .

وفيها : ولي نور الدولة أبو الأغر دبيس بن أبي الحسن علي بن مزيد بعد وفاة أبيه. وفيها : قدم سلطان الدولة إلى بغداد، وضرب الطبل في أوقات الصلوات، و لم تجر بذلك عادة، وعقد عقده على بنت قرواش على صداق خمسين ألف دينار. و لم يحج أحد من أهل العراق لفساد البلاد، وعيث الأعراب وضعف الدولة. قال ابن الجوزي في (المنتظم) : أخبرنا سعد الله بن على البزار، أنبأ أبو بكر الطريثيثي، أنبأ هبة الله بن الحسن الطبري قال : وفي سنة ثمانى وأربعمائة، استتاب القادر بالله الخليفة فقهاء المعتزلة، فأظهروا الرجوع، وتبرءوا من الاعتزال،والرفض، والمقالات المخالفة للإسلام، وأخذت خطوطهم بذلك، وأنهم متى خالفوه حل بهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم، وامتثل محمود بن سبكتكين أمر أمير المؤمنين في ذلك، واستن بسنته في أعماله التي استخلفه عليها من بلاد خراسان وغيرها، في قتل المعتزلة، والرافضة، والإسماعيلية، والقرامطة، والجهمية، والمشبهة، وصلبهم، وحبسهم، ونفاهم، وأمر بلعنهم على المنابر، وأبعد جميع طوائف أهل البدع ، ونفاهم عن ديارهم، وصار ذلك سنة في الإسلام .

فيها توفي من الأعيان : الحاجب الكبير :

شباشي أبو نصر

مولى شرف الدولة، ولقبه بهاء الدولة بالسعيد، وكان كثير الصدقة والأوقاف على وجوه القربات، فمن ذلك أنه وقف دباها على المارستان، وكانت تغل شيئا كثيرا من الزروع والثمار والخراج، وبنى قنطرة الخندق، والمارستان، والناصرية، وغير ذلك، ولما مات دفن بمقبرة الإمام أحمد، وأوصى أن لا يبنى عليه فخالفوه فعقدوا قبة عليه، فسقطت بعد موته بنحو من سبعين سنة، واجتمع نسوة عند قبره ينحن ويبكين، فلما رجعن، رأت عجوز منهن ـــ كانت هي المقدمة فيهن ـــ في المنام، كأن تركيا خرج إليهن من قبره، ومعه دبوس فحمل عليهن، وزجرهن عن ذلك، وإذا هو الحاجب السعيد، فانتبهت مذعورة.

ثم دخلت سنة تسع وأربعمائة

في يوم الخميس، السابع عشر من المحرم، قرئ بدار الخلافة في الموكب كتاب في مذهب أهل السنة، وفيه أن من قال القرآن مخلوق فهو كافر حلال الدم. وفي النصف من جمادى الأولى

منها فاض ماء البحر المالح ووافى الأبلة، ودخل البصرة بعد يومين. وفيها : غزا محمود بن سبكتكين بلاد الهند، وتواقع هو وملك الهند فاقتتل الناس قتالا عظيما،ثم انجلت عن هزيمة عظيمة على الهند، وأخذ المسلمون يقتلون فيهم كيف شاءوا، وأخذوا منهم أموالا عظيمة من الجواهر والذهب والفضة، وأخذوا منهم مائتي فيل، واقتصوا آثار المنهزمين منهم، وهدموا معابد كثيرة. ثم عاد إلى غزنة مؤيدا منصورا. ولم يحج أحد من درب العراق فيها، لفساد البلاد، وعبث الأعراب .

وفيها توفي من الأعيان :

رجاء بن عيسى بن محمد

أبو العباس الأنصناوي : نسبة إلى قرية من قرى مصر، يقال لها : أنصنا، قدم بغداد، فحدث بها، وسمع منه الحفاظ، وكان ثقة، فقيها، مالكيا، عدلا مقبولا عند الحكام، مرضيا. ثم عاد إلى بلده،وتوفي بها وقد جاوز الثمانين .

عبد الله بن محمد بن أبي علان

أبو أحمد قاضي الأهواز : كان ذا مال كثيرة، وله مصنفات، منها كتاب في معجزات النبي ﷺ، جمع فيه ألف معجزة، وكان من كبار شيوخ المعتزلة، توفي فيها عن تسع وثمانين سنة.

علي بن نصر

ابن أبي الحسن : مهذب الدولة، صاحب بلاد البطيحة، له مكارم كثيرة، وكان الناس يلجأون إليه في الشدائد، فيؤويهم، ويحسن إليهم، ومن أكبر مناقبه إحسانه إلى أمير المؤمنين القادر، لما استجار به ونزل عنده بالبطائح فارا من الطائع لله، فآواه وأحسن إليه، وكان في خدمته، حتى ولي إمرة المؤمنين، فكانت له بها عنده اليد البيضاء، وقد ولي البطائح ثنتين وثلاثين سنة وشهورا، وتوفي فيها عن ثنتين وسبعين سنة، وكان سبب موته، أنه افتصد فانتفخ ذراعه فمات .

عبد الغني بن سعيد

ابن علي بن بشر بن مروان بن عبد العزيز : أبو محمد الأزدي المصري، الحافظ، كان عالما بالحديث وفنونه، وله فيه المصنفات الكثيرة الشهيرة. قال أبو عبد الله الصوري الحافظ : ما رأت عيناي مثله في معناه. وقال الدارقطني : ما رأيت بمصر مثل شاب يقال له : عبد الغني، كأنه شعلة نار، وجعل يفخم أمره ويرفع ذكره. وقد صنف الحافظ عبد الغني هذا كتابا فيه أوهام الحاكم، فلما وقف عليه الحاكم جعل يقرأه على الناس، ويعترف لعبد الغني بالفضل، ويشكره، ويرجع إلى ما أصاب فيه من الرد عليه ـــ رحمهما الله ـــ ولد عبد الغني، لليلتين بقيتا من ذي القعدة، سنة ثنتين وثلثمائة، وتوفي في صفر، من هذه السنة، رحمه الله .

محمد ابن أمير المؤمنين

ويكنى بأبي الفضل، كان قد جعله ولي عهده من بعده، وضربت السكة باسمه، وخطب له الخطباء على المنابر، ولقب بالغالب بالله، فلم يقدر ذلك. توفي فيها عن سبع وعشرين سنة.

محمد بن إبراهيم بن محمد بن يزيد :

أبو الفتح البزار الطرسوسي، ويعرف بابن البصري، سمع الكثير من المشايخ، وسمع منه الصوري ببيت المقدس حين أقام بها، وكان ثقة مأمونا .

ثم دخلت سنة عشر وأربعمائة

فيها : ورد كتاب من يمين الدولة محمود بن سبكتكين، يذكر فيه ما افتتحه من بلاد الهند في السنة الخالية، وفيه أنه دخل مدينة فيها ألف قصر مشيد وألف بيت للأصنام. وفيها من الأصنام شيء كثير، ومبلغ ما على الصنم من الذهب ما يقارب مائة ألف دينار، ومبلغ الأصنام الفضة زيادة على ألف صنم، وعندهم صنم معظم، يؤرخون له وبه بجهالتهم ثلثمائة ألف عام، وقد سلبنا ذلك كله، وغيره، مما لا يحصي ولا يعد، وقد غنم المجاهدون في هذه الغزوة شيئا كثيرا، وقد عمموا المدينة بالإحراق، فلم يتركوا منها إلا الرسوم، وبلغ عدد القتلى من الهنود خمسين ألفا، وأسلم منهم نحو من عشرين ألفا، وأفرد خمس الرقيق فبلغ ثلاثا وخمسين ألفا، واعترض من الأفيال ثلثمائة وست وخمسين فيلا، وحصل من الأموال عشرون ألف ألف درهم، ومن الذهب شيء كثير، وفي ربيع الآخر منها، قرئ عهد أبي الفوارس، ولقب قوام الدولة، وخلع عليه خلعا حملت إليه بولاية كرمان، ولم يحج في هذه السنة أحد من العراق .

وممن توفي فيها من الأعيان : الأصيفر الثقفي : الذي كان يخفر الحجاج .

أحمد بن موسى بن مردويه

ابن فورك أبو بكر الحافظ الأصبهاني : توفي في رمضان منها .

هبة الله بن سلامة

أبو القاسم الضرير المقرئ المفسر، كان من أعلم الناس، وأحفظهم للتفسير، وكانت له حلقة في جامع المنصور، روى ابن الجوزي بسنده إليه، قال : كان لنا شيخ، نقرأ عليه، فمات بعض أصحابه، فرآه في المنام، فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي. قال : فما كان حالك مع منكر ونكير؟ قال : لما أجلساني، وسألاني، ألهمني الله تعالى أن قلت : بحق أبي بكر وعمر دعاني، فقال أحدهما للآخر : قد أقسم علينا بعظيمين فدعه، فتركاني وذهبا عني فرضي الله عن أبي بكر وعمر وعن أصحاب رسول الله أجمعين .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وأربعمائة

فيها : عدم الحاكم صاحب مصر، وذلك أنه لما كان ليلة الثلاثاء، لليلتين بقيتا من شوال، فقد الحاكم بن المعز الفاطمي صاحب مصر، فاستبشر المؤمنون والمسلمون بذلك، وذلك لأنه كان جبارا عنيدا، وشيطانا مريدا. ولنذكر شيئا من صفاته القبيحة، وسيرته الملعونة، أخزاه الله.

كان كثير التلون في أفعاله، وأحكامه، وأقواله، جائرا، وقد كان يروم أن يدعي الألوهية، كما ادعاها فرعون في زمان موسى عليه السلام، فكان قد أمر الرعية إذا ذكر الخطيب على المنبر اسمه أن يقوم الناس على أقدامهم صفوفا، إعظاما لذكره، واحتراما لاسمه، فعل ذلك في سائر ممالكه، حتى في الحرمين الشريفين، وكان قد أمر أهل مصر على الخصوص، إذا قاموا عند ذكره، خروا سجدا له، حتى أنه ليسجد بسجودهم من في الأسواق من العامة وغيرهم، ممن كان لا يصلي الجمعة، وكانوا يتركون السجود لله في يوم الجمعة وغيره، ويسجدون للحاكم، وأمر في وقت لأهل الكتابين بالدخول في دين الإسلام كرهاً، ثم أذن لهم في العود إلى دينهم ، وخرب كنائسهم، ثم عمرها، وخرب القمامة، ثم أعادها، وابتنى المدارس. وجعل فيها الفقهاء، والمشايخ، ثم قتلهم، وأخربها، وألزم الناس بغلق الأسواق نهاراً، وفتحها ليلاً، فامتثلوا ذلك دهراً طويلاً، حتى اجتاز مرة برجل يعمل النجارة في أثناء النهار، فوقف عليه، فقال : ألم أنهكم؟ فقال : يا سيدي، لما كان الناس يتعيشون بالنهار، كانوا يسهرون بالليل، ولما كانوا يتعيشون بالليل سهروا بالنهار، فهذا من جملة السهر ؛ فتبسم وتركه. وأعاد الناس إلى أمرهم الأول، وكل هذا تغيير للرسوم، واختبار لطاعة العامة له، ليرقي في ذلك إلى ما هو أشر وأعظم منه. وقد كان يعمل الحسبة بنفسه، فكان يدور بنفسه في الأسواق، على حمار له — وكان لا يركب إلا حمارا — فمن وجده قد غش في معيشة أمر عبدا أسود معه، يقال له : مسعود، أن يفعل به الفاحشة العظمى، وهذا أمر منكر ملعون، لم يسبق إليه، وكان قد منع النساء من الخروج من منازلهن، وقطع شجر الأعناب، حتى لا يتخذ الناس منها خمرا، ومنعهم من طبخ الملوخية، وأشياء من الرعونات، التي من أحسنها منع النساء من الخروج، وكراهة الخمر، وكانت العامة تبغضه كثيرا، ويكتبون له الأوراق بالشتيمة البالغة له ولأسلافه، في صورة قصص، فإذا قرأها ازداد غيظا وحنقا عليهم، حتى إن أهل مصر عملوا صورة امرأة من ورق بخفيها وإزارها، وفي يدها قصة من الشتم واللعن والمخالفة شيء كثير، فلما رآها ظنها امرأة، فذهب من ناحيتها، وأخذ القصة من يدها، فقرأها، فرأي ما فيها، فأغضبه ذلك جدا، فأمر بقتل المرأة، فلما تحققها من ورق ازداد غيظا إلى غيظه، ثم لما وصل إلى القاهرة، أمر السودان أن يذهبوا إلى مصر فيحرقوها وينهبوا ما فيها، من الأموال، والمتاع، والحريم، فذهبوا، فامتثلوا ما أمرهم به، فقاتلهم أهل مصر قتالا شديدا ثلاثة أيام، والنار تعمل في الدور والحريم، وهو في كل يوم — قبحه الله— يخرج، فيقف من بعيد، وينظر ويبكي، ويقول : من أمر هؤلاء العبيد بهذا ؟ ثم اجتمع الناس في

الجوامع، ورفعوا المصاحف، وصاروا إلى الله عزّ وجلّ، واستغاثوا به، فرق لهم الترك والمشارقة، وانحازوا إليهم، وقاتلوا معهم عن حريمهم ودورهم وتفاقم الحال جدا، ثم ركب الحاكم ـــ لعنه الله ففصل بين الفريقين، وكف العبيد عنهم، وكان يظهر التنصل مما فعله العبيد، وأنهم ارتكبوا ذلك من غير علمه وإذنه، وكان ينفذ إليهم السلاح، ويحثهم على ذلك في الباطن، وما انجلى الأمر حتى احترق من مصر نحو ثلثها، ونهب قريب من نصفها، وسبيت نساء وبنات كثيرة، وفعل معهن الفواحش والمنكرات، حتى أن منهن من قتلت نفسها خوفا من العار والفضيحة، واشتري الرجال منهم من سبي لهم من النساء والحريم. قال ابن الجوزي : ثم ازداد ظلم الحاكم، حتى عَنَّ له أن يدعي الربوبية، فصار قوم من الجهال إذا رأوه يقولون : يا واحد، يا أحد، يا محيي يا مميت. قبحهم الله جميعاً .

صفة مقتله لعنه الله

كان قد تعدى شره إلى الناس كلهم حتى إلى أخته، وكان يتهمها بالفاحشة، ويسمعها أغلظ الكلام، فتبرمت منه، وعملت على قتله، فراسلت أكبر الأمراء، أميرا يقال له : ابن دواس، فتوافقت هي وهو على قتله ودماره، وتواطآ على ذلك، فجهز من عنده عبدين أسودين شهمين، فقال لهما : إذا كانت الليلة الفلانية، فكونا في جبل المقطم، ففي تلك الليلة يكون الحاكم هناك في الليل، لينظر في النجوم، وليس معه أحد، إلا ركابي وصبي، فاقتلاه، واقتلاهما معه ؛ واتفق الحال على ذلك وتقرر. فلما كانت تلك الليلة، قال الحاكم لأمه : علي في هذه الليلة قطع عظيم، فإن نجوت منه عمرت نحوا من ثمانين سنة، ومع هذا، فانقلي حواصلي إليك، فإن أخوف ما أخاف عليك من أختي، وأخوف ما أخاف على نفسي منها، فنقل حواصله إلى أمه، وكان له في صناديق قريب من ثلثمائة ألف دينار، وجواهر أخر، فقالت له أمه : يا مولانا، إذا كان الأمر كما تقول، فارحمني، ولا تركب في ليلتك هذه، إلى موضع، وكان يحبها. فقال : أفعل؛ وكان من عادته أن يدور حول القصر كل ليلة، فدار ثم عاد إلى القصر، فنام إلى قريب من ثلث الليل الأخير، فاستيقظ، وقال : إن لم أركب الليلة، فاضت نفسي. فثار، فركب فرسا، وصحبه صبي، وركابي، وصعد الجبل المقطم، فاستقبله ذانك العبدان، فأنزلاه عن مركوبه، وقطعا يديه ورجليه، وبقرا بطنه، وحملاه فأتيا به مولاهما ابن دواس، فحمله إلى أخته، فدفنته في مجلس دارها، واستدعت الأمراء، والأكابر، والوزير، وقد أطلعته على الجلية فبايعوا لولد الحاكم أبي الحسن على، ولقب بالظاهر لإعزاز دين الله، وكان بدمشق، فاستدعت به، وجعلت تقول للناس : إن الحاكم قال لي : إنه يغيب عنكم سبعة أيام ثم يعود؛ فاطمأن الناس بذلك، وجعلت ترسل ركابين إلى الجبل، فيصعدونه، ثم يرجعون، فيقولون : تركناه في الموضع الفلاني؛ ويقول الذين بعدهم لأمه : تركناه في موضع كذا وكذا. حتى اطمأن الناس، وقدم ابن أخيها واستصحب معه من دمشق ألف ألف دينار، وألفي ألف درهم، فحين وصل، ألبسته تاج جد

أبيه المعز، وحلة عظيمة، وأجلسته على السرير، وبايعه الأمراء، والرؤساء، وأطلق لهم الأموال، وخلعت على ابن دواس خلعة سنية هائلة، وعملت عزاء أخيها الحاكم ثلاثة أيام، ثم أرسلت إلى ابن دواس طائفة من الجند، ليكونوا بين يديه بسيوفهم، وقوفا في خدمته، ثم يقولوا له في بعض الأيام : أنت قاتل مولانا؛ ثم يهبرونه بسيوفهم، ففعلوا ذلك، وقتلت كل من اطلع على سرها في قتل أخيها، فعظمت هيبتها، وقويت حرمتها، وثبتت دولتها. وقد كان عمر (الحاكم) يوم قتل سبعا وثلاثين سنة، ومدة ملكه من ذلك خمسا وعشرين سنة .

ثم دخلت سنة اثنتى عشرة وأربعمائة

فيها : تولي القاضي أبو جعفر أحمد بن محمد السمناني الحسبة والمواريث ببغداد، وخلع عليه السواد، وفيها : قال جماعة من العلماء والمسلمين للملك الكبير يمين الدولة محمود بن سبكتكين : أنت أكبر ملوك الأرض. وفي كل سنة تفتح طائفة من بلاد الكفر، وهذه طريق الحج قد تعطلت من مدة سنين، وفتحك لها أوجب من غيرها. فتقدم إلى قاضي القضاة أبي محمد الناصحي، أن يكون أمير الحج في هذه السنة، وبعث معه بثلاثين ألف دينار للأعراب، غير ما جهز معه من الصدقات إلى الحرمين، فسار الناس صحبته، فلما كانوا بفَيد، اعترضهم الأعراب، فصالحهم القاضي أبو محمد الناصحي بخمسة آلاف دينار،فامتنعوا، وصمم كبيرهم — وهو جماز بن عدي — على أخذ الحجيج، وركب فرسه، وجال جولة، واستنهض شياطين العرب، فتقدم إليه غلام من أهل سمرقند [يقال له: ابن عفان] فرماه بسهم، فوصل إلى قلبه، فسقط ميتا، وانهزمت الأعراب، وسلك الحجيج الطريق، فحجوا، ورجعوا سالمين، ولله الحمد والمنة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو سعد الماليني

أحمد بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن حفص، أبو سعد الماليني، ومالين قرية من قري هراة، كان من الحفاظ المكثرين، الراحلين في طلب الحديث إلى الآفاق، وكتب كثيرا، وكان ثقة صدوقا صالحا، مات بمصر في شوال منها .

الحسن بن الحسين

ابن محمد بن الحسين بن رامين القاضي، أبو محمد الإستراباذي، نزل بغداد، وحدث بها عن الإسماعيلي وغيره، وكان شافعياً كبيراً، فاضلا صالحا رحمه الله تعالى.

الحسن بن منصور بن غالب

الوزير الملقب ذا السعادتين، ولد بسيراف، سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة ثم صار وزيراً ببغداد، ثم قتل، وصودر أبوه على ثمانين ألف دينار.

الحسين بن عمرو

أبو عبد الله الغزال، سمع النجاد، والخلدي، وابن السماك، وغيرهم. قال الخطيب : كتبت عنه، وكان ثقة صالحا، كثير البكاء عند الذكر .

محمد بن عمر

أبو بكر العنبري الشاعر،كان أديبا ظريفا،حسن الشعر، فمن ذلك قوله :

إني نظــــرتُ إلى الزمـــا	نِ وأهلـــه نظـــراً كفاني
فعرفتُـــــه وعرفتُهـــــم	وعرفتُ عزّي من هواني
فلـــذاك أطـــرحُ الصديـــ	ـقَ فـــلا أراهُ ولا يـــراني
وزهـــدتُ فيما في يديـــ	ـــه ودونـــه نيلُ الأماني
فتعجّبـــوا لمغالـــــب	وهـــبَ الأقاصيَ للأداني
وانســـــلّ مِنْ بين الزحا	مِ فمـــا له في الكون ثاني

قال ابن الجوزي : وقد كان متصوفاً، ثم خرج عنهم، وذمهم بقصائد ذكرتها في تلبيس إبليس. كانت وفاته ثاني عشر جمادى الأولى منها .

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد

ابن روق بن عبد الله بن زيد بن خالد، أبو الحسن البزار، المعروف بابن رزقويه. قال الخطيب : هو أول شيخ كتبت عنه، في سنة ثلاث وأربعمائة ، وكان يذكر أنه درس القرآن والفقه على مذهب الشافعي، وكان ثقة صدوقا، كثير السماع والكتابة، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، مديماً لتلاوة القرآن، شديدا على أهل البدع، وأكب دهرا عل الحديث، وكان يقول : لا أحب الدنيا إلا لذكر الله، وتلاوة القرآن، وقراءتي عليكم الحديث، وقد بعث بعض الأمراء إلى العلماء بذهب، فقبلوا كلهم، غيره، فإنه لم يقبل منه شيئا، وكانت وفاته يوم الاثنين، السادس عشر من جمادى الأولى منها ، عن سبع وثمانين سنة، ودفن بالقرب من مقبرة معروف الكرخي .

أبو عبد الرحمن السلمي

محمد بن الحسين بن محمد بن موسى، أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري، روى عن الأصم، وغيره، وعنه مشايخ البغداديين ، كالأزهري، والعشاري، وغيرهما، وروى عنه البيهقي، وغيره. قال ابن الجوزي : كانت له عناية بأخبار الصوفية، فصنف لهم تفسيرا على طريقتهم، وسنناً وتاريخاً، وجمع شيوخاً وتراجم وأبوابا، وله بنيسابور دار معروفة، وفيها صوفية، وبها قبره، ثم ذكر كلام الناس في تضعفه في الرواية ، فحكى عن الخطيب عن محمد بن يوسف القطان : أنه قال : لم يكن بثقة، ولم يكن سمع من الأصم شيئا كثيرا، فلما مات الحاكم روى

عنه أشياء كثيرة جدا، وكان يضع للصوفية الأحاديث. قال ابن الجوزي : وكانت وفاته في ثالث شعبان منها.

أبو على الحسن بن على الدقاق النيسابوري

كان يعظ الناس، ويتكلم على الأحوال والمعرفة، فمن كلامه : من تواضع لأحد لأجل دنياه، ذهب ثلثا دينه، لأنه خضع له بلسانه وأركانه، فإن اعتقد تعظيمه بقلبه، أو خضع له به، ذهب دينه كله. وقال في قوله تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٢] اذكروني وأنتم أحياء، أذكركم وأنتم أموات تحت التراب، وقد تخلي عنكم الأقارب، والأصحاب، والأحباب. وقال : البلاء الأكبر، أن تريد ولا تراد وتدنو فترد إلى الطرد والإبعاد، وأنشد عنه قوله تعالى : ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ ﴾ [يوسف : ٨٤] .

جُنِنَّا بِلَيْلي وهي جُنَّتْ بغَيْرِنَا ... وأُخرَى بنَا مَجْنُونَةٌ لا نُرِيدُها

وقال في قوله ﷺ : « حُفَّتِ الجنةُ بالمكاره »[1] إذا كان هذا المخلوق، لا وصول إليه إلا بتحمل المشاق، فما الظن بمن لم يزل؟ وقال في قوله عليه السلام : « جُبِلَتْ القلوبُ على حُبِّ مَنْ أحسنَ إليها » [2] . يا عجبا لمن لم ير محسنا غير الله، كيف لا يميل بكليته إليه ؟ قلت : كلامه على هذا الحديث جيد، والحديث لا يصح بالكلية .

صريع الدلال الشاعر

أبو الحسن علي بن عبيد الواحد، الفقيه البغدادي الشاعر الماجن، المعروف بصريع الدلال، قتيل الغواني، ذي الرقاعتين، له قصيدة مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد، يقول فيها :

وألفُ حملٍ من متاعي تَستُر ... أنفعُ للمسكين من لَقْطِ النوى
مَنْ طبخَ الديكَ ولم يذبحْهُ ... طارَ من القدرِ إلى حيثُ انتهى
مَنْ دَخَلَتْ في عَيْنَيْــه مسَلّةٌ ... فَسَلْهُ مِنْ ساعته كيفَ العمى ؟
والذقنُ شعرٌ في الوجوه طالعٌ ... كذلك العُقْصَةُ من خَلْفِ القفا

إلى أن ختمها بالبيت الذي حسد عليه وهو قوله :

مَنْ فَاتَه العلمُ وأخطأَهُ الغِنَي ... فذَاكَ والكلبُ على حدٍّ سَوَا

قدم مصر في سنة ثنتي عشرة وأربعمائة، وامتدح فيها خليفتها الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم، واتفقت وفاته بها في رحبها .

---

(١) متفق عليه : رواه مسلم فى الجنة وصفة نعيمها (١/٢٨٢٢) والترمذى فى صفة الجنة (٢٥٥٩) وأحمد (٢/ ٢٦٠) ورواه البخارى فى الرقاق (٦٤٨٧) بلفظ " حجبت " .

(٢) ضـعيف : رواه ابن عدى فى الكامل (٢/٢٨٧) وأبو نعيم فى الحلية (٤ / ١٢١) وفى سنده الحسن بن عمارة وهو مجمع على ضعفه .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

فيها : جرت كائنة غريبة عظيمة، ومصيبة عامة، وهي أن رجلا من المصريين، من أصحاب الحاكم، اتفق مع جماعة من الحجاج المصريين على أمر سوء، وذلك أنه لما كان يوم النفر الأول، طاف هذا الرجل بالبيت، فلما انتهي إلى الحجر الأسود جاء ليقبله، فضربه بدبوس كان معه ثلاث ضربات متواليات، وقال : إلى متي نعبد هذا الحجر؟ ولا محمد ولا على يمنعني عما أفعله، فإني أهدم اليوم هذا البيت، وجعل يرتعد، فاتقاه أكثر الحاضرين، وتأخروا عنه، وذلك لأنه كان رجلا طوالا، جسيما، أحمر اللون، أشقر الشعر، وعلى باب المسجد جماعة من الفرسان وقوف ليمنعوه ممن يريد منعه من هذا الفعل وأراده بسوء، فتقدم إليه رجل من أهل اليمن، معه خنجر، فوجأه بها، وتكاثر عليه الناس، فقتلوه، وقطعوه قطعا، وحرقوه بالنار، وتتبعوا أصحابه، فقتلوا منهم جماعة، ونهبت أهل مكة الركب المصري، وتعدي النهب إلى غيرهم، وجرت خبطة عظيمة، وفتنة كبيرة جدا، ثم سكن الحال، بعد أن تتبع أولئك النفر، الذين تمالأوا على الإلحاد، في أشرف البلاد، غير أنه قد سقط من الحجر ثلاث فلق مثل الأظفار، وبدا ما تحتها أسمر يضرب إلى صفرة، محببا مثل الخشخاش، فأخذ بنو شيبة تلك الفلق، فعجنوها بالمسك واللك [1]، وحشوا بها تلك الشقوق التي بدت، فاستمسك الحجر، واستمر على ما هو عليه الآن، وهو ظاهر لمن تأمله. وفيها : فتح المارستان الذي بناه الوزير مؤيد الملك أبو على الحسن، وزير شرف الملك بواسط، ورتب له الخزان، والأشربة، والأدوية، والعقاقير، وغير ذلك مما يحتاج إليه .

فيها توفى من الأعيان :

ابن البواب الكاتب

صاحب الخط المنسوب، علي بن هلال أبو الحسن بن البواب، صاحب أبا الحسين بن سمعون الواعظ، وقد أثني على ابن البواب غير واحد، في دينه، وأمانته، وأما خطه وطريقته فيه، فأشهر من أن ننبه عليها، وخطه أوضح تعريبا من خط أبي على بن مقلة، ولم يكن بعد ابن مقلة أكتب منه، وعلى طريقته الناس اليوم في سائر الأقاليم إلا القليل. قال ابن الجوزي : توفى يوم السبت، ثاني جمادى الآخرة منها، ودفن بمقبرة باب حرب، وقد رثاه بعضهم بأبيات منها قوله:

فللقلوبِ التي أبْهَجْتَهَا حُرَقُ ... وللعيـــونِ التي أقْرَرْتَها سَهَـــرُ
فما لعيــــشٍ وقد ودّعْتَه أرَجُ ... وما لليـــلِ وقد فارقْتَه سحــــــرُ

قال ابن خلكان : ويقال له الستري، لأن أباه كان ملازما لستر الباب، ويقال له : ابن البواب ، وكان قد أخذ الخط عن عبد الله بن محمد بن أسد بن علي بن سعيد البزار، وقد سمع

---

(١) اللك : نبات يتخذون منه صمغاً ويصبغ به .

ابن أسد هذا على النجاد وغيره، وتوفي سنة عشر وأربعمائة، وأما ابن البواب، فإنه توفي في جمادى الأولى من هذه السنة، وقيل : في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، وقد رثاه بعضهم فقال:

استشعر الكتّابُ فقدك سالفاً وقَضَتْ بصحّة ذلك الأيامُ
فلذاك سُوّدت الدُّويُّ كآبةً أسفاً عليكَ وشُقّت الأقلامُ

ثم ذكر ابن خلكان : أول من كتب بالعربية . فقيل : إسماعيل عليه السلام، وقيل : أول من كتب بالعربية من قريش حرب بن أمية بن عبد شمس، أخذها من بلاد الحيرة، عن رجل يقال له : أسلم بن سدرة، وسأله عمن اقْتَبَسْتَهَا ؟ فقال : من واضعها رجل يقال له: مرامر بن مروة، وهو رجل من أهل الأنبار. فأصل الكتابة في العرب من أهل الأنبار. وقال الهيثم بن عدي: وقد كان لحمير كتابة يسمونها المسند، وهي حروف متصلة غير متفاصلة، وكانوا يمنعون العامة من تعلمها، وجميع كتابات الناس تنتهي إلى اثني عشر صنفا، وهي : العربية، والحميرية، واليونانية، والفارسية، والسريانية، والعبرانية، والرومية، والقبطية، والبربرية، والهندية، والأندلسية، والصينية. وقد اندرس كثير منها، فَقَلَّ مَنْ يعرفُ شيئاً منها.

وفيها توفي من الأعيان :

علي بن عيسى

ابن سليمان بن محمد بن أبان، أبو الحسن الفارسي المعروف بالسكري الشاعر، وكان يحفظ القرآن، ويعرف القراءات، وصحب القاضي أبا بكر الباقلاني، وأكثر شعره في مديح الصحابة، وذم الرافضة. وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة، ودفن بالقرب من قبر معروف، وقد كان أوصى أن يكتب على قبره هذه الأبيات التي عملها وهي قوله :

نفسُ يا نفسُ كمْ تُمادينَ في تَلَـ في وتمشينَ في الفعـالِ المعيـبِ
راقبي الله واحذري موقفَ العر ضِ وخافي يومَ الحسابِ العصيبِ
لا تغرّنْكِ السلامـةُ في العيـ شِ فـإنّ السليمَ رهنُ الخطوبِ
كـلُّ حَـيّ فَلِلْمَنُونِ ولا يد فعُ كـأسَ المنونِ كيدُ الأديبِ
واعلمـي أنّ للمنيـةِ وقتـاً سوفَ يأتي عجلانَ غيرَ هيوبِ
إنّ حبَّ الصديقِ في موقفِ الـ حشرِ أمانٌ للخائفِ المطلـوبِ

محمد بن أحمد بن محمد بن منصور

أبو جعفر البيع، ويعرف بالعتيقي، ولد سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة، وأقام بطرسوس مدة، وسمع بها، وبغيرها، وحدث بشيء يسير .

ابن النعمان

شيخ الإمامية الروافض، والمصنف لهم، والمحامي عن حوزتهم، كانت له وجاهة عند ملوك الطوائف لميل كثير من أهل ذلك الزمان إلى التشيع، وكان مجلسه يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف، وكان من جملة تلاميذه الشريف المرتضى، وقد رثاه بقصيدة بعد وفاته في رمضان في هذه السنة، منها قوله :

مَنْ لعَضْلٍ أخرجتَ منه حساماً ومعان فَضَضْتَ عنها ختاما ؟
مَنْ يُثيـــرُ العقولَ مِنْ بعد مـــا كُنَّــاً هموداً ويفتحُ الأفهاما ؟
مَنْ يعيرُ الصديقَ رأياً إذا مـــا سلَّ في عمرة الخطوبِ حسامًا؟

ثم دخلت سنة أربع عشرة وأربعمائة

فيها قدم الملك شرف الدولة إلى بغداد، فخرج الخليفة في الطيار لتلقيه، وصحبته الأمراء، والقضاة، والفقهاء، والوزراء، والرؤساء، فلما واجهه شرف الدولة، قبل الأرض بين يديه مرات، والجيش واقف برمته، والعامة في الجانبين. وفيها ورد كتاب من يمين الدولة محمود بن سبكتكين، إلى الخليفة، يذكر فيه أنه دخل بلاد الهند أيضا، وأنه فتح بلادا، وقتل خلقا منهم، وأنه صالحه بعض ملوكهم، وحمل إليه هدايا سنية، منها فيول كثيرة، ومنها طائر على هيئة القمري، إذا وضع عند الخوان وفيه سُمٌّ دمعت عيناه، وجري منهما ماء، ومنها حجر يحك، ويؤخذ منه ما تحصل منه، فيطلي بها الجراحات ذات الأفواه الواسعة، فيلحمها، وغير ذلك. وحج الناس من أهل العراق ولكن رجعوا على طريق الشام، لاحتياجهم إلى ذلك .

وفيها توفي من الأعيان :

الحسن بن الفضل بن سهلان

أبو محمد الرامهرمزي، وزير سلطان الدولة، وهو الذي بني سور الحائر، عند مشهد الحسين، قتل في شعبان منها .

الحسن بن محمد بن عبد الله

أبو عبد الله الكشغلي الطبري، الفقيه الشافعي،تفقه على أبي القاسم الداركي، وكان فهما، فاضلا، صالحا، زاهدا، وهو الذي درس بعد الشيخ أبي حامد الإسفراييني في مسجده، مسجد عبد الله بن المبارك، في قطيعة الربيع، وكان الطلبة عنده مكرمين، اشتكي بعضهم إليه حاجة، وأنه قد تأخرت عنه نفقته، التي ترد إليه من أبيه، فأخذه بيده، وذهب إلى بعض التجار بقطيعة الربيع، فاستقرض له منه خمسين دينارا. فقال التاجر : حتى تأكل شيئا فمد السماط، فأكلوا، وقال : يا جارية هاتي المال فأحضرت شيئا من المال، فوزن منها خمسين دينارا ودفعها إلى

الشيخ، فلما قاما، إذا بوجه ذلك الطالب قد تغير، فقال له الكشغلي : مالك ؟ فقال : يا سيدي، قد سكن قلبي حب هذه الجارية فرجع به إلى التاجر، فقال له : قد وقعنا في فتنة أخرى. فقال : وما هي ؟ فقال : إن هذا الفقيه، قد هوي الجارية فأمر التاجر الجارية أن تخرج، فتسلمها الفقيه، وقال : ربما أن يكون قد وقع في قلبها منه مثل الذي وقع في قلبه منها. فلما كان عن قريب، قدم على ذلك الطالب نفقته من أبيه ستمائة دينار، فوفى ذلك التاجر ما كان له عليه من ثمن الجارية والقرض، وذلك بسفارة الشيخ أبي محمد الكشغلي. وكانت وفاته في ربيع الآخر منها ، ودفن باب حرب .

علي بن عبد الله بن جهضم

أبو الحسن الجهضمي الصوفي المكي، صاحب بهجة الأسرار، كان شيخ الصوفية بمكة، وبها توفي، قال ابن الجوزي : وقد ذكر أنه كان كذابا، ويقال : إنه الذي وضع حديث صلاة الرغائب .

القاسم بن جعفر بن عبد الواحد

أبو عمر الهاشمي البصري، قاضيها سمع الكثير، وكان ثقة أمينا، وهو راوي سنن أبي داود، عن أبي على اللؤلؤي، توفي فيها وقد جاوز التسعين .

محمد بن أحمد بن الحسن بن يحيى بن عبد الجبار

أبو الفرج القاضي الشافعي، ويعرف بابن سميكة، روى عن النجاد وغيره، وكان ثقة، توفي في ربيع الأول منها، ودفن باب حرب .

محمد بن أحمد

أبو جعفر النسفي، عالم الحنفية في زمانه، وله طريقة في الخلاف والجدل، وكان فقيرا متزهدا، بات ليلة قلقا لما عنده من الفقر والحاجة، فعرض له فكر في فرع من الفروع كان يشكل عليه، فاتضح له، فقام يرقص، ويقول : أين الملوك وأبناء الملوك ؟ فسألته امرأته عن خبره، فأعلمها بما حصل له فتعجبت من شأنه رحمه الله، وكانت وفاته في شعبان منها .

هلال بن محمد

ابن جعفر بن سعدان، أبو الفتح الحفار، سمع إسماعيل الصفار، والنجاد، وابن السماك ، وابن الصواف، وكان ثقة، توفي في صفر منها، عن اثنتين وتسعين سنة .

ثم دخلت سنة خمس عشرة وأربعمائة

فيها : ألزم الوزير جماعة من الأتراك، والمولدين، والشريف المرتضى، ونظام الحضرة أبا الحسن الزينبي، وقاضي القضاة أبا الحسن بن أبي الشوارب، والشهود، بالحضور لتجديد البيعة لشرف الدولة، فلما بلغ ذلك الخليفة، توهم أن تكون هذه البيعة لنية فاسدة من أجله، فبعث إلى

القاضي والرؤساء ينهاهم عن الحضور، فاختلفت الكلمة بين الخليفة، وشرف الدولة، واصطلحا، وتصافيا، وجددت البيعة لكل منهما من الآخر. ولم يحج فيها من ركب العراق ولا خراسان أحد، واتفق أن بعض الأمراء من جهة محمود بن سبكتكين، شهد الموسم في هذه السنة، فبعث إليه صاحب مصر بخلع عظيمة، ليحملها للملك محمود بن سبكتكين، فلما رجع بها إلى الملك، أرسل بها إلى بغداد إلى الخليفة القادر فحرقت بالنار .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن عمر بن الحسن

أبو الفرج المعدل المعروف بابن المسلمة، ولد سنة سبع وثلاثين وثلثمائة، وسمع أباه، وأحمد ابن كامل، والنجاد، والجهضمي، ودعلج بن أحمد، وغيرهم، وكان ثقة. سكن الجانب الشرقي من بغداد، وكان يملي في أول كل سنة مجلسا في المحرم، وكان عاقلا فاضلا، كثير المعروف، داره مألف لأهل العلم، وتفقه بأبي بكر الرازي، وكان يصوم الدهر، ويقرأ في كل يوم سبعا، ويعيده بعينه في تهجده، كانت وفاته في ذي القعدة منها .

أحمد بن محمد بن أحمد

ابن القاسم بن إسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن سعيد بن أبان الضبي، أبو الحسن المحاملي، نسبة إلى بيع المحامل، التي يحمل عليها الناس في السفر، تفقه على الشيخ أبي حامد الإسفراييني، وبرع فيه ، حتى إن الشيخ كان يقول : هو أحفظ للفقه مني. وله المصنفات المشهورة، منها (اللباب) ، و(الأوسط) ، و(المقنع) ، وله في الخلاف، وعلق على أبي حامد تعليقة كبيرة. قال ابن خلكان: ولد سنة ثمان وستين وثلثمائة، وتوفي في يوم الأربعاء، لتسع بقين من ربيع الآخر منها، وهو شاب .

عبيد الله بن عبد الله

ابن الحسين أبو القاسم الخفاف، المعروف بابن النقيب، كان من أئمة السنة، وحين بلغه موت ابن المعلم، فقيه الشيعة، سجد لله شكرا. وجلس للتهنئة وقال : ما أبالي أي وقت مت، بعد أن شاهدت موت ابن المعلم. ومكث دهرا طويلا يصلي الفجر بوضوء العشاء. قال الخطيب البغدادى : وسألته عن مولده، فقال : في سنة خمس وثلاثمائة. وأذكر : من الخلفاء المقتدر، والقاهر، والرضي، والمتقي لله، والمستكفي، والمطيع، والطائع، والقادر، والغالب بالله، الذي خطب له بولاية العهد، توفي في سلخ شعبان منها ، عن مائة وعشر سنين .

عمر بن عبد الله بن عمر

أبو حفص الدلال، قال: سمعت الشبلي ينشد قوله :

وقد كانَ شيءٌ يُسمّى السّرورُ قديمـــاً سمعنـــا بــه ما فعـــل
خَليلي إنْ دَامَ هَـــمُّ النفـــو سِ قليـــلاً علـــى مـــا نراه قتل
يُؤَمِّـــلُ دنيـــا لِتبْقَـــى لَـــهُ فمـــاتَ المؤمِّـــلُ قبـــلَ الأمَـــلِ

محمد بن الحسن أبو الحسن

الأقساسي العلوي، نائب الشريف المرتضى في إمرة الحجيج، حج بالناس في سنين متعددة، وله فصاحة وشعر جيد ، وهو من سلالة زيد بن على بن الحسين .

ثم دخلت سنة ست عشرة وأربعمائة

فيها : قوي أمر العيارين ببغداد، ونهبوا الدور جهرة، واستهانوا بأمر السلطان، وفي ربيع الأول منها، توفي شرف الدولة بن بويه الديلمي، صاحب بغداد، والعراق، وغير ذلك، فكثرت الشرور ببغداد، ونهبت الخزائن، واستقر الأمر على تولية جلال الدولة أبي الطاهر، وخطب له على المنابر، وهو إذ ذاك على البصرة، وخلع على شرف الملك أبي سعيد بن ماكولا وزيره، ولقب علم الدين سعد الدولة أمين الملة شرف الملك، وهو أول من لقب بالألقاب الكثيرة، ثم طلب من الخليفة أن يبايع لأبي كاليجار، ولي عهد أبيه سلطان الدولة، الذي استخلفه بهاء الدولة عليهم، فتوقف في الجواب، ثم وافقهم على ما أرادوا، وأقيمت الخطبة للملك أبي كاليجار، يوم الجمعة، سادس عشر شوال منها ، ثم تفاقم الأمر ببغداد من جهة العيارين ، وكبسوا الدور ليلا ونهارا، وضربوا أهلها، كما يضرب المصادرون، ويستغيث أحدهم، فلا يغاث، واشتد الحال، وهربت الشرطة من بغداد، ولم تغن الأتراك شيئا، وعملت السرايج على أفواه السكك، فلم يفد ذلك شيئا، وأحرقت دار الشريف المرتضى، فانتقل منها، وغلت الأسعار ببغداد جدا. ولم يحج أحد من أهل العراق وخراسان .

ومن توفي فيها من الأعيان :

سابور بن أزدشير

وزر لبهاء الدولة ثلاث مرات ووزر لشرف الدولة أيضا وكان كاتبا سديدا، عفيفا عن الأموال، كثير الخير، سليم الباطن، وكان إذا سمع المؤذن لا يشغله شيء عن الصلاة، وقد وقف دارا للعلم في سنة إحدى وثمانين وثلثمائة، وجعل فيها كتبا كثيرة جدا،ووقف عليها غلة كبيرة، فبقيت سبعين سنة، ثم أحرقت عند مجيء الملك طغرل بك في سنة خمسين وأربعمائة، وكانت

محلتها بين السورين، وقد كان حسن المعاشرة، إلا أنه كان يعزل عماله سريعا، خوفا عليهم من الأشر والبطر، توفي فيها وقد قارب التسعين .

عثمان النيسابوري

الجداوى الواعظ. قال ابن الجوزي : صنف كتابا في الوعظ من أبرد الأشياء، وفيه أحاديث كثيرة موضوعة، وكلمات مرذولة، إلا أنه كان خيرا صالحا، وكانت له وجاهة عند الخلفاء والملوك، وكان الملك محمود بن سبكتكين، إذا رآه قام له، وكانت محلته، حمىً يحتمي بها من الظلمة، وقد وقع في بلده نيسابور موت، وكان يغسل الموتى محتسباً [1] ، فغسل نحوا من عشرة آلاف ميتا، رحمه الله .

محمد بن الحسن بن صالحان

أبو منصور الوزير لشرف الدولة، ولبهاء الدولة كان وزير صدق، جيد المباشرة، حسن الصلاة، محافظا على أوقاتها، وكان محسنا للشعراء، والعلماء، توفي فيها عن ست وسبعين سنة .

الملك شرف الدولة

أبو علي بن بهاء الدولة، أبي نصر بن عضد الدولة بن بويه الديلمي أصابه مرض حاد، فتوفي لثمان بقين من ربيع الآخر عن ثلاث وعشرين سنة، وثلاثة أشهر وخمس وعشرين يوما.

التهامي الشاعر

علي بن محمد التهامي أبو الحسن، له ديوان مشهور، وله مرثاة في ولده وكان قد مات صغيراً أولها :

حُكْمُ المنيــةِ في البريةِ جارِي ... مــا هـــذه الدُّنيــا بدارِ قرارِ

ومنها :

إنّي لأرحمُ حَاسدِى لحرّ ما ... ضَمّـتْ صدورُهم من الأوغارِ

نظرُوا صنيعَ اللهَ بي فعيونُهُم ... في جنّةٍ وقلوبُهـــم في نــارِ

ومنها في ذم الدنيا :

جُبِلَتْ على كَدَرٍ وأنت تُرِيدُها ... صفــواً مِنَ الأقذارِ والأكــدارِ

ومُكلِّفُ الأيامِ ضِدَّ طِباعِها ... متُطلِّبُ في الماءِ جــذوةَ نــارِ

وإذا رجوتَ المستَحيلَ فإنّما ... تبني الرجاءَ علــى شفــيرِ هَارِ

ومنها قوله في ولده بعد موته :

جاورتُ أعدائي وَجَاوَرَ ربَّهُ ... شتانَ بينَ جــوارِهِ وَجِــوَارِى

(١) أى : يعمل ذلك دون ما أجر مادى وهو احتسب الأجر والثواب عند الله .

وقد ذكر ابن خلكان، أنه رآه بعضهم في المنام، في هيئة حسنة، فقال له بعض أصحابه : بم نلت هذا ؟ فقال : بهذا البيت :

جَاوَرْتُ أَعْدَائِي وَجَاوَرَ رَبَّهُ شَتَّانَ بَيْنَ جِوَارِهِ وَجِوَارِي.

ثم دخلت سنة سبع عشرة وأربعمائة

في العشرين من محرمها، وقعت فتنة بين الأسفهلارية وبين العيارين، وركبت لهم الأتراك بالدبابات، كما يفعل في الحرب، وأحرقت دور كثيرة من الدور التي احتمى فيها العيارون، وأحرق من الكرخ جانب كبير، ونهب أهله، وتعدي بالنهب إلى غيرهم، وقامت فتنة عظيمة ثم خمدت الفتنة في اليوم الثاني، وقرر على أهل الكرخ مائة ألف دينار، مصادرة لإثارتهم الفتن والشرور. وفي شهر ربيع الآخر منها : شهد أبو عبد الله الحسين بن علي الصيمري عند قاضي القضاة ابن أبي الشوارب، بعد ما كان استنابه عما ذكر عنه من الاعتزال. وفي رمضان منها انقض كوكب سمع له دوي، كدوي الرعد، ووقع في سلخ شوال برد لم يعهد مثله،واستمر ذلك إلى العشرين من ذي الحجة، وجمد الماء طول هذه المدة، حتى حافات دجلة والأنهار الكبار وقاسي الناس شدة عظيمة، وتأخر المطر. وزيادة دجلة، وقلت الزراعة،وامتنع كثير من الناس عن التصرف. و لم يحج أحد من أهل العراق وخراسان في هذه السنة، لفساد البلاد وضعف الدولة.

وممن توفي فيها من الأعيان ، قاضي القضاة ابن أبي الشوارب :

أحمد بن محمد بن عبد الله

ابن العباس بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، أبو الحسن القرشي الأموي، قاضي قضاة بغداد، بعد ابن الأكفاني، بثنتي عشرة سنة، وكان عفيفا نزها، وقد سمع الحديث من أبي عمر الزاهد، وعبد الباقي بن قانع، إلا أنه لم يحدث. قاله ابن الجوزي : وحكى الخطيب البغدادي عن شيخه أبي العلاء الواسطي : أن أبا الحسن هذا، آخر من ولي الحكم ببغداد، من سلالة محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، وقد ولي الحكم من سلالته أربعة وعشرون منهم ثمانية ولوا قضاء القضاة ببغداد. قال أبو العلاء : وما رأينا مثل أبي الحسن هذا، جلالة، ونزاهة، وصيانة، وشرفا. وقد ذكر القاضي الماوردي، أنه كان له صديقا وصاحبا، وأن رجلا من خيار الناس أوصى له بمائتي دينار، فحملها إليه الماوردي، فأبى القاضي أن يقبلها، فجهد عليه كل الجهد، فلم يفعل، وقال له : سألتك بالله لا تذكر هذا لأحد، ما دمت حيا. ففعل الماوردي، فلم يخبر عنه إلا بعد موته، وكان ابن أبي الشوارب فقيرا إليها، وإلى ما هو دونها، فلم يقبلها، رحمه الله. توفي في شوال منها .

جعفر بن أبان

أبو مسلم الختلي، سمع ابن بطة، ودرس فقه الشافعي، على الشيخ أبي حامد الإسفراييني، وكان ثقة دينا، توفي في رمضان منها .

عمرو بن أحمد بن عبدويه

أبو حازم الهذلي النيسابوري، سمع ابن بجيد، والإسماعيلي، وخلقا، وسمع منه الخطيب، وغيره، وكان الناس ينتفعون بإفادته وانتخابه، توفي في يوم عيد الفطر منها .

علي بن أحمد بن عمر بن حفص

أبو الحسن المقري المعروف بالحمامي، سمع النجاد، والخلدي، وابن السماك وغيرهم، وكان صدوقا فاضلا حسن الاعتقاد، وتفرد بأسانيد القراءات، وعلوها، توفي في شعبان منها ، عن تسع وثمانين سنة .

صاعد بن الحسن

ابن عيسي الربعي البغدادي ، صاحب كتاب (الفصوص في اللغة) ، على طريقة القالي في "الأمالي"، صنفه للمنصور بن أبي عامر، فأجازه عليه خمسة آلاف دينار، ثم قيل له : إنه كذاب متهم فقال في ذلك بعض الشعراء :

قَدْ غَاصَ في الماءِ كتابُ الفصوصِ ... وهكـــــذا كـــلُّ ثقيـــلٍ يغوصُ

فلما بلغ صاعدا هذا البيت قال:

عـــــادَ إلى عُنْصُـــــره إنّمـــا ... يخرجُ من قَعْرِ البحورِ الفصـــوصُ

قلت : كأنه سمي هذا الكتاب بهذا الاسم ليشاكل به (الصحاح) للجوهري، لكنه كان مع فصاحته وبلاغته وعلمه متهما بالكذب فيما يرويه وينقله، فلهذا رفض الناس كتابه، ولم يشتهر، وكان ظريفا، ماجنا سريع الجواب، سأله رجل أعمي على سبيل التهكم ، فقال له: ما الخُرْتَقَلُ؟ فأطرق ساعة، وعرف أنه افتعل هذا من عند نفسه، ثم رفع رأسه إليه، فقال : هو الذي يأتي نساء العميان ولا يتعداهن إلى غيرهن. فاستحي ذلك الأعمى، وضحك الحاضرون. توفى في هذه السنة، سامحه الله .

القفال المروزى

أحد أئمة الشافعية الكبار علما وزهدا وحفظا وتصنيفا، وإليه تنسب الطريقة الخراسانية، ومن أصحابه، الشيخ أبو محمد الجويني، والقاضي حسنين ، وأبو على السبخي، قال ابن خلكان: وأخذ عنه إمام الحرمين، وفيما قاله نظر. لأن سن إمام الحرمين لا يحتمل ذلك، فإن القفال هذا مات في هذه السنة وله تسعون سنة، ودفن بسحستان، وإمام الحرمين ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة كما سيأتي، وإنما قيل له : القفال لأنه كان أولا يعمل الأقفال، ولم يشتغل إلا وهو ابن ثلاثين سنة، رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وأربعمائة

في ربيع الأول منها، وقع برد أهلك شيئا كثيراً من الزروع والثمار، وقتل خلقا كثيرا من الدواب . قال ابن الجوزي : وقد قيل : إنه كان في برده كل بردة، رطلان وأكثر، وفي واسط

بلغت البردة أرطالا، وفي بغداد بلغت قدر البيض. وفي ربيع الآخر سألت الأسفهلارية الغلمان الخليفة أن يعزل عنهم أبا كاليجار، لتهاونه بأمرهم وفساده، وفساد الأمور في أيامه، ويولي عليهم جلال الدولة، الذي كانوا قد عزلوه عنهم، فماطلهم الخليفة في ذلك، وكتب إلى أبي كاليجار، أن يتدارك أمره، وأن يسرع الأوبة إلى بغداد، قبل أن يفوت الأمر. وألح أولئك على الخليفة في تولية جلال الدولة، وأقاموا له الخطبة ببغداد، وتفاقم الحال، وفسد النظام .

وفيها : ورد كتاب من يمين محمود بن سبكتكين، يذكر أنه دخل بلاد الهند أيضا، وأنه كسر الصنم الأعظم، الذي لهم المسمي بسومنات، وقد كانوا يفدون إليه من كل فج عميق، كما يفد الناس إلى الكعبة البيت الحرام وأعظم، وينفقون عنده النفقات، والأموال الكثيرة، التي لا توصف، ولا تعد، وكان عليه من الأوقاف عشرة آلاف قرية ومدينة مشهورة، وقد امتلأت خزائنه أموالا، وعنده ألف رجل يخدمونه،وثلثمائة رجل يحلقون رءوس حجيجه، وثلثمائة وخمسون رجل يغنون ويرقصون على بابه لما يضرب على بابه الطبول والبوقات، وكان عنده من المجاورين ألوف يأكلون من أوقافه، وقد كان البعيد من الهنود يتمني لو بلغ هذا الصنم، وكان يعوقه طول المفاوز [١]، وكثرة الموانع والآفات، ثم استخار الله السلطان محمود لما بلغه خبر هذا الصنم وعباده، وكثرة الهنود في طريقه والمفاوز المهلكة، والأرض الخطرة، في تجشم ذلك في جيشه، وأن يقطع تلك الأهوال إليه، فندب جيشه لذلك، فانتدب معه ثلاثون ألفا من المقاتلة، ممن اختارهم لذلك، سوي المتطوعة، فسلمهم الله، حتى انتهوا إلى بلد هذا الوثن، ونزلوا بساحة عباده، فإذا هو بمكان بقدر المدينة العظيمة، قال : فما كان بأسرع من أن ملكناه، وقتلنا من أهله خمسين ألفا، وقلعنا هذا الوثن، وأوقدنا تحته النار، وقد ذكر غير واحد أن الهنود بذلوا للسلطان محمود أموالا جزيلة ليترك لهم هذا الصنم الأعظم، فأشار من أشار من الأمراء على السلطان محمود بأخذ الأموال، وإبقاء هذا الصنم لهم فقال : حتى أستخير الله عزّ وجلّ. فلما أصبح، قال : إني فكرت في الأمر، الذي ذكر، فرأيت أنه إذا نوديت يوم القيامة أين محمود الذي كسر الصنم ؟ أحب إلى من أن يقال : الذي ترك الصنم لأجل ما يناله من الدنيا. ثم عزم فكسره رحمه الله، فوجد عليه وفيه من الجواهر واللآلي والذهب والجواهر النفيسة، ما ينيف على ما بذلوه له بأضعاف مضاعفة، ونرجو من الله له في الآخرة الثواب الجزيل، الذي مثقال دانق [٢] منه خير من الدنيا وما فيها، مع ما حصل له من الثناء الجميل الدنيوي، فرحمه الله وأكرم مثواه.

وفي يوم السبت ثالث رمضان، دخل جلال الدولة إلى بغداد، فتلقاه الخليفة في دجلة في طيار، ومعه الأكابر، والأمراء، فلما واجه جلال الدولة الخليفة قبل الأرض دفعات، ثم سار إلى دار الملك، وعاد الخليفة إلى داره، وأمر جلال الدولة أن يضرب له الطبل في أوقات الصلوات

---

(١) المفاوز : جمع مفازة : المهلكة : الفلاة التي لا ماء فيها . المنجد (فوز) .

(٢) الدانق : سدس الدرهم . اللسان ، والمختار ، والمنجد مادة (دنق) .

الثلاث، كما كان الأمر في زمن عضد الدولة، وصمصامها، وشرفها، وبهائها، وكان الخليفة يضرب له الطبل في الأوقات الخمس، فأراد جلال الدولة ذلك، فقيل له : يحمل هذه المساواة الخليفة في ذلك، ثم صمم على ذلك في أوقات الخمس. قال : ابن الجوزي : وفيها : وقع برد شديد، حتى جمد الخل والنبيذ وأبوال الدواب، والمياه الكبار، وحافات دجلة. و لم يحج أحد من أهل العراق .

فيها توفى من الأعيان :

أحمد بن محمد بن عبد الله

ابن عبد الصمد بن المهتدي بالله، أبو عبد الله الشاهد، خطب له في جامع المنصور، في سنة ست وثمانين وثلثمائة، و لم يخطب له إلا بخطبة واحدة في كل جمعة فكان إذا سمعها الناس منه ضجوا بالبكاء، وخشعوا لصوته .

الحسين بن علي بن الحسين

أبو القاسم المغربي الوزير، ولد بمصر في ذي الحجة، سنة سبعين وثلثمائة، وهرب منها حين قتل صاحبها الحاكم أباه وعمه محمدا، وقصد مكة، ثم الشام، ووزر في عدة أماكن، وكان يقول الشعر الحسن وقد تذاكر هو وبعض الصالحين، فأنشده ذلك الصالح شعرا :

إذا شئتَ أنْ تَحْيا سعيداً فلا تكنْ ... على حالةٍ إلاّ رضيتَ بِدُونِها

فاعتزل المناصب والسلطان، فقال له بعض أصحابه : لِمَ تركت المناصب في عنفوان شبابك ؟ فأنشأ يقول :

كنتُ في سفرة الجَهْلِ والبطالة ... زماناً فحانَ مني القدومُ
تُبْتُ مِنْ كُلِّ مأثَمٍ فعسى يَمّحي ... هذا الحديث ذاك القديمُ
بعد خمسٍ وأربعين تعدّ ... إلا أن الإلهَ القديمَ [1] كريمُ

توفى بميا فارقين، في رمضان منها عن خمس وأربعين سنة، ودفن بمشهد عليٍّ.

محمد بن الحسن بن إبراهيم

أبو بكر الوراق، المعروف بابن الخفاف، روى عن القطيعي، وغيره، وقد اتهموه بوضع الحديث والأسانيد، قاله الخطيب، وغيره .

أبو القاسم اللالكائي

هبة الله بن الحسن بن منصور : الرازي، وهو طبري الأصل، أحد تلامذة الشيخ أبي حامد الإسفراييني، كان يفهم، ويحفظ، وعني بالحديث، فصنف فيه أشياء كثيرة، ولكن عاجلته المنية قبل أن تشتهر كتبه، وله كتاب في السنة وشرفها، وذكر طريقة السلف الصالح في ذلك، وقع لنا

(١) القديم : صفة القدم من صفات الله تعالى .

سماعه على الحجار عالياً عنه، توفى بالدينور في رمضان منها، ورآه بعضهم في المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى، قال : بم ؟ قال : بشيء قليل من السنة أحييته .

أبو القاسم ابن أمير المؤمنين القادر

توفي ليلة الأحد ، من جمادى الآخرة، وصلي عليه غير مرة، ومشى الناس في جنازته، وحزن عليه أبوه حزنا شديدا، وقطع الطبل أياما. كان شاعرا وله شعر حسن .

ابن طباطبا الشريف

كان شاعراً وله شعر حسن .

أبو إسحاق

وهو الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني إبراهيم بن محمد بن مهران. الشيخ أبو إسحاق الإمام العلامة، ركن الدين الفقيه الشافعي، المتكلم الأصولي، صاحب التصانيف في الأصلين، جامع الجلي في مجلدات، والتعليقة النافعة في أصول الفقه، وغير ذلك، وقد سمع الكثير من الحديث من أبي بكر الإسماعيلي، ودعلج، وغيرهما، وأخذ عنه البيهقي، والشيخ أبو الطيب الطبري، والحاكم النيسابوري وأثني عليه، توفى يوم عاشوراء منها بنيسابور، ثم نقل إلى بلده، ودفن في مشهده .

القدورى

صاحب الكتاب المشهور في مذهب أبي حنيفة، أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان أبو الحسن القدوري الفقيه الحنفي، صاحب المصنف المختصر، الذي يحفظ، كان إماما بارعا عالما، وثبتا مناظرا، وهو الذي تولي مناظرة الشيخ أبي حامد الإسفراييني من الحنفية، وكان القدوري يطريه ويقول : هو أعلم من الشافعي وأنظر منه توفى يوم الأحد الخامس من رجب منها، عن ست وخمسين سنة، ودفن إلى جانب الفقيه أبي بكر الخوارزمي الحنفي .

ثم دخلت سنة تسع عشرة وأربعمائة

فيها : وقع بين الجيش وبين جلال الدولة، ونهبوا دار وزيره، وجرت له أمور طويلة آل الحال فيها إلى أنهم اتفقوا على إخراجه من البلد، فهيئ له برذون رث، فخرج وفي يده طير نهارا، فجعلوا لا يلتفتون إليه، ولا يفكرون فيه، فلما عزم على الركوب في ذلك البرذون الرث رثوا له ورقوا له ولهيئته، وقبلوا الأرض بين يديه، وانصلحت قضيته بعد فسادها. وفيها قل الرطب جدا بسبب هلاك النخل، في السنة الماضية بالبرد، فبيع الرطب كل ثلاثة أرطال بدينار جلالي، ووقع برد شديد أيضا، فأهلك شيئا كثيرا من النخيل أيضا، ولم يحج أحد من أهل المشرق، ولا من أهل الديار المصرية فيها ، إلا أن قوما من خراسان، ركبوا في البحر من مدينة مكران فانتهوا إلى جدة فحجوا .

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان :

حمزة بن إبراهيم بن عبد الله

أبو الخطاب المنجم، حظي عند بهاء الدولة وعلماء النجوم، وكان له بذلك وجاهة عنده، حتى أن الوزراء والأمراء كانوا يخافونه ويتوسلون به إليه ، ثم صار أمره طريدا بعيدا، حتى مات يوم مات بالكرخ من سامرا غريبا فقيرا مفلوجا، قد ذهب ماله وجاهه وعقله.

محمد بن محمد بن إبراهيم بن مخلد

أبو الحسن التاجر، سمع الكثير على المشايخ المتقدمين، وتفرد بعلو الإسناد، وكان ذا مال جزيل، فخاف من المصادرة ببغداد، فانتقل إلى مصر، فأقام بها سنة، ثم عاد إلى بغداد، فاتفق مصادرة أهل محلته، فقسط عليه ما أفقره، ومات حين مات ولم يوجد له كفن، ولم يترك شيئا، فأرسل له القادر بالله ما كفن فيه .

مبارك الأنماطي

كان ذا مال جزيل، نحو ثلثمائة ألف دينار مات ولم يترك وارثا سوى ابنة واحدة ببغداد . وتوفى هو بمصر .

أبو الفوارس بن بهاء الدولة

كان ظالما، وكان إذا سكر يضرب الرجل من أصحابه، أو وزيره مائتي مقرعة، بعد أن يحلفه بالطلاق أن لا يتأوه، ولا يخبر بذلك أحدا. فيقال : إن حاشيته سموه، فلما مات نادوا بشعار أخيه كاليجار.

أبو محمد بن الساد

وزير كاليجار ولقبه معز الدولة، فلك الدولة، رشيد الأمة، وزير الوزراء، عماد الملك، ثم سلم بعد ذلك إلى جلال الدولة، فاعتقله، ومات فيها .

أبو عبد الله المتكلم

توفي فيها هكذا رأيت ابن الجوزي ترجمه مختصرا .

ابن غلبون الشاعر

عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب أبو محمد الشامي، ثم الصوري، الشاعر المطبق، له ديوان شعر مليح، كان قد نظم قصيدة بليغة في بعض الرؤساء، ثم أنشدها لرئيس آخر يقال له : ذو النعمتين، وزاد فيها بيتا واحدا يقول فيه :

ولك المناقــبُ كلُّها   فَلِمَ اقتصرتَ على اثنتين ؟

فأجازه جائزة سنية، فقيل له : إنما ليست فيك، فقال : إن هذا البيت وحده بقصيدة، وله أيضا في بخيل نزل عنده :

وأخٍ مسّه نُزُولي بقرحٍ ... مثل ما مسّني منه جُرحُ
بتُّ ضَيْفاً له كما حَكَمَ الدهـ ... ـرُ وفي حكمه على الحرِّ قُبحُ
فابتداني يقولُ وهو منَ ال ... سُكْرِ بالهمِّ طَافحُ ليس يصحو
لمَ تَغَرَّبْتَ ؟ قلتُ: قال رسولُ الله ... والقولُ منه نصحُ ونجحُ:
"سَافِرُوا تَغْنَمُوا [٢]" فقالَ : وقد ... قالَ تمام الحديث:"صُومُوا تَصِحُّوا[١]"

ثم دخلت سنة عشرين وأربعمائة

فيها سقط بناحية المشرق مطر شديد، معه برد كبار. قال ابن الجوزي : حزرت البردة الواحدة منه بمائة وخمسون رطلا، وغاصت في الأرض نحوا من ذراع. وفيها ورد كتاب من محمود بن سبكتكين : أنه أحل بطائفة من أهل الري من الباطنية والروافض قتلا ذريعا، وصلبا شنيعا، وأنه انتهب أموال رئيسهم، رستم بن على الديلمي، فحصل منها ما يقارب ألف ألف دينار، وقد كان في حيازته نحو من خمسين امرأة حرة، وقد ولدن له ثلاثا وثلاثين ولدا بين ذكر وأنثى، وكانوا يرون إباحة ذلك. وفي رجب منها، انقض كواكب كثيرة، شديدة الضوء، شديدة الصوت. وفي شعبان منها، كثرت العملات، وضعفت رجال المعونة عن مقاومة العيارين. وفي يوم الإثنين ثامن عشر رجب، غار ماء دجلة، حتى لم يبق منه إلا القليل، ووقفت الأرحاء [٣] عن الطحن، وتعذر ذلك. وفي هذا اليوم، جمع القضاة، والعلماء، في دار الخلافة، وقرئ عليهم كتاب جمعه القادر بالله، فيه مواعظ، وتفاصيل مذاهب أهل البصرة، وفيه الرد على أهل البدع، وتفسيق من قال بخلق القرآن، وصفة ما وقع بين بشر المريسي، وعبد العزيز بن يحيى الكناني من المناظرة، ثم ختم القول بالوعظ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. وأخذ خطوط الحاضرين بالموافقة على ما سمعوه. وفي يوم الاثنين، غرة ذي القعدة، جمعوا أيضا كلهم، وقرئ عليهم كتاب آخر طويل، يتضمن بيان السنة، والرد على أهل البدع، ومناظرة بشر المريسي، والكناني أيضا، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفضل الصحابة، وذكر فضائل أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، ولم يفرغوا منه إلا بعد العتمة، وأخذت

---

(١) **ضعيف** :قال الحافظ العراقى فى "تخريج الأحياء" (٣/٧٥) : رواه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الطب النبوى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

(٢) **ضعيف** :رواه الطبرانى فى "الأوسط" (٧٤٠٠) وقال الهيثمى فى "المجمع" (٣/٢١٠) : فيه عبد الله بن هارون أبو علقمة الفروى وهو ضعيف . ورواه أحمد (٢/٣٨٠) عن أبي هريرة رضى الله عنه وفى سنده ابن لهيعة وهو ضعيف . وانظر "الضعيفة" (٢٥٤و٢٥٥) .

(٣) الأرحاء : مفردها : رحى مؤنثة الطواحين (لسان العرب) مادة (رحا) ..

خطوطهم بموافقة ما سمعوه. وعزل خطباء الشيعة، وولي خطباء غيرهم من أهل السنة، ولله الحمد والمنة على ذلك وغيره. وجرت فتنة عظيمة بمسجد براثا، وضربوا الخطيب السني بالآجر، حتى كسروا أنفه، وخلعوا كتفه، فانتصر له الخليفة، وأهان الشيعة وأذلهم، حتى جاءوا يعتذرون مما صنعوا، وأن ذلك إنما تعاطاه السفهاء منهم، ولم يتمكن أحد من أهل العراق وخراسان في هذه السنة من الحج .

فيها توفى من الأعيان :

الحسن بن أبي القين

أبو على الزاهد، أحد العباد، والزهاد، وأصحاب الأحوال، دخل على بعض الوزراء فقبل يده، فعوتب الوزير بذلك، فقال : كيف لا أقبل يَدًا ما امتدت إلا إلى الله عزّ وجلّ.

علي بن عيسى بن الفرج بن صالح

أبو الحسن الربعي النحوي، أخذ العربية أولا عن أبي سعيد السيرافي، ثم عن أبي على الفارسي، ولازمه عشرين سنة، حتى كان يقول : قولوا له، لو سار من المشرق إلى المغرب، لم يجد أحدا أنحى [1] منه. كان يوما يمشي على شاطئ دجلة، إذ نظر إلى الشريفين الرضي والمرتضى في سفينة، ومعهما عثمان بن جني، فقال لهما : من أعجب الأشياء عثمان معكما، وعلى بعيد عنكما ، يمشي على شاطئ دجلة. فضحكا وقالا : باسم الله. توفي في المحرم منها، عن ثنتين وتسعين سنة، ودفن بباب الدير، ويقال : إنه لم يشيع جنازته إلا ثلاثة أنفس .

أسد الدولة

أبو على صالح بن مرداس بن إدريس الكلابي، أول ملوك بني مرداس بحلب، انتزعها من يدي نائبها، عن الظاهر بن الحاكم العبيدي، في ذي الحجة سنة سبع عشرة وأربعمائة، ثم جاءه جيش كثيف من مصر، فاقتتلوا، فقتل أسد الدولة هذا في سنة تسع عشرة، وقام حفيده نصر .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وأربعمائة

فيها : توفي الملك الكبير المجاهد المغازي، فاتح بلاد الهند محمود بن سبكتكين رحمه الله تعالى، لما كان في ربيع الأول من هذه السنة، توفي الملك العادل الكبير الثاغر المرابط، المؤيد المنصور، يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين، صاحب بلاد غزنة، ومالك تلك الممالك الكبار، وفاتح أكثر بلاد الهند قهرا، وكاسر أصنامهم، وندودهم، وأوثانهم، وهنودهم، وسلطانهم الأعظم قهرا، وقد مرض رحمه الله نحوا من سنتين، لم يضطجع فيهما على فراش، ولا توسد وسادا، بل كان يتكئ جالسا، حتى مات وهو كذلك، وذلك لشهامته وصرامته وقوة عزمه،

---

(١) أنحى منه : أى أعلم بالنحو منه .

وله من العمر ستون سنة رحمه الله. وقد عهد بالأمر من بعده لولده محمد، فلم يتم أمره حتى عافصه [١] أخوه مسعود بن محمود المذكور، فاستحوذ على ممالك أبيه، مع ما كان يليه مما فتحه هو بنفسه من بلاد الكفار، من الرساتيق [٢] الكبار والصغار، فاستقرت له الممالك شرقا وغربا في تلك النواحي في أواخر هذا العام، وجاءته الرسل بالسلام من كل ناحية، ومن كل ملك همام، وبالتحية والإكرام، وبالخضوع التام، وسيأتي ترجمة أبيه في الوفيات.

وفيها : استحوذت السرية التي كان بعثها الملك المذكور محمود إلى بلاد الهند على أكثر مدائن الهنود، وأكبرها مدينة وهي المدينة المسماة نرسي، دخلوها في نحو من مائة ألف مقاتل، ما بين فارس وراجل، فنهبوا سوق العطر والجوهر بها نهارا كاملا، ولم يستطيعوا أن يحولوا ما فيه من أنواع الطيب، والمسك، والجواهر واللآلي، واليواقيت، ومع هذا لم يدر أكثر أهل البلد بشيء من ذلك لاتساعها، وذلك أنها كانت في غاية الكبر : طولها مسيرة منــزلة من منازل الهند، وعرضها كذلك، وأخذوا منها من الأموال والتحف والأثاث ما لا يحد ولا يوصف، حتى قيل : إنهم اقتسموا الذهب والفضة بالكيل، ولم يصل جيش من جيوش المسلمين إلى هذه المدينة قط، لا قبل هذه السنة ولا بعدها، وهذه المدينة من أكثر بلاد الهند خيرا ومالا، بل قيل : إنه لا يوجد مدينة أكثر منها مالا ورزقا، مع كفر أهلها وعبادتهم الأصنام، فليسلم المؤمن . على الدنيا سلام. وقد كانت محل الملك، وأخذوا منها من الرقيق من الصبيان والبنات ما لا يحصى كثرة .

وفيها : عملت الرافضة بدعتهم الشنعاء، وحادثتهم الصلعاء [٣] في يوم عاشوراء، من تعليق المسوح، وتغليق الأسواق، والنوح والبكاء في الأزقة والارجاء، فأقبل أهل السنة إليهم في الحديد، فاقتتلوا قتالا شديدا، فقتل من الفريقين طوائف كثيرة وجرت بينهم فتن وشرور مستطيرة، وفي هذه السنة مرض أمير المؤمنين القادر بالله، وعهد بولاية العهد من بعده إلى ولده أبي جعفر القائم بأمر الله، بمحضر من القضاة والوزراء والأمراء، وخطب له بذلك، وضرب اسمه على السكة المتعامل بها. وفيها : أقبل ملك الروم من قسطنطينية في مائة ألف مقاتل، فسار حتى بلغ بلاد حلب، وعليها شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس، فنــزلوا على مسيرة يوم منها، ومن عزم ملك الروم، أن يستحوذ على بلاد الشام كلها، وأن يستردها إلى دين النصرانية، وقد قال رسول الله ﷺ : **« إذا هلك كسري فلا كسري بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده »**[٤] وقيصر هو من ملك الشام من الروم، مع بلاد الروم، فلا سبيل لملك الروم إلى هذا، فلما نزل من حلب ــ كما ذكرنا ــ أرسل الله عليهم عطشا شديدا، وخالف بين كلمتهم، وذلك أنه

---

(١) عافصه : أثخنه فى الصراع : أخذ حقه منه . اللسان مادة (عفص) .

(٢) الرستاق : فارسى معرب ، وهو السواد قرى الكوفة والبصرة مختار الصحاح مادة (رستق) .

(٣) الصلعاء : الداهية.اللسان مادة (صلع) .

(٤) **متفق عليه** : رواه البخارى فى المناقب (٣٦١٨،٣٦١٩) ومسلم فى الفتن (٢٩١٨،٢٩١٩) .

كان معه الدمستق، فعامل طائفة من الجيش على قتله، ليستقل هو بالأمر من بعده، ففهم الملك ذلك، فَكَرَّ من فوره راجعا، فاتبعهم الأعراب ينهبونهم ليلا ونهارا، وكان من جملة ما أخذوا منهم أربعمائة بغل محجل، محملة أموالا وثيابا للملك، وهلك أكثر الروم جوعا وعطشا، ونهبتهم الأعراب من كل جانب، ولله الحمد والمنة .

وفيها : ملك جلال الدولة واسطا، واستناب عليها ولده، وبعث وزيره أبا على بن ماكولا إلى البطائح ففتحها، وسار في الماء إلى البصرة، وعليها نائب لأبي كاليجار، فهزمهم البصريون، فسار إليهم جلال الدولة بنفسه، فدخلها في شعبان منها . ودقت البشائر ببغداد، وفيها جاء سيل عظيم بغزنة، فأهلك شيئا كثيرا من الزروع والأشجار. وفي رمضان منها، تصدق مسعود ابن محمود بن سبكتكين بألف ألف درهم، وأدّر أرزاقا كثيرة للفقهاء، والعلماء ببلاده، على عادة أبيه من قبله، وفتح بلادا كثيرة، واتسعت ممالكه جدا، وعظم شأنه، وقويت أركانه، وكثرت جنده وأعوانه، وفيها : دخل خلق كثير من الأكراد، إلى بغداد يسرقون خيل الأتراك ليلا، فتحصن الناس منهم، فأخذوا الخيول كلها، حتى خيل السلطان، وفيها : سقط جسر بغداد، على نهر عيسي. وفيها وقعت فتنة، بين الأتراك النازلين بباب البصرة، وبين الهاشميين، فرفعوا المصاحف، ورمتهم الأتراك بالنشاب، وجرت خبطة عظيمة ثم أصلح الحال بين الفريقين. وفيها : كثرت العملات ببغداد، وأخذت الدور جهرة، وكثر العيارون، ولصوص الأكراد. وفيها تعطل الحج أيضا، سوي شرذمة من أهل العراق، ركبوا من جمال البادية مع الأعراب ففازوا بالحج .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان :

أحمد بن عبد الله بن أحمد

أبو الحسن الواعظ، المعروف بابن أكرات، صاحب كرامات، ومعاملات، كان من أهل الجزيرة، فسكن دمشق، وكان يعظ الناس بالرفادة القيلية، حيث كان يجلس القصاص. قاله ابن عساكر. قال : وصنف كتبا في الوعظ، وحكى حكايات كثيرة، ثم قال : سمعت أبا القاسم بن السمرقندي يقول : سمعت أبا طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر يقول : سمعت أبا الحسن أحمد ابن عبد الله أكرات، الواعظ، ينشد أبياتا :

أنــا ما أصنــعُ باللّذا ... ت شغلــي بالذنــوبِ
إنّما العيدُ لمَــنْ فــا ... زَ بوصــلٍ مــن حبيبِ
أصبحَ الناسُ على رَوْ ... حٍ وريحــان وطيــبِ
ثم أصبحتُ على نوحٍ ... وَحُــزْنٍ ونَحيــــبِ
فرحُــوا حــين أهلّوا ... شهــرَهم بعــدَ المغيبِ
وهــلالي مُتَــــوار ... منْ ورا حُجْــب الغيوب

فلهـــذا قلـــتُ للذّا ت : غَيْبي ثـــم غيبـــي
وجعلـــتُ الهمَّ والحز نَ مـــن الدنيـــا نصيبي
يـــا حيـــاتي ومماتي وسَقامـــي وطبيبـــــتي
جُـــد لنفـــسٍ تتلظى منكَ بالرحبِ والرحيبِ

الحسين بن محمد الخليع

الشاعر، له ديوان شعر حسن، عمر طويلا، توفي في هذه السنة .

الملك الكبير العادل

محمود بن سبكتكين – أبو القاسم – الملقب بيمين الدولة، وأمين الملة، وصاحب بلاد غزنة وما والاها، وجيشه يقال لهم: السامانية، لأن أباه كان قد تملك عليهم، وتوفي سنة سبع وثلاثين وثلثمائة، فتملك عليهم بعده ولده محمود هذا، فسار فيهم وفي سائر رعاياه سيرة عادلة، وقام فى نصر الإسلام قياما تاما، وفتح فتوحات كثيرة، في بلاد الهند وغيرها، وعظم شأنه في العالمين، واتسعت مملكته، وامتدت رعاياه، وطالت أيامه، لعدله، وجهاده، وما أعطاه الله إياه، وكان يخطب في سائر ممالكه للخليفة القادر بالله، وكانت رسل الفاطميين من مصر تفد عليه بالكتب والهدايا والتحف، لأجل أن يكون من جهتهم، فيحرق بهم، ويحرق كتبهم وهداياهم، وفتح في بلاد الكفار من الهند فتوحات هائلة لم يتفق لغيره من الملوك، لا قبله ولا بعده، وغنم مغانم منهم كثيرة، لا تنحصر ولا تنضبط، من الذهب والآلئ والسبي، وكسر من أصنامهم شيئا كثيرا، وأخذ من حليتها ـــ وقد تقدم ذلك مفصلا متفرقا في السنين المتقدمة من أيامه ومن جملة ما كسر من أصنامهم صنم يقال له : سومنان، بلغ ما تحصل من حليته من الذهب عشرين ألف ألف دينار، وكسر ملك الهند الأكبر الذي يقال له: صينال، وقهر ملك الترك الأعظم الذي يقال له: إيلك الخان، وأباد ملك السامانية: وقد ملكوا العالم في بلاد سمرقند وما حولها، ثم هلكوا. وبنى على جيحون جسرا تعجز الملوك والخلفاء عنه، غرم عليه ألفي ألف دينار، وهذا شيء لم يتفق لغيره من الملوك، وكان في جيشه أربعمائة فيل تقاتل، وهذا شيء عظيم هائل، وجرت له فصول يطول تفصيلها، وكان مع هذا في غاية الديانة، والصيانة، وكراهة المعاصي وأهلها، لا يحب منها شيئا، ولا يألفه، ولا أن يسمع بها، ولا يجسر أحد أن يظهر معصية، ولا خمرا في مملكته، ولا غير ذلك، ولا يحب الملاهي ولا أهلها، وكان يحب العلماء والمحدثين، ويكرمهم، ويجالسهم، ويحب أهل الخير والدين والصلاح، ويحسن إليهم. وكان حنفيا، ثم صار شافعيا على يدي أبي بكر القفال الصغير، على ما ذكره إمام الحرمين، وغيره. وكان على مذهب الكرامية في الاعتقاد، وكان من جملة من يجالسه منهم محمد بن الهضيم .

وقد جرى بينه وبين أبي بكر بن فورك مناظرات بين يدي السلطان محمود، في مسألة العرش، ذكرها ابن الهضيم في مصنف له، فمال السلطان محمود إلى قول ابن الهضيم، ونقم على

ابن فورك كلامه، وأمر بطرده وإخراجه، لموافقته لرأي الجهمية وكان عادلا جيدا، اشتكي إليه رجل أن ابن أخت الملك يهجم عليه في داره وعلى أهله في كل وقت فيخرجه من البيت ويختلي بامرأته، وقد حار في أمره، وكلما اشتكاه لأحد من أولي الأمر، لا يجسر أحد عليه خوفا وهيبة للملك. فلما سمع الملك ذلك، غضب غضبا شديدا، وقال للرجل:ويحك، متي جاءك فائتني فأعلمني؛ ولا تسمعن من أحد منعك من الوصول إلي، ولو كان في الليل فائتني فأعلمني ثم إن الملك تقدم إلى الحجبة وقال لهم : إن هذا الرجل متي جاءني لا يمنعه أحد من الوصول إلي من ليل أو نهار فذهب الرجل مسرورا داعيا، فما كان إلا ليلة أو ليلتان، حتى هجم عليه ذلك الشاب، فأخرجه من البيت واختلي بأهله، فذهب باكيا إلى دار الملك، فقيل له: إن الملك نائم، فقال : قد تقدم إليكم، أن لا أمنع منه ليلا ولا نهارا فنبهوا الملك، فخرج معه بنفسه، وليس معه أحد، حتى جاء إلى منـــزل الرجل، فنظر إلى الغلام وهو مع المرأة في فراش واحد، وعندهما شمعة تقد، فتقدم الملك، فأطفأ الضوء، ثم جاء فاحتز رأس الغلام، وقال للرجل : ويحك، الحقني بشربة ماء، فأتاه بها فشرب، ثم انطلق الملك ليذهب، فقال له الرجل : سألتك بالله لم أطفأت الشمعة ؟ قال : ويحك، إنه ابن أختي، وإني كرهت أن أشاهده حالة الذبح . فقال : ولم طلبت الماء سريعا ؟ فقال الملك : إني آليت على نفسي منذ أخبرتني أن لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أنصرك وأقوم بحقك، فكنت عطشانا هذه الأيام كلها، حتى كان ما كان مما رأيت. فدعا له الرجل، وانصرف الملك راجعا إلى منـــزله، ولم يشعر بذلك أحد. وكان مرض الملك محمود هذا بسوء المزاج، اعتراه معه انطلاق البطن سنتين، فكان فيهما لا يضطجع على فراش، ولا يتكئ على شيء، لقوة بأسه، وسوء مزاجه، وكان يستند على مخاد، توضع له، ويحضر مجلس الملك، ويفصل على عادته بين الناس، حتى مات كذلك، في يوم الخميس، لسبع بقين من ربيع الآخرة من هذه السنة عن ثلاث وستين سنة، ملكه منها ثلاث وثلاثون سنة، وخلف من الأموال شيئا كثيرا، من ذلك سبعون رطلا من جوهر، جوهرة منه لها قيمة عظيمة، سامحه الله. وقام بالأمر من بعده ولده محمد، ثم صار الملك إلى ولده الآخر مسعود بن محمود، فأشبه أباه، وقد صنف بعض العلماء مصنفاً في سيرته وأيامه وأحكامه وفتوحاته وممالكه .

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة

فيها : كانت وفاة القادر بالله الخليفة، وخلافة ابنه القائم بأمر الله، على ما سيأتي تفصيله وبيانه.وفيها وقعت فتنة عظيمة، بين السنة والروافض، فقويت عليهم السنة، وقتلوا خلقا منهم ونهبوا الكرخ، ودار الشريف المرتضى، ونهبت العامة دور اليهود، لأنهم نسبوا إلى معاونة الروافض، وتعدي النهب إلى دور كثيرة، وانتشرت الفتنة جدا، ثم سكنت بعد ذلك. وفيها كثرت العملات، وانتشرت المحنة،بأمر العيارين، في أرجاء البلد، وتجاسروا على أمور كثيرة، ونهبوا دورا وأماكن سرا وجهرا، ليلا ونهارا والله سبحانه أعلم .

خلافة القائم بالله

أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله، بويع له بالخلافة، لما توفي أبوه أبو العباس أحمد بن المقتدر بن المعتضد بن الأمير أبو أحمد الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور، في ليلة الإثنين الحادي عشر من ذي الحجة من هذه السنة، عن ست وثمانين سنة، وعشرة أشهر، وأحد عشر يوما، ولم يعمر أحد من الخلفاء قبله، هذا العمر، ولا بعده، مكث من ذلك خليفة إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر، وهذا أيضا شيء لم يسبقه أحد في ذلك، وأمه أم ولد اسمها يمنى، مولاة عبد الواحد بن المقتدر، وقد كان حليما كريما، محبا لأهل العلم والدين والصلاح، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وكان على طريقة السلف في الاعتقاد، وله في ذلك مصنفات كانت تقرأ على الناس، وكان أبيض، حسن الجسم، طويل اللحية، عريضها، يخضبها، وكان يقوم الليل، كثير الصدقة، محبا للسنة، وأهلها، مبغضا للبدعة وأهلها، وكان يكثر الصوم، ويبر الفقراء من أقطاعه، يبعث منه إلى المجاورين بالحرمين وجامع المنصور وجامع الرصافة، وكان يخرج من داره في زي العامة فيزور قبور الصالحين، وقد ذكرنا طرفا صالحا من سيرته، عند ذكر ولايته، في سنة إحدى وثمانين وثلثمائة، وجلسوا في عزائه سبعة أيام لعظم المصيبة به، ولتوطيد البيعة لولده المذكور، وأمه يقال لها: قطر الندى، أرمنية أدركت خلافته في هذه السنة. وكان مولده يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة، سنة إحدى وتسعين وثلثمائة، ثم بويع له بحضرة القضاة والأمراء والكبراء والأعيان في هذه السنة، وكان أول من بايعه المرتضى الشريف، وأنشده أبياتا :

فإما مضـــى جبـــلٌ وانقضى ... فَمِنْـــكَ لَنَـــا جبـــلٌ قد رسا
وإما فُجعْنَـــا ببـــدر التمـــامِ ... فقَـــد بقيتْ منه شمسُ الضحى
لنا حـــزَنٌ في محلِّ السـرور ... فكـــم ضحـــك في مَحَلِّ البكا
فَيَا صَارِماً أغْمَدَتْـــهُ يـــدٌ ... لنـــا بعـــدك الصَّـــارمُ المنتضى
وَلَـــمَّاَ حضرْنَـــا لعقد البياعِ ... عرفنـــا بهديـــكَ طُرُقَ الهدى
فقابلتَنَـــا بوقـــار المشيـــبِ ... كمـــالا وسنَّـــك ســـنُّ الفتى

فطالبته الأتراك، برسم البيعة، فلم يكن مع الخليفة شيء يعطيهم، لأن أباه لم يترك شيئاً، وكادت الفتنة تقع بين الناس بسبب ذلك، حتى دفع عنه الملك جلال الدولة مالا جزيلا لهم، نحواً من ثلاثة آلاف ألف دينار، واستوزر الخليفة أبا طالب محمد بن أيوب، واستقضى ابن ماكولا. ولم يحج أحد من أهل المشرق، سوى شرذمة خرجوا من الكوفة مع العرب فحجوا.

فيها توفى من الأعيان غير الخليفة :

الحسن بن جعفر

أبو علي بن ماكولا الوزير لجلال الدولة قتله غلام له وجارية تعاملا عليه فقتلاه، عن ست وخمسين سنة.

عبد الوهاب بن علي

ابن نصر بن أحمد بن الحسن بن هارون بن مالك بن طوق، صاحب الرحبة، التغلبي البغدادي، أحد أئمة المالكية، ومصنفيهم، له كتاب التلقين يحفظه الطلبة، وله غيره في الفروع والأصول، وقد أقام ببغداد دهرا، وولي قضاء داريا وماكسايا، ثم خرج من بغداد لضيق حاله فدخل مصر، أكرمه المغاربة، وأعطوه ذهبا كثيرا، فتمول جدا، فأنشأ يقول متشوقا إلى بغداد :

سلامٌ على بغدادَ في كلِّ موقف ... وَحُقَّ لها مني السلامُ مضاعفُ
فوالله ما فارقْتُها عن ملالةٍ ... وإني بشطّي جَانِبَيْهـــا لعارفُ
ولكنّها ضاقتْ عليَّ بأسْرِهاً ... ولم تكنِ الأرزاقُ فيها تساعفُ
فكانتْ كَخلٍّ كنتُ أهوى دُنُوَّهُ ... وأخلاقُهُ تنأى بـــه وتخالـــفُ

قال الخطيب : سمع القاضي عبد الوهاب من ابن السماك، وكتبت عنه، وكان ثقة، ولم نر في المالكية أحدا أفقه منه. قال ابن خلكان : وعند وصوله إلى الديار المصرية حصل له شيء من المال، وحسن حاله، مرض من أكلة اشتهاها، فذكر عنه أنه كان يتقلب ويقول : لا إله إلا الله، عندما عشنا متنا. قال : وله أشعار رائقة طريفة فمنها قوله :

ونائمة قَبَّلْتُها فَتَنَبَّهَتْ وقالتْ ... : تَعَالَوْا فاطْلُبُوا اللصَّ بالحدّ
فقلتُ لها: إنّي لَثَمْتُكِ غاصبٌ ... وما حَكَمُوا في غاصب بسوى الردّ
خُذيها وَكُفّي عَنْ أثيمٍ ظلامةً ... وإنْ أنتِ لم تَرْضَيْ فَألفاً على العدّ
فقالَتْ: قصَاصٌ يشهدُ العقلُ أنّه ... على كبدِ الجاني ألذُّ من الشهد
فَبَاتَتْ يميني وهي هميَانُ[٢] خصرِها ... وباتتْ يَسَاري وهي واسطةُ العقْد[١]
وقالتْ: ألم تخبَرْ بأنّك زاهدُ؟ ... فقلتُ: بلى ما زلْتُ أزهدُ في الزُّهد

ومما أنشده ابن خلكان للقاضي عبد الوهاب:

بغدادُ دارٌ لأهلِ المالِ طَيِّبَــةٌ ... وللمفاليـــسِ دارُ الضَّنْك والضيقِ
ظللتُ حيرانَ أمشي في أزقّتها ... كأنّني مصحَـــفٌ في بَيْتِ زِنْديقِ

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة

في سادس المحرم منها، استسقي أهل بغداد، لتأخر الأمطار عن أوانه، فلم يسقوا، وكثر الموت في الناس، ولما كان يوم عاشوراء، عملت الروافض بدعتهم، وكثر النوح والبكاء، وامتلأت بذلك الطرقات والأسواق . ثم في صفر منها أمر الناس بالخروج إلى الأستسقاء، فلم

---

(١) العقْدُ : جمع عُقُود : القلادة ــ ما يحيط بالعنق ــ الجيد . لسان العرب مادة (عقد)
(٢) همْيَانُ : فارسية : شِدَادُ السراويل أو التكّة . لسان العرب مادة (همى) .

يخرج من أهل بغداد ـــ مع اتساعها وكثرة أهلها ـــ مائة واحد. وفيها : وقع بين الجيش وبين جلال الدولة، فاتفق على خروجه إلى البصرة منفيا، ورد كثيرا من جواريه واستبقي بعضهن معه، وخرج من بغداد ليلة الاثنين سادس ربيع الأول منها. وكتب الغلمان الإسفهلارية إلى الملك أبي كاليجار ليقدم عليهم، فلما قدم تمهدت البلاد، ولم يبق أحد من أهل العناد والإلحاد، ونهبوا دار جلال الدولة وغيرها، وتأخر مجيء أبي كاليجار، وذلك أن وزيره أشار عليه بعدم القدوم إلى بغداد. فأطاعه في ذلك، فكثر العيارون ببغداد، وتفاقم الحال، وفسد البلد، وافتقر جلال الدولة، بحيث أن احتاج إلى أن باع بعض ثيابه في الأسواق، وجعل أبو كاليجار يتوهم من الأتراك ويطلب منهم رهائن، فلم يتفق ذلك، وطال الفصل، فرجعوا إلى مكاتبة جلال الدولة، وأن يرجع إلى بلده، وشرعوا يعتذرون إليه، وخطبوا له في البلد على عادته، وأرسل الخليفة الرسل إلى الملك كاليجار، وكان فيمن بعث إليه القاضي أبو الحسن الماوردي، فسلم عليه مستوحشا منه، وقد تحمل أمرا عظيما، فسأل من القضاة أن يلقب بالسلطان الأعظم، مالك الأمم، فقال الماوردي : هذا ما لا سبيل إليه، لأن السلطان المعظم هو الخليفة، وكذلك مالك الأمم، ثم اتفقوا على تلقيبه بملك الدولة، فأرسل مع الماوردي تحفا عظيمة، منها ألف ألف دينار سابورية، وغير ذلك من الدراهم آلاف مؤلفة، والتحف والألطاف، واجتمع الجند على طلب أرزاقهم من الخليفة، فتعذر ذلك، فراموا أن يقطعوا خطبته، فلم تصل الجمعة، ثم خطب له من الجمعة المقبلة، وتخبط البلد جدا، وكثر العيارون. ثم في ربيع الآخر منها حلف الخليفة لجلال الدولة بخلوص النية وصفائها، وأنه على ما يحب، من الصدق، وصلاح السريرة. ثم وقع بينهما بسبب جلال الدولة، وشربه النبيذ، وسكره. ثم اعتذر إلى الخليفة، واصطلحا على فساد. وفي رجب غلت الأسعار جدا ببغداد وغيرها من أراضي العراق. ولم يحج أحد منهم .

وفيها : وقع موتان عظيمان، ببلاد الهند، وغزنة وخراسان وجرجان والري وأصبهان، وخرج منها في أدنى مدة أربعون ألف جنازة. وفي نواحي الموصل، والجبل وبغداد طرف قوي من ذلك بالجدري، بحيث لم تخل دار من مصاب به، واستمر ذلك في حزيران، وتموز، وآذار، وأيلول، وتشرين الأول، والثاني، وكان في الصيف أكثر منه في الخريف. قاله ابن الجوزي في المنتظم. وقد رأى رجل في منامه، من أهل أصبهان، في هذه السنة، مناديا ينادي بصوت جهوري : يا أهل أصبهان سكت، نطق، سكت، نطق، فانتبه الرجل مذعورا، فلم يدر أحد تأويلها ما هو.حتى قال رجل: بيت أبي العتاهية، فقال : احذروا يا أهل أصبهان، فإني قرأت في شعر أبي العتاهية قوله :

سكتَ الدهرُ زماناً عَنْهُمْ ثُمَّ أبكاهُمْ دماً حين نَطَق

فما كان إلا قليل، حتى جاء الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين، فقتل منهم خلقا كثيرا حتى قتل الناس في الجوامع. وفي هذه السنة ظفر الملك أبو كاليجار بالخادم جندل فقتله، وكان

قد استحوذ على مملكته، ولم يبق معه سوي الاسم، فاستراح منه. وفيها : مات ملك الترك الكبير صاحب بلاد ما وراء النهر، واسمه قدرخان .

فيها توفي من الأعيان :

روح بن محمد بن أحمد

أبو زرعة الرازي. قال الخطيب : سمع جماعة، وفد علينا حاجا، فكتبت عنه، وكان صدوقا فهما، أديبا، يتفقه على مذهب الشافعي، وولي قضاء أصبهان. قال : وبلغني أنه مات بالكرخ، سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة.

علي بن أحمد بن الحسن

ابن محمد بن نعيم بن الحسن البصري، المعروف بالنعيمي، الحافظ الشاعر، المتكلم الفقيه الشافعي قال البرقاني : هو كامل في كل شيء، لولا بادرة فيه، وقد سمع على جماعة، ومن شعره قوله :

إذا أظمأتْكَ أكفُّ اللئامِ كفتْكَ القناعةُ شبَعاً وريَّا

فكنْ رجلاً رِجْلُه في الثرى وهَامتُهُ في الثُّريَّا

أبيًّا لنائل ذي نعمة تراهُ بمَا في يديه أبيَّا

فإنَّ إراقةَ ماءِ الحياةِ دونَ إراقةِ ماءَ المحيَّا

محمد بن الطيب

ابن سعد بن موسى أبو بكر الصباغ، حدث عن النجاد، وأبي بكر الشافعي، وكان صدوقا، وقد حكى الخطيب أنه تزوج تسعمائة امرأة، وتوفي عن خمس وتسعين سنة .

علي بن هلال

الكاتب المشهور، ذكر ابن خلكان أنه توفي في هذه السنة، وقيل: في سنة ثلاث عشرة كما تقدم .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وأربعمائة

فيها : تفاقم الحال بأمر العيارين، وتزايد أمرهم، وأخذوا العملات الكثيرة، وقوي أمر مقدمهم البرجمي، وقتل صاحب الشرطة غيلة، وتواترت العملات في الليل والنهار، وحرس الناس دورهم، حتى دار الخليفة منه، وكذلك سور البلد، وعظم الخطب بهم جدا، وكان من شأن هذا البرجمي أنه لا يؤذي امرأة، ولا يأخذ مما عليها شيئا، وهذه مروءة في الظلم، وهذا كما قيل :

حَنَانَيْكَ بعضُ الشرِّ أهونُ مِنْ بعضِ [1]

---

(١) هذا هو الشطر الثاني من بيت لطرفة بن العبد البكرى .وصدره :
أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاستَبْقِ بَعْضَنَا

وفيها : أخذ جلال الدولة البصرة، وأرسل إليها ولده العزيز، فأقام بها الخطبة لأبيه، وقطعت منها خطبة أبي كاليجار في هذه السنة والتي بعدها، ثم استرجعت، وأخرج منها ولده. وفيها : ثارت الأتراك بالملك جلال الدولة، ليأخذوا أرزاقهم، وأخرجوه من داره، ورسموا عليه في المسجد، وأخرجت حريمه، فذهب في الليل إلى دار الشريف المرتضى، فنـزلها، ثم اصطلحت الأتراك عليه، وحلفوا له بالسمع والطاعة، ورجع إلى داره، وكثر العيارون ببغداد، واستطالوا على الناس جداً. ولم يحج أحد من أهل العراق، وخراسان، لفساد البلاد .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن الحسين بن أحمد

أبو الحسين الواعظ المعروف بابن السماك، ولد سنة ثلاثين وثلثمائة، وسمع جعفر الخلدي، وغيره، وكان يعظ بجامع المنصور وجامع المهدي ويتكلم على طريق الصوفية، وقد تكلم بعض الأئمة فيه، ونسب إليه الكذب. توفي فيها عن أربع وتسعين سنة، ودفن بباب حرب .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وأربعمائة

فيها : غزا السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد الهند، وفتح حصونا كثيرة، فكان من جملتها، أنه حاصر قلعة حصينة، فخرجت من السور عجوز كبيرة ساحرة، فأخذت مكنسة فبلتها ورشتها على ناحية جيش المسلمين، فمرض السلطان تلك الليلة مرضا شديدا، فارتحل عن تلك القلعة، فلما استقل ذاهبا عنها عوفي عافية كاملة، ورجع إلى غزنة سالما. وفيها: ولي البساسيري حماية الجانب الشرقي من بغداد، لما تفاقم أمر العيارين. وفيها : ولي سنان بن سيف الدولة، بعد وفاة أبيه، فقصد عمه قرواشا، فأقره،وساعده على استقامة أموره. وفيها هلك ملك الروم أرمانوس، فملكهم رجل ليس من بيت ملكهم، قد كان صيرفيا في بعض الأحيان، إلا أنه كان من سلالة الملك قسطنطين. وفيها كثرت الزلازل بمصر والشام، فهدمت شيئا كثيرا، ومات تحت الردم خلق كثير، والهدم من الرملة ثلثها، وتقطع جامعها تقطعا، وخرج أهلها منها هاربين، فأقاموا بظاهرها ثمانية أيام،ثم سكن الحال فعادوا إليها، وسقط بعض حائط بيت المقدس، ووقع من محراب داود قطعة كبيرة، ومن مسجد إبراهيم قطعة، وسلمت الحجرة، وسقطت منارة عسقلان، ورأس منارة غزة،وسقط نصف بنيان نابلس، وخسف بقرية البارزاد وأهلها، وبقرها، وغنمها، وساخت في الأرض. وكذلك قري كثيرة هنالك، وذكر ذلك ابن الجوزي :

ووقع غلاء شديد ببلاد إفريقية، وعصفت ريح سوداء بنصيبين، فأتلفت شيئا كثيرا من الأشجار، كالتوت، والجوز، والعناب، واقتلعت قصرا مشيدا بحجارة وآجر وكلس، فألقته وأهله فهلكوا، ثم سقط مطر معه برد أمثال الأكف والزنود والأصابع، وجزر البحر من تلك الناحية ثلاثة فراسخ، فذهب الناس خلف السمك، فرجع البحر عليهم، فهلكوا. وفيها : كثر الموت بالخوانيق، حتى كان يغلق الباب على من في الدار، كلهم موتى، وكان أكثر ذلك كان

ببغداد، فمات من أهلها في شهر ذي الحجة سبعون ألفا. وفيها : وقعت الفتنة بين السنة والروافض، حتى بين العيارين من الفريقين مع ابني الأصفهاني، وهما مقدما عيارى أهل السنة، منعا أهل الكرخ من ورود ماء دجلة، فضاق عليهم الحال، وقتل ابن البرجمي وأخوه في هذه السنة. ولم يحج أحد من أهل العراق .

فيها توفي من الأعيان :

أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب

الحافظ أبو بكر المعروف بالبرقاني، ولد سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة، وسمع الكثير، ورحل إلى البلاد، وجمع كتبا كثيرة جدا، وكان عالما بالقرآن، والحديث، والفقه، والنحو، وله مصنفات في الحديث، حسنة نافعة. قال الأزهري : إذا مات البرقاني ذهب هذا الشأن، وما رأيت أتقن منه .

وقال غيره : ما رأيت أعبد منه في أهل الحديث. توفي يوم الخميس، مستهل رجب، وصلى عليه أبو على بن أبي موسى الهاشمي، ودفن في مقبرة الجامع ببغداد، وقد أورد له ابن عساكر من شعره :

أُعلّلُ نفسي بكتب الحديثِ ... وأجملُ فيه لها الموعدا
وأشغلُ نفسي بتصنيفه ... وتخريجه دائما سرمدا
فطوراً أُصنّفه في الشيو ... خ وطورًا أصنفه مسندا
وأقفُوا البخاري فيما حوا ... هُ وصنّفه جاهدا مجهدا
ومسلم إذ كان زينَ الأنامِ ... بتصنيفه مسلماً مرشدا
ومالي فيه سوى أنني ... أراه هوى صادفَ المقصدا
وأرجوا الثوابَ بكتب الصلا ... ة على السيد المصطفى أحمدا

أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد

أبو العباس الأبيوردي، أحد أئمة الشافعية، من تلاميذ الشيخ أبي حامد الإسفراييني،كانت له حلقة في جامع المنصور للفتيا : وكان يدرس في قطيعة الربيع، وولي الحكم ببغداد نيابة عن ابن الأكفاني، وقد سمع الحديث، وكان حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، فصيح اللسان، صبورا على الفقر، كاتما له، وكان يقول: الشعر الجيد، وكان كما قال الله تعالى عزَّ وجلَّ : ﴿ **يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً** ﴾ [البقرة : ٢٧٣] توفي في جمادى الآخرة، ودفن بمقبرة باب حرب .

أبو علي البندنيجي

الحسن بن عبد الله بن يحيى، الشيخ أبو علي البندنيجي، أحد أئمة الشافعية، وتلاميذ أبي حامد الإسفراييني ولم يكن في أصحابه مثله، تفقه، ودرس، وأفتى، وحكم ببغداد ، وكان دينا ورعا .

توفي في جمادى الآخرة منها أيضا.

عبد الوهاب بن عبد العزيز

ابن الحارث بن أسد، أبو الصباح التميمي، الفقيه الحنبلي الواعظ، سمع من أبيه أثرا مسلسلا عن علي " الحنان : الذي يقبل على من أعرض عنه، والمنان : الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال " توفي في ربيع الأول، ودفن في مقبرة أحمد بن حنبل .

غريب بن محمد

ابن معن بن سيف الدولة أبو سنان، كان قد ضرب السكة باسمه، وكان ملكا متمكنا في الدولة، وخلف خمسمائة ألف دينار، وقام ابنه سنان بعده، وتقوي بعمه قرواش، فاستقامت أموره، توفي بالكرخ سابور عن سبعين سنة.

ثم دخلت سنة ست وعشرين وأربعمائة

في محرمها : كثر تردد الأعراب في قطع الطرقات إلى حواشي بغداد وما حولها، بحيث كانوا يسلبون النساء ما عليهن، وَمن أسروه أخذوا ما معه وطالبوه بفداء نفسه، واستفحل أمر العيارين ببغداد وكثرت شرورهم . وفي مستهل صفر، زادت دجلة، بحيث ارتفع الماء على الضياع ذراعين، وسقط من البصرة في مدة ثلاثة أيام نحوا من ألفي دار. وفي شعبان منها، ورد كتاب من مسعود بن محمود، بأنه قد فتح فتحا عظيما في الهند، وقتل منهم خمسين ألفا، وأسر تسعين ألفا، وغنم شيئا كثيرا، ووقعت فتنة بين أهل بغداد والعيارين،، ووقع حريق في أماكن من بغداد، واتسع الخرق على الراقع. و لم يحج أحد من هؤلاء من أهل خراسان.

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن كليب الشاعر

وهو أحد من هلك بالعشق، روى ابن الجوزي في المنتظم بسنده، أن أحمد بن كليب هذا المسكين المغتر عشق غلاما يقال له: أسلم بن أبي الجعد من بني خالد وكان فيهم وزارة، أي كانوا وزراء للملوك وحجابا، فأنشد فيه أشعارا تحدث الناس بها، وكان هذا الشاب أسلم يطلب العلم في مجالس المشايخ، فلما بلغه عن ابن كليب ما قال فيه استحي من الناس، وانقطع في دارهم، وكان لا يجتمع بأحد من الناس فازداد غرام ابن كليب به، حتى مرض من ذلك مرضا شديدا، بحيث عاده منه الناس، ولا يدرون ما به، وكان في جملة من عاده بعض المشايخ من العلماء، فسأله عن مرضه، فقال : أنتم تعلمون دائي ودوائي لو زارني أسلم ونظر إلى نظرة ونظرته نظرة واحدة، لبرأت فرأي ذلك العالم من المصلحة أن لو دخل على أسلم وسأله أن يزوره ولو مرة واحدة مختفيا، و لم يزل ذلك الرجل العالم بأسلم حتى أجابه إلى زيارته، فانطلقا إليه، فلما دخلا دربه ومحلته تجبّن الغلام واستحي من الدخول عليه، وقال للرجل العالم : لا

أدخل عليه وقد ذكرني ونوه باسمي، وهذا مكان ريبة وتهمة، وأنا لا أحب أن أدخل مداخل التهم؛ فحرص به الرجل كل الحرص ليدخل عليه، فأبى عليه، فقال له : إنه ميت لا محالة، فإذا دخلت عليه أحييته. فقال : يموت، وأنا لا أدخل مدخلا يسخط الله على ويغضبه؛ وأبى أن يدخل، وانصرف راجعا إلى دارهم، فدخل الرجل على ابن كليب فذكر له ما كان من أمر أسلم معه، وقد كان غلام ابن كليب دخل عليه قبل ذلك وبشره بقدوم معشوقه عليه، ففرح بذلك جدا؛ فلما تحقق رجوعه عنه، اختلط كلامه، واضطرب في نفسه، ثم قال لذلك الرجل الساعي بينهما : اسمع يا أبا عبد الله، واحفظ عني ما أقول، ثم أنشده :

أُسَلِّـمُ يا راحـةَ العليـلِ رفقًا على الهائـم النحيـلِ
وَصْلُـكَ أشهي إلى فؤادي مـن رحمةِ الخالقِ الجليـلِ

فقال له الرجل : ويحك اتق الله تعالى، ما هذه العظيمة؟ فقال : قد كان ما سمعت؛ أو قال: القول ما سمعت. قال : فخرج الرجل من عنده، فما توسط الدار حتى سمع الصراخ عليه، وسمع صيحة الموت، وقد فارق الدنيا على ذلك. وهذه زلة شنعاء، وعظيمة صلعاء، وداهية دهياء، ولولا أن هؤلاء الأئمة ذكروها ما ذكرتها، ولكن فيها عبرة لأولي الألباب، وتنبيه لذوي البصائر والعقول أن يسألوا الله رحمته وعافيته، وأن يستعيذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن يرزقهم حسن الخاتمة عند الممات، إنه كريم جواد .

قال الحميدي : وأنشدني أبو محمد علي بن أحمد، قال : أنشدني محمد بن عبد الرحمن، لأحمد بن كليب، وقد أهدي إلى أسلم كتاب الفصيح لثعلب :

هـذا كتـابُ "الفصيحِ" بكـلِّ لفـظ مـليـحِ
وهبتُـه لَـكَ طـوعًا كمـا وهبْتُـكَ روحـي

الحسن بن أحمد

ابن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران البزار، أحد مشايخ الحديث، سمع الكثير، وكان ثقة صدوقا، جاءه يوما شاب غريب. فقال له : إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقال لي : «اذهب إلى أبي على بن شاذان، فسلم عليه، وأقره مني السلام» ثم انصرف الشاب، فبكي الشيخ، وقال : ما أعلم لي عملا أستحق به هذا، غير صبري على سماع الحديث، وصلاتي على رسول الله ﷺ كلما ذكر. ثم توفي بعد شهرين أو ثلاثة من هذه الرؤيا في محرمها، عن سبع وثمانين سنة، ودفن بباب الدير.

الحسن بن عثمان

ابن أحمد بن الحسين بن سورة، أبو عمر الواعظ المعروف بابن الغلو، سمع الحديث عن جماعة. قال ابن الجوزي : وكان يعظ، وله بلاغة، وفيه كرم وكان ثقة يأمر بالمعروف، وينهي عن المنكر، ومن شعره قوله :

دخلتُ على السلطان في دارِ عــزّه بفقــرٍ ولم أجلبْ بخيلٍ ولا رجلِ
وقلتُ : انظروا ما بينَ فقري ومُلكِكُم بمقــدارِ ما بَيْــنَ الولايــةِ والعزلِ

توفي في صفر منها وقد قارب الثمانين، ودفن بمقبرة حرب إلى جانب ابن السماك رحمهما الله.

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وأربعمائة

في المحرم منها، : تكاملت قنطرة عيسي التي كانت قد سقطت، وكان الذي ولي مشارفة الإنفاق عليها الشيخ أبو الحسين القدوري الحنفي، وفي المحرم وما بعده تفاقم أمر العيارين وكبسوا الدور وتزايد شرهم جدا.

وفيها : توفي صاحب مصر الظاهر أبو الحسن علي ابن الحاكم الفاطمي، وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة وقام بالأمر من بعده ولده المستنصر وعمره سبع سنين،واسمه معد،وكنيته أبو تميم، وتكفل بأعباء المملكة بين يديه الأفضل أمير الجيوش، واسمه بدر بن عبد الله الجمالي، وكان الظاهر هذا قد استوزر الصاحب أبا القاسم على بن أحمد الجرجرائي،وكان مقطوع اليدين من المرفقين، في سنة ثماني عشرة،فاستمر في الوزارة مدة ولاية الظاهر، ثم لولده المستنصر،حتى توفي الوزير الجرجرائي المذكور في سنة ست وثلاثين، وكان قد سلك في وزارته العفة العظيمة،وكان الذي يعلم عنه القاضي أبو عبد الله القضاعي صاحب كتاب (الشهاب) ، وكانت علامته الحمد لله شكرا لنعمه، وكان الذي قطع يديه من المرفقين الحاكم،لجناية ظهرت منه في سنة أربع وأربعمائة، ثم استعمله في بعض الأعمال سنة تسع، فلما فقد الحاكم في التاسع والعشرين من شوال سنة إحدى عشرة، تنقلت بالجرجرائي المذكور الأحوال، حتى استوزر سنة ثماني عشرة- كما ذكرنا ــ وقد هجاه بعض الشعراء، فقال :

يــا أحمقــا اسمــعْ وقلْ وَدَعِ الرَّقَاعَــةَ [1] والتحامــق
أأقمــتَ نفســَك في الثقا ت وهَبْــكَ فيما قلتُ صادق؟
أمِــنَ الأمانــَةِ والتّقــى قُطِعَــتْ يــداك مــن المرافق؟

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي

ويقال : الثعلبي ــ أيضا ــ وهو لقب أيضا وليس بنسبة النيسابوري المفسر المشهور، له التفسير الكبير، وله كتاب (العرايس) في قصص الأنبياء عليهم السلام وغير ذلك، وكان كثير الحديث، واسع السماع، ولهذا يوجد في كتبه من الغرائب شيء كثير، ذكره عبد الغافر بن

---

(١) الرقاعة : الحماقة : والرقيع الذى يَتَمَزَّقُ عليه عقله . وسمى : رقيعا لأن عقله قد أَخْلَقَ فاسْتَرمَّ، واحتاج إلى أن يُرْقَعَ . : الأحمق . لسان العرب مادة (رقع) .

إسماعيل الفارسي في تاريخ نيسابور، وأثني عليه، وقال : هو صحيح النقل، موثوق به، توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وقال غيره : توفي يوم الأربعاء لسبع بقين من المحرم منها،ورئيت له منامات صالحة، رحمه الله .

وقال السمعاني : ونيسابور كانت مغصبة،[1] فأمر سابور الثاني ببنائها مدينة .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وأربعمائة

فيها : خلع الخليفة على أبي تمام محمد بن محمد بن علي الزينبي، وقلده ما كان إلى أبيه من نقابة العباسيين والصلاة. وفيها وقعت الفرقة بين الجند وبين جلال الدولة، وقطعوا خطبته وخطبة الملك أبي كاليجار، ثم أعادوا الخطبة، واستوزر أبا المعالي بن عبد الرحيم، وكان جلال الدولة قد جمع خلقا كثيرا معه، منهم البساسيري، ودبيس بن على بن مرثد، وقرواش بن مقلد، ونازل بغداد من جانبها الغربي حتى أخذها قهرا، واصطلح هو وأبو كاليجار نائب جلال الدولة على يدي قاضي القضاة الماوردي، وتزوج أبو منصور بن أبي كاليجار، بابنة جلال الدولة على صداق خمسين ألف دينار، واتفقت كلمتهما، وحسن حال الرعية .

وفيها : نزل مطر ببلاد قم الصلح ومعه سمك، وزن السمكة رطل ورطلان، وفيها بعث ملك مصر بمال لإصلاح نهر بالكوفة إن أذن الخليفة العباسي في ذلك، فجمع القائم بالله الفقهاء وسألهم عن هذا المال، فأفتوا بأن هذا المال فيء للمسلمين يصرف في مصالحهم. فأذن في صرفه في مصالح المسلمين. وفيها ثار العيارون ببغداد، وفتحوا السجن بالجانب الشرقي وأخذوا منه رجالا، وقتلوا من رجال الشرطة سبعة عشر رجلا، وانتشرت الفتن والشرور في البلد جدا.

و لم يحج أحد من أهل العراق وخراسان لاختلاف الكلمة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

القدوري أحمد بن محمد

ابن أحمد بن جعفر، أبو الحسن القدوري الحنفي البغدادي، سمع الحديث، و لم يحدث إلا بشيء يسير.

قال الخطيب : كتبت عنه وقد تقدمت وفاته ، ودفن بداره، في درب خلف .

الحسن بن شهاب

ابن الحسن بن علي، أبو على العكبري، الفقيه الحنبلي الشاعر، ولد سنة خمس وثلاثين وثلثمائة سمع من أبي بكر بن مالك وغيره، وكان كما قال البرقاني ثقة أمينا، وكان يسترزق من

---

(١) مغصبة : قرية صغيرة .

الوراقة ــ وهو النسخ ــ يقال: إنه كان يكتب ديوان المتنبي في ثلاث ليال، فيبيعه بمائتي درهم، ولما توفي أخذ السلطان من تركته ألف دينار سوي الأملاك، وكان قد أوصي بثلث ماله في متفقهة الحنابلة، فلم تصرف .

لطف الله أحمد بن عيسى

أبو الفضل الهاشمي، ولي القضاء والخطابة بدرب ريحان، وكان ذا لسان، وقد أضر في آخر عمره، وكان يروى حكايات وأناشيد من حفظه، توفي في صفر منها .

محمد بن أحمد

ابن علي بن أبي موسى بن عبد المطلب، أبو على الهاشمي، أحد أئمة الحنابلة وفضلائهم .

محمد بن الحسن

ابن أحمد بن عَليّ أبو الحسن الأهوازي، ويعرف بابن أبي على الأصبهاني، ولد سنة خمس وأربعين وثلثمائة، وقدم بغداد وخرج له أبو الحسن النعيمي أجزاء من حديثه، فسمعه منه البرقاني، إلا أنه بان كذبه، حتى كان بعضهم يسميه جراب الكذاب، أقام ببغداد سبع سنين،ثم عاد إلى الأهواز فمات بها .

مهيار الديلمي الشاعر

مهيار بن مرزويه أبو الحسين الكاتب الفارسي، ويقال له: الديلمي، كان مجوسيا فأسلم. إلا أنه سلك سبيل الرافضة، وكان ينظم الشعر القوي الفحل في مذاهبهم من سب الصحابة وغير ذلك، حتى قال له أبو القاسم بن برهان : يا مهيار، انتقلت من زاوية في النار إلى زاوية أخرى في النار، كنت مجوسياً فأسلمت وصرت تسب الصحابة. وقد كان منــزله بدرب رباح من الكرخ، وله ديوان شعر كبير مشهور فمن مستجاد قوله :

استنجدُ الصبرَ فيكم وهو مَغْلوبُ ... وأسألُ النّوَم عنكم وهو مسلوبُ
وأبتغي عندكمَ قلباً سَمحْتُ به ... وكيفَ يرجعُ شيءٌ وهو موهوبُ؟
ما كنتُ أعرفُ مقداراً لحبِّكم ... حتى هجرتُ وبعضُ الهجــرِ تأديبُ

ولمهيار أيضاً :

أجارتَنا بالغور والركبُ منهم ... أيعلمُ خال كيفَ باتَ المتيّـــمُ؟
رحلتُم وجمرُ القَلب فينا وفيكم ... ســـواءُ ولَكـــنْ ساهـــرونَ ونوّمُ
فباتوا جميعًا ظاعنين(١) وخلّفوا ... قلوباً أبتْ أن تعرفَ الصبرَ عنهـــم
ولما خلا التوديعُ عما حذرتهُ ... ولم يبـــقَ إلا نظـــرةٌ لي تُغْنَـــمُ

---

(١) ظاعين : ساروا . الظعينة : الهودج كانت فيه امرأة أو لم تكن .

بكيتُ على الوادي وحرّمتُ ماءَهُ — وكيفَ به ماءُ وأكثرُهُ دمُ؟

قال ابن الجوزي :

ولما كان شعره أكثره جيدا، اقتصرت على هذا القدر. توفي في جمادى الآخرة.

هبة الله بن الحسن

أبو الحسين المعروف بالحاجب، كان من أهل الفضل، والأدب، والدين، وله شعر حسن، فمنه قوله :

يا ليلـــةً سَلَـكَ الزمـا — نُ في طيبهـا كـلَّ مَسْلَـك
إذْ ترتقـي روحى المسرّ — ة مـدركاً مـا ليـسَ يُدْرَكَ
والبـدرُ قد فضـحَ الظـلا — م والسـترُ فيـه مهتَّـك
وكأنّما زهـرُ النجـو — م بِلَمْعِها شعـلٌ تُحَـرّكْ
والغيمُ أحياناً يلوحُ كـأنّـ — ه ثـوبُ مُمَسَّـك
وكـأن تجعيـدَ الريـا — حِ لدجلـةَ ثـوبُ مُفَـرّك
وكأنّ نـشرَ المسـكِ ينـ — فـحُ في النسيـم إذا تَـحَـرَّك
وكأنّما المنثـورُ مصَفْـ — رّ الـذرى ذهـبُ مُسبّك
والنـورُ يبسـمُ في الريا — ضِ فـإن نظـرتَ إليه سرّك
شارطـتُ نفسـي أن أقو — مَ بحقّهـا والشـرطُ أملـك
حـتى تـولّى الليلُ منـ — هزمـاً وجـاء الصبحُ يضحَك
ودّ الفـتى لـو أنّـه في — طيـب عيـشٍ سـوف يُترك
والـدهرُ يحسـبُ عمرَه — فـإذا أتـاهُ الشيـبُ فذلك

وكان وفاته في رمضان من هذه السنة رحمه الله تعالى

أبو علي بن سينا

الطبيب الفيلسوف، الحسن بن عبد الله بن سينا الشيخ الرئيس، الذي كان بارعاً في الطب في زمانه، كان أبوه من أهل بلخ، وانتقل إلى بخاري، واشتغل بها، فقرأ القرآن وأتقنه وهو ابن عشر سنين، وأتقن الحساب، والجبر، والمقابلة، وإقليدس، والمجسطي، ثم اشتغل على أبي عبد الله الناتلى الحكيم فبرع فيه، وفاق أهل زمانه في ذلك، وتردد الناس إليه، واشتغلوا عليه، وهو ابن ست عشرة سنة، وقد عالج بعض الملوك السامانية، وهو الأمير نوح بن نصر، فأعطاه جائزة سنية، وحكم في خزانة كتبه، فرأي فيها من العجائب والمحاسن مالا يوجد في غيرها، فيقال : إنه عزا بعض تلك الكتب إلى نفسه، وله في الإلهيات، والطبيعات كتب كثيرة .

قال ابن خلكان : له نحو من مائة مصنف، صغار وكبار، منها (القانون) و(الشفا) و(النجاة) و(الإشارات) ، (وسلامان) ، (وإنسان) ، و(حي بن يقظان) ، وغير ذلك. قال : وكان من فلاسفة الإسلام، ثم أورد له من أشعاره قصيدته في نفسه التي يقول فيها :

هبطتْ إليكَ من المقامِ الأرفعِ ورقــاءُ ذاتُ تعــزّزٍ وتمنعِ
محجوبةٌ عن كلِّ مُقْلَة عارف وهي التي سفرَتْ ولم تَتَبَرْقَعِ
وصلتْ على كُرْه إليكَ وربّما كرهتْ فراقَك وهي ذاتُ تفجّعِ

وهي قصيدة طويلة وله أيضا :

اجعلْ غذاءَك كلَّ يوم مـرةً واحذرْ طعاماً قبلَ هضم طعامِ
واحفظ مَنيَّكَ ما استطعتْ فإنّهُ ماءُ الحياة يُراقُ في الأرحامِ

وذكر: أنه مات بالقولنج في همذان وقيل: بأصبهان، والأول أصح، يوم الجمعة في شهر رمضان منها عن ثمان وخمسين سنة. قلت : قد حصر الغزالي كلامه في (مقاصد الفلاسفة) ، ثم رد عليه في تهافت الفلاسفة في عشرين مجلسا له، كفره في ثلاث منها، وهي قوله: بقدم العالم، وعدم المعاد الجثماني، وأن الله لا يعلم الجزئيات، وَبَدَّعه في البواقي، ويقال: إنه تاب عند الموت، فالله أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وأربعمائة

فيها : كان بدوُّ ملك السلاجقة وفيها استولي ركن الدولة أبو طالب طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجوق على نيسابور وجلس على سرير ملكها، وبعث أخاه داود إلى بلاد خراسان، فملكها، وانتزعها من نواب الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين. وفيها : قتل جيش المصريين لصاحب حلب، وهو شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس، واستولوا على حلب وأعمالها. وفيها : سأل جلال الدولة الخليفة أن يلقب ملك الدولة، فأجابه إلى ذلك بعد تمنع. وفيها استدعي الخليفة بالقضاة، والفقهاء، وأحضر جاثليق النصاري، ورأس جالوت اليهود، وألزموا بالغيار [1]. وفي رمضان منها لقب جلال الدولة شاهنشاه الأعظم ملك الملوك، بأمر الخليفة، وخطب له بذلك على المنابر، فنفرت العامة من ذلك ورموا الخطباء بالآجر، ووقعت فتنة شديدة بسبب ذلك، واستفتوا القضاة والفقهاء في ذلك، فأفتي أبو عبد الله الصيمري أن هذه الأسماء يعتبر فيها القصد والنية، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً﴾ [البقرة: ٢٤٧] وقال : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ ﴾ [الكهف : ٧٩] وإذا كان في الأرض ملوك جاز أن يكون بعضهم فوق بعض أعظم من بعض، وليس في ذلك ما يوجب النكير والمماثلة بين الخالق والمخلوقين. وكتب القاضي أبو الطيب الطبري: أن إطلاق ملك الملوك جائز، ويكون

---

(١) مخالفة المسلمين في اللباس .

معناه ملك ملوك الأرض، وإذا جاز أن يقال: كافي الكفاة، وقاضي القضاة، جاز أن يقال: ملك الملوك، وإذا كان في اللفظ ما يدل على أن المراد به ملوك الأرض زالت الشبهة، ومنه قولهم : اللهم أصلح الملك، فيصرف الكلام إلى المخلوقين. وكتب التميمي الحنبلي نحو ذلك أيضاً، وأما الماوردي صاحب الحاوي الكبير، فقد نقل عنه: أنه أجاز ذلك أيضاً. والمشهور عنه ما نقله ابن الجوزي والشيخ أبو منصور بن الصلاح في أدب المفتي أنه منع من ذلك، وأصر على المنع من ذلك، مع صحبته للملك جلال الدولة، وكثرة تردداه إليه، ووجاهته عنده، وأنه امتنع من الحضور عن مجلسه حتى استدعاه جلال الدولة في يوم عيد، فلما دخل عليه دخل وهو وجل خائف أن يوقع به مكروها، فلما واجهه. قال له جلال الدولة : قد علمت أنه إنما منعك من موافقة الذين جوزوا ذلك مع صحبتك إياي، ووجاهتك عندي دينك واتباعك الحق، وإن الحق آثر عندك من كل أحد، ولو حابيت أحدا من الناس لحابيتني، وقد زادك ذلك عندي صحبة ومحبة وعلو مكانة .

قلت : والذي صار إليه حمل القاضي الماوردي من المنع هو السنة التي وردت بها الأحاديث الصحيحة من غير وجه .

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة. عن النبي ﷺ أنه قال : « أخنع اسم عند الله يوم القيامة رجل تسمى بملك الأملاك » قال الزهرى : سألت أبا عمرو الشيباني عن أخنع اسم قال : أوضع. وقد رواه البخاري عن على بن المديني، عن ابن عيينة، وأخرجه مسلم من طريق همام، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال :« أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه رجل تسمى ملك الأملاك لا ملك إلا الله عزّ وجلّ » (١). وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن جلاس عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ : « اشتد غضب الله على من قتله نبي، واشتد غضب الله على رجل تسمى بملك الأملاك، لا ملك إلا الله عزّ وجلّ » (٢).

ومن توفي فيها من الأعيان :

الثعالبي صاحب يتيمة الدهر

أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، كان إماما في اللغة، والأخبار، وأيام الناس، بارعا مفيدا، له التصانيف الكبار، في النظم، والنثر، والبلاغة، والفصاحة، وأكبر كتبه (يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر) . وفيها يقول بعضهم :

---

(١) متفق عليه :رواه البخارى فى الأدب (٦٢٠٥ ، ٦٢٠٦) ومسلم فى الآداب (٢١٤٣) وأحمد (٢/٢٤٤ ، ٣١٥) .

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢/٤٩٢) .

أبيـــاتُ أشعـــارِ اليتيمـــة ... أبكـــارُ أفكـــارٍ قـــديمةْ
ماتـــوا وعاشَـــتْ بَعْدَهُم ... فلـــذاك سُمِّيَـــتْ اليتيمـــةْ

وإنما سمي الثعالبي لأنه كان رفاء يخيط جلود الثعالب، وله أشعار كثيرة مليحة، ولد سنة خمسين وثلثمائة، ومات في هذه السنة .

الأستاذ أبو منصور

عبد القاهر بن طاهر بن محمد، البغدادي الفقيه الشافعي، أحد الأئمة في الأصول والفروع، وكان ماهرا في فنون كثيرة من العلوم، منها علم الحساب والفرائض، وكان ذا مال وثروة، أنفقه كله على أهل العلم، وصنف، ودرس في سبعة عشر علما، وكان اشتغاله على أبي إسحاق الإسفراييني، وأخذ عنه ناصر المروزي، وغيره .

ثم دخلت سنة ثلاثين وأربعمائة

فيها : التقي الملك مسعود بن محمود سبكتكين، والملك طغرلبك السلجوقي ومعه أخوه داود في شعبان، فهزمهما مسعود، وقتل من أصحابهما خلقا كثيرا. وفيها : خطب شيب بن ريان للقائم العباسي بحران والرحبة، وقطع خطبة الفاطمي العبيدي. وفيها : خوطب أبو منصور بن جلال الدولة بالملك العزيز، وهو مقيم بواسط، وهذا العزيز آخر من ملك بغداد من بني بويه، لما طغوا، وتمردوا، وبغوا، وتسموا بملك الأملاك، فسلبهم الله ما كان أنعم به عليهم، وجعل الملك في غيرهم، كما قال الله تعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] الآية .

وفيها : خلع الخليفة على القاضي أبي عبد الله بن ماكولا خلعة تشريف، وفيها : وقع ثلج عظيم ببغداد مقدار شبر، قال ابن الجوزي : وفي جمادى الآخرة تملك بنو سلجوق بلاد خراسان، والجبل، وتقسموا الأطراف، وهو أول ملك السلجوقية، ولم يحج أحد فيها من العراق، وخراسان، ولا من أهل الشام، ولا مصر إلا القليل .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحافظ أبو نعيم الأصبهاني

أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران أبو نعيم الأصبهاني، الحافظ الكبير، ذو التصانيف المفيدة، الكثيرة الشهيرة، منها (حلية الأولياء) ، في مجلدات كثيرة، دلت على اتساع روايته، وكثرة مشايخه، وقوة اطلاعه على مخارج الحديث وشعب طرقه، وله معجم الصحابة ــ وهو عندي بخطه ــ وله (صفة الجنة) ، و(دلائل النبوة) ، و(كتاب في الطب النبوي)، وغير ذلك من المصنفات المفيدة. وقد قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي: كان أبو نعيم يخلط المسموع له بالمجاز، ولا يوضح أحدهما من الآخر. وقال عبد العزيز النخشبي : لم يسمع أبو نعيم

مسند الحارث بن أبي أسامة من أبي بكر بن خلاد بتمامه، فحدث به كله، وقال ابن الجوزي : سمع الكثير، وصنف الكثير، وكان يميل إلى مذهب الأشعري في الاعتقاد ميلا كثيرا، توفي أبو نعيم في الثامن والعشرين من المحرم منها، عن أربع وتسعين سنة، رحمه الله، لأنه ولد فيما، ذكره ابن خلكان في سنة ست وثلاثين وثلثمائة. قال : وله (تاريخ أصبهان) وذكر أبو نعيم في ترجمة والده أن مهران أسلم، وأن ولاءهم لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .

وذكر أن معنى: أصبهان، وأصله بالفارسية: شباهان، أي: مجمع العساكر، وأن الإسكندر بناها .

الحسن بن حفص

أبو الفتوح العلوي، أمير مكة الحسن بن الحسين، أبو على البرجمي، وزر لشرف الدولة أبي علي بن بهاء الدولة سنتين، ثم عزل، وكان عظيم الجاه في زمانه، وهو الذي بنى مارستان بواسط، ورتب فيه الأشربة، والأطباء، والأدوية، ووقف عليه كفايته. توفي في هذه السنة، وقد قارب الثمانين رحمه الله .

الحسين بن محمد بن الحسن

ابن علي بن عبد الله المؤدب، وهو أبو محمد الخلال، سمع صحيح البخاري، من إسماعيل ابن محمد الكشميهني، وسمع غيره، توفي في جمادى الأولى، ودفن بباب حرب .

عبد الملك بن محمد

ابن عبد الله بن محمد بن بشر بن مهران، أبو القاسم الواعظ، سمع النجاد، ودعلج بن أحمد، والآجري، وغيرهم، وكان ثقة صدوقا، وكان يشهد عند الحكام، فترك ذلك رغبة عنه ورهبة من الله، ومات في ربيع الآخر منها، وقد جاوز التسعين، وصلي عليه في جامع الرصافة، وكان الجمع كثيرا حافلا، ودفن إلى جانب أبي طالب المكي، وكان قد أوصى بذلك.

محمد بن الحسين بن خلف

ابن الفراء، أبو حازم القاضي أبو يعلي الحنبلي، سمع الدارقطني ، وابن شاهين، قال الخطيب: كان لا بأس به، ورأيت له أصولا سماعه فيها، ثم إنه بلغنا أنه خلط في الحديث بمصر، واشتري من الوراقين صحفا، فروى منها، وكان يذهب إلى الاعتزال. توفي فيها بتنيس [1]من بلاد مصر.

محمد بن عبد الله

أبو بكر الدينوري الزاهد، كان خشن العيش، وكان ابن القزويني يثني عليه، وكان جلال الدلة صاحب بغداد يزوره، وقد سأله مرة أن يطلق للناس مكث الملح، وكان مبلغه ألفي دينار، فتركه من أجله، ولما توفي اجتمع أهل بغداد لجنازته، وصلي عليه مرات، ودفن بباب حرب، رحمه الله تعالى .

---

(١) تـــنيس : من المدن المصرية القديمة التي اندثرت وفي معجم ياقوت : وهي جزيرة في بر مصر قريبة من البر ما بين الفـــرما ودمياط وبها تعمل الثياب الملونة والفرش . وبالبحث تبين أن الجزيرة التي كانت بها مدينة تنيس موجودة إلى اليوم ببحيرة المنزلة ومعروفة بجزيرة تنيس وبها بعض بقايا من الطوب الأحمر المخلف من مبانيها القديمة .

الفضل بن منصور

أبو الرضي، ويعرف بابن الظريف، وكان شاعرا ظريفا ومن شعره قوله :

يا قالةَ الشعرِ قد نصحتُ لكم ... ولستُ أدهى إلا من النصحِ
قد ذهبَ الدهرُ بالكـرامِ وفي ... ذاك أمورُ طويلـةُ الشـرحِ
أتطلبون النوالَ مـن رجـلٍ ... قد طبعتْ نفسُه على الشـحِ؟
وأنتم تمدحون بالحسن والظر ... ف وجوهاً في غايةِ القبـحِ
مِنْ أجلِ ذا تحرمون رزقَكُـمُ ... لأنَّكـم تكذبـونَ في المدحِ
صونوا القوافي فما أرى أحداً ... يعثرُ فيه الرجـاءُ بالنجـحِ
فإن شككْتُم فيما أقولُ لكم ... فكذبـوني بواحـدٍ سمحِ

هبة الله بن علي بن جعفر

أبو القاسم بن ماكولا، وزر لجلال الدولة مرارا، وكان حافظا للقرآن، عارفا بالشعر والأخبار، خنق بهيت، في جمادى الآخرة منها.

أبو زيد الدبوسي

عبد الله بن عمر بن عيسي الفقيه الحنفي، أول من وضع علم الخلاف، وأبرزه إلى الوجود.
قاله ابن خلكان، قال : وكان يضرب به المثل، والدبوس نسبة إلى قرية من أعمال بخاري، قال : وله كتاب الأسرار، والتقويم للأدلة، وغير ذلك من التصانيف والتعاليق، قال : وروى أنه ناظر فقيها، فبقي كلما ألزمه أبو زيد إلزاما تبسم أو ضحك، فأنشد أبو زيد في ذلك :

مالـي إذا ألزمْتُـهُ حُجَّةً ... قَابَلَنـي بالضحـكِ والقهقهةْ
إنْ ضَحِـكَ المرءُ من فقهه ... فالـدبُّ بالصـحراءِ ما أفقَهَهْ

الحوفي صاحب إعراب القرآن

أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفي النحوي، له كتاب في النحو كبير، وإعراب القرآن في عشر مجلدات، وله تفسير القرآن أيضا، وكان إماما في العربية، والنحو، والأدب، وله تصانيف كثيرة انتفع بها الناس .

قال ابن خلكان : والحوفي نسبة لناحية بمصر، يقال لها: الشرقية، وقصبتها مدينة بلبيس؛ فجميع ريفها يسمون حوف، واحدهم حوفي، وهو من قرية يقال لها: شبرا النخلة، من أعمال الشرقية المذكورة، رحمه الله .

دخلت سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة

فيها: زادت دجلة زيادة عظيمة، بحيث حملت الجسر ومن عليه، فألقتهم بأسفل البلد، وسلموا، وفيها وقع بين الجند وبين جلال الدولة شغب، وقتل من الفريقين خلق، وجرت شرور يطول ذكرها. ووقع فساد عريض، واتسع الخرق على الراقع، ونهبت دور كثيرة جداً، ولم يبق

للملك عندهم حرمة، وغلت الأسعار. وفيها : زار الملك أبو طاهر مشهد الحسين، ومشي حافيا في بعض تلك الأزوار ولم يحج أحد من أهل العراق وفيها بعث الملك أبو كاليجار وزيره العادل إلى البصرة فملكها له .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إسماعيل بن أحمد

ابن عبد الله أبو عبد الرحمن الضرير الحيري، من أهل نيسابور، كان من أعيان الفضلاء الأذكياء، والثقات الأمناء، قدم بغداد حاجا، في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، فقرأ عليه الخطيب جميع صحيح البخاري في ثلاث مجالس بروايته له عن أبي الهيثم الكشميهني،عن الفربري، عن البخاري، توفي فيها وقد جاوز التسعين .

بشري الفاتنى

وهو بشري بن مسيس، من سبي الروم، أهداه أمراء بني حمدان الفاتن غلام المطيع، فأدبه،وسمع الحديث عن جماعة من المشايخ، وروى عنه الخطيب. وقال : كان صدوقا صالحا دينا،توفي يوم عيد الفطر منها.رحمه الله .

محمد بن علي

ابن أحمد بن يعقوب بن مروان أبو العلاء الواسطي،وأصله من فم الصلح،سمع الحديث، وقرأ القراءات، ورواها، وقد تكلموا في روايته في القراءات والحديث، فالله أعلم. توفي في جمادى الآخرة منها وقد جاوز الثمانين .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة

فيها : عظم شأن السلجوقية، وارتفع شأن ملكهم طغرلبك محمد وأخيه داود، وهما ابنا ميكائيل بن سلجوق بن بغاق، وقد كان جدهم بغاق هذا من مشايخ الترك القدماء، الذين لهم الرأي ومكيدة ومكانة عند ملكهم الأعظم، ونشأ ولده سلجوق نجيبا شهما، فقدمه الملك ولقبه شباسي، فأطاعته الجيوش، وانقاد له الناس، بحيث تخوف منه الملك، وأراد قتله، فهرب منه إلى بلاد المسلمين، فأسلم، فازداد عزاً وعلواً، ثم توفي عن مائة وسبع سنين، وخلف أرسلان وميكائيل، وموسى فأما ميكائيل، فإنه اعتنى بقتال الكفار من الأتراك حتى قتل شهيدا، وخلف ولديه طغرلبك محمد، وجعفر بك داود، فعظم شأنهما، في بني عمهما، واجتمع عليهما الترك من المؤمنين، وهم ترك الإيمان، الذين يقول لهم: الناس تركمان، وهم السلاجقة بنو سلجوق جدهم هذا، فأخذوا بلاد خراسان بكمالها بعد موت محمود بن سبكتكين، وقد كان يتخوف منهم محمود بعض التخوف، فلما مات وقام ولده مسعود بعده، قاتلهم وقاتلوه مرارا، فكانوا يهزمونه في أكثر المواقف، واستكمل لهم ملك خراسان بأسرها، ثم قصدهم مسعود في جنود

يضيق بهم الفضاء فكسروه، وكبسه مرة داود، فانهزم مسعود، فاستحوذ على حواصله وخيامه، وجلس على سريره، وفرق الغنائم على جيشه، ومكث جيشه على خيولهم لا ينـــزلون عنها ثلاثة أيام، خوفا من دهمة العدو، وبمثل هذا الاحتراس تم لهم ما راموه، وكمل لهم جميع ما أملوه، ثم كان من سعادتهم أن الملك مسعود توجه نحو بلاد الهند ليشتي بها، وترك مع ولده مودود جيشا كثيفا بسبب قتال السلاجقة، فلما عبر الجسر الذي على سيحون، نهبت جنوده حواصله، واجتمعوا على أخيه محمد بن محمود وخلعوا مسعودا، فرجع إليهم مسعود، فقاتلهم، فهزموه وأسروه، فقال له أخوه : والله لست بقاتلك على شر صنيعك إلي، ولكن اختر لنفسك أي بلد تكون فيه أنت وعيالك، فاختار قلعة كبري، وكان بها، ثم إن الملك محمدا أخا مسعود جعل لولده الأمر من بعده، وبايع الجيش له، وكان ولده اسمه أحمد، وكان فيه هرج، فاتفق هو ويوسف بن سبكتكين على قتل مسعود ليصفوا لهم الأمر ويتم لهم الملك، فسار إليه أحمد من غير علم أبيه فقتله، فلما علم أبوه بذلك غاظه وعتب على ابنه عتبا شديدا، وبعث إلى ابن أخيه يعتذر إليه ويقسم له أنه لم يعلم بذلك، حتى كان ما كان. فكتب إليه مودود بن مسعود : رزق الله ولدك المعتوه عقلا يعيش به، فقد ارتكب أمرا عظيما، وقدم على إراقة دم مثل والدي، الذي لقبه أمير المؤمنين بسيّد الملوك والسلاطين، وستعلمون أي حيف تورطتم ، وأي شر تأبطتم [1] ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٢٧] ثم سار إليهم في جنود، فقاتلهم، فقهرهم، وأسرهم، فقتل عمه محمدا وابنه أحمد وبني عمه كلهم إلا عبد الرحمن، وخلقا من رءوس أمرائهم، وابتنى قرية هنالك، وسماها فتحا أباذا، ثم سار إلى غزنة، فدخلها في شعبان، فأظهر العدل، وسلك سيرة جده محمود، فأطاعه الناس، وكتب إليه أصحاب الأطراف، بالانقياد، والاتباع، والطاعة، غير أنه أهلك قومه بيده، وهذا من جملة سعادة السلاجقة.

وفيها : اختلف أولاد حماد على العزيز باديس صاحب إفريقية، فسار إليهم، فحاصرهم قريبا من سنتين، ووقع بإفريقية في هذه السنة غلاء شديد بسبب تأخر المطر، ووقع ببغداد فتنة عظيمة بين الروافض والسنة من أهل الكرخ، وأهل باب البصرة، فقتل بينهم خلق كثير من الفريقين، ولم يحج أحد من أهل العراق وخراسان .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن الحسين

ابن الفضل بن العباس، أبو يعلى البصري الصوفي، أذهب عمره في الأسفار والتغريب، وقدم بغداد في سنة ثنتين وثلاثين، فحدث بها عن أبي بكر بن أبي الحديد الدمشقي، وأبي الحسين بن جميع الغساني، وكان ثقة صدوقا دينا حسن الشعر.

---

(١) تأبطتم: تأبط الشيء وضعه تحت إبطه .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة

فيها : ملك طغر لبك جرجان وطبرستان، ثم عاد إلى نيسابور مؤيدا منصورا. وفيها ولي ظهير الدولة بن جلال الدولة أبي جعفر بن كالويه بعد وفاة أبيه، فوقع الخلف بينه وبين أخويه أبي كاليجار وكرسانيف. وفيها دخل أبو كاليجار همذان ودفع الغزو عنها. وفيها : شعثت الأكراد ببغداد لسبب تأخر العطاء عنهم. وفيها سقطت قنطرة بني زريق على نهر عيسي، وكذا القنطرة العتيقة التي تقاربها وفيها : دخل بغداد رجل من البلغار، يريد الحج، وذكر أنه من كبارهم، فأنزل بدار الخلافة، وأجرى عليه الأرزاق، وذكر أنهم مولدون من الترك والصقالبة، وأنهم في أقصي بلاد الترك، وأن النهار يقصر عندهم، حتى يكون ست ساعات، وكذلك الليل، وعندهم عيون، وزروع، وثمار، على غير مطر ولا سقي. وفيها قرئ الاعتقاد القادري، الذي جمعه الخليفة القادر، وأخذت خطوط العلماء والزهاد عليه بأنه اعتقاد المسلمين، ومن خالفه فسق وكفر، وكان أول من كتب عليه الشيخ أبو الحسن على بن عمر القزويني، ثم كتب بعده العلماء، وقد سرده الشيخ أبو الفرج بن الجوزي بتمامه في منتظمه، وفيه جملة جيدة من اعتقاد السلف .

ومن توفي فيها من الأعيان :

بهرام بن منافيه

أبو منصور الوزير لأبي كاليجار، كان عفيفا نزها صينا، عادلا في سيرته، وقد وقف خزانة كتب في مدينة فيروزباذ، تشتمل على سبعة آلاف مجلد، من ذلك أربع آلاف ورقة بخط أبي على وأبي عبد الله بن مقلة .

محمد بن جعفر بن الحسين

المعروف بالجهرمي، قال الخطيب: هو أحد الشعراء الذين لقيناهم وسمعنا منهم، وكان يجيد القول ومن شعره :

يا ويـحَ قَلْبـي مـنْ تَقَلُّبـه ... أبـداً يـحنُّ إلى معـذِّبه
قالـوا : كَتَمْتَ هواهُ عنْ جَلَد ... لو أنَّ لي جلـداً لبحتُ بـه
مـا بي جننـتَ غير مكترثٌ ... عـني ولكـنْ مـنَ تَغَيُّـبه
حَسْـبي رِضَاهُ منَ الحياةِ ومَا ... يَلْقَـي وَمَـوتي مـن تَغَضُّبه

مسعود الملك ابن الملك محمود

ابن الملك سبكتكين، صاحب غزنة، وابن صاحبها، قتله ابن عمه أحمد بن محمد بن محمود، فانتقم له ابنه مودود بن مسعود، فقتل قاتل أبيه وعمه وابن عمه وأهل بيته من أجل

أبيه، واستتب له الأمر وحده من غير منازع من قومه، كما تقدم. بنت أمير المؤمنين المتقي بالله، تأخرت مدتها حتى توفيت في هذه السنة في رجب منها، عن إحدى وتسعين سنة، بالحريم الظاهر، ودفنت بالرصافة.

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وأربعمائة

فيها : أمر الملك جلال الدولة أبا طاهر بجباية أموال الجوالي، ومنع أصحاب الخليفة من قبضها، فانزعج لذلك الخليفة القائم بالله، وعزم على الخروج من بغداد. وفيها : كانت زلزلة عظيمة بمدينة تبريز، فهدمت قلعتها، وسورها، ودورها ومن دار الإمارة عامة قصورها، ومات تحت الهدم خمسون ألفا، ولبس أهلها المسوح لشدة مصابهم، وفيها استولى السلطان طغر لبك على أكثر البلاد الشرقية، من ذلك مدينة خوارزم، ودهستان، وطس، والري، وبلاد الجبل، وكرمان، وأعمالها، وقزوين، وخطب له في تلك النواحي كلها، وعظم شأنه جدا، واتسع صيته. وفيها: ملك سماك بن صالح بن مرداس حلب، أخذها من الفاطميين، فبعث إليه المصريون من حاربه. و لم يحج أحد من أهل العراق وغيرها، ولا في اللواتي قبلها .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو زر الهروي

عبد الله بن أحمد بن محمد الحافظ المالكي، سمع الكثير، ورحل إلى الأقاليم، وسكن مكة، ثم تزوج في العرب، وكان يحج كل سنة، ويقيم بمكة أيام الموسم، ويسمع الناس، ومنه أخذ المغاربة مذهب الأشعرى عنه ، وكان يقول: إنه أخذ مذهب مالك عن البقلاني، كان حافظا، توفي في ذي القعدة .

محمد بن الحسين

ابن محمد بن جعفر، أبو الفتح الشيباني العطار، ويعرف بقطيط، سافر الكثير إلى البلاد، وسمع الكثير، وكان شيخا ظريفا، سلك طريق التصوف، وكان يقول : لما ولدت سميت قطيطا، على أسماء البادية، ثم سماني بعض أهلي محمداً .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وأربعمائة

فيها : ردت الجوالي إلى نواب الخليفة. وفيها : ورد كتاب من الملك طغرلبك، إلى جلال الدولة يأمره بالإحسان إلى الرعايا والوصاة بهم قبل أن يحل به ما يسوءه.

أبو كاليجار يملك بغداد بعد أخيه
جلال الدولة

وفيها : توفي جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة، فملك بغداد بعده أخوه سلطان الدولة أبو كاليجار بن بهاء الدولة، وخطب له بها عن ممالأة أمرائها، وأخرجوا منها الملك العزيز أبا

منصور بن جلال الدولة، فتنقل في البلاد، وتسرب من مملكته إلى غيرها، حتى توفي سنة إحدى وأربعين، وحمل فدفن عند أبيه بمقابر قريش. وفيها أرسل الملك مودود بن مسعود عسكرا كثيفا إلى خراسان، فبرز إليهم ألب أرسلان بن داود ميكائيل بن داود السلجوقي فاقتتلا قتالا عظيما، وفي صفر منها أسلم من الترك الذين كانوا يطرقون بلاد المسلمين نحوا من عشرة آلاف خركاة، وضحوا في يوم عيد الأضحي بعشرين ألف رأس من الغنم، وتفرقوا في البلاد، ولم يسلم من خطر التتر أحد، وهم بنواحي الصين. وفيها : نفي ملك الروم من القسطنطينية، كل غريب له فيها دون العشرين سنة. وفيها : خطب المعز أبو تميم صاحب إفريقية ببلاده للخليفة العباسي، وقطع خطبة الفاطميين، وأحرق أعلامهم، وأرسل إليه الخليفة الخلع، واللواء المنشور، وفيه تعظيم له، وثناء عليه. وفيها أرسل القائم بأمر الله، أبا الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردي، قبل موت جلال الدولة، إلى الملك طغرلبك، ليصلح بينه، وبين جلال الدولة، وأبي كاليجار، فسار إليه، فالتقاه بجرجان، فتلقاه الملك على أربعة فراسخ، إكراما للخليفة، وأقام عنده إلى السنة الآتية. فلما قدم على الخليفة، أخبره بطاعته، وإكرامه، لأجل الخليفة .

وفيها توفى من الأعيان :

الحسين بن عثمان

ابن سهل بن أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي، أبو سعد أحد الرحالين في طلب الحديث، إلى البلاد المتباعدة، ثم أقام ببغداد مدة، وحدث بها، وروى عنه الخطيب،وقال :كان صدوقا. ثم انتقل في آخر عمره إلى مكة، فأقام بها، حتى مات في شوال منها.

عبد الله بن أبي الفتح

أحمد بن عثمان بن الفرج بن الأزهر، أبو القاسم الأزهري، الحافظ المحدث المشهور، ويعرف بابن الواحد، سمع من أبي بكر بن مالك، وخلق يطول ذكرهم، وكان ثقة صدوقا، دينا، صحيح الاعتقاد والسيرة، توفي ليلة الثلاثاء، تاسع عشر صفر منها، عن ثمانين سنة وعشرة أيام.

الملك جلال الدولة

أبو طاهر بن بهاء الدولة بن بويه الديلمي، صاحب العراق، كان فيه محبة عظيمة للعباد، ويزورهم، ويلتمس الدعاء منهم، وقد نكب مرات عديدة، وخالفه الأتراك غير مرة وأخرج من داره، وتارة أخرى من بغداد بالكلية، ثم يعود إليها، حتى اعتراه وجع كبده ، فمات من ذلك، في ليلة الجمعة خامس شعبان منها، وله من العمر إحدى وخمسين سنة وأشهر، تولي العراق من ذلك، ست عشرة سنة وأحد عشر شهرا، والله أعلم .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وأربعمائة

فيها : دخل الملك أبو كاليجار بغداد، وأمر بضرب الطبل في أوقات الصلوات الخمس، ولم تكن الملوك تفعل ذلك، إنما كان يضرب لعضد الدولة ثلاثة أوقات، وما كان يضرب في الأوقات الخمس إلا للخليفة، وكان دخوله إليها في رمضان، وقد فرق على الجند أموالا جزيلة، وبعث إلى الخليفة بعشرة آلاف دينار، وخلع على مقدمي الجيوش، وهم البساسيري، والنشاوري، والهمام أبو اللقاء، ولقبه الخليفة محيي الدولة، وخطب له في بلاد كثيرة، بأمر ملوكها، وخطب له بهمذان، ولم يبق لنواب طغرل بك وفيها أمر. وفيها استوزر طغرلبك أبا القاسم عبد الله الجويني، وهو أول وزير وزر له. وفيها : ورد أبو نصر أحمد بن يوسف الصاحب مصر، وكان يهوديا، فأسلم بعد موت الجرجراي. وفيها : ولي نقابة الطالبيين أبو أحمد بن عدنان بن الرضي، وذلك بعد وفاة عمه المرتضى. وفيها : ولي القضاء أبو الطيب الطبري، قضاء الكرخ، مضافا إلى ما كان يتولاه من القضاء بباب الطاق، وذلك بعد موت القاضي أبي عبد الله الصيمري. وفيها : نظر رئيس الرؤساء أبو القاسم بن المسلم في كتاب ديوان الخلافة، وكان عنده بمنـــزلة عالية. ولم يحج فيها أحد من أهل العراق .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسين بن علي

ابن محمد بن جعفر، أبو عبد الله الصيمري، نسبة إلى نهر البصرة يقال له: الصيمر، عليه عدة قري، أحد أئمة الحنفية، ولي قضاء المدائن، ثم قضاء ربع الكرخ، وحدث عن أبي بكر المفيد، وابن شاهين، وغيرهما، كان صدوقا وافر العقل، جميل المعاشرة، حسن العبادة، عارفا بحقوق العلماء، توفي في شوال، عن خمس وثمانين سنة .

عبد الوهاب بن منصور

ابن أحمد، أبو الحسن المعروف بابن المشتري الأهوازي، كان قاضيا بالأهواز ونواحيها، شافعي المذهب، كان له منـــزلة كبيرة عند السلطان، وكان صدوقا كثير المال، حسن السيرة .

الشريف المرتضى

علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الشريف الموسوي، الملقب بالمرتضى، ذي المجدين، كان أكبر من أخيه على ذي الحسبين، وكان جيد الشعر على مذهب الإمامية والاعتزال، يناظر على ذلك، وكان يناظر عنده في كل المذاهب، وله تصانيف في التشيع، أصولا وفروعا، وقد نقل ابن الجوزي أشياء من تفرداته في التشيع ، فمن ذلك : أنه لا يصح السجود إلا على الأرض ، أو ما كان من جنسها،

وأن الاستجمار [1] إنما يجزئ من الغائط لا من البول، وأن الكتابيات حرام، وكذا ذبائح أهل الكتاب، وما ولدوه هم وسائر الكفار من الأطعمة حرام، وأن الطلاق لا يقع إلا بحضرة شاهدين، والمعلق منه لا يقع وإن وجد شرطه، ومن نام عن صلاة العشاء حتى انتصف الليل وجب قضاؤها، ويجب عليه أن يصبح صائما، كفارة لما وقع منه، ومن ذلك أن المرأة إذا جزت شعرها يجب عليها كفارة قتل الخطأ، ومن شق ثوبه في مصيبة، وجب عليه كفارة اليمين، ومن تزوج امرأة لها زوج لا يعلمه وجب عليه أن يتصدق بخمسة دراهم، وأن قطع السارق من رءوس الأصابع .

قال ابن الجوزي : نقلته من خط أبي الوفاء بن عقيل. قال : وهذه مذاهب عجيبة، تخرق الإجماع، وأعجب منها ذم الصحابة رضي الله عنهم. ثم سرد من كلامه شيئا قبيحا في تكفير عمر بن الخطاب، وعثمان، وعائشة، وحفصة رضي الله عنهم، وأخزاه الله وأمثاله من الأرجاس الأنجاس، أهل الرفض والارتكاس، إن لم يكن قد تاب، فقد روى ابن الجوزي: قال : أخبرنا ابن ناصر، عن أبي الحسن بن الطيوري، قال: سمعت أبا القاسم بن برهان. يقول : دخلت على الشريف المرتضى، وإذا هو قد حول وجهه إلى الجدار، وهو يقول : أبو بكر وعمر وليا فعدلا واسترحما فرحما فأنا أقول: ارتدا، بعد ما أسلما؟ قال : فقمت عنه، فما بلغت عتبة داره حتى سمعت الزعقة عليه. توفي في هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة. وقد ذكره ابن خلكان: فملس[2] عليه، على عادته مع الشعراء في الثناء عليهم، وأورد له أشعارا رائقة. قال : ويقال : إنه هو الذي وضع كتاب (نهج البلاغة) .

محمد بن أحمد

ابن شعيب بن عبد الله بن الفضل،أبو منصور الروياني، صاحب الشيخ أبي حامد الإسفراييني قال الخطيب : سكن بغداد، وحدث بها، وكتبنا عنه، وكان صدوقا، يسكن قطيعة الربيع. توفي في ربيع الأول منها ، ودفن بباب حرب .

أبو الحسين البصري المعتزلى

محمد بن علي بن الخطيب، أبو الحسين البصري المتكلم، شيخ المعتزلة، والمنتصر لهم، والمحامي عن ذمهم بالتصانيف الكثيرة توفي في ربيع الآخر منها، وصلي عليه القاضي أبو عبد الله الصيمري، ودفن في الشونيزية ولم يرو من الحديث سوي حديث واحد، رواه الخطيب البغدادي في تاريخه :حدثنا محمد بن علي بن الطيب قرئ على هلال بن محمد بن أخي هلال الرأي، بالبصرة وأنا أسمع، قيل له: حدثكم أبو.مسلم الكجي، وأبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي،

(١) الاستجمار: الاستنجاء بالأحجار .

(٢) ملس : داهنه وعلقه.

والغلابي، والمازني، والزريقي قالوا : حدثنا القعنبي، عن شعبة، عن منصور، عن ربعي، عن أبي مسعود البدري، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة إذا لم تستح فاصنع ما شئت »[1] والغلابي اسمه محمد، والمازني اسمه محمد بن حامد، والزريقي أبو على محمد بن أحمد ابن خالد البصري .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وأربعمائة

فيها : بعث السلطان طغرلبك السلجوقي، أخاه إبراهيم، إلى بلاد الجبل، فملكها، وأخرج عنه صاحبها كرشاسف بن علاء الدولة، فالتحق بالأكراد ثم سار إبراهيم إلى الدينور فملكها أيضا، وأخرج صاحبها وهو أبو الشوك، فسار إلى حلوان، فتبعه إبراهيم، فملك حلوان قهرا، وأحرق داره وغنم أمواله، فعند ذلك تجهز الملك أبو كاليجار لقتال السلاجقة الذين تعدوا على أتباعه فلم يمكنه ذلك لقلة الظهر وذلك أن الآفة اعترت في هذه السنة الخيل، فمات له فيها نحو من اثني عشر ألف فرس،بحيث جافت بغداد من جيف الخيل، وفيها : وقع بين الروافض والسنة، ثم اتفق الفريقان على نهب دور اليهود، وإحراق الكنيسة العتيقة التي لهم، واتفق موت رجل من أكابر النصاري بواسط، فجلس أهله لعزائه على باب مسجد هناك، وأخرجوا جنازته جهرا، ومعها طائفة من الأتراك يحرسونها، فحملت عليهم العامة، فهزموهم، وأخذوا الميت منهم، واستخرجوه من أكفانه، فأحرقوه، ورموا رماده في دجلة، ومضوا إلى الدير فنهبوه وعجز الأتراك عن دفعهم و لم يحج فيها أحد من أهل العراق .

وممن توفي فيها من الأعيان :

فارس بن محمد بن عناز

صاحب الدينور[2] وغيرهم، توفي في هذا الأوان .

خديجة بنت موسى

ابن عبد الله الواعظة، وتعرف ببنت البقال، وتكني أم سلمة، قال الخطيب : كتبت عنها، وكانت فقيرة، صالحة، فاضلة .

أحمد بن يوسف السليكي المنازى

الشاعر الكاتب، وزير أحمد بن مروان الكردي،صاحب ميافارقين وديار بكر، كان فاضلا، بارعا، لطيفا، تردد في الترسل إلى القسطنطينية غير مرة، وحصل كتبا عزيزة أوقفها على جامعي آمد، وميافارقين، ودخل يوما على أبي العلاء المعري،فقال له : إني معتزل الناس، وهم يؤذونني، وتركت لهم الدنيا، فقال له الوزير : والآخرة أيضا. فقال : والآخرة يا قاضى؟

(١) رواه البخارى فى أحاديث الأنبياء (٣٤٨٣، ٣٤٨٤) وأحمد (٥/٤٠٥) وعبد الرزاق (٢٠١٤٩) .
(٢) الدينور : اسم ماء بالكوفة .

قال : نعم. وله ديوان قليل النظير، عزيز الوجود، حرص عليه القاضي الفاضل، فلم يقدر عليه ، توفي فيها ومن شعره في وادي نزاعة :

وقانـــا لفحـــةَ الرمضـــاءِ وادٍ وقـــاهُ مضاعفُ الغـــيثِ العميـــمِ
نزلْنـــا دوحـــةً فحنـــا علينـــا حنـــوَّ الوالـــداتِ عـــلى الفطيـــمِ
وأرْشـــفنَا علـــى ظلمـــأٍ زلالاً ألـــذّ مـــن المـــدامةِ [1] للنديمِ
يُراعي الشـــمسَ أنّى قـــابَلتْـــه فيحجبُهـــا ويـــأذنُ للنســـيمِ
تروعُ حصاهُ حـــاليةَ العـــذارى فتلمسُ جَانـــبَ العقْـــدِ النظيمِ

قال ابن خلكان : وهذه الأبيات بديعة في بابها .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة

استهلت هذه السنة والموتان كثير في الدواب كثيراً جدا، حتى جافت بغداد قال ابن الجوزي : وربما أحضر بعض الناس الأطباء لأجل دوابهم، فيسقونها ماء الشعير، ويطببونها. وفيها: حاصر السلطان بن طغرلبك أصبهان، فصالحه أهلها على مال يحملونه إليه، وأن يخطب له بها، فأجابوه إلى ذلك. وفيها ملك مهلهل قرميسين والدينور. وفيها تأمر على بني خفاجة رجل يقال له: رجب بن أبي منيع بن ثمال بعد وفاة بدران بن سلطان بن ثمال وهؤلاء الأعراب هم أكثر من يصد الناس عن بيت الله الحرام فلا جزاهم الله خيرا .

ومن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ أبو محمد الجويني

إمام الشافعية عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الشيخ أبو محمد الجويني، وهو والد إمام الحرمين، أبو المعالي: عبد الملك بن أبي محمد، وأصله من قبيلة يقال لها: سنبس، وجوين من نواحي نيسابور، سمع الحديث من بلاد شتى على جماعة، وقرأ الأدب على أبيه، وتفقه بأبي الطيب سهل ابن محمد الصعلوكي، ثم خرج إلى مرو، إلى أبي بكر عبد الله بن أحمد القفال، ثم عاد إلى نيسابور، وعقد مجلس المناظرة، وكان مهيبا، لا يجري بين يديه إلا الجد، وصنف التصانيف الكثيرة في أنواع من العلوم، وكان زاهدا شديد الاحتياط لدينه، حتى ربما أخرج الزكاة مرتين. وقد ذكرته في (طبقات الشافعية) ، وذكرت ما قاله الأئمة في مدحه، توفي في ذي القعدة منها . قال ابن خلكان : صنف (التفسير الكبير) ، المشتمل على أنواع العلوم ، وله في الفقه (التبصرة) و (التذكرة) ، وصنف (مختصر المختصر) ، و(الفرق والجمع) ، و(السلسلة) ، وغير ذلك، وكان إماما

---

(١) المُدامُ : المطر الدائم والخمر كالمدامة لأنه ليس شراب يستطاع القاموس .

في الفقه والأصول والأدب والعربية. توفي في هذه السنة وقيل: سنة أربع وثلاثين.قاله السمعاني في كتابه (الأنساب) وهو في سن الكهولة .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وأربعمائة

فيها : اصطلح الملك طغرلبك، وأبو كاليجار، وتزوج طغرلبك بابنته، وتزوج أبو منصور ابن كاليجار بابنة الملك داود أخي طغرلبك. وفيها : أسرت الأكراد سرخاب أخا أبي الشوك، وأحضروه، بين يدي أميرهم ينال، فأمر بقلع إحدى عينيه. وفيها استولي أبو كاليجار على بلاد البطيحة، ونجا صاحبها أبو نصر بنفسه. وفيها ظهر رجل يقال له: الأصفر التغلبي، وادعي أنه من المذكورين في الكتب، فاستغوي خلقا، وقصد بلادا، فغنم منها أموالا تقوي بها وعظم أمره. ثم اتفق له أسر وحمل إلى نصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر فاعتقله، وسد عليه باب السجن. وفيها : كان وباء شديد بالعراق والجزيرة، بسبب جيف الدواب التي ماتت، فمات فيها خلق كثير حتى خلت الأسواق، وقلت الأشياء التي يحتاج إليها المرضي، وورد كتاب من الموصل بأنه لا يصلي الجمعة من أهلها، إلا نحو أربعمائة، وأن أهل الذمة لم يبق منهم إلا نحو مائة وعشرين نفسا. وفيها : وقع غلاء شديد أيضا، ووقعت فتنة بين الروافض والسنة ببغداد، قتل فيها خلق كثير. ولم يحج فيها أحد من ركب العراق .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد

أبو الفضل القاضي الهاشمي، الرشيدي، من ولد الرشيد، ولي القضاء بسجستان، وسمع الحديث من الغطريفي. قال الخطيب : أنشدني لنفسه قوله :

قالوا : اقتصدْ فى الجود إنّك منصفُ … عدلٌ وذو الإنصاف ليس يَجورُ
فأجبتهم إنى سُلَالةُ معشرٍ … لَهُم لواءُ فى الندى منشورُ
تالله إنّى شائدُ ما قدَّموا … جدّى الرشيدُ وقبلَهُ المنصورُ

عبد الواحد بن محمد بن يحيي بن أيوب أبو القاسم

الشاعر المعروف بالمطرز، ومن شعره قوله :

يا عبدُ كمْ لَكَ من ذنب ومعصية … إنْ كنتَ ناسيهَا فاللهُ أحْصَاهَا
لا بُدَّ يا عبدُ من يوم تقومُ بهِ … ووقفة لك يُدْمى القلبَ ذكراها
إذا عرضتُ على قلبى تذكرَها … وساءَ ظنٌ فقلتُ : استغفرُ اللهَ

محمد بن الحسن بن علي

ابن عبد الرحيم أبو سعد الوزير، وزر للملك جلال الدولة ست مرات، ثم كان موته بجزيرة ابن عمر فيها عن ست وخمسين سنة .

محمد بن أحمد بن موسى

أبو عبد الله الواعظ الشيرازي، قال الخطيب : قدم بغداد، وأظهرالزهد، والتقشف، والورع، وعزوف النفس عن الدنيا، فافتتن الناس به، وكان يحضر مجلسه خلق كثير، ثم إنه بعد حين كان يعرض عليه الشيء فيقبله، فكثرت أمواله، ولبس الثياب الناعمة، وجرت له أمور، وكثرت أتباعه، وأظهر أنه يريد الغزو، فاتبعه نفر كثير، فعسكر بظاهر البلد، وكان يضرب له الطبل في أوقات الصلوات، وسار إلى ناحية أذربيجان، فالتف عليه خلق كثير، وضاها أمير تلك الناحية، وكانت وفاته هنالك في هذه السنة. قال الخطيب : وقد حدث ببغداد، وكتبت عنه أحاديث يسيرة، وحدثني بعض أصحابنا عنه، بشيء يدل على ضعفه، وأنشد هو لبعضهم :

إذا ما أطعتَ النفـــسَ في كـــلِّ لــذة　　　نُسبْــتَ إلى غـــيرِ الحجي والتكرُّمِ
إذا ما أجبْتَ الناسَ في كـــلِّ دعوةٍ　　　دعتْكَ إلى الأمــرِ القبيحِ المحـــرَّمِ

المظفر بن الحسين

ابن عمر بن برهان، أبو الحسن الغزال، سمع محمد بن المظفر وغيره، وكان صدوقا.

محمد بن علي بن إبراهيم

أبو الخطاب الحنبلي الشاعر، من شعره قوله :

ما حَكَـــمَ الحـــبُّ فهـــو ممتثـلٌ　　　ومـــا جَنَـاهُ الحبيـــبُ محتمــلُ
يهوي ويشكو الضنَى وكـــلُّ هويً　　　لا يَنْحَلُ الجســـمَ فهـــو مُنْتَحـلُ

وقد سافر إلى الشام، فاجتاز بمعرة النعمان، فامتدحه أبو العلاء المعري بأبيات، فأجابه مرتجلا عنها.وقد كان حسن العينين حين سافر،فما رجع إلى بغداد إلا وهو أعمي.توفي في ذي القعدة منها،ويقال: إنه كان شديد الرفض، فالله أعلم .

الشيخ أبو على السنجى

الحسين بن شعيب بن محمد شيخ الشافعية في زمانه، أخذ عن أبي بكر القفال، وشرح (الفروع) لابن الحداد، وقد شرحها قبله شيخه،وقبله القاضي أبو الطيب الطبري، وشرح أبو على السنجي كتاب (التلخيص) لابن القاص شرحا كبيرا، وله كتاب (المجموع) ، ومنه أخذ الغزالي في (الوسيط) . قال ابن خلكان : وهو أول من جمع بين طريقة العراقيين والخراسانيين. توفي سنة بضع وثلاثين وأربعمائة .

ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة

في هذه السنة توفي الملك أبو كاليجار في جمادى الأولى منها، صاحب بغداد، مرض وهو في برية، ففصد في يوم ثلاث مرات، وحمل في محفة [1]، فمات ليلة الخميس، ونهبت الغلمان

---

(١) المحَفَّةُ: سرير يحمل عليه المريض أو المسافر، وأيضاً مَرْكب من مراكب النساء كالهودج إلا أنها لا تُقَبَّبُ كما تُقَبَّبَ الهوادجُ . ويُسمّى : تخت روان . اللسان (حَفَّ).

الخزائن، وأحرق الجواري الخيام، سوي الخيمة التي هو فيها، وولي بعده ابنه أبو نصر، وسموه الملك الرحيم، ودخل دار الخلافة،في يوم مشهود فخلع عليه الخليفة سبع خلع، وسوره، وطوقه، وجعل على رأسه التاج، والعمامة السوداء، ووصاه الخليفة، ورجع إلى داره، وجاء الناس ليهنئوه. وفيها : دار السور على شيراز، وكان دوره اثني عشر ألف ذراع، وارتفاعه ثمانية أذرع، وعرضه ستة أذرع، وفيه أحد عشر بابا، وفيها : غزا إبراهيم بن نيال بلاد الروم، فغنم مائة ألف رأس، وأربعة آلاف درع، وقيل: تسع عشرة ألف درع. ولم يبق بينه وبين القسطنطينية إلا خمسة عشر يوما، وحمل ما غنم على عشر آلاف عجلة. وفيها : خطب لذخيرة الدين أبي العباس أحمد بن الخليفة القائم بأمر الله على المنابر بولاية العهد بعد أبيه وحيّي بذلك. وفيها اقتتل الروافض والسنة، وجرت ببغداد فتن يطول ذكرها. ولم يحج أحد من أهل العراق.

ومن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن عيسي بن المقتدر بالله

أبو محمد العباسي، ولد في المحرم، سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة،وسمع من مؤدبه أحمد بن منصور السكري، وأبي الأزهر عبد الوهاب الكاتب، وكان فاضلا دينا، حافظا لأخبار الخلفاء، عالماً بأيام الناس، صالحا، أعرض عن الخلافة مع قدرته عليها وآثر بها القادر. توفي فيها عن سبع وتسعين سنة. وأوصي أن يدفن بباب حرب، فدفن قريبا من قبر الإمام أحمد بن حنبل .

هبة الله بن عمر بن أحمد بن عثمان

أبو القاسم الواعظ المعروف بابن شاهين، سمع من أبي بكر بن ملك، وابن ماسي، والبرقاني. قال الخطيب : كتبت عنه، وكان صدوقا، ولد في سنة إحدى وخمسين وثلثمائة، وتوفي في ربيع الآخر منها، ودفن بباب حرب .

علي بن الحسن

ابن محمد بن المنتاب أبو محمد القاسم، المعروف بابن أبي عثمان الدقاق. قال الخطيب : سمع القطيعي، وغيره، وكان شيخا صالحا، صدوقا دينا، حسن المذهب .

محمد بن جعفر بن أبي الفرج

الوزير، الملقب بذي السعادات، وزر لأبي كاليجار بفارس وبغداد وكان ذا مروءة غزيرة، مليح الشعر والترسل، ومن محاسنه أنه كتب إليه في رجل مات عن ولد له ثمانية أشهر، وله من المال ما يقارب مائة ألف دينار، فكتب إليه الموصي، وقيل غيره : إن فلانا قد مات، وخلف ولدا عمره ثمانية أشهر، وله من المال ما يقارب مائة ألف دينار، فإن رأي الوزير أن يقترض هذا المال، إلى حين بلوغ الطفل. فكتب الوزير على ظهر الورقة : المتوفى رحمه الله، واليتيم جبره

الله، والمال ثمره الله، والساعي لعنه الله، ولا حاجة بنا إلى مال الأيتام. اعتقل ثم قتل في رمضان منها عن إحدى وخمسين سنة .

محمد بن أحمد بن إبراهيم

ابن غيلان بن عبد الله بن غيلان بن حليم بن غيلان، أخو طالب البزار، روى عن جماعة وهو آخر من حدث عن أبي بكر الشافعي، وكان صدوقا، دينا، صالحا، قوي النفس على كبر السن، كان يملك ألف دينار، وكان يصبها كل يوم في حجره فيقبلها ثم يردها إلى موضعها وقد خرج له الدارقطني الأجزاء الغيلانيات، وهي سماعنا. توفي يوم الاثنين،سادس شوال منها، عن أربع وتسعين سنة، ويقال: إنه بلغ المائة، فالله أعلم .

الملك أبو كاليجار

واسمه المرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة، توفى عن أربعين سنة وأشهر، وقد ولي العراق نحوا من أربع سنين،ونهبت له قلعة كان له فيها من المال ما يزيد على ألف ألف دينار، وقام بالأمر من بعده ابنه الملك الرحيم أبو نصر .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وأربعمائة

في عاشر المحرم، تقدم إلى أهل الكرخ أن لا يعملوا بدع النوح، فجري بينهم، وبين أهل باب البصرة ما يزيد على الحد من الجراح، والقتل، وبني أهل الكرخ سورا على الكرخ، وبني أهل السنة سورا على سوق القلائين، ثم نقض كل من الفريقين أبنيته، وحملوا الآجر إلى مواضع بالطبول، والمزامير، وجرت بينهم مفاخرات في ذلك، وسخف لا تنحصر ولا تنضبط، وإنشاد أشعار في فضل الصحابة وثلبهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ثم وقعت بينهم فتن يطول ذكرها، وأحرقوا دورا كثيرة جدا. وفيها وقعت وحشة بين الملك طغرلبك، وبين أخيه، فجمع جموعا كثيرة ، فاقتتل هو وأخوه طغرلبك، ثم أسره من قلعة قد تحصن بها، بعد محاصرة أربعة أيام، فاستنــزله منها مقهورا. فأحسن إليه، وأكرمه، وأقام عنده مكرما، وكتب ملك الروم إلى طغرل بك في فداء بعض ملوكهم، ممن كان أسره إبراهيم بن نيال، وبذل له مالا كثيرا، فبعثه إليه مكرما من غير عوض اشترط عليه، فأرسل إليه ملك الروم هدايا كثيرة، وأمر بعمارة المسجد الذي بالقسطنطينية، وأقيمت فيه الصلاة، والجمعة، وخطب فيه للملك طغرلبك، فبلغ هذا الأمر العجيب سائر الملوك، فعظموا الملك طغرل بك تعظيما زائدا، وخطب له نصر الدولة بالجزيرة. وفيها : ولي مسعود بن مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين الملك بعد وفاة أبيه، وكان صغيرا، فمكث أياما، ثم عدل عنه إلى عمه على بن مسعود، وهذا أمر غريب جدا، وفيها: ملك المصريون مدينة حلب، وأجلوا عنها صاحبها ثمال بن صالح بن مرداس. وفيها : كان بين البساسيري، وبين بني عقيل حرب. وفيها : ملك البساسيري الأنبار من يد قرواش، فأصلح

أمورها. وفي شعبان منها، سار البساسير إلى طريق خراسان، وقصد ناحية الدوران وملكها، وغنم مالا كثيرا كان فيها، وقد كان سعدي بن أبي الشوك قد حصنها. قال ابن الجوزي : في ذي الحجة منها ارتفعت سحابة سوداء ليلا، فزادت على ظلمة الليل، وظهر في جوانب السماء، كالنار المضيئة فانزعج الناس، وخافوا، وأخذوا في الدعاء والتضرع، فانكشف في أثناء الليل بعد ساعة، وكانت قد هبت ريح شديدة جدا قبل ذلك، فأتلفت شيئا كثيرا من الأشجار، وهدمت رواشن كثيرة في دار الخلافة ودار المملكة.ولم يحج أحد من أهل العراق .

وفيها **توفي من الأعيان** :

أحمد بن محمد بن منصور

أبو الحسن المعروف بالعتيقي، نسبة إلى جد له كان يسمي عتيقا سمع من ابن شاهين وغيره، وكان صدوقا. توفي في صفر منها، وقد جاوز التسعين .

علي بن الحسن

أبو القاسم العلوي، ويعرف بابن محيي السنة. قال الخطيب : سمع من ابن مظفر، وكتب عنه، وكان صدوقا، دينا، حسن الاعتقاد يورق بالأجرة، ويأكل منه، ويتصدق. توفي في رجب منها وقد جاوز الثمانين .

عبد الوهاب بن الماوردي

يكني أبا الفائز، شهد عند ابن ماكولا، في سنة إحدى وثلاثين، فأجاز شهادته، احتراما لأبيه، توفي في المحرم منها .

الحافظ أبو عبد الله الصورى

محمد بن علي بن عبد الله بن محمد أبو عبد الله الصوري الحافظ، طلب الحديث بنفسه بعد ما كبر وأسن، ورحل في طلبه إلى الآفاق، وكتب الكثير، وصنف، واستفاد على الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري، وكتب عن عبد الغني شيئا من تصانيفه، وكان من أعظم أهل الحديث، همه في الطلب وهو شاب، ثم كان من أقوي الناس على العمل الصالح عزيمة في حال كبره، كان يسرد الصوم إلا يومي العيدين وأيام التشريق، وكان مع ذلك حسن الخلق، جميل المعاشرة، وقد ذهبت إحدى عينيه، وكان يكتب بالأخرى المجلد في جزء. قال أبو الحسن الطيوري : يقال: إن عامة كتب الخطيب، سوي التاريخ، مستفادة من كتب أبي عبد الله الصوري؛ كان قد مات الصوري وترك كتبه اثني عشر عدلا عند أخيه، فلما صار الخطيب أعطى أخاه شيئا، وأخذ بعض تلك الكتب فحولها في كتبه، ومن شعره :

تولّى الشبابُ بريعانه ... وأتى المشيبُ بأحزانه

فقلبي لفقدان ذا مولَمٌ ... كئيبٌ بهذا ووجدانه
وإن كان ما جارَ في حكمه ... ولا جاء في غير إبانه
ولكن أتى مُؤْذنًا بالرحيـ ... ـل فويليَ من قرب إيذانه
ولولا ذنوبٌ تحملتُها ... لَما راعَني إتيانه
ولكن ظهري ثقيلٌ بما ... جناه شبابي بطغيانه
فَمَنْ كانَ يبكي شباباً مضى ... ويندبُ طيبَ زمانه
فليسَ بكائي وما قد ترو ... ن مني لوحشة فقدانه
ولكن لما كان قد جرَّه ... عليّ بوثباتَ شيطانه
فويلي وويحي إن لم يَجُدْ ... عليّ مليكي برضوانه
ولم يتغمدْ ذنوبي وما قد ... جنيتُ برحمته وغفرانه
ويجعل مصيري إلى جنة ... يحلُّ بها أهل رضوانه وغفرانه
فإن كنتُ ماليَ من طاعةٌ ... سوى حسنِ ظني بإحسانه
وإني مقرٌّ بتوحيدهٌ ... عليمٌ بعزَّة سلطانه
أخالفُ في ذاك أهلَ الهوى ... وأهلَ الفسوق وعدوانه
وأرجو به الفوزَ في منزل ... مُعدٌّ مُهيَّو لَسكانه
ولن يجمعَ اللهُ أهلَ الجحو ... دِ ومن أقرّ بنيرانه
فهذا ينجّيه إيمانُه ... وهذا يبوءُ بخسرانه
وهذا ينعمُ في جنة ... وذاك قرينٌ لشيطانه

ومن شعره أيضا:

قُلْ لِمَنْ عاندَ الحديثَ وأضحى ... عائباً أهلَه ومَن يَدّعيه
أبعلمٍ تقولُ هذا أبِنْ لي ... أم بجهلٍ ؟ فالجهلُ خُلُقُ السفيه
أيعابُ الذين هم حفظوا الد ... ينَ من الترهات [1] والتمويه
وإلى قولهم وما قد رَوَوْهُ ... راجعٌ كلُّ عالمٍ وفقيه

كان سبب موته، أنه افتصد فورمت يده، وعلى ما ذكر، أن ريشة الفاصد كانت مسمومة لغيره، فغلظ ففصده بها، فكانت فيها منيته، فحمل إلى المارستان، فمات به، ودفن بمقبرة جامع المدينة، وقد نيف على الستين، رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة

فيها فتح السلطان طغرلبك أصبهان، بعد حصار سنة، فنقل إليها حواصله من الري وجعلها دار إقامته، وخرب قطعة من سورها، وقال : إنما يحتاج إلى السور من تضعف قوته،

---

(١) الترهات: مفردها التُرَّهَةُ : وهي الأباطيل ، والتُرَّة: الطريق الصغيرة المتشعبة من الجادة و (التمويه) : التنكير بصورة تخفى بها على العدو ، أو من يضلل .

وإنما حصني عساكري وسيفي. وقد كان فيها أبو منصور قرامز بن علاء الدولة، أبي جعفر بن كالويه، فأخرجه منها، وأقطعه بعض بلادها. وفيها سار الملك الرحيم إلى الأهواز، وأطاعه عسكر فارس. وفيها استولت الخوارج على عمان، وأخربوا دار الإمارة منها، وأسروا أبا المظفر ابن أبي كاليجار. وفيها دخلت العرب بإذن المستنصر الفاطمي بلاد إفريقية، وجرت بينهم وبين المعز بن باديس حروب طويلة، وعاثوا في الأرض فسادا عدة سنين. وفيها اصطلح الروافض والسنة، ببغداد، وذهبوا كلهم لزيارة مشهد علي ومشهد الحسين، وترضوا في الكرخ، على الصحابة كلهم، وترحموا عليهم، وهذا عجيب جدا، إلا أن يكون من باب التقية. ورخصت الأسعار ببغداد جدا. ولم يحج أحد من أهل العراق .

وممن توفي فيها من الأعيان :

علي بن عمر بن الحسن

أبو الحسن الحربي، المعروف بالقزويني، ولد في مستهل المحرم في سنة ستين وثلاثمائة، وهي الليلة التي مات فيها أبو بكر الآجري،وسمع أبا بكر بن شاذان، وأبا حفص بن الزيات وابن حيويه، وكان وافر العقل، من كبار عباد الله الصالحين، له كرامات كثيرة، وكان يقرأ القرآن، ويروى الحديث، ولا يخرج إلا إلى الصلاة. توفي في شوال منها، فغلقت بغداد لموته يومئذ، وحضر الناس جنازته، وكان يوما مشهودا رحمه الله .

عمر بن ثابت

الثمانيني النحوي الضرير، شارح اللمع، كان في غاية العلم بالنحو، وكان يأخذ عليه.

وذكر ابن خلكان، أنه اشتغل على ابن جني، وشرح كلامه، وكان ماهرا في صناعة النحو، قال : ونسبته إلى قرية من نواحي جزيرة ابن عمر، عند الجبل الجودي، يقال لها: ثمانين، باسم الثمانين الذين كانوا مع نوح عليه السلام في السفينة .

قرواش بن مقلد

أبو المنيع، صاحب الموصل، والكوفة، وغيرها، كان من الجبارين، وقد كاتبه الحاكم صاحب مصر في بعض الأحيان، فاستماله إليه، فخطب له ببلاده، ثم تركه، واعتذر إلى الخليفة، فعذره، وقد جمع هذا الجبار بين أختين في النكاح، ولامته العرب، فقال : وأي شيء عملته؟ إنما عملت ما هو مباح في الشريعة [1]؛ وقد نكب في أيام المعز الفاطمي، ونهبت حواصله، وحين توفي، قام بالأمر بعده، ابن أخيه قريش بن بدران بن مقلد .

مودود بن مسعود

ابن محمود بن سبكتكين، صاحب غزنة : توفي فيها، وقام بالأمر من بعده، عمه عبد الرشيد ابن محمود .

---

(١) وفي النجوم الزاهرة: " خبروني ما الذي نستعمله مما تبيحه الشريعة؟ فهذا من ذاك" .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة

في صفر منها، وقع الحرب بين الروافض والسنة، فقتل من الفريقين خلق كثير، وذلك أن الروافض نصبوا أبراجا، وكتبوا عليها بالذهب : محمد وعلى خير البشر، فمن رضي فقد شكر، ومن أبي فقد كفر، فأنكرت السنة إقران على مع محمد ﷺ في هذا، فنشبت الحرب بينهم، واستمر القتال بينهم، إلى ربيع الأول، فقتل رجل هاشمي، فدفن عند الإمام أحمد، ورجع السنة من دفنه، فنهبوا مشهد موسى بن جعفر، وأحرقوا ضريح موسى، ومحمد الجواد، وقبور ملوك بني بويه، وقبور من هناك من الوزراء، وأحرق قبر جعفر بن المنصور، ومحمد الأمين، وأمه زبيدة، وقبور كثيرة جدا، وانتشرت الفتنة، وتجاوزوا الحدود، وقد قابلهم أولئك الرافضة أيضا بمفاسد كثيرة، وبعثروا قبورا قديمة وأحرقوا من فيها من الصالحين، حتى هموا بقبر الإمام أحمد، فمنعهم النقيب، وخاف من غائلة ذلك، وتسلط على الرافضة، عيار يقال له القطيعي، وكان يتبع رءوسهم وكبارهم فيقتلهم جهارا، وغيلة، وعظمت المحنة بسببه جدا، ولم يقدر عليه أحد، وكان في غاية الشجاعة، والبأس، والمكر، ولما بلغ ذلك دبيس بن علي بن مزيد — وكان رافضيا — قطع خطبة الخليفة القائم بأمر الله، ثم روسل فأعادها. وفي رمضان منها، جاءت من الملك طغرل لبك رسل شكر للخليفة، على إحسانه إليه، بما كان بعثه له من الخلع، والتقليد، وأرسل إلى الخليفة، بعشرين ألف دينار، وإلى الحاشية بخمسة آلاف، وإلى رئيس الرؤساء بألفي دينار، وقد كان طغرلبك حين عمر الريّ، وخرب فيها أماكن، وجد فيها دفائن كثيرة من الذهب والجوهر، فعظم شأنه بذلك، وقوي ملكه بسببه .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن محمد بن أحمد

أبو الحسن الشاعر البصروي، نسبة إلى قرية دون عكبرا، يقال لها : بصرى،، باسم المدينة التي هي أم حوران، وقد سكن بغداد، وكان متكلما مطبوعا، له نوادر، ومن شعره قوله :

نرى الدنيا وشهوتَها فَنَصْبُوَ ... ومـا يخْلُوَ من الشهوات قلبُ
فلا يغرنْك زخرفُ ما تـراه ... وعيشُ لينِ الأعطاف [١] رطبُ
فضولُ العيشِ أكثَرهُا همومٌ ... وأكثرُ ما يضرُّك ما تحبُّ
إذا ما بلغةٌ جاءتْك عَفْوًا ... فَخُذْها فَالغنَى مَرْعَى وشربُ
إذا اتفقَ القليلُ وفيه سلم ... فلا ترد الكثيرَ وفيه حربُ

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وأربعمائة

فيها : كتبت تذكرة الخلفاء المصريين، وأنهم أدعياء كذبة، لا نسب لهم صحيحا إلى رسول الله ﷺ وكتب فيها الفقهاء، والقضاة، والأشراف. وفيها : كانت زلازل عظيمة في نواحي أرجان، والأهواز، وتلك البلاد تهدم بسببها شيء كثير من العمران، وشرفات القصور، وحكى

---

(١) العطْفُ: جانبا الإنسان . أى أحاطت به تلك الحياة الهينة اللينة المطواعة لا كِبْرَ فيها ولا تأبى عليه . نبت يتلوى على الشجر لا ورق له ولا أفنان ترعاه البقر يؤخذ بعض عروقه ويلوى ويرقى . اللسان (عطف) .

بعض من يعتد قوله، أنه انفرج إيوانه وهو يشاهد ذلك، حتى رأي السماء منه، ثم عاد إلى حاله لم يتغير. وفي ذي القعدة منها، تجددت الحرب بين أهل السنة والروافض، وأحرقوا أماكن كثيرة، وقتل من الفريقين خلائق، وكتبوا على مساجدهم : محمد وعلى خير البشر، وأذنوا بحي على خير العمل، واستمرت الحرب بينهم، وتسلط القطيعي العيار على الروافض، بحيث كان لا يقر لهم معه قرار، وهذا من جملة الأقدار .

وفيها توفي من الأعيان :

الحسن بن علي

ابن محمد بن علي بن أحمد بن وهب بن شنبل بن قرة بن واقد، أبو على التميمي الواعظ، المعروف بابن المذهب، ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وسمع مسند الإمام أحمد من أبي بكر ابن مالك القطيعي،عن عبد الله بن الإمام أحمد، عن أبيه، وقد سمع الحديث من أبي بكر بن ماسي، وابن شاهين، والدارقطني، وخلق، وكان دينا خيرا، وذكر الخطيب : أنه كان صحيح السماع لمسند أحمد من القطيعي،غير أنه ألحق اسمه في أجزاء.قال ابن الجوزي : وليس هذا بقدح في سماعه، لأنه إذا تحقق سماعه، جاز أن يلحق اسمه فيما تحقق سماعه له، وقد عاب عليه الخطيب أشياء لا حاجة إليها .

علي بن الحسين

ابن محمد، أبو الحسن المعروف بالشاشي البغدادي، وقد أقام بالبصرة، واستحوذ هو وعمه عليها وعلى أهلها، وعمل أشياء من الحيل، يوهم بها أنه من ذوي الأحوال والمكاشفات، وهو في ذلك كاذب، قبّحه الله، وقبح عمه، وقد كان مع هذا رافضيا، خبيثا، قرمطيا، توفي في هذا العام، فلله الحمد والشكر والإنعام .

القاضى أبو جعفر

محمد بن أحمد بن أحمد أبو جعفر السمناني القاضي : أحد المتكلمين على طريقة الشيخ أبي الحسن الأشعري، وقد سمع الحديث من الدارقطني وغيره، وكان عالما، فاضلا، سخيا، تولي القضاء بالموصل، وكان له في داره مجلس للمناظرة، وتوفي لما كف بصره بالموصل، وهو قاضيها، في ربيع الأول منها، وقد بلغ خمسا وثمانين سنة، سامحه الله .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وأربعمائة

فيها : تجدد الشر، والقتال، والحريق، بين السنة والروافض، وسري الأمر، وتفاقم الحال. وفيها : وردت الأخبار بأن المعز الفاطمي عازم على قصد العراق. وفيها : نقل إلى الملك طغرلبك أن الشيخ أبا الحسن الأشعري يقول : بكذا وكذا، وذكر بشيء من الأمور التي لا تليق

بالدين والسنة، فأمر بلعنه، وصرح أهل نيسابور، بتكفير من يقول ذلك، فضج أبو القاسم القشيري عبد الكريم بن هوزان من ذلك، وصنف رسالة في شكاية أهل السنة، لما نالهم من المحنة، واستدعي السلطان جماعة من رءوس الأشاعرة، منهم القشيري، فسألهم عما أنهي إليه من ذلك. فأنكروا ذلك، وأن يكون الأشعري قال ذلك. فقال السلطان : نحن إنما لعنا من يقول هذا. وجرت فتنة عظيمة طويلة. وفيها : استولي فولابسور الملك أبي كاليجار على شيراز، وأخرج منها أخاه أبا سعد، وفي شوال سار البساسيري إلى أكراد، وأعراب، أفسدوا في الأرض، فقهرهم، وأخذ أموالهم ولم يحج فيها أحد من أهل العراق .

وفيها توفي من الأعيان :

أحمد بن عمر بن روح

أبو الحسن النهرواني، كان ينظر في العيار بدار الضرب، وله شعر حسن، قال : كنت يوما على شاطئ النهروان، فسمعت رجلا يتغني في سفينة منحدرة يقول :

وما طَلَبُوا سوَى قَتْلي ... فهانَ عليَّ ما طَلَبُوا

قال : فاستوقفته، وقلت : أضف إليه غيره فقال :

على قتلي الأحبة في التمادي بالجفا غلبوا
وبالهجران من عيني طيبَ النومِ قد سلبوا
وما طلبوا سوى قتلي فَهَانَ عَلَيَّ ما طلبوا

إسماعيل بن علي

ابن الحسين بن محمد بن زنجويه، أبو سعيد الرازي، المعروف بالسمان، شيخ المعتزلة، سمع الحديث الكثير، وكتب عن أربعة آلاف شيخ، وكان عالما عارفا فاضلا، مع اعتزاله، ومن كلامه : من لم يكتب الحديث، لم يتغرغر بحلاوة الإسلام. وكان حنفي المذهب، عالما بالخلاف، والفرائض، والحساب، وأسماء الرجال، وقد ترجمه ابن عساكر في تاريخه، فأطنب في شكره، والثناء عليه .

عمر ابن الشيخ أبي طالب المكي

محمد بن علي بن عطية، سمع أباه، وابن شاهين، وكان صدوقا، يكني بأبي جعفر .

محمد بن أحمد

ابن عثمان بن الفرج الأزهر، أبو طالب المعروف بابن السوادي، وهو أخو أبي القاسم الأزهري، توفي عن نيف وثمانين سنة .

محمد بن أبي تمام

الزيني نقيب النقباء ،وقام ببغداد بعد أبيه، مقامه بالنقابة.

ثم دخلت سنة ست وأربعين وأربعمائة

فيها : غزا السلطان طغر لبك بلاد الروم، بعد أخذه بلاد أذربيجان، فغنم من بلاد الروم، وسبي، وعمل أشياء حسنة، ثم عاد سالما، فأقام بأذربيجان سنة. وفيها أخذ قريش بن بدران الأنبار، وخطب بها وبالموصل لطغرلبك، وأخرج منها نواب البساسيري. وفيها دخل أبو الحارث المظفر البساسيري بغداد، مع بني خفاجة، منصرفة من الوقعة، وظهرت منه آثار النفرة للخلافة، فراسله الخليفة لتطيب نفسه، وخرج في ذي الحجة إلى الأنبار، فأخذها، وكان معه دبيس بن على بن مزيد، وخرب أماكن، وحرق غيرها، ثم أذن له الخليفة في الدخول إلى بيت النوبة، ليخلع عليه، فجاء إلى أن حاذي بيت النوبة، فقبل الأرض، وانصرف إلى منـــزله، ولم يعبر، فقويت الوحشة. ولم يحج أحد من أهل العراق فيها .

ومن توفي فيها من الأعيان :

الحسين بن جعفر بن محمد

ابن داود، أبو عبد الله السلماسي، سمع ابن شاهين، وابن حيويه، والدارقطني، وكان ثقة مأمونا، مشهورا باصطناع المعروف، وفعل الخير، وافتقاد الفقراء، وكثرة الصدقة، وكان قد أريد على الشهادة، فأبي ذلك، وكان له في كل شهر عشرة دنانير نفقة لأهله.

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن

أبو عبد الله الأصبهاني، المعروف بابن اللبان، أحد تلامذة أبي حامد الإسفراييني، ولي قضاء الكرخ، وكان يصلي بالناس التراويح [(١)]، ثم يقوم بعد انصرافهم، فيصلي إلى أن يطلع الفجر، وربما انقضي الشهر عنه، ولم يضطجع إلى الأرض، رحمه الله .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وأربعمائة

فيها ملك طغر لبك بغداد، وهو أول ملوك السلجوقية، ملكها وبلاد العراق. وفيها تأكدت الوحشة بين الخليفة والبساسيري، واشتكت الأتراك منه، وأطلق رئيس الرؤساء عبارته فيه، وذكر قبيح أفعاله،وأنه كاتب المصريين بالطاعة وخلع ما كان عليه من طاعة العباسيين، وقال الخليفة : وليس إلا إهلاكه. وفيها غلت الأسعار بنواحي الأهواز حتى بيع الكر بشيراز بألف دينار.وفيها وقعت الفتنة بين السنة والرافضة، على العادة، فاقتتلوا قتالا مستمرا، ولا تمكن الدولة أن يحجزوا بين الفريقين. وفيها : وقعت الفتنة بين الأشاعرة والحنابلة، فقوي جانب الحنابلة قوة عظيمة، بحيث إنه كان ليس لأحد من الأشاعرة، أن يشهد الجمعة ولا الجماعات .

---

(١) التراويح : جمع: ترويحة. وهى فى الأصل اسم للجلسة مطلقا. ثم سميت بها الجلسة التى بعد أربع ركعات فى ليالى رمضان، وأيضاً اسم لعشرين ركعة فى الليالى نفسها. لسان العرب : مادة (راح) .

قال الخطيب :كان أرسلان التركي،المعروف بالبساسيري قد عظم أمره واستفحل،لعدم أقرانه من مقدمي الأتراك، واستولى على البلاد، وطار اسمه، وخافته أمراء العرب والعجم، ودعي له على كثير من المنابر العراقية، والأهواز ونواحيها، ولم يكن للخليفة قطع ولا وصل دونه، ثم صح عند الخليفة سوء عقيدته، وشهد عنده جماعة من الأتراك أنه عازم على نهب دار الخلافة، وأنه يريد القبض على الخليفة، فعند ذلك كاتب الخليفة محمد بن ميكائيل بن سلجوق، الملقب طغرلبك، يستنهضه على المسير إلى العراق، فانفض أكثر من كان مع البساسيري، وعادوا إلى بغداد سريعا، ثم أجمع رأيهم على قصد دار البساسيري، وهي في الجانب الغربي، فأحرقوها، وهدموا أبنيتها، ووصل السلطان طغر لبك إلى بغداد، في رمضان سنة سبع وأربعين، وقد تلقاه إلى أثناء الطريق الأمراء، والوزراء، والحجاب، ودخل بغداد في أبهة عظيمة جدا، وخطب له بها، ثم بعده للملك الرحيم، ثم قطعت خطبة الملك الرحيم، ورفع إلى القلعة معتقلا عليه، وكان آخر ملوك بني بويه، وكانت مدة ولايتهم قريب المائة والعشر سنين، وكان ملك الملك الرحيم لبغداد ست سنين وعشرة أيام ، ونزل طغر لبك دار المملكة بعد الفراغ من عمارتها، ونزل أصحابه دور الأتراك، وكان معه ثمانية أفيلة، ووقعت الفتنة بين الأتراك والعامة، ونهب الجانب الشرقي بكماله، وجرت خبطة عظيمة. وأما البساسيري فإنه فرّ من الخليفة إلى بلاد الرحبة، وكتب إلى صاحب مصر بأنه على إقامة الدعوة له بالعراق، فأرسل إليه بولاية الرحبة، ونيابته بها، ليكون على أهبة الأمر الذي يريده .

وفي يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة، قلد أبو عبد الله محمد بن علي الدامغاني، قضاء القضاة، وخلع عليه به، وذلك بعد موت ابن ماكولا، ثم خلع الخليفة على الملك طغر لبك بعد دخوله بغداد بيوم، ورجع إلى داره وبين يديه الدبادب والبوقات .

وفي هذا الشهر، توفي ذخيرة الدين: أبو العباس محمد بن الخليفة القائم بأمر الله، وهو ولي عهد أبيه، فعظمت الرزية به. وفيها استولى أبو كامل علي بن محمد الصليحي الهمداني، على أكثر أعمال اليمن، وخطب للفاطميين، وقطع خطبة العباسيين، وفيها : كثر فساد الغز، ونهبوا دواب الناس، حتى بيع الثور بخمسة قراريط. وفيها اشتد الغلاء بمكة، وعدمت الأقوات، وأرسل الله عليهم جرادا، فتعوضوا به عن الطعام. ولم يحج أحد من أهل العراق .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن علي

ابن جعفر بن علي بن محمد بن دلف بن أبي دلف العجلي قاضي القضاة، المعروف بابن ماكولا الشافعي، وقد ولي القضاء بالبصرة، ثم ولي قضاء القضاة ببغداد، سنة عشرين وأربعمائة، في خلافة المقتدر، وأقره ابنه القائم إلى أن مات في هذه السنة عن تسع وسبعين سنة

منها في القضاء سبع وعشرون سنة، وكان صينا، دينا، لا يقبل من أحد هدية، ولا من الخليفة، وكان يذكر أنه سمع من أبي عبد الله بن منده، وله شعر حسن فمنه :

تصـــابي بُرهـــةً مِنْ بعد شيب فما أغنى المشـيبُ عن التصابي
وســوَّدَ عــارضيه بلونِ خضْبٍ فلم ينفعْه تســـويدُ الخضـــاب
وأبــدى للأحبّة كـــلَّ لُطْــفٍ فمـــا زادوا سِوَى فرطِ اجتناب
ســلامُ الله عـــودًا بعــد بدءٍ عـــلى أيـــامِ ريعــــانِ الشباب
تـــولّى عــــزمُه يومـــاً وأبقـــى بقلــــبي حســـــرتي ثم اكتئـــابي

علي بن المحسن بن علي

ابن محمد بن أبي الفهم أبو القاسم التنوخي، قال ابن الجوزي : وتنوخ اسم لعدة قبائل، اجتمعوا بالبحرين، وتحالفوا على التناصر والتآزر، فسموا تنوخا. ولد بالبصرة سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وسمع الحديث سنة سبعين، وقبلت شهادته عند الحكام في حداثته، وولي القضاء بالمدائن وغيرها، وكان صدوقا محتاطا، إلا أنه كان يميل إلى الاعتزال والرفض .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وأربعمائة

في يوم الخميس لثمان بقين من المحرم، عقد الخليفة على خديجة بنت أخي السلطان طغر لبك، على صداق مائة ألف دينار، وحضر هذا العقد عبد الملك الكندري، وزير طغرلبك، وبقية العلويين، وقاضي القضاة الدامغاني، الماوردي، ورئيس الرؤساء ابن المسلمة. فلما كان شعبان، ذهب رئيس الرؤساء إلى الملك طغرلبك، وقال له : أمير المؤمنين يقول لك الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء :٥٨] وقد أمرني أن أنقل الوديعة إلى داره العزيزة، فقال : السمع والطاعة. فذهبت أم الخليفة لدار الملك لاستدعاء العروس، فجاءت معها، وفي خدمتها الوزير عميد الملك، والحشم، فدخلوا داره، وشافه الوزير الخليفة عن عمها، وسأله اللطف بها، والإحسان إليها فلما دخلت إليه، قبلت الأرض مرارا بين يديه، فأدناها إليه، وأجلسها إلى جانبه، وأفاض عليها خلعا سنية، وتاجا من جوهر ثمين وأعطاها من الغد مائة ثوب ديباجا وقصبات من ذهب، وطاسة ذهب قد رصع فيها الجوهر والياقوت والفيروز، وأقطعها في كل سنة من ضياعه ما يغل اثنا عشر ألف دينار، وغير ذلك. وفيها : أمر السلطان طغرلبك ببناء دار الملك العضدية، فخربت محال كثيرة في عمارتها، ونهبت العامة أخشابا كثيرة من دور الأتراك والجانب الغربي، وباعوه على الخبازين، والطباخين، وغيرهم .

وفيها : رجع غلاء شديد على الناس، وخوف، ونهب كثير ببغداد، ثم أعقب ذلك فناء كثير، بحيث دفن كثير من الناس بغير غسل ولا تكفين، وغلت الأشربة وما تحتاج إليه المرضي كثيرا، واعترى الناس موت كثير، وأغبر الجو، وفسد الهواء، وكثر الذباب. قال ابن الجوزي:

وعم هذا الوباء، والغلاء مكة والحجاز، وديار بكر، والموصل، وبلاد بكر، وبلاد الروم، وخراسان، والجبال، والدنيا كلها. هذا لفظه في المنتظم. قال : وورد كتاب من مصر، أن ثلاثة من اللصوص نقبوا بعض الدور، فوجدوا عند الصباح موتى، أحدهم: على باب النقب، والثاني: على رأس الدرجة، والثالث: على الثياب التي كورها ليأخذها فلم يمهل .

وفيها: أمر رئيس الرؤساء بنصب أعلام سود في الكرخ، فانزعج أهلها لذلك، وكان كثير الأذية للرافضة، وإنما كان يدافع عنهم عميد الملك الكندري وزير طغرلبك. وفيها : هبت ريح شديدة، وارتفعت سحابة ترابية، وذلك ضحى، فأظلمت الدنيا، واحتاج الناس في الأسواق وغيرها إلى السرج. قال ابن الجوزي: وفي العشر الثاني من جمادى الآخرة، ظهر وقت السحر كوكب له ذؤابة، طولها في رأي العين نحو من عشرة أذرع، وفي عرض نحو الذراع، ولبث كذلك إلى النصف من رجب، ثم اضمحل. وذكروا أنه طلع مثله بمصر، فملكت، وخطب بها للمصريين. وكذلك بغداد، لما طلع فيها، ملكت، وخطب بها للمصريين. وفيها ألزم الروافض بترك الأذان بحي على خير العمل، وأمروا أن ينادي مؤذنهم في أذان الصبح بعد حي على الفلاح: الصلاة خير من النوم، مرتين، وأزيل ما كان على أبواب المساجد ومساجدهم من كتابة : محمد وعلي خير البشر، ودخل المنشدون من باب البصرة إلى باب الكرخ ينشدون بالقصائد التي فيها مدح الصحابة، وذلك أن نوء الرافضة اضمحل، لأن بني بويه كانوا حكاما، وكانوا يقوونهم، وينصرونهم، فزالوا، وبادوا، وذهبت دولتهم، وجاء بعدهم قوم آخرون، من الأتراك السلجوقية، الذين يحبون أهل السنة، ويوالونهم، ويرفعون قدرهم، والله المحمود أبدا على طول المدى. وأمر رئيس الرؤساء الوالي بقتل أبي عبد الله بن الجلاب شيخ الروافض، لما كان تظاهر به من الرفض والغلو فيه، فقتل على باب دكانه، وهرب أبو جعفر الطوسي، ونهبت داره .

وفيها : جاء البساسيري ــ قبّحه الله ــ إلى الموصل، ومعه نور الدولة دبيس في جيش كثيف، فاقتتل مع صاحبها قريش، ونصره قتلمش بن عم طغرلبك، وهو جد ملوك الروم، فهزمهما البساسيري، رأخذ البلد قهرا، فخطب بها للمصريين وأخرج كاتبه من السجن، وقد كان أظهر الإسلام، ظنا منه أنه ينفعه، فلم ينفعه، فقتل، وكذلك خطب للمصريين فيها بالكوفة، وواسط، وغيرها من البلاد. وعزم طغرلبك على المسير إلى الموصل، لمناجزة البساسيري، فنهاه الخليفة عن ذلك، لضيق الحال، وغلاء الأسعار، فلم يقبل، فخرج بجيشه قاصدا الموصل بجحافل عظيمة، ومعه الفيلة والمنجنيقات، وكان جيشه لكثرتهم ينهبون القرى، وربما سطوا على بعض الحريم، فكتب الخليفة إلى السلطان ينهاه عن ذلك، فبعث إليه يعتذر لكثرة من معه، واتفق أنه رأي رسول الله ﷺ في المنام، فسلم عليه، فأعرض عنه، فقال : يا رسول الله، لأي شيء تعرض عني؟ فقال : «يحكمك الله في البلاد، ثم لا ترفق بخلقه، ولا تخاف من جلال الله عزّ وجلّ» فاستيقظ مذعورا، وأمر وزيره أن ينادي في الجيش بالعدل، وأن لا

يظلم أحدُ أحداً. ولما اقترب من الموصل، فتح دونها بلادا، ثم فتحها وسلمها إلى أخيه داود، ثم سار منها إلى بلاد بكر، ففتح أماكن كثيرة هناك .

وفيها : ظهرت دولة الملثمين ببلاد المغرب، وأظهروا إعزاز الدين، وكلمة الحق، واستولوا على بلاد كثيرة بالمغرب. منها سجلماسة، وأعمالها، والسوس، وقتلوا خلقا كثيرا من أهلها، وأول ملوك الملثمين رجل يقال له: أبو بكر بن عمر، وقد أقام بسجلماسة، إلى أن توفي سنة ثنتين وستين، كما سيأتي بيانه، ثم ولي بعده أبو نصر يوسف بن تاشفين، وتلقب بأمير المؤمنين، وقوي أمره، وعلا قدره ببلاد المغرب .

وفيها : ألزم أهل الذمة بلبس الغيار ببغداد، عن أمر السلطان طغرلبك. وفيها ولد لذخيرة الدين بعد موته من جارية له ولد ذكر، وهو أبو القاسم عبد الله المقتدي بأمر الله. وفيها : كان الغلاء، والفناء أيضا، مستمرين على الناس ببغداد، وغيرها من البلاد، على ما كان عليه الأمر في السنة الماضية، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ولم يحج أحد من أهل العراق فيها . وممن توفي فيها من الأعيان :

علي بن أحمد بن علي

أبو الحسن المؤدب، المعروف بالفالى [1] صاحب الأمالي، وفالة قرية قريبة من إيذج،أقام بالبصرة مدة، وسمع بها من أبي عمر بن عبد الواحد الهاشمي وغيره، وقدم بغداد فاستوطنها، وكان ثقة في نفسه، كثير الفضائل.ومن شعره الحسن :

لمـــا تبـــدّلت المجالسُ أوجـــهًا غيرَ الذيـــن عهـــدتُ من علمائها
ورأيتُها محفـــوفةً بســـوء الأولى كـــانوا ولاةَ صـــدورها وفَنـــائها
أنشدتُ بيتًا ســـائراً مُتَقَـــدِّمًا والعـــينُ قد شـــرقتْ بجاري مائها
أمَّـــا الخيـــامُ فإنّها كخيامِهم وأرى نســـاءَ الحـــيِّ غيرَ نســـائها

ومن شعره أيضاً :

تصـــدَّرَ للتـــدريسِ كـــلُّ مهو سِ بليـــد تســـمّى بالفقيـــه المدرِّس
فحقَّ لأهلِ العلمِ أن يتـــمثّلـــوا ببيت قـــديمٍ شـــاعَ في كـــلِّ مجلس
لقد هزلتْ حتى بدا منْ هُـــزَالها كلاهَا وحتى ســـامها كلُّ مفلسِ

محمد بن عبد الواحد بن محمد الصباغ

الفقيه الشافعي، وليس بصاحب الشامل، ذاك متأخر، وهذا من تلاميذ أبي حامد الإسفراييني، كانت له حلقة للفتوى بجامع المدينة، وشهد عند قاضي القضاة الدامغاني الحنفي، فقبله، وقد سمع الحديث من ابن شاهين، وغيره، وكان ثقة جليل القدر .

---

(١) لأن صاحب الأمالى اسمه أبو على إسماعيل بن القاسم ووفاته سنة ٣٥٦، فكلمة الأمالى خطأ بلا شك وإنما هو: الفالى بالفاء كما فى النجوم الزاهرة .

هلال بن المحسن

ابن إبراهيم بن هلال، أبو الخير الكاتب الصابئ، صاحب التاريخ،وجده أبو إسحاق الصابئ صاحب الرسائل، وكان أبوه صابئيا أيضا، أسلم هلال هذا متأخرا، وحسن إسلامه، وقد سمع في حال كفره، من جماعة من المشايخ، وذلك أنه كان يتردد إليهم، يطلب العلم والأدب، فلما أسلم، نفعه ذلك، وكان ذلك سبب إسلامه على ما ذكره ابن الجوزي بسنده مطولاً، أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام مرارا يدعوه إلى الله عزّ وجلّ، ويأمره بالدخول في الإسلام، ويقول له : أنت رجل عاقل،فلم تدع دين الإسلام الذي قامت عليه الدلائل؟ وأراه آيات في المنام، شاهدها في اليقظة، فمنها أنه قال له : إن امرأتك حامل بولد ذكر، فسمه محمدا. فولدت ذكرا، فسماه محمدا، وكناه أبا الحسن، في أشياء كثيرة سردها ابن الجوزي،فأسلم وحسن إسلامه، وكان صدوقا رحمه الله تعالى. توفي عن تسعين سنة، منها في الإسلام نيف وأربعون سنة .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وأربعمائة

فيها : كان الغلاء والفناء مستمرين ببغداد وغيرها من البلاد، بحيث خلت أكثر الدور. وسدت على أهلها أبوابها بما فيها، وأهلها موتى فيها، صار المار في الطريق لايلقى إلا الواحد بعد الواحد، وأكل الناس الجيف والنتن من قلة الطعام، ووجد مع امرأة فخذ كلب قد اخضر، وشوي رجل صبية في الأتون وأكلها، فقيل : وسقط طائر ميت من حائط، فاحتوشته خمسة أنفس، فاقتسموه، وأكلوه، وورد كتاب من بخارى: أنه مات في يوم واحد منها ومن معاملتها ثمانية عشر ألف إنسان، وأحصي من مات في هذا الوباء من تلك البلاد إلى يوم كتب فيه هذا الكتاب بألف ألف وخمسمائة ألف وخمسين ألف إنسان، والناس يمرون في هذه البلاد، فلا يرون إلا أسواقاً فارغةً، وطرقاتٍ خاليةً، وأبواباً مغلقةً، ووحشةً ، وعدم أنس .

حكاه ابن الجوزي. قال : وجاء الخبر من أذربيجان، وتلك البلاد، بالوباء العظيم، وأنه لم يسلم من تلك البلاد إلا العدد اليسير جدا. قال : ووقع وباء بالأهواز، وبواسط والنيل والكوفة، وطبق الأرض، وكان أكثر سبب ذلك الجوع، فكان الفقراء يشوون الكلاب، وينبشون القبور، ويشوون الموتى ويأكلونهم، وليس للناس شغل في الليل والنهار إلا غسل الأموات وتجهيزهم ودفنهم، فكان يحفر الحفير فيدفن فيه العشرون والثلاثون، وكان الإنسان بينما هو جالس، إذ انشق قلبه عن دم المهجة، فيخرج منه إلى الفم قطرة، فيموت الإنسان من وقته، وتاب الناس، وتصدقوا بأكثر أموالهم، فلم يجدوا أحدا يقبل منهم، وكان الفقير تعرض عليه الدنانير الكثيرة، والدراهم، والثياب، فيقول : أنا أريد كسرة، أريد ما يسد جوعي. فلا يجد ذلك. وأراق الناس الخمور وكسروا آلات اللهو وتصالحوا، ولزموا المساجد للعبادة، وقراءة القرآن، وقلما دار

يكون فيها خمر إلا مات أهلها كلهم ودخل على مريض له سبعة أيام في النـــزع، فأشار بيده إلى مكان فوجدوا فيه خابية من خمر، فأراقوها فمات من وقته بسهولة، ومات رجل في مسجد، فوجدوا معه خمسين ألف درهم، فعرضت على الناس، فلم يقبلها أحد، فتركت في المسجد تسعة أيام ، لا يريدها أحد، فلما كان بعد ذلك، دخل أربعة ليأخذوها، فماتوا عليها، فلم يخرج من المسجد منهم أحد حيّ، بل ماتوا جميعا. وكان الشيخ أبو محمد عبد الجبار بن محمد، يشتغل عليه سبعمائة متفقه، فمات، وماتوا كلهم إلا اثني عشر نفرا منهم. ولما اصطلح السلطان دبيس بن علي مع الملك طغر لبك، رجع إلى بلاده فوجدها خرابا، لقلة أهلها من الطاعون، فأرسل رسولا منهم، إلى بعض النواحي، فتلقاه طائفة فقتلوه وشووه وأكلوه .

قال ابن الجوزي : وفي يوم الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة، احترقت قطيعة عيسي،وسوق الطعام، والكنيس،وأصحاب السقط، وباب الشعير، وسوق العطارين، وسوق العروس، والأنماطيين، والخشابين، والجزارين، والتمارين، والقطيعة،وسوق مخول، ونهر الزجاج، وسويقة غالب، والصفارين، والصباغين، وغير ذلك من المواضع، وهذه مصيبة أخرى، إلى ما بالناس من الجوع، والغلاء، والفناء.ضعف الناس، حتى طغت النار، فعملت أعمالها، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفيها كثر العيارون ببغداد، وأخذوا الأموال جهارا، وكبسوا الدور ليلا ونهارا، وكبست دار أبي جعفر الطوسي متكلم الشيعة، وأحرقت كتبه، ومآثره، ودفاتره، التي كان يستعملها في ضلالته، وبدعته، ويدعو إليها أهل ملته، ونحلته، ولله الحمد.، وفيها دخل الملك طغر لبك بغداد عائدا إليها من الموصل، فتلقاه الناس والكبراء إلى أثناء الطريق،وأحضر له رئيس الرؤساء خلعة من الخليفة مرصعة بالجوهر، فلبسها، وقبل الأرض، ثم بعد ذلك دخل دار الخلافة، وقد ركب إليها فرسا من مراكب الخليفة، فلما دخل على الخليفة، إذا هو على سرير طوله سبعة أذرع، وعلى كتفه البردة النبوية، وبيده القضيب، فقبل الأرض، وجلس على سرير دون سرير الخليفة، ثم قال الخليفة لرئيس الرؤساء : قل له: أمير المؤمنين حامد لسعيك. شاكر لفعلك. آنس بقربك. وقد ولاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاده، فاتق الله فيما ولاك، واجتهد في عمارة البلاد، وإصلاح العباد،ونشر العدل،وكف الظلم،ففسر له عميد الدولة ما قال الخليفة، فقام وقبل الأرض، وقال : أنا خادم أمير المؤمنين وعبده، ومتصرف على أمره ونهيه، ومتشرف بما أهلني له، واستخدمني فيه، ومن الله أستمد المعونة والتوفيق. ثم أمره الخليفة أن ينهض للبس الخلعة، فقام إلى بيت في ذلك البهو، فأفيض عليه سبع خلع وتاج، ثم عاد فجلس على السرير بعد ما قبل يد الخليفة، ورام تقبيل الأرض فلم يتمكن من التاج، فأخرج الخليفة سيفا فقلده إياه، وخوطب بملك الشرق والغرب، وأحضرت ثلاثة ألوية، فعقد منها الخليفة لواء بيده، وأحضر العهد إلى الملك، وقرئ بين يديه بحضرة الملك، وأوصاه الخليفة بتقوى الله تعالى، والعدل في الرعية ؛ ثم نهض فقبل يد الخليفة، ثم وضعها على عينيه، ثم خرج في أبهة عظيمة إلى

داره، وبين يديه الحجاب والجيش بكماله، وجاء الناس للسلام عليه والتهنئة له، وأرسل إلى الخليفة بتحف عظيمة، منها خمسون ألف دينار، وخمسون غلاما أتراكا بمراكبهم، وسلاحهم، ومناطقهم، وخمسمائة ثوب أنواعا، وأعطي رئيس الرؤساء خمسة آلاف دينار، وخمسين قطعة قماش، وغير ذلك .

وفيها : قبض صاحب مصر على وزيره أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن البازري، وأخذ خطه بثلاثة آلاف دينار، وأحيط على ثمانين من أصحابه، وقد كان هذا الوزير فقيها حنفيا، يحسن إلى أهل العلم وأهل الحرمين، وقد كان الشيخ أبو يوسف القزويني يثني عليه ويمدحه .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن عبد الله بن سليمان

ابن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحرث ابن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن خزيمة بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة، أبو العلاء المعري التنوخي الشاعر، المشهور بالزندقة، اللغوي، صاحب الدواوين والمصنفات في الشعر واللغة، ولد يوم الجمعة، عند غروب الشمس لثلاث بقين من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وأصابه جدري وله أربع سنين أو ست أو سبع، فذهب بصره، وقال الشعر وله إحدى عشرة أو ثنتا عشرة سنة، ودخل بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، فأقام بها سنة وسبعة أشهر، ثم خرج منها طريدا منهزما لأنه قال شعرا، يدل على قلة دينه، وعلمه وعقله فقال :

تناقُضٌ فما لنا إلا السكوتُ لـهُ ... وأنْ نعــوذَ بمولاَنَا مِنَ النـارِ
يدٌ بخمس مئينٍ عسجدٍ وُدِيَـتْ [1] ... مـا بالها قُطِعَتْ في رُبْـعِ دينـارِ

وهذا من إفكه يقول : اليد ديتها خمسمائة دينار، فما لكم تقطعونها إذا سرقت ربع دينار، وهذا من قلة عقله وعلمه، وعمي بصيرته. وذلك أنه إذا جني عليها، يناسب أن يكون ديتها كثيرة، لينــزجر الناس عن العدوان، وأما إذا جنت هي بالسرقة، فيناسب أن تقل قيمتها، وديتها، لينــزجر الناس عن أموال الناس، وتصان أموالهم، ولهذا قال بعضهم : كانت ثمينة لما كانت أمينة، فلما خانت هانت.ولما عزم الفقهاء على أخذه بهذا وأمثاله هرب، ورجع إلى بلده، ولزم منــزله، فكان لا يخرج منه. وكان يوما عند الخليفة، وكان الخليفة يكره المتنبي ويضع منه، وكان أبو العلاء يحب المتنبي ويرفع من قدره، ويمدحه، فجري ذكر المتنبي في ذلك المجلس، فذمه الخليفة، فقال أبو العلاء : لو لم يكن للمتنبي إلا قصيدته التي أولها :

---

(١) وُدِيَتْ: دُفعت عنها الدية، وهي ما يدفع بعد قتل أحدهم والعسجد: الذهب . والجوهر : كله كالدر ، والياقوت.القاموس .

لَكَ يا مَنَازِلُ في القلوبِ منازلُ

لكفاه ذلك. فغضب الخليفة، وأمر به فسحب برجله على وجهه، وقال : أخرجوا عني هذا الكلب. وقال الخليفة : أتدرون ما أراد هذا الكلب من هذه القصيدة ، وذكره لها؟ أراد قول المتنبي فيها :

وإذا أتَتْكَ مَذَمّتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِي الدليلُ على أنّي كَامِلُ

وإلا فالمتنبي له قصائد أحسن من هذه، وإنما أراد هذا. وهذا من فرط ذكاء الخليفة ، حيث تنبه لهذا. وقد كان المعري أيضا من الأذكياء، ومكث المعري خمسا وأربعين سنة من عمره لا يأكل اللحم، ولا اللبن، ولا البيض، ولا شيئا من حيوان، على طريقة البراهمة الفلاسفة ويقال: إنه اجتمع براهب في بعض الصوامع، في مجيئه من بعض السواحل، آواه الليل عنده، فشككه في دين الإسلام، وكان يتقوت بالنبات وغيره، وأكثر ما كان يأكل العدس، ويتحلى بالدبس وبالتين، وكان لا يأكل بحضرة أحد، ويقول : أكل الأعمى عورة ؛ وكان في غاية الذكاء المفرط، على ما ذكروه، وأما ما ينقلونه عنه من الأشياء المكذوبة المختلقة من أنه وضع تحت سريره درهم، فقال : إما أن تكون السماء قد انخفضت مقدار درهم، أو الأرض قد ارتفعت مقدار درهم. أي أنه شعر بارتفاع سريره عن الأرض مقدار ذلك الدرهم، الذي وضع تحته، فهذا لا أصل له وهو مكذوب عليه.وكذلك يذكرون عنه: أنه مرّ في بعض أسفاره بمكان، فطأطأ رأسه، فقيل له في ذلك، فقال : أما هنا شجرة؟ قالوا : لا. فنظروا، فإذا أصل شجرة كانت هناك في الموضع الذي طأطأ رأسه فيه، وقد قطعت، وكان قد اجتاز بها قديما مرة فأمره من كان معه بطأطأة رأسه لما جازوا تحتها، فلما مر بها المرة الثانية طأطأ رأسه خوفا من أن يصيبه شيء منها، فهذا لا يصح. وقد كان ذكيا، ولم يكن زكيا، وله مصنفات كثيرة، أكثرها في الشعر، وفي بعض أشعاره ما يدل على زندقته، وانحلاله من الدين، ومن الناس من يعتذر عنه ويقول : إنه إنما كان يقول ذلك: مجونا ولعبا، ويقول: بلسانه ما ليس في قلبه، وقد كان باطنه مسلما. قال ابن عقيل لما بلغه : وما الذي ألجأه أن يقول في دار الإسلام ما يكفره به الناس؟ قال : والمنافقون مع قلة عقلهم وعلمهم أجود سياسة منه، لأنهم حافظوا على قبائحهم في الدنيا، وستروها، وهذا أظهر الكفر الذي تسلط عليه به الناس، وزندقوه، والله يعلم أن ظاهره كباطنه. قال ابن الجوزي : وقد رأيت لأبي العلاء المعري كتابا سماه الفصول والغايات، في معارضة السور والآيات، على حروف المعجم في آخر كلماته، وهو في غاية الركاكة والبرودة، فسبحان من أعمى بصره وبصيرته. قال : وقد نظرت في كتابه المسمي لزوم مالا يلزم، ثم أورد ابن الجوزي من أشعاره الدالة على استهتاره بدين الإسلام: أشياء كثيرة . فمن ذلك قوله :

إذا كانَ لا يحظى برزقكَ عاقلٌ … وترزقُ مجنونًا وترزقُ أحمقا

فلا ذنبَ يا ربَّ السماءِ على … امرئٍ رأى منْكَ ما لا يشتهي فتزَنْدَقَا

ومن قوله :

ألا إنَّ البريةَ في ضلالٍ … وقد نظرَ اللبيبُ لما اعتراها

تقدّمَ صاحبُ التوراةِ موسى … وأوقع في الخسارِ مَنِ اقْتَرَاها

فقال رجالُه : وحيٌ أتاهُ … وقالَ الناظرون : بل افتراها

وما حجّي إلى أحجارِ بيتٍ … كروسِ الخمرِ تشرفُ في ذُرَاها

إذا رجعَ الحليمُ إلى حِجَاهُ … تهاونَ بالمذاهبِ وازْدَرَاها

ومن قوله :

عفَتِ الحنيفةُ والنصارى ما اهتدتْ … ويهودُ حارتْ والمجوسُ مضلله

اثنان أهلُ الأرضِ ذو عقلٍ بلا … دين وآخر ذُو دينٍ ولا عقلَ له

ومن قوله :

فلا تحسبْ مقالَ الرسلِ حقًّا … ولكنْ قولَ زورٍ سطّروه

فكانَ الناسُ في جهلٍ عظيمٍ … فجاءوا بالمحالِ فكدّروه

وقلت أنا معارضة عليه:

فلا تحسبْ مقالَ الرسلِ زُورًا … وَلَكِنْ قولَ حقٍّ بلغوهُ

وكان الناسُ فى جهلٍ عظيمٍ … فجاءوا بالبيانِ فَأَوْضَحُوهُ

ومن قوله :

إنَّ الشرائعَ ألقتْ بيننا إحَنًا (٢) … وأورثتنا أفانين العداواتِ

وهل أُبيحَ نساءُ الرومِ عن عرضٍ … للعربِ إلا بأحكامِ النبواتِ ؟

وقوله :

وما حمدي لآدمَ أو بَنِيهِ … وأشهدُ أنَّ كلَّهم خَسِيسُ

ومن قوله :

---

(١) حلوم : ضد الطيش وقد يقابل به : الجهل والسنه . الثُّبُورُ : الهلاك .

(٢) إحَنًا : واحدها : إحْنة الحقد – الأحقاد .

أفيقُــوا أفيقــوا يــا غُواةُ فإنّما ديـــانـــاتُكُم مكرٌ من القدماء

ومن قوله :

صـــرفُ الزمـــانِ مفرّقُ الإلفين فاحْكُـم إلهي بـيـنَ ذاكَ وبـيـني
ونَهَيْتَ عـــنْ قتلِ النفوسِ تعمّداً وبعثــتَ أنتَ تَقْبِضُها مع المَلَكَيْن
وزعمــتَ : أنّ لهـا معــاداً ثانياً ما كــانَ أغنـاهـــا عن الحالين

ومن قوله :

ضَحِكْنا وكان الضَّحِكُ منا سَفَاهةً وَحُــقَّ لسـكانِ البسيطةِ أن يَبْكُوا
تُحطِمُنـــا الأيــامُ حتى كأنّنا زجــاجُ ولكــن لا يعادُ لنا سَبْك

ومن قوله :

أمـــورٌ تستــخفُ بها حُــلُومُ وما يدري الفــتى لمــن الثبورُ [1]
كتــابُ محمــدٍ وكتابُ موسى وإنجيــلُ ابــنِ مــريمَ والزّبــورُ

وقوله :

قالتْ : معاشــرُ لم يبعــثْ إلهُكُمُ إلى البريةِ عيســـاها ولا مـــوسى
وإنّما جَعَلُــوا الرحمــنَ مــأكـلةً وصيروا دينَــهم في النــاس ناموساً

وذكر ابن الجوزي وغيره له أشياء غير ذلك، بل كل قطعة من هذه الأشياء، تدل على كفره، وزندقته، وانحلاله، ويقال: إنه أوصى أن يكتب على قبره :

هذا جَنَاهُ أَبِي عَلَيَّ وَمَا جَنَيْتُ على أَحَد

معناه أن أباه بتزوجه لأمه أوقعه في هذه الدار، حتى صار بسبب ذلك، إلى ما إليه صار، وهو لم يجن على أحد بهذه الجناية، وهذا كله كفر وإلحاد ــ قبّحه الله ــ وقد زعم بعضهم: أنه أقلع عن هذا كله وتاب منه، وأنه قال: قصيدة يعتذر فيها من ذلك كله ويتنصل منه، وهي القصيدة التي يقول فيها :

يَــا مَنْ يرى مَدّ البعوضِ جَنَاحَها في ظلمــةِ الليــلِ البهيـــمِ الأَلْيَلِ
ويـــرى مَنَاطَ عُرُوقِهـا في نَحْرِها والمــخَّ في تلك العظـــامِ النُّحَّلِ
امننْ عليَّ بتوبةٍ تَمْحُـــوَ بها ما كانَ مِنِّي في الزمانِ الأوّلِ

توفي في ربيع الأول، من هذه السنة بمعرة النعمان، عن ست وثمانين سنة إلا أربعة عشر يوما، وقد رثاه جماعة من أصحابه وتلامذته، وأنشدت عند قبره ثمانون مرثاة، حتى قال بعضهم في مرثاه له :

إنْ كنتَ لم تُرِقِ الدماءَ زَهَادَةً ... لَقَدْ أَرَقْتَ اليومَ مِنْ جَفْنِي دَمَا

قال ابن الجوزي : وهؤلاء الذين رثوه، والذين اعتقدوه، إما جهال بأمره، وإما ضلال على مذهبه وطريقه. وقد رأى بعضهم في النوم رجلاً ضريراً، على عاتقه حيتان مدليتان على صدره، رافعتان رءوسهما إليه، وهما ينهشان من لحمه، وهو يستغيث، وقائل: يقول : هذا المعري الملحد. وقد ذكره ابن خلكان، فرفع في نسبه، على عادته في الشعراء، كما ذكرنا. وقد ذكر له من المصنفات كتبا كثيرة، وذكر أن بعضهم وقف على المجلد الأول بعد المائة من كتابه المسمي " بالأيك والغصون " وهو المعروف " بالهمز والردف " وأنه أخذ العربية عن أبيه، واشتغل بحلب على محمد بن عبد الله بن سعد النحوي، وأخذ عنه أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي، والخطيب أبو زكريا يحيي بن علي التبريزي وذكر أنه مكث خمسا وأربعين سنة لا يأكل اللحم، على طريقة الحكماء، وأنه أوصي أن يكتب على قبره :

هَـــذَا جَنَـاهُ أَبِي عَـــلِيَّ ... ومـــا جَنَيْـــتُ عـــلى أحـــدِ

قال ابن خلكان: وهذا أيضا متعلق باعتقاد الحكماء، فإنهم يقولون: إيجاد الولد، وإخراجه إلى هذا الوجود، جناية عليه، لأنه يتعرض للحوادث، والآفات. قلت: وهذا يدل على أنه لم يتغير عن اعتقاده، وهو ما يعتقده الحكماء، إلى آخر وقت، وأنه لم يقلع عن ذلك، كما ذكره بعضهم، والله أعلم بظواهر الأمور وبواطنها. وذكر ابن خلكان: أن عينه اليمني كانت ناتئة وعليها بياض، وعينه اليسرى غائرة، وكان نحيفا. ثم أورد من أشعاره الجيدة، أبياتا فمنها قوله :

لا تطلبــنَّ بآلـــةٍ لك رُتْبَـــةً ... قلـــمُ البليـــغ بغيرِ جـــدٍّ مِغْزَلُ

سكن السِّمَـــاكَـــانِ (١) كـــلاهما ... هـــذا لـــه رمـــحٌ وهذا أعزلُ

الأستاذ أبو عثمان الصابوني

إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن عامر بن عابد النيسابوري، الحافظ الواعظ المفسر، قدم دمشق وهو ذاهب إلى الحج، فسمع بها، وذكّر الناس، وقد ترجمه ابن عساكر ترجمة عظيمة، وأورد له أشياء حسنة من أقواله وشعره، فمن ذلك قوله :

إذا لم أصـــبْ أمـــوالَكُم ونوالَكم ... ولم آمـــلِ المعروفَ مِنْكُمُ ولا البِرّا

وكُنْتُـــمْ عبيداً للذي أنا عَبْدُهُ ... فَمِنْ أجلِ ماذا أُتعبُ البـــدنَ الحرّا ؟

وروى ابن عساكر عن إمام الحرمين

أنه قال : كنت أتردد، وأنا بمكة في المذاهب، فرأيت النبي ﷺ وهو يقول : عليك باعتقاد أبي عثمان الصابوني. رحمه الله تعالى .

---

(١) السماكان : نجمان في السماء .

ثم دخلت سنة خمسين وأربعمائة

فيها : كانت فتنة الخبيث البساسيري، وهو أرسلان التركي قبحّه الله تعالى، وذلك أن إبراهيم بن ينال أخا الملك طغر لبك، ترك الموصل، الذي كان قد استعمله أخوه عليها، وعدل إلى ناحية بلاد الجبل، فاستدعاه أخوه، وخلع عليه، وأصلح أمره، ولكن في غضون ذلك، ركب البساسيري، ومعه قريش بن بدران أمير العرب، إلى الموصل، فأخذها، وأخرب قلعتها، فسار إليه الملك طغرلبك سريعا من بغداد إلى الموصل ، فاستردها، وهرب منه البساسيري وقريش خوفا منه، فتبعهما إلى نصيبين، وفارقه أخوه إبراهيم، وعصي عليه، وهرب إلى همذان، وذلك بإشارة البساسيري عليه، فسار الملك طغر لبك، وراء أخيه، وترك عساكره وراءه، فتفرقوا، وقل من لحقه منهم، ورجعت زوجته الخاتون، ووزيره الكندري إلى بغداد، ثم جاء الخبر بأن أخاه قد استظهر عليه، وأن طغرلبك محصور بهمذان، فانزعج الناس لذلك، واضطربت بغداد، وجاء الخبر بأن البساسيري على قصد بغداد، وأنه قد اقترب من الأنبار، فقوي عزم الكندري على المقام ببغداد ، فأرادت الخاتون أن تقبض عليه، فتحول عنها إلى الجانب الغربي، ونهبت داره، وقطع الجسر بين الجانبين، وركبت الخاتون في جمهور الجيش، وذهبت إلى همذان لنصرة زوجها، وسار الكندري، ومعه أنوشروان بن تومان وأم الخاتون المذكورة، ومعها بقية الجيش إلى بلاد الأهواز، وبقيت بغداد ليس بها أحد من المقاتلة، فعزم الخليفة على الخروج من بغداد إلى غيرها، وليته فعل، ثم أحب داره، والمقام مع أهله، فمكث فيها اغترارا ودعة، ولما خلا البلد من المقاتلة، قيل للناس : من أراد الرحيل من بغداد فليذهب حيث شاء، فانزعج الناس، وبكي الرجال، والنساء، والأطفال، وعبر كثير من الناس إلى الجانب الغربي، وبلغت المعبرة دينارا، ودينارين، لعدم الجسر. قال ابن الجوزي : وطار في تلك الليلة على دار الخليفة نحو عشر بومات مجتمعات، يصحن صياحا مزعجا، وقيل لرئيس الرؤساء: من المصلحة أن الخليفة يرتحل من بغداد لعدم المقاتلة بها فلم يقبل،وشرعوا في استخدام طائفة من العوام ، ودفع إليهم سلاح كثير من دار المملكة، فلما كان يوم الأحد الثامن من ذي القعدة من هذه السنة جاء البساسيري إلى بغداد، ومعه الرايات البيض المصرية، وعلى رأسه أعلام مكتوب عليها الإمام المستنتصر بالله أبو تميم معد أمير المؤمنين، فتلقاه أهل الكرخ الرافضة، وسألوه أن يجتاز من عندهم، فدخل الكرخ، وخرج إلى مشرعة الزوايا فخيم بها، والناس إذ ذاك في مجاعة، وضر شديد ونزل قريش بن بدران في نحو من مائتي فارس، على مشرعة باب البصرة، وكان البساسيري قد جمع العيارين، وأطمعهم في نهب دار الخلافة، ونهب أهل الكرخ دور أهل السنة بباب البصرة، ونهبت دار قاضي القضاة الدامغاني، وهلك أكثر السجلات والكتب الحكمية، وبيعت للعطارين، ونهبت دور المتعلقين بخدمة الخليفة، وأعادت الروافض الأذان بحي على خير العمل، وأذن به في سائر جوامع بغداد، في الجمعات والجماعات وخطب ببغداد للخليفة المستنصر العبيدي، الذي يقال

له: الفاطمي على منابرها وغيرها، وضربت له السكة على الذهب والفضة، وحوصرت دار الخلافة، فجاحف [(١)] الوزير أبو القاسم بن المسلمة، الملقب برئيس الرؤساء، بمن معه من المستخدمين دونها، فلم يفد ذلك شيئا، فركب الخليفة بالسواد، والبردة على كتفيه، وعلى رأسه اللواء، وبيده سيف مصلتا، وحوله زمرة من العباسيين، والجواري حاسرات عن وجوههن، ناشرات شعورهن، معهن المصاحف على رءوس الرماح، وبين يديه الخدم بالسيوف المسلولة. ثم إن الخليفة أخذ ذماما من أمير العرب قريش، ليمنعه وأهله ووزيره ابن المسلمة،فأمنه على ذلك كله، وأنزله في خيمة، فلامه البساسيري على ذلك، وقال : قد علمت ما كان وقع الاتفاق عليه بيني وبينك، من أنك لا تبت برأي دوني، ولا أنا دونك، ومهما ملكنا بيني وبينك. ثم إن البساسيري أخذ القاسم بن مسلمة، فوبخه توبيخا مفضحا، ولامه لوما شديدا، ثم ضربه ضربا مبرحا، واعتقله مهانا عنده، ونهبت العامة دار الخلافة، فلا يحصي ما أخذوا منها من الجواهر، والنفائس، والديباج، والذهب، والفضة، والثياب والأثاث، والدواب، وغير ذلك، مما لا يحد ولا يوصف .

ثم اتفق رأي البساسيري، وقريش، على أن يسيروا الخليفة إلى أمير حديثة عانة، وهو مهارش بن مجلي البدوي، وهو من بني عم قريش بن بدران، وكان رجلا فيه دين وله مروءة. فلما بلغ ذلك الخليفة، دخل على قريش، أن لا يخرج من بغداد، فلم يفد ذلك شيئا، وسيره مع أصحابهما في هودج إلى حديثة عانة، فكان عند مهارش حولا كاملا، وليس معه أحد من أهله، فحكى عن الخليفة، أنه قال : لما كنت بحديثة عانة، قمت ليلة إلى الصلاة، فوجد ت في قلبي حلاوة المناجاة، ثم دعوت الله عزَّ وجلَّ، بما سنح لي، ثم قلت : اللهم أعدني إلى وطني، واجمع بيني وبين أهلي وولدي، ويسر اجتماعنا، وأعد روض الأنس زاهرا، وربع القرب عامرا، وفلفل[(٢)] العزا وبرّج الجفا [(٣)]، قال : فسمعت قائلا على شاطئ الفرات يقول : نعم نعم فقلت: هذا رجل يخاطب آخر، ثم أخذت في السؤال والابتهال، فسمعت ذلك الصائح يقول : إلى الحول إلى الحول؛ فقلت : إنه هاتف أنطقه الله بما جري الأمر عليه. وكان كذلك، خرج من دار الخلافة، في ذي القعدة من هذه السنة ورجع إليها في ذي القعدة من السنة المقبلة، وقد قال الخليفة القائم بأمر الله في مدة مقامه بالحديثة: شعرا يذكر فيه حاله فمنه :

ســـاءتْ ظنـــوني فِيمَنْ كنتُ آملَه	و لم يجلُ ذكرُ مَنْ واليتُ في خلدي
تعلّمـــوا من صـــروفِ الدهرِ كلُّهم	فمـــا رأى أحـــداً يحنو على أحـــدِ

(١) جاحف : قاتل . اللسان (جحف) .

(٢) فلفل العزا: أكسره .

(٣) برج: الجفا: حوطه .

ما لي من الأيــام إلاّ مَــوْعِــدًا فمتى أرى ظَفَري بــذاك المــوعــدِ
يَوْمي يَمُرُّ وكُلّمــا قضيتُــه عللتُ نفسي بالحــديث إلى غــدِ
أَقْبِــح بنفسٍ تســتريُــحُ إلى المنى وعــلى مطامعــها تروحُ وتَغْتَدي

وأما البساسيري، وما اعتمده في بغداد : فأنه ركب يوم عيد الأضحي وألبس الخطباء والمؤذنين البياض، وكذلك أصحابه، وعلى رأسه الألوية المصرية ، وخطب للخليفة المصرى، والروافض في غاية السرور، والأذان بسائر العراق بحي على خير العمل، وانتقم البساسيري من أعيان أهل بغداد انتقاما عظيما، وغرق خلقا ممن كان يعاديه، وبسط على آخرين الأرزاق، ممن كان يحبه ويواليه، وأظهر العدل. ولما كان يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة، أحضر إلى بين يديه الوزير ابن المسلمة، الملقب رئيس الرؤساء، وعليه جبة صوف، وطرطور من لبد أحمر، وفي رقبته مخنقة من جلود كالتعاويذ، فأركب جملا أحمر، وطيف به في البلد، وخلفه من يصفعه بقطعة من جلد، وحين اجتاز بالكرخ نثروا عليه خلقان المداسات، وبصقوا في وجهه، ولعنوه، وسبوه، وأوقف بإزاء دار الخلافة، وهو في ذلك كان يتلو قوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران : ٢٦] ثم لما فرغوا من التطواف به جيء به إلى المعسكر فألبس جلد ثور بقرنيه وعلق بكلوب في شدقيه ورفع إلى الخشبة حيا فجعل يضرب إلى آخر النهار فمات رحمه الله تعالى. وكان آخر كلامه أن قال :الحمد لله الذي أحياني سعيدا وأماتني شهيدا وفيها وقع برد بأرض العراق، أهلك كثيرا من الغلات، وقتل بعض الفلاحين، وزادت د جلة زيادة كثيرة، وزلزلت بغداد في هذه السنة قبل الفتنة بشهر، زلزالا شديدا، فتهدمت دور كثيرة، ووردت الأخبار أن هذه الزلزلة اتصلت بهمذان، وواسط، وتكريت، وعانة، وذكر أن الطواحين وقفت من شدتها. وفيها كثر النهب ببغداد، حتى كانت العمائم تخطف عن الرءوس، وخطفت عمامة الشيخ أبي نصر بن الصباغ وطيلسانه وهو ذاهب إلى صلاة الجمعة .

وفي أواخر السنة، خرج السلطان طغرلبك من همذان، فقاتل أخاه، وانتصر عليه، ففرح الناس، وتباشروا بذلك، ولم يظهروا ذلك خوفا من البساسيري، واستنجد طغر لبك بأولاد أخيه داود ـــ وكان قد مات ـــ على أخيه إبراهيم، فغلبوه، وأسروه، في أوائل سنة إحدي وخمسين، واجتمعوا على عمهم طغر لبك، فسار بهم نحو العراق، فكان من أمرهم ما سيأتي ذكره، في السنة الآتية، إن شاء الله .

وفيها توفي من الأعيان :

الحسن بن محمد أبو عبد الله الوني

الفرضي، وهو شيخ الحربي، وكان شافعي المذهب، قتل في بغداد في فتنة البساسيري، ودفن في يوم الجمعة يوم عرفة منها .

داود أخو طغرلبك

وكان الأكبر منهم، توفي فيها وقام أولاده مقامه .

أبو الطيب الطبرى

الفقيه، شيخ الشافعية، طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر، ولد بآمل طبرستان، سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، سمع الحديث بجرجان، من أبي أحمد الغطريفي، وبنيسابور من أبي الحسن الماسرجسي، وعليه درس الفقه أيضا، وعلى أبي على الزجاجي، وأبي القاسم بن كج، ثم اشتغل ببغداد،علي أبي حامد الإسفراييني، وشرح المختصر، وفروع ابن الحداد، وصنف في الأصول، والجدل، وغير ذلك من العلوم الكثيرة النافعة، وسمع ببغداد من الدارقطني، وغيره، وولي القضاء بربع الكرخ، بعد موت أبي عبد الله الصيمري، وكان ثقة دينا ورعا، عالما بأصول الفقه وفروعه، حسن الخلق، سليم الصدر، مواظبا على تعليم العلم، ليلا ونهارا. وقد ترجمته في طبقات الشافعية، وحكى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي عنه ــ وكان شيخه، وقد أجلسه مدة في الحلقة أن أبا الطيب أسلم خفا له ــ وكان متقللاً من الدنيا فقيراً ــ عند خفاف ليصلحه له، فأبطأ عليه، فكان كلما مر عليه أخذه فغمسه في الماء، وقال : أيها الشيخ الساعة أصلحه. فقال الشيخ : أسلمته لتصلحه، و لم أسلمه، لتعلمة السباحة. وحكى ابن خلكان: أنه كان له ولأخيه عمامة واحدة، وقميص واحد، إذا لبسهما هذا، جلس الآخر في البيت لا يخرج منه، وإذا لبسهما هذا، احتاج الآخر أن يقعد في البيت ولا يخرج منه، وإذا غسلاهما جلسا في البيت إلى أن ييبسا وقد قال في ذلك أبو الطيب :

قومٌ إذا غسلُوا الثيابَ رأيتَهم ... لَبِسوا البيوتَ إلى فراغِ الغاسلِ

وقد توفي في هذه السنة، عن مائة سنة وسنتين، وهو صحيح العقل، والفهم، والأعضاء، يفتي ويشتغل، إلى أن مات، وقد ركب مرة سفينة، فلما خرج منها قفز قفزة لا يستطيعها الشباب، فقيل له : ما هذا يا أبا الطيب؟ فقال : هذه أعضاء حفظناها في الشبيبة، تنفعنا في الكبر. رحمه الله .

القاضي الماوردي

صاحب « الحاوي الكبير »، علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي البصري، شيخ الشافعية، صاحب التصانيف الكثيرة، في الأصول، والفروع، والتفسير، «والأحكام السلطانية»، « وأدب الدنيا والدين » . قال : بسطت الفقه في أربعة آلاف ورقة. يعني « الإقناع ». وقد ولي الحكم في بلاد كثيرة، وكان حليما، وقورا، أديبا، لم ير أصحابه ذراعه يوما من الدهر، من شدة تحرزه وأدبه، وقد استقصيت ترجمته في « الطبقات »، توفي عن ست وثمانين سنة، ودفن بباب حرب :

رئيس الرؤساء أبو القاسم بن المسلمة

علي بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر وزير القائم بأمر الله، كان أولا قد سمع الحديث من أبي أحمد الفرضي وغيره، ثم صار أحد المعدلين، ثم استكتبه الخليفة القائم بأمر الله، واستوزره، ولقبه : رئيس الرؤساء، شرف الوزراء، جمال الوزراء، كان متضلعا بعلوم كثيرة مع سداد رأي، ووفور عقل، وقد مكث في الوزارة ثنتي عشرة سنة وشهرا، ثم قتله البساسيري. بعد ما شهره كما تقدم، وله من العمر ثنتان وخمسون سنة وخمسة أشهر .

منصور بن الحسين

أبو الفوارس الأسدي، صاحب الجزيرة، توفي فيها وأقاموا ولده بعده .

ثم دخلت سنة إحدي وخمسين وأربعمائة

استهلت هذه السنة وبغداد في حكم البساسيري، يخطب فيها لصاحب مصر الفاطمي، والخليفة العباسي بحديثة عانة، ثم لما كان يوم الاثنين ثاني عشر صفر، أحضر القضاة أبا عبد الله الدامغاني وجماعة من الوجوه والأعيان، وأخذ عليهم البيعة لصاحب مصر المستنصر الفاطمي، ثم دخل دار الخلافة وهؤلاء المذكورون معه، وأمر بنقض تاج دار الخلافة، فنقض بعض الشراريف، ثم قيل له : إن القبح في هذا أكثر من المصلحة. فتركه، ثم ركب إلى زيارة المشهد بالكوفة، وعزم على عبور نهر جعفر، ليسوق إلى الحائر لوفاء نذر كان عليه، وأمر بأن تنقل جثة ابن مسلمة إلى ما يقارب الحريم الظاهري، وأن تنصب على دجلة. وكتبت إليه أم الخليفة ــ وكانت عجوزا كبيرة، قد بلغت التسعين، وهي مختفية في مكان ــ تشكو إليه الحاجة، والفقر، وضيق الحال، فأرسل إليها من نقلها إلى الحريم، وأخدمها جاريتين، ورتب لها كل يوم اثني عشر رطلا من خبز، وأربعة أرطال من لحم .

فصــل

ولما خلص السلطان طغر لبك من حصره بهمذان، وأسر أخاه إبراهيم وقتله، وتمكن في أمره، وطابت نفسه، ولم يبق له في تلك البلاد منازع، كتب إلى قريش بن بدران أمير الأعراب، يأمره بأن يعيد الخليفة إلى وطنه وداره، وتوعده، على أنه إن لم يفعل ذلك، وإلا أحل به بأسا شديدا، فكتب إليه قريش يتلطف به، ويدخل عليه، ويقول : أنا معك على البساسيري، بكل ما أقدر عليه، حتى يمكنك الله منه، ولكن أخشى أن أتسرع في أمر يكون فيه على الخليفة مفسدة، أو تبدر إليه بادرة سوء يكون عليّ عارها، ولكن سأعمل على ما أمرتني به، بكل ما يمكنني، وأمر برد امرأة الخليفة خاتون إلى دارها وقرارها، ثم إنه راسل البساسيري بعود الخليفة إلى داره، وخوفه من جهة الملك طغر لبك، وقال له فيما قال : إنك دعوتنا إلى طاعة المستنصر الفاطمي،

وبيننا وبينه ستمائة فرسخ، ولم يأتنا رسول ولا أحد من عنده، ولم يفكر في شيء مما أرسلنا إليه، وهذا الملك من ورائنا بالمرصاد، قريب منا، وقد جاءني من الملك طغر لبك كتاب عنوانه: إلى الأمير الجليل، علم الدين، أبي المعالي قريش بن بدران، مولي أمير المؤمنين، من شاهنشاه المعظم، ملك المشرق والمغرب طغر لبك، أبي طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق، وعلى رأس الكتاب العلامة السلطانية بخط السلطان. حسبي الله ونعم الوكيل. وكان في الكتاب: والآن قد سرت بنا المقادير إلى هلاك كل عدو فى الدين ، ولم يبق علينا من المهمات إلا خدمة سيدنا ومولانا القائم بأمر الله أمير المؤمنين، وإطلاع أبهة إمامته على سرير عزّه، فإن الذي يلزمنا ذلك، ولا فسحة في التقصير فيه ساعة من الزمان، وقد أقبلنا بجنود المشرق وخيولها، إلى هذا المهم العظيم، ونريد من الأمير الجليل علم الدين، إبانة النحح الذي وفق له وتفرد به، وهو أن يتم وفاءه، من إقامته، وخدمته، في باب سيدنا ومولانا أمير المؤمنين، إما أن يأتي به مكرما في عزه وإمامته، إلى موقف خلافته، من مدينة السلام، ويتمثل بين يديه، متوليا أمره، ومنفذا حكمه، وشاهرا سيفه وقلمه، وذلك المراد، وهو خليفتنا، وتلك الخدمة بعض ما يجيب له، ونحن نوليك العراق بأسرها، ونصفي لك مشارع برها، وبحرها، ولا يطؤها حافر خيل من خيول العجم، شبرا من أراضي تلك المملكة، إلا ملتمسا لمعاونتك، ومظاهرتك، وإما أن تحافظ على شخصه الغالي، بتحويله من القلعة، إلى حين نحظى بخدمته، فليمتثل ذلك، ويكون الأمير الجليل مخيراً بين أن يلقانا، أو يقيم حيث شاء، فنوليه العراق كلها، ونستخلفه في الخدمة الإمامية، ونصرف أعيننا إلى الممالك الشرقية، فهمتنا لا تقتضي إلا هذا الغرض ولا يسف إلا مملكة من تلك الممالك بل الهمة دينية وهو أدم تمكينه يتقن ما ذكرنا ويعلم أن توجهنا إثر هذا الغرض المعلوم ولا غرض سواه فلا يسعرن قلوب عشائره وهبته فإنهم كلهم إخواننا وفي ذمتنا وعهدنا وعلينا به عهد الله وميثاقه ما داموا موافقين للأمير الأجلّ موالينا ومن اتصل به من سائر العرب والعجم والأكراد فإنهم مقرون في جملتهم وداخلون في عهدنا وذمتنا وعهده وذمته ولكل محترم في العراق عفونا وأمننا مما بد منه إلا البساسيري فإنه لا عهد له ولا أمان منا وهو موكول إلى الشيطان وأقاويله وقد ارتكب من دين الله عظيماً وهو إن شاء الله مأخوذ ومعذب على ما عمل فقد سعى في دمار خلق كثير بسوء دخيلته ودار أفعاله على فساد عقيدته وكتب في رمضان من سنة إحدى وخمسين وأربعمائة وبعث بهذا الكتاب مع رسولين من أهل العلم وبعث معهما بتحف عظيمة للخليفة نيابة عنه جزاه الله عن الإسلام خيراً .

ولما وصل الكتاب إلى قريش بن بدران استعلم عن أخبار طغرل بك من الرسل وغيرهم، فإذا معه جنود عظيمة فخاف من ذلك خوفاً شديداً وبعث إلى البرية فأمر بحفر أماكن للماء وتجهيز علوفات كثيرة إلى هناك، والكتاب والأخبار إلى البساسيري قبحه الله فخارت قوته وضعف أمره وبعث إلى أهله فنقلهم إلى بغداد ولكن اشترط شروطاً كثيرة ليذهب عجله. ولما

انتقل أهل البساسيري من بغداد وصحبهم أهل الكرخ والروافض قبحهم الله تعالى، وانحدروا في دجلة، كان خروجهم من بغداد في سادس ذي القعدة من هذه السنة. وفي مثله من العام الماضي دخلوا بغداد وعند ذلك ثار الهاشميون وأهل السنة من باب البصة إلى الكرخ فنهبوه وأحرقوا منه محال كثيرة جدا واحترق من جملة ذلك دار العلم التي كان وقفها الوزير أردشير من مدة سبعين سنة وفيها من الكتب شيء كثير، وكان من جملة ما أحرق درب الزعفران وفيه ألف ومائتا دار لكل منها قيمة وترحل قريش بن بدران إلى أرض الموصل .

فعند ذلك كتب قريش إلى مهارش بن مجلي، الذي عنده الخليفة، يقول له : إن المصلحة تقتضي تسليم الخليفة إلى حتى آخذ لي ولك به أمانا، فامتنع عليه مهارش، وقال : قد غرني البساسيري، ووعدني بأشياء لم أرها، ولست بمرسله إليك أبدا، وله في عنقي أيمان كثيرة لا أغدرها. وكان مهارش هذا رجلا صالحا، فقال للخليفة : إن المصلحة تقتضي أن نسير إلى بلد بدر بن مهلهل، وننظر ما يكون من أمر السلطان طغرلبك، فإن ظهر دخلنا بغداد، وإن كانت الأخرى، نظرنا لأنفسنا، فإني أخشي من البساسيري، أن يأتينا، فيحضرنا. فقال له الخليفة : افعل ما فيه المصلحة. فسارا في الحادي عشر من ذي القعدة إلى أن حصلا بقلعة تل عكبرا، فتلقته رسل السلطان طغرلبك، بالهدايا التي كان أنفذها، وجاءت الأخبار بأن السلطان طغرلبك قد دخل بغداد، وكان يوما مشهودا، غير أن الجيش نهبوا البلد، غير دار الخليفة، وصودر خلق كثير من التجار، وأخذت منهم أموال كثيرة وشرعوا في عمارة دار الملك وأرسل السلطان إلى الخليفة مراكب كثيرة من أنواع الخيول، وغيرها، وسرادق، وملابس، وما يليق بالخليفة في السفر، أرسل ذلك مع الوزير عميد الملك الكندري، ولما انتهوا إلى الخليفة، أرسلوا بتلك الآلات إليه، قبل أن يصلوا إليه، وقالوا : اضربوا السرادق، وليلبس الخليفة ما يليق به، ثم نجيء نحن، ونستأذن عليه، فلا يأذن لنا إلا بعد ساعة طويلة، فلما فعلوا ذلك دخل الوزير ومن معه فقبلوا الأرض بين يديه، وأخبروه بسرور السلطان بسلامته، وبما حصل من العود إلى بغداد، وكتب عميد الملك كتابا إلى السلطان يعلمه بصفة ما جري، وأحب أن يضع الخليفة علامته في أعلا الكتاب، ليكون أقر لعين السلطان، وأحضر الوزير دواته، ومعها سيف، وقال : هذه خدمة السيف ، والقلم .

فأعجب الخليفة ذلك، وترحلوا من منـــزلهم ذلك بعد يومين، فلما وصلوا النهروان، خرج السلطان لتلقي الخليفة، فلما وصل السلطان إلى سرادق الخليفة، قبل الأرض سبع مرات بين يدي الخليفة، فأخذ الخليفة مخدة، فوضعها بين يديه، فأخذها الملك فقبلها، ثم جلس عليها كما أشار الخليفة، وقدم إلى الخليفة الحبل الياقوت الأحمر، الذي كان لبني بويه، فوضعه بين يديه، وأخرج اثنتي عشرة حبة من لؤلؤ كبار، وقال : أرسلان خاتون — يعني زوجة الملك — تخدم الخليفة. وسأله أن يسبح بهذه المسبحة، وجعل يعتذر من تأخره عن الحضرة، بسبب

عصيان أخيه فقتله، واتفق موت أخي الأكبر أيضا، فاشتغلت بترتيب أولاده من بعده، وأنا شاكر لمهارش بما كان منه من خدمة أمير المؤمنين، وأنا ذاهب إن شاء الله خلف الكلب البساسيري، فاقتله إن شاء الله، ثم أدخل الشام، وأفعل بصاحب مصر ما ينبغي أن يجازي به من سوء المقابلة. فدعا له الخليفة، وأعطي الخليفة للملك سيفا كان معه، لم يبق معه من أمور الخلافة سواه، واستأذن الملك لبقية الجيش أن يخدموا الخليفة، فرفعت الأستار عن جوانب الحركات، فلما شاهد الأتراك الخليفة قبلوا الأرض ثم دخلوا بغداد يوم الاثنين لخمس بقين من ذي القعدة، وكان يوما مشهودا : الجيش كله معه، والقضاة، والأعيان، والسلطان آخذ بلجام بغلته، إلى أن وصل باب الحجرة، ثم إنه لما وصل الخليفة إلى دار مملكته، استأذنه السلطان في الذهاب وراء البساسيري، فأرسل جيشا من ناحية الكوفة، ليمنعوه من الدخول إلى الشام، وخرج هو والناس في التاسع والعشرين من الشهر .

وأما البساسيري فإنه مقيم بواسط، في جمع غلات، وأمور يهيئها لقتال السلطان، وعنده أن الملك طغرلبك، ومن عنده، ليسوا بشيء يخاف منه، وذلك لما يريده الله تعالى من إهلاكه، إن شاء الله .

مقتل البساسيرى على يدى السلطان طغرلبك

لما سار السلطان وراءه، وصلت السرية الأولي، فلقوه بأرض واسط، ومعه ابن مزيد، فاقتتلوا هنالك، وانهزم أصحابه عنه، ونجا البساسيري بنفسه على فرس، فتبعه بعض الغلمان، فرمي فرسه بنشابة فألقته إلى الأرض، فجاء الغلام فضربه على وجهه، ولم يعرفه، وأسره واحد منهم يقال له: كمسكين، فحز رأسه، وحمله إلى السلطان، وأخذت الأتراك من جيش البساسيرى من الأموال ما عجزوا عن حمله، ولما وصل الرأس إلى السلطان أمر أن يذهب به إلى بغداد، وأن يرفع على رمح، وأن يطاف به في المحال، وأن يطوف معه الدبادب، والبوقات، والنفاطون، وأن يخرج الناس، والنساء، للفرجة عليه، ففعل ذلك، ثم نصب على الطيار، تجاه دار الخليفة، وقد كان مع البساسيري خلق من البغاددة، خرجوا معه، ظانين أنه سيعود إلى بغداد، فهلكوا، ونهبت أموالهم، ولم ينج من أصحابه إلا القليل، وفر ابن مزيد في ناس قليل إلى البطيحة، ومعه أولاد البساسيري وأمهم، وقد سلبتهم الأعراب فلم يتركوا لهم شيئا. ثم استؤمن لابن مزيد من السلطان، ودخل معه بغداد، وقد نهبت العساكر ما بين واسط والبصرة، والأهواز، وذلك لكثرة الجيش، وانتشاره، وكثافته، وأما الخليفة، فإنه لما عاد إلى دار الخلافة، جعل لله عليه أن لا ينام على وطاء، ولا يأتيه أحد بطعام إذا كان صائما، ولا يخدمه في وضوئه وغسله أحد، بل يتولي ذلك كله بنفسه لنفسه، وعاهد الله أن لا يؤذي أحدا ممن آذاه، وأن يصفح عن من ظلمه، وقال : ما عاقبت من عصي الله فيك، بمثل أن تطيع الله فيه .

وفيها : ولي الملك ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بلاد حران بعد وفاة أبيه، بتقرير عمه طغرلبك، وكان له من الأخوة سليمان، وقاروت بك، وياقوتي، فتزوج طغرلبك بأم سليمان. وفيها كان بمكة رخص، لم يسمع بمثله، بيع التمر، والبر كل مائتي رطل بدينار.و لم يحج أحد من أهل العراق فيها .

أرسلان أبو الحارس البساسيري التركي

وكان من مماليك بهاء الدولة، وكان أولاً مملوكا لرجل من أهل مدينة بساسير، فنسب إليه، فقيل له: البساسيري، وتلقب بالملك المظفر، ثم كان مقدما كبيرا عند الخليفة القائم بأمر الله، لا يقطع أمرا دونه، وخطب له على منابر العراق كلها، ثم طغي، وبغي، وتمرد، وعتا، وخرج على الخليفة والمسلمين، ودعا إلى خلافة الفاطميين، ثم انقضي أجله في هذه السنة، وكان دخوله إلى بغداد بأهله في سادس ذي القعدة من سنة خمسين وأربعمائة، ثم اتفق خروجهم منها في سادس ذي القعدة أيضا من سنة إحدي وخمسين بعد سنة كاملة، ثم كان خروج الخليفة من بغداد، في يوم الثلاثاء الثانى عشر من كانون الأول، واتفق قتل البساسيري في يوم الثلاثاء الثامن عشر من كانون الأول بعد سنة شمسية، وذلك في ذي الحجة منها .

الحسن بن الفضل

أبو علي الشرمقاني، المؤدب، المقري، الحافظ للقرآن، والقراءات، واختلافها، كان ضيق الحال فرآه شيخه ابن العلاف ذات يوم وهو يأخذ أوراق الخس من دجلة ويأكلها، فأعلم ابن المسلمة بحاله، فأرسل ابن المسلمة غلاما له وأمره أن يذهب إلى الخزانة التي له بمسجده، فيتخذ لها مفتاحا غير مفتاحه، ثم كان كل يوم يضع فيها ثلاثة أرطال من خبز السميد، ودجاجة، وحلاوة السكر، فظن أبو على الشرمقاني أن ذلك كرامة أكرمه الله بها، وأن هذا الطعام الذي يجده في خزانته من الجنة، فكتمه زمانا وجعل ينشد :

مَنْ أطـلعُوه على سـرٍ فباحَ به	لم يأمنُـوهُ على الأسرارِ ما عاشا
وأبعَدُوه فلم يظفرْ بقـربهـم	وأبدلوهُ فكانَ الأنسُ إيحَـاشا

فلما كان في بعض الأيام، ذاكره ابن العلاف في أمره، وقال له: فيما قال : أراك قد سمنت فما هذا الأمر، وأنت رجل فقير؟ فجعل يلوح ولا يصرح، ويكني، ولا يفصح، ثم ألح عليه فأخبره أنه يجد كل يوم في خزانته من طعام الجنة ما يكفيه، وأن هذا كرامة أكرمه الله بها، فقال له : ادع لابن المسلمة، فإنه الذي يفعل ذلك، وشرح له صورة الحال، فكسره ذلك و لم يعجبه.

علي بن محمود بن إبراهيم بن ماجره

أبو الحسن الروزني، شيخ الصوفية. وإليه نسب الرباط الروزني، وقد كان بني أبي الحسن شيخه، وقد صحب أبا عبد الرحمن السلمي، وقال : صحبت ألف شيخ، وأحفظ عن كل شيخ حكاية، توفي في رمضان عن خمس وثمانين سنة .

محمد بن علي

ابن الفتح بن محمد بن علي بن أبي طالب الحربي، المعروف بالعشاري لطول جسده، وقد سمع الدارقطني وغيره، وكان ثقة دينا، صالحا، توفي في جمادى الأولى منها، وقد نيف على الثمانين .

الوني الفرضي

الحسين بن محمد بن عبد الله أبو عبد الله الوني، نسبة إلى ون قرية من أعمال جهستان، الفرضي شيخ الحربي، وهو أبو حكيم عبد الله بن إبراهيم، كان الوني إماما في الحساب والفرائض، وانتفع الناس به، توفي فيها، ببغداد شهيدا، في فتنة البساسيري، والله أعلم .

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة

في يوم الخميس السابع عشر من صفر، دخل السلطان بغداد، مرجعه من واسط، بعد قتل البساسيري، وفي يوم الحادي والعشرين منه جلس الخليفة في داره، وأحضر طغرلبك، ومد سماطا عظيما، فأكل الأمراء منه، والعامة، ثم في يوم الخميس ثاني ربيع الأول، عمل السلطان طغرلبك سماطاً للناس ، وفي يوم الثلاثاء تاسع جمادى الآخرة، قدم الأمير عدة الدين أبو القاسم عبد الله ابن ذخيرة الدين ابن أمير المؤمنين القائم بأمر الله. وعمته، وله من العمر يومئذ أربع سنين، صحبه أبي الغنائم، فتلقاه الناس إجلالا لجده، وقد ولي الخلافة بعد ذلك، وسمي المقتدي بأمر الله. وفي رجب، وقف أبو الحسن محمد بن هلال العتابي دار كتب، وهي دار بشارع ابن أبي عوف من غربي مدينة السلام، ونقل إليها ألف كتاب، عوضا عن دار أزدشير التي أحرقت بالكرخ. وفي شعبان، ملك محمود بن نصر حلب، وقلعتها، فامتدحه الشعراء. وفيها : ملك عطية ابن مرداس الرحبة، وذلك كله منتزع من أيدي الفاطميين. ولم يحج أحد من أهل العراق فيها، غير أن جماعة اجتمعوا إلى الكوفة، وذهبوا مع الخفراء .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو منصور الجيلي

من تلاميذ أبي حامد، ولي القضاء بباب الطاق، وبحريم دار الخلافة، وسمع الحديث من جماعة. قال الخطيب : وكتبنا عنه، وكان ثقة .

الحسن بن محمد

ابن أبي الفضل أبو محمد الفسوي الوالي سمع الحديث، وكان ذكيا في صناعة الولاية، ومعرفة التهم، والمتهومين من الغرماء، بلطيف من الصنيع، كما نقل عنه، أنه أوقف بين يديه جماعة، اتهموا بسرقة، فأتي بكوز يشرب منه، فرمي به، فانزعج الواقفون إلا واحدا، فأمر به أن يقرر، وقال السارق يكون جريئا قويا، فوجد الأمر كذلك، وقد قتل مرة رجلا في ضرب بين

يديه فادعي عليه عند القاضي أبي الطيب، فحكم عليه بالقصاص ثم فادي عن نفسه بمال جزيل حتى خلص .

محمد بن عبيد الله

ابن أحمد بن محمد بن عرنوس، أبو الفضل البزار، انتهت إليه رياسة الفقهاء المالكيين ببغداد، وكان من القراء المجيدين ، وأهل الحديث المسندين، سمع ابن حبانة، والمخلص، وابن شاهين، وقد قبل شهادته أبو عبد الله الدامغاني، وكان أحد المعدلين .

قطر الندى

ويقال: بدر الدجي، ويقال: علم أم الخليفة القائم بأمر الله، كانت عجوزا كبيرة، بلغت التسعين، وهي التي احتاجت في زمان البساسيري، فأجري عليها رزقا، ثم لم تمت، حتى أقر الله عينها بولدها، ورجوعه إليها، واستمر أمرهم على ما كانوا عليه، ثم توفيت في هذه السنة، فحضر ولدها الخليفة جنازتها، وكانت حافلة جدا .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة

فيها : خطب الملك طغرلبك ابنة الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك، وقال : هذا شيء لم تجر العادة بمثله، ثم طلب شيئا كهيئة الفرار. من ذلك ما كان لزوجته، التي توفيت من الإقطاعات بأرض واسط، ثلاثمائة ألف دينار، وأن يقيم الملك ببغداد، لا يرحل عنها، ولا يوما واحدا، فوقع الاتفاق على بعض ذلك، وأرسل إليها بمائة ألف دينار، مع ابنة أخيه داود زوجة الخليفة أرسلان خاتون، وأشياء كثيرة، من آنية الذهب، والفضة، والنثار والجواري، ومن الجواهر ألفين ومائتي قطعة، من ذلك سبعمائة قطعة من جوهر وزن القطعة ما بين الثلاثة مثاقيل إلى المثقال، وأشياء أخرى. فتمنع الخليفة لفوات بعض الشروط، فغضب عميد الملك الوزير لمخدومة السلطان، وجرت شرور طويلة، اقتضت أن أرسل السلطان كتابا، يأمر الخليفة، بانتزاع ابنة أخيه السيدة أرسلان خاتون، ونقلها من دار الخلافة إلى دار الملك، حتى تنفصل هذه القضية، فعزم الخليفة على الرحيل من بغداد، فانزعج الناس لذلك، وجاء كتاب السلطان إلى رئيس شحنة بغداد برشتق، يأمره بعدم المراقبة، وكثرة العسف في مقابلة رد أصحابه بالحرمان، ويعزم على نقل الخاتون إلى دار المملكة، وأرسل من يحملها إلى البلد التي هو فيها، كل ذلك غضبا على الخليفة .

قال ابن الجوزي : وفي رمضان منها، رأي إنسان من الزمني، رسول الله ﷺ في المنام، وهو قائم، ومعه ثلاثة أنفس، فجاءه أحدهم فقال له : ألا تقوم؟ فقال : لا أستطيع، أنا رجل مقعد. فأخذ بيده فقال : قم فقام، وانتبه، فإذا هو قد برأ، وأصبح يمشي في حوائجه. وفي ربيع الآخر، استوزر الخليفة أبا الفتح منصور بن أحمد بن دارست الأهوازي، وخلع عليه، وجلس في

مجلس الوزارة. وفي جمادى الآخرة، لليلتين بقيتا منه، كسفت الشمس كسوفا عظيما، جميع القرص غاب، فمكث الناس أربع ساعات، حتى بدت النجوم، وآوت الطيور إلى أوكارها، وتركت الطيران لشدة الظلمة. وفيها : ولي أبو تميم بن معز الدولة بلاد إفريقية. وفيها : ولي ابن نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي ديار بكر. وفيها : ولي قريش بن بدران بلاد الموصل، ونصيبين.

وفيها : خلع على طراد بن محمد الزينبي، الملقب بالكامل، نقابة الطالبيين، ولقب المرتضى،. وفيها : ضمن أبو إسحاق بن علاء اليهودي، ضياع الخليفة من صرصر إلى أوائي، كل سنة ستة وثمانين ألف دينار، وسبعة عشر ألف كر[1] من غلة. و لم يحج أحد من أهل العراق هذه السنة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن مروان

أبو نصر الكردي، صاحب بلاد بكر، وميافارقين، لقبه القادر نصر الدولة، وملك هذه البلاد، ثنتين وخمسين سنة، وتنعم تنعما لم يقع لأحد من أهل زمانه، ولا أدركه فيه أحد من أقرانه، وكان عنده خمسمائة سرية، سوي من يخدمهن، وعنده خمسمائة خادم، وكان عنده من المغنيات شيء كثير، كل واحدة مشتراها خمسة آلاف دينار، وأكثر، وكان يحضر في مجلسه من آلات اللهو والأواني ما يساوي مائتي ألف دينار، وتزوج بعدة من بنات الملوك، وكان كثير المهادنة للملوك. إذا قصده عدو أرسل إليه بمقدار ما يصالحه به فيرجع عنه .

وقد أرسل إلى الملك طغرلبك بهدية عظيمة، حين ملك العراق، من ذلك حبل من ياقوت، كان لبني بويه، اشتراه منهم بشيء كثير، ومائة ألف دينار، وغير ذلك، وقد وزر له أبو القاسم المغربي مرتين، ووزر له أيضا أبو نصر محمد بن محمد بن جهير وكانت بلاده آمن البلاد، وأطيبها، وأكثرها عدلا، وقد بلغه أن الطيور تجوع، فتجمع في الشتاء من الحبوب التي في القري، فيصطادها الناس، فأمر بفتح الأهراء، وإلقاء ما يكفيها من الغلات في مدة الشتاء، فكانت تكون في ضيافته طول الشتاء مدة عمره، توفي في هذه السنة، وقد قارب الثمانين. قال ابن خلكان : قال ابن الأزرق في تاريخه : إنه لم يصادر أحدا من رعيته، سوي رجل واحد، و لم تفته صلاة مع كثرة مباشرته للذات، وكان له ثلاثمائة وستون حظية، يبيت عند كل واحدة ليلة في السنة، وخلف أولادا كثيرة، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي في التاسع والعشرين من شوال منها.

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة

فيها وردت الكتب الكثيرة من الملك طغرلبك، يشكو من قلة إنصاف الخليفة، وعدم موافقته له، ويذكر ما أسداه [2] إليه من الخير والنعم إلى ملوك الأطراف وقاضي القضاة

---

(١) الكرُّ: مكيال قيل : إنه أربعون أردبًّا . اللسان — كرًّ .

(٢) أسده : قدمه .

الدامغاني، فلما رأي الخليفة ذلك، وأن الملك أرسل إلى نوابه بالاحتياط، على أموال الخليفة، كتب إلى الملك يجيبه إلى ما سأل، فلما وصل ذلك إلى الملك، فرح فرحا شديدا، وأرسل إلى نوابه أن يطلقوا أملاك الخليفة واتفقت الكلمة، بعد أن كادت تتفرق، فوكل الخليفة في العقد، فوقع العقد بمدينة تبريز، بحضرة الملك طغرلبك، وعمل سماطا عظيما، فلما جيء بالوكلة، قام لها الملك، وقبل الأرض عند رؤيتها، ودعا للخليفة دعاء كثيرا، ثم أوجب العقد على صداق أربعمائة ألف دينار، وذلك في يوم الخميس، الثالث عشر من شعبان، من هذه السنة، ثم بعث ابنة أخيه الخاتون زوجة الخليفة في شوال بتحف كثيرة، وجوهر، وذهب كثير، وجواهر عديدة ثمينة، وهدايا عظيمة لأم العروس وأهلها، وقال الملك جهرة للناس : أنا عبد الخليفة ما بقيت، لا أملك شيئا سوي ما على من الثياب. وفيها عزل الخليفة وزيره. واستوزر أبا نصر محمد بن محمد بن جبير، استقدمه من ميافارقين. وفيها عم الرخص جميع الأرض، حتى بيع بالبصرة، كل ألف رطل تمر بثمان قراريط و لم يحج فيها أحد .

وممن توفي فيها من الأعيان :

ثمال بن صالح

معز الدولة، صاحب حلب، كان حليما، كريما، وقورا. ذكر ابن الجوزي : أن الفراش تقدم إليه ليغسل يده، فصدمت بلبلة الإبريق [1] ثنيته[2]، فسقطت في الطست، فعفا عنه .

الحسن بن علي بن محمد

أبو محمد الجوهري، ولد في شعبان سنة ثلاث وستين، وسمع الحديث على جماعة، وتفرد بمشايخ كثيرين، منهم أبو بكر بن مالك القطيعي، وهو آخر من حدث عنه، توفي في ذي القعدة منها .

الحسين بن أبي زيد

أبو على الدباغ،قال:رأيت رسول الله ﷺ في المنام: فقلت:يارسول الله ادع الله أن يميتنى على الإسلام، فقال: وعلى السنة .

سعد بن محمد بن منصور

أبو المحاسن الجرجاني، كان رئيسا قديما ، وجه رسولا إلى الملك محمود بن سبكتكين،في حدود سنة عشر،وكان من الفقهاء العلماء تخرج به جماعة، وروى الحديث عن جماعة، وعقد له مجلس المناظرة ببلدان كثيرة، وقتل ظلما، باستراباذ، في رجب منها، رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وأربعمائة

فيها : دخل السلطان طغرلبك بغداد، وعزم الخليفة على تلقيه، ثم ترك ذلك، وأرسل وزيره أبا نصر عوضا عنه، وكان من الجيش، أذية كثيرة للناس، في الطريق، وتعرضوا للحريم، حتى

(١) بلبلة الإبريقه : مخرج الماء منه .

(٢) الثنية : أستان مقدمة الفم .

هجموا على النساء في الحمامات، فخلصهن منهم العامة، بعد جهد جهيد، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

دخول الملك طغرلبك علي بنت الخليفة

لما استقر السلطان ببغداد، أرسل وزيره عميد الملك إلى الخليفة، يطالبه بنقل ابنته إلى دار المملكة، فتمنع الخليفة من ذلك، وقال : إنكم إنما سألتم أن يعقد العقد فقط بحصول التشريف، والتزمتم لها بعود المطالبة. فتردد الناس في ذلك بين الخليفة والملك، وأرسل الملك زيادة على النقد مائة ألف دينار، ومائة وخمسين ألف درهم، وتحفا أخر، وأشياء لطيفة، فلما كان ليلة الاثنين، الخامسة عشرة من صفر، زفت السيدة ابنة الخليفة إلى دار المملكة، فضربت لها السرادقات من دجلة إلى دار المملكة، وضربت الدبادب والبوقات عند دخولها إلى الدار، فلما دخلت أجلست على سرير مكلل بالذهب، وعلى وجهها برقع، ودخل الملك طغرلبك، فوقف بين يديها، فقبل الأرض، ولم تقم له، ولم تره، ولم يجلس حتى انصرف إلى صحن الدار، والحجاب والأتراك يرقصون هناك فرحا وسرورا، وبعث لها مع الخاتون زوجة الخليفة عقدين فاخرين، وقطعة ياقوت حمراء كبيرة هائلة، ودخل من الغد فقبل الأرض، وجلس على سرير مكلل بالفضة بإزائها ساعة، ثم خرج، وأرسل لها جواهر كثيرة ثمينة، وفرجية نسج بالذهب مكللة بالحب، وما زال كذلك كل يوم، يدخل، ويقبل الأرض، ويجلس على سرير بإزائها، ثم يخرج عنها، ويبعث بالتحف والهدايا، ولم يكن منه إليها شيء مقدار سبعة أيام، ويمد كل يوم من هذه الأيام السبعة سماطا هائلا، وخلع في اليوم السابع على جميع الأمراء، ثم عرض له سفر، واعتراه مرض، فاستأذن الخليفة في الانصراف بالسيدة معه إلى تلك البلاد ثم يعود بها، فأذن له، بعد تمنع شديد، وحزن عظيم، فخرج بها، وليس معها من دار الخلافة سوي ثلاث نسوة، برسم خدمتها، وقد تألمت والدتها لفقدها ألما شديدا، وخرج السلطان وهو مريض مدنف [1]، مأيوس منه. فلما كانت ليلة الأحد، الرابع والعشرين من رمضان، جاء الخبر بأنه توفي في ثامن الشهر، فثار العيارون، فقتلوا العميدي، وسبعمائة من أصحابه، ونهبوا الأموال، وجعلوا يأكلون ويشربون على القتلي نهارا، حتى انسلخ الشهر، وأخذت البيعة بعده لولد أخيه سليمان بن داود، وكان طغرلبك قد نص عليه، وأوصي إليه لأنه كان قد تزوج بأمه، واتفقت الكلمة عليه، ولم يبق عليه خوف إلا من جهة أخي سليمان وهو الملك عضد الدولة ألب أرسلان محمد بن داود، فإن الجيش كانوا يميلون إليه، وقد خطب إليه أهل الجبل، ومعه نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق وزيره، ولما رأي الكندري قوة أمره، خطب له بالري، ثم من بعده لأخيه سليمان بن داود .

---

(١) الدنف: محركة: المرض الملازم، ودنف المريض: ثقل (دنف) القاموس .

وقد كان الملك طغرلبك عاقلا حليما،كثير الاحتمال، شديد الكتمان للسر، محافظا على الصلوات، وعلى صوم الاثنين والخميس،مواظبا على لبس البياض،وكان عمره يوم مات سبعين سنة، ولم يترك ولدا،وملكه بحضرة القائم بأمر الله سبع سنين،وأحد عشر شهرا،واثني عشر يوما،ولما مات،اضطربت الأحوال،وانتقضت الأمور بعده جدا،وعاثت الأعراب في سواد بغداد وأرض العراق، ينهبون، وتعذرت الزراعة إلا على المخاطرة، فانزعج الناس لذلك .

وفيها: كانت زلزلة عظيمة بواسط وأرض الشام، فهدمت قطعة من سور طرابلس. وفيها: وقع بالناس موتان بالجدري والفجأة، ووقع بمصر وباء شديد، كان يخرج منها كل يوم ألف جنازة. وفيها: ملك الصليحي صاحب اليمن مكة، وجلب الأقوات إليها، وأحسن إلى أهلها .

وفي أوائلها طلبت الست أرسلان، زوجة الخليفة، النقلة من عنده إلى عمها، وذلك لما هجرها، وبارت عنده [1]، فبعثها مع الوزير الكندري إلى عمها، فلما وصلت إليه، كان مريضا مدنفا، فأرسل إلى الخليفة يعتب عليه في تهاونه بها، فكتب الخليفة إليه ارتجالا :

ذهبـــتْ شِـــرّتي وولّـــى الغرامُ وارْتجَـــاعُ الشباب مـــا لا يرامُ

أذهبـــتْ مني الليـــالي جديـــدًا والليـــالي يضعـــفـــنَ والأيـــامُ

فعلى مـــا عهدتُهُ مـــن شبـــابي وعلـــى الغانيـــاتِ مِنِّـــي السلامُ

وممن توفي فيها من الأعيان :

زهير بن علي بن الحسن بن حزام

أبو نصر الحزامي، ورد بغداد، وتفقه على الشيخ أبي حامد الإسفراييني، وسمع بالبصرة سنن أبي داود، على القاضي أبي عمر، وحدث بالكثير، وكان يرجع إليه في الفتاوى وحل المشكلات، وكانت وفاته بسرخس فيها .

سعيد بن مروان

صاحب آمد، ويقال إنه: سم، فانتقم صاحب ميافارقين ممن سمه، فقطعه قطعا .

الملك أبو طالب

محمد بن ميكائيل بن سلجوق طغرلبك، كان أول ملوك السلاجقة، وكان خيرا مصليا، محافظا على الصلاة في أول وقتها، يديم صيام الاثنين والخميس، حليما عمن أساء إليه، كتوما للأسرار، سعيدا في حركاته وتقلباته، ملك في أيام مسعود بن محمود عامة بلاد خراسان، واستناب أخاه داود، وأخاه لأمه إبراهيم بن نيال، وأولاد إخوته، على كثير من البلاد. ثم

---

(١) انحط قدرها وأهمل شأنها .

استدعاه الخليفة إلى ملك بغداد كما تقدم ذلك كله مبسوطاً توفي في ثامن رمضان من هذه السنة، وله من العمر سبعون سنة، وكان له في الملك ثلاثون سنة، منها في ملك العراق، ثماني سنين إلا ثمانية عشر يوما .

ثم دخلت سنة ست وخمسين وأربعمائة

فيها : قبض السلطان ألب أرسلان على وزير عمه عميد الملك الكندري، وسجنه ببيته، ثم أرسل إليه من قتله، واعتمد في الوزارة على نظام الملك، وكان وزير صدق، يكرم العلماء والفقراء ولما عصي الملك شهاب الدولة قتلمش، وخرج عن الطاعة، وأراد أخذ ألب أرسلان خاف منه ألب أرسلان فقال له الوزير : أيها الملك، لا تخف، فإني قد استقدمت لك جندا ما بارزوا عسكرا إلا كسروه، كائنا ما كان. قال له الملك : من هم؟ قال : جند يدعون لك، وينصرونك، بالتوجه في صلواتهم وخلواتهم، وهم العلماء، والفقراء الصلحاء. فطابت نفس الملك بذلك، فحين التقى مع قتلمش، لم ينظره أن كسره، وقتل خلقا من جنوده، وقتل قتلمش في المعركة، واجتمعت الكلمة على ألب أرسلان .

وفيها : أرسل ولده ملكشاه، ووزيره نظام الملك هذا، في جنود عظيمة، إلى بلاد الكرخ، ففتحوا حصونا كثيرة، وغنموا أموالا جزيلة، وفرح المسلمون بنصرهم، وكتب كتاب ولده على ابنة الخان الأعظم، صاحب ما وراء النهر، وزفت إليه، وزوج ابنه الآخر بابنة صاحب غزنة، واجتمع شمل الملكين السلجوقي، والمحمودي .

وفيها : أذن ألب أرسلان للسيدة ابنة الخليفة في الرجوع إلى أبيها، وأرسل معها بعض القضاة والأمراء، فدخلت بغداد، في تجمل عظيم، وخرج الناس لينظروا إليها، فدخلت ليلا، ففرح الخليفة وأهلها بذلك، وأمر الخليفة بالدعاء لألب أرسلان على المنابر في الخطب، فقيل في الدعاء : اللهم، وأصلح السلطان المعظم، عضد الدولة، وتاج الملة ألب أرسلان، أبا شجاع محمد ابن داود. ثم أرسل الخليفة إلى الملك، بالخلع، والتقليد، مع الشريف نقيب النقباء، طراد بن محمد، وأبي محمد التميمي، وموفق الخادم، واستقر أمر السلطان ألب أرسلان على العراق. قال ابن الجوزي : وفي ربيع الأول شاع في بغداد أن قوما من الأكراد خرجوا يتصيدون، فرأوا في البرية خياما سودا، سمعوا بها لطما شديدا، وعويلا كثيرا، وقائلا يقول : قد مات سيدوك ملك الجن، وأي بلد لم يلطم به عليه، ولم يقم له مأتم فيه. قال : فخرج النساء العواهر من حريم بغداد إلى المقابر، يلطمن ثلاثة أيام، ويمزقن ثيابهن، وينشرن شعورهن، وخرج رجال من الفساق يفعلون ذلك، وفعل هذا بواسط، وخوزستان، وغيرها من البلاد، قال : وهذا من الحمق، لم ينقل مثله.قال ابن الجوزي: وفي يوم الجمعة ثاني عشر شعبان، هجم قوم من أصحاب عبد الصمد، علي أبي علي بن الوليد، المدرس للمعتزلة فسبوه،وشتموه، لامتناعه من الصلاة في الجامع،

وتدريسه للناس بهذا المذهب وأهانوه، وجروه، ولعنت المعتزلة في جامع المنصور، وجلس أبو سعيد ابن أبي عمامة، وجعل يلعن المعتزلة. وفي شوال، ورد الخبر أن السلطان غزا بلدا عظيما، فيه سبعمائة ألف دنليز [١] وألف بيعة ودير [٢] ، وقتل منهم خلقا كثيرا، وأسر خمسمائة ألف إنسان .

وفي ذي القعدة، حدث بالناس وباء شديد ببغداد وغيرها من بلاد العراق، وغلت أسعار الأدوية، وقل التمرهندي، وزاد الحر في تشارين، وفسد الهواء. وفي هذا الشهر، خلع على أبي الغنائم المعمر بن محمد عبيد الله العلوي بنقابة الطالبيين، وولاية الحج، والمظالم، ولقب بالظاهر ذي المناقب وقرئ تقليده في الموكب. وحج أهل العراق في هذه السنة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

ابن حزم الظاهري

هو الإمام الحافظ العلامة، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح ابن خلف بن معد بن سفيان بن يزيد، مولي يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي، أصل جده من فارس، أسلم، وخلف المذكور، وهو أول من دخل بلاد المغرب منهم، وكانت بلدهم قرطبة، فولد ابن حزم هذا بها، في سلخ رمضان، سنة أربع وثمانين وثلثمائة، فقرأ القرآن، واشتغل بالعلوم النافعة الشرعية، وبرز فيها، وفاق أهل زمانه، وصنف الكتب المشهورة، يقال : إنه صنف أربعمائة مجلد، في قريب من ثمانين ألف ورقة، وكان أديبا، طبيبا شاعرا، فصيحا، له في الطب، والمنطق كتب، وكان من بيت وزارة، ورياسة، ووجاهة، ومال، وثروة، وكان مصاحبا للشيخ أبي عمر بن عبد البر النمري، وكان مناوئا للشيخ أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، وقد جرت بينهما مناظرات يطول ذكرها. وكان ابن حزم كثير الوقيعة في العلماء، بلسانه، وقلمه، فأورثه ذلك حقدا في قلوب أهل زمانه، وما زالوا به حتى بغضوه إلى ملوكهم، فطردوه عن بلاده، حتى كانت وفاته في قرية له، في شعبان من هذه السنة، وقد جاوز التسعين .

والعجب كل العجب منه، أنه كان ظاهريا حائرا في الفروع، لا يقول: بشيء من القياس، لا الجلي، ولا غيره، وهذا الذي وضعه عند العلماء، وأدخل عليه خطأ كبيرا في نظره وتصرفه، وكان مع هذا من أشد الناس تأويلا، في باب الأصول، وآيات الصفات، وأحاديث الصفات، لأنه كان أولا، قد تضلع من علم المنطق، أخذه عن محمد بن الحسن المذحجي الكناني القرطبي، ذكره ابن ماكولا، وابن خلكان، ففسد بذلك حاله في باب الصفات .

عبد الواحد بن برهان بن علي بن برهان

أبو القاسم النحوي، كان شرس الأخلاق جدا، لم يلبس سراويل قط، ولا غطي رأسه، ولم يقبل غطاء لأحد، وذكر عنه: أنه كان يقبِّل المردان من غير ريبة. قال ابن عقيل : وكان

---

(١) دنليز: لم أجد هذه الكلمة فى قواميس اللغة. وربما: دهليز: جمع دهاليز: ما بين الباب والدار.فارسى معرب وهو المسلك الطويل الضيق .

(٢) بيعة: المعبد للنصارى واليهود. دير: مقام الرهبان، أو الراهبات .

على مذهب مرجئة المعتزلة، وينفي خلود الكفار في النار، ويقول : دوام العقاب في حق من لا يجوز عليه التشفي ، لا وجه له ، مع ما وصف الله به نفسه من الرحمة ، ويتأول قوله تعالى : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [التوبة ١٠٠] أي أبدا من الآباد. قال ابن الجوزي : وقد كان ابن برهان يقدح في أصحاب أحمد، ويخالف اعتقاد المسلمين، لأنه قد خالف الإجماع، ثم ذكر كلامه في هذا وغيره، والله أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة

فيها : سار جماعة من العراق إلى الحج بخفارة، فلم يمكنهم المسير، فعدلوا إلى الكوفة، ورجعوا. وفي ذي الحجة منها، شرع في بناء المدرسة النظامية، ونقض لأجلها دورًا كثيرة، من مشرعة الزوايا، وباب البصرة، وفيها : كانت حروب كثيرة، بين تميم بن المعز بن باديس، وأولاد حماد والعرب، والمغاربة، بصنهاجة، وزناتة، وحج بالناس من بغداد النقيب أبو الغنائم .

وفيها : كان مقتل عميد الملك الكندري، وهو منصور بن محمد أبو نصر الكندري، وزير طغرلبك، وكان مسجونا سنة تامة ، ولما قتل حمل فدفن عند أبيه، بقرية كندرة من عمل طريثيث – وليست بكندرة التي هي بالقرب من قزوين — واستحوذ السلطان على أمواله وحواصله، وقد كان ذكيا، فصيحا، شاعرا، لديه فضائل جمة، حاضر الجواب، سريعه. ولما أرسله طغرلبك إلى الخليفة يطلب ابنته، وامتنع الخليفة من ذلك، وأنشد متمثلا بقول الشاعر :

مَا كُلُّ ما يَتَمَنَّى المرءُ يُدْرِكُهُ

فأجابه الوزير تمام قوله :

تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لاَ تَشْتَهِي السُّفنُ

فسكت الخليفة، وأطرق. قتل عن نيف وأربعين سنة. ومن شعره قوله :

إنْ كانَ في النـــاسِ ضيقٌ عن منافستي ... فالموتُ قد وَسَّعَ الدُّنيـــا على الناس
مضيتُ والشـــامتُ المغبونُ يَتْبَعُنـــي ... كُلٌّ لكَأْسِ المنايا شاربُ حَاسِي[1]

وقد بعثه الملك طغرلبك يخطب له امرأة خوارزم شاه، فتزوجها هو، فخصاه الملك، وأمره على عمله، فدفن ذكره بخوارزم، وسفح دمه حين قتل بمرو الروذ، ودفن جسده بقريته، وحمل رأسه، فدفن بنيسابور، ونقل قحف رأسه إلى كرمان، وأنا أشهد أن الله جامع الخلائق إلى ميقات يوم معلوم، أين كانوا، وحيث كانوا، وعلى أي صفة كانوا، سبحانه وتعالى .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة

في يوم عاشوراء، أغلق أهل الكرخ دكاكينهم، وأحضروا نساء ينحن على الحسين، كما جرت به عادهم السالفة، في بدعتهم المتقدمة المخالفة، فحين وقع ذلك، أنكرته العامة، وطلب

---

(١) حاسي : حاسى الرجلُ المَرَق : اشْرَبَهُ إيَّاه شَيْئًا بعدَ شيء .

الخليفة أبا الغنائم، وأنكر عليه ذلك. فاعتذر إليه بأنه لم يعلم به، وأنه حين علم أزاله، وتردد أهل الكرخ إلى الديوان يعتذرون من ذلك، وخرج التوقيع بكفر من سب الصحابة وأظهر البدع. قال ابن الجوزي : في ربيع الأول، ولد بباب الأزج صبيّة لها رأسان، ووجهان، ورقبتان وأربع أيد على بدن كامل، ثم ماتت. قال : وفي جمادى الآخرة، كانت بخراسان زلزلة مكثت أياما، تصدعت منها الجبال، وهلك جماعة، وخسف بعدة قري، وخرج الناس إلى الصحراء، وأقاموا هنالك، ووقع حريق بنهر يعلي فاحترق مائة دكان، وثلاثة دور، وذهب للناس شيء كثير، ونهب بعضهم بعضا. قال ابن الجوزي : وفي شعبان، وقع قتال بدمشق، فأحرقوا دارا كانت قريبة من الجامع، فاحترق جامع دمشق. كذا قال ابن الجوزي. والصحيح المشهور، أن حريق جامع دمشق، إنما هو في ليلة النصف من شعبان، سنة إحدي وستين وأربعمائة، بعد ثلاث سنين، مما قال وأن غلمان الفاطميين اقتتلوا مع غلمان العباسيين فألقيت نار بدار الإمارة وهي الخضراء فاحترقت، وتعدي حريقها حتى وصل إلى الجامع، فسقطت سقوفه، وبادت زخرفته،وتلف رخامه، وبقي كأنه خربة، وبادت الخضراء، فصارت كوما من تراب، بعد ما كانت في غاية الإحكام، والإتقان، وطيب الفناء، ونزهة المجالس، وحسن المنظر، فهي إلى يومنا هذا لا يسكنها لرداءة مكانها إلا سفلة الناس وأسقاطهم، بعد ما كانت دار الخلافة، والملك والإمارة، منذ أسسها معاوية بن أبي سفيان، وأما الجامع الأموي، فإنه لم يكن على وجه الأرض، شيء أحسن منه، ولا أبهى منظرا، إلى أن احترق، فبقي خرابا مدة طويلة، ثم شرع الملوك في تجديده وترميمه، حتى بلط في زمن العادل أبي بكر بن أيوب، ولم يزالوا في تحسين معالمه إلى زماننا هذا، فتماثل، وهو بالنسبة إلى حاله الأول كلا شيء، ولا زال التحسين فيه إلى أيام الأمير سيف الدين بتكترين عبد الله الناصري، في حدود سنة ثلاث وسبعمائة وما قبلها، وما بعدها بيسير .

وفيها: رخصت الأسعار ببغداد، رخصاً كثيراً، ونقصت دجلة نقصا بينا: وفيها أخذ الملك ألب أرسلان العهد بالملك من بعده، لولده ملكشاه، ومشي بين يديه بالغاشية، والأمراء يمشون بين يديه، وكان يوماً مشهوداً. وحج بالناس فيها، نور الهدي أبو طالب الحسين بن نظام الحضرتين الزينبي، وجاور بمكة .

فيها توفي من الأعيان :

الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي

أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى أبو بكر البيهقي، له التصانيف التي سارت بها الركبان إلى سائر الأمصار، ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وكان أوحد أهل زمانه، في الإتقان ، والحفظ ، والفقه، والتصنيف كان فقيها، محدثا، أصوليا، أخذ العلم عن الحاكم أبي عبد الله النيسابوري، وسمع على غيره شيئا كثيرا، وجمع أشياء كثيرة نافعة لم يسبق إلى مثلها،

ولا يدرك فيها، منها كتاب (السنن الكبير) ، و(نصوص الشافعي) ، كل في عشرة مجلدات، و(السنن الصغير) ، و(الآثار) ، و(المدخل) ، و(الآداب) ، و(شعب الإيمان) ، و(الخلافيات) ، و(دلائل النبوة) ، و(البعث والنشور) ، وغير ذلك من المصنفات الكبار والصغار المفيدة، التي لا تسامي، ولا تداني، وكان زاهدا، متقللا من الدنيا، كثير العبادة والورع، توفي بنيسابور، ونقل تابوته إلى بيهق في جمادى الأولى منها .

الحسن بن غالب

ابن علي بن غالب بن منصور بن صعلوك، أبو علي التميمي، ويعرف بابن المبارك المقري، صحب أبو سمعون، وقرأ القرآن على حروف أنكرت عليه، وجرب عليه الكذب، إما عمداً وإما خطأ، واتهم في رواية كثيرة، وكان أبو بكر القزويني ممن ينكر عليه، وكتب عليه محضر بعدم الإقراء بالحروف المنكرة، قال أبو محمد السمرقندي : كان كذابا؛ توفي فيها عن ثنتين وثمانين سنة، ودفن عند إبراهيم الحربي . قال ابن خلكان : أخذ الفقه عن أبي الفتح نصر بن محمد العمري المروزي، ثم غلب عليه الحديث، واشتهر به، ورحل في طلبه .

القاضي أبو يعلى بن الفرا الحنبلي

محمد بن الحسن بن محمد بن خلف بن أحمد الفرا القاضي أبو يعلى شيخ الحنابلة، وممهد مذهبهم في الفروع، ولد في محرم، سنة ثمانين وثلاثمائة، وسمع الحديث الكثير، وحدث عن ابن حبابة . قال ابن الجوزي: وكان من سادات العلماء الثقات، وشهد عند ابن ماكولا، وابن الدامغاني، فقبلاه، وتولي النظر في الحكم بحريم الخلافة، وكان إماما في الفقه، له التصانيف الحسان الكثيرة في مذهب أحمد، ودرس، وأفتي سنين، وانتهت إليه رياسة المذهب، وانتشرت تصانيفه، وأصحابه، وجمع الإمامة، والفقه، والصدق، وحسن الخلق، والتعبد، والتقشف، والخشوع، وحسن السمت، والصمت عما لا يعني، توفي في العشرين من رمضان منها، عن ثمان وستين سنة، واجتمع في جنازته القضاة والأعيان، وكان يوما حارا، فأفطر بعض من اتبع جنازته، وترك من البنين عبيد الله أبا القاسم، وأبا الحسين، وأبا حازم، ورآه بعضهم في المنام، فقال: ما فعل الله بك؟ فقال: رحمني، وغفر لي، وأكرمني، ورفع منـــزلتي وجعل يعد ذلك بأصبعه، فقال: أبالعلم ؟ فقال: بل بالصدق .

ابن سيده

صاحب « المحكم » في اللغة، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، كان إماما حافظا في اللغة،وكان ضرير البصر، أخذ علم العربية واللغة عن أبيه، وكان أبوه ضريرا أيضا، واشتغل على أبي العلاء صاعد البغدادي، وله المحكم في مجلدات عديدة، وله (شرح الحماسة) في ستة مجلدات، وغير ذلك، وقرأ على الشيخ أبي عمر المالكي كتاب الغريب، لأبي عبيد سردا من

حفظه فتعجب الناس لذلك، وكان الشيخ يقابل بما يقرأ في الكتاب فسمع الناس بقراءته من حفظه. توفي في ربيع الأول منها، وله ستون سنة، وقيل: إنه توفي في سنة ثمان وأربعين، والأول أصح، والله أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمائة

فيها : بنى أبو سعيد المستوفي، الملقب بشرف الملك، مشهد الإمام أبي حنيفة النعمان ببغداد، وعقد عليه قبة، وعمل بإزائه مدرسة، فدخل أبو جعفر بن البياضي زائرا لأبي حنيفة، فأنشد :

أَلَمْ تَرَ أنَّ العلـمَ كـان مُضَيّـعاً فجمَّعـه هـذا المغيَّبُ في اللحدِ
كذلكَ كانتْ هذه الأرضُ ميتـةً فأنْشَرَها جودُ العميدِ أبي السـعدِ

وفيها هبت ريح حارة، فمات بسببها خلق كثير، وورد أن ببغداد تلف شجر كثير من الليمون والأترج . وفيها : احترق قبر معروف الكرخي، وكان سببه أن القيم طبخ له ماء الشعير لمرضه، فتعدت النار إلى الأخشاب، فاحترق المشهد بكامله. وفيها وقع غلاء وفناء بدمشق، وحلب، وحران، وأعمال خراسان بكمالها، ووقع الفناء في الدواب: كانت تنتفخ رؤسها، وأعينها، حتى كان الناس يأخذون حمر الوحش بالأيدي، وكانوا يأنفون من أكلها .

قال ابن الجوزي في « المنتظم » : وفي يوم السبت عاشر ذي القعدة، جمع العميد أبو سعد الناس ليحضروا الدرس بالنظامية ببغداد، وعين لتدريسها ومشيختها الشيخ أبا إسحاق الشيرازي، فلما تكامل اجتماع الناس، وجاء أبو إسحاق ليدرس، لقيه فقيه شاب، فقال: يا سيدي أتذهب تدرس في مكان مغصوب؟. فامتنع أبو إسحاق من الحضور، ورجع إلى بيته، فأقيم الشيخ أبو نصر الصباغ، فدرس، فلما بلغ نظام الملك ذلك تغيظ على العميد، وأرسل إلى الشيخ أبي إسحاق، فرده إلى التدريس بالنظامية، في ذي الحجة من هذه السنة، وكان لا يصلي فيها مكتوبة، بل كان يخرج إلى بعض المساجد فيصلي لما بلغه من أنها مغصوبة، وقد كان مدة تدريس ابن الصباغ فيها عشرين يوما، ثم عاد أبو إسحاق إليها .

وفي ذي القعدة من هذه السنة، قتل الصليحي أمير اليمن وصاحب مكة، قتله بعض أمراء اليمن، وخطب للقائم بأمر الله العباسي . وفيها حج بالناس أبو الغنائم النقيب .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن إسماعيل بن محمد

أبو علي الطرسوسي، ويقال له: العراقي، لظرفه، وطول مقامه بها، سمع الحديث من أبي طاهر المخلص، وتفقه على أبي محمد الباقي، ثم على الشيخ أبي حامد الإسفراييني، وولي قضاء بلدة طرسوس، وكان من الفقهاء الفضلاء المبرزين .

ثم دخلت سنة ستين وأربعمائة

قال ابن الجوزي: في جمادى الأولى، كانت زلزلة بأرض فلسطين، أهلكت بلد الرملة، ورُمَّتْ شراريف [1] من مسجد رسول الله ولحقت وادي الصفر وخيبر، وانشقت الأرض عن كنوز كثيرة من المال، وبلغ حسُّها إلى الرحبة والكوفة، وجاء كتاب بعض التجار فيه ذكر هذه الزلزلة، وذكر فيه أنها خسفت الرملة جميعا، حتى لم يسلم منها إلا داران فقط، وهلك منها خمس عشرة ألف نسمة، وانشقت صخرة بيت المقدس، ثم عادت فالتأمت، وغار البحر مسيرة يوم، وساخ في الأرض، وظهر في مكان الماء أشياء من جواهر وغيرها، ودخل الناس في أرضه يلتقطون، فرجع عليهم، فأهلك كثيرا منهم، أو أكثرهم . وفي يوم النصف من جمادى الآخرة، قرئ الاعتقاد القادري، الذي فيه مذهب أهل السنة، والإنكار على أهل البدع، وقرأ أبو مسلم الليثي البخاري المحدث كتاب التوحيد لابن خزيمة على الجماعة الحاضرين وذكر بمحضر من الوزير ابن جهير، وجماعة الفقهاء، وأهل الكلام، واعترفوا بالموافقة، ثم قرئ الاعتقاد القادري على الشريف أبي جعفر بن المقتدي بالله بباب البصرة، وذلك لسماعه له من الخليفة القادر بالله مصنفه .

وفيها: عزل الخليفة وزيره أبا نصر محمد بن محمد بن جهير، الملقب فخر الدولة، وبعث إليه يعاتبه في أشياء كثيرة، فاعتذر منها، وأخذ في الترفق، والتذلل، فأجيب بأن يرحل إلى أي جهة شاء، فاختار ابن مزيد، فباع أصحابه أملاكهم، وطلقوا نساءهم، وأخذ أولاده وأهله، وجاء ليركب في سفينة، لينحدر منها إلى الحلة، والناس حوله يتباكون لبكائه، فلما اجتاز بدار الخلافة، قبل الأرض دفعات، والخليفة في الشباك، والوزير يقول: يا أمير المؤمنين، ارحم شيبتي وغربتي، وأولادي . فأعيد إلى الوزارة، بشفاعة دبيس بن مزيد في السنة الآتية، وامتدحه الشعراء، وفرح الناس برجوعه إلى الوزارة، وكان يوما مشهودا .

فيها توفي من الأعيان :

عبد الملك بن محمد بن يوسف بن منصور

الملقب بالشيخ الأجل، كان أوحد زمانه بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والمبادرة إلى فعل الخيرات، واصطناع الأيادي عند أهلها من أهل السنة، مع شدة القيام على أهل البدع ولعنهم، وافتقاد المستورين، بالبر والصدقة ، وإخفاء ذلك جهده وطاقته، ومن غريب ما وقع له:

أنه كان يصل إنسانا في كل يوم بعشرة دنانير، كان يكتب بها معه إلى ابن رضوان، فلما توفي الشيخ جاء الرجل إلى ابن رضوان، فقال: ادفع إلي ما كان يصرف لي الشيخ فقال له ابن رضوان: إنه قد مات ولا أصرف لك شيئا فجاء الرجل إلى قبر الشيخ الأجل، فقرأ شيئا من

---

(١) شراريف : شَرَّفَ البيت جعل له شُرَفًا . وهو ما علا وارتفع.

القرآن، ودعا له، وترحم عليه، ثم التفت، فإذا هو بكاغد فيه عشرة دنانير، فأخذها، وجاء بها إلى ابن رضوان، فذكر له ما جرى له، فقال: هذه سقطت مني اليوم عند قبره، فخذها، ولك عندي في كل يوم مثلها . توفي في نصف المحرم منها عن خمس وستين سنة، وكان يوم موته يوما مشهودا، حضره خلق لا يعلم عددهم إلا الله عزّ وجلّ، فرحمه الله تعالى .

أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي

فقيه الشيعة، ودفن في مشهد علي، وكان مجاورا به حتى أحرقت داره بالكرخ وكتبه سنة ثمان وأربعين إلى محرم هذه السنة، فتوفي، ودفن هناك .

خديجة بنت محمد بن علي بن عبد الله

الواعظة المعروفة بالشاهجانية ولدت سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وكانت صالحة صادقة وكانت قد صحبت ابن سمعون وروت عنه وعن ابن شاهين ودفنت إلى جانب ابن سمعون رحمها الله .

أبو القاسم بن عمر بن محمد بن أحمد بن عكرمة البرزي الجريري

شيخ الشافعية بها وكان يلقب زين الدين جمال الإسلام دخل بغداد وأخذ عن الكيا الهراسي والغزالي والشاسي صاحب « المستظهر » وجمع كتابا على المهذب وذكر فيه إشكالات وأسئلة وأسماء رجاله ولغته وهو في مجلد على ذكره القاضي بن خلكان و رحلت إليه الطلبة من كل ناحية وكان أحفظ الناس في وقته لمذهب الشافعي وتوفي في هذه السنة .

ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة

في ليلة النصف من شعبان منها، كان حريق جامع دمشق، وكان سببه أن غلمان الفاطميين والعباسيين اختصموا فيما بينهم، فألقيت نار بدار الملك، وهي الخضراء، المتاخمة للجامع، من جهة القبلة، فاحترقت، وسري الحريق إلى الجامع، فسقطت سقوفه، وتناثرت فصوصه المذهبة، وتغيرت معالمه، وتقلعت الفسيفساء التي كانت في أرضه، وعلي جدرانه، وتبدلت بهجته بضدها ، وقد كانت سقوفه مذهبة كلها، والجملونات من فوقها، وجدرانه مذهبة، ملونة، مصور فيها جميع بلاد الدنيا، بحيث إن الإنسان إذا أراد أن يتفرج في إقليم، أو بلد، وجده في الجامع مصورا كهيئته، فلا يسافر إليه، ولا يعنّي في طلبه، فقد وجده من قرب الكعبة، ومكة فوق المحراب، والبلاد كلها شرقا وغربا، كل إقليم في مكان لائق به، ومصور فيه كل شجرة مثمرة، وغير مثمرة، مصور مشكلة في بلدانه، وأوطانه، والستور مرخاة على أبوابه النافذة إلى الصحن، وعلي أصول الحيطان، إلى مقدار الثلث منها ستور، وباقي الجدران بالفصوص الملونة، وأرضه كلها بالفصوص، ليس فيها بلاط، بحيث إنه لم يكن في الدنيا بناء أحسن منه، لا قصور الملوك، ولا دور الخلافاء فضلا عن غيرها، ثم لما وقع هذا الحريق فيه، تبدل الحال الكامل بضده، وصارت أرضه طينا في زمن الشتاء، وغبارا في زمن الصيف، محفورة

مهجورة، ولم يزل كذلك حتى بلط في زمن العادل أبي بكر بن أيوب بعد الستمائة سنة من الهجرة، وكان جميع ما سقط منه من الرخام، والفصوص، والأخشاب، وغيرها، مودعا في المشاهد الأربعة، حتى فرغها من ذلك كمال الدين الشهرزوري، في زمن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي، حين ولاه نظره، مع القضاء، ونظر الأوقاف كلها، ونظر دار الضرب، وغير ذلك، ولم تزل الملوك تجدد في محاسنه إلى زماننا هذا، فتقارب حاله في زمن تنكيز نائب الشام أثابه الله تعالى، وقد تقدم أن ابن الجوزي أرخ ما ذكرنا في سنة ثمان وخمسين، وتبعه ابن الساعي أيضا في هذه السنة، وكذلك شيخنا الذهبي مؤرخ الإسلام في تاريخه، وغير واحد والله أعلم .

وفيها: نقمت الحنابلة، على الشيخ أبي الوفا بن عقيل، وهو من كبرائهم، بتردده إلى أبي على بن الوليد، المتكلم، المعتزلي، واتهموه بالاعتزال، وإنما كان يتردد إليه ليحيط علما بمذهبه، ولكن شرقه الهوي، فشرق شرقة كادت روحه تخرج معها، وصارت فيه نزعة منه، وجرت بينه وبينهم فتنة طويلة، وتأذي بسببها جماعة منهم، وما سكنت الفتنة بينهم إلى سنة خمس وستين، ثم اصطلحوا فيما بينهم بعد اختصام كبير .

وفيها: زادت دجلة على إحدى وعشرين ذراعا حتى دخل الماء مشهد أبي حنيفة .وفيها: ورد الخبر بأن الأفشين، دخل بلاد الروم، حتى انتهي إلى غورية، فقتل خلقا، وغنم أموالا كثيرة، وفيها كان رخص عظيم في الكوفة، حتى بيع السمك كل أربعين رطلا بحبة . وفيها حج بالناس أبو الغنائم العلوي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الفوراني صاحب الإبانة

أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران الفوراني، المروزي، أحد أئمة الشافعية، ومصنف الإبانة، التي فيها من النقول الغريبة، والأقوال، والأوجه، التي لا توجد إلا فيها، كان بصيرا بالأصول، والفروع، أخذ الفقه عن أبي بكر القفال، وحضر إمام الحرمين عنده وهو صغير فلم يلتفت إليه، فصار في نفسه منه، فهو يخطئه كثيرا في النهاية . قال ابن خلكان: فمتى قال في النهاية: وقال بعض المصنفين كذا، وغلط في ذلك، وشرع في الوقوع فيه، فمراده أبو القاسم الفوراني . توفي الفوراني في رمضان منها بمرو، عن ثلاث وسبعين سنة، وقد كتب تلميذه أبو سعد عبد الرحمن بن محمد المأمون المقري مدرس بالنظامية، بعد أبي إسحاق، وقبل ابن الصباغ، وبعده أيضا، كتابا على الإبانة، فسماه تتمة الإبانة، انتهي فيه إلى كتاب الحدود، ومات قبل إتمامه، فتممه أسعد العجلي، وغيره، لم يلحقوا شأوه، ولا حاموا حوله، وسموه (تتمة التتمة) .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين وأربعمائة

قال ابن الجوزي: فمن الحوادث فيها: أنه كان على ثلاث ساعات، في يوم الثلاثاء، الحادي عشر من جمادى الأولي، وهو ثامن وعشرين من أذار، كان زلزلة عظيمة بالرملة وأعمالها،

فذهب أكثرها، وانهدم سورها، وعم ذلك بيت المقدس، ونابلس، وانخسفت إيليا، وجفل البحر حتى انكشفت أرضه، ومشي ناس فيه، ثم عاد وتغير، وانهدم إحدى زوايا جامع مصر، وتبعت هذه الزلزلة في ساعتها زلزلتان أخريان . وفيها: توجه ملك الروم من قسطنطينية إلى الشام في ثلثمائة ألف مقاتل، فنـزل على منبج، وأحرق القرى ما بين منبج إلى أرض الروم، وقتل رجالهم، وسبي نساءهم وأولادهم، وفزع المسلمون بحلب، وغيرها، منه فزعا عظيما، فأقام ستة عشر يوما، ثم رده الله خاسئا وهو حسير، وذلك لقلة ما معهم من الميرة، وهلاك أكثر جيشه بالجوع، ولله الحمد والمنة .

وفيها: ضاقت النفقة على أمير مكة، فأخذ الذهب من أستار الكعبة، والميزاب وباب الكعبة، فضرب ذلك دراهم ودنانير، وكذا فعل صاحب المدينة بالقناديل التي في المسجد النبوي.
وفيها: كان غلاء شديد بمصر فأكلوا الجيف، والميتات، والكلاب، فكان يباع الكلب بخمسة دنانير، وماتت الفيلة، فأكلت ميتاتها، وأفنيت الدواب، فلم يبق لصاحب مصر، سوي ثلاثة أفراس، بعد أن كان له العدد الكثير من الخيل والدواب، ونزل الوزير يوما عن بغلته، فغفل الغلام عنها لضعفه من الجوع، فأخذها ثلاثة نفر، فذبحوها،وأكلوها، فأخذوا، فصلبوا، فما أصبحوا إلا وعظامهم بادية وقد أخذ الناس لحومهم فأكلوها، وظهر على رجل يقتل الصبيان والنساء، ويدفن رءوسهم، وأطرافهم، ويبيع لحومهم، فقتل، وأكل لحمه، وكانت الأعراب يقدمون بالطعام، يبيعونه في ظاهر البلد، لا يتجاسرون يدخلون لئلا يخطف وينهب منهم، وكان لا يجسر أحد أن يدفن ميته نهارا، وإنما يدفنه ليلا خفية، لئلا ينبش فيؤكل . واحتاج صاحب مصر، حتى باع أشياء من نفائس ما عنده، من ذلك أحد عشر ألف درع، وعشرون ألف سيف محلى، وثمانون ألف قطعة بلور كبار، وخمسة وسبعون ألف قطعة من الديباج القديم، وبيعت ثياب النساء والرجال، وغير ذلك، بأرخص الأثمان، وكذلك الأملاك وغيرها، وقد كان بعض هذه النفائس للخليفة، مما نهب من بغداد أيام البساسيري .

وفيها: وردت التقادم من الملك ألب أرسلان إلى الخليفة. وفيها اسم ولي العهد ابن الخليفة على الدنانير والدراهم، ومنع التعامل بغيرها، وسمي المضروب عليه الأميري . وفيها ورد كتاب صاحب مكة إلى الملك ألب أرسلان، وهو بخراسان، يخبره بإقامة الخطبة بمكة، للقائم بأمر الله، وللسلطان، وقطع خطبة المصريين، فأرسل إليه بثلاثين ألف دينار، وخلعة سنية، وأجري له في كل سنة عشرة آلاف دينار . وفيها تزوج عميد الدولة ابن جهير، بابنة نظام الملك بالريّ وحج بالناس أبو الغنائم العلوي .
وفيها توفي من الأعيان والمشاهير:

الحسن بن علي

ابن محمد أبو الجوائز الواسطي، سكن بغداد دهرا طويلا، وكان شاعرا، أديبا، ظريفا، ولد سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة، ومات في هذه السنة، عن مائة وعشر سنين . ومن مستجاد شعره قوله :

واحســـرتى مـــن قَوْلِهـــا قـــد خـــانَ عهدي ولها
وحـــقٌ مَـــنْ صيّرَني وقفـــاً عليهـــا ولهـــا
مـــا خَطَـــرتْ بخاطـــري إلا كَسَـــتْني وَلَهـــا

محمد بن أحمد بن سهل

المعروف بابن بشران النحوي الواسطي، ولد سنة ثمانين وثلاثمائة، وكان عالما بالأدب، وانتهت إليه الرحلة في اللغة، وله شعر حسن، فمنه قوله :

يـــا شـــائداً للقصـــور مَهْـــلاً أقصـــرْ فقصـــرُ الفتى الممات
لم يجتمـــعْ شملُ أهـــلَ قصـــرٍ إلاّ قُصَـــارَاهـــم الشـــتات
وإنّما العيـــشُ مثـــلُ ظـــلٍّ مُنْتَقِـــلٍ مَـــا لَهُ ثَبَـــاتِ

ومن قوله:

ودّعْتهـــم وليَ الدّنيـــا مودعةٌ ورحتُ ما لى سوي ذكراهُم وطرُ
وقلتُ: يا لـــذّتي بِيني لِبَيْنِهـــم كـــأنّ صفوَ حياتي بعدهم كدرُ
لولا تعللُ قلـــبي بالـــرجاءِ لهم ألفيتُه إنْ حَدُوا بالعيسِ [1] ينفطرُ
ياليتَ عيسَهمُ يومَ النوي نُحرَتْ أوْ لَيْتَهـــا للضواري بالفلا جزرُ
يا ساعةَ البينِ أنتِ الساعةُ اقْتَرَبْتِ يا لوعـــةَ البينِ أنتِ النارُ تستعرُ

ومن ذلك قوله أيضا :

طلبـــتُ صديقًا في البرية كُلّها فَأعْيَـــا طلابي أن أصيبَ صديقا
بلى مـــن سمّى بالصـــديقِ مجازهُ و لم يَـــكُ في معنى الودادِ صدوقا
فطلّقتُ وُدَّ العـــالمين ثـــلاثـــةً وأصبحتُ مِنْ أسْرِ الحفاظِ طليقا

ثم دخلت سنة ثلاث وستون وأربعمائة

وفيها: أقبل ملك الروم أرمانوس، في جحافل أمثال الجبال، من الروم، والكرخ، والفرنج، وعدد عظيم، وعُدد، ومعه خمسة وثلاثون ألفا من البطارقة، مع كل بطريق مائتا ألف فارس، ومعه من الفرنج خمسة وثلاثون ألفا، ومن الغزاة الذين يسكنون القسطنطينية خمسة عشر ألفا،

---

(١) حدوا : حدا رفع صوته بالحداء – للإبل – ساقها وغنّى لها فهو حادٍ جمع حُدَاة .
العيس : الإبل يخالط بياضها سواد خفيف – كِرَامُ الإبل – .

ومعه مائة ألف نقّاب، وحفار، وألف روزجاري، ومعه أربعمائة عجلة تحمل النعال والمسامير، وألفا عجلة تحمل السلاح والسروج والغرادات والمناجيق، منها منجنيق عدة ألف ومائتا رجل، ومن عزمه ــ قبحه الله ــ أن يبيد الإسلام وأهله ، وقد أقطع بطارقته البلاد حتى بغداد، واستوصي نائبها بالخليفة خيرا، فقال له:ارفق بذلك الشيخ، فإنه صاحبنا . ثم إذا استوثقت ممالك العراق وخراسان لهم، مالوا على الشام وأهله ميلة واحدة، فاستعادوه من أيدي المسلمين،والقدر يقول: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر : ٧٢] فالتقاه السلطان ألب أرسلان في جيشه، وهم قريب من عشرين ألفا، بمكان يقال له: الزهوة، في يوم الأربعاء، لخمس بقين من ذي القعدة، وخاف السلطان من كثرة جند ملك الروم، فأشار عليه الفقيه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري، بأن يكون وقت الوقعة يوم الجمعة بعد الزوال، حين يكون الخطباء يدعون للمجاهدين، فلما كان ذلك الوقت، وتواقف الفريقان، وتواجه الفتيان، نزل السلطان عن فرسه، وسجد لله عزّ وجلّ، ومرغ وجهه في التراب، ودعا الله تعالى،واستنصره، فأنزل نصره على المسلمين، ومنحهم أكتاف المشركين ، فقتلوا منهم خلقا لا يحصون كثرة، وأسر ملكهم أرمانوس، أسره غلام رومي فأمره السلطان وأعطاه شيئا كثيرا وقد كان هذا الغلام عرض على نظام الملك الوزير في جملة تقدمه فلم يقبله فقال له : سيدك إنه وإنه يثني عليه فرضه وقال : كهيئة المستهزئ به لعله يجيئنا بملك الروم أرمانوس أسيرا فوقع الأمر كما قال ولله الحمد والمنة، فلما أوقف أرمانوس بين يدي الملك ألب أرسلان ضربه بيده ثلاث مقارع، وقال: لو كنت أنا الأسير بين يديك، ما كنت تفعل؟ قال: كل قبيح . قال: فما ظنك بي؟ فقال: إما أن تقتل وتشهرني في بلادك، وإما أن تعفو وتأخذ الفداء وتعيدني . قال: ما عزمت على غير العفو والفداء . فافتدي نفسه منه بألف ألف دينار، وخمسمائة ألف دينار . فقام بين يدي الملك، وسقاه شربة من ماء، وقبل الأرض بين يديه، وقبل الأرض إلى جهة الخليفة إجلالا وإكراما، وأطلق له الملك عشرة آلاف دينار ليتجهز بها، وأطلق معه جماعة من البطارقة، وشيعه فرسخا، وأرسل معه جيشا يخدمونه ويحوطونه ويحفظونه إلى بلاده، ومعهم راية مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله، فلما انتهي إلى بلاده، وجد الروم قد ملكوا عليهم غيره، فأرسل إلى السلطان يعتذر إليه، وبعث من الذهب، والجواهر ما يقارب ثلاثمائة ألف دينار، وتزهد، ولبس الصوف، ثم استغاث بملك الأرمن، فأخذه، وكحله [1]، وأرسله إلى السلطان، يتقرب إليه بذلك .

وفيها : خطب محمود بن صالح بن مرداس للقائم، وللسلطان ألب أرسلان، فبعث إليه الخليفة بالخلع ، والهدايا، والتحف ، والعهد مع طراد. وفيها : حج بالناس أبو الغنائم العلوي، وخطب بمكة للقائم ، وقطعت خطبة المصريين منها ، وكان يخطب لهم فيها من نحو مائة سنة ، فانقطع ذلك .

---

(١) كحله: سمل عينيه .

وفيها توفي من الأعيان :

أبو بكر الخطيب البغدادي

أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي : أحد مشاهير الحفاظ، وصاحب (تاريخ بغداد) ، وغيره من المصنفات العديدة المفيدة، نحو من ستين مصنفا، ويقال: بل مائة مصنف . فالله أعلم. ولد سنة إحدى وتسعين وثلثمائة، وقيل: سنة ثنتين وتسعين، وأول سماعه سنة ثلاث وأربعمائة، ونشأ ببغداد، وتفقه على أبي طالب الطبري، وغيره من أصحاب الشيخ أبي حامد الإسفراييني، وسمع الحديث الكثير، ورحل إلى البصرة، ونيسابور، وأصبهان، وهمذان، والشام، والحجاز، وسمي الخطيب، لأنه كان يخطب بدرب ريحان، وسمع بمكة على القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، وقرأ صحيح البخاري على كريمة بنت أحمد في خمسة أيام، ورجع إلى بغداد، فحظي عند الوزير أبي القاسم بن مسلمة، ولما ادعي اليهود الخيابرة أن معهم كتابا نبويا فيه إسقاط الجزية عنهم، أوقف ابن مسلمة الخطيب على هذا الكتاب . فقال: هذا كذب. فقال له: وما الدليل على كذبه؟ فقال: لأن فيه شهادة معاوية بن أبي سفيان، ولم يكن أسلم يوم خيبر، وقد كانت خيبر في سنة سبع من الهجرة، وإنما أسلم معاوية يوم الفتح، وفيه شهادة سعد ابن سعاذ، وقد مات قبل خيبر، عام الخندق سنة خمس . فأعجب الناس ذلك . وقد سبق الخطيب إلى هذا النقل، سبقه محمد بن جرير، كما ذكرت ذلك في مصنف مفرد، ولما وقعت فتنة البساسيري ببغداد سنة خمسين، خرج إلى الشام، فأقام بدمشق، بالمأذنة الشرقية من جامعها، وكان يقرأ على الناس الحديث النبوي، وكان جهوري الصوت، يسمع صوته من أرجاء الجامع كلها، فاتفق أنه قرأ على الناس يوما فضائل العباس، فثار عليه الروافض من أتباع الفاطميين، فأرادوا قتله، فتشفع بالشريف الزيني، فأجاره، وكان مسكنه بدار العقبقي، ثم خرج من دمشق، فأقام بمدينة صور، فكتب شيئا كثيرا من مصنفات أبي عبد الله الصوري، بخطه، كان يستعيرها من زوجته، فلم يزل مقيما بالشام إلى سنة ثنتين وستين، ثم عاد إلى بغداد، فحدث بأشياء من مسموعاته، وقد كان سأل الله أن يملك ألف دينار، وأن يحدث بالتاريخ بجامع المنصور، فملك ألف دينار، أو ما يقاربها ذهبا، وحين احتضر كان عنده قريب من مائتي دينار، فأوصي بها لأهل الحديث، وسأل السلطان أن يمضي ذلك، فإنه لا يترك وارثا فأجيب إلى ذلك، وله مصنفات كثيرة مفيدة، منها (كتاب التاريخ) ، و (كتاب الكفاية) ، و (الجامع) ، و(شرف أصحاب الحديث)، و (المتفق والمفترق) ، و(السابق واللاحق) ، و (تلخيص المتشابه في الرسم) ، و(فضل الوصل) ، و (رواية الآباء عن الأبناء) ، و (رواية الصحابة عن التابعين) ، و (اقتضاء العلم للعمل) ، و(الفقيه والمتفقه) ، وغير ذلك . وقد سردها الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي في (المنتظم) . قال : ويقال: إن هذه المصنفات، أكثرها لأبي عبد الله الصوري، أو ابتدأها فتممها الخطيب وجعلها لنفسه، وقد كان الخطيب حسن القراءة، فصيح اللفظ، عارفا بالأدب، يقول الشعر، وكان أولا يتكلم على

مذهب الإمام أحمد بن حنبل، فانتقل عنه إلى مذهب الشافعي، ثم صار يتكلم في أصحاب أحمد، ويقدح فيهم ما أمكنه، وله دسائس عجيبة في ذمهم، ثم شرع ابن الجوزي ينتصر لأصحاب أحمد، ويذكر مثالب الخطيب ودسائسه، وما كان عليه من محبة الدنيا والميل إلى أهلها، بما يطول ذكره، وقد أورد ابن الجوزي من شعر . قصيدة جيدة المطلع، حسنة المنزع، أولها قوله :

لَعَمْرُكَ ما شجاني رسمُ دارٍ ... وقفتُ به ولا رسمُ المغاني
ولا أثرُ الخيامِ أراقَ دمعي ... لأجلِ تذكُّري عهدَ الغواني
ولا مَلَكَ الهوى يوماً قيادي ... ولا عاصيتُه فثنى عنَاني
عرفتُ فعالَه بذوي التصابي ... وما يلقَوْنَ من ذُلِّ الهوانِ
ولم أطمعْه فيّ وكَمْ قتيلٍ ... له في الناس ما تحصى دعاني
طلبتُ أخاً صحيحَ الودِّ محضاً ... سليمَ الغيبَ محفوظَ اللسانِ
فلم أعرفْ منَ الإخوانِ إلا ... نفاقاً في التباعدِ والتداني
وعالَمُ دَهْرِنا لا خيرَ فيهم ... ترى صوَرًا تروقُ بلا معاني
ووصفُ جميعِهم هذا فما ... أن أقولَ سوى فلانٍ أو فلانِ
ولمّا لم أجدْ حُرّاً يواتي ... على ما نابَ من صرفِ الزمانِ
صبرتُ تكرماً لفراغ دهري ... ولم أجزعْ لما منه دهاني
ولم أكُ في الشدائد مُستكيناً ... أقولُ لها : ألاَ كُفّي كفاني
ولكنّي صليبُ العودِ عودٌ ... ربيطُ الجأشِ مجتمعُ الجنانِ
أبيُّ النفسِ لا أختارُ رزقاً ... يجيءُ بغيرِ سَيْفي أو سِنَاني
فعزٌّ في لظى باغيه يهوي ... ألذُّ من المذلّةِ في الجنانِ

وقد ترجمه ابن عساكر في تاريخه ترجمة حسنة كعادته وأورد له من شعره قوله :

لا يغبطَنّ أخا الدنيا لزُخرُفِها ... ولا للذّةِ عيشٍ عَجّلتْ فَرَحَا
فالدهرُ أسرعُ شيءٍ في تقلّبه ... وفعله بيّن للخلقِ قد وضحا
كم شاربٍ عسلاً فيه منيّتُهُ ... وكم مقلّدٍ سيفٍ فيه قد ذُبحا

توفي يوم الاثنين، ضحى السابع من ذي الحجة منها، وله ثنتان وسبعون سنة، في حجرة كان يسكنها بدرب السلسلة، جوار المدرسة النظامية،واحتفل الناس بجنازته، وحمل نعشه فيمن حمل الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، ودفن إلى جانب قبر بشر الحافي، في قبر رجل كان قد أعده لنفسه، فسئل أن يتركه للخطيب فشح به، ولم تسمح نفسه، حتى قال له بعض الحاضرين: بالله عليك لو جلست أنت والخطيب إلى بشر، أيكما كان يجلسه إلى جانبه؟ فقال: الخطيب . فقيل له: فاسمح له به فوهبه منه، فدفن فيه، رحمه الله، وسامحه، وهو ممن قيل فيه، وفي أمثاله قول الشاعر :

ما زلتَ تدأبُ في التاريخِ مجتهداً ... حتى رأيتُكَ في التاريخِ مَكْتُوبَا

وحكى ابن خلكان عن السمعاني : أنه توفي في شوال وأنه تصدق بجميع أمواله ووقف كتبه .

حسان بن سعيد

ابن حسان بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن منيع بن خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي المنيعي، كان في شبابه يجمع بين الزهد والتجارة، حتى ساد أهل زمانه، ثم ترك ذلك، وأقبل على العبادة، والزهد، والبر، والصلة، والصدقة، وغير ذلك، وبناء المساجد، والرباطات، وكان السلطان يأتي إليه ويتبرك به، ولما وقع الغلاء كان يعمل كل يوم شيئا كثيرا من الخبز، والأطعمة، ويتصدق به، وكان يكسو في كل سنة، قريبا من ألف فقير ثيابا، وجبابا، وكذلك كان يكسو الأرامل، وغيرهن من النساء، وكان يجهز البنات الأيتام، وبنات الفقراء، وأسقط شيئا كثيرا من المكوس والوظائف السلطانية عن بلاد نيسابور وقرأها، وهو مع ذلك في غاية التبذل، والثياب والأطمار، وترك الشهوات، ولم يزل كذلك إلى أن توفي في هذه السنة، في بلدة مرو الروز، تغمده الله برحمته، ورفع درجته، ولا خيب الله له سعيا .

أمين بن محمد بن الحسن بن حمزة

أبو على الجعفري، فقيه الشيعة في زمانه محمد بن وشاح بن عبد الله أبو على مولي أبي تمام محمد بن على بن الحسن الزينبي؛ سمع الحديث، وكان أديبا شاعرا، وكان ينسب إلى الاعتزال والرفض، ومن شعره قوله :

حملتُ العصا لا الضعفُ أوجبَ حَمْلَها ... عَلَيَّ ولا أنّي نحلتُ من الكبرِ
ولكنّني ألزمتُ نفسيَ حَمْلَها ... لأعْلِمَها أنَّ المقيمَ على سفرِ

ومن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ الأجل أبو عمر عبد البر النمرى

صاحب التصانيف المليحة الهائلة، منها «التمهيد» ، « والاستذكار » ، « والاستيعاب »، وغير ذلك .

ابن زيدون

الشاعر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون أبو الوليد، الشاعر الماهر، الأندلسي، القرطبي، اتصل بالأمير المعتمد بن عباد، صاحب إشبيلية، فحظي عنده، وصار مشاورا في منزلة الوزير، ثم وزر له ولولده أبي بكر بن أبي الوليد،وهو صاحب القصيدة الفراقية [1] التي يقول فيها :

---

(١) مطلعها : أَضْحَى التَّنَائى بَديلاً عَنْ تَدَانِينَا ... وَنَاب عَنْ طِيبِ لُقْيَانَا تَجَافِينَا
وعارضها أمير الشعراء — أحمد شوقى بقصيدة مطلعها :
يَانَائحَ الطَّلحِ أَشْبَاهٌ عَوَادِينَا ... نأسَى لِوَادِيكَ أَمْ تأسَى لِوَادِينَا.

بِنْتُمْ وَبِنّا فما ابْتَلّتْ جوانحُنا شوقاً إليكُمُ ولا جَفَّتْ مآقِينَا
تكَادُ حين تُناجيكم ضمائرُنا يقضي علينا الأسى لولا تأسِّينا
حَالتْ لِبُعْدكم أيامنا فَغَدَتْ سُوداً وكانتْ بكُمْ بيضاً ليالينا
بالأمسِ كُنّا ولا نَخْشَى تَفرّقَنا واليومَ نَحنُ ولا يُرْجَى تَلاقينا

وهي طويلة، وفيها صنعة قوية، مهيجة على البكاء لكل من قرأها أو سمعها، لأنه ما من أحد إلا فارق خلا، أو حبيبا، أو نسيبا، ومن شعره :

بَيْني وَبَيْنَك ما لو شئْتَ لم يضعِ سرٌّ إذا ذاعت الأسرارُ لم يُذَعِ
يا بَائعًا حظَّهُ مني ولو بُذلَتْ لي الحياةُ بحظِّيَ منه لم أبعَ
يَكْفيكَ أنك لو حَمَّلْت قَلْبِيَ ما لا تَستَطيعُ قلوبُ الناسِ يستطعُ
تهْ أحتمَلْ واستطلْ أصبرْ وعزَّ أهُنْ وولِّ أقبلْ ، وَقُلْ اسمعْ ، وَمُرْ أطعِ

توفي في رجب منها ، واستمر ولده أبو بكر وزيرا للمعتمد بن عباد، حتى أخذ ابن ياسين قرطبة من يده، في سنة أربع وثمانين، فقتل يومئذ . قاله ابن خلكان .

كريمة بنت أحمد

ابن محمد بن أبي حاتم المروزية : كانت عالمة صالحة، سمعت صحيح البخاري على الكشميهني، وقرأ عليها الأئمة،كالخطيب، وأبي المظفر السمعاني، وغيرهما .

ثم دخلت سنة أربع وستين وأربعمائة

فيها : قام الشيخ أبو إسحاق الشيرازي مع الحنابلة في الإنكار على المفسدين، والذين يبيعون الخمور، وفي إبطال المواخير — وهن البغايا — وكتبوا إلى السلطان في ذلك، فجاءت كتبه بالإنكار . وفيها : كانت زلزلة عظيمة ببغداد، ارتجت لها الأرض ست مرات . وفيها : كان غلاء شديد، وموتان ذريع في الحيوانات، بحيث إن بعض الرعاة بخراسان، قام وقت الصباح ليسرح بغنمه، فإذا هن قد متن كلهن، وجاء سيل عظيم، وبرد كبار، أتلف شيئا كثيرا من الزروع، والثمار، بخراسان . وفيها: تزوج الأمير عدة الدين ولد الخليفة بابنة السلطان ألب أرسلان "سفري خاتون" وذلك بنيسابور، وكان وكيل السلطان نظام الملك، ووكيل الزوج عميد الدولة ابن جهير، وحين عقد العقد، نثر على الناس جواهر نفيسة وكان يوما مشهودا زينت الأفيلة والخيول وضربت الدبادب والبوقات .

وممن توفي فيها من الأعيان :

زكريا بن محمد بن حيده

أبو منصور النيسابوري، كان يزعم أنه من سلالة عثمان بن عفان، وروي الحديث عن أبي بكر بن المذهب، وكان ثقة . توفي في المحرم منها ، وقد قارب الثمانين .

محمد بن أحمد

ابن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله، أبو الحسن الهاشمي، خطيب جامع المنصور. كان ممن يلبس القلانس الطوال، حدث عن ابن زرقوية وغيره، روي عنه الخطيب،

وكان ثقة عدلا، شهد عند ابن الدامغاني ، وابن ماكولا، فقبلاه، توفي عن ثمانين سنة، ودفن بقرب بشر الحافي .

محمد بن أحمد بن شاره

ابن جعفر أبو عبد الله الأصفهاني، ولي القضاء بدجيل، وكان شافعيا، وروي الحديث عن أبي عمر وابن مهدي، توفى ببغداد، ونقل إلى دجيل من عمل واسط، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة

في يوم الخميس، حادي عشر المحرم، حضر إلى الديوان أبو الوفا على بن محمد بن عقيل العقيلي الحنبلي، وقد كتب على نفسه كتابا، يتضمن توبته من الاعتزال ومخالطة أهله، وأنه رجع عن اعتقاد كون الحلاج من أهل الحق والخير، وأنه قد رجع عن الجزء الذي عمله في ذلك، وأن الحلاج قد قتل، بإجماع علماء أهل عصره، على زندقته، وأنهم كانوا مصيبين في قتله، وما رموه به، وهو مخطئ، وأشهد عليه جماعة من الكتاب، ورجع من الديوان، إلى دار الشريف أبي جعفر، فسلم عليه، وصالحه، واعتذر إليه، وعظمه .

وفاة السلطان ألب أرسلان وملك ولده ملكشاه

كان السلطان، قد سار في أول هذه السنة، يريد أن يغزو بلاد ما وراء النهر، فاتفق في بعض المنازل، أنه غضب على رجل، يقال له: يوسف الخوارزمي، فأوقف بين يديه، فشرع يعاتبه، في أشياء صدرت منه، ثم أمر أن يضرب له أربعة أوتاد، ويصلب بينها، فقال للسلطان: يا مخنث، ومثلي يقتل هكذا؟ فاحتد السلطان من ذلك وأمر بإرساله وأخذ القوس، فرماه بسهم، فأخطأه، وأقبل يوسف نحو السلطان، فنهض السلطان عن السرير، خوفا منه، فنـــزل عنه، فعثر فوقع فأدركه يوسف، فضربه بخنجر كان معه، في خاصرته، فقتله، وأدرك الجيش يوسف، فقتلوه، وقد جرح السلطان جرحا منكرا، فتوفي في يوم السبت، عاشر ربيع الأول، من هذه السنة، ويقال: إن أهل بخاري، لما اجتاز بهم، نهب عسكره أشياء كثيرة لهم، فدعوا عليه، فهلك.

ولما توفي، أجلس ولده ملكشاه على سرير الملك، وقام الأمراء بين يديه، فقال له الوزير نظام الملك: تكلم أيها السلطان . فقال: الأكبر منكم أبي، والأوسط أخي، والأصغر ابني، وسأفعل معكم، ما لم أسبق إليه، فامسكوا فأعاد القول، فأجابوه بالسمع والطاعة . وقام بأعباء أمره، الوزير نظام الملك، فزاد في أرزاق الجند سبعمائة ألف دينار، وسار إلى مرو، فدفنوا بها السلطان، ولما بلغ موته أهل بغداد، أقام الناس له العزاء، وغلقت الأسواق، وأظهر الخليفة الجزع، وخلعت ابنة السلطان زوجة الخليفة ثيابها، وجلست على التراب، وجاءت كتب ملكشاه، إلى الخليفة، يتأسف فيها على والده، ويسأل أن تقام له الخطبة بالعراق، وغيرها . ففعل الخليفة ذلك، وخلع ملكشاه على الوزير نظام الملك، خلعا سنية، وأعطاه تحفا كثيرة، من

جملتها عشرون ألف دينار، ولقبه أتابك الجيوش، ومعناه الأمير الكبير الوالد، فسار سيرة حسنة، ولما بلغ قاورت موت أخيه ألب أرسلان، ركب في جيوش كثيرة، قاصدا قتال ابن أخيه ملكشاه، فالتقيا، فاقتتلا، فانهزم أصحاب قاورت، وأسر هو، فأنبه ابن أخيه، ثم اعتقله، ثم أرسل إليه من قتله .

وفيها: جرت فتنة عظيمة بين أهل الكرخ، وباب البصرة، والقلايين، فاقتتلوا، فقتل منهم خلق كثير، واحترق جانب كبير من الكرخ، فانتقم المتولي لأهل الكرخ، من أهل باب البصرة، فأخذ منهم أموالا كثيرة، جناية لهم على ما صنعوا. وفيها أقيمت الدعوة العباسية، ببيت المقدس. وفيها ملك صاحب سمرقند وهو محمد التكين مدينة ترمذ. وفيها حج بالناس أبو الغنائم العلوي.

وممن توفي فيها من الأعيان :

السلطان ألب أرسلان

الملقب بسلطان العالم ابن داود جغري بك بن ميكائيل بن سلجوق التركي، صاحب الممالك المتسعة،و قد ملك بعد عمه طغرلبك سبع سنين وستة أشهر وأياما، وكان عادلا، يسير في الناس سيرة حسنة، كريما، رحيما، شفوقا على الرعية، رفيقا على الفقراء، بارا بأهله، وأصحابه، ومماليكه، كثير الدعاء بدوام النعم به عليه، كثير الصدقات، يتفقد الفقراء، في كل رمضان، بخمسة عشر ألف دينار، ولا يعرف في زمانه جناية، ولا مصادرة، بل كان يقنع من الرعية، بالخراج في قسطين، رفقا بهم . كتب إليه بعض السعاة، في نظام الملك، وزيره وذكر ماله في ممالكه، فاستدعاه، فقال له: خذ إن كان هذا صحيحا، فهذب أخلاقك، وأصلح أحوالك، وإن كذبوا، فاغفر له زلته، وكان شديد الحرص على حفظ مال الرعايا، بلغه أن غلاما من غلمانه، أخذ إزارا لبعض أصحابه، فصلبه، فارتدع سائر المماليك به، خوفا من سطوته، وترك من الأولاد ملكشاه، وإياز، ونكشر، وبوري برس، وأرسلان، وأرغو، وسارة، وعائشة، وبنتا أخرى، توفي في هذه السنة، عن إحدى وأربعين سنة، ودفن عند والده بالري، رحمه الله تعالى .

أبو القاسم القشيري

صاحب (الرسالة) ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد المطلب بن طلحة، أبو القاسم القشيري وأمه من بني سليم، توفي أبوه، وهو طفل، فقرأ الأدب، والعربية، وصحب الشيخ أبا على الدقاق، وأخذ الفقه عن أبي بكر بن محمد الطوسي، وأخذ الكلام عن أبي بكر بن فورك، وصنف الكثير، وله (التفسير الكبير) و (الرسالة) ، التي ترجم فيها جماعة من المشايخ الصالحين، وحج صحبة إمام الحرمين، وأبي بكر البيهقي الحافظ، وكان يعظ الناس، توفي بنيسابور، في هذه السنة، عن سبعين سنة، ودفن إلى جانب شيخه، أبي على الدقاق، ولم يدخل أحد من أهله بيت

كتبه إلا بعد سنين، احتراما له، وكانت له فرس يركبها، قد أهديت له، فلما توفي، لم تأكل علفا، حتى نفقت، بعده بيسير، فماتت . ذكره ابن الجوزي، وقد أثنى عليه ابن خلكان ثناء كثيرا، وذكر شيئا من شعره، من ذلك قوله :

سقى اللهُ وقتاً كنتُ أخلو بوجهكُم ... وثغرُ الهوى في روضة الأنسِ ضاحكُ
وأقمنا زماناً والعيونُ قريرةٌ ... وأصبحتُ يوماً والجفونُ سَوَافِكُ

وقوله:

لو كنتَ ساعةَ بَيْننا ما بيننا ... وشهدتَ حين فَرَاقنا التَوْديعا
أيقنتَ أنَّ من الدموعِ محدثاً ... وعلمتَ أنَّ من الحَديثِ دُموعا

وقوله:

وَمَنْ كانَ في طول الهوى ذاقَ سَلْوَةً ... فإنّي منْ لَيْلى لها غيرُ ذَائقِ
وأكثرُ شيءٍ نِلْتُهُ منْ وِصالِها ... أَمَانيُّ لم تصدقْ كَخَطْفَةِ بارقِ

ابن صرّبعر الشاعر

اسمه علي بن الحسن بن علي بن الفضل، أبو منصور الكاتب، المعروف بابن صرّبعر، وكان نظام الملك يقول له: أنت صُرّدُرّ لا صُرّبَعْر، وقد هجاه بعضهم فقال :

لَئِنْ لَقَّبَ الناسُ قِدماً أباك ... فَسَمُّوهُ منْ شُحِّه صُرّبعرا
فإنّك تَنْثُرُ ما صَرَّهُ ... عُقُوقاً لَه وتُسَمّيه شعْرًا

قال ابن الجوزي : وهذا ظلم فاحش، فإن شعره في غاية الحسن، ثم أورد له قطعا حسانا، فمن ذلك :

إيهِ أحاديثَ نعمانَ وساكنه ... إنّ الحديثَ عن الأحبابِ مختارُ
أُفتّشُ الريحَ عَنْكُم كلّما نَفَحَتْ ... مسْكاً فأرضُكم مسكُ وأعطارُ

قال : وقد حفظ القرآن، وسمع الحديث، عن ابن شيران، وغيره، وحدث كثيرا، وركب يوما دابة، هو ووالدته، فسقطا بالشونيزيه عنها في بئر فماتا فدفنا ببرير، وذلك في صفر، من هذه السنة، قال ابن الجوزي: قرأت بخط ابن عقيل، صُرَّبَعْر جارنا بالرصافة، وكان ينبذ بالإلحاد، وقد أورد له ابن خلكان: شيئا من أشعاره، وأثنى عليه في فنه، والله أعلم بحاله .

محمد بن علي

ابن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله، أبو الحسين، ويعرف بابن العريف، ولد سنة سبعين وثلاثمائة، وسمع الدارقطني، وهو آخر من حدث عنه في الدنيا، وابن شاهين، وتفرد عنه، وسمع خلقا آخرين، وكان ثقة، دينا، كثير الصلاة، والصيام، وكان يقال له: راهب بني هاشم، وكان غزير العلم ، والعقل كثير التلاوة، رقيق القلب، غزير الدمعة، وقد رحل إليه الطلبة من الآفاق، ثم ثقل سمعه، وكان يقرأ على الناس، وذهبت إحدى عينيه، وخطب وله

ست عشرة سنة، وشهد عند الحكام سنة ست وأربعمائة، وو لي الحكم سنة تسع وأربعمائة، وأقام خطيبا بجامع المنصور، وجامع الرصافة، ستا وسبعين سنة، وحكم ستا وخمسين سنة، وتوفي في سلخ ذي القعدة، من هذه السنة وقد جاوز تسعين سنة، وكان يوم جنازته يوما مشهودا، ورؤيت له منامات صالحة حسنة، رحمه الله، وسامحه، ورحمنا، وسامحنا، إنه قريب مجيب، رحيم ودود .

ثم دخلت سنة ست وستين وأربعمائة

في صفر منها: جلس الخليفة جلوسا عاما، وعلى رأسه حفيده، الأمير عدة الدين، أبو القاسم عبد الله بن المهتدي بالله، وعمره يومئذ ثماني عشرة سنة، وهو في غاية الحسن، وحضر الأمراء، والكبراء، فعقد الخليفة بيده، لواء السلطان ملكشاه، كثر الزحام يومها، وهنأ الناس بعضهم بعضا بالسلامة .

صفة غرق بغداد

في جمادى الآخرة، جاء مطر عظيم، وسيل قوي كثير، وسالت دجلة، وزادت حتى غرقت جانبا كبيرا من بغداد، حتى خلص ذلك إلى دار الخلافة، فخرج الجواري حاسرات عن وجوههن، حتى صرن إلى الجانب الغربي، وهرب الخليفة من مجلسه، فلم يجد طريقا يسلكه، فحمله بعض الخدم إلى التاج، وكان ذلك يوما عظيما، وأمرا هائلا، وهلك للناس أموال كثيرة جدا . ومات تحت الردم، خلق كثير، من أهل بغداد، والغرباء، وجاء على وجه السيل، من الأخشاب، والأحطاب، والوحوش، والحيات، شيء كثيرا جدا، وسقطت دور كثيرة في الجانبين، وغرقت قبور كثيرة، من ذلك قبر الخيزران، ومقبرة أحمد بن حنبل . ودخل الماء من شبابيك المارستان العضدي، وأتلف السيل في الموصل شيئا كثيرا، وصدم سور سنجار، فهدمه: وأخذ بابه من موضعه، إلى مسيرة أربعة فراسخ . وفي ذي الحجة منها جاءت ريح شديدة في أرض البصرة، فانجعف منها نحو من خمسة آلاف نخلة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن الحسن السمناني

الحنفي الأشعري . قال ابن الجوزي: وهذا من الغريب، تزوج قاضي القضاة ابن الدامغاني ابنته، وولاه نيابة القضاء، وكان ثقة نبيلا، من ذوي الهيئات، جاوز الثمانين .

عبد العزيز بن أحمد بن علي

ابن سليمان، أبو محمد الكناني الحافظ الدمشقي، سمع الكثير وكتب كثيرا وصنف فأجاد وأفاد بها وله في الفضائل أشياء كثيرة غريبة وبعض ما يرويه موضوعًا ولا ينبه عليه مع أنه كان ثقة ضابطا حافظا صدوقا مستقيم الطريقة والاعتقاد سلفي المذهب، وقد كتب عنه الحافظ أبو بكر

الخطيب رحمه الله تعالى ومحمد بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم جعفر أبو بكر العطار الأصبهاني الحافظ مستملي على أبي نعيم سمع الكثير وكان يملي من حفظه، وكتب عنه الخطيب حديثا واحدا، وكان معظما ببلده، ثقة نبيلا جليل .

الماوردية

ذكر ابن الجوزي، أنها كانت عجوزا صالحة، من أهل البصرة، تعظ النساء بها، وكانت تكتب، وتقرأ، ومكثت خمسين سنة من عمرها، لا تفطر نهارا، ولا تنام ليلا، وتقتات بخبز الباقلا، وتأكل من التين اليابس، لا الرطب، وشيئا يسيرا من العنب، والزبيب، وربما أكلت من اللحم اليسير، وحين توفيت، تبع أهل البلد جنازتها، ودفنت في مقابر الصالحين .

ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة

في صفر منها، مرض الخليفة القائم بأمر الله، مرضا شديدا، انتفخ منه حلقه، وامتنع من الفصد، فلم يزل الوزير فخر الدولة عليه، حتى افتصد، وانصلح الحال، وكان الناس قد انزعجوا، ففرحوا بعافيته . وجاء في هذا الشهر، سيل عظيم، قاسى الناس منه شدة عظيمة، ولم تكن أكثر أبنية بغداد، تكاملت من الغرق الأول، فخرج الناس إلى الصحراء، فجلسوا على رءوس التلول تحت المطر، ووقع وباء عظيم بالرحبة، فمات من أهلها قريب من عشرة آلاف، وكذلك وقع بواسط، والبصرة، وخوزستان، وأرض خراسان، وغيرها، والله أعلم .

موت الخليفة القائم بأمر الله

افتصد في يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب، من بواسير، كانت تعتاده، من عام الغرق، ثم نام بعد ذلك، فانفجر فصاده، فاستيقظ، وقد سقطت قوته، وحصل الإياس منه، فاستدعي بحفيده، وولي عهده، عدة الدين أبي القاسم عبد الله بن محمد بن القائم، وأحضر إليه القضاة، والفقهاء، وأشهدهم عليه ثانيا، بولاية العهد له من بعده، فشهدوا، ثم كانت وفاته ليلة الخميس الثالث عشر من شعبان عن أربع وسبعين سنة، وثمانية أشهر، وثمانية أيام، وكانت مدة خلافته، أربعا وأربعين سنة وثمانية أشهر وخمسة وعشرين يوما، ولم يبلغ أحد من العباسيين قبله هذه المدة، وقد جاوزت خلافة أبيه قبله أربعين سنة، فكان مجموع أيامهما خمسا وثمانين سنة وأشهرا، وذلك مقارم لدولة بني أمية جميعها، وقد كان القائم بأمر الله، جميلا، مليحا، حسن الوجه أبيض مشربا بحمرة فصيحا ورعا زاهدا، أديبا، كاتبا، بليغا، شاعرا، كما تقدم ذكر شيء من شعره، وهو بحديثة عانة سنة خمسين، وكان عادلا، كثير الإحسان إلى الناس، رحمه الله . وغسله الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الحنبلي، عن وصية الخليفة بذلك، فلما غسله، عرض عليه، ما هنالك من الأثاث، والأموال، فلم يقبل منه شيئا، وصلى على الخليفة، في صبيحة يوم الخميس المذكور، ودفن عند أجداده، ثم نقل إلى الرصافة، فقبره يزار إلى الآن، وغلقت الأسواق

لموته، وعلقت المسوح، وناحت عليه نساء الهاشميين، وغيرهم، وجلس الوزير ابن جهير، وابنه للعزاء على الأرض، وخرق الناس ثيابهم، وكان يوما عصيبا، واستمر الحال كذلك ثلاثة أيام، وقد كان من خيار بني العباس، دينا، واعتقادا، ودولة، وقد امتحن من بينهم بفتنة البساسيري، التي اقتضت إخراجه، من داره، ومفارقته أهله، وأولاده، ووطنه، فأقام بحديثه عانة سنة كاملة، ثم أعاد الله تعالى عليه نعمته، وخلافته . قال الشاعر :

فأصبَحُوا قَدْ أعادَ اللهُ نعمتَهم ... إذْ هم قريشٌ وإذا ما مثلهم بشرُ

وقد تقدم له في ذلك، سلف صالح، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص:٣٤]وقد ذكرنا ملخص ما ذكره المفسرون في سورة ص، وبسطنا الكلام عليه، في هذه القصة العباسية ، والفتنة البساسيرية في سنة خمسين، وإحدى وخمسين وأربعمائة .

خلافة المقتدي بأمر الله

وهو أبو القاسم عدة الدين عبد الله بن الأمير ذخيرة الدين أبي القاسم محمد بن الخليفة القائم بأمر الله بن القادر العباسي، وأمه أرمنية، تسمي أرجوان، وتدعي قرة العين، وقد أدركت خلافة ولدها هذا، وخلافة ولديه من بعده، المستظهر، والمسترشد . وقد كان أبوه توفي، وهو حمل، فحين ولد ذكرا فرح به جده، والمسلمون، فرحا شديدا، إذ حفظ الله على المسلمين بقاء الخلافة في البيت القادري، لأن من عداهم، كانوا يتبذلون في الأسواق، ويختلطون مع العوام، وكانت القلوب تنفر من تولية مثل أولئك الخلافة على الناس، ونشأ هذا في حجر جده، القائم بأمر الله، يربيه بما يليق بأمثاله، ويدربه على أحسن السجايا، ولله الحمد، وقد كان المقتدي حين ولي الخلافة، عمره عشرين سنة، وهو في غاية الجمال، خلقا، وخلقا، وكانت بيعته يوم الجمعة، الثالث عشر من شعبان، من هذه السنة، وجلس في دار الشجرة بقميص أبيض وعمامة بيضاء لطيفة وطرحة قصب أدريه، وجاء الوزراء، والأمراء، والأشراف، ووجوه الناس، فبايعوه، فكان أول من بايعه الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الحنبلي، وأنشده قول الشاعر :

إذا سَيِّدٌ مِنَّا مَضَى قامَ سيِّدُ

ثم ارتج عليه [(١)]، فلم يدر ما بعده، فقال الخليفة :

قَؤُولٌ بما قالَ الكرامُ فَعُولُ

وبايعه من شيوخ العلم، الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، والشيخ أبو نصر بن الصباغ، الشافعيان، والشيخ أبو محمد التميمي الحنبلي، وبرز فصلي بالناس العصر، ثم بعد ساعة، أخرج تابوت جده بسكون ووقار من غير صراخ ولا نوح، فصلي عليه، وحمل إلى المقبرة، وقد كان

(١) ارتج عليه: أقفل وأصابه العيُّ .

المقتدي بالله شهما شجاعا وأيامه كلها مباركة، والرزق دار، والخلافة معظمة جدا، وتصاغرت الملوك له، وتضاءلوا بين يديه، وخطب له بالحرمين وبيت المقدس، والشام كلها، واسترجع المسلمون الرها، وأنطاكية، من أيدي العدو، وعمرت بغداد، وغيرها من البلاد، واستوزر ابن جهير، ثم أبا شجاع، ثم أعاد ابن جهير، وقاضيه الدامغاني، ثم أبو بكر الشاشي، وهؤلاء من خيار القضاة، والوزراء، ولله الحمد .

وفي شعبان منها: أخرج المفسدات من الخواطئ من بغداد، وأمرهن، أن ينادين على أنفسهن بالعار والفضيحة، وخرب الخمارات، ودور الزواني، والمغاني، وأسكنهن الجانب الغربي، مع الذل والصغار، وخرب أبرجة الحمام، ومنع اللعب بها، وأمر الناس باحتراز عوراتهم، في الحمامات، ومنع أصحاب الحمامات، أن يصرفوا فضلاتها إلى دجلة، وألزمهم بحفر آبار، لتلك المياه القذرة، صيانة لماء الشرب . وفي شوال منها: وقعت نار في أماكن متعددة في بغداد، حتى في دار الخلافة، فأحرقت شيئا كثيرا من الدور والدكاكين، ووقع بواسط، حريق في تسعة أماكن، واحترق بها أربع وثمانون دارا، وستة خانات، وأشياء كثيرة غير ذلك، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها: عمل الرصد للسلطان ملكشاه اجتمع عليه جماعة من أعيان المنجمين، وأنفق عليه أموالا كثيرة، وبقي الرصد دائرا، حتى مات السلطان، فبطل .

وفي ذي الحجة منها: أعيدت الخطب للمصريين، وقطعت خطبة العباسيين، وذلك لما قوي أمر صاحب مصر، بعدما كان ضعيفا، بسبب غلاء بلده، فلما رخصت تراجع الناس إليها، وطاب العيش بها، وقد كانت الخطبة للعباسيين بمكة، منذ أربعين سنة وخمسة أشهر، وستعود كما كانت على ما سيأتي بيانه في موضعه، وفي هذا الشهر، انجفل [1] أهل السواد، من شدة الوباء، وقلة ماء دجلة ونقصها . وحج بالناس الشريف أبو طالب الحسيني ابن محمد الزينبي، وأخذ البيعة للخليفة المقتدي بالحرمين .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الخليفة القائم بأمر الله

عبد الله، وقد ذكرنا شيئا من ترجمته عند وفاته .

الداودي

راوي صحيح البخاري، عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود أبو الحسين بن أبي طلحة الداوودي، ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، سمع الكثير، وتفقه على الشيخ أبي حامد الإسفراييني، وأبي بكر القفال، وصحب أبا علي الدقاق، وأبا عبد الرحمن السلمي، وكتب

---

(١) انجفل: أسرع وهرب .

الكثير، ودرس، وأفتى، وصنف، ووعظ الناس . وكانت له يد طولى في النظم والنثر. وكان مع ذلك كثير الذكر، لا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى، دخل يوما عليه الوزير نظام الملك، فجلس بين يديه، فقال له الشيخ: إنا الله قد سلطك على عباده، فانظر كيف تجيبه، إذا سألك عنهم . وكانت وفاته بيوشح، في هذه السنة وقد جاوز التسعين، ومن شعره الجيد القوي قوله :

كانَ في الاجتماعِ بالناسِ نورُ ... ذَهبَ النورُ وادْلَهَمّ الظلامُ
فَسَدَ الناسُ والزمانُ جميعاً ... فعلى الناسِ والزمانِ السلامُ

أبو الحسن علي بن الحسن

ابن علي بن أبي الطيب البَاخَرْزَيّ الشاعر المشهور، اشتغل أولا على الشيخ أبي محمد الجويني، ثم ترك ذلك، وعمد إلى الكتابة، والشعر، ففاق أقرانه، وله ديوان مشهور فمنه :

وإنّي لأشْكُو لسعَ[1]أصداغك التي ... عَقاربُها في وَجْنَتَيْكَ تحومُ
وأبكي لِدُرّ الثغرِ منكِ ولي أبٌ ... فكيف نُديم الضحك وهو يتيمُ ؟

ثم دخلت سنة ثمان وستين وأربعمائة

قال ابن الجوزي: جاء جراد في شعبان، بعدد الرمل، والحصا، فأكل الغلات، وآذى الناس، وجاعوا، فطحن الخروب بدقيق الدخن، فأكلوه، ووقع الوباء، ثم منع الله الجراد من الفساد، وكان يمر، ولا يضر، فرخصت الأسعار . قال: ووقع غلاء شديد بدمشق، واستمر ثلاث سنين.

وفيها : ملك نصر بن محمود بن صالح بن مرداس مدينة منبج، وأجلي عنها الروم، ولله الحمد والمنة، في ذي القعدة منها . وفيها ملك الأقسيس مدينة دمشق، وانهزم عنها المعلى بن حيدر، نائب المستنصر العبيدي، إلى مدينة بابناس، وخطب فيها للمقتدي، وقطعت خطبة المصريين عنها إلى الآن ولله الحمد والمنة. فاستدعي المستنصر نائبه، فحبسه عنده، إلى أن مات في السجن .

قلت: الأقسيس هذا، هو أتسز بن أوف الخوارزمي، ويلقب بالملك المعظم، وهو أول من استعاد بلاد الشام، من أيدي الفاطميين، وأزال الأذان منها بحي على خير العمل، بعد أن كان يؤذن به على منابر دمشق وسائر الشام مائة وست سنين . كان على أبواب الجوامع والمساجد مكتوب لعنة الصحابة رضي الله عنهم، فأمر هذا السلطان المؤذنين والخطباء أن يترضوا عن الصحابة أجمعين، ونشر العدل، وأظهر السنة . وهو أول من أسس القلعة بدمشق، ولم يكن فيها قبل ذلك معقل يلتجئ إليه المسلمون من العدو، فبناها في محلتها هذه، التي هي فيها اليوم، وكان موضعها بباب البلد، يقال له: باب الحديد، وهو تجاه دار رضوان منها، وكان ابتداء ذلك في

---

(١) اللسع : لسعة العقرب والحية. أصداغك: جمع: صدغ : ما بين العين والأذن. ويسمى أيضاً الشعر المتدلى عليه صُدْغاً. اللسان (صدغ) .

السنة الآتية، وإنما أكملها بعده الملك المظفر، تتش بن ألب أرسلان السلجوقي، كما سيأتي بيانه وحج بالناس فيها مقطع الكوفة . وهو الأمير السكيني جنفل التركي، ويعرف بالطويل، وكان قد شرد خفاجة في البلاد، وقهرهم، ولم يصحب معه سوي ستة عشر تركيا، فوصل إلى مكة سالما، ولما نزل ببعض دورها، كبسه بعض العبيد . فقتل منهم مقتلة عظيمة، وهزمهم هزيمة شنيعة، ثم إنه بعد ذلك إنما كان ينــزل بالزاهر . قاله ابن الساعي في تاريخه، وأعيدت الخطبة في هذه السنة للعباسين في ذي الحجة منها، وقطعت خطبة المصريين، ولله الحمد والمنة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن علي

ابن أحمد بن عيسي بن موسي، أبو تمام بن أبي القاسم بن القاضي أبي علي الهاشمي، نقيب الهاشميين، وهو ابن عم الشريف أبي جعفر بن أبي موسى الفقيه الحنبلي، روي الحديث، وسمع منه أبو بكر بن عبد الباقي، ودفن بباب حرب .

محمد بن القاسم

ابن حبيب بن عبدوس، أبو بكر الصفار . من أهل نيسابور، سمع الحاكم، وأبا عبد الرحمن السلمي، وخلقا، وتفقه على الشيخ أبي محمد الجويني، وكان يخلفه في حلقته.

محمد بن محمد بن عبد الله

أبو الحسين البيضاوي الشافعي، ختن أبي الطيب الطبري على ابنته، سمع الحديث، وكان ثقة خيرا، توفي في شعبان منها، وتقدم للصلاة عليه الشيخ أبو نصر بن الصباغ، وحضر جنازته أبو عبد الله الدامغاني مأموما، ودفن بداره، في قطيعة الكرخ .

محمد بن نصر بن صالح

ابن أمير حلب، وكان قد ملكها في سنة تسع وخمسين، وكان من أحسن الناس شكلا وفعلا .

مسعود بن المحسن

ابن الحسن بن عبد الرازق أبو جعفر البياضي الشاعر ومن شعره :

ليس لي صاحبُ معينٌ سوى اللـ ... يل إذا طـالَ بالصدّودِ عليّا
أنا أشكو بُعْدَ الحبيبِ إليه ... وهو يشكو بُعْدَ الصباحِ إليا

ومن شعره الجيد قوله:

يا من لبستُ لهجره ثوبَ الضنَا ... حتى خُفيتُ إذاً عن العُوّادِ
وأنستُ بالسهرِ الطويلِ فأُنْسيَتْ ... أجفانُ عيني كيفَ كانَ رُقادي؟
إنْ كان يوسفُ بالجمالِ مقطّعَ الـ ... أيدي فأنتَ مُفتّتُ الأكبادِ

الواحدي المفسر

علي بن حسن بن أحمد بن علي بن بويه الواحدي، قال ابن خلكان: ولا أدري هذه النسبة إلى ماذا، وهو صاحب التفاسير الثلاثة: (البسيط، والوسيط، والوجيز) . قال: ومنه أخذ الغزالي أسماء كتبه . قال: وله (أسباب النـــزول) ، و(التحبير في شرح الأسماء الحسنى) ، وقد شرح ديوان المتنبي، وليس في شروحه مع كثرتها مثله . وقد رزق السعادة في تصانيفه، وأجمع الناس على حسنها، وذكرها المدرسون في دروسهم، وقد أخذ التفسير عن الثعالبي، وقد مرض مدة، ثم كانت وفاته بنيسابور، في جمادى الآخرة منها .

ناصر بن محمد

ابن علي أبو منصور التركي الصافري، وهو والد الحافظ محمد بن ناصر، قرأ القرآن، وسمع الكثير، وهو الذي تولي قراءة التاريخ على الخطيب بجامع المنصور، وكان ظريفا صبيحا، مات شابا دون الثلاثين سنة، في ذي القعدة منها، وقد رثاه بعضهم بقصيدة طويلة، أوردها كلها فى « المنتظم » ابن الجوزي .

يوسف بن محمد بن يوسف بن الحسن

أبو القاسم الهمداني، سمع، وجمع، وصنف، وانتشرت عنه الرواية، توفي في هذه السنة وقد قارب التسعين .

ثم دخلت سنة تسع وستين وأربعمائة

فيها : كان ابتداء عمارة قلعة دمشق، وذلك أن الملك المعظم أتسز بن أوف الخوارزمي، لما انتزع دمشق من أيدي العبيديين في السنة الماضية، شرع في بناء هذا الحصن المنيع بدمشق، في هذه السنة، وكان في مكان القلعة اليوم أحد أبواب البلد، باب يعرف بباب الحديد، وهو الباب المقابل لدار رضوان منها اليوم، داخل البركة البرانية منها، وقد ارتفع بعض أبرجتها، فلم يتكامل، حتى انتزع ملك البلد منه الملك المظفر تاج الملوك تنش بن ألب أرسلان السلجوقي، فأكملها، وأحسن عمارتها، وابتني بها دار رضوان للملك، واستمرت على ذلك البناء في أيام نور الدين محمود بن زنكي، فلما كان الملك صلاح الدين بن يوسف بن أيوب، جدد فيها شيئا، وابتني له نائبه ابن مقدم فيها دارا هائلة للمملكة، ثم إن الملك العادل أخا صلاح الدين، اقتسم هو وأولاده أبرجتها، فبني كل ملك منهم برجا منها، جدده، وعلاه، وأطده [1]، وأكده . ثم جدد الملك الظاهر بيبرس منها البرج الغربي القبلي، ثم ابتني بعده في دولة الملك الأشرف خليل ابن المنصور، نائبه الشجاعي، الطارمة [2] الشمالية، والقبة الزرقاء، وما حولها، وفي المحرم منها

---

(١) أطّده: دعمه.

(٢) الطارمة : بيت من خشب.فارسى معرب .

مرض الخليفة مرضا شديدا، فأرجف الناس به، فركب حتى رآه الناس جهرة، فسكنوا، وفي جمادى الآخرة منها، زادت دجلة زيادة كثيرة جدا، أحد وعشرين ذراعا ونصفا، فنقل الناس أموالهم، وخيف على دار الخلافة، فنقل تابوت القائم بأمر الله ليلا إلى الترب بالرصافة .

وفي شوال منها: وقعت الفتنة بين الحنابلة والأشعرية . وذلك أن ابن القشيري قدم بغداد، فجلس يتكلم في النظامية، وأخذ يذم الحنابلة، وينسبهم إلى التجسيم، وساعده أبو سعد الصوفي، ومال معه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، وكتب إلى نظام الملك يشكو إليه الحنابلة، ويسأله المعونة عليهم، وذهب جماعة إلى الشريف أبي جعفر بن أبي موسي، شيخ الحنابلة، وهو في مسجده، فدافع عنه آخرون، واقتتل الناس بسبب ذلك، وقتل رجل خياط من سوق التبن، وجرح آخرون، وثارت الفتنة، وكتب الشيخ أبو إسحاق، وأبو بكر الشاشي إلى نظام الملك، في كتابه إلى فخر الدولة، ينكر ما وقع، ويكره أن ينسب إلى المدرسة التي بناها شيء من ذلك . وعزم الشيخ أبو إسحاق على الرحلة من بغداد غضبا مما وقع من الشر، فأرسل إليه الخليفة يسكنه، ثم جمع بينه وبين الشريف أبي جعفر وأبي سعد الصوفي، وأبي نصر بن القشيري، عند الوزير، فأقبل الوزير على أبي جعفر، يعظمه في الفعال والمقال، وقام إليه الشيخ أبو إسحاق، فقال: أنا ذلك الذي كنت تعرفه وأنا شاب، وهذه كتبي في الأصول، ما أقول فيها خلافا للأشعرية، ثم قبل رأس أبي جعفر، فقال له أبو جعفر: صدقت إلا أنك لما كنت فقيرا لم تظهر لنا ما في نفسك، فلما جاء الأعوان، والسلطان، وخواجه بزك — يعني نظام الملك — وشبعت أبديت ما كان مختفيا في نفسك. وقام الشيخ أبو سعد الصوفي، وقبل رأس الشريف أبي جعفر أيضا، وتلطف به، فالتفت إليه مغضبا، وقال: أيها الشيخ أما الفقهاء إذا تكلموا في مسائل الأصول، فلهم فيها مدخل، وأما أنت، فصاحب لهو وسماع وتعبير، فمن زاحمك منا على باطلك؟ ثم قال: أيها الوزير، أنى تصلح بيننا؟ وكيف يقع بيننا صلح، ونحن نوجب ما نعتقده، وهم يحرمون ويكفرون؟ وهذا جد الخليفة القائم والقادر، قد أظهرا اعتقادهما للناس على رءوس الأشهاد، على مذهب أهل السنة، والجماعة، والسلف، ونحن على ذلك، كما وافق عليه العراقيون، والخراسانيون، وقرئ على الناس في الدواوين كلها، فأرسل الوزير إلى الخليفة، يعلمه بما جري، فجاء الجواب بشكر الجماعة، وخصوصا الشريف أبا جعفر، ثم استدعي الخليفة أبا جعفر إلى دار الخلافة للسلام عليه، والتبرك بدعائه .

قال ابن الجوزي: وفي ذي القعدة منها، كثرت الأمراض في الناس، ببغداد، وواسط، والسواد، وورد الخبر بأن الشام كذلك . وفي هذا الشهر، أزيلت المنكرات والبغايا ببغداد، وهرب الفساق منها . وفيها ملك حلب نصر بن محمود بن مرداس، بعد وفاة أبيه . وفيها : تزوج الأمير علي بن أبي منصور بن قرامز بن علاء الدولة بن كالويه، الست أرسلان خاتون، بنت داود عم السلطان ألب أرسلان، وكانت زوجة القائم بأمر الله . وفيها: حاصر الأقسيس

صاحب دمشق مصر، وضيق على صاحبها المستنصر بالله، ثم كرّ راجعا إلى دمشق . وحج بالناس فيها الأمير جنفل التركي مقطع الكوفة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أسفهدوست بن محمد بن الحسن أبو منصور الديلمي

الشاعر، لقي أبا عبد الله بن الحجاج، وعبد العزيز بن نباتة، وغيرهما من الشعراء، وكان شيعيا فتاب، وقال في قصيدة له في ذلك قوله في اعتقاده :

وإذا سئلتُ عن اعتقادي قلتُ: ما ... كانتْ عليه مذاهبُ الأبرارِ

وأقولُ : خيرُ الناسِ بعدَ محمد ... صدِّيقُه وَأنيسُه في الغارِ

ثُمَّ الثلاثةُ بعدَه خيرُ الورىٰ ... أكرِمْ بهِمْ مِنْ سادة أطهارِ

هذا اعتقادي والذي أرْجُو بِه ... فَوْزِي وَعِتْقِي مِن عذابِ النارِ

طاهر بن أحمد بن بابشاذ

أبو الحسن البصري النحوي، سقط من سطح جامع عمرو بن العاص بمصر، فمات من ساعته، في رجب من هذه السنة . قال ابن خلكان: لم يوجد مثله كان بمصر إمام عصره في النحو، وله المصنفات المفيدة، من ذلك مقدمته، وشرحها، و (شرح الجمل) للزجاجي . قال: وكانت وظيفته بمصر، أنه لا تكتب الرسائل في ديوان الإنشاء إلا عرضت عليه، فيصلح منها ما فيه خلل، ثم تنفذ إلى الجهة التي عينت لها، وكان له على ذلك معلوم وراتب جيد . قال: فاتفق أنه كان يأكل يوما مع بعض أصحابه طعاما فجاءه قطٌ، فرموا له شيئا، فأخذه، وذهب سريعا، ثم أقبل، فرموا له شيئا أيضا فانطلق به سريعا، ثم جاء، فرموا له شيئا أيضا فعلموا أنه لا يأكل هذا كله، فتتبعوه، فإذا هو يذهب به إلى قط آخر أعمى، في سطح هناك، فتعجبوا من ذلك. فقال الشيخ: يا سبحان الله، هذا حيوان بهيم قد ساق الله إليه رزقه على يد غيره، أفلا يرزقني، وأنا عبده، وأعبده . ثم ترك ما كان له من الراتب، وجمع حواشيه وأقبل على العبادة، والاشتغال، والملازمة، في غرفة في جامع عمرو بن العاص، إلى أن مات كما ذكرنا . وقد جمع تعليقه في النحو، وكان قريبا من خمسة عشر مجلدا، فأصحابه كابن بري وغيره، ينقلون منها، وينتفعون بها، ويسمونها تعليق الغرفة .

عبد الله بن محمد بن عبد الله

ابن عمر بن أحمد بن المجمع بن محمد بن يحيي بن معبد بن هزار مرد، أبو محمد الصريفيني، ويعرف بابن المعلم، أحد مشايخ الحديث المسندين المشهورين، تفرد فيه عن جماعة من المشايخ لطول عمره، وهو آخر من حدث بالجعديات، عن ابن حبانة، عن أبي القاسم البغوي، عن على ابن الجعد ، وهو سماعنا، ورحل إليه الناس بسببه ، وسمع عليه جماعة من الحفاظ ، منهم الحافظ

الخطيب ، وكان ثقة محمود الطريقة ، صافي الطوية ، توفي بصريفين في جمادى الأولى عن خمس وثمانين سنة .

حيان بن خلف

ابن حسين بن حبان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان أبو مروان القرطبي، ولي بني أمية، صاحب (تاريخ المغرب) في ستين مجلدا، أثني عليه الحافظ أبو علي الغساني، في فصاحته، وصدقه، وبلاغته . قال: وسمعته يقول: التهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة، والتعزية بعد ثلاث إغراء بالمصيبة .قال: ابن خلكان: توفي في ربيع الأول منها، ورآه بعضهم في المنام، فسأله عن حاله، فقال: غفر لي . وأما التاريخ، فندمت عليه، ولكن الله بلطفه أقالني، وعفا عني .

أبو نصر السجزي الوابلي

نسبة إلى قرية من قري سجستان، يقال لها: وابل، سمع الكثير، وصنف، وخرج، وأقام بالحرم وله كتاب (الإبانة في الأصول) ، وله في الفروع أيضا . ومن الناس من كان يفضله في الحفظ، على الصوري .

محمد بن علي بن الحسين

أبو عبد الله الأنماطي، المعروف بابن سكينة، ولد سنة تسعين وثلاثمائة، وكان كثير السماع، ومات عن تسع وسبعين سنة، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة

قال ابن الجوزي : في ربيع الأول منها، وقعت صاعقة بمحلة النوبة، من الجانب الغربي، على نخلتين في مسجد، فأحرقت أعاليهما،وصعد الناس فأطفأوا النار، ونزلوا بالسعف وهو يشتعل نارا . قال: وورد كتاب من نظام الملك، إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، في جواب كتابه إليه في شأن الحنابلة . ثم سرده ابن الجوزي، ومضمونه: أنه لا يمكن تغيير المذاهب، ولا نقل أهلها عنها، والغالب على أهل تلك الناحية هو مذهب الإمام أحمد، ومحله معروف عند الأئمة والناس، وقدره معلوم في السنة . في كلام طويل . قال: وفي شوال منها، وقعت فتنة بين الحنابلة وبين فقهاء النظامية، وحمي لكل من الفريقين طائفة من العوام، وقتل بينهم نحو من عشرين قتيلا، وجرح آخرون، ثم سكنت الفتنة .قال: وفي تاسع عشر شوال، ولد للخليفة المقتدي ولده المستظهر بأمر الله أبو العباس أحمد، وزينت البلاد، وجلس الوزير للهناء، ثم في يوم الأحد، السادس والعشرين من شوال، ولد له ولد آخر، وهو أبو محمد هارون . قال ابن الجوزي : وفيها، ولي تاج الدولة أرسلان الشام، وحاصر حلب . وحج بالناس جنفل مقطع الكوفة، وذكر ابن الجوزي: أن الوزير ابن جهير، كان قد عمل منبرا هائلا، لتقام عليه الخطبة بمكة، فحين وصل إليها، إذا الخطبة قد أعيدت للمصريين، فكسر ذلك المنبر، وأحرق .

ومن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن أحمد بن يعقوب

ابن أحمد أبو بكر اليربوعي، المقري، آخر من حدث عن أبي الحسين بن سمعون، وقد كان ثقة، متعبدا، حسن الطريقة، كتب عنه الخطيب، وقال: وكان صدوقا . توفي في هذه السنة، عن سبع وثمانين سنة .

أحمد بن محمد

ابن أحمد بن عبد الله أبو الحسين بن النقور البزار، أحد المسندين المعمرين، تفرد بنسخ كثيرة، عن ابن حيان، عن البغوي، عن أشياخه، كشيخه هدبة، وكامل بن طلحة، وعمرو بن زرارة، وأبي السكن البكري، وكان متكثّراً، متبحرا،وكان يأخذ على إسماع حديث طالوت بن عبادة دينارا، وقد أفتاه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي بجواز أخذ الأجرة على إسماع الحديث، لاشتغاله به عن الكسب . توفي عن تسع وثمانين سنة .

أحمد بن عبد الملك

ابن على بن أحمد، أبو صالح المؤذن النيسابوري الحافظ، كتب الكثير، وجمع، وصنف كتب عن ألف شيخ، وكان يعظ، ويؤذن، مات وقد جاوز الثمانين .

عبد الله بن الحسن بن علي

أبو القاسم بن أبي محمد الخلالي، آخر من حدث عن أبي حفص الكناني، وقد سمع الكثير، روي عنه الخطيب، ووثقه، توفي عن خمس وثمانين سنة، ودفن بباب حرب رحمه الله .

عبد الرحمن بن منده

ابن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن إبراهيم أبو القاسم بن أبي عبد الله الإمام، سمع أباه، وابن مردوية، وخلقا في أقاليم شتي، سافر إليها، وجمع شيئا كثيرا، وكان ذا وقار، وسمت حسن، واتباع للسنة، وفهم جيد، كثير الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم، وكان مسعد بن محمد الريحاني يقول: حفظ الله الإسلام به، وبعبد الله الأنصاري الهروي . توفي ابن منده هذا بأصبهان، عن سبع وثمانين سنة، وحضر جنازته خلق كثير، لا يعلمهم إلا الله عزّ وجلّ .

عبد الملك بن محمد

ابن عبد العزيز بن محمد بن المظفر بن على أبو القاسم الهمداني، أحد الحفاظ، الفقهاء، الأولياء، كان يلقب ببحير، وقد سمع الكثير، وكان يكثر للطلبة،ويقرأ لهم، توفي بالري، في المحرم من هذه السنة، ودفن إلى جانب إبراهيم الخواص .

الشريف أبو جعفر الحنبلي

عبد الخالق بن عيسي بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي بن أبي موسى الحنبلى العباسى ، كان أحد الفقهاء العلماء العباد الزهاد المشهورين بالديانة، والفضل، والعبادة، والقيام في الله، بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولد سنة إحدى عشرة وأربعمائة، واشتغل على القاضي أبي يعلي بن الفراء، وزكاه شيخه عند ابن الدامغاني فقبله. ثم ترك الشهادة بعد ذلك، وكان مشهورا بالصلاح والديانة، وحين احتضر الخليفة القائم بأمر الله، أوصي أن يغسله الشريف أبو جعفر هذا، وأوصي له بشيء كثير، ومال جزيل، فلم يقبل من ذلك شيئا، وحين وقعت الفتنة بين الحنابلة والأشعرية بسبب ابن القشيري، اعتقل هو في دار الخلافة، مكرما معظما، يدخل عليه الفقهاء، وغيرهم، ويقبلون يده ورأسه، ولم يزل هناك حتى اشتكي، فأذن له في المسير إلى أهله، فتوفي عندهم، ليلة الخميس النصف في صفر منها، ودفن إلى جانب الإمام أحمد، فاتخذت العامة قبره سوقا كل ليلة أربعاء، يترددون إليه، ويقرءون الختمات عنده، حتى جاء الشتاء، وكان جملة ما قرئ عليه وأهدي له عشر آلاف ختمة، والله أعلم .

محمد بن محمد بن عبد الله

أبو الحسن البيضاوي ، أحد الفقهاء الشافعيين، بربع الكرخ ، ودفن عند والده .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وأربعمائة

فيها : ملك السلطان الملك المظفر تاج الملوك تنش بن ألب أرسلان السلجوقي دمشق، وقتل ملكها إقسيس، وذلك أن إقسيس بعث إليه يستنجده على المصريين، فلما وصل إليه لم يركب لتلقيه، فأمر بقتله، فقتل لساعته، ووجد في خزائنه حجر ياقوت أحمر، وزنه سبعة عشر مثقالا، وستين حبة لؤلؤ، كل حبة منها أزيد من مثقال، وعشرة آلاف دينار، ومائتي سرج ذهب، وغير ذلك . وقد كان إقسيس هذا هو أتسز بن أوف الخوارزمي، كان يلقب بالمعظم، وكان من خيار الملوك، وأجودهم سيرة، وأصحهم سريرة، أزال الرفض عن أهل الشام، وأبطل الأذان بحي على خير العمل، وأمر بالترضي عن الصحابة أجمعين، وعمر بدمشق القلعة التي هي معقل الإسلام بالشام المحروس، فرحمه الله، وبل بالرحمة ثراه، وجعل جنة الفردوس مأواه . وفيها: عزل الوزير ابن جهير، بإشارة نظام الملك، بسبب ممالأته على الشافعية، ثم كاتب المقتدي نظام الملك، في إعادته، فأعيد ولده، وأطلق هو . وفيها: قدم سعد الدولة جوهرا أميرا إلى بغداد، وضرب الطبول على بابه في أوقات الصلوات، وأساء الأدب على الخليفة، وضرب طوالات الخيل [1]، على باب الفردوس، فكوتب السلطان بأمره، فجاء الكتاب من السلطان بالإنكار عليه . وحج بالناس مقطع الكوفة جنفل التركي أثابه الله .

---

(١) طوالات الخيل: الحبال التي تشد بها إلى أماكن ثابتة .

ومن توفي فيها من الأعيان :

سعد بن علي

ابن محمد بن على بن الحسين أبو القاسم الزنجاني، رحل إلى الآفاق، وسمع الكثير، وكان إماما حافظا متعبدا، ثم انقطع في آخر عمره بمكة، وكان الناس يتبركون به . قال ابن الجوزي: ويقبلون يده أكثر مما يقبلون الحجر الأسود .

سليم بن الجوزي

نسبة إلى قرية من قري دجيل، كان عابدا زاهدا يقال: إنه مكث مدة يتقوت كل يوم بزبيبة، وقد سمع الحديث، وقرئ عليه، رحمه الله .

عبد الله بن شمعون

أبو أحمد الفقيه المالكي القيرواني، توفي ببغداد، ودفن بباب حرب، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وأربعمائة

فيها : ملك إبراهيم بن محمود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة، قلاعا كثيرة، حصينة، من بلاد الهند، ثم عاد إلى بلاده، سالما غانما . وفيها : ولد الأمير أبو جعفر بن المقتدي بأمر الله، وزينت له بغداد، وفيها : ملك صاحب الموصل، الأمير شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلي بعد وفاة أبيه . وفيها : ملك منصور بن مروان، بلاد ديار بكر بعد أبيه. وفيها : أمر السلطان بتغريق ابن علاّن اليهودي ضامن البصرة، وأخذ من ذخائره أربعمائة ألف دينار، فضمن حمارتكين البصرة بمائة ألف دينار، ومائة فرس في كل سنة . وفيها : فتح عبيد الله ابن نظام الملك تكريت . وحج بالناس جنفل التركي، وقطعت خطبة المصريين بمكة، وخطب فيها للمقتدي، والسلطان ملكشاه السلجوقي .

ومن توفي فيها من الأعيان :

عبد الملك بن الحسن بن أحمد بن حيرون

أبو نصر، سمع الكثير، وكان زاهدا عابدا، يسرد الصوم، ويختم في كل ليلة ختمة، رحمه الله .

محمد بن محمد بن أحمد

ابن الحسين بن عبد العزيز بن مهران العكبري، سمع هلال الحفار، وابن زرقويه، والحمامي، وغيرهم وكان فاضلا جيد الشعر، فمن شعره قوله :

أطيلُ فكْرِى في أيّ أناسٍ ... مَضَوْا قدماً وفيمَنْ خلّفونا؟
هُمُ الأحَياءُ بعدَ الموتِ ذكراً ... ونحنُ منَ الخمولِ الميّتونَا

توفي في رمضان منها، وله سبعون سنة .

هياج بن عبد الله

الخطيب الشامي، سمع الحديث، وكان أوحد زمانه زهدا وفقها واجتهادا في العبادة، أقام بمكة مدة، يفتي أهلها، ويعتمر في كل يوم ثلاث مرات على قدميه، ولم يلبس نعلا منذ أقام بمكة، وكان يزور قبر النبي ﷺ مع أهل مكة ماشيا، وكذلك كان يزور قبر ابن عباس بالطائف، وكان لا يدخر شيئا، ولا يلبس إلا قميصا واحدا، ضربه بعض أمراء مكة في بعض فتن الروافض، فاشتكي أياما، ومات، وقد نيف على الثمانين رحمه الله، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة

فيها : استولي تكش أخو السلطان ملك شاه، على بعض بلاد خراسان . وفيها: أذن للوعاظ في الجلوس للوعظ، وكانوا قد منعوا في فتنة ابن القشيري . وفيها: قبض على جماعة من الفتيان، كانوا قد جعلوا عليهم رئيسا يقال له: عبد القادر الهاشمي، وقد كاتبوه من الأقطار، وكان الساعي له رجلا يقال له: ابن رسول، وكانوا يجتمعون عند جامع براثا، فخيف من أمرهم أن يكونوا ممالئين للمصريين، فأمر بالقبض عليهم. وحج بالناس جنفل .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن عمر

ابن محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله بن الأخضر المحدث، سمع عَلِيَّ ابن شاذان، وكان على مذهب الظاهرية، وكان كثير التلاوة، حسن السيرة، متقللا من الدنيا، قنوعا، رحمه الله .

الصليحي

المتغلب على اليمن، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الملقب بالصليحي، كان أبوه قاضيا باليمن، وكان سنيا، ونشأ هذا، فتعلم العلم،وبرع في أشياء كثيرة من العلوم، وكان شيعيا على مذهب القرامطة، ثم كان يدل بالحجيج، مدة خمس عشرة سنة، وكان قد اشتهر أمره وذكره بين الناس، أنه سيملك اليمن، فنجم ببلاد اليمن بعد قتله نجاحا صاحب تهامة، واستحوذ على بلاد اليمن بكمالها في أقصر مدة، واستوثق له الملك بها، سنة خمس وخمسين وخطب للمستنصر العبيدي صاحب مصر، فلما كان في هذا العام،خرج إلى الحج في ألفي فارس، فاعترضه سعيد ابن نجاح بالموسم، في نفر يسير، فقاتلهم، فقتل هو وأخوه، واستحوذ سعيد بن نجاح على مملكته وحواصله، ومن شعر الصليحي هذا قوله :

أنكحتُ بيضَ الهند سمرَ رِمَاحهم ... فرءوسهم عرض النِّثار نثارُ
وكذا العُلاَ لا يُستَباحُ نِكَاحُها ... إلا بحيث تُطَلَّقُ الأعمارُ

محمد بن الحسين

ابن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن الشبلي، أبو علي الشاعر البغدادي، أسند الحديث، وله الشعر الرائق فمن ذلك قوله:

لا تُظْهِرَنَّ لعاذلٍ أو عاذرٍ ... حَالَيْكَ في السراء والضراءِ
فلرحمة المتوجِّعين مرارةٌ ... في القلب مثل شماتة الأعداءِ

وله أيضا:

يَفْني البخيلُ بجمع المال مُدّتَهُ ... وللحوادث والوارث ما يدعُ
كدودة القزِّ ما تَبْنِيه يَخْنُقُها ... وغيرُها بالذي تَبْنِيه ينتفعُ

يوسف بن الحسن

ابن محمد بن الحسن، أبو القاسم العسكري، من أهل خراسان، من مدينة زنجان، ولد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، وتفقه على مذهب الشافعي ودرس الفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وكان من أكبر تلاميذه، وكان عابدا ورعا خاشعا كثير البكاء عند الذكر مقبلا على العبادة، وكانت وفاته في هذه السنة وقد قارب الثمانين.

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وأربعمائة

فيها: ولي أبو كامل منصور بن نور الدولة دبيس ما كان يليه أبوه من الأعمال، وخلع عليه السلطان، والخليفة. وفيها: ملك شرف الدولة مسلم بن قريش حران، وصالح صاحب الرهاء. وفيها: فتح تتش بن ألب أرسلان صاحب دمشق مدينة أنطرطوس. وفيها: أرسل الخليفة ابن جهير إلى السلطان ملك شاه يتزوج ابنته، فأجابت أمها بذلك، بشرط أن لا يكون له زوجة ولا سرية سواها، وأن يكون سبعة أيام عندها، فوقع الشرط على ذلك.

وفيها توفي من الأعيان:

داود بن السلطان بن ملك شاه

فوجد عليه أبوه وجدا عظيما، بحيث إنه كاد أو هم أن يقتل نفسه، فمنعه الأمراء من ذلك، وانتقل عن ذلك البلد، وأمر النساء بالنوح عليه، ولما وصل الخبر لبغداد، جلس وزير الخليفة للعزاء.

القاضي أبو الوليد الباجي

سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي، الأندلسي، الباجي الفقيه، المالكي، أحد الحفاظ المكثرين، في الفقه، والحديث، سمع الحديث، ورحل إلى بلاد المشرق، سنة ست وعشرين وأربعمائة، فسمع هناك الكثير، واجتمع بأئمة ذلك الوقت، كالقاضي أبي الطيب الطبري، وأبي

إسحاق الشيرازي، وجاور بمكة ثلاث سنين، مع الشيخ أبي ذر الهروي، وأقام ببغداد ثلاث سنين، وبالموصل سنة عند أبي جعفر السمناني قاضيها، فأخذ عنه الفقه والأصول، وسمع الخطيب البغدادي، وسمع منه الخطيب أيضا، وروي عنه هذين البيتين الحسنين .

إذا كنتُ أعلمُ علماً يقيناً بأنّ جميعَ حياتي كساعةْ
فَلِمَ لا أكونُ كَضَنِيْف بها وأجعلُها في صلاحٍ وطاعةْ ؟

ثم عاد إلى بلده بعد ثلاث عشرة سنة، وتولي القضاء هناك، ويقال إنه تولي قضاء حلب أيضا، قاله ابن خلكان . قال: وله مصنفات عديدة، منها (المنتقى في شرح الموطأ) (وإحكام الفصول في أحكام الأصول) ، و (الجرح والتعديل) ،وغير ذلك، وكان مولده سنة ثلاث وأربعمائة، وتوفي ليلة الخميس بين العشاءين، التاسع والعشرين من رجب من هذه السنة، رحمه الله .

أبو الأغر دبيس بن علي بن مَزْيَد

الملقب نور الدولة، توفي في هذه السنة عن ثمانين سنة: مكث منها أميرا نيفا وستين [1] سنة، وقام بالأمر من بعده ولده أبو كامل، ولقب بهاء الدولة .

عبد الله بن أحمد بن رضوان

أبو القاسم البغدادي، كان من الرؤساء، ومرض بالشقيقة ثلاث سنين، فمكث في بيت مظلم لا يري ضوءا، ولا يسمع صوتا .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وأربعمائة

فيها: قدم مؤيد الملك، فنــزل في مدرسة أبيه، وضربت الطبول على بابه في أوقات الصلوات الثلاث . وفيها نفذ الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رسولا إلى السلطان ملكشاه، والوزير نظام الملك، وكان أبو إسحاق كلما مر على بلدة خرج إليه أهلها يتلقونه بأولادهم، ونسائهم، يتبركون به، ويتمسحون بركابه، وربما أخذوا من تراب حافر بغلته . ولما وصل إلى ساوة، خرج إليه أهلها، وما مر بسوق منها، إلا نثروا عليه من لطيف ما عندهم، حتى اجتاز بسوق الأساكفة، فلم يكن عندهم إلا مداسات [2] الصغار، فنثروها عليه، فجعل الشيخ يتعجب من ذلك . وفيها: جددت الخطبة لبنت السلطان ملكشاه من جهة الخليفة، فطلبت أمها أربعمائة ألف دينار، ثم اتفق الحال على خمسين ألف دينار. وفيها : حارب السلطان أخاه تتش فأسره، ثم أطلقه، واستقرت يده على دمشق وأعمالها . وحج بالناس جنفل .

وتوفي فيها من الأعيان :

عبد الوهاب بن محمد

ابن إسحاق بن محمد بن يحيي بن منده، أبو عمر الحافظ من بيت الحديث، رحل إلى الآفاق، وسمع الكثير، وتوفي بأصبهان .

---

(١) كذا بالأصل، وفى النجوم الزاهرة أيضاً وفى الكامل لابن الأثير أن إمارته كانت سبعا وخمسين سنة .

(٢) جمع: مداس وهى الأحذية .

ابن ماكولا

الأمير أبو نصر علي بن الوزير أبي القاسم هبة الله بن علي بن جعفر بن علكان بن محمد ابن دلف بن أبي دلف التميمي الأمير سعد الملك، أبو نصر بن ماكولا، أحد أئمة الحديث، وسادات الأمراء، ورحل، وطاف، وسمع الكثير، وصنف (الإكمال في المشتبه من أسماء الرجال)، وهو كتاب جليل، لم يسبق إليه، ولا يلحق فيه، إلا ما استدرك عليه ابن نقطة، في كتاب سماه (الاستدراك). قتله مماليكه في كرمان، في هذه السنة، وكان مولده في سنة عشرين وأربعمائة، وعاش خمسا وخمسين سنة . قال ابن خلكان: وقيل: إنه قتل في سنة تسع وسبعين، وقيل: في سنة سبع وثمانين . قال: وقد كان أبوه وزير القائم بأمر الله، وعمه عبد الله بن الحسين، ولي قضاء بغداد . قال: و لم أدر لم سمي الأمير، إلا أن يكون منسوبا إلى جده الأمير أبي دلف، وأصله من جرباذقان، ولد في عكبرا، في شعبان، سنة إحدى وعشرين وأربعمائة . قال: وقد كان الخطيب البغدادي صنف كتاب المؤتلف، جمع فيه بين كتابي الدارقطني، وعبد الغني بن سعيد، في (المؤتلف والمختلف) ، فجاء ابن ماكولا وزاد على الخطيب، وسماه كتاب (الإكمال) ، وهو في غاية الإفادة، و(رفع الالتباس، والضبط) . و لم يوضع مثله، ولا يحتاج هذا الأمير بعده إلى فضيلة أخري، ففيه دلالة على كثرة اطلاعه، وضبطه، وتحريره، وإتقانه، ومن الشعر المنسوب إليه قوله :

قَوِّضْ خيامَك عن أرضٍ تُهانُ بها ... وجانب الذلّ إنّ الذلّ يُجتنبُ [1]

وارحلْ إذا كانَ في الأوطانِ مَنْقَصَةٌ ... فالمندلُ الرطبُ في أوطانه حطبُ [2]

ثم دخلت سنة ست وسبعين وأربعمائة

فيها : عزل عميد الدولة ابن جهير عن وزارة الخلافة، فسار بأهله وأولاده إلى السلطان، وقصدوا نظام الملك الوزير، فعقد لولده فخر الدولة على بلاد ديار بكر، فسار إليها، بالخلع، والكوسات [3]، والعساكر، وأمر أن ينتزعها من ابن مروان، وأن يخطب لنفسه، وأن يكتب اسمه على السكة، فما زال حتى انتزعها من أيديهم، وباد ملكهم على يديه، كما سيأتي بيانه، وسد وزارة الخلافة أبو الفتح المظفر ابن رئيس الرؤساء، ثم عزل في شعبان، واستوزر أبو شجاع محمد بن الحسين، ولقب ظهير الدين، وفي جمادى الآخرة، ولي مؤيد الملك أبو سعيد عبد الرحمن ابن المأمون، المتولي تدريس النظامية، بعد وفاة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي رحمه الله. وفيها عصي أهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش، فجاء، فحاصرها، ففتحها، وهدم سورها، وصلب قاضيها ابن حلبة، وابنيه، على السور . وفي شوال منها: قتل أبو المحاسن بن أبي الرضا،

---

(١) قوّض : قوّض البناء نقضه من غير هدم. جانب الذل: فارقه وتجنبه .

(٢) المندل : عطر ينسب إلى المندل: وهى من بلاد الهند .

(٣) الكُوسات : بضم الكاف: الطبول .

وذلك لأنه وشي إلى السلطان، في نظام الملك، وقال له: سلمهم إلي، حتى أستخلص لك منهم ألف ألف دينار؛ فعمل نظام الملك سماطا هائلا، واستحضر غلمانه، وكانوا ألوفا من الأتراك، وشرع يقول للسلطان: هذا كله من أموالك، وما وقفته من المدارس والربط، وكله شكره لك في الدنيا، وأجره لك في الآخرة، وأموالي وجميع ما أملكه بين يديك، وأنا أقنع بمرقعة، وزاوية، فعند ذلك، أمر السلطان بقتل أبي المحاسن، وقد كان حضيا عنده، وخصيصا به، وجيها لديه، وعزل أباه عن كتابة الطغراء، وولاها مؤيد الملك بن نظام الملك. وحج بالناس الأمير جنفل التركي مقطع الكوفة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ أبو إسحاق الشيرازي

إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزاباذي، وهي قرية من قري فارس، وقيل: هي مدينة خوارزم، شيخ الشافعية، ومدرس النظامية ببغداد، ولد سنة ثلاث وقيل: ست وتسعين وثلاثمائة، وتفقه بفارس، على أبي عبد الله البيضاوي، ثم قدم بغداد، سنة خمس عشرة وأربعمائة، فتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري، وسمع الحديث من ابن شاذان، والبرقاني، وكان زاهدا، عابدا، ورعا كبير القدر، معظما، محترما، إماما في الفقه، والأصول، والحديث، وفنون كثيرة، وله المصنفات الكثيرة النافعة، كالمهذب في المذهب، والتنبيه، والنكت في الخلاف، واللمع في أصول الفقه، والتبصرة، وطبقات الشافعية، وغير ذلك .

قلت: وقد ذكرت ترجمته، مستقصاة مطولة، في أول شرح التنبيه، وتوفي ليلة الأحد، الحادي والعشرين من جمادى الآخرة، في دار أبي المظفر ابن رئيس الرؤساء، وغسله أبو الوفا بن عقيل الحنبلي، وصلى عليه بباب الفردوس من دار الخلافة، وشهد الصلاة عليه المقتدي بأمر الله، وتقدم للصلاة عليه أبو الفتح المظفر ابن رئيس الرؤساء، وكان يومئذ لابسا ثياب الوزارة، ثم صلى عليه مرة ثانية بجامع القصر، ودفن بباب إبرز، في تربة مجاورة للناحية، رحمه الله تعالى، وقد امتدحه الشعراء في حياته، وبعد وفاته، وله شعر رائق، فمما أنشده ابن خلكان من شعره قوله :

سألتُ النـاسَ عـن خـلٍّ وَفـيٍّ ... فقالـوا : مـا إلى هـذا سبيـلُ

تمسّـكْ إنْ ظفـرت بذَيـلِ حُـرٍّ ... فـإنّ الحـرَّ في الدنيـا قليـلُ

قال ابن خلكان: ولما توفي، عمل الفقهاء عزاءه بالمدرسة النظامية . وعين مؤيد الملك أبا سعد المتولي مكانه، فلما بلغ الخبر إلى نظام الملك، كتب يقول: كان من الواجب أن تغلق المدرسة سنة لأجله، وأمر أن يدرس الشيخ أبو نصر بن الصباغ في مكانه .

طاهر بن الحسين

ابن أحمد بن عبد الله القواس، قرأ القرآن، وسمع الحديث، وتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري، وأفتى، ودرس، وكانت له حلقة بجامع المنصور، للمناظرة، والفتوي، وكان ورعا،

زاهدا، ملازما لمسجده خمسين سنة، توفي عن ست وثمانين سنة، ودفن قريبا من الإمام أحمد رحمه الله وإيانا .

محمد بن أحمد بن إسماعيل

أبو طاهر الأنباري الخطيب، ويعرف بابن أبي الصفر، طاف البلاد، وسمع الكثير، وكان ثقة صالحا فاضلا عابدا، وقد سمع منه الخطيب البغدادي، وروي عنه مصنفاته، توفي بالأنبار في جمادى الآخرة، عن نحو من مائة سنة، رحمه الله .

محمد بن أحمد بن الحسين بن جرادة

أحد الرؤساء ببغداد، وهو من ذوي الثروة والمروءة، كان يحرز ماله بثلاثمائة ألف دينار، وكان أصله من عكبرا، فسكن بغداد، وكانت له بها دار عظيمة، تشتمل على ثلاثين مسكنا مستقلا، وفيها حمام، وبستان، ولها بابان على كل باب مسجد، إذا أذن المؤذن في إحداهما، لا يسمع الآخر، من اتساعها، وقد كانت زوجة الخليفة القائم ــ حين وقعت فتنة البساسيري، في سنة خمسين وأربعمائة ــ نزلت عنده في جواره، فبعث إلى الأمير قريش بن بدران أمير العرب بعشرة آلاف دينار، ليحمي له داره، وهو الذي بني المسجد المعروف به ببغداد، وقد ختم فيه القرآن ألوف من الناس، وكان لا يفارق زي التجار . وكانت وفاته في عاشر ذي القعدة، من هذه السنة، ودفن في التربة المجاورة لتربة القزويني، رحمه الله وإيانا آمين .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وأربعمائة

فيها كانت الحرب بين فخر الدولة بن جهير، وزير الخليفة، وبين ابن مروان، صاحب ديار بكر، فاستولي ابن جهير على ملك العرب، وسبي حريمهم، وأخذ البلاد، ومعه سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي، فافتدي خلقا من العرب، فشكره الناس على ذلك، وامتدحه الشعراء . وفيها : بعث السلطان عميد الدولة بن جهير، في عسكر كثيف ومعه قسيم الدولة أقسنقر جد بني أتابك ملوك الشام والموصل، فسارا إلى الموصل فملكوها .

وفي شعبان منها: ملك سليمان بن قتلمش أنطاكية، فأراد شرف الدولة مسلم بن قريش أن يستنقذها منه، فهزمه سليمان، وقتله، وكان مسلم هذا من خيار الملوك سيرة، له في كل قرية وال وقاض، وصاحب خبر، وكان يملك من السندية إلى منبج . وولي بعده أخوه إبراهيم ابن قريش، وكان مسجونا من سنين، فأطلق، وملك. وفيها: ولد السلطان سنجر بن ملكشاه، في العشرين من رجب بسنجار . وفيها: عصي تكش أخو السلطان، فأخذه السلطان، فسمله وسجنه . وحج بالناس في هذه السنة، الأمير خمار تكين الحسناني، وذلك لشكوي الناس من شدة سير جنفل بهم، وأخذه المكوسات منهم سافر مرة من الكوفة إلى مكة في سبعة عشر يوما .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن دوبست

أبو سعد النيسابوري، شيخ الصوفية، له رباط بمدينة نيسابور، ويدخل من بابه الجمل براكبه، وحج مرات على التجريد على البحرين، حين انقطعت طريق مكة، وكان يأخذ جماعة من الفقراء، ويتوصل من قبائل العرب، حتى يأتي مكة، توفي في هذه السنة، وقد جاوز التسعين، رحمه الله وإيانا، وأوصي أن يخلفه ولده إسماعيل، فأجلس في مشيخة الرباط .

ابن الصباغ

صاحب الشامل: عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر، الإمام أبو نصر ابن الصباغ، ولد سنة أربعمائة، وتفقه ببغداد على أبي الطيب الطبري، حتى فاق الشافعية بالعراق وصنف المصنفات المفيدة، منها (الشامل في المذهب) ، وهو أول من درس بالنظامية، توفي في هذه السنة، ودفن بداره في الكرخ، ثم نقل إلى باب حرب، رحمه الله . قال ابن خلكان: كان فقيه العراقين . وكان يضاهي أبا إسحاق، وكان ابن الصباغ أعلم منه بالمذهب، وإليه الرحلة فيه، وقد صنف الشامل في الفقه، والعمدة في أصول الفقه، وتولي تدريس النظامية أولا، ثم عزل بعد عشرين يوما بالشيخ أبي إسحاق، فلما مات الشيخ أبو إسحاق، تولاها أبو سعد المتولي، ثم عزل ابن الصباغ بابن المتولي، وكان ثقة، حجة صالحا. ولد سنة أربعمائة، أضر في آخر عمره، رحمه الله وإيانا .

مسعود بن ناصر

ابن عبد الله بن أحمد بن إسماعيل أبو سعد السجري الحافظ، رحل في الحديث، وسمع الكثير، وجمع الكتب النفيسة،وكان صحيح الخط، صحيح النقل حافظا ضابطا، رحمه الله وإيانا.

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وأربعمائة

في المحرم منها : زلزلت أرجان، فهلك خلق كثير من الروم ومواشيهم . وفيها: كثرت الأمراض بالحمي والطاعون، بالعراق، والحجاز، والشام، وأعقب ذلك موت الفجأة، ثم ماتت الوحوش في البراري، ثم تلاها موت البهائم، حتى عزّت الألبان واللحمان، ومع هذا كله، وقعت فتنة عظيمة، بين الرافضة والسنة، فقتل خلق كثير فيها . وفي ربيع الأول: هاجت ريح سوداء، وسفت رملا، وتساقطت أشجار كثيرة من النخل وغيرها، ووقعت صواعق في البلاد، حتى ظن بعض الناس أن القيامة قد قامت، ثم انجلي ذلك، ولله الحمد .

وفيها : ولد للخليفة ولده أبو عبد الله الحسين، وزينت بغداد ، وضربت الطبول، والبوقات ، وكثرت الصدقات . وفيها : استولي فخر الدولة بن جهير ، على بلاد كثيرة منها

آمد، وميافارقين، وجزيرة ابن عمر، وانقرضت دولة بني مروان على يده في هذه السنة . وفي ثاني عشر رمضان منها: ولي أبو بكر محمد بن المظفر الشامي، قضاء القضاة ببغداد، بعد وفاة أبي عبد الله الدامغاني، وخلع عليه في الديوان .

وحج بالناس جنفل وزار النبي ﷺ ذاهبا وآيبا. قال: أظن أنها آخر حجتي، وكان كذلك .

وفيها: خرج توقيع الخليفة المقتدي بأمر الله، بتجديد الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر في كل محلة، وإلزام أهل الذمة بلبس الغيار، وكسر آلات الملاهي، وإراقة الخمور، وإخراج أهل الفساد من البلاد، أثابه الله ورحمه .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن الحسن

ابن محمد بن إبراهيم بن أبي أيوب، أبو بكر الفوركي، سبط الأستاذ أبي بكر بن فورك، استوطن بغداد، وكان متكلما، يعظ الناس في النظامية، فوقعت بسببه فتنة بين أهل المذاهب . قال ابن الجوزي: وكان مؤثرا للدنيا، لا يتحاشي من لبس الحرير وذكر: أنه كان يأخذ مكس الفحم، ويوقع العداوة بين الحنابلة والأشاعرة، مات وقد ناف على الستين سنة، ودفن إلى جانب قبر الأشعري، بمشرعة الزوايا .

الحسن بن علي

أبو عبد الله المردوسي، كان رئيس أهل زمانه، وأكملهم مروءة، كان خدم في أيام بني بويه، وتأخر لهذا الحين، وكانت الملوك تعظمه، وتكاتبه ، وكان كثير الصدقة، والصلات، والبر، وبلغ من العمر خمسا وتسعين سنة، وأعد لنفسه قبرا وكفنا قبل موته بخمس سنين .

أبو سعد المتولي

عبد الرحمن بن المأمون بن علي أبو سعد المتولي: مصنف (التتمة) ، ومدرس النظامية بعد الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وكان فصيحا بليغا، ماهرا بعلوم كثيرة، كانت وفاته في شوال، من هذه السنة، وله ثنتين وخمسين سنة رحمه الله وإيانا، وصلى عليه القاضي أبو بكر الشاشي .

إمام الحرمين

عبد الملك بن [الشيخ أبي محمد] عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه، أبو المعالي الجويني، وجوين من قري نيسابور، الملقب بإمام الحرمين، لمجاورته بمكة أربع سنين، كان مولده في سنة تسع عشرة وأربعمائة، سمع الحديث، وتفقه على والده الشيخ أبي محمدالجويني، ودرس بعده في حلقته، وتفقه على القاضي حسين، ودخل بغداد، وتفقه بها، وروي بها الحديث، وخرج إلى مكة، فجاور فيها أربع سنين،ثم عاد إلى نيسابور،فسلم اليه

التدريس، والخطابة، والوعظ، وصنف نهاية المطلب في دراية المذهب، والبرهان في أصول الفقه، وغير ذلك في علوم شتى، واشتغل عليه الطلبة، ورحلوا إليه من الأقطار، وكان يحضر مجلسه ثلاثمائة متفقه، وقد استقصيت ترجمته في (الطبقات) ، وكانت وفاته في الخامس والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة، عن سبع وخمسين سنة، ودفن بداره، ثم نقل إلى جانب والده . قال ابن خلكان: كانت أمه جارية، اشتراها والده من كسب يده، من النسخ، وأمرها ألا تدع أحد يرضعه غيرها، فاتفق أن امرأة دخلت عليها، فأرضعته مرة، فأخذ الشيخ أبو محمد، فنكسه، ووضع يده على بطنه، ووضع أصبعه في حلقه، ولم يزل به حتى قاء ما في بطنه من لبن تلك المرأة. قال: وكان إمام الحرمين ربما حصل له في مجلسه في المناظرة فتور، ووقفة، فيقول: هذا من آثار تلك الرضعة . قال: ولما عاد من الحجاز إلى بلده نيسابور، سلم إليه المحراب، والخطابة، والتدريس، ومجلس التذكير يوم الجمعة، وبقي ثلاثين سنة غير مزاحم، ولا مدافع، وصنف في كل فن، وله النهاية التي ما صنف في الإسلام مثلها. قال الحافظ أبو جعفر: سمعت الشيخ أبو إسحاق الشيرازي يقول لإمام الحرمين: يا مفيد أهل المشرق والمغرب، أنت اليوم إمام الأئمة . ومن تصانيفه: (الشامل في أصول الدين) ، و (البرهان في أصول الفقه) ، و(تلخيص التقريب) ، و(الإرشاد) ، و(العقيدة النظامية) ، و (غياث الأمم) ، وغير ذلك، مما سماه، ولم يتمه . وصلى عليه ولده أبو القاسم، وغلقت الأسواق، وكسر تلاميذه أقلامهم — وكانوا أربعمائة — ومحابرهم، ومكثوا كذلك سنة، وقد رثي بمراث كثيرة، فمن ذلك قول بعضهم :

قلوبُ العالمينَ على المقالي [1] وأيامُ الوري شبه الليالي
أيثْمُر غصنُ أهلِ العلمِ يوماً وَقدْ ماتَ الإمامُ أبو المعالي

محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد

أبو على بن الوليد، شيخ المعتزلة، كان مدرسا لهم، فأنكر أهل السنة عليه، فلزم بيته خمسين سنة، إلى أن توفي في ذي الحجة منها، ودفن في مقبرة الشونيزية، وهذا هو الذي تناظر هو والشيخ أبو يوسف القزويني المعتزلي، المفسر، في إباحة الولدان في الجنة، وأنه لا يباح لأهل الجنة وطء الولدان في أدبارهم، كما حكي ذلك ابن عقيل عنهما، وكان حاضرهما، فمال هذا إلى إباحة ذلك، لأنه مأمون المفسدة هنالك، وقال أبو يوسف: إن هذا لا يكون لا في الدنيا ولا في الآخرة، ومن أين لك أن يكون لهم أدبار؟ — وهذا العضو — وهو الدبر إنما خلق في الدنيا، لحاجة العباد إليه، لأنه مخرج للأذي عنهم، وليس في الجنة شيء من ذلك، وإنما فضلات أكلهم عرق يفيض من جلودهم، فإذا هم ضمر فلا يحتاجون إلى أن يكون لهم أدبار، ولا يكون لهذه المسألة صورة بالكلية . وقد روي هذا الرجل: حديثا واحدا، عن شيخه أبي الحسين البصري

(١) المقالي: أي على النار .

بسنده المتقدم من طريق شعبة عن منصور عن ربعي بن خراش عن أبي مسعود البدري أن رسول الله ﷺ قال : « إذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ » [1] وقد رواه القعنبي عن شعبة ولم يرو عنه سواه فقيل: إنه لما رحل إليه دخل عليه، وهو يبول في البالوعة فسأله أن يحدثه فامتنع فروي له هذا الحديث، كالواعظ له به والتزم أن لا يحدثه بغيره، وقيل: لأن شَعْبَةَ مَرَّ على القعنبي قبل أن يشتغل بعلم الحديث ـــ وكان إذ ذاك يعلن الشراب ـــ فسأله أن يحدثه، فامتنع، فَسَلَّ سكينا، وقال: إن لم تحدثني، وإلا قتلتك . فروي له هذا الحديث، فتاب، وأناب، ولزم مالكا، ثم فاته السماع من شعبة، فلم يتفق له عنه غير هذا الحديث، فالله أعلم .

أبو عبد الله الدامغاني القاضي

محمد بن على بن الحسين بن عبد الملك بن عبد الوهاب بن حمويه الدامغاني، قاضي القضاة ببغداد، مولده في سنة ثمان عشرة وأربعمائة، فتفقه بها على أبي عبد الله الصيمري، وأبي الحسن القدوري، وسمع الحديث منهما، ومن ابن النقور، والخطيب، وغيرهم، وبرع في الفقه، وكان له عقل وافر، وتواضع زائد، وانتهت إليه رياسة الفقهاء، وكان فصيح العبارة، وقد كان فقيرا في ابتداء طلبه، عليه أطمار رثة، ثم صارت إليه الرياسة، والقضاء بعد ابن ماكولا في سنة تسع وأربعين، وكان القائم بأمر الله يكرمه، والسلطان طغرلبك يعظمه، وباشر الحكم ثلاثين سنة، في أحسن سيرة وغاية الأمانة والديانة، مرض أياما يسيرة، ثم توفي في الرابع والعشرين من رجب، من هذه السنة، وقد ناهز الثمانين، ودفن بداره بدرب العلابين، ثم نقل إلى مشهد أبي حنيفة رحمه الله .

محمد بن علي بن المطلب

أبو سعد الأديب، كان قد قرأ النحو، والأدب، واللغة، والسير، وأخبار الناس، ثم أقلع عن ذلك كله، وأقبل على كثرة الصلاة، والصدقة، والصوم، إلى أن توفي في هذه السنة، عن ست وثمانين سنة، رحمه الله .

محمد بن طاهر العباسي

ويعرف بابن أبي الرجيحي، تفقه على ابن الصباغ، وناب في الحكم، وكان محمود الطريقة، وشهد عند ابن الدامغاني، فقبله .

منصور بن دبيس

ابن علي بن مزيد أبو كامل الأمير بعد سيف الدولة، كان كثير الصلاة، والصدقة. توفي في رجب من هذه السنة، وكان له شعر وأدب، وفيه فضيلة، فمن شعره قوله :

فإنْ أنَا لم أحملْ عظيماً ولم أَقُدْ ... لهاماً ولم أصبْر على كُلِّ معظم

---

(١) سبق تخريجه .

ولم أحجزِ الجـاني وأمنـعْ جَـوْرَه غـداة أنـادي للفخـار وأنتمـي
فلا نَهَضَـتْ لي هِمَّـةٌ عَرَبِيَّـةٌ إلى المجد تَرْقى به ذُرى كـلِّ محـرمِ

هبة الله بن أحمد بن المسيبي

[قاضي الحريم بنهر معلى] ومؤدى الخليفة المقتدي بأمر الله، سمع الحديث، وتوفي في محرم هذه السنة، وقد جاوز الثمانين، وله شعر جيد فمنه قوله :

رجوتُ الثمانينَ مـنْ خَـالقـي لمـا جـاءَ فيهـا عـن المصطفى وزادَ
فَبَلَّغنيهَـا فشكـراً لـه ثلاثـا بهـا إذ وفـا
وإنِّـي لَمُنْتظِـرُ وَعْـدَهُ لِيُنجزَهُ لـي فِعـلَ أهـلِ الوفـا

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة

وفيها : كانت الوقعة بين تتش صاحب دمشق، وبين سليمان بن قتلمش صاحب حلب، وأنطاكية، وتلك الناحية، فانهزم أصحاب سليمان، وقتل هو نفسه بخنجر كانت معه، فسار السلطان ملكشاه من أصبهان إلى حلب، فملكها، وملك ما بين ذلك من البلاد التي مر بها، مثل حران ، والرها ، قلعة جعبر ، وكان جعبر شيخا كبيرا، قد عمي، وله ولدان، وكان قطاع الطريق يلجأون إليها، فيتحصنون بها، فراسل السلطان سابق بن جعبر في تسليمها، فامتنع عليه، فنصب عليها المناجيق والعرادات، ففتحها وأمر بقتل سابق، فقالت زوجته: لا تقتله حتى تقتلني معه، فألقاه من رأسها، فتكسر، ثم أمر بتوسيطهم بعد ذلك، فألقت المرأة نفسها وراءه، فسلمت، فلامها بعض الناس في ذلك، فقالت: كرهت أن يصل إلى التركي، فيبقي ذلك عارا علي، فاستحسن منها ذلك، واستناب السلطان على حلب قسيم الدولة اقسنقر التركي، وهو جد نور الدين الشهيد، واستناب على الرحبة، وحران والرقة، وسروج، والخابور: محمد بن شرف الدولة مسلم، وزوجه بأخته زليخا خاتون، وعزل فخر الدولة بن جهير عن ديار بكر، وسلمها إلى العميد أبي علي البلخي، وخلع على سيف الدولة صدقة بن دبيس الأسدي، وأقره على عمل أبيه، ودخل بغداد في ذي القعدة من هذه السنة، وهي أول دخلة دخلها، فزار المشاهد، والقبور، ودخل على الخليفة، فقبل يده، ووضعها على عينيه، وخلع عليه الخليفة خلعا سنية، وفوض إليه أمور الناس، واستعرض الخليفة أمراءه، ونظام الملك واقف بين يدي الخليفة يعرفه بالأمراء، واحدا بعد واحد، باسمه، وكم جيشه، وأقطاعه،ثم أفاض عليه الخليفة خلعا سنية، وخرج من بين يديه، فنـزل بمدرسة النظامية،ولم يكن رآها قبل ذلك،فاستحسنها،إلا أنه استصغرها، واستحسن أهلها ومن بها، وحمد الله، وسأل الله: أن يجعل ذلك خالصا لوجهه الكريم، ونزل بخزانة كتبها، وأملي جزءا من مسموعاته، فسمعه المحدثون منه، وورد الشيخ أبو القاسم علي بن الحسين الحسني الدبوسي إلى بغداد في تجمل عظيم، فرتب مدرسا بالنظامية، بعدأبي سعد المتولي .

وفي ربيع الآخر: فرغت المنارة بجامع القصر، وأذن فيها، وفي هذه السنة كانت زلازل هائلة، بالعراق، والجزيرة، والشام،فهدمت شيئا كثيرا من العمران، وخرج أكثر الناس إلى الصحراء، ثم عادوا . وحج بالناس الأمير خمارتكين الحسناني، وقطعت خطبة المصريين من مكة، والمدينة، وقلعت الصفائح التي على باب الكعبة، التي عليها ذكر الخليفة المصري، وجدد غيرها عليها، وكتب عليها اسم المقتدي . قال ابن الجوزي: وظهر رجل بين السندية، وواسط، يقطع الطريق، وهو مقطوع اليد اليسري، يفتح الأقفال، في أسرع مدة، ويغوص دجلة في غوصتين، ويقفز القفزة خمسة وعشرين ذراعا، ويتسلق الحيطان الملس، ولا يقدر عليه أحد، وخرج من العراق سالما . قال: وفيها: توفي فقير في جامع المنصور، فوجد في مرقعته ستمائة دينار مغربية، أي صحاحا كبارا، من أحسن الذهب قال: وفيها : عمل سيف الدولة صدقة سماطا للسلطان جلال الدولة، أبي الفتح ملكشاه، اشتمل على ألف رأس من الغنم، ومائة جمل، وغيرها، وعشرين ألف دجاجة ودخله عشرون ألف منّ من السكر، وجعل عليه من أصناف الطيور والوحوش، ثم أردفه من السكر شيء كثير، فتناول السلطان بيده منه شيئا يسيرا، ثم أشار فانتهب عن آخره، ثم انتقل من ذلك المكان إلى سرادق عظيم لم ير مثله من الحرير، وفيه خمسمائة قطعة من الفضة، وألوان من تماثيل الند [1] والمسك، والعنبر وغير ذلك، فمد فيه سماطا خاصا، فأكل السلطان حينئذ، وحمل إليه عشرين ألف دينار، وقدم إليه ذلك السرادق بما فيه بكماله، وانصرف، والله أعلم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الأمير جعبر بن سابق القشيري

الملقب بسابق الدين، كان قد تملك قلعة جعبر مدة طويلة، فنسبت إليه، وإنما كان يقال لها قبل ذلك: الدوشرية نسبة إلى غلام النعمان بن المنذر، ثم إن هذا الأمير كبر وعمي، وكان له ولدان يقطعان الطريق، فاجتاز به السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي، وهو ذاهب إلى حلب، فأخذ القلعة، وقتله كما تقدم .

الأمير جنفل قتلغ

أمير الحاج كان مقطّعا للكوفة، وله وقعات مع العرب، أعربت عن شجاعته، وأرعبت قلوبهم، وشردتهم في البلاد شذر مذر، وقد كان حسن السيرة، محافظا على الصلوات كثير التلاوة وله آثار حسنة بطريق مكة، في إصلاح المصانع، والأماكن التي تحتاج إليها الحجاج وغيرهم، وله مدرسة على الحنفية، بمشهد يونس بالكوفة، وبنى مسجدا بالجانب الغربي من بغداد على دجلة بمشرعة الكرخ . توفي في جمادى الأولي منها، رحمه الله، ولما بلغ نظام الملك وفاته، قال: مات ألف رجل . والله أعلم .

---

(١) تماثيل واحدها (التِمْثَالُ) : الصورة المصورة . ما تصنعُهُ وَ تُصَوِّرُهُ مُشَبَّهاً بخلق الله من ذوات الروح .
(الند) : الطيب ؛ وهو غير عربي .

علي بن فضال المشاجعي

أبو على النحوي المغربي، له المصنفات الدالة على علمه، وغزارة فهمه، وأسند الحديث .

توفي في ربيع الأول منها، ودفن بباب إبرز .

علي بن أحمد التستري

كان مقدم أهل البصرة في المال والجاه، وله مراكب تعمل في البحر، قرأ القرآن، وسمع الحديث، وتفرد برواية (سنن أبي داود) .و كانت وفاته في رجب منها .

يحيى بن إسماعيل الحسيني

كان فقيها على مذهب زيد بن علي بن الحسين، وعنده معرفة بالأصول والحديث .

ثم استهلت سنة ثمانين وأربعمائة

في المحرم منها: نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه إلى دار الخلافة المكرمة على مائة وثلاثين جملا مجللة بالديباج الرومي عليها أواني الذهب والفضة، وعلي أربع وسبعين بغلة، مجللة بأنواع الديباج الملكي وأجراسها وقلائدها من الذهب والفضة، وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من الفضة فيها أنواع الجواهر والحلي، وبين يدي البغال ثلاث وثلاثون فرسا عليها مراكب الذهب مرصعة بأنواع الجوهر، ومهد عظيم مجلل بالديباج الملكي عليه صفائح الذهب مرصع بالجوهر وبعث الخليفة لتلقيهم الوزير أبا شجاع، وبين يديه نحو من ثلاثمائة موكبية، غير المشاعل لخدمة الست خاتون امرأة السلطان تركان خاتون، حماة الخليفة، وسألها أن تحمل الوديعة الشريفة إلى دار الخلافة، فأجابت إلى ذلك، فحضر الوزير نظام الملك وأعيان الأمراء، وبين أيديهم من الشموع والمشاعل ما لا يحصى وجاءت نساء الأميرات كل واحدة منهن في جماعتها وجواريها وبين أيديهن الشموع والمشاعل، ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان زوجة الخليفة بعد الجميع في محفة مجللة، وعليها من الذهب والجواهر ما لاتحصي قيمته، وقد أحاط بالمحفة مائتا جارية تركية، بالمراكب المزينة العجيبة، مما يبهرن الأبصار، فدخلت دار الخلافة على هذه الصفة، وقد زين الحريم الطاهر، وأشعلت فيه الشموع، وكانت ليلة مشهودة للخليفة هائلة جدا فلما كان من الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان ومد سماطا لم ير مثله عم الحاضرين والغائبين وخلع على الخاتون زوجة السلطان أم العروس، وكان أيضا يوما مشهودا وكان السلطان متغيبا في الصيد، ثم قدم بعد أيام، وكان الدخول بها في أول السنة ولدت من الخليفة في ذي القعدة، ولدًا ذكرا، زينت له بغداد . وفيها: ولد للسلطان ملكشاه ولد سماه محمودا، وهو الذي ملك بعده وفيها جعل السلطان ولده أبا شجاع أحمد ولي العهدمن بعده، ولقبه: ملك الملوك، عضد الدولة، وتاج الملة عدة أمير المؤمنين،وخطب له بذلك على المنابر، ونثر الذهب على الخطباء عند ذكر اسمه . وفيها : شرع في بناء التاجية في باب إبرز وعملت بستانًا وغرست

النخيل والفواكه هنالك، وعمل سور بأمر السلطان ملك شاه .و حج بالناس في هذه السنة نجم الدولة خمارتكين .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إسماعيل بن إبراهيم

ابن موسى بن سعيد، أبو القاسم النيسابوري، رحل في الحديث إلى الآفاق، حتى جاوز ما وراء النهر، وكان له حظ وافر في الأدب، ومعرفة العربية، توفي بنيسابور في جمادى الأولى منها.

طاهر بن الحسين البندنيجى

أبو الوفاء الشاعر، له قصيدتان في مدح نظام الملك، إحداهما : مُعْجَمَةٌ، والأخرى : غير منقوطة، أولها :

لاَمُوا ولو عَلِمُوا ما اللومُ ماَ لامُوا وَردُّ لَوْمَهُم هَمٌّ وآلامُ

توفي ببلده في رمضان، عن نيف وسبعين سنة .

محمد بن أمير المؤمنين المقتدي

عرض له جدري فمات فيها، وله تسع سنين ، فحزن عليه والده والناس، وجلسوا للعزاء ، فأرسل إليهم يقول : إن لنا في رسول الله أسوة حسنة حين توفي ابنه إبراهيم ، وقال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[البقرة:١٥٦] ثم عزم على الناس، فانصرفوا.

محمد بن محمد بن زيد

ابن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن الحسيني، الملقب بالمرتضي ذي الشرفين، ولد سنة خمس وأربعمائة ببغداد ونشأ بها، وسمع الحديث الكثير وقرأ بنفسه على الشيوخ، وصحب الحافظ أبا بكر الخطيب، فصارت له معرفة جيدة بالحديث، وسمع عليه الخطيب شيئا من مروياته، ثم انتقل إلى سمرقند، وأملي الحديث بأصبهان، وغيرها، وكان يرجع إلى عقل كامل، وفضل ومروءة، وكانت له أموال جزيلة، وأملاك متسعة، ونعمة وافرة، يقال: إنه ملك أربعين قرية، وكان كثير الصدقة، والبر والصلات للعلماء، والفقراء، وبلغت زكاة ماله الصامت عشرة آلاف دينار، غير العشور، وكان له بستان ليس لملك مثله، فطلبه منه ملك ما وراء النهر، واسمه الخضر بن إبراهيم، عارية ليتنـــزه فيه، فأبي عليه، وقال: أعيره إياه ليشرب فيه الخمر بعد ما كان مأوي أهل العلم والحديث والدين؟ فأعرض عنه السلطان وحقد عليه، ثم استدعاه إليه ليستشيره في بعض الأمور على العادة، فلما حصل عنده قبض عليه، وسجنه في قلعته، واستحوذ على جميع أملاكه وأحواله، وحواصله،، وكان يقول: ما تحققت صحة نسبي، إلا في هذه المصادرة، فإني ربيت في النعيم، فكنت أقول: إن مثلي لابد أن يبتلي . ثم منعوه الطعام والشراب حتى مات رحمه الله .

محمد بن هلال بن الحسن

أبو الحسن الصابي، الملقب بغرس النعمة، سمع أباه، وأباعلي بن شاذان،، وكانت له صدقة كثيرة، ومعروف، وقد ذيل على تاريخ أبيه، الذي ذيله على تاريخ ثابت بن سنان، الذي ذيله على تاريخ ابن جرير الطبري، وقد أنشأ دارا ببغداد، ووقف فيها أربعة آلاف مجلد، في فنون من العلوم، وترك حين مات سبعين ألف دينار، ودفن بمشهد علي .

هبة الله بن علي

ابن محمد بن أحمد بن المجلي أبو نصر، جمع خطبا ووعظا، وسمع الحديث على مشايخ عديدة، وتوفي شابا قبل أوان الرواية رحمه الله .

أبو بكر بن عمر أمير الملثمين

كان في أرض فرغانة، اتفق له من الناموس ما لم يتفق لغيره من الملوك، كان يركب معه إذا سار لقتال عدو خمسمائة ألف مقاتل كان يعتقد طاعته، وكان مع هذا يقيم الحدود، ويحفظ محارم الإسلام ويحوط الدين، ويسير في الناس سيرة شرعية، مع صحة اعتقاده ودينه، وموالاة الدولة العباسية، أصابته نشابة في بعض حروبه في حلقة، فقتلته في هذه السنة .

فاطمة بنت علي

المؤدبة الكاتبة، وتعرف ببنت الأقرع، سمعت الحديث من أبي عمر بن مهدي وغيره، وكانت تكتب الخط المنسوب على طريقة ابن البواب، ويكتب الناس عليها، وبخطها كانت الهدنة من الديوان إلى ملك الروم، وكتبت مرة إلى عميد الملك الكندري رقعة فأعطاها ألف دينار، توفيت في المحرم من هذه السنة ببغداد، ودفنت بباب إبرز .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وأربعمائة

فيها كانت فتن عظيمة، بين الروافض والسنة ببغداد، وجرت خطوب كثيرة . وفي ربيع الأول: أخرجت الأتراك من حريم الخلافة، فكان في ذلك قوة للخلافة . وفيها: ملك مسعود ابن الملك المؤيد بن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد غزنة بعد أبيه . وفيها: فتح ملكشاه مدينة سمرقند، وحج بالناس الأمير خمارتكين .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد ابن السلطان ملكشاه

وكان ولي عهد أبيه . توفي وعمره إحدى عشرة سنة، فمكث الناس في العزاء سبعة أيام، لم يركب أحد فرسا، والناس يَنُحْنَ عليه في الأسواق، وسوّد أهل البلاد التي لأبيه أبوابهم .

عبد الله بن محمد

ابن علي بن محمد أبو إسماعيل الأنصاري الهروي، روي الحديث، وصنف، وكان كثير السهر بالليل، وكانت وفاته بهراة، في ذي الحجة، عن ست وثمانين سنة . وحج بالناس فيها الوزير أبو أحمد، واستناب ولده أبا منصور، ونقيب النقباء طراد بن محمدالزينبي .

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وأربعمائة

في المحرم: درس أبو بكر الشاشي في المدرسة التاجية، بباب إبرز،التي أنشأها الصاحب تاج الملك أبو الغنائم على الشافعية . وفيها: كانت فتنة عظيمة بين الروافض والسنة، ورفعوا المصاحف، وجرت حروب طويلة، وقتل فيها خلق كثير؛ نقل ابن الجوزي في المنتظم، من خط ابن عقيل: أنه قتل في هذه السنة قريب من مائتي رجل، قال: وسب أهل الكرخ الصحابة، وأزواج النبي ﷺ ، فلعنة الله على من فعل ذلك من أهل الكرخ، وإنما حكيت هذا، ليعلم ما في طوايا الروافض من الخبث والبغض لدين الاسلام وأهله، ومن العداوة الباطنة الكامنة في قلوبهم لله ولرسوله وشريعته . وفيها: ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر، وطائفة كبيرة من تلك الناحية، بعد حروب عظيمة، ووقعات هائلة . وفيها: استولي جيش المصريين على عدة بلاد من بلاد الشام . وفيها: عمرت منارة جامع حلب . وفيها: أرسلت الخاتون بنت السلطان امرأة الخليفة تشكو إلى أبيها إعراض الخليفة عنها، فبعث إليها أبوها الطواشي صواب والأمير مران، ليرجعاها إليه . فأجاب الخليفة إلى ذلك، وبعث معها بالنقيب، وجماعة من أعيان الأمراء، وخرج ابن الخليفة أبو الفضل، والوزير، فشيعاها إلى النهروان، وذلك في ربيع الأول، فلما وصلت عند أبيها، توفيت في شوال من هذه السنة بأصبهان، فعمل عزاها ببغداد سبعة أيام، وأرسل الخليفة إلى السلطان أميرين لتعزيته فيها . وحج بالناس في هذه خمارتكين .
وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الصمد بن أحمد بن علي

المعروف بطاهر، النيسابوري الحافظ، رحل وسمع الكثير، وخرج، وعاجله الموت في هذه السنة بهمذان وهو شاب .

علي بن أبي يَعْلَى

أبو القاسم الدبوسي، مدرس النظامية بعد المتولي، سمع شيئا من الحديث، وكان فقيها ماهرا، وجدليا باهرا .

عاصم بن الحسين

ابن محمد بن علي بن عاصم بن مهران، أبو الحسين العاصمي، من أهل الكرخ، سكن باب الشعير، ولد سنة سبع وتسعين وثلاثمائة، وكان من أهل الفضل، والأدب، وسمع الحديث من الخطيب، وغيره، وكان ثقة حافظا، ومن شعره قوله :

لَهْفي على قوم بكاظمة ودَّعتُهم والركبُ معترضُ
لم تَتْرك العبراتُ مُذْ بَعُدُوا لي مقلةً ترْنُو وتغتمضُ
رَحَلُوا فَدَمْعي ما كَفَّ هَطِلُ جارٍ وقلبي حَشْوُهُ مرضُ
وتَعَوّضُوا لا ذقتُ فَقْدَهُمُ عَنّي ومالي عَنْهُم عوَضُ
أَقرضتُهم قَلْبي على ثقة مِنْهُم فما رَدُّوا الذي اقْتَرَضُوا

محمد بن أحمد بن حامد

ابن عبيد، أبو جعفر البخاري، المتكلم المعتزلي أقام ببغداد،ويعرف بقاضي حلب، وكان حنفي المذهب في الفروع، معتزليا في الأصول، مات ببغداد في هذه السنة، ودفن بباب حرب .

محمد بن أحمد بن عبد الله

ابن محمد بن إسماعيل الأصفهاني المعروف بمسلرفة ، أحد الحفاظ، الجوالين، الرحالين، سمع الكثير وجمع الكتب، وأقام بهراة، وكان رجلاً صالحا، كثير العبادة، توفي بنيسابور، في ذي الحجة من هذه السنة، والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة

في المحرم منها: ورد إلى الفقيه أبي عبد الله الطبري منشور نظام الملك بتدريس النظامية ببغداد، فدرس بها، ثم قدم الفقيه أبو محمد عبد الوهاب الشيرازي، في ربيع الآخر منها، بمنشور بتدريسها، فاتفق الحال على أن يدرس هذا يوما، وهذا يوما، وفي جمادى الأولى، دهم أهل البصرة رجل يقال له: بليا، كان ينظر في النجوم، فاستغوي خلقا من أهلها، وزعم أنه المهدي، وأحرق من البصرة شيئا كثيرا، من ذلك دار كتب وقفت على المسلمين، لم ير في الإسلام مثلها، وأتلف شيئا كثيرا من الدواليب والمصانع وغير ذلك . وفيها خلع على أبي القاسم طراد الزينبي بنقابة العباسيين بعد أبيه . وفيها : استفتي على معلمي الصبيان أن يمنعوا من المساجد صيانة لها، فأفتوا بمنعهم، ولم يستثن منهم سوي رجل كان فقيها شافعيا، يدري كيف تصان المساجد، واستدل المفتي بقوله عليه الصلاة والسلام: « **سُدُّوا كُلَّ خَوْخَةٍ إلاَّ خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ** » (1) وحج بالناس خمارتكين على العادة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الوزير أبو نصر بن جهير

ابن محمد بن محمد بن جهير عميد الدولة أحد مشاهير الوزراء وزر للقائم، ثم لولده المقتدي، ثم عزل ملكشاه السلطان، وولي ولده فخر الدولة ديار بكر وغيرها، مات بالموصل، وهي بلده التي ولد بها، وفيها : كان مقتل صاحب اليمن الصليحي وقد تقدم ذكره .

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخارى فى الصلاة (٤٦٧) ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٣٨٢) والترمذى فى المناقب (٣٦٦٠) والخوخة هى : الفتحة والمنفذ .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة

في المحرم منها: كتب المنجم الذي أحرق البصرة إلى أهل واسط يدعوهم إلى طاعته، ويذكر في كتابه أنه المهدي صاحب الزمان، الذي يأمر بالمعروف، وينهي عن المنكر، ويهدي الخلق إلى الحق، فان أطعتم، أمنتم من العذاب، وإن عدلتم، خسف بكم، فآمنوا بالله، وبالإمام المهدي .

وفيها : ألزم أهل الذمة بلبس الغيار، وبشد الزنار، وكذاك نساؤهم في الحمامات وغيرها . وفي جمادى الأولي، قدم الشيخ حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، من أصبهان إلى بغداد على تدريس النظامية، ولقبه نظام الملك زين الدين شرف الأئمة . قال ابن الجوزي : وكان كلامه معسولاً، وذكاؤه شديدا . وفي رمضان منها، عزل الوزير أبو شجاع عن وزارة الخلافة، فأنشد عند عزله :

تَولاّهـــا وليـــسَ لَـــهُ عـــَدُوٌ وفَارَقَهـــا وليسَ لَهُ صـــديقُ

ثم جاءه كتاب نظام الملك بأن يخرج من بغداد، فخرج منها إلى عدة أماكن، فلم تطب له فعزم على الحج، ثم طابت نفس النظام عليه، فبعث إليه يسأله أن يكون عديله في ذلك،وناب ابن الموصلايا في الوزارة، وقد كان أسلم قبل هذه المباشرة في أول هذه السنة . وفي رمضان منها، دخل السلطان ملكشاه بغداد، ومعه الوزير نظام الملك، وقد خرج لتلقيه قاضي القضاة أبو بكر الشاشي، وابن الموصلايا المسلماني، وجاءت ملوك الأطراف إليه للسلام عليه، منهم أخوه تاج الدولة تتش صاحب دمشق، وإتابكه قسيم الدولة اقسنقر صاحب حلب . وفي ذي القعدة، خرج السلطان ملكشاه، وابنه، وابن ابنته من الخليفة، في خلق كثير من الكوفة . وفيها: استوزر أبو منصور بن جهير، وهي: النوبة الثانية لوزارته للمقتدي، وخلع عليه، وركب إليه نظام الملك، فهنأه في داره بباب العامة، وفي ذي الحجة، عمل السلطان الميلاد في دجلة، وأشعلت نيران عظيمة، وأوقدت شموع كثيرة، وجمعت المطربات في السمريات، وكانت ليلة مشهودة عجيبة جدا، وقد نظم فيها الشعراء الشعر، فلما أصبح النهارمن هذه الليلة، جيء بالخبيث المنجم، الذي حرق البصرة، وادّعي أنه المهدي محمولا على جمل ببغداد، وجعل يسب الناس، والناس يلعنونه، وعلي رأسه طرطور بودع، والدرة تأخذه من كل جانب، فطافوا به بغداد، ثم صلب بعد ذلك .

وفيها: أمر السلطان ملكشاه جلال الدولة بعمارة جامعه المنسوب إليه بظاهر السور . وفي هذه السنة: ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بعد صاحب بلاد المغرب كثيرا من بلاد الأندلس، وأسر صاحبها المعتمد بن عباد، وسجنه وأهله بأغمات، وقد كان المعتمد هذا موصوفا بالكرم والأدب و العلم والحلم وحسن السيرة، والعشرة والإحسان إلى الرعية والرفق بهم، فحزن الناس عليه، وقال في مصابه الشعراء: فأكثروا . وفيها: ملكت الفرنج مدينة صقلية

من بلاد المغرب، ومات ملكهم، فقام ولده مقامه، فسار في الناس سيرة ملوك المسلمين حتى كأنه منهم لما ظهر منه من الإحسان إلى المسلمين . وفيها: كانت زلازل كثيرة بالشام، وغيرها، فهدمت بنيانا كثيرا، من جملة ذلك تسعون برجا من سور إنطاكية، وهلك تحت الهدم خلق كثير . وحج بالناس خمارتكين .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الرحمن بن أحمد

أبو طاهر ولد بأصبهان، وتفقه بسمرقند، وهو الذي كان سبب فتحها، على يد السلطان ملك شاه، وكان من رؤساء الشافعية، وقد سمع الحديث الكثير . قال عبد الوهاب بن منده: لم نر فقيها في وقتنا أنصف منه ولا أعلم . وكان فصيح اللهجة، كثير المروءة، غزير النعمة، توفي ببغداد، ومشي الوزراء، والكبراء في جنازته، غير أن النظام الملك ركب، واعتذر بكبر سنه، ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وجاء السلطان ملك شاه إلى التربة . قال ابن عقيل: جلست بكرة العزاء إلى جانب نظام الملك، والملوك قيام بين يديه، اجترأت على ذلك بالعلم . حكاه ابن الجوزي .

محمد بن أحمد بن علي

أبو نصر المروزي، كان إماما في القراءات، وله فيها المصنفات، وسافر في ذلك كثيرا، واتفق له أنه غرق في البحر في بعض أسفاره، فبينما الموج يرفعه ويضعه، إذ نظر إلى الشمس قد زالت،فنوى الوضوء، وانغمس في الماء، ثم صعد، فإذا خشبة، فركبها، وصلى عليها، ورزقه الله السلامة، ببركة امتثاله للأمر، واجتهاده على العمل، وعاش بعد ذلك دهرا، وتوفي في هذه السنة، وله نيف وتسعون سنة .

محمد بن عبد الله بن الحسن

أبو بكر الناصح، الفقيه الحنفي المناظر المتكلم المعتزلي ولي القضاء بنيسابور، ثم عزل لجنونه، وكلامه، وأخذه الرشا، وولي قضاء الري، وقد سمع الحديث، وكان من أكابر العلماء .

توفي في رجب منها .

أرتق بن ألب التركماني

جد الملوك الأرتقية الذين هم اليوم ملوك ماردين، كان شهما شجاعا عالي الهمة تغلب على بلاد كثيرة،وقد ترجمه ابن خلكان، وأرخ وفاته بهذه السنة .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة

فيها : أمر السلطان ملكشاه ببناء سور سوق المدينة المعروف بطغرلبك إلى جانب دار الملك، وجدد خاناتها وأسواقها، ودورها، وأمر بتجديد الجامع الذي تم على يد هارون الخادم في سنة أربع وعشرين وخمسمائة، ووقف على نصب قبلته بنفسه، ومنجمه إبراهيم حاضر ونقلت

أخشاب جامع سامراء، وشرع نظام الملك في بناء دار له هائلة . وكذلك تاج الملوك أبو الغنائم، شرع في بناء دار هائلة أيضا، واستوطنوا بغداد .

وفي جمادى الأولى: وقع حريق عظيم ببغداد، في أماكن شتى، فما طفئ حتى هلك للناس شيء كثير، فما عمروا بقدر ما حرق وما غرموا، وفي ربيع الأول: خرج السلطان إلى أصبهان، وفي صحبته ولد الخليفة أبو الفضل جعفر، ثم عاد إلى بغداد في رمضان، فبينما هو في الطريق، يوم عاشوراء، عدا صبي من الديلم على الوزير نظام الملك بعد أن أفطر، فضربه بسكين، فقضي عليه بعد ساعة، وأخذ الصبي الديلمي فقتل، وقد كان من كبار الوزراء، وخيار الأمراء، وسنذكر شيئا من سيرته، عند ذكر ترجمته، وقدم السلطان بغداد، في رمضان، بنية غير صالحة، فلقاه الله في نفسه ما تمناه لأعدائه، وذلك أنه لما استقر ركابه ببغداد، وجاء الناس للسلام عليه، والتهنئة بقدومه، وأرسل إليه الخليفة يهنئه، فأرسل إلى الخليفة يقول له: لابد أن تنـــزل لي عن بغداد، وتتحول إلى أي البلاد شئت . فأرسل إليه الخليفة يستنظره شهرا، فرد عليه: ولا ساعة واحدة، فأرسل إليه يتوسل في إنظاره عشرة أيام، فأجاب إلى ذلك بعد تمنع شديد، فما استتم الأجل، حتى خرج السلطان يوم عيد الفطر إلى الصيد، فأصابته حمى شديدة، فافتصد فما قام منها حتى مات قبل العشرة أيام، ولله الحمد والمنة فاستحوذت زوجته زبيدة خاتون على الجيش، وضبطت الأموال والأحوال جيدا، وأرسلت إلى الخليفة: تسأل منه أن يكون ولدها محمود ملكا بعد أبيه، وأن يخطب له على المنابر، فأجابها إلى ذلك، وأرسل إليه بالخلع، وبعث يعزيها، ويهنئها مع وزيره عميد الدولة ابن جهير، وكان عمر الملك محمود هذا يومئذ خمس سنين، ثم أخذته والدته في الجيوش، وسارت به نحو أصبهان، ليتوطد له الملك، فدخلوها وتم لهم مرادهم وخطب لهذا الغلام في البلدان حتى في الحرمين واستوزر له تاج الملك أبا الغنائـــم المرزبـــان بن خسرو، وأرسلت أمه إلى الخليفة، تسأله أن تكون ولايات العمال إليه، فامتنع الخليفة، وو افقه الغزالي على ذلك، وأفتى العلماء بجواز ذلك، منهم المتطبب بن محمد الحنفي، فلم يعمل إلا بقول الغزالي، وانحاز أكثر جيش السلطان إلى ابنه الآخر بركيارق، فبايعوه، وخطبوا له بالري، وانفردت الخاتون، وولدها، ومعهم شرذمة قليلة من الجيش، والخاصكية، فأنفقت فيهم ثلاثين ألف ألف دينار، لقتال بركيارق بن ملكشاه، فالتقوا في ذي الحجة، فكانت الخاتون هي المنهزمة، ومعها ولدها . وفي صحيح البخاري « لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً»[1] .

وفي ذي القعدة: اعترضت بنو خفاجة للحجيج، فقاتلهم من في الحجيج من الجند مع الأمير خمارتكين، فهزموهم، ونهبت أموال الأعراب، ولله الحمد والمنة .

وفيها: جاء بَرَدٌ شديد، عظيم، بالبصرة، وزن البردة الواحدة منه خمسة أرطال، إلى ثلاثة عشر رطلا، فأتلفت شيئا كثيرا من النخيل والأشجار، وجاء ريح عاصف، قاصف، فألقي عشرات الألوف من النخيل فإنا لله وإنا إليه راجعون ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ

---

(١) رواه البخارى فى المغازى (٤٤٢٥) وفى الفتن (٧٠٩٩) .

وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى ٣٠] وفيها: ملك تاج الدولة: تتش صاحب دمشق مدينة حمص، وقلعة عرقة، وقلعة فاميه، ومعه قسيم الدولة اقسنقر، وكان السلطان قد جهز سرية إلى اليمن، صحبة سعد كوهرائين الدولة، وأمير آخر من التركمان، فدخلاها، وأساءا فيها السيرة، فتوفي سعد كوهرائين، يوم دخوله إليها، في مدينة عدن، ولله الحمد والمنة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

جعفر بن يحيي بن عبد الله

أبو الفضل المتممي المعروف بالحكاك المكي، رحل في طلب الحديث إلى الشام، والعراق، وأصبهان، وغير ذلك من البلاد، وسمع الكثير، وخرج الأجزاء، وكان حافظا متقنا، ضابطا أديبا، ثقة خيرا صدوقا، وكان يراسل صاحب مكة ، وكان من ذوي الهيئات، والمروءات، قارب الثمانين، رحمه الله .

نظام الملك الوزير

هو الحسن بن علي بن إسحاق أبو علي، وزر للملك ألب أرسلان، وولده ملكشاه تسع وعشرين سنة، كان من خيار الوزراء . ولد بطوس سنة ثمان وأربعمائة، وكان أبوه من أصحاب محمود بن سبكتكين، وكان من الدهاقين، فأشغل ولده هذا، فقرأ القرآن وله إحدى عشرة سنة، وأشغله بالعلم، والقراءات، والتفقه على مذهب الشافعي، وسماع الحديث، واللغة، والنحو، وكان عالي الهمة، فحصل من ذلك طرفا صالحا، ثم ترقي في المراتب، حتى وزر للسلطان ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، ثم من بعده لملكشاه، تسعا وعشرين سنة، لم ينكب في شيء منها، وبني المدارس النظامية ببغداد، ونيسابور، وغيرهما، وكان مجلسه عامرا، بالفقهاء، والعلماء، بحيث يقضي معهم عامة أوقاته، فقيل له: إن هؤلاء شغلوك عن كثير من المصالح . فقال: هؤلاء جمال الدنيا والآخرة ولو أجلستهم على رأسي لما استكثرت ذلك . وكان إذا دخل عليه أبو القاسم القشيري، وأبو المعالي الجويني، قام لهما، وأجلسهما معه في المقعد، فإذا دخل عليه أبو علي الفارندي، قام، وأجلسه مكانه، وجلس بين يديه، فعوتب في ذلك، فقال: إنهما إذا دخلا علي قالا: أنت، وأنت، يطروني، ويعظموني، ويقولوا: في ما ليس في، فأزداد بهما ما هو مركوز في نفس البشر، وإذا دخل على أبو عليٍّ الفارندي، ذكرني عيوبي، وظلمي، فأنكسر، فأرجع عن كثير من الذي أنا فيه . وكان محافظا على الصلوات في أوقاتها، لا يشغله بعد الأذان شغل عنها، وكان يواظب على صيام الاثنين والخميس، وله الأوقاف الدارَّة، والصدقات البارة . وكان يعظم الصوفية تعظيما زائدا، فعوتب في ذلك، فقال: بينما أنا أخدم بعض الأمراء، جاءني يوما إنسان، فقال لى: إلى متي أنت تخدم من تأكله الكلاب غدا ؟ اخدم من تنفعك خدمته، ولا تخدم من تأكله الكلاب غدا. فلم أفهم ما يقول، فاتفق أن ذلك الأمير سكر تلك الليلة، فخرج في أثناء الليل وهو ثمل، وكانت له كلاب تفترس الغرباء بالليل، فلم

تعرفه، فمزقته، فأصبح وقد أكلته الكلاب، قال: فأنا أطلب مثل ذلك الشيخ. وقد سمع الحديث في أماكن شتى، ببغداد، وغيرها، وكان يقول: إني لأعلم بأني لست أهلا للرواية، ولكني أحب أن أربط في قِطَار [1] نقلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال أيضا: رأيت ليلة في المنام إبليس، فقلت له: ويحك خلقك الله، وأمرك بالسجود له [2] مشافهة، فأبيت، وأنا لم يأمرني بالسجود له مشافهة، وأنا أسجد له في كل يوم مرات، فأنشأ يقول:

مَــنْ لَــمْ يكــنْ للوِصالِ أهــلاً فَكُــلُّ إحســانه ذُنُــوبُ

وقد أجلسه المقتدي مرة بين يديه، وقال له: يا حسن رضي الله عنك برضا أمير المؤمنين عنك. وقد ملك ألوفا من الترك، وكان له بنون كثيرة، وزر منهم خمسة، وزر ابنه أحمد للسلطان محمد بن منك شاه، ولأمير المؤمنين المسترشد بالله. وخرج نظام الملك مع السلطان من أصبهان قاصدا بغداد في مستهل رمضان، من هذه السنة، فلما كان اليوم العاشر، اجتاز في بعض طريقه، بقرية بالقرب من نهاوند، وهو يسايره في محفة، فقال: قد قتل ههنا خلق من الصحابة زمن عمر فطوبى لمن يكون عندهم. فاتفق أنه لما أفطر، جاءه صبي في هيئة مستغيث به، ومعه قصة، فلما انتهى إليه، ضربه بسكين في فؤاده، وهرب، وعثر بطنب [3] الخيمة، فأخذ، فقتل، ومكث الوزير ساعة، وجاءه السلطان يعوده، فمات وهو عنده، وقد اتهم السلطان في أمره أنه هو الذي مالأ عليه، فلم تطل مدته بعده، سوى خمسة وثلاثين يوما، وكان في ذلك عبرة لأولي الألباب. وكان قد عزم على إخراج الخليفة أيضا من بغداد، فما تم له ما عزم عليه، ولما بلغ أهل بغداد موت النظام حزنوا عليه، وجلس الوزير والرؤساء للعزاء ثلاثة أيام، ورثاه الشعراء بقصائد منهم مقاتل بن عطية فقال:

كان الوزيــرُ نظامُ الملــك لؤلــؤةً يتيمةً صاغَها الرحمنُ مــنْ شَــرَفِ
عزَّتْ فلم تعــرفِ الأيــامُ قيمتَهــا فَردّهــا غــيرةً منــه إلى الصَّــدَفِ

وأثنى عليه غير واحد حتى ابن عقيل وابن الجوزي وغيرهما رحمه الله.

عبد الباقي بن محمد بن الحسين

ابن داود بن ياقيا، أبو القاسم الشاعر، من أهل الحريم الظاهري، ولد سنة عشر وأربعمائة وسمع الحديث وكان أديبا شاعرا، ماهرا، وقد رماه بعضهم باعتقاد الأوائل، وأنكر أن يكون في السماء نهر من ماء، أو نهر من لبن، أو نهر من خمر، أو نهر من عسل، يعني في الجنة، وما سقط

---

(١) القِطارُ: بكسر القاف: قطار الإبل وهى فى القافلة.

(٢) معلوم من خلال النصوص القرآنية أن أمر الله إبليس بالسجود كان لآدم عليه السلام وليس لله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى﴾ [البقرة : ٣٤] وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُوَاْ إِلاَّ إِبْلِيسَ ﴾ [الأعراف : ١١] وقوله تعالى : ﴿ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾ [الإسراء: ٦١] .

(٣) طنب: حبل طويل يشد به الخباء .

من ذلك قطرة إلى الأرض، إلا هذا الذي هو يخرب البيوت، ويهدم الحيطان، والسقوف، وهذا الكلام كفر من قائله، نقله عنه ابن الجوزي في (المنتظم) ، وحكي بعضهم: أنه وجد في كفه مكتوبا حين مات هذين البيتين :

نَزَلْتُ بجـارٍ لا يُخَيِّـبُ ضَيْفَـه ... أُرَجِّـي نَجَاتي من عذاب جَهَنَّـمِ
وإنِّـي علـى خوفي مِنَ اللهِ واثـقٌ ... بإنْعامِـه واللهُ أكـرمُ مُنْعِـمِ

مالك بن أحمد بن علي

ابن إبراهيم، أبو عبد الله البانياسي الشامي، وقد كان له اسم آخر سمته به أمه، علي أبو الحسن، فغلب عليه ما سماه به أبوه ، وما كناه به ، سمع الحديث على مشايخ كثيرة ، وهو آخر من حدث عن أبي الحسن بن الصلت ، هلك في حريق سوق الريحانيين ، وله ثمانون سنة ، كان ثقة عند المحدثين .

السلطان ملكشاه

جلال الدين والدولة، أبو الفتح ملكشاه، ابن أبي شجاع ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق تقاق التركي، ملك بعد أبيه، وامتدت مملكته من أقصى بلاد الترك إلى أقصى بلاد اليمن، وراسله الملوك من سائر الأقاليم، حتى ملك الروم، والخزر، واللان، وكانت دولته صارمة، والطرقات في أيامه آمنة، وكان مع عظمته يقف للمسكين، والضعيف، والمرأة، فيقضي حوائجهم، وقد عمر العمارات الهائلة، وبنى القناطر، وأسقط المكوس، والضرائب، وحفر الأنهار الكبار، وبنى مدرسة أبي حنيفة، والسوق، وبنى الجامع، الذي يقال له: جامع السلطان ببغداد، وبنى منارة القرون من صيوده بالكوفة، ومثلها فيما وراء النهر، وضبط ما صاده بنفسه في صيوده فكان ذلك نحوا من عشرة آلاف صيد، فتصدق بعشرة آلاف درهم، وقال: إني خائف من الله تعالى أن أكون أزهقت نفس حيوان لغير مأكله، وقد كانت له أفعال حسنة، وسيرة صالحة، من ذلك أن فلاحا أنهى إليه أن غلمانا أخذوا له حمل بطيخ هو رأس ما له فقال : اليوم أرد عليك حملك ثم قال لقيمه : أريد أن تأتوني اليوم ببطيخ، ففتشوا، فإذا في خيمة الحاجب بطيخ، فحملوه إليه، ثم استدعي بالحاجب فقال: من أين لك هذا البطيخ؟ قال: جاء به الغلمان . فقال: أحضرهم . فذهب، وأمرهم بالهرب، فأحضره، وسلمه للفلاح، وقال: خذ بيده، فإنه مملوكي، ومملوك أبي، وإياك أن تفارقه، ثم رد على الفلاح حمل البطيخ، فخرج الفلاح يحمله، وبيده الحاجب، فاستنقذ الحاجب نفسه من الفلاح بثلاثمائة دينار . ولما توجه لقتال أخيه تتش، اجتاز بطوس، فدخلها لزيارة قبر علي بن موسى الرضى، ومعه نظام الملك، فلما خرجا قال للنظام: بم دعوت الله؟ قال: دعوت الله أن يظفرك على أخيك . قال: لكني قلت: اللهم إن كان أخي أصلح للمسلمين فظفره بي، وإن كنت أنا أصلح لهم فظفرني به .وقد سار بعسكره من أصبهان إلى أنطاكية، فما عرف أن أحدا من جيشه ظلم أحدا من الرعية، وكانوا مئين ألوف، واستعدي إليه مرة تركماني أن رجلا افتض بكارة ابنته وهو يريد أن يمكنه من قتله. فقال له: يا هذا إن ابنتك لو شاءت ما مكنته من نفسها، فإن كنت لابد فاعلا،

فاقتلها معه . فسكت الرجل، فقال له الملك: أو تفعل خيرا من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: فإن بكارتها قد ذهبت، فزوجها من ذلك الرجل، وأنا أمهرها من بيت المال كفايتهما . ففعل .

وحكي له بعض الوعاظ: أن كسري اجتاز يوما في بعض أسفاره بقرية، وكان منفردا من جيشه، فوقف على باب دار، فاستسقي، فأخرجت إليه جارية إناء فيه ماء قصب السكر بالثلج، فشرب منه، فأعجبه، فقال: كيف تصنعون هذا؟ فقالت: إنه سهل علينا اعتصاره على أيدينا . فطلب منها شربة أخري، فذهبت لتأته بها، فوقع في نفسه أن يأخذ هذا المكان منهم، ويعوضهم عنه غيره، فأبطأت عليه، ثم خرجت وليس معها شيء فقال: مالك؟ فقالت: كأن نية سلطاننا تغيرت علينا، فتعسر على اعتصاره ــ وهي لا تعرف أنه السلطان ــ فقال: اذهبي، فإنك الآن تقدرين عليه . وغير نيته إلى غيرها، فذهبت وجاءته بشربة أخري سريعا، فشربها، وانصرف . فقال له السلطان ملك شاه : هذه تصلح لي، ولكن قص على الرعية أيضا حكاية كسري الأخري، حين اجتاز ببستان، وقد أصابته صفراء في رأسه وعطش، فطلب من ناطوره عنقودا من حصرم، فقال له الناطور: إن السلطان لم يأخذ حقه منه، فلا أقدر أن أعطيك منه شيئا . قال: فعجب الناس من ذكاء الملك، وحسن استحضاره هذه في مقابلة تلك . واستعداه رجلان من الفلاحين، على الأمير خمارتكين، أنه أخذ منهما مالا جزيلا، وكسر ثنيتهما، وقالا: سمعنا بعدلك في العالم،فإن أقدتنا منه كما أمرك الله، وإلا استعدينا عليك الله يوم القيامة . وأخذا بركابه، فنـــزل عن فرسه، وقال لهما: خذا بكمي، واسحباني إلى دار نظام الملك فهابا ذلك، فعزم عليهما أن يفعلا، ففعلا ما أمرهما به، فلما بلغ النظام مجيء السلطان إليه خرج مسرعا من خيمته، فقال له الملك: إني إنما قلدتك الأمر، لتنصف المظلوم ممن ظلمه، فكتب من فوره فعزل خمارتكين، وحل أقطاعه، وأن يرد إليهما أموالهما، وأن يقلعا ثنيتيه إن قامت عليه البينة، وأمر لهما الملك من عنده بمائة دينار .

وأسقط مرة بعض المكوس، فقال له رجل من المستوفين: يا سلطان العالم، إن هذا الذي أسقطته يعدل ستمائة ألف دينار وأكثر . فقال: ويحك، إن المال مال الله، والعباد عباد الله، والبلاد بلاده، وإنما أردت أن يبقي هذا لي عند الله، ومن نازعني في هذا ضربت عنقه . وغنته امرأة حسناء، فطرب، وتاقت نفسه إليها، فهم بها، فقالت: أيها الملك، إني أغار على هذا الوجه الجميل من النار، وبين الحلال والحرام كلمة واحدة فاستدعي القاضي، فزّوجه بها .

وقد ذكر ابن الجوزي، عن ابن عقيل: أن السلطان ملك شاه كان قد فسدت عقيدته بسبب معاشرته لبعض الباطنية، ثم تنصل من ذلك، وراجع الحق . وذكر ابن عقيل: أنه كتب له شيئا في إثبات الصانع، وقد ذكرنا: أنه لما رجع آخر مرة إلى بغداد فعزم على الخليفة أن يخرج منها، فاستنظره عشرة أيام، فمرض السلطان، ومات قبل انقضاء العشرة أيام، وكانت وفاته في ليلة الجمعة النصف من شوال عن سبع وثلاثين سنة وخمسة أشهر، وكان مدة ملكه

من ذلك تسع عشرة سنة ونصفا، ودفن بالشونيزي، ولم يُصلِّ عليه أحد لشدة كتمان الأمر، وكان مرضه بالحمى وقيل: إنه سم، والله أعلم .

باني التاجية ببغداد

المرزبان بن خسرو تاج الملك الوزير أبو الغنائم باني التاجية التي درس بها أبو بكر الشاشي وبني تربة الشيخ أبي إسحاق، وقد كان السلطان ملكشاه أراد أن يستوزره بعد نظام الملك، فمات سريعا، فاستوزر لولده محمود، فلما قهره أخوه بركيارق، قتله غلمان النظام، وقطعوه إربا إربا في ذي الحجة من هذه السنة .

هبة الله بن عبد الوارث

ابن علي بن أحمد نوري، أبو القاسم الشيرازي، أحد الرحالين الجوالين في الآفاق، كان حافظا ثقة دينا ورعا حسن الاعتقاد والسيرة له تاريخ حسن، ورحل إليه الطلبة من بغداد، وغيرها،رحمه الله .

ثم دخلت سنة ست وثمانين وأربعمائة

فيها: قدم إلى بغداد رجل يقال له: أردشير بن منصور أبو الحسين العبادي، مرجعه من الحج، فنـــزل النظامية، فوعظ الناس، وحضر مجلسه الغزالي مدرس المكان، فازدحم الناس في مجلسه، وكثروا في المجالس بعد ذلك، وترك كثير من الناس معايشهم، وكان يحضر مجلسه في بعض الأحيان أكثر من ثلاثين ألفا، من الرجال، والنساء، وتاب كثير من الناس، ولزموا المساجد، وأريقت الخمور، وكسرت الملاهي، وكان الرجل في نفسه صالحا له عبادات، وفيه زهد وافر، وله أحوال صالحة، وكان الناس يزدحمون على فضل وضوئه، وربما أخذوا من البركة التي يتوضأ منها ماء للبركة، ونقل ابن الجوزي: أنه اشتهي مرة على بعض أصحابه توتا شاميا، وثلجا، فطاف البلد بكماله، فلم يجده، فرجع فوجد الشيخ في خلوته، فسأل: هل جاء اليوم إلى الشيخ أحد؟ فقيل له: جاءت امرأة، فقالت: إني غزلت بيدي غزلا وبعته، وأنا أحب أن أشتري للشيخ طُرْفَة [1] . فامتنع من ذلك، فبكت، فرحمها، وقال: اذهبي فاشتري . فقالت: ماذا تشتهي؟ فقال: ما شئت. فذهبت، فأتته بتوت شامي، وثلج، فأكله، وقال بعضهم: دخلت عليه وهو يشرب مرقا، فقلت في نفسي: ليته أعطاني فضله لأشربه، لحفظ القرآن. فناولني فضله، فقال: اشربها على تلك النية. قال: فرزقني الله حفظ القرآن . وكانت له عبادات، ومجاهدات، ثم اتفق أنه تكلم في بيع القُرَاضَة [2] بالصحيح، فمنع من الجلوس، وأخرج من البلد.

---

(١) الطُرْفَةُ: الشيء المستحدث .

(٢) القُرَاضَةُ: ما سقط بالقرض ومنه قراضة الذهب .

وفيها : خطب تتش بن ألب أرسلان لنفسه بالسلطنة، وطلب من الخليفة أن يخطب له بالعراق، فحصل التوقف عن ذلك، بسبب ابن أخيه بركيارق بن ملكشاه، فسار إلى الرحبة، وفي صحبته وطاعته أقسنقر صاحب حلب، وبوران صاحب الرها، ففتح الرحبة، ثم سار إلى الموصل، فأخذها من يد صاحبها إبراهيم بن قريش بن بدران، وهزم جيوشه من بني عقيل، وقتل خلقا من الأمراء صبرا، وكذلك أخذ ديار بكر، واستوزر الكافي بن فخر الدولة بن جهير، وكذلك أخذ همدان وخلاط، وفتح أذربيجان، واستفحل أمره، ثم فارقه الأميران أقسنقر ، وبوران، فسارا إلى الملك بركيارق، وبقي تتش وحده، فطمع فيه أخوه بركيارق، فرجع تتش، فلحقه قسم الدولة أقسنقر وبوران بباب حلب، فكسرهما، وأسر بوران واقسنقر، فصلبهما، وبعث برأس بوران، فطيف به حران، والرها، وملكها من بعده . وفيها وقعت الفتنة بين الروافض، والسنة وانتشرت بينهم شرور كثيرة، وفي ثاني شعبان: ولد للخليفة ولده المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن أبي العباس، أحمد المستظهر، ففرح الخليفة به . وفي ذي القعدة: دخل السلطان بركيارق بغداد وخرج إليه الوزير أبو منصور بن جهير، وهنأه عن الخليفة بالقدوم . وفيها أخذ المستنصر العبيدي، مدينة صور من أرض الشام . ولم يحج في هذه السنة أحد من أهل العراق .

وممن توفي فيها من الأعيان :

جعفر بن المقتدي بالله

من الخاتون بنت السلطان ملكشاه، في جمادى الأولى، وجلس الوزير للعزاء والدولة ثلاثة أيام

سليمان بن إبراهيم

ابن محمد بن سليمان، أبو مسعود الأصبهاني سمع الكثير وصنف وخرج على الصحيحين، وكانت له معرفة جيدة بالحديث، سمع ابن مردويه، وأبا نعيم، والبرقاني، وكتب عن الخطيب، وغيره، توفي في ذي القعدة، عن تسع وثمانين سنة .

عبد الواحد بن أحمد بن المحسن

والد شكري، أبو سعد الفقيه الشافعي، صحب الشيخ أبا إسحاق الشيرازي، وروي الحديث، وكان مؤلفا لأهل العلم، وكان يقول: ما عصى بدني هذا في لذة قط . توفي في رجب منها، ودفن بباب حرب .

على بن أحمد بن يوسف

أبو الحسن الهكاري قدم بغداد ونزل برباط الدوري وكانت له أربطة قد أنشأها سمع الحديث، وروي عنه غير واحد من الحفاظ، وكان يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، في الروضة، فقلت: يا رسول الله، أوصني . فقال: عليك باعتقاد أحمد بن حنبل، ومذهب الشافعي، وإياك ومجالسة أهل البدع . توفي في المحرم منها .

علي بن محمد بن محمد

أبو الحسن الخطيب الأنباري المعروف بابن الأخضر سمع أبا محمد الفرضي، وهو آخر من حدث عنه، توفي في شوال منها، عن خمس وتسعين سنة .

أبو نصر علي بن هبة الله

ابن ماكولا بن جعفر بن علي بن محمد بن دلف بن أبي دلف الأمير أبو نصر :

ولد سنة ثنتين وأربعمائة، وسمع الكثير، وكان من الحفاظ، وله كتاب الإكمال في المؤتلف والمختلف، جمع بين كتاب عبد الغني بن سعيد، وكتاب الدارقطني، وغيرهما، وزاد عليهما أشياء كثيرة، مهمة حسنة نافعة، وكان نحويا مبرزا، فصيح العبارة، حسن الشعر . قال ابن الجوزي: وسمعت شيخنا عبد الوهاب، يطعن في دينه، ويقول: العلم يحتاج إلى دين . وقتل في خوزستان، في هذه السنة، أو التي بعدها، وقد جاوز الثمانين . كذا ذكره ابن الجوزي .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وأربعمائة

فيها : كانت وفاة الخليفة المقتدي ، وخلافة ولده المستظهر بالله .

صفة موته

لما قدم السلطان بركيارق بغداد سأل من الخليفة، أن يكتب له بالسلطنة، كتابا فيه العهد إليه، فكتب ذلك، وهيئت الخلع، وعرضت على الخليفة، وكان الكتاب يوم الجمعة الرابع عشر من المحرم، ثم قدم إليه الطعام، فتناول منه على العادة، وهو في غاية الصحة، ثم غسل يده، وجلس ينظر في العهد، بعد ما وقع عليه، وعنده قهرمانة [1] تسمي: شمس النهار، قال: فنظر إلي، وقال: مَنْ هؤلاء الأشخاص الذين قد دخلوا علينا بغير إذن؟ قالت: فالتفت، فلم أر أحدا ورأيته قد تغيرت حالته، واسترخت يداه، ورجلاه، وانحلت قواه، وسقط إلى الأرض . قالت: فظننت أنه غشي عليه، فحللت أزرار ثيابه، فإذا هو يجيب داعيا، فأغلقت عليه الباب، وخرجت، فأعلمت ولي العهد بذلك، وجاء الأمراء ورؤوس الدولة يعزونه بأبيه، ويهنئونه بالخلافة، فبايعوه .

شيء من ترجمة المقتدي بأمر الله

هو أمير المؤمنين المقتدي بالله، أبو عبد الله بن الذخيرة، الأمير ولي العهد أبي العباس أحمد ابن أمير المؤمنين القائم بأمر الله ابن القادر بالله العباسي، أمه أم ولد اسمها أرجوان أرمنية، أدركت خلافة ولدها، وخلافة ولده المستظهر، وولد ولده المسترشد أيضا، وكان المقتدي أبيض

---

(١) القهرمانة : الوكيل أو الأمين وظيفة خاصة بشئون الجوارى والحريم .

حلو الشمائل، عمرت في أيامه محال كثيرة من بغداد، ونفى عن بغداد المغنيات، وأرباب الملاهي والمعاصي، وكان غيوراً على حريم الناس آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر حسن السيرة رحمه الله، توفي في يوم الجمعة، رابع عشر المحرم من هذه السنة، وله من العمر ثمان وثلاثون سنة وثمانية شهور وتسعة أيام، خلافته من ذلك تسع عشرة سنة وثمانية شهور إلا يومين، وأخفي موته ثلاثة أيام، حتى توطدت البيعة لابنه المستظهر، ثم صلى عليه، ودفن في تربتهم، والله أعلم .

خلافة المستظهر بأمر الله أبي العباس

لما توفي أبوه يوم الجمعة أحضروه وله من العمر ست عشرة سنة وشهران، فبويع له بالخلافة، وأول من بايعه الوزير أبو منصور بن جهير، ثم أخذ البيعة له من الملك ركن الدولة بركيارق بن ملكشاه، . ثم من بقية الأمراء، والرؤساء، وتمت البيعة تؤخذ له إلى ثلاثة أيام، ثم أظهر التابوت يوم الثلاثاء، الثامن عشر من المحرم، وصلى عليه ولده الخليفة، وحضر الناس، ولم يحضر السلطان، وحضر أكثر أمرائه، وحضر الغزالي، والشاشي، وابن عقيل، وبايعوه يوم ذلك، وقد كان المستظهر كريم الأخلاق حافظا للقرآن فصيحا بليغا شاعرا منطقيا ومن لطيف شعره قوله :

أذابَ حَرُّ الجوى في القلب ما جمدا ... يوماً مددتُ على رسمِ الوداعِ يدا
فكيفَ أسلُكُ نَهجَ الاصطبارِ وقد ... أرى طرائقَ مَنْ يهوى الهوى قددا
قد أخلفَ الوعدَ بدرٌ قد شُغفْتُ به ... مِنْ بَعْد ما قَدْ وفى دهراً بما وعدا
إنْ كنتُ أنقضُ عَهْدَ الحبِّ في خَلدي ... مِنْ بعدِ هذا فلا عاينتُه أبدا

وفوض المستظهر أمور الخلافة إلى وزيره أبي منصور عميد الدولة بن جهير، فدبرها أحسن تدبير، ومهد الأمور أتم تمهيد، وساس الرعايا، وكان من خيار الوزراء . وفي ثالث عشر شعبان، عزل الخليفة أبا بكر الشاشي عن القضاء، وفوضه إلى أبي الحسن بن الدامغاني . وفيها وقعت فتنة بين السنة والروافض، فأحرقت محال كثيرة، وقتل ناس كثير، فإنا لله وإنا إليه راجعون . ولم يحج أحد لاختلاف السلاطين. وكانت الخطبة للسلطان بركيارق ركن الدولة، يوم الجمعة الرابع عشر من المحرم، وهو اليوم الذي توفي فيه الخليفة المقتدي، بعد ما علّم على توقيعه .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أقسنقر الأتابك

الملقب قسيم الدولة السلجوقي، ويعرف بالحاجب، صاحب حلب، وديار بكر، والجزيرة. وهو جد الملك نور الدين محمود بن زنكي بن أقسنقر، كان أولا من أخص أصحاب السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي، ثم ترقت منزلته عنده، حتى أعطاه حلب وأعمالها، بإشارة الوزير نظام الملك، وكان من أحسن الملوك سيرة، وأجودهم سريرة، وكانت الرعية معه في أمن، ورخص، وعدل، ثم كان موته على يد السلطان تاج الدولة تتش صاحب دمشق،

وذلك أنه استعان به، وبصاحب حران، والرها، على قتال ابن أخيه بركيارق بن ملكشاه، ففر عنه وتركاه، فهرب إلى دمشق، فلما تمكن، ورجعا، قاتلهما بباب حلب، فقتلهما، وأخذ بلادهما، إلا حلب، فإنها استقرت لولد أقسنقر زنكي فيما بعد، وذلك في سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة، كما سيأتي بيانه . وذكر ابن خلكان: أنه كان مملوكا للسلطان ملكشاه، وهو وبوزان صاحب الرها، فلما ملك تتش حلب استنابه بها، فعصي عليه فقصده، وكان قد ملك دمشق أيضا، فقاتله، فقتله في هذه السنة في جمادى الأولى منها، فلما قتل دفنه ولده عماد الدين زنكي، وهو أبو نور الدين، فقبره بحلب، أدخله ولده إليها من فوق السور، فدفنه بها .

أمير الجيوش بدر الجمالي

صاحب جيوش مصر، ومدبر الممالك الفاطمية كان عاقلا كريما محبا للعلماء، ولهم عليه رسوم دارة تمكن في أيام المستنصر تمكنا عظيما، ودارت أزمة الأمور على آرائه، وفتح بلادا كثيرة، وامتدت أيامه، وبعد صيته، وامتدحته الشعراء. ثم كانت وفاته في ذي القعدة منها، وقام بالأمر من بعده ولده الأفضل .

الخليفة المقتدي

وقد تقدم شيء من ترجمته .

الخليفة المستنصر الفاطمي

أبو تميم معد بن أبي الحسن على بن الحاكم، استمرت أيامه ستين سنة، و لم يتفق هذا لخليفة قبله ولا بعده، وكان قد عهد بالأمر إلى ولده نزار، فخلعه الأفضل ابن بدر الجمالي، بعد موت أبيه . وأمر الناس، فبايعوا أحمد بن المستنصر أخاه؛ ولقبه بالمستعلي، فهرب نزار إلى الإسكندرية، فجمع الناس عليه، فبايعوه، وتولي أمره قاضي الإسكندرية: جلال الدولة بن عمار، فقصده الأفضل، فحاصره، وقاتلهم نزار، وهزمهم الأفضل، وأسر القاضي، ونزار، فقتل القاضي، وحبس نزار حتى مات، واستقرَّ المستعلي في الخلافة، وعمره إحدى وعشرون سنة .

محمد بن أبي هاشم

أمير مكة، كانت وفاته فيها عن نيف وتسعين سنة .

محمود بن السلطان ملكشاه

كانت أمه قد عقدت له الملك، وأنفقت بسببه الأموال، فقاتله بركيارق، فكسره، ولزم بلده أصبهان، فمات بها في هذه السنة، وحمل إلى بغداد، فدفن بها بالتربة النظامية، كان من أحسن الناس وجها، وأظرفهم شكلا، توفي في شوال منها، وماتت أمه الخاتون تركيان شاه في رمضان، فانحل نظامه، وكانت قد جمعت عليه العساكر، وأسندت أزمة أمور المملكة إليه، وملكت عشرة آلاف مملوك تركي، وأنفقت في ذلك قريبا من ثلاثة آلاف ألف دينار، فانحل النظام، و لم تحصل على طائل، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة

فيها: قدم يوسف بن أرتق التركماني، من جهة صاحب دمشق إلى بغداد، لأجل إقامة الدعوة له ببغداد، وكان تتش قد توجه لقتال ابن أخيه بناحية الري، فلما دخل رسوله بغداد هابوه وخافوه واستدعاه الخليفة، فقربه وقبل الأرض بين يدي الخليفة، وتأهب أهل بغداد له، وخافوا أن ينهبهم، فبينما هو كذلك، إذ قدم عليه رسول ابن أخيه، فأخبره أن تتش قتل في أول من قتل في الوقعة، وكانت وفاته في سابع عشر صفر من هذه السنة، فاستفحل أمر بركيارق، واستقل بالأمور . وكان دقاق بن تتش مع أبيه حين قتل، فسار إلى دمشق، فملكها، وكان نائب أبيه عليها الأمير ساوتكين، واستوزر أبا القاسم الخوارزمي، وملك عبد الله بن تتش مدينة حلب، ودبر أمر مملكته جناح الدولة الحسين بن أتكين، ورضوان بن تتش صاحب مدينة حماه، وإليه تنسب بنو رضوان بها . وفي يوم الجمعة التاسع عشر من ربيع الأول منها: خطب لولي العهد أبي المنصور الفضل بن المستظهر، ولقب بذخيرة الدين . وفي ربيع الآخر، خرج الوزير عميد الملك بن جهير، فاختط سورا على الحريم، وأذن للعوام في العمل، والتفرج، فأظهروا منكرات كثيرة، وسخافات عقول ضعيفة، وعملوا أشياء سخيفة، فبعث إليه ابن عقيل رقعة فيها كلام غليظ، وإنكار بغيض .

وفي: رمضان خرج السلطان بركيارق، فعدا عليه فداوي، فلم يتمكن منه، فمسك، فعوقب، فأقر على آخرين، فلم يقر، فقتل الثلاثة، وجاء الطواشي من جهة الخليفة، مهنئا له بالسلامة . وفي ذي القعدة منها : خرج أبو حامد الغزالي من بغداد، متوجها إلى بيت المقدس، تاركا تدريس النظامية، زاهدا في الدنيا، لابساً خشن الثياب، بعد ناعمها، وناب عنه أخوه في التدريس،ثم حج في السنة التالية، ثم رجع إلى بلده، وقد صنف كتاب الإحياء [1] في هذه المدة، وكان يجتمع إليه الخلق الكثير، كل يوم في الرباط، فيسمعونه . وفي يوم عرفة: خلع على القاضي أبي الفرج عبد الرحمن بن هبة الله بن البستي، ولقب بشرف القضاة، ورد إلى ولاية القضاء بالحريم، وغيره . وفي هذه السنة: اصطلح أهل الكرخ من الرافضة، والسنة، مع بقية المحال، وتزاوروا، وتواصلوا، وتواكلوا وتشاربوا، وكان هذا من العجائب، وفيها قتل أحمد بن خان صاحب سمرقند، وسببه: أنه شهد عليه بالزندقة، فخنق، وولي مكانه ابن عمه مسعود .

وفيها: دخل الأتراك إفريقية، وغدروا بيحيي بن تميم بن المعز بن باديس، وقبضوا عليه، وملكوا بلاده، وقتلوا خلقا، بعد ما جرت بينه وبينهم حروب شديدة، وكان مقدمهم رجل يقال له: شاه ملك، وكان من أولاد بعض أمراء المشرق، فقدم مصر، وخدم بها، ثم هرب إلى المغرب ومعه جماعة، ففعل ما ذكرنا. و لم يحج أحد من أهل العراق فيها .

---

(١) هو كتاب : « إحياء علوم الدين » المعروف .

ومن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن أحمد بن خيرون

أبو الفضل المعروف بابن الباقلاني، سمع الكثير، وكتب عنه الخطيب، وكانت له معرفة جيدة، وهو من الثقات، ويشهد عن أبي عبد الله الدامغاني، ثم صار أمينا له، ثم ولي بعده إشراف خزانة الغلات . توفي في رجب عن ثنتين وثمانين سنة .

تتش أبو المظفر

تاج الدولة بن ألب أرسلان، صاحب دمشق، وغيرها من البلاد، وقد تزوج امرأة على ابن أخيه بركيارق بن ملكشاه ، ولكن قدر الله وماتت، وقد قال المتنبى :

ولله سِرٌّ في عُلاَكَ وإنَّما كلامُ العدي ضَرْبُ مِنَ الهَذَيَــانِ

قال ابن خلكان: كان صاحب البلاد الشرقية، فاستنجده أقسنقر في محاربة أمير الجيوش من جهة صاحب مصر، فلما قدم دمشق لنجدته، وخرج إليه أتسز، أمر بمسكه، وقتله، واستحوذ هو على دمشق، وأعمالها، في سنة إحدى وسبعين، ثم حارب أتسز فقتله، ثم تحارب هو وأخوه بركيارق ببلاد الري، فكسره أخوه، وقتل هو في المعركة، وتملك ابنه رضوان حلب، وإليه تنسب بنو رضوان بها، وكان ملكه عليها إلى سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وَسَمَّتْهُ أمه في عنقود عنب، فقام من بعده، ولده تاج الملك بوري أربع سنين، ثم ابنه الآخر شمس الملك إسماعيل ثلاث سنين، ثم قتلته أمه أيضا، وهي:- زمرد خاتون بنت جاولي - ، وأجلست أخاه شهاب الدين محمود بن بوري، فمكث أربع سنين، ثم ملك أخوه محمد بن بوري طغركين سنة، ثم تملك بجير الدين أتق من سنة أربع وثلاثين إلى أن انتزع الملك منه نور الدين محمود زنكي كما سيأتي . وكان إتابك العساكر بدمشق أيام أتق معين الدين، الذي تنسب إليه المعينية بالغور، والمدرسة المعينية بدمشق .

رزق الله بن عبد الوهاب

ابن عبد العزيز، أبو محمد التميمي أحد أئمة القر اء، والفقهاء، على مذهب أحمد، وأئمة الحديث، وكان له مجلس للوعظ، وحلقة للفتوي بجامع المنصور، ثم بجامع القصر، وكان حسن الشكل، محبّبا إلى العامة، له شعر حسن، وكان كثير العبادة فصيح العبارة حسن المناظرة . وقد روي عن آبائه: حديثا مسلسلا عن علي بن أبي طالب أنه قال: هتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل . وقد كان ذا وجاهة عند الخليفة، يفد في مهام الرسائل إلى السلطان . توفي يوم الثلاثاء النصف من جمادى الأولي من هذه السنة، عن ثمان وثمانين سنة، ودفن بداره بباب المراتب، بإذن الخليفة، وصلى عليه. ابنه أبو الفضل .

أبو سيف القزويني

عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار الشيخ، شيخ المعتزلة، قرأ على عبد الجبار بن أحمد الهمداني، ورحل إلى مصر وأقام بها أربعين سنة، وحصل كتبا كثيرة، وصنف تفسيرا في سبعمائة مجلد . قال ابن الجوزي: جمع فيه العجب، وتكلم على قوله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ [البقرة: ١٠٢] في مجلد كامل . وقال ابن عقيل: كان طويل اللسان بالعلم تارة وبالشعر أخرى وقد سمع الحديث من أبي عمر بن مهدي وغيره؛ ومات ببغداد عن ست وتسعين سنة . وما تزوج إلا في آخر عمره .

أبو شجاع الوزير

محمد بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم، أبو شجاع، الملقب: ظهير الدين، الروذراوري الأصل الأهوازي المولد كان من خيار الوزراء، كثير الصدقة، والإحسان إلى العلماء، والفقهاء، وسمع الحديث من الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وغيره، وصنف كتبا، منها كتابه الذي ذيله على تجارب الأمم . ووزر للخليفة المقتدي، وكان يملك ستمائة ألف دينار، فأنفقها في سبيل الخيرات، والصدقات، ووقف الوقوف الحسنة، وبني المشاهد، وأكثر الإنعام على الأرامل والأيتام. قال له رجل: إلى جانبنا أرملة، لها أربعة أولاد، وهم عراة، وجياع، فبعث إليهم مع رجل من خاصته نفقة وكسوة، وطعاما، ونزع عنه ثيابه في البرد الشديد، وقال: والله لا ألبسها حتى ترجع إلى بخبرهم، فذهب الرجل مسرعا، بما أرسله على يديه إليهم، ثم رجع إليه، فأخبره أنهم فرحوا بذلك، ودعوا للوزير، فسر بذلك، ولبس ثيابه . وجيء إليه مرة بقطائف سكرية، فلما وضعت بين يديه تنغص عليه بمن لا يقدر عليها، فأرسلها كلها إلى المساجد، وكانت كثيرة جدا، فأطعمها الفقراء، والعميان وكان لا يجلس في الديوان إلا وعنده الفقهاء، فإذا وقع له أمر مشكل سألهم عنه، فحكم بما يفتونه، وكان كثير التواضع مع الناس خاصتهم، وعامتهم، ثم عزل عن الوزارة، فسار إلى الحج، وجاور بالمدينة، ثم مرض، فلما ثقل في المرض، جاء إلى الحجرة النبوية، فقال: يا رسول الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[النساء: ٦٤]وها أنا قد جئتك، أستغفر الله من ذنوبي، وأرجو شفاعتك يوم القيامة، ثم مات من يومه ذلك، رحمه الله ودفن في البقيع .

القاضي أبو بكر الشاشي

محمد بن المظفر بن بكران الحموي أبو بكر الشاشي، ولد سنة أربعمائة، وتفقه ببلده، ثم حج في سبع عشرة وأربعمائة، وقدم بغداد، فتفقه على أبي الطيب الطبري، وسمع بها الحديث، وشهد عند ابن الدامغاني، فقبله، ولازم مسجده خمسا وخمسين سنة يقرئ الناس، ويفقههم، ولما مات أبو عبد الله الدامغاني، أشار به أبو شجاع الوزير، فولاه الخليفة المقتدي القضاء، وكان من أنزه الناس، وأعفهم، لم يقبل من سلطان عطية، ولا من صاحب هدية، ولم يغير ملبسه، ولا

مأكله، ولم يأخذ على القضاء أجرا، ولم يستنب أحدا، بل كان يباشر القضاء بنفسه، ولم يحاب مخلوقا، وقد كان يضرب بعض المنكرين حيث لا بينة، إذا قامت عنده قرائن التهمة، حتى يقروا، ويذكر أن في كلام الشافعي ما يدل على هذا، وقد صنف كتابا في ذلك، ونصره ابن عقيل فيما كان يتعاطاه من الحكم بالقرائن، واستشهد له بقوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ [يوسف ٢٦] الآية . وشهد عنده رجل من كبار الفقهاء، والمناظرين، يقال له: المشطب ابن محمد بن أسامة الفرغاني فلم يقبله لما رأي عليه من الحرير، وخاتم الذهب، فقال له المدعى: إن السلطان ووزيره نظام الملك يلبسان الحرير والذهب، فقال القاضي الشاشي: والله لو شهدا عندي على باقة بقلة ما قبلتهما ولرددت شهادتهما . وشهد عنده مرة فقيه فاضل من أهل مذهبه، فلم يقبله،فقال: لأي شيء ترد شهادتي، وهي جائزة عند كل حاكم إلا أنت؟ فقال له: لا أقبل لك شهادة، فإني رأيتك تغتسل في الحمام عريانا غير مستور العورة، فلا أقبلك . توفي يوم الثلاثاء عاشر شعبان، من هذه السنة، عن ثمان وثمانين سنة، ودفن بالقرب من ابن شريح.

أبو عبد الله الحميدي

محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد الحميدي، الأندلسي، من جزيرة يقال لها: برقة قريبة من الأندلس، قدم بغداد، فسمع بها الحديث، وكان حافظا مكثرا أديبا، ماهرا، عفيفا، نزها، وهو صاحب (الجمع بين الصحيحين) ، وله غير ذلك من المصنفات، وقد كتب مصنفات ابن حزم والخطيب، وكانت وفاته ليلة الثلاثاء، السابع عشر من ذي الحجة، وقد جاوز التسعين ، وقبره قريب من قبر بشر الحافي ببغداد .

هبة الله ابن الشيخ أبي الوفا بن عقيل

كان قد حفظ القرآن، وتفقه، وظهر منه نجابة، ثم مرض، فأنفق عليه أبوه أموالا جزيلة، فلم يفد شيئا فقال له ابنه ذات يوم: يا أبت إنك قد أكثرت الأدوية والأدعية، ولله فيّ اختيار، فدعني، واختيار الله فيّ. قال أبوه: فعلمت أنه لم يوفق لهذا الكلام إلا وقد اختير للحظوة، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة

قال ابن الجوزي في (المنتظم) : في هذه السنة: حكم جهلة المنجمين أنه سيكون في هذه السنة طوفان قريب من طوفان نوح، وشاع الكلام بذلك بين العوام، وخافوا، فاستدعي الخليفة المستظهر ابن عشبون المنجم، فسأله عن هذا الكلام، فقال: إن طوفان نوح كان في زمن اجتمع في برج الحوت الطوالع السبعة، والآن فقد اجتمع فيه ستة، ولم يجتمع معها زحل، فلابد من وقوع طوفان في بعض البلاد والأقرب أنها بغداد. فتقدم الخليفة إلى وزيره، بإصلاح المسيلات والمواضع التي يخشي انفجار الماء منها، وجعل الناس ينتظرون، فجاء الخبر، بأن الحجاج حصلوا بوادي المناقب بعد نخلة، فأتاهم سيل عظيم، فما نجا منهم، إلا من تعلق برءوس

الجبال، وأخذ الماء الجمال والرجال والرحال، فخلع الخليفة على ذلك المنجم، وأجرى له جارية [١]. وفيها : ملك الأمير قوام الدولة أبو سعيد كربوقا مدينة الموصل، وقتل شرف الدولة محمد بن مسلم بن قريش، وغرقه بعد حصار تسعة أشهر . وفيها : ملك تميم بن المغربي مدينة قابس، وأخرج منها أخاه عمر، فقال خطيب سوسة في ذلك أبياتا :

ضَحِكَ الزمانُ وكانَ يُلْفَى عَابِساً ... لَمّا فتحتَ بحَدِّ سيفِكَ قابسَا
وأتيتَها بكْراً وَما أَمْهَرْتَها ... إلاّ قَنَاً وصَوارِماً وفَوارِساً [٢]
اللهُ يَعلمُ مَا جَنَيْتَ ثِمَارَهَا ... إلا وكانَ أبوك قبلاً غارساً
مَنْ كانَ في رزقِ الأسنَّةِ خاطباً ... كانتْ له قُلَلُ [٣] البلادِ عَرَائسَا

وفي صفر منها، درس الشيخ أبو عبد الله الطبري بالنظامية، ولاه إياها فخر الملك بن نظام الملك وزير بركيارق . وفيها : أغارت خفاجة على بلاد سيف الدولة صدقة بن مزيد بن منصور ابن دبيس، وقصدوا مشهد الحسين بالحائر، وتظاهروا فيه بالمنكرات والفساد،فكبسهم فيه الأمير صدقة المذكور، فقتل منهم خلقا كثيرا عند الضريح . ومن العجائب أن أحدهم ألقى نفسه وفرسه من فوق السور، فسلم، وسلمت فرسه . وحج بالناس الأمير خمارتكين الحسناني .

ومن توفي فيها من الأعيان :

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله

أخو أبي حكيم الخيري ــ وخير: إحدى بلاد فارس ــ سمع الحديث، وتفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وكانت له معرفة بالفرائض، والأدب، واللغة، وله مصنفات، وكان مَرْضِيَّ الطريقة، وكان يكتب المصاحف بالأجرة، فبينما هو ذات يوم يكتب وضع القلم من يده، واستند وقال: والله لئن كان هذا موتا إنه لطيب، ثم مات .

عبد المحسن بن أحمد الشنجي

التاجر، ويعرف بابن شهداء مكة، بغدادي، سمع الحديث الكثير، ورحل، وأكثر عن الخطيب وهو بصور، وهو الذي حمله إلى العراق، فلهذا أهدي إليه الخطيب تاريخ بغداد بخطه، وقد روى عنه في مصنفاته، وكان يسميه عبد الله، وكان ثقة .

عبد الملك بن إبراهيم

ابن أحمد أبو الفضل، المعروف بالهمداني، تفقه على الماوردي، وكانت له يد طولى في العلوم الشرعية، والحساب، وغير ذلك، وكان يحفظ (غريب الحديث) لأبي عبيد، و(المجمل) لابن فارس، وكان عفيفا، زاهدا، طلبه المقتدي ليوليه قاضي القضاة، فأبي أشد الإباء، واعتذر له

---

(١) الجارية: المعونة الشهرية .
(٢) أمهرتها: المهر: صداق المرأة. القنا: الرماح. الصوارم: السيوف .
(٣) قُلل: أعلى الجبال، وكل شيء أعلاه: السيادة والرياسة فيها .

بالعجز، وعلو السن، وكان ظريفا لطيفا، كان يقول: كان أبي إذا أراد أن يؤدبني أخذ العصا بيده ثم يقول: نويت أن أضرب ولدي تأديبا كما أمر الله؛ ثم يضربني. قال: وإلي أن ينوي ويتمّم النية كنت أهرب. توفي في رجب منها، ودفن عند قبر ابن شريح .

محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن منصور

أبو بكر الدقاق، ويعرف بابن الحاضنة، كان معروفا بالإفادة، وجودة القراءة، وحسن الخط، وصحة النقل، وجمع بين علم القراءات والحديث، وأكثر عن الخطيب وأصحاب المخلص. قال: لما غرقت بغداد غرقت داري وكتبي، فلم يبق لي شيء، فاحتجت إلى النسخ، فكتبت (صحيح مسلم) في تلك السنة سبع مرات، فنمت، فرأيت ذات ليلة كأن القيامة قد قامت، وقائل يقول: أين ابن الحاضنة ؟، فجئت فأدخلت الجنة، فلما دخلتها، استلقيت على قفاي، ووضعت إحدى رجلي على الأخرى، وقلت: استرحت من النسخ؛ ثم استيقظت، والقلم في يدي والنسخ بين يدي .

أبو المظفر السمعاني

منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد، أبو المظفر السمعاني الحافظ من أهل مرو. تفقه أولا على أبيه في مذهب أبي حنيفة، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي، فأخذ عن الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وابن الصباغ، وكانت له يد طولى في فنون كثيرة، وصنف (التفسير) ، و (كتاب الانتصار في الحديث) ، و(البرهان والقواطع في أصول الفقه) ، و(الاصطلام) [1]، وغير ذلك، ووعظ في مدينة نيسابور، وكان يقول: ما حفظت شيئا فنسيته . وسئل عن أخبار الصفات، فقال: عليكم بدين العجائز، وصبيان الكتاتيب . وسئل عن الاستواء، فقال :

جِئْتُمَـــاني لِتَعْلَمَـــا سِـــرَّ سُـــعْدَى ... تَجِدَاني بِسِـــرِّ سُعْـــدَى شَحِيحَـــا

إِنَّ سُعْـــدَى لَمُنْيَـــةُ الْمُتَمَنِّـــي ... جَمَعَـــتْ عِفَّـــةً وَوَجْهـــاً صَبِيحَـــا

توفي في ربيع الأول من هذه السنة، ودفن في مقبرة مرو، رحمه الله تعالى، وإيانا آمين .

ثم دخلت سنة تسعين وأربعمائة من الهجرة

فيها : كان ابتداء ملك الخوارزمية، وذلك أن السلطان بركيارق ملك فيها بلاد خراسان، بعد مقتل عمه أرسلان أرغون بن ألب أرسلان، وسلمها إلى أخيه المعروف بالملك سنجر، وجعل إتابكه الأمير قماج، ووزيره أبو الفتح على بن الحسين الطغرائي . واستعمل على خراسان الأمير حبشي بن البرشاق، فولى مدينة خوارزم شابا يقال له: محمد بن أنوشتكين، وكان أبوه من أمراء السلاجقة، ونشأ هو في أدب، وفضيلة، وحسن سيرة، ولما ولى مدينة

(١) الاصطلام : الاستئصال – القطع – مختار الصحاح مادة : (صلم) .

خوارزم، لقب خوارزم شاه، وكان أول ملوكهم، فأحسن السيرة، وعامل الناس بالجميل، وكذلك ولده من بعده، أتسز، جري على سيرة أبيه، وأظهر العدل، فحظي عند السلطان سنجر، وأحبه الناس، وارتفعت منــزلته . وفيها: خطب الملك رضوان بن تاج تتش، للخليفة الفاطمي المستعلي، وفي شوال قتل رجل باطني عند باب النوبي كان قد شهد عليه عدلان، أحدهما ابن عقيل، أنه دعاهما إلى مذهبه، فجعل يقول: أتقتلونني، وأنا أقول لا إله إلا الله. فقال ابن عقيل: قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [غافر : ٨٤] الآية وما بعدها، وفي رمضان منها : قتل برشو، أحد أكابر الأمراء، وكان أول من تولى شحنة بغداد . وحج بالناس فيها خمارتكين الحسناني، وفي يوم عاشوراء كبست دار بهاء الدولة أبو نصر بن جلال الدولة أبي طاهر بن بويه، لأمور ثبتت عليه عند القاضي، فأريق دمه، ونقضت داره، وعمل مكانها مسجدان للحنفية والشافعية، وقد كان السلطان ملكشاه قد أقطعه المدائن، ودير عاقول، وغيرهما .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن الحسن

ابن علي بن زكريا بن دينار، أبو يعلى العبدي البصري، ويعرف بابن الصواف، ولد سنة أربعمائة، وسمع الحديث، وكان زاهدا متصوفا، وفقيها مدرسا، ذا سمت ووقار، وسكينة ودين، وكان علامة في عشرة علوم، توفي في رمضان منها عن تسعين سنة، رحمه الله .

المعمر بن محمد

ابن المعمر بن أحمد بن محمد، أبو الغنائم الحسيني، سمع الحديث، وكان حسن الصورة، كريم الأخلاق، كثير التعبد، لا يعرف أنه آذى مسلما، ولا شتم صاحبا . توفي عن نيف وستين سنة، وكان نقيبا ثنتين وثلاثين سنة، وكان من سادات قريش، وتولى بعده ولده أبو الفتوح حيدرة، ولقب بالرضي ذي الفخرين، ورثاه الشعراء بأبيات، ذكرها ابن الجوزي .

يحيى بن أحمد بن محمد البستي

سمع الحديث، ورحل فيه . وكان ثقة صالحا، صدوقا، أديبا، عمر مائة سنة، وثنتي عشرة سنة، وثلاثة أشهر، وهو مع ذلك صحيح الحواس، يقرأ عليه القرآن، والحديث، رحمه الله وإيانا آمين .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وأربعمائة

في جمادى الأولى منها، ملك الإفرنج مدينة إنطاكية بعد حصار شديد بمواطأة بعض المستحفظين على بعض الأبراج، وهرب صاحبها ياغيسيان في نفر يسير، وترك بها أهله وماله، ثم إنه ندم في أثناء الطريق ندما شديدا على ما فعل، بحيث إنه غشي عليه، وسقط عن فرسه، فذهب أصحابه وتركوه، فجاء راعي غنم فقطع رأسه؛ وذهب به إلى ملك الفرنج، ولما بلغ الخبر إلى الأمير كربوقا صاحب الموصل، جمع عساكر كثيرة، واجتمع عليه دقاق صاحب

دمشق، وجناح الدولة صاحب حمص، وغيرهما، وسار إلى الفرنج، فالتقوا معهم بأرض إنطاكية، فهزمهم الفرنج، وقتلوا منهم خلقا كثيرا، وأخذوا منهم أموالا كثيرة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم صارت الفرنج إلى معرة النعمان، فأخذوها بعد حصار، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ولما بلغ هذا الأمر الفظيع إلى الملك بركيارق، شق عليه ذلك، وكتب إلى الأمراء ببغداد، أن يتجهزوا هم والوزير ابن جهير لقتال الفرنج، فبرز بعض الجيش إلى ظاهر البلد بالجانب الغربي، ثم انفسخت هذه العزيمة، لأنهم بلغهم أن الفرنج في ألف ألف مقاتل، فلا حول ولا قوة إلا بالله وحج بالناس فيها خمارتكين .

وممن توفي فيها من الأعيان :

طراد بن محمد بن علي

ابن الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن على بن عباس، أبو الفوارس بن أبي الحسن بن أبي القاسم بن أبي تمام، من ولد زيد بن بنت سليمان بن على بن عبد الله بن عباس، وهي أم ولده عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام ابن محمد بن عبد الله بن عباس، سمع الحديث الكثير، والكتب الكبار، وتفرّد بالرواية عن جماعة من المشايخ، ورحل إليه من الآفاق، وأملى الحديث في بلدان شتى، وكان يحضر مجلسه العلماء والسادة، وحضر أبو عبد الله الدامغاني مجلسه، وباشر نقابة العباسيين مدة طويلة، وتوفي عن نيف وتسعين سنة، ودفن في مقابر الشهداء، رحمه الله تعالى .

المظفر أبو الفتح ابن رئيس الرؤساء أبو القاسم

ابن المسلمة ، كانت داره مجمعا لأهل العلم والدين والأدب، وبها. توفي الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ودفن عند الشيخ أبي إسحاق في تربته .

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة

وفيها أخذت الفرنج بيت المقدس

لما كان ضحى يوم الجمعة، لسبع بقين من شعبان سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة، أخذت الفرنج ــ لعنهم الله ــ بيت المقدس ــ شرفه الله ــ وكانوا في نحو ألف ألف مقاتل، وقتلوا في وسطه أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين، ﴿ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ [الإسراء : ٥] ﴿وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً﴾ [الإسراء : ٧] قال ابن الجوزي: وأخذوا من حول الصخرة اثنتين وأربعين قنديلا من فضة، زنة كل واحد منها ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وأخذوا تنورا من فضة، زنته أربعون رطلا بالشامي، وثلاثة وعشرين قنديلا من ذهب، وذهب الناس على وجوههم هاربين من الشام إلى العراق، مستغيثين على الفرنج، إلى الخليفة والسلطان، منهم القاضي بدمشق أبو سعد

الهروي، فلما سمع الناس ببغداد هذا الأمر الفظيع هالهم ذلك، وتباكوا، وقد نظم أبو سعد الهروي كلاما قرئ في الديوان، وعلي المنابر، فارتفع بكاء الناس، وندب الخليفة الفقهاء إلى الخروج إلى البلاد ليحرضوا الملوك على الجهاد، فخرج ابن عقيل، وغير واحد من أعيان الفقهاء، فساروا في الناس، فلم يفد ذلك شيئا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فقال في ذلك أبو المظفر الأبيوردي شعرا :

مَزجْنَا دِمَانَا بالدُّموعِ السَّوَاجمِ ... فَلَمْ يَبْقَ مِنّا عرضةٌ للْمَرَاجمِ [1]
وَشَرُّ سلاحِ المَرْءِ دَمْعٌ يُرِيقُهُ ... إذا الحَرْبُ شُبَّتْ نارها بالصَّوَارِمِ
فَأَيهاً بَني الإسْلامِ إنَّ وَرَاءَكُمْ ... وَقَائِعُ يُلْحقْنَ الذُّرَى بالمَنَاسِمِ [2]
وَكَيْفَ تَنَامُ العينُ ملءَ جُفُونِهَا ... على هفواتٍ أَيْقَظَتْ كلَّ نائمِ
وَإخْوَانُكُمْ بالشامِ يُضْحِي مَقِيلُهُمْ ... ظُهُورَ المَذَاكِي أو بُطُونَ القَشَاعِمَ [3]
تسُومُهُمُ الرُّومُ الهَوانَ وَأَنْتُمُ ... تَجُرُّون ذَيْلَ الخَفْضِ فِعْلَ المُسَالِمِ ؟ [4]

ومنها قوله :

وَبَيْنَ اخْتلاسِ الطَّعنِ والضَّربِ وَقْفَةٌ ... تَظَلُّ لَهَا الولْدانُ شيبَ القَوَادِمِ
وَتِلْكَ حُرُوبٌ مَنْ يَغِب عن غِمَارِهَا ... لِيَسْلَمَ يقْرَعْ بَعْدَهَا سِنَّ نادمِ
سَلَلْنَ بأَيْدِي المُشْرِكِينَ قَوَاضِباً ... سَتُغْمَدُ منهم في الكُلَى وَالجَمَاجِمِ [5]
يَكَادُ لَهُنَّ المُسْتَجيرُ بطَيْبَةٍ ... يُنَادي بأعلى الصَّوْتِ يا آلَ هاشمِ
أرَى أُمَّتي لا يُسْرِعُونَ إلى العِدَا ... رِمَاحُهُمُ وَالدينُ وَاهِي الدَّعَائِمِ [6]
وَيَجْتَنِبُونَ النَّارَ خَوْفاً مِنَ الرَّدَى ... وَلا يَحْسَبُون العَارَ ضَرْبَةَ لازمِ
أَيَرْضَى صناديدُ الاعَارِيبِ بالأذَى ... وَيُغْضِي على ذُلٍّ كُماةُ الأعاجمِ [7]
فَلَيْتَهُمُو إذْ لَمْ يَذُودُوا حَمِيَّةً ... عن الدينِ ضَنُّوا غيرةً بالمحارِمِ [8]
وَإنْ زَهِدُوا في الأجرِ إذ حَمِيَ الوَغَى ... فَهَلا أَتَوْهُ رَغْبَةً في المَغَانِمِ

وفيها : كان ابتداء أمر السلطان محمد بن ملكشاه، وهو أخو السلطان سنجر لأبيه وأمه، واستفحل أمره إلى أن خطب له ببغداد في ذي الحجة من هذه السنة . وفيها: سار إلى الري

---

(١) السواجم : سال دمع عينيه . المراجم: من الرجم: الرمي بالأحجار .
(٢) المناسم : جمع منسم وهو : خف البعير .
(٣) المذاكى : الخيل . القشاعم: المسن من النسور الضخم وغيره .
(٤) الخفض : الذّل .
(٥) القواضم : القواطع من السيوف .
(٦) يسرعون : يشهرون . واهي: ضعيف .
(٧) الصناديد : جمع صنديد: الدواهي: جماعة العسكر. الكمي: الشجاع . أغضى: طبقّ جفنيه حتى لا يرى.
(٨) يذود : يدفع ويحامى .

فوجد زبيدة خاتون، أم أخيه بركيارق، فأمر بخنقها، وكان عمرها إذ ذاك ثنتين وأربعين سنة في ذي الحجة منها، كانت له مع بركيارق خمس وقعات هائلة . وفيها : غلت الأسعار جدا ببغداد، حتى مات كثير من الناس جوعا، وأصابهم وباء شديد، حتى عجزوا عن دفن الموتى، من كثرتهم .
وممن توفي فيها من الأعيان :

السلطان إبراهيم بن السلطان محمود

ابن مسعود بن السلطان محمود بن سبكتكين، صاحب غزنة، وأطراف الهند، وغير ذلك، كانت له حرمة وأبهة عظيمة، وهيبة وافرة جدا، حكي الكيا الهراسي، حين بعثه السلطان بركيارق في رسالته إليه عما شاهده عنده من أمور السلطنة، في ملبسه، ومجلسه، وما رأى عنده من الأموال والسعادة الدنيوية، قال: رأيت شيئا عجيبا، وقد وعظه بحديث: « لَمَنَادِيلُ سعدِ بن مُعاذ في الجَنَّة خَيرٌ مِنْ هذا »[1] فبكى . قال: وكان لا يبني لنفسه منـــزلاً إلا يبني قبله مسجداً، أو مدرسة، أو رباطا . توفي في رجب من هذه السنة ، وقد جاوز التسعين، وكانت مدة ملكه منها ثنتين وأربعين سنة .

عبد الباقي بن يوسف

ابن علي بن صالح، أبو تراب الداعي، ولد سنة إحدى وأربعمائة، وتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري، وسمع الحديث عليه، وعلي غيره ثم أقام بنيسابور، وكان يحفظ شيئا كثيرا من الحكايات والملح ، وكان صبورا، متقللا من الدنيا، على طريقة السلف، جاءه منشور بقضاء همدان، فقال: أنا منتظر منشورا من الله عزّ وجلّ على يدي ملك الموت بالقدوم عليه، والله لجلوس ساعة في هذا المسلة [2] على راحة القلب، أحب إلى من ملك العراقين، وتعليم مسألة لطالب أحب إلى مما على الأرض من شيء، والله لا أفلح قلب يعلق بالدنيا وأهلها، وإنما العلم دليل فمن لم يدله علمه على الزهد في الدنيا وأهلها، لم يحصل على طائل من العلم، ولو علم ما علم، فإنما ذلك ظاهر من العلم، والعلم النافع وراء ذلك، والله لو قطعت يدي ورجلي وقلعت عيني، أحب إلى من ولاية فيها انقطاع عن الله والدار الآخرة، وما هو سبب فوز المتقين وسعادة المؤمنين. توفي رحمه الله في ذي القعدة من هذه السنة، عن ثلاث وتسعين سنة، رحمه الله آمين .

أبو القاسم ابن إمام الحرمين

قتله بعض الباطنية، بنيسابور رحمه الله، ورحم أباه .

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخارى فى الهبة (٢٦١٥) وبدء الخلق (٣٢٤٨) ومناقب الأنصار (٣٨٠٢) واللباس (٥٨٣٦)، ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٤٦٨، ٢٤٦٩) .
(٢) المسلّة : اسم مكان .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة

في صفر منها : دخل السلطان بركيارق إلى بغداد، ونزل بدار الملك، وأعيدت له الخطبة ببغداد، وقطعت خطبة أخيه محمد، وبعث إليه الخليفة هدية هائلة، وفرح به العوام والنساء، ولكنه في ضيق من أمر أخيه محمد، لإقبال الدولة عليه، واجتماعهم إليه، وقلة ما معه من الأموال، ومطالبة الجند له بأرزاقهم، فعزم على مصادرة الوزير ابن جهير، فالتجأ إلى الخليفة، فمنعه من ذلك، ثم اتفق الحال على المصالحة عنه بمائة ألف وستين ألف دينار، ثم سار فالتقى هو وأخوه السلطان محمد بمكان قريب من همدان، فهزمه أخوه محمد، ونجا هو بنفسه في خمسين فارسا، وقتل في هذه الوقعة سعد الدولة جوهر آيين الخادم، وكان قديم الهجرة في الدولة، وقد ولي شحنة بغداد، وكان حليما حسن السيرة، لم يتعمد ظلم أحد، ولم ير خادم ما رأي، من الحشمة والحرمة، وكثرة الخدم، وقد كان يكثر الصلاة بالليل، ولا يجلس إلا على وضوء، ولم يمرض مدة حياته، ولم يصدع قط، ولما جري ما جري في هذه الوقعة، ضعف أمر السلطان بركيارق، ثم تراجع إليه جيشه، وانضاف إليه الأمير داود، في عشرين ألفا، فالتقي هو وأخوه مع أخيه سنجر، فهزمهم سنجر أيضا، وهرب في شرذمة قليلة، وأسر الأمير داود، فقتله الأمير برغش أحد أمراء سنجر، فضعف بركيارق، وتفرقت عنه رجاله، وقطعت خطبته من بغداد، في رابع عشر رجب، وأعيدت خطبة السلطان محمد . وفي رمضان منها: قبض على الوزير عميد الدولة ابن جهير، وعلي أخويه زعيم الرؤساء أبي القاسم، وأبي البركات الملقب بالكافي، وأخذت منه أموال كثيرة، وحبس بدار الخلافة، حتى مات في شوال منها. وفي ليلة السابع والعشرين منه: قتل الأمير بلكابك سرمز، رئيس شحنة أصبهان، ضربه باطني بسكين في خاصرته، وقد كان يتحرز منهم كثيرا، وكان يدرع تحت ثيابه، سوي هذه الليلة، ومات من أولاده في هذه الليلة جماعة، خرج من داره خمس جنائز من صبيحتها . وفيها أقبل ملك الفرنج في ثلاثمائة ألف مقاتل، فالتقي معه ستكن بن أنشمند طايلو، إتابك دمشق، الذي يقال له: أمين الدولة، واقف الأمينية بدمشق وببصرى، لا التي ببعلبك، فهزم الأفرنج، وقتل منهم خلقا كثيرا، بحيث لم ينج منهم سوي ثلاثة آلاف، وأكثرهم جرحي ــ يعني الثلاثة آلاف ــ وذلك في ذي القعدة منها ، ولحقهم إلى ملطية، فملكها، وأسر ملكها، ولله الحمد . وحج بالناس الأمير التونتاش التركي وكان شافعي المذهب .

وممن توفي من الأعيان :

عبد الرزاق الغزنوي الصوفي

شيخ رباط عتاب، حج مرات على التجريد، مات وله نحو مائة سنة، ولم يترك كفنا، وقد قالت له امرأته وهو في الاحتضار: سنفتضح اليوم . قال: لم؟ قالت له: لأنه لا يوجد لك كفن فقال لها: لو تركت كفنا لافتضحت. وعكسه أبو الحسن البسطامي، شيخ رباط بن المحلبان، كان لا يلبس إلا الصوف، شتاء وصيفا، ويظهر الزهد. وحين توفي وجد له أربعة آلاف دينار

مدفونة فتعجب الناس من تفاوت حاليهما، و اتفاق موتهما في هذه السنة رحم الله الأول ، وسامح الثاني .

الوزير عميد الدولة بن جهير

محمد بن أبي نصر بن محمد بن جهير الوزير، أبو منصور الملقب عميد الدولة أحد رؤساء الوزراء، خدم ثلاثة من الخلفاء، ووزر لاثنين منهم، وكان حليما، قليل العجلة، غير أنه كان يتكلم فيه بسبب الكبر، وقد ولي الوزارة مرات، يعزل. ثم يعاد، ثم كان آخرها هذه المرة، حبس بدار الخلافة، فلم يخرج من السجن إلا ميتا، في شوال منها .

ابن جزلة الطبيب

يحيي بن عيسي بن جزلة الطبيب صاحب المنهاج في الطب، كان نصرانيا، ثم وكان يتردد إلى الشيخ أبي علي بن الوليد ، المعتزلي، يشتغل عليه في المنطق، وكان أبو علي يدعوه إلى الإسلام ويوضح له الدلالات، حتى أسلم، وحسن إسلامه، واستخلفه الدامغاني في كتب السجلات، ثم كان يطب الناس بعد ذلك بلا أجر، وربما ركب لهم الأدوية من ماله تبرعا، وقد أوصي بكتبه أن تكون وقفا بمشهد أبي حنيفة، رحمه الله، وإيانا آمين .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة

فيها : عظم الخطب بأصبهان ونواحيها بالباطنية، فقتل السلطان منهم خلقا كثيرا، وأبيحت ديارهم، وأموالهم، للعامة، ونودي فيهم: إن كل من قدرتم عليه منهم، فاقتلوه، وخذوا ماله، وكانوا قد استحوذوا على قلاع كثيرة، وأول قلعة ملكوها في سنة ثلاث وثمانين، وكان الذي ملكها الحسن بن صباح، أحد دعاتهم،وكان قد دخل مصر، وتعلم من الزنادقة الذين كانوا بها، ثم صار إلى تلك النواحي ببلاد أصبهان،وكان لا يدعو إليه من الناس إلا غبيا جاهلا، لا يعرف يمينه من شماله، ثم يطعمه العسل بالجوز والشونيز، حتى يحرق مزاجه، ويفسد دماغه، ثم يذكر له أشياء من أخبار أهل البيت، ويكذب له من أقاويل الرافضة الضلال، أنهم ظلموا ومنعوا حقهم الذي أوجبه الله لهم، ورسوله، ثم يقول له: فإذا كانت الخوارج تقاتل بني أمية لعلي، فأنت أحق أن تقاتل في نصرة إمامك علي بن أبي طالب، ولا يزال يسقيه العسل، وأمثاله، ويرقيه، حتى يستجيب له، ويصير أطوع له من أمه وأبيه، ويظهر له أشياء من المخرقة، والنيرنجيات، والحيل، التي لا تروج إلا على الجهال، حتى التف عليه بشر كثير، وجم غفير، وقد بعث إليه السلطان ملكشاه: يتهدده، وينهاه عن ذلك، وبعث إليه بفتاوي العلماء، فلما قرأ الكتاب بحضرة الرسول، قال من حوله من الشباب: إني أريد أن أرسل منكم رسولا إلى مولاه . فاشرأبت وجوه الحاضرين، ثم قال لشاب منهم: اقتل نفسك . فأخرج سكينا، فضرب بها غلصمته [1] ،

---

(١) غلصمته : رأس الحلقوم، وهو الموضع الناتئ في الحلق .

فسقط ميتا، وقال لآخر منهم: ألق نفسك من هذا الموضع، فرمي نفسه من رأس القلعة إلى أسفل خندقها، فتقطع. ثم قال لرسول السلطان هذا الجواب . فمنها امتنع السلطان من مراسلته. هكذا ذكره ابن الجوزي، وسيأتي ما جري للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فاتح بيت المقدس، وما جري له مع سنان صاحب الإيوان، مثل هذا، إن شاء الله تعالى .

وفي شهر رمضان: أمر الخليفة المستظهر بالله، بفتح جامع القصر، وأن لا يبيض، وأن يصلي فيه التراويح وأن يجهر بالبسملة، وأن يمنع النساء من الخروج ليلا للفرجة . وفي أول هذه السنة، دخل السلطان بركيارق، إلى بغداد فخطب له بها، ثم لحقه أخواه محمد، وسنجر، فدخلاها، وهو مريض، فعبرا في الجانب الغربي، فقطعت خطبته، وخطب لهما بها، وهرب بركيارق إلى واسط، ونهب جيشه، ما احتازوا به من البلاد، والأراضي، فنهاه بعض العلماء عن ذلك، ووعظه، فلم يفد شيئا . وفي هذه السنة، ملكت الفرنج قلاعا كثيرة، منها: قيسارية، وسروج. وسار ملك الفرنج كندر — وهو الذي أخذ بيت المقدس — إلى عكا، فحاصرها، فجاءه سهم في عنقه، فمات من فوره، لعنه الله .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد

ابن عبد الواحد بن الصباغ، أبو منصور، سمع الحديث، وتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري، ثم على ابن عمه أبي نصر بن الصباح، وكان فقيها، فاضلا، كثير الصلاة، يصوم الدهر، وقد ولي القضاء بربع الكرخ، والحسبة بالجانب الغربي .

عبد الله بن الحسن

ابن أبي منصور أبو محمد الطبسي، رحل إلى الآفاق، وجمع وصنف، وكان أحد الحفاظ المكثرين ثقة صدوقا عارفا بالحديث ورعاً حسن الخلق .

عبد الرحمن بن أحمد

ابن محمد أبو محمد الرزاز السرخسي، نزل مرو، وسمع الحديث، وأملي، ورحل إليه العلماء، وكان حافظا لمذهب الشافعي، متدينا ورعا ، رحمه الله .

عزيز بن عبد الملك

منصور أبو المعالي الجيلي، القاضي، الملقب سيد له، كان شافعيا في الفروع، أشعريا في الأصول، وكان حاكما بباب الأزج، وكان بينه وبين أهل باب الأزج من الحنابلة شنآن كبير، سمع رجلا ينادي على حمار له ضائع، فقال: يدخل باب الأزج، ويأخذ بيد من شاء . وقال يوما للنقيب طراد الزينبي: لو حلف إنسان أنه لا يري إنسانا، فرأي أهل باب الأزج، لم يحنث. فقال له الشريف: من عاشر قوما أربعين يوما فهو منهم . ولهذا لما مات، فرحوا بموته كثيرا .

محمد بن أحمد

ابن عبد الباقي بن الحسن بن محمد بن طوق، أبو الفضائل الربعي الموصلي، تفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وسمع من القاضي أبي الطيب الطبري، وكان ثقة صالحا، كتب الكثير .

محمد بن الحسن

أبو عبد الله المرادي، نزل أوان، وكان مقرئا، فقيها صالحا، له كرامات، ومكاشفات، أخذ عن القاضي أبي يعلى بن الفراء الحديث، وغيره . قال ابن الجوزي: بلغني أن ابنا له صغيرا، طلب منه غزالا، وألح عليه، فقال له: يا بني، غدا يأتيك غزال . فلما كان الغد أتت غزال، فصارت تنطح الباب بقرنيها، حتى فتحته، فقال له أبوه: يا بني، أتتك الغزال .

محمد بن علي بن عبيد الله

ابن أحمد بن صالح بن سليمان بن ودعان، أبو نصر الموصلي القاضي، قدم بغداد سنة ثلاث وتسعين، وحدث عن عمه بالأربعين الودعانية، وقد سرقها عمه أبو الفتح بن ودعان من زيد بن رفاعة الهاشمي، فركب لها أسانيد إلى من بعد زيد بن رفاعة، وهي موضوعة كلها، وإن كان في بعضها معاني صحيحة، والله أعلم .

محمد بن منصور

أبو سعد المستوفي شرف الملك الخوارزمي، جليل القدر، وكان متعصبا لأصحاب أبي حنيفة، ووقف لهم مدرسة بمرو، ووقف فيها كتبا كثيرة، وبنى مدرسة ببغداد عند باب الطارق، وبني القبة على قبر أبي حنيفة، وبني أربطة في المفاوز، وعمل خيرا كثيرا، وكان من أطيب الناس، مأكلا، ومشربا، وأحسنهم ملبسا، وأكثرهم مالا، ثم ترك العمالة [1] بعد هذا كله، وأقبل على العبادة، والاشتغال بنفسه، إلى أن مات .

محمد بن منصور القسيري

المعروف بعميد خراسان، قدم بغداد، أيام طغرلبك، وحدث عن أبي حفص عمر بن أحمد ابن مسرور، وكان كثير الرغبة في الخير، ووقف بمرو مدرسة على أبي بكر بن أبي المظفر السمعاني وذريته .

قال ابن الجوزي: فهم يتولونها إلى الآن، وبني بنيسابور مدرسة، وفيها تربته . وكانت وفاته في شوال من هذه السنة .

نصر بن أحمد

ابن عبد الله بن البطران الخطابي، البزار، القارئ . ولد سنة ثمان وتسعين وثلثمائة، وسمع الكثير، وتفرد عن ابن زرقوية، وغيره، وطال عمره، ورحل إليه من الآفاق، وكان صحيح السماع .

---

(١) مهنة العمل .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمائة

في ثالث المحرم منها، قبض علي أبي الحسن علي بن محمد، المعروف بالكيا الهراسي، وعزل عن تدريس النظامية، وذلك أنه رماه بعضهم عند السلطان بأنه باطني، فشهد له جماعة من العلماء ـــ منهم ابن عقيل ـــ ببراءته من ذلك، وجاءت الرسالة من دار الخلافة، يوم الثلاثاء، بخلاصه . وفيها: في يوم الثلاثاء الحادي عشر من المحرم، جلس الخليفة المستظهر، بدار الخلافة، وعلي كتفيه البردة، والقضيب بيده، وجاء الملكان الأخوان: محمد، وسنجر أبناء السلطان ملشكاه، فقبلا الأرض، وخلع عليهما الخلع السلطانية، على محمد سيفا، وطوقا، وسوار لؤلؤ، وأفراسا من مراكبه، وعلي سنجر دون ذلك، وولي السلطان محمد الملك، واستنابه في جميع ما يتعلق بأمر الخلافة، دون ما أغلق عليه الخليفة بابه، ثم خرج السلطان محمد، في تاسع عشر الشهر، فأرجف الناس، وخرج بركيارق، فأقبل السلطان محمد، فالتقوا، وجرت حروب كثيرة، وانهزم محمد، وجري عليه مكروه شديد، كما سيأتي بيـــانـــه . وفي رجب منها: قبل القاضي أبي الحسن بن الدامغاني شهادة أبي الحسين وأبي حازم ابني القاضي أبو يعلى بن الفراء. وفيها: قدم عيسى بن عبد الله القونوى فوعظ الناس وكان شافعياً أشعرياً فوقعت فتنة بين الحنابلة والأشعرية ببغداد وفيها وقع حريق عظيم ببغداد .

وحج بالناس حميد العمري صاحب سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس، صاحب الحلة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو القاسم صاحب مصر

الخليفة الملقب بالمستعلي ، في ذي الحجة منها، وقام بالأمر من بعده ابنه علي وله تسع سنين، ولقب بالآمر بأحكام الله .

محمد بن هبة الله

أبو نصر القاضي البندنيجي الضرير الفقيه الشافعي ، أخذ عن الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ثم جاور بمكة أربعين سنة ، يفتي ويدرس ويروي الحديث ويحج ، ومن شعره قوله :

عَدِمْتُكَ نَفْسِي مـــا تَمَلّـــي بَطَالَتِي ... وَقَدْ مرَّ إخْوَانـــي وَأَهْـــلُ مَوَدَّتـــي

أُعَاهِـــدُ رَبِّـــي ثُمَّ أَنْقُـــضُ عَهْـــدَهُ ... وَأَتْرُكُ عَزْمِي حِينَ تَعْرِضَ شَهْوَتـــي

وَزَادِي قَلِيـــلٌ مـــا أُرَاهُ مُبَلِّغـــي [1] ... ألَلـــزَاد أَبْكـــي أَمْ لبُعْـــدِ مَسَافَتـــي ؟

ثُمَّ دخلت سنة ست وتسعين وأربعمائة

فيها : حاصر السلطان بركيارق أخاه محمداً بأصبهان ، فضاقت على أهلها الأرزاق، واشتد الغلاء عندهم جداً، وأخذ السلطان محمد أهلها بالمصادرة والحصار حولهم من خارج

(١) مبلغي: من البُلْغَة: وهي ما تسد حاجة الإنسان ويتبلغ به من الطعام .

البلد، فاجتمع عليهم الخوف والجوع، والنقص من الأموال والأنفس والثمرات، ثم خرج السلطان محمد من أصبهان هاربا فأرسل أخوه في أثره مملوكة إياز، فلم يتمكن من القبض عليه، ونجا بنفسه سالما . قال ابن الجوزي : وفي صفر منها زيد في ألقاب قاضي القضاه الدامغاني تاج الإسلام . وفي ربيع الأول قطعت الخطبة للسلاطين ببغداد واقتصر على ذلك الخليفة فيها والدعاء له ، ثم التقي الأخوان بركيارق ومحمد فانهزم محمد أيضا ثم اصطلحا . وفيها : ملك دقاق بن تتش صاحب دمشق مدينة الرحبة . فيها: قتل أبو المظفر الخجندي الواعظ بالري وكان فقيها شافعيا مدرسا ، قتله رافضي علوي في الفتنة ، وكان عالما فاضلا ، كان نظام الملك يزوره ويعظمه . وحج بالناس خمارتكين .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن علي

ابن عبد الله بن سوار ، أبو طاهر المقري ، صاحب المصنفات في علوم القرآن ، كان ثقة ثبتا مأمونًا عالمًا بهذا الشأن وقد جاوز الثمانين .

أبو المعالي

أحد الصلحاء الزهاد، ذوي الكرامات والمكاشفات، وكان كثير العبادة متقللا من الدنيا، لا يلبس صيفاً ولا شتاء إلا قميصاً واحداً، فإذا اشتد البرد وضع على كتفه مئزراً، وذكر أنه أصابته فاقة شديدة في شهر رمضان، فعزم على الذهاب إلى بعض الأصحاب ليستقرض منه شيئا، قال : فبينما أنا أريده إذ بطائر قد سقط على كتفي، وقال: يا أبا المعالي أنا الملك الفلاني، لا تمض إليه نحن نأتيك به، قال: فبكر إلى الرجل. رواه ابن الجوزي في (منتظمه) من طرق عدة، كانت وفاته في هذه السنة، ودفن قريباً من قبر أحمد .

السيدة بنت القائم بأمر الله

أمير المؤمنين التي كانت تزوجها الملك طغرلبك، ودفنت بالرصافة، وكانت كثيرة الصدقة، وجلس لعزائها في بيت النوبة الوزير، والله أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة

فيها: قصد الفرنج لعنهم الله الشام فقاتلهم المسلمون فقتلوا من الفرنج اثني عشر ألفاً، ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ [الأحزاب : ٢٥] وقد أسر في هذه الوقعة بردويل صاحب الرها. وفيها: سقطت منارة واسط، وقد كانت من أحسن المنائر، كان أهل البلد يفتخرون بها وبقية الحجاج، فلما سقطت سمع لأهل البلد بكاء وعويل شديد، ومع هذا لم يهلك بسببها أحد وكان بناؤها في سنة أربع وثلاثمائة في زمن المقتدر. وفيها: تأكد الصلح بين الأخوين السلطانين بركيارق ، ومحمد، وبعث إليه بالخلع وإلى الأمير إياز. وفيها: أخذت مدينة

عكا وغيرها من السواحل. وفيها: استولى الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور صاحب الحلة على مدينة واسط. وفيها: توفي الملك دقاق بن تتش صاحب دمشق، فأقام مملوكه طغتكين ولدا له صغيراً مكانه، وأخذ البيعة له، وصار هو أتابكه فدبر الملك مدة بدمشق. وفيها عزل السلطان سنجر وزيره أبا الفتح الطغرائي ونفاه إلى غزنة. وفيها: ولي أبو نصر نظام الحضريين ديوان الإنشاء، وفيها قتل الطبيب الماهر الحاذق أبو نعيم، وكانت له إصابات عجيبة وحج بالناس فيها: الأمير خمارتكين .

ومن توفي فيها من الأعيان :

أزدشير بن منصور

أبو الحسن العبادي الواعظ، تقدم أنه قدم بغداد فوعظ بها فأحبته العامة في سنة ست وثمانين وقد كانت له أحوال جيدة فيما يظهر والله أعلم .

إسماعيل بن محمد بن أحمد بن عثمان

أبو الفرج القومساني. من أهل همدان، سمع من أبيه وجده وجماعة. وكان حافظاً حسن المعرفة بالرجال وأنواع الفنون، مأموناً .

العلاء بن الحسن بن وهب

ابن الموصلايا، سعد الدولة، كاتب الإنشاء ببغداد، وكان نصرانياً فأسلم في سنة أربع وثمانين فمكث في الرياسة مدة طويلة، نحواً من خمس وستين سنة، وكان فصيح العبارة، كثير الصدقة ، توفي عن عمر طويل .

محمد بن أحمد بن عمر

أبو عمر النهاوندي، قاضي البصرة مدة طويلة، وكان فقيهاً عالماً، سمع الحديث من أبي الحسن الماوردي وغيره ومولده في سنة سبع، وقيل: تسع وأربعمائة والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة

فيها: توفي السلطان بركيارق وعهد إلى الصغير ملكشاه، وعمره أربع سنين وشهور وخطب له ببغداد، ونثر عند ذكره الدنانير والدراهم، وعلى أتابكه الأمير إياز ولقب جلال الدولة، ثم جاء السلطان محمد إلى بغداد فخرج إليه أهل الدولة ليتلقوه وصالحوه، وكان الذي أخذ البيعة بالصلح الكيا الهراسي، وخطب له بالجانب الغربي، ولابن أخيه بالجانب الشرقي ثم قتل الأمير إياز وحملت إليه الخلع والدولة والدست، وحضر الوزير سعد الدولة عند الكيا الهراسي، في درس النظامية، ليرغب الناس في العلم، وفي ثامن رجب منها أزيل الغيار عن أهل

الذمة الذين كانوا ألزموه في سنة أربع وثمانين وأربعمائة، ولا يعرف ما سبب ذلك . وفيها: كانت حروب كثيرة ما بين المصريين والفرنج، فقتلوا من الفرنج خلقاً كثيراً، ثم أديل عليهم الفرنج فقتلوا منهم خلقاً .

وممن توفي فيها من الأعيان :

السلطان بركيارق بن ملكشاه

ركن الدولة السلجوقي، جرت له خطوب طويلة وحروب هائلة، خطب له ببغداد ست مرات، ثم تنقطع الخطبة له ثم تعاد. مات وله من العمر أربع وعشرون سنة وشهور، ثم قام من بعده ولده ملكشاه، فلم يتم له الأمر بسبب عمه محمد .

عيسى بن عبد الله

القاسم أبو الوليد الغزنوي الأشعري : كان متعصباً للأشعري، خرج من بغداد قاصداً بلده فتوفي بأسفرايين .

محمد بن أحمد بن إبراهيم

ابن سلفة الأصبهاني، أبو أحمد، كان شيخاً عفيفاً ثقة، سمع الكثير، وهو والد الحافظ أبي طاهر السلفي الحافظ .

أبو علي الخيالي الحسين بن محمد

ابن أحمد الغساني الأندلسي، مصنف " تقييد المهمل على الألفاظ"، وهو كتاب مفيد كثير النفع وكان حسن الخط عالماً باللغة والشعر والأدب، وكان يسمع في جامع قرطبة، توفي ليلة الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان، عن إحدى وسبعين سنة .

محمد بن علي بن الحسن بن أبي الصقر

أبو الحسن الواسطي، سمع الحديث وتفقه بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وقرأ الأدب وقال الشعر. من ذلك قوله :

مَـنْ قَالَ : لِي جَـاهٌ وَلِي حِشْـمَةٌ وَلِي قَبُـولٌ عِنْـدَ مَوْلاَنَـا
وَلَـمْ يَعُـدْ ذَاكَ بِنَفْـعٍ عَلَـى صَـدِيقِـهِ لا كَـانَ مَـا كَانَـا

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة

في المحرم منها : ادعى رجل النبوة بنواحي نهاوند، وسمى أربعة من أصحابه أبا بكر وعمر وعثمان وعلي الخلفاء الأربعة فاتبعه على ضلالته خلق من الجهلة الرعاع، وباعوا أملاكهم ودفعوا أثمانها إليه، وكان كريماً يعطي من قصده ما عنده ثم إنه قتل بتلك الناحية لعنه الله. ورام

رجل آخر من ولد ألب أرسلان بتلك الناحية الملك فلم يتم له أمره، فقبض عليه في أقل من شهرين، وكانوا يقولون : ادعى رجل النبوة وآخر الملك، فما كان بأسرع من زوال دولتهما. وفي رجب منها زادت دجلة زيادة عظيمة، فأتلفت شيئاً كثيراً من الغلات، وغرقت دور كثيرة ببغداد. وفيها : كسر طغتكين أتابك عساكر دمشق الفرنج، وعاد مؤيداً منصوراً إلى دمشق، وزينت البلد زينة عجيبة مليحة، سروراً بكسره الفرنج. وفيها : في رمضان منها حاصر الملك رضوان بن تتس صاحب حلب مدينة نصيبين . وفيها : ورد إلى بغداد ملك من ملوك الملثمين وصحبته رجل يقال له الفقيه، فوعظ في جامع القصر .

وحج بالناس رجل من أقرباء الأمير سيف الدولة صدقة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو الفتح الحاكم

سمع الحديث من البيهقي وغيره، وعلق عن القاضي حسين طريقه وشكره في ذلك، وكان قد تفقه أولاً على الشيخ أبي عَلِيٍّ السنجي، ثم تفقه وعلق عن إمام الحرمين في الأصول بحضرته، واستجاده وولي بلده مدة طويلة، وناظر، ثم ترك ذلك كله وأقبل على العبادة وتلاوة القرآن .

وقال ابن خلكان : وبني للصوفية رباطاً من ماله، ولزم التعبد إلى أن مات في مستهل المحرم من هذه السنة .

محمد بن أحمد

ابن محمد بن علي بن عبد الرزاق : أبو منصور الحناط، أحد القراء والصلحاء، ختم ألوفاً من الختمات وختم عليه ألوف من الناس، وسمع الحديث الكثير، وحين توفي اجتمع العالم في جنازته اجتماعاً لم يجتمع لغيره مثله، ولم يعهد له نظير في تلك الأزمان. وكان عمره يوم توفي سبعاً وتسعين سنة رحمه الله، وقد رثاه الشعراء، ورآه بعضهم في المنام فقال له : ما فعل بك ربك ؟ فقال : غفر لي بتعليمي الصبيان الفاتحة .

محمد بن عبيد الله بن الحسن بن الحسين

أبو الفرج البصري قاضيها، سمع أبا الطيب الطبري والماوردي وغيرهما، ورحل في طلب الحديث، وكان عابداً خاشعاً عنه الذكر .

مهارش بن مجلى

أمير العرب بحديثة غانة، وهو الذي أودع عنده القائم بأمر الله، حين كانت فتنة البساسيري، فأكرم الخليفة حين ورد عليه، ثم جازاه الخليفة الجزاء الأوفى وكان الأمير مهارش هذا كثير الصلاة والصدقة، وتوفي في هذه السنة عن ثمانين سنة رحمه الله تعالى .

ثم استهلت سنة خمسمائة من الهجرة النبوية

قال أبو داود في سننه : حدثنا حجاج بن إبراهيم حدثنا ابن وهب حدثني معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن أبي ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله ﷺ : «لَنْ يُعْجِزَ اللَّه هذه الأُمَّةَ مِنْ نِصْفِ يَوْمٍ » [١]. حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبو المغيرة حدثني صفوان عن شريح ابن عبيد عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال : «إنِّي لأَرْجُو أَنْ لا يَعْجِزَ أُمَّتِي عِنْدَ رَبِّهَا أَنْ يُؤَخِّرَهَا نِصْفَ يَوْمٍ » . قيل لسعد: وكم نصف يوم ؟ قال : خمسمائة سنة [٢] .

وهذا من « دلائل النبوة » . وذكر هذه المدة لا ينفى زيادة عليها، كما هو الواقع، لأنه ﷺ ذكر شيئاً من أشراط الساعة لابد من وقوعها كما أخبر سواء بسواء. وسيأتي ذكرها فيما بعد زماننا، وبالله المستعان .

و مما وقع في هذه السنة من الحوادث: أن السلطان محمد بن ملكشاه حاصر قلاعاً كثيرة من حصون الباطنية، فافتتح منها أماكن كثيرة، وقتل خلقا منهم، من ذلك قلعة حصينة كان أبوه قد بناها بالقرب من أصبهان في رأس جبل منيع هناك، وكان سبب بنائه لها أنه كان مرة في بعض صيوده فهرب منه كلب فاتبعه إلى رأس الجبل فوجده، وكان معه رجل من رسل الروم، فقال الرومي : لو كان هذا الجبل ببلادنا لاتخذنا عليه قلعة، فحدا [٣] هذا الكلام السلطان إلى أن ابتنى في رأسه قلعة أنفق عليها ألف ألف دينار، ومائتي ألف دينار، ثم استحوذ عليها بعد ذلك رجل من الباطنية يقال له: أحمد بن عبيد الله بن عطاس، فتعب المسلمون بسببها، فحاصرها ابنه السلطان محمد سنة حتى افتتحها، وسلخ هذا الرجل وحشي جلده تبناً وقطع رأسه، فطيف به في الأقاليم، ثم نقض هذه القلعة حجراً حجراً، وألقت امرأته نفسها من أعلى القلعة فتلفت، وهلك ما كان معها من الجواهر النفيسة، وكان الناس يتشاءمون بهذه القلعة، يقولون : كان دليلها كلباً، والمشير بها كافراً، والمتحصن بها زنديقاً .

وفيها: وقعت حروب كثيرة بين بني خفاجة وبين بني عبادة، فقهرت عبادة خفاجة وأخذت بثأرها المتقدم منها. وفيها: استحوذ سيف الدولة صدقة على مدينة تكريت بعد قتال كثير . وفيها: أرسل السلطان محمد الأمير جاولي سقاوو إلى الموصل وأقطعه إياها، فذهب فانتزعها من الأمير جكرمش بعد ما قاتله وهزم أصحابه وأسره، ثم قتله بعد ذلك وقد كان جكرمش من خيار الأمراء سيرة وعدلاً وإحساناً، ثم أقبل قلج أرسلان بن قتلمش فحاصر الموصل فانتزعها من جاولي، فصار جاولي إلى الرحبة، فأخذها ثم أقبل إلى قتال قلج فكسره

---

(١) **صحيح** : رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٤٩) .

(٢) **صحيح** : رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٥٠) .

(٣) حدا: تعمد فعله .

وألقى قلج نفسه في النهر الذي للخابور فهلك، وفيها نشأت حروب كثيرة بين الروم والفرنج فاقتتلوا قتالاً عظيماً ولله الحمد، وقتل من الفريقين ألوف، ثم كانت الهزيمة على الفرنج لله الحمد رب العالمين .

قَتْلُ فَخْرِ المُلْكِ أَبُو المُظَفَّرِ

وفي يوم عاشوراء منها: قتل فخر الملك أبو المظفر بن نظام الملك، وكان أكبر أولاد أبيه، وهو وزير السلطان سنجر بنيسابور، وكان صائماً، قتله باطني، وكان قد رأى في تلك الليلة الحسين بن علي رضي الله عنهما وهو يقول له : عجل إلينا وأفطر عندنا الليلة، فأصبح متعجباً، فنوى الصوم ذلك اليوم، وأشار إليه بعض أصحابه أن لا يخرج ذلك اليوم من المنـــزل، فما خرج إلا في آخر النهار فرأى شاباً يتظلم وفي يده رقعة فقال : ما شأنك؟. فناوله الرقعة فبينما هو يقرؤها إذ ضربه بخنجر بيده فقتله، فأخذ الباطني فرفع إلى السلطان فقرره فأقر على جماعة من أصحاب الوزير أنهم أمروا بذلك، وكان كاذباً، فقتل وقتلوا أيضاً. وفي رابع عشر صفر عزل الخليفة الوزير أبا القاسم علي بن جهير وخرب داره التي كان قد بناها أبوه، من خراب بيوت الناس، فكان في ذلك عبرة وموعظة لذوي البصائر والنهى، واستنيب في الوزارة القاضي أبو الحسين الدامغاني، ومعه آخر. وحج بالناس في هذه السنة الأمير تركماني واسمه : اليرن، من جهة الأمير محمد بن ملكشاه .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد أبو المظفر

أبو المظفر الخوافي الفقيه الشافعي قال ابن خلكان : كان أنظر أهل زمانه، تفقه على إمام الحرمين، وصار أوجه تلامذته، وقد ولي القضاء بطوس ونواحيها، وكان مشهوراً بحسن المناظرة وإفحام الخصوم. قال: والخوافي بفتح الخاء والواو نسبة إلى خواف .

ناحية من نواحي نيسابور .

جعفر بن محمد

ابن الحسين بن أحمد بن جعفر السراج، أبو محمد القاري البغدادي، ولد سنة ست عشرة وأربعمائة، وقرأ القرآن بالروايات، وسمع الكثير من الأحاديث النبويات، من المشايخ والشيخات في بلدان متباينات، وقد خرج له الحافظ أبو بكر الخطيب أجزاء مسموعاته، وكان صحيح الثبت، جيد الذهن، أديباً شاعراً، حسن النظم، نظم كتاباً في القراءات، وكتاب (التنبيه) والخرقي وغير ذلك، وله كتاب "مصارع العشاق" وغير ذلك، ومن شعره قوله :

قُـــلْ لِلَّذيـــنَ بجَهْلهـــــمْ   أَضْحَـــوْا يَعيبُـــونَ المَحَـــابرْ

وَالحَـامِلِينَ لَهَـا مِـنَ الـ ... أيْـدِي بِمُجْتَمَـعِ الأسَـاوِرْ
لَـوْلا المَحَـابِرُ وَالمَقَـا ... لِـمُ وَالصَّحَـائِفُ وَالدَّفَـاتِرْ
وَالحَـافِظُونَ شَرِيعَـةَ الـ ... مَبْعُـوثِ مِـنْ خَيْرِ العَشَـائِرْ
وَالنَّـاقِلُونَ حَدِيثَـهُ عَـنْ ... كَـابِرٍ ثَبْـتٍ وَكَـابِرْ
لَرَأَيْـتَ مِـنْ شِيَـعِ الضَّـلا ... لِ عَسَـاكِراً تَتْلُـو عَسَـاكِرْ
كُـلٌّ يَقُـولُ بِجَهْلِـهِ ... وَاللَّـهُ لِلْمَظْلُومِ نَـاصِرْ
سَمَّيْتُهُـمْ أَهْـلَ الحَدِيـثِ ... أُولِي النُّهَـى وَأُولِي البَصَـائِرْ
هُـمْ حَشْـوُ جَنَّـاتِ النَّعِيـمِ ... عَلَـى الأَسِـرَّةِ وَالمَنَابِـرْ
رُفَقَـاءُ أَحْمَـدَ كُلُّهُـمْ ... عَـنْ حَوْضِـهِ رَيَّـانُ صَـادِرْ

وذكر له ابن خلكان أشعاراً رائقة منها قوله :

وَمُـدَّعٍ شَـرْخَ الشَّـبَابِ وَقَـدْ ... عَمَّمَـهُ الشَّيْـبُ عَلَـى وَفْرَتِـهْ
يُخَضِّبُ بِالوَشْمَـةِ عُثْنُونَـهُ (١) ... يَكْفِيـهِ أَنْ يَكْـذِبَ فِي لِحْيَتِـهْ

عبد الوهاب بن محمد

ابن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد الشيرازي الفارسي، سمع الحديث الكثير، وتفقه وولاه نظام الملك تدريس النظامية ببغداد، في سنة ثلاث وثمانين فدرس بها مدة، وكان يملي الأحاديث، وكان كثير التصحيف، روى مرة حديث «صَلاة فِي إِثْرِ صَلاةٍ كِتَابٌ فِي عِلِّيِّينَ » (٢). فقال : كنار في غلس. ثم أخذ يفسر ذلك بأنه أكثر لإضاءتها .

محمد بن إبراهيم

ابن عبيد الأسدي الشاعر، لقي الخنيسى التهامي، وكان مغرماً بما يعارض شعره، وقد أقام باليمن وبالعراق ثم بالحجاز بخراسان، ومن شعره :

قُلْـتُ : ثَقَّلْـتُ إِذْ أَتَيْـتُ مِـراراً ... قَـالَ : ثَقَّلْـتَ كَـاهِلِي بِالأَيَـادِي
قُلْتُ : طَوَّلْتُ . قَالَ : بَـلْ تَطَوَّلْـتَ ... قُلْتُ : مَزَّقْتُ . قَـالَ : حَبْـلَ وِدَادِي

يوسف بن علي

أبو القاسم الزنجاني الفقيه، كان من أهل الديانة، حكى عن الشيخ أبي إسحاق الشيرازي عن القاضي أبي الطيب،: قال : كنا يوماً بجامع المنصور في حلقة فجاء شاب خراساني فذكر حديث أبي هريرة في المطر فقال الشاب : غير مقبول، فما استتم كلامه حتى سقطت من سقف المسجد حية فنهض الناس هاربين وتبعت الحية ذلك الشاب من بينهم، فقيل له: تب تب. فقال:

(١) عُثْنُونُه : اللحيَةُ .

(٢) حسن : رواه أحمد (٥/٢٦٤، ٢٦٨) وأبو داود في الصلاة (٥٥٨) .

تبت، فذهبت تلك الحية فلا ندري أين ذهبت؟. رواها ابن الجوزي عن شيخه أبي المعمر الأنصاري عن أبي القاسم هذا والله أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسمائة من الهجرة

فيها : جدد الخليفة الخلع على وزيره الجديد أبي المعالي هبة الله بن محمد بن المطلب، وأكرمه وعظمه. وفي ربيع الآخر منها دخل السلطان محمد إلى بغداد فتلقاه الوزير والأعيان، وأحسن إلى أهلها، ولم يتعرض أحد من جيشه إلى شيء. وغضب السلطان على صدقة بن منصور الأسدي صاحب الحلة ، وتكريت بسبب أنه آوى رجلاً من أعدائه يقال له: أبو دلف سرحان الديلمي، صاحب ساوة، وبعث إليه ليرسله إليه فلم يفعل، فأرسل إليه جيشاً فهزموا جيش صدقة. وقد كان جيشه عشرين ألف فارس وثلاثين ألف راجل، وقتل صدقة في المعركة، وأسر جماعة من رءوس أصحابه وأخذوا من زوجته خمسمائة ألف دينار وجواهر نفيسة .

قال ابن الجوزي : وظهر في هذه السنة صبية عمياء تتكلم على أسرار الناس، وما في نفوسهم من الضمائر والنيات، وبالغ الناس في أنواع الحيل عليها ليعلموا حالها فلم يعلموا .

قال ابن عقيل : وأشكل أمرها على العلماء والخواص والعوام، حتى سألوها عن نقوش الخواتم المقلوبة الصعبة، وعن أنواع الفصوص وصفات الأشخاص وما في داخل البنادق من المشمع والطين المختلف، والخرق وغير ذلك فتخبر به سواء بسواء، حتى بالغ أحدهم ووضع يده على ذكره وسألها عن ذلك فقالت : يحمله إلى أهله وعياله. وفيها: قدم القاضي فخر الملك أبو عبيد علي صاحب طرابلس إلى بغداد يستنفر المسلمين على الفرنج، فأكرمه السلطان غياث الدين محمد إكراما زائداً، وخلع عليه وبعث معه الجيوش الكثيرة لقتال الفرنج .

وممن توفي فيها من الأعيان :

تميم بن المعز بن باديس

صاحب إفريقية، كان من خيار الملوك خلقاً وكرماً، وإحساناً، ملك ستاً وأربعين سنة، وعمر تسعاً وسبعين سنة، وترك من البنين أكثر من مائة، ومن البنات ستين بنتاً، وملك من بعده ولده يحيى، ومن أحسن ما مدح به الأمير تميم قول الشاعر :

أَصَحُّ وَأَعْلَى ما سَمِعْنَاهُ في النَّدَا ... منَ الخَبَرِ المَرْوِيِّ مُنْذُ قَدِيمِ
أَحَادِيثُ تَرْوِيها السُّيُولُ عَنِ الحَيَا ... عَنِ البَحْرِ عَنْ كَفِّ الأَمِيرِ تَمِيمِ

صدقة بن منصور

ابن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي، الأمير سيف الدولة، صاحب الحلة ، وتكريت ، وواسط وغيرها، كان كريماً عفيفاً ذا ذمام، ملجأ لكل خائف يأمن في بلاده، وتحت جناحه، وكان يقرأ الكتب المشكلة ولا يحسن الكتابة، وقد اقتنى كتباً نفيسة جداً، وكان لا يتزوج على امرأة قط،

ولا يتسرى على سرية حفظاً للذمام، ولئلا يكسر قلب أحد، وقد مدح بأوصاف جميلة كثيرة جداً. قتل في بعض الحروب، قتله غلام اسمه برغش، وكان له من العمر تسع وخمسون سنة رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسمائة

في يوم الجمعة الثاني والعشرين من شعبان تزوج الخليفة المستظهر بالله بالخاتون بنت ملكشاه أخت السلطان محمد، على صداق مائة ألف دينار، ونثر الذهب، وكتب العقد بأصبهان. وفيها: كانت حروب كثيرة بين الأتابك طغتكين صاحب دمشق وبين الفرنج وفيها ملك سعيد بن حميد العمري الحلة السيفية. وفيها: زادت دجلة زيادة كثيرة فغرقت الغلات فغلت الأسعار بسبب ذلك غلاء شديداً. وحج بالناس الأمير قيماز .

و ممن توفي فيها من الأعيان :

الحسن العلوي

أبو هاشم ابن رئيس همدان، وكان ذا مال جزيل، صادره السلطان في بعض الأوقات بتسعمائة ألف دينار، فوزنها و لم يبع فيها عقاراً ولاً غيره .

الحسن بن علي

أبو الفوارس بن الخازن، الكاتب المشهور بالخط المنسوب.كانت وفاته في ذي الحجة منها.
قال ابن خلكان : كتب بيده خمسمائة ختمة، ومات فجأة .

الروياني صاحب البحر

عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد، أبو المحاسن الروياني، من أهل طبرستان، أحد أئمة الشافعية، ولد سنة خمس عشرة وأربعمائة، ورحل إلى الآفاق حتى بلغ ما وراء النهر، وحصل علوماً جمة، وسمع الحديث الكثير، وصنف كتباً في المذهب، من ذلك « البحر في الفروع » ، وهو حافل شامل للغرائب وغيرها، وفي المثل "حدث عن البحر ولا حرج " [١]
وكان يقول : لو احترقت كتب الشافعي أمليتها من حفظي، قتل ظلماً يوم جمعة، وهو يوم عاشوراء في الجامع بطبرستان، قتله رجل من أهلها رحمه الله .

قال ابن خلكان : أخذ الفقه عن ناصر المروزي وعلق عنه، وكان للروياني الجاه العظيم، والحرمة الوافرة،وقد صنف كتباً في الأصول والفروع، منها «بحر المذهب» ، وكتاب «مناصيص الإمام الشافعي » ، وكتاب « الكافي » ، « وحليه المؤمن » ، وله كتب في (الخلاف) أيضاً .

يحيى بن علي

ابن محمد بن الحسن بن بسطام، الشيباني التبريزي، أبو زكريا، أحد أئمة اللغة والنحو، قرأ على أبي العلاء وغيره، وتخرج به جماعة منهم منصور بن الجواليقي .
قال ابن ناصر : وكان ثقة في النقل، وله المصنفات الكثيرة .

---

(١) المثل رقم (٢٣٨ – ٢٤٠) تمثال الأمثال ٢ / ٤٢٣ .

وقال ابن خيرون : لم يكن مرضي الطريقة. توفي في جمادى الآخرة ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي بباب إبرز والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة

فيها : أخذت الفرنج لعنهم الله مدينة طرابلس وقتلوا من فيها من الرجال، وسبوا الحريم والأطفال، وغنموا الأمتعة والأموال، ثم أخذوا مدينة جبلة بعدها بعشر ليال، فلا حول ولا قوة إلا بالله الكبير المتعال. وقد هرب منهم فخر الملك بن عمار، فقصد صاحب دمشق طغتكين فأكرمه وأقطعه بلاداً كثيرة. وفيها: وثب بعض الباطنية على الوزير أبي نصر بن نظام الملك فجرحه ثم أخذ الباطني فسقي الخمر فأقرّ على جماعة من الباطنية فأخذوا فقتلوا. وحج بالناس الأمير قيماز.

ومن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن علي

ابن أحمد، أبو بكر العلوي : كان يعمل في تجصيص الحيطان، ولا ينقض صورة، ولا يأخذ شيئاً، وكانت له أملاك يبيع منها ويتقوت، وقد سمع الحديث من القاضي أبي يعلى، وتفقه عليه شيئاً من الفقه، وكان إذا حج يزور القبور بمكة، وإذا وصل إلى قبر الفضيل بن عياض يخط إلى جانبه خطاً بعصاه ويقول: يا رب ههنا. فقيل: إنه حج في هذه السنة فوقف بعرفات محرما فتوفي بها في آخر ذلك اليوم، فغسل وكُفّن وطيف به حول الكعبة ثم دفن إلى جانب الفضيل بن عياض في ذلك المكان الذي كان يخطه بعصاه، وبلغ الناس وفاته ببغداد فاجتمعوا للصلاة عليه صلاة الغائب، حتى لو مات بين أظهرهم لم يكن عندهم مزيد على ذلك الجمع رحمه الله .

عمر بن عبد الكريم

ابن سعدويه أبو الفتيان الدهقاني، رحل في طلب الحديث، ودار الدنيا، وخرج وانتخب، وكان له فهم بهذا الشأن، وكان ثقة، وقد صحح عليه أبو حامد الغزالي كتاب الصحيحين. وكانت وفاته بسرخس في هذه السنة .

محمد ويعرف بأخي حماد

وكان أحد الصلحاء الكبار، كان به مرض مزمن، فرأى النبي ﷺ في المنام فعوفي، فلزم مسجداً له أربعين سنة، لا يخرج إلا إلى الجمعة، وانقطع عن مخالطة الناس، وكانت وفاته في هذه السنة، ودفن في زاوية بالقرب من مشهد أبي حنيفة رحمه الله .

ثم دخلت سنة أربع وخمسمائة

في أوائل هذه السنة تجهز جماعة من البغاددة من الفقهاء وغيرهم، وفيهم ابن الذاغوني، للخروج إلى الشام لأجل الجهاد، وقتال الفرنج، وذلك حين بلغهم أنهم فتحوا مدائن عديدة، من ذلك مدينة صيدا في ربيع الأول، وكذا غيرها من المدائن ثم رجع كثير منهم حين بلغهم كثرة

الفرنج. وفيها قدمت خاتون بنت ملكشاه زوجة الخليفة إلى بغداد فنـــزلت في دار أخيها السلطان محمد، ثم حمل جهازها على مائة واثنين وستين جملاً، وسبعة وعشرين بغلاً وزينت بغداد لقدومها، وكان دخولها على الخليفة في الليلة العاشرة من رمضان، وكانت ليلة مشهودة. وفيها : درس أبو بكر الشاشي بالنظامية مع التاجية، وحضر عنده الوزير والأعيان وحج بالناس الأمير قيماز، و لم يتمكن الخراسانيون من الحج من العطش وقلة الماء .

ومن توفي فيها من الأعيان :

إدريس بن حمزة

أبو الحسن الشاشي الرملي العثماني، أحد فحول المناظرين عن مذهب الشافعي، تفقه أولاً على نصر بن إبراهيم، ثم ببغداد على أبي إسحاق الشيرازي، ودخل خراسان حتى وصل إلى ما وراء النهر، وأقام بسمرقند بمدرستها إلى أن توفي بها في هذه السنة .

علي بن محمد

ابن علي بن عماد الدين، أبو الحسن الطبري، ويعرف بالكيا الهراسي، أحد الفقهاء الكبار، من رءوس الشافعية، ولد سنة خمسين وأربعمائة، واشتغل على إمام الحرمين، وكان هو والغزالي أكبر التلامذة، وقد ولي كل منهما تدريس النظامية ببغداد، وقد كان أبو الحسن هذا فصيحاً جهوري الصوت جميلاً، وكان يكرر لعن إبليس على كل مرقاة [1] من مراقي النظامية بنيسابور سبع مرات، وكانت المراقي سبعين مرقاة، وقد سمع الحديث الكثير، وناظر وأفتى ودرس، وكان من أكابر الفضلاء وسادات الفقهاء، وله كتاب يرد فيه على ما انفرد به الإمام أحمد بن حنبل في مجلد، وله غيره من المصنفات وقد اتهم في وقت بأنه يمالئ الباطنية، فنزع منه التدريس ثم شهد جماعة من العلماء ببراءته من ذلك منهم ابن عقيل، فأعيد إليه توفي في يوم الخميس مستهل محرم من هذه السنة عن أربع وخمسين سنة ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي. وذكر ابن خلكان: أنه كان يحفظ الحديث ويناظر به، وهو القائل : إذا جالت فرسان الأحاديث في ميادين الكفاح، طارت رءوس المقاييس في مهاب الرياح، وحكى السلفي عنه أنه استفتي في كتبه الحديث هل يدخلون في الوصية للفقهاء ؟ فأجاب : بنعم لقوله ﷺ : « مَنْ حَفظَ عَلَى أُمَّتي أَرْبَعينَ حَديثاً بَعَثَهُ اللّه فَقيهاً عَالماً » [2]، وأنه استفتي في يزيد بن معاوية فذكر عنه تلاعباً وفسقاً، وجوّز شتمه، وأما الغزالي فإنه خالف في ذلك، ومنع من شتمه ولعنه، لأنه مسلم، و لم يثبت بأنه

---

(١) مرقاة : الدرجة من السلم .

(٢) **ضعيف** : ورد من حديث علي ، وابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبي الدرداء ، وأبي سعيد ، وأبي هريرة، وأبي أمامة ، وابن عباس ، وابن عمر ، وابن عمرو ، وجابر بن سمرة ، وأنس ، وبريدة . وجميع هذه الأحاديث ضعيفة وبعضها أشد ضعفاً من بعض وأنه لا ينجبر بها ، بل هو ضعيف باتفاق الحفاظ كما نقله النووي في مقدمة الأربعين النووية وانظر تحقيق هذه الأحاديث وعللها في كتاب " العلل المتناهية" لابن الجوزي (١١٩/١) وعلقه شيخنا الألباني على المشكاة (٨٦/١) .

رضي بقتل الحسين، ولو ثبت لم يكن ذلك مسوغاً للعنه، لأنه القاتل لا يلعن، لا سيما وباب التوبة مفتوح، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده غفور رحيم. قال الغزالي: وأما الترحم عليه فجائز بل مستحب، بل نحن نترحم عليه في جملة المؤمنين والمسلمين عموماً في الصلوات. ذكره ابن خلكان مبسوطاً بلفظه في ترجمة الكيا الهراسي هذا، قال : والكيا معناه كبير القدر المقدم المعظم والله أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة

فيها: بعث السلطان غياث الدين جيشاً كثيفاً، صحبه الأمير مودود بن زنكى صاحب الموصل، في جملة أمراء ونواب، منهم سكمان القطبي، صاحب تبريز، وأحمد يل صاحب مراغة، والأمير إيلغازي صاحب ماردين، وعلى الجميع الأمير مودود صاحب الموصل، لقتال الفرنج بالشام، فانتزعوا من أيدي الفرنج حصوناً كثيرة، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ولله الحمد، ولما دخلوا دمشق دخل الأمير مودود إلى جامعها ليصلي فيه فجاءه باطني في زي سائل فطلب منه شيئاً فأعطاه، فلما اقترب منه ضربه في فؤاده فمات من ساعته، ووجد رجل أعمى في سطح الجامع ببغداد معه سكين مسموم فقيل: إنه كان يريد قتل الخليفة. وفيها : ولد للخليفة من بنت السلطان ولد فضربت الدبادب والبوقات، ومات له ولد وهكذا الدنيا فرضي بوفاته وجلس الوزير للهناء والعزاء. وفي رمضان عزل الوزير أحمد بن النظام، وكانت مدة وزارته أربع سنين وأحد عشر شهراً. وفيها: حاصرت الفرنج مدينة صور، وكانت بأيدي المصريين، عليها عز الملك الأعز من جهتهم، فقاتلهم قتالاً شديداً، ومنعها منعاً جيداً، حتى فني ما عنده من النشاب والعدد، فأمده طغتكين صاحب دمشق، وأرسل إليه العدد، والآلات، فقوي جأشه، وترحلت عنه الفرنج، في شوال منها . وحج بالناس أمير الجيوش قطز الخادم ، وكانت سنة مخصبة مرخصة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن محمد بن محمد

أبو حامد الغزالي: ولد سنة خمسين وأربعمائة، وتفقه على إمام الحرمين، وبرع في علوم كثيرة، وله مصنفات منتشرة، في فنون متعددة، وكان من أذكياء العالم، في كل ما يتكلم فيه، وساد في شبيبته حتى أنه درس بالنظامية ببغداد، في سنة أربع وثمانين، وله أربع وثلاثون سنة، فحضر عنده رءوس العلماء، وكان ممن حضر عنده أبو الخطاب، وابن عقيل، وهما من رءوس الحنابلة، فتعجبوا من فصاحته، واطلاعه .

قال ابن الجوزي: وكتبوا كلامه في مصنفاتهم، ثم إنه خرج عن الدنيا بالكلية، وأقبل على العبادة وأعمال الآخرة، وكان يرتزق من النسخ، ورحل إلى الشام، فأقام بها بدمشق وبيت المقدس مدة، وصنف في هذه المدة كتابه (إحياء علوم الدين) ، هو كتاب عجيب، يشتمل

على علوم كثيرة من الشرعيات، وممزوج بأشياء لطيفة من التصوف، وأعمال القلوب، لكن فيه أحاديث كثيرة، غرائب، ومنكرات، وموضوعات، كما يوجد في غيره من كتب الفروع، التي يستدل بها على الحلال والحرام، فالكتاب الموضوع للرقائق، والترغيب، والترهيب، أسهل أمرا من غيره، وقد شنع عليه أبو الفرج بن الجوزي، ثم ابن الصلاح، في ذلك تشنيعا كثيرا، وأراد المازري أن يحرق كتابه (إحياء علوم الدين) ، وكذلك غيره من المغاربة، وقالوا: هذا كتاب إحياء علوم دينه، وأما ديننا فإحياء علومه كتاب الله وسنة رسوله . كما قد حكيت ذلك في ترجمته في (الطبقات) ، وقد زيف ابن شكر مواضع إحياء علوم الدين، وبين زيفها في مصنف مفيد، وقد كان الغزالي يقول: أنا مزجي البضاعة في الحديث . ويقال: إنه مال في آخر عمره إلى سماع الحديث، والتحفظ للصحيحين .

وقد صنف ابن الجوزي: كتابا على الإحياء، وسماه "علوم الأحيا بأغاليط الإحيا" . قال ابن الجوزي: ثم ألزمه بعض الوزراء بالخروج إلى نيسابور، فدرس بنظاميتها، ثم عاد إلى بلده طوس، فأقام بها، وابتنى رباطا، واتخذ دارا حسنة، وغرس فيها بستانا أنيقا، وأقبل على تلاوة القرآن، وحفظ الأحاديث الصحاح، وكانت وفاته في يوم الاثنين، الرابع عشر من جمادى الآخرة، من هذه السنة، ودفن بطوس رحمه الله تعالى، وقد سأله بعض أصحابه، وهو في السياق[1]، فقال: أوصني . فقال: عليك بالإخلاص . ولم يزل يكررها، حتى مات، رحمه الله .

ثم دخلت سنة ست وخمسمائة

في جمادى الآخرة منها، جلس ابن الطبري، مدرسا بالنظامية، وعزل عنها الشاشي . وفيها دخل الشيخ الصالح أحد العباد يوسف بن أيوب إلى بغداد، فوعظ الناس، وكان له القبول التام، وكان فقيها شافعيا، تفقه بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، ثم اشتغل بالعبادة ، والزهادة، وكانت له أحوال صالحة ، جاراه رجل مرة يقال له: ابن السقا في مسألة، فقال له: اسكت، فإني أجد من كلامك رائحة الكفر، ولعلك أن تموت على غير دين الإسلام . فاتفق بعد حين ، أنه خرج ابن السقا إلى بلاد الروم في حاجة، فتنصر هناك، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وقام إليه مرة، وهو يعظ الناس، ابنا أبي بكر الشاشي، فقالا له: إن كنت تتكلم على مذهب الأشعري، وإلا فاسكت . فقال: لا متعتما بشبابكما . فماتا شابين، ولم يبلغا سن الكهولة وحج بالناس فيها أمير الجيوش بطز الخادم، ونالهم عطش .

ومن توفي فيها من الأعيان :

---

(١) الاحتضار — خروج الروح .

صاعد بن منصور

ابن إسماعيل بن صاعد، أبو العلاء الخطيب النيسابوري، سمع الحديث الكثير، وولي الخطابة بعد أبيه، والتدريس، والتذكير، وكان أبو المعالي الجويني يثني عليه، وقد ولي قضاء خوارزم .

محمد بن موسى بن عبد الله

أبو عبد الله البلاساغوني التركي الحنفي، ويعرف باللامشي، أورد عنه الحافظ بن عساكر حديثا، وذكر أنه ولي قضاء بيت المقدس، فشكوا منه، فعزل عنها، ثم ولي قضاء دمشق، وكان غاليا في مذهب أبي حنيفة، وهو الذي رتب الإقامة مثنى، قال: إلى أن أزال الله ذلك، بدولة الملك صلاح الدين. قال: وكان قد عزم على نصب إمام حنفي بالجامع، فامتنع أهل دمشق من ذلك، وامتنعوا من الصلاة خلفه، وصلوا بأجمعهم في دار الخيل، وهي التي قبل الجامع، مكان المدرسة الأمينية، وما يجاورها، وحدها الطرقات الأربعة، وكان يقول: لو كانت لي الولاية، لأخذت من أصحاب الشافعي الجزية، وكان مبغضا لأصحاب مالك أيضا . قال: ولم تكن سيرته في القضاء محمودة . وكانت وفاته يوم الجمعة الثالث عشر من جمادى الآخرة منها . قال: وقد شهدت جنازته، وأنا صغير في الجامع .

المعمر بن المعمر

أبو سعد بن أبي عمار الواعظ، كان فصيحا بليغا ماجنا ظريفا ذكيا له كلمات في الوعظ حسنة، ورسائل مسموعة مستحسنة، توفي في ربيع الأول منها، ودفن بباب حرب .

أبو على المعرى

كان عابدا، زاهدا، يتقوت بأدنى شيء، ثم عن له، أن يشتغل بعلم الكيمياء . فأخذ إلى دار الخلافة، فلم يظهر له خبر بعد ذلك .

نزهة

أم ولد الخليفة المستظهر بالله، كانت سوداء محتشمة، كريمة النفس، توفيت يوم الجمعة ، ثاني عشر شوال منها .

أبو سعد السمعاني

مصنف (الأنساب) ، وغيره، وهو تاج الإسلام عبد الكريم بن محمد بن أبي المظفر المنصور عبد الجبار السمعاني، المروزي، الفقيه الشافعي، الحافظ المحدث، قوام الدين، أحد الأئمة المصنفين، رحل، وسمع الكثير، حتى كتب عن أربعة آلاف شيخ، وصنف التفسير، والتاريخ، والأنساب، والذيل على تاريخ الخطيب البغدادي، وذكر له ابن خلكان: مصنفات عديدة جدا، منها: كتابه الذي جمع فيه ألف حديث، عن مائة شيخ وتكلم عليها إسنادا ومتنا، وهو مفيد جدا، رحمه الله.

ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة

فيها: كانت وقعة عظيمة، بين المسلمين والفرنج، في أرض طبرية، كان فيها ملك دمشق، الأتابك طغتكين، وفي خدمته صاحب سنجار، وصاحب ماردين، وصاحب الموصل، فهزموا الفرنج هزيمة فاضحة، وقتلوا منهم خلقا كثيرا، وغنموا منهم أموالا جزيلة، وملكوا تلك النواحي كلها، ولله الحمد والمنة، ثم رجعوا إلى دمشق، فذكر ابن الساعي في تاريخه، مقتل الملك مودود صاحب الموصل، في هذه السنة، قال: صلى هو، والملك طغتكين يوم الجمعة بالجامع، ثم خرجا إلى الصحن ويد كل واحد منهما في يد الآخر فطفر باطني على مودود، فقتله، رحمه الله ، فيقال : إن طغتكين، هو الذي مالأ عليه، فالله أعلم، وجاء كتاب من الفرنج إلى المسلمين، وفيه: إن أمة قتلت عميدها، في يوم عيدها، في بيت معبودها، لحقيق على الله أن يبيدها . وفيها: ملك حلب ألب أرسلان بن رضوان بن تتش بعد أبيه، وقام بأمر سلطنته لؤلؤ الخادم، فلم يبق معه سوي الرسم . وفيها: فتح المارستان، الذي أنشأه كمشتكين الخادم ببغداد. وحج بالناس زنكي بن برشق .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إسماعيل بن الحافظ أبي بكر بن الحسين البيهقي

سمع الكثير وتنقل في البلاد، ودرس بمدينة خوارزم، وكان فاضلا من أهل الحديث، مرضي الطريقة، وكانت وفاته ببلده بيهق في هذه السنة .

شجاع بن أبي شجاع

فارس بن الحسين بن فارس أبو غالب الذهلي الحافظ، سمع الكثير، وكان فاضلا في هذا الشأن، وشرع في تتميم تاريخ الخطيب، ثم غسله، وكان يكثر من الاستغفار، والتوبة، لأنه كتب شعر ابن الحجاج سبع مرات، توفي في هذا العام، عن سبع وسبعين سنة .

محمد بن أحمد

ابن محمد بن أحمد بن إسحاق بن الحسين بن منصور بن معاوية بن محمد بن عثمان بن عتبة بن عنبسة بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب، الأموي أبو المظفر بن أبي العباس الأبيوردي الشاعر، كان عالما باللغة، والأنساب، سمع الكثير، وصنف (تاريخ أبي ورد) ، (وأنساب العرب) ، وله كتاب في (المؤتلف والمختلف) ، وغير ذلك، وكان ينسب إلى الكبر، والتيه الزائد، حتى كان يدعو في صلاته: اللهم ملكني مشارق الأرض ومغاربها، وكتب مرة إلى الخليفة الخادم المعاوي، فكشط [١] الخليفة الميم، فبقت العاوي، ومن شعره قوله :

---

(١) كشط: أزال .

تَنَكَّر لي دَهْـري وَلَـمْ يَـدْرِ أَنَّني أعزُّ وَأَحْـدَاثُ الـزَّمَـانِ تَهُـونُ
وَظَلَّ يُرِيني الدَّهْرُ كَيْفَ اغْتِـرَارُهُ وَبِـتُّ أُرِيهِ الصَّـبْرَ كَيْـفَ يَكُـونُ

محمد بن طاهر

ابن علي بن أحمد: أبوه الفضل المقدسي الحافظ، ولد سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، وأول سماعه سنة ستين، وسافر في طلب الحديث إلى بلاد كثيرة، وسمع كثيرا، وكان له معرفة جيدة بهذه الصناعة، وصنف كتبا مفيدة، غير أنه صنف كتابا في إباحة السماع، وفي التصوف، وساق فيه أحاديث منكرة جدا، وأورد أحاديث صحيحة في غيره، وقد أثني على حفظه غير واحد من الأئمة . وذكر ابن الجوزي في كتابه هذا الذي سماه "صفة التصوف" : وقال عنه: يضحك منه من رآه؛ قال: وكان داودي المذهب، فمن أثني عليه أثني لأجل حفظه للحديث، وإلا فما يجرّح به أولى . قال: وذكره أبو سعد السمعاني، وانتصر له بغير حجة، بعد أن قال: سألت عنه شيخنا إسماعيل بن أحمد الطلحي، فأكثر الثناء عليه . وكان يسيء الرأي فيه . قال: وسمعنا أبا الفضل ابن ناصر يقول: محمد بن طاهر لا يحتج به، صنف في جواز النظر إلى المرد، وكان يذهب مذهب الإباحية، ثم أورد له من شعره قوله في هذه الأبيات :

دَعِ التَّصَوُّفَ والزُّهدَ الذي اشْتَغَلَتْ به خَـوَارِجُ أَقْـوَامٍ مِـنَ النَّـاسِ
وَعُجْ عَلَى دَيْرِ دَارَيَّا فَإنْ به الرُّهْـ بَانُ مَـا بَيْـنَ قِسِّـيسٍ وَشَـمَّاسِ
وَاشْرَبْ مُعَتَّقةً مِنْ كَـفِّ كَافِـرَةٍ تَسْقيكَ خَمْرَيْنِ مِنْ لَحْظٍ وَمِنْ كَاسِ[1]
ثُمَّ استَمِعْ رَنَّةَ الأوْتَارِ مِـنْ رَشَـإٍ مُهَفْهَفٍ طَرْفُهُ أَمْضَى مِـنَ المـاسِ[2]
غَنَّى بشِعْرِ امْرِئٍ فِي النَّاسِ مُشْتَهَرٍ مُدَوَّنٍ عِنْدَهُمْ فِي صَـدْرِ قِرْطَـاسِ
لولا نَسِيمٌ بَـدَا مِنْكُـمْ يُرَوِّحُنـي لَكُنْتُ مُحْـتَرِقاً مِـنْ حَـرِّ أَنْفَاسـي

ثم قال السمعاني: لعله قد تاب عن هذا كله .

قال ابن الجوزي: وهذا غير مرضي، أن يذكر جرح الأئمة له، ثم يعتذر عن ذلك، باحتمال توبته . وقد ذكر ابن الجوزي: أنه لما احتضر، جعل يردد هذا البيت ويقول .

وَمَا كُنْتُـمْ تَعْرِفُـونَ الجَفَـا فَمِمَّـنْ تُـرَى قَدْ تَعَلَّمْتُـمُ

ثم كانت وفاته بالجانب الغربي من بغداد، في ربيع الأول منها .

أبو بكر الشاشي

صاحب المستظهري محمد بن أحمد بن الحسين الشاشي، أحد أئمة الشافعية في زمانه، ولد في المحرم، سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وسمع الحديث على أبي يعلى بن الفراء، وأبي بكر الخطيب، والشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وتفقه عليه، وعلي غيره، وقرأ الشامل على مصنفه

(١) (لَحَظَ) : نظر إليه بمُؤَخرِ عَيْنه. (كاس) خمر ريقها .
(٢) (الرشأ) : ولد الظبي . (المهفهف) : الضامر البطن الدقيق الخصر . (طرفه) : عينه " نظر بطرف خفيّ " أي : غضّ معظم عينيه ونظر بباقيها استحياءً .

ابن الصباغ، واختصره في كتابه، الذي جمعه للمستظهر بالله ، وسماه "حلية العلماء بمعرفة مذاهب الفقهاء " ويعرف بالمستظهري، وقد درس بالنظامية ببغداد، ثم عزل عنها، وكان ينشد:

تَعَلَّم يَا فَتَى والعودُ غَضٌّ وطينُكَ لَيِّنُ والطَّبع قَابِلْ
فَحَسْبُكَ يا فَتَى شَرَفاً وفَخْراً سُكُوتُ الحَاضِرِينَ وأنتَ قَائِلْ

توفي سحر يوم السبت، الحادي عشر من شوال منها ، ودفن إلى جانب أبي إسحاق الشيرازي، بباب إبرز .

المؤتمن بن أحمد

ابن علي بن الحسين بن عبيد الله، أبو نصر الساجي المقدسي، سمع الحديث الكثير، وخرج، وكان صحيح النقل، حسن الخط، مشكور السيرة لطيفا، واشتغل في الفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي مدة، ورحل إلى أصبهان وغيرها من البلاد ، وهو معدود من جملة الحفاظ، لا سيما للمتون [1] ، وقد تكلم فيه ابن طاهر .

قال ابن الجوزي: وهو أحق منه بذلك، وأين الثريا من الثرى؟ توفي المؤتمن يوم السبت، ثامن عشر صفر منها، ودفن بباب حرب، والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة

فيها : وقع حريق عظيم ببغداد . وفيها : كانت زلزلة هائلة بأرض الجزيرة، هدمت منها ثلاثة عشر برجا، ومن الرها بيوتا كثيرة، وبعض دور خراسان، ودورا كثيرة في بلاد شتى، فهلك من أهلها نحو من مائة ألف، وخسف بنصف قلعة حران، وسلم نصفها، وخسف بمدينة سميساط،وهلك تحت الردم خلق كثير .وفيها: قتل صاحب حلب تاج الدولة ألب أرسلان بن رضوان بن تتش قتله غلمانه، وقام من بعده أخوه سلطان شاه بن رضوان . وفيها: ملك السلطان سنجر بن ملكشاه بلاد غزنة، وخطب له بها بعد مقاتلة عظيمة، وأخذ منها أموالا كثيرة لم ير مثلها من ذلك: خمسة تيجان قيمة كل تاج منها ألف ألف دينار، وسبعة عشر سريراً من ذهب وفضة وألف وثلاثمائة قطعة مصاغ مرصعة، فأقام بها أربعين يوما، وقرر في ملكها بهرام شاه، رجل من بني سبكتكين، ولم يطب بها لأحد من السلجوقية غير سنجر هذا، وإنما كان لها ملوك سادة أهل جهاد وسنة لا يجسر أحد من الملوك عليهم، ولا يطيق أحد مقاومتهم، وهم بنو سبكتكين . وفيها: ولي السلطان محمد للأمير آقسنقر البرسقي الموصل وأعمالها، وأمره بمقاتلة الفرنج، فقاتلهم في أواخر هذه السنة، فأخذ منهم الرها، وحريمها، وبروج، وسميساط، ونهب ماردين، وأسر ابن ملكها إياز إيلغازي، فأرسل السلطان محمد إليه

(١) المتون : النصوص مَتْنُ الحديث (ألفاظ الحديث كما نقلت عن الرسول كما هي نَصًّا) .

من يتهدده، ففر منه إلى طغتكين صاحب دمشق، فاتفقا على عصيان السلطان محمد، فجرت بينهما وبين نائب حمص قرجان بن قراجة حروب كثيرة، ثم اصطلحوا . وفيها: ملكت زوجة مرعش الأفرنجية، بعد وفاة زوجها ــ لعنهما الله ــ . وحج بالناس فيها أمير الجيوش أبو الخير ابن يمن الخادم، وشكر الناس حجهم معه .

ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة

فيها : جهز السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه، صاحب العراق، جيشا كثيفا مع الأمير برشق بن إيلغازي، صاحب ماردين، إلى طغتكين صاحب دمشق ، وإلى آقسنقر البرشقي ليقاتلهما على تمالئهما على عصيان السلطان، وقطع خطبته، وإذا فرغ منهما عمد لقتال الفرنج. فلما اقترب الجيش من بلاد الشام هربا منه، وتحيزا إلى الفرنج، وجاء الأمير برشق إلى كفرطاب، ففتحها عنوة، وأخذ ما كان فيها من النساء والذرية، وجاء صاحب إنطاكية روجيل في خمسمائة فارس وألفي راجل، فكبس المسلمين، فقتل منهم خلقا كثيرا، وأخذ أموالا جزيلة، وهرب برشق في طائفة قليلة، وتمزق الجيش الذي كان معه شذر مذر، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفي ذي القعدة منها: قدم السلطان محمد إلى بغداد، وجاء إليه طغتكين صاحب دمشق، معتذرا إليه، فخلع عليه، ورضي عنه، ورده إلى عمله .

وفيها توفي من الأعيان :

إسماعيل بن محمد

ابن أحمد بن علي أبو عثمان الأصبهاني، أحد الرحالين في طلب الحديث، وقد وعظ في جامع المنصور ثلاثين مجلسا، واستملى عليه محمد بن ناصر، وتوفي بأصبهان .

منجب بن عبد الله المستظهري

أبو الحسن الخادم، كان كثير العبادة، وقد أثنى عليه محمد بن ناصر، وقال: وقف على أصحاب الحديث وقفا .

عبد الله بن المبارك

ابن موسى، أبو البركات السقطي، سمع الكثير ورحل فيه، وكان فاضلا، عارفا باللغة، ودفن بباب حرب .

يحيى بن تميم بن المعز بن باديس

صاحب إفريقية ، كان من خيار الملوك ، عارفا حسن السيرة، محبا للفقراء ، والعلماء ، وله عليهم أرزاق ، مات وله اثنتان وخمسون سنة ، وترك ثلاثين ولدا ، وقام بالأمر من بعده ولده علي.

ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة

فيها: وقع حريق ببغداد، احترقت فيه دور كثيرة، منها دار نور الهدى الزينبي، ورباط نهر زور، ودار كتب النظامية، وسلمت الكتب، لأن الفقهاء نقلوها . وفيها: قتل صاحب مراغة في مجلس السلطان محمد قتله الباطنية . وفي يوم عاشوراء: وقعت فتنة عظيمة بين الروافض والسنة، بمشهد علي بن موسى الرضا، بمدينة طوس، فقتل فيها خلق كثير . وفيها : سار السلطان إلى فارس بعد موت نائبها خوفا عليها من صاحب كرمان .

وحج بالناس أمير الجيوش بطز الخادم، وكانت سنة مخصبة آمنة، ولله الحمد .

و ممن توفي فيها من الأعيان :

عقيل بن الإمام أبي الوفا

علي بن عقيل الحنبلي، كان شابا قد برع، وحفظ القرآن، وكتب، وفهم المعاني جيدا، ولما توفي، صبر أبوه، وشكر، وأظهر التجلد، فقرأ قارئ في العزاء : ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيراً ﴾ [يوسف : ٧٨] الآية، فبكى ابن عقيل بكاء شديدا .

علي بن أحمد بن محمد

ابن الرزاز، آخر من حدث عن ابن مخلد بجزء الحسن بن عرفة، وتفرد بأشياء غيره . توفي فيها عن سبع وتسعين سنة .

محمد بن منصور

ابن محمد بن عبد الجبار، أبو بكر السمعاني، سمع الكثير، وحدث، ووعظ بالنظامية ببغداد، وأملى بمرو مائة وأربعين مجلسا، وكانت له معرفة تامة بالحديث، وكان أديبا، شاعرا، فاضلا، له قبول عظيم في القلوب، توفي بمرو، عن ثلاث وأربعين سنة .

محمد بن أحمد بن طاهر

ابن أحمد بن منصور الخازن، فقيه الإمامية، ومفتيهم بالكرخ، وقد سمع الحديث من التنوخي، وابن غيلان، توفي في رمضان منها .

محمد بن علي بن محمد

أبو بكر النسوي، الفقيه الشافعي، سمع الحديث، وكانت إليه تزكية الشهود ببغداد، وكان فاضلا أديبا ورعا .

محفوظ بن أحمد

ابن الحسن، أبو الخطاب الكلوذاني، أحد أئمة الحنابلة ومصنفيهم، سمع الكثير، وتفقه بالقاضي أبي يعلى، وقرأ الفرائض على الوني، ودرس، وأفتى، وناظر، وصنف في الأصول والفروع، وله شعر حسن، وجمع قصيدة يذكر فيها اعتقاده ومذهبه، يقول فيها :

دَعْ عَنْكَ تَذْكَارَ الخَلِيطِ المُتَحِدِ والشَّوْقَ نَحْوَ الآنِسَاتِ الخُرَّدِ
والنَّوْحَ فِي تَذْكَارِ سُعْدَى إِنَّمَا تَذْكَارُ سُعْدَى شُغْلُ مَنْ لَمْ يَسْعَدِ
واسْمَعْ مَعَانِ إنْ أرَدْتَ تَخَلُّصاً يَوْمَ الحِسَابُ وخُذْ بقولي تَهْتَدِ

وذكر تمامها، وهي طويلة، كانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة، عن ثمان وسبعين سنة، وصلى عليه بجامع القصر، وجامع المنصور، ودفن بالقرب من الإمام أحمد .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وخمسمائة

في رابع صفر منها : انكسف القمر كسوفا كليا، وفي تلك الليلة، هجم الفرنج على ربض حماة، فقتلوا خلقا كثيرا، ورجعوا لعنهم الله إلى بلادهم . وفيها: كانت زلزلة عظيمة ببغداد، سقط منها دور كثيرة ، بالجانب الغربي، وغلت بها جدا ، وفيها: قتل لؤلؤ الخادم ، الذي كان استحوذ على مملكة حلب ، بعد موت أستاذه رضوان بن تتش ، قتله جماعة من الأتراك ، وكان قد خرج من حلب متوجها إلى جعبر ، فنادي جماعة من مماليكه ، وغيرهم في أثناء الطريق : أرنب أرنب ، فرموه بالنشاب، موهمين أنهم يصيدون أرنبا، فقتلوه . وفيها: كانت وفاة السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق سلطان بلاد العراق، وخراسان، وغير ذلك من البلاد الشاسعة، والأقاليم الواسعة . كان من خيار الملوك، وأحسنهم سيرة عادلاً رحيم القلب سهل الأخلاق محمود العشرة ، ولما حضرته الوفاة، استدعي ولده محمودا ، وضمه إليه ، وبكي كل منهما ، ثم أمره بالجلوس على سرير المملكة ، وعمره إذ ذاك أربع عشرة سنة ، فجلس وعليه التاج والسواران ، وحكم ، ولما توفي أبوه صرف الخزائن إلى العساكر ، وكان فيها أحد عشر ألف ألف دينار ، واستقر الملك له وخطب له ببغداد وغيرها من البلاد ، ومات السلطان محمد عن تسع وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأياما ،وفيها: ولد الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر، صاحب حلب ودمشق.
وممن توفي فيها من الأعيان :

القاضي المرتضى

أبو محمد عبد الله بن القاسم بن المظفر بن علي بن القاسم الشهرزوري، والد القاضي جمال الدين عبد الله الشهرزوري، قاضي دمشق في أيام نور الدين، اشتغل ببغداد ، وتفقه بها، وكان شافعي المذهب، بارعا دينا، حسن النظم، وله قصيدة في علم التصوف، وكان يتكلم على القلوب، أورد قصيدته بتمامها ابن خلكان، لحسنها، وفصاحتها، وأولها :

لَمَعَتْ نَارُهُمْ وَقَدْ عَسْعَسَ اللَّيْـ لُ وَمَلَّ الحادي وَحَارَ الدَّلِيلُ
فَتَأَمَّلْتُهَا وَفِكْرِي مِنَ البَيْـ نِ عَلِيلٌ وَلَحْظُ عَيْنِي كَلِيلُ
وَفُؤَادي ذَاكَ الفُؤَادُ المُعَنَّى وَغَرَامِي ذَاكَ الغَرَامُ الدَّخِيلُ

وله :

يَا لَيْــلَ مـــا إن جئتُكُــمْ زَائــراً إلاّ وَجَــدْتُ الأَرْضَ تُطْــوَى لِيَــهْ
وَلا ثَنَيْــتُ العَــزْمَ عَــنْ بَابِكُــمْ إلاّ تَعَثَّـــرْتُ بأَذْيَالِـــــهْ

وله :

يَا قَلْبُ إلى مَتَى لا يفيــدُ النُّصْــحُ دَعْ مَزْحَكَ كَمْ جَنَى عَلَيْكَ المَــزْحُ
مَا جَارِحَةٌ مِنْــكَ غَذَاهَــا جُــرْحُ مَا تَشْعُرُ بالخمَــارِ حَتَّــى تَصْحُــوَ

توفي في هذه السنة. قال ابن خلكان: وزعم عماد الدين، في « الخريدة » أنه توفي بعد العشرين وخمسمائة، فالله أعلم .

محمد بن سعد

ابن نبهان، أبو علي الكاتب، سمع الحديث، وروى، وعمر مائة سنة، وتغير قبل موته، وله شعر حسن، فمن ذلك قوله في قصيدة له :

لِــي رزقٌ قَــدَّرَهُ اللَّــهُ نَعَــمْ ورزق أَتَــوَقَّــاهُ
حَتَّــى إذَا اسْــتَوْفَيْتُ مِنْــهُ الّــذي قُــدِّرَ لِــي لا أَتَعَــدَّاهُ
قَالَ: كِــرَامٌ كُنْــتُ أَغْشَــاهُمُ فِي مَجْلِــسٍ كُنْــتُ أَغْشــاهُ
صَــارَ ابْــنُ نَبْهَــانَ إلَــى رَبِّــهِ يَرْحَمُنَــا اللــه وإيَّــاهُ

أمير الحاج

يمن بن عبد الله أبو الخير المستظهري، كان جوادا، كريما، ممدحا، ذا رأي، وفطنة ثاقبة، وقد سمع الحديث من أبي عبد الله الحسين بن طلحة النعالي، بإفادة أبي نصر الأصبهاني، وكان يؤم به في الصلوات، ولما قدم رسولا إلى أصبهان، حدث بها . توفي في ربيع الآخر، من هذه السنة، ودفن بأصبهان .

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وخمسمائة

فيها: خطب للسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه، بأمر الخليفة المستظهر بالله، وفيها: سأل دبيس بن صدقة بن منصور الأسدي من السلطان محمود أن يرده إلى الحلة وغيرها، مما كان أبوه يتولاه من الأعمال، فأجابه إلى ذلك، فعظم، وارتفع شأنه .

وفاة الخليفة المستظهر بالله

هو أبو العباس أحمد بن المقتدي: كان خيرا، فاضلا، ذكيا، بارعا، كتب الخط المنسوب، وكانت أيامه ببغداد كأنها الأعياد، وكان راغبا في البر والخير، مسارعا إلى ذلك، لا يرد سائلا، وكان جميل العشرة، لا يصغي إلى أقوال الوشاة من الناس، ولا يثق بالمباشرين، وقد ضبط أمور

الخلافة جيدا، وأحكمها، وعلمها، وكان لديه علم كثيرو فضل كبير وله شعر حسن . قد ذكرناه أولا عند ذكر خلافته وقد ولي غسله ابن عقيل، وابن السني، وصلى عليه ولده أبو منصور الفضل، وكبر أربعا، ودفن في حجرة كان يسكنها، ومن العجب، أنه لما مات السلطان ألب أرسلان، مات بعده الخليفة القائم ثم لما مات السلطان ملكشاه مات بعده المقتدي، ثم لما مات السلطان محمد مات بعده المستظهر بالله هذا، في سادس عشر ربيع الآخر، وله من العمر إحدى وأربعون سنة، وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما .

خلافة المسترشد أمير المؤمنين

أبو منصور الفضل بن المستظهر: لما توفي أبوه ــ كما ذكرنا ــ بويع له بالخلافة، وخطب له على المنابر، وقد كان ولي العهد من بعده مدة ثلاث وعشرين سنة، وكان الذي أخذ البيعة له قاضي القضاة أبو الحسن الدامغاني، ولما استقرت البيعة هرب أخوه أبو الحسن في سفينة، ومعه ثلاثة نفر، وقصد دبيس بن صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي بالحلة، فأكرمه، وأحسن إليه، فقلق أخوه الخليفة المسترشد من ذلك، فراسل دبيسا في ذلك، مع نقيب النقباء الزينبي، فهرب أخو الخليفة من دبيس، فأرسل إليه جيشا، فألجأوه إلى البرية، فلحقه عطش شديد، فلقيه بدويان، فسقياه ماء، وحملاه إلى بغداد، فأحضره أخوه إليه،فاعتنقه وتباكيا، وأنزله الخليفة دارا كان يسكنها قبل الخلافة، وأحسن إليه، وطيب نفسه، وكانت مدة غيبته عن بغداد أحد عشر شهرا، واستقرت الخلافة بلا منازعة للمسترشد . وفيها: كان غلاء شديد ببغداد، وانقطع الغيث، وعدمت الأقوات، وتفاقم أمر العيارين ببغداد، ونهبوا الدور نهارا جهارا، و لم يستطع الشرط دفع ذلك . وحج بالناس في هذه السنة الخادم .
وممن توفي فيها من الأعيان :

الخليفة المستظهر

كما تقدم وتوفيت بعده جدته، أم أبيه المقتدي .

أرجوان الأرمنية

وتدعى قرة العين، كان لها بر كثير، ومعروف وصدقات، وقد حجت ثلاث حجات، وأدركت خلافة ابنها المقتدي، وخلافة ابنه المستظهر،وخلافة ابنه المسترشد، ورأت للمسترشد ولدا.

بكر بن محمد بن علي

ابن الفضل أبو الفضل الأنصاري، روي الحديث، وكان يضرب به المثل في مذهب أبي حنيفة، وتفقه على عبد العزيز بن محمد الحلواني، وكان يذكر الدروس من أي موضع سئل من غير مطالعة ولا مراجعة وربما كان في ابتداء طلبه يكرر المسألة أربعمائة مرة توفي في شعبان منها

الحسين بن محمد بن عبد الوهاب

الزينبي، قرأ القرآن، وسمع الحديث، وتفقه على أبي عبد الله الدامغاني، فبرع وأفتى ودرس بمشهد أبي حنيفة، ونظر في أوقافها، وانتهت إليه رياسة مذهب أبي حنيفة، ولقب نور الهدى، وسار في الرسلية إلى الملوك، وولي نقابة الطالبين، والعباسين، ثم استعفي بعد شهور، فتولاها أخوه أطراد. توفي يوم الإثنين، الحادي عشر من صفر، وله من العمر ثنتان وتسعون سنة، وصلى عليه ابنه أبو القاسم علي، وحضرت جنازته الأعيان، والعلماء، ودفن عند قبر أبي حنيفة، داخل القبة .

يوسف بن أحمد بن أبو طاهر

ويعرف بابن الجزري، صاحب المخزن في أيام المستظهر، وكان لا يوفي المسترشد حقه من التعظيم، وهو ولي العهد، فلما صارت إليه الخلافة، صادره بمائة ألف دينار، ثم استقر غلاما، فأومأ إلى بيت، فوجد فيه أربعمائة ألف دينار، فأخذها الخليفة، ثم كانت وفاته بعد هذا بقليل، بهذا العام .

أبو الفضل بن الخازن

كان أديبا لطيفا، شاعرا فاضلا، فمن شعره قوله :

وَافَيْتُ مَنْزِلَهُ فَلَمْ أرَ حَاجِباً ... إلاَّ تَلَقَّانِي بِوَجْهٍ ضَاحِكِ
وَالبِشْرُ فِي وَجْهِ الغُلامِ نَتِيجَةٌ ... لِمُقَدِّمَاتِ ضِيَاءِ وَجْهِ المَالِكِ
وَدَخَلْتُ جَنَّتَهُ وَزُرْتُ جَحِيمَهُ ... فَشَكَرْتُ رِضْوَانًا وَرَأْفَةَ مَالِكَ

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة

فيها: كانت الحروب الشديدة، بين السلطان محمود بن محمد، وبين عمه السلطان سنجر ابن ملكشاه، وكان النصر فيها لسنجر، فخطب له ببغداد في سادس عشر جمادى الأولي، من هذه السنة، وقطعت خطبة ابن أخيه في سائر أعماله بعده . وفيها : سارت الفرنج إلى مدينة حلب، ففتحوها عنوة، وملكوها، وقتلوا من أهلها خلقا، فسار إليهم صاحب ماردين، إيلغازي ابن أرتق في جيش كثيف، فهزمهم، وألحقهم إلى جبل قد تحصنوا به، فقتل منهم هنالك مقتلة عظيمة، ولله الحمد، ولم يفلت منهم إلا اليسير، وأسر من مقدميهم نيفا [1] وتسعين رجلا، وقتل فيمن قتل سيرجال صاحب إنطاكية، وحمل رأسه إلى بغداد لعنه الله، فقال بعض الشعراء في ذلك، وقد بالغ مبالغة فاحشة :

قُلْ مَا تَشَاءُ فَقَوْلُكَ المَقْبُولُ ... وعَلَيكَ بَعْدَ الخَالِقِ التَّعْوِيلُ
واسْتَبْشَرَ القُرْآنُ حِينَ نَصَرْتَهُ ... وَبَكَى لِفَقْدِ رِجَالِهِ الإِنْجِيلُ

(١) النيف : ما زاد على العقد حتى يبلغ العقد الثاني: من ١-٩ بعد أل: ٢٠ ، ٣٠ ، ٩٠

وفيها : قتل الأمير منكوبرس الذي كان شحنة بغداد، وكان ظالما، غاشما، سيئ السيرة قتله السلطان محمود بن محمد صبرا بين يديه لأمور منها : أنه تزوج سرية أبيه قبل انقضاء عدتها، ونعم ما فعل وقد أراح الله المسلمين منه، فما كان أظلمه، وأغشمه . وفيها: تولى قضاء قضاة بغداد الأكمل أبو القاسم بن علي بن أبي طالب بن محمد الزينبي، وخلع عليه بعد موت أبي الحسن الدامغاني، وفيها: ظهر قبر إبراهيم الخليل عليه السلام، وقبر ولديه، إسحاق ويعقوب، وشاهد ذلك الناس، ولم تبل أجسادهم، وعندهم قناديل من ذهب وفضة، ذكر ذلك ابن الخازن في تاريخه، وأطال نقله من « المنتظم » لابن الجوزي، والله أعلم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

ابن عقيل

علي بن عقيل بن محمد، أبو الوفا شيخ الحنابلة ببغداد، وصاحب الفنون، وغيرها من التصانيف المفيدة، ولد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، وقرأ القرآن على ابن سبطا،وسمع الحديث الكثير، وتفقه بالقاضي أبي يعلى بن الفراء ، وقرأ الأدب على ابن برهان، والفرائض على عبد الملك الهمداني، والوعظ على أبي طاهر بن العلاف، صاحب ابن سمعون، والأصول على أبي الوليد المعتزلي، وكان يجتمع بجميع العلماء من كل مذهب، فربما لامه بعض أصحابه، فلا يلوي عليهم، فلهذا برز على أقرانه، وساد أهل زمانه في فنون كثيرة، مع صيانة، وديانة، وحسن صورة وكثرة اشتغال، وقد وعظ في بعض الأحيان، فوقعت فتنة، فترك ذلك ، وقد متعه الله بجميع حواسه إلى حين موته، توفي بكرة الجمعة، ثاني جمادى الأولى، من هذه السنة، وقد جاوز الثمانين، وكانت جنازته حافلة جداً، ودفن قريباً من قبر الإمام أحمد، إلى جانب الخادم مخلص، رحمه الله .

أبو الحسن علي بن محمد الدامغاني

قاضي القضاة، ابن قاضي القضاة، ولد في رجب سنة ست وأربعين وأربعمائة، وولي القضاء بباب الطاق من بغداد، وله من العمر ست وعشرون سنة، ولا يعرف حاكم قضى لأربعة من الخلفاء غيره إلا شريح، ثم ذكر إمامته وديانته، وصيانته مما يدل على نخوته وتفوقه وقوته تولى الحكم أربعاً وعشرين سنة وستة أشهر، وقبره عند مشهد أبي حنيفة .

المبارك بن علي

ابن الحسين أبو سعد المخرمي، سمع الحديث، وتفقه على مذهب أحمد، وناظر، وأفتى ودرس، وجمع كتباً كثيرة، لم يسبق إلى مثلها، وناب في القضاء، وكان حسن السيرة، جميل الطريق، سديد الأقضية، وقد بنى مدرسة بباب الأزج، وهي المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر

الجيلي الحنبلي، ثم عزل عن القضاء، وصودر بأموال جزيلة، وذلك في سنة إحدى عشرة وخمسمائة، وتوفي في المحرم من هذه السنة، ودفن إلى جانب أبي بكر الخلال، عند قبر أحمد .

ثم دخلت سنة أربع عشرة وخمسمائة

في النصف من ربيع الأول منها، كانت وقعة عظيمة، بين الأخوين: السلطان محمود، ومسعود، ابني محمد بن ملكشاه، عند عقبة أسداباذ، فانهزم عسكر مسعود، وأسر وزيره الأستاذ أبو إسماعيل وجماعة من أمرائه، فأمر السلطان محمود بقتل الوزير أبي إسماعيل، فقتل وله نيف وستون سنة، وله تصانيف في صناعة الكيمياء. ثم أرسل إلى أخيه مسعود الأمان، واستقدمه عليه، فلما اجتمعا اعتنقا وبكيا واصطلحا. وفيها: نهب دبيس صاحب الحلة البلاد، وركب بنفسه إلى بغداد، ونصب خيمته بإزاء دار الخلافة، وأظهر ما في نفسه من الضغائن، وذكر كيف طيف برأس أبيه في البلاد، وتهدد المسترشد، فأرسل إليه الخليفة يسكن جأشه، ويعده أن سيصلح بينه وبين السلطان محمود، فلما قدم السلطان محمود بغداد، أرسل دبيس يستأمن، فأمنه، وأجراه على عادته، ثم إنه نهب جيش السلطان، فركب بنفسه السلطان لقتاله، واستصحب معه ألف سفينة ليعبر فيها، فهرب دبيس، والتجأ إلى إيلغازي، فأقام عنده سنة، ثم عاد إلى الحلة، وأرسل إلى الخليفة، والسلطان يعتذر إليهما مما كان منه، فلم يقبلا منه، وجهز السلطان إليه جيشا، فحاصروه، وضيقوا عليه، قريبا من سنة، وهو ممتنع في بلاده لا يقدر الجيش على الوصول إليه. وفيها كانت وقعة عظيمة، بين الكرج والمسلمين، بالقرب من تفليس، ومع الكرج كفار الفقجاق فقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً وغنموا أموالا جزيلة وأسروا نحو من أربعة آلاف أسير. فإنا لله وإنا إليه راجعون. ونهب الكرج تلك النواحي، وفعلوا أشياء منكرة، وحاصروا تفليس مدة، ثم ملكوها عنوة، بعد ما أحرقوا القاضي، والخطيب، حين خرجوا إليهم يطلبون منهم الأمان، وقتلوا عامة أهلها، وسبوا الذرية، واستحوذوا على الأموال، فلا حول ولا قوة إلا بالله. وفيها أغار جوسكين الفرنجي صاحب الرها على خلق من العرب، والتركمان فقتلهم، وأخذ أموالهم وهذا هو صاحب الرها. وفيها : تمردت العيارون ببغداد، وأخذوا الدور جهارا، ليلا ونهارا، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

وفيها: كان ابتداء ملك محمد بن تومرت ببلاد المغرب، كان ابتداء أمر هذا الرجل، أنه قدم في حداثة سنة من بلاد المغرب، إلى بغداد فسكن النظامية ، واشتغل بالعلم، فحصل منه جانبا جيدا، من الفروع والأصول، على الغزالي وغيره، وكان يظهر التعبد، والزهد، والورع، وربما كان ينكر على الغزالي حسن ملابسه، ولا سيما حين لبس خلعة التدريس بالنظامية، أظهر الإنكار عليه جدا، وكذلك على غيره، ثم إنه حج، وعاد إلى بلاده، وكان يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويقرئ الناس القرآن، ويشغلهم في الفقه، فطار ذكره في الناس، واجتمع به

يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب بلاد إفريقية، فعظمه وأكرمه وسأله الدعاء، فاشتهر أيضاً بذلك، وبعد صيته، وليس معه إلا ركوة وعصا، ولا يسكن إلا المساجد، ثم جعل ينتقل من بلد إلى بلد، حتى دخل مراكش، ومعه تلميذه عبد المؤمن بن علي ، وقد كان توسم النجابة والشهامة فيه، فرأى في مراكش من المنكرات أضعاف ما رأى في غيرها من ذلك: أن الرجال يتلثمون، والنساء يمشين حاسرات عن وجوههن، فأخذ في إنكار ذلك، حتى إنه اجتازت به في بعض الأيام أخت أمير المسلمين، يوسف ملك مراكش وما حولها، ومعها نساء مثلها، راكبات، حاسرات عن وجوههن، فشرع هو وأصحابه في الإنكار عليهن، وجعلوا يضربون وجوه الدواب فسقطت أخت الملك عن دابتها، فأحضره الملك وأحضر الفقهاء، فظهر عليهم بالحجة، وأخذ يعظ الملك في خاصة نفسه، حتى أبكاه، ومع هذا نفاه الملك عن بلده، فشرع يشنع عليه، ويدعو الناس إلى قتاله، فاتبعه على ذلك خلق كثير، فجهز إليه الملك جيشا كثيفا، فهزمهم ابن تومرت، فعظم شأنه وارتفع أمره وقويت شوكته، وتسمى بالمهدى، وسمى جيشه جيش الموحدين، وألف كتابا في التوحيد، وعقيدة تسمى المرشدة، ثم كانت له وقعات مع جيوش صاحب مراكش، فقتل منهم في بعض الأيام نحوا من سبعين ألفا، وذلك بإشارة أبي عبد الله التومرتى، وكان ذكر أنه نزل إليه ملك وعلمه القرآن والموطأ، وله بذلك ملائكة يشهدون به في بئر سماه، فلما اجتاز به، وكان قد أرصد فيه رجالا، فلما سألهم عن ذلك، والناس حضور معه، على ذلك البئر، شهدوا له بذلك، فأمر حينئذ بطم البئر عليهم، فماتوا عن آخرهم، ولهذا يقال: من أعان ظالما سلط عليه .

ثم جهز ابن تومرت، الذى لقب نفسه بالمهدى، جيشا عليهم أبو عبد الله التومرتى، وعبد المؤمن، لمحاصرة مراكش، فخرج إليهم أهلها، فاقتتلوا قتالا شديدا، وكان في جملة من قتل أبو عبد الله التومرتى هذا، الذى زعم أن الملائكة تخاطبه، ثم افتقدوه في القتلى، فلم يجدوه، فقالوا: إن الملائكة رفعته وقد كان عبد المؤمن دفنه، والناس في المعركة، وقتل ممن معه من أصحاب المهدى خلق كثير، وقد كان حين جهز الجيش مريضا مدنفا، فلما جاءه الخبر، ازداد مرضا إلى مرضه، وساءه قتل أبي عبد الله التومرتى، وجعل الأمر من بعده لعبد المؤمن بن علي ، ولقبه أمير المؤمنين. وقد كان شابا، حسنا، حازما، عاقلا، ثم مات ابن تومرت، وقد أتت عليه إحدى وخمسون سنة، ومدة ملكه عشر سنين، وحين صار إلى عبد المؤمن بن علي الملك، أحسن إلى الرعايا، وظهرت له سيرة جيدة، فأحبه الناس، واتسعت ممالكه، وكثرت جيوشه، ورعيته، ونصب العداوة إلى تاشفين صاحب مراكش، ولم يزل الحرب بينهما إلى سنة خمس وثلاثين، فمات تاشفين، فقام ولده من بعده، فمات في سنة تسع وثلاثين ليلة سبع وعشرين من رمضان ، فتولى أخوه إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين ، فسار إليه عبد المؤمن ، فملك

تلك النواحي، وفتح مدينة مراكش، وقتل هنالك أمما لا يعلم عددهم إلا الله عزّ وجلّ، قتل ملكها إسحاق، وكان صغير السن في سنة ثنتين وأربعين، وكان إسحاق هذا آخر ملوك المرابطين، وكان ملكهم سبعين سنة. والذين ملكوا منهم أربعة: علي وولده يوسف، وولداه أبو سفيان ، وإسحاق ابنا عَليّ المذكور، فاستوطن عبد المؤمن مدينة مراكش، واستقر ملكه بتلك النواحي، وظفر في سنة ثلاث وأربعين بدكالة، وهي قبيلة عظيمة، نحو مائتي ألف راجل، وعشرين ألف فارس مقاتل، وهم من الشجعان الأبطال، فقتل منهم خلقا كثيرا، وجما غفيرا، وسبى ذراريهم، وغنم أموالهم، حتى إنه بيعت الجارية الحسناء، بدراهم معدودة، وقد رأيت لبعضهم في سيرة ابن تومرت هذا مجلدا في أحكامه ، وإمامته ، وما كان في أيامه ، وكيف تملك بلاد المغرب، وما كان يتعاطاه من الأشياء، التي توهم أنها أحوال برة، وهي محالات لا تصدر إلا عن فجرة، وما قتل من الناس وأزهق من الأنفس .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن عبد الوهاب بن السني

أبو البركات، أسند الحديث، وكان يعلم أولاد الخليفة المستظهر، فلما صارت الخلافة إلى المسترشد، ولاه المخزن، وكان كثير الأموال، والصدقات، يتعاهد أهل العلم، وخلف مالا كثيرا حزر بمائتي ألف دينار، أوصى من ذلك بثلاثين ألف دينار لمكة والمدينة، توفي فيها عن ست وخمسين سنة وثلاثة أشهر، وصلى عليه الوزير أبو علي بن صدقة، ودفن بباب حرب .

عبد الرحيم بن عبد الكبير

ابن هوازن، أبو نصر القشيري، قرأ على أبيه، وإمام الحرمين، وروى الحديث عن جماعة، وكان ذا ذكاء، وفطنة، وله خاطر حاضر جرىء، ولسان ماهر فصيح، وقد دخل بغداد، فوعظ بها فوقع، بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعية، فحبس بسببها الشريف أبو جعفر بن أبي موسى، وأمر ابن القشيري بالخروج من بغداد لإطفاء الفتنة، فعاد إلى بلده، وكانت وفاته هذه السنة .

عبد العزيز بن علي

ابن حامد أبو حامد الدينوري، كان كثير المال، والصدقات، ذا حشمة، ومروءة، ووجاهة عند الخليفة،وقد روى الحديث،ووعظ، وكان مليح الإيراد، حلو المنطق، توفي بالري والله أعلم.

ثم دخلت سنة خمس عشرة وخمسمائة

فيها: أقطع السلطان محمود الأمير إيلغازى مدينة ميافارقين، فبقيت في يد أولاده، إلى أن أخذها صلاح الدين يوسف بن أيوب، في سنة ثمانين وخمسمائة. وفيها أقطع آقسنقر البرشقي مدينة الموصل، لقتال الفرنج . وفيها: حاصر ملك بن بهرام وهو ابن أخي إيلغازى مدينة الرها،

فأسر ملكها جوسكين الأفرنجي، وجماعة من رءوس أصحابه، وسجنهم بقلعة خرتبرت. وفيها : هبت ريح سوداء، فاستمرت ثلاثة أيام، فأهلكت خلقا كثيرا من الناس والدواب. وفيها: كانت زلزلة عظيمة بالحجاز، فتضعضع بسببها الركن اليماني وتهدم بعضه وتهدم شيء من مسجد رسول الله ﷺ ، وفيها أظهر رجل علوي بمكة، كان قد اشتغل بالنظامية في الفقه وغيره، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، فاتبعه ناس كثير، فنفاه صاحبها ابن أبي هاشم إلى البحرين. وفيها: احترقت دار السلطان بأصبهان، فلم يبق فيها شيء من الآثار والقماش، والجواهر، والذهب، والفضة، سوى الياقوت الأحمر، وقبل ذلك بأسبوع احترق جامع أصبهان، وكان جامعا عظيما، فيه من الأخشاب ما يساوي ألف دينار، وفي جملة ما احترق فيه خمسمائة مصحف، من جملتها مصحف بخط أبي بن كعب، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفي شعبان منها: جلس الخليفة المسترشد في دار الخلافة في أبهة الخلافة، وجاء الأخوان السلطان محمود ومسعود، فقبلا الأرض، ووقفا بين يديه، فخلع على محمود سبع خلع، وطوقا، وسوارين، وتاجا، وأجلس على كرسي، ووعظه الخليفة، وتلا عليه قوله تعالى ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٧- ٨] وأمره بالإحسان إلى الرعايا، وعقد له لواءين بيده، وقلده الملك، وخرجا من بين يديه مطاعين معظمين، والجيش بين أيديهما في أبهة عظيمة جدا وحج بالناس قطز الخادم .

وممن توفي فيها :

ابن القطاع اللغوي أبو القاسم علي بن جعفر بن محمد

ابن الحسين بن أحمد بن محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب : السعدى الصقلي، ثم المصري، اللغوي، المصنف " كتاب الأفعال " ، الذي برز فيه على ابن القوطية، وله مصنفات كثيرة ، وقد قدم مصر في حدود سنة خمسمائة، لما أشرفت الفرنج على أخذ صقلية، فأكرمه المصريون، وبالغوا في إكرامه، وكان ينسب إلى التساهل في الدين، وله شعر جيد قوي، مات وقد جاوز الثمانين .

أبو القاسم شاهنشاه

الأفضل بن أمير الجيوش بمصر ، مدبر دولة الفاطميين، وإليه تنسب قيسرية أمير الجيوش بمصر، والعامة تقول: مرجوش، وأبوه باني الجامع الذي بثغر الإسكندرية بسوق العطارين، ومشهد الرأس بعسقلان أيضا، وكان أبوه نائب المستنصر على مدينة صور، وقيل: على عكا، ثم استدعاه إليه في فصل الشتاء، فركب البحر، فاستنابه على ديار مصر، فسدد الأمور بعد فسادها، ومات في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وقام في الوزارة ولده الأفضل هذا، وكان كأبيه في الشهامة، والصرامة، ولما مات المستنصر أقام المستعلي، واستمرت الأمور على يديه، وكان

عادلا حسن السيرة، موصوفا بجودة السريرة، فالله أعلم، ضربه فداوي، وهو راكب، فقتله في رمضان، من هذه السنة، عن سبع وخمسين سنة، وكانت إمارته من ذلك، بعد أبيه ثمان وعشرين سنة، وكانت داره دار الوكالة اليوم بمصر، وقد وجد له أموال عديدة جدا، تفوق العد والإحصاء، من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث والجواهر النفائس، فانتقل ذلك كله إلى الخليفة الفاطمي، فجعل في خزانته، وذهب جامعه إلى سواء الحساب، على الفتيل من ذلك، والنقير والقطمير، واعتاض عنه الخليفة بأبي عبد الله البطائحي، ولقبه المأمون. قال ابن خلكان: ترك الأفضل من الذهب العين ستمائة ألف ألف دينار مكررة، ومن الدراهم مائتين وخمسين أردبا، وسبعين ألف ثوب ديباج أطلس، وثلاثين راحلة أحقاق ذهب عراقي، ودواة ذهب فيها جوهرة باثني عشر ألف دينار، ومائة مسمار ذهب، زنة كل مسمار مائة مثقال في عشرة مجالس كان يجلس فيها على كل مسمار منديل مشدود بذهب، كل منديل على لون من الألوان من ملابسه وخمسمائة صندوق كسوة للبس بدنه، قال: وخلف من الرقيق والخيل والبغال والمراكب والمسك والطيب والحلي ما لا يعلم قدره، إلا الله عزّ وجلّ، وخلف من البقر والجواميس والغنم ما يستحي الإنسان من ذكره وبلغ ضمان ألبانها،في سنة وفاته ثلاثين ألف دينار، وترك صندوقين كبيرين مملوءين إبر ذهب برسم النساء .

عبد الرزاق بن عبد الله

ابن علي بن إسحاق الطوسي ابن أخي نظام الملك، تفقه بإمام الحرمين،وأفتى، ودرس، وناظر،و وزر للملك سنجر .

خاتون السفرية

حظية السلطان ملكشاه، وهي أم السلطانين محمد وسنجر، كانت كثيرة الصدقة، والإحسان إلى الناس، لها في كل سنة سبيل يخرج مع الحجاج. وفيها دين وخير، و لم تزل تبحث حتى عرفت مكان أمها وأهلها، فبعثت الأموال الجزيلة، حتى استحضرتهم، ولما قدمت عليها أمها كان لها عنها أربعين سنة لم ترها، فأحبت أن تستعلم فهمها، فجلست بين جواريها، فلما سمعت أمها كلامها عرفتها، فقامت إليها، فاعتنقا، وبكيا، ثم أسلمت أمها على يديها جزاها الله خيرا. وقد تفردت بولادة ملكين من ملوك المسلمين في دولة الأتراك والعجم، ولا يعرف لها نظير في ذلك إلا اليسير من ذلك، وهي ولادة بنت العباس، ولدت لعبد الملك الوليد وسليمان، وشاهوند قد ولدت للوليد يزيد وإبراهيم، وقد وليا الخلافة أيضا، والخيزران ولدت للمهدي الهادي والرشيد .

الطغرائي

صاحب (لامية العجم) الحسين بن علي بن عبد الصمد، مؤيد الدين الأصبهاني، العميد فخر الكتاب الليثي الشاعر المعروف بالطغرائي، وقد ولي الوزارة بأربل مدة، أورد له ابن

خلكان (قصيدته اللامية) التي ألفها في سنة خمس وخمسمائة في بغداد، يشرح فيها أحواله وأموره وتعرف بلامية العجم أولها :

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عن الخَطَــــلِ ... وَحِلْيَةُ الفضلِ زَانَتْنِيَ لـــدى العطـــلِ

مَجدي أخيرًا ومَجْدي أوّلاً شَـــرَعٌ ... والشمسُ رَأْدُ الضُحى كَالشَّمسِ في الطفلِ

فيمَ الإقامةُ بالزوراءِ ؟ لا سَكَنــــي ... بها ولا ناقتــي فيهـــا ولا جمـــلي

وقد سردها ابن خلكان بكمالها، وأورد له غير ذلك من الشعر، والله أعلم .

ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة

في المحرم منها: رجع السلطان طغرلبك إلى طاعة أخيه محمود ، بعد ما كان قد خرج عنها، وأخذ بلاد أذربيجان. وفيها: أقطع السلطان محمود مدينة واسط لآقسنقر، مضافا إلى الموصل، فسير إليها عماد الدين زنكي بن آقسنقر، فأحسن السيرة بها، وأبان عن حزم وكفاية. وفي صفر منها: قتل وزير السلطان محمود أبو طالب السميرمي، قتله باطني، وكان قد برز للمسير إلى همذان، وكانت قد خرجت زوجته في مائة جارية بمراكب الذهب، فلما بلغهن قتله رجعن حافيات، حاسرات عن وجوههن، قد هنَّ بعد العزِّ، واستوزر السلطان مكانه شمس الدين الملك عثمان بن نظام الملك. وفيها: التقى آقسنقر ودبيس بن صدقة، فهزمه دبيس، وقتل خلقا من جيشه، فأوثق السلطان منصور بن صدقة أخا دبيس وولده، ورفعهما إلى القلعة، فعند ذلك، آذى دبيس تلك الناحية، ونهب البلاد، وجز شعره، ولبس السواد، ونهبت أموال الخليفة أيضا، فنودي في بغداد للخروج لقتاله، وبرز الخليفة في الجيش، وعليه قباء أسود، وطرحة، وعلى كتفيه البردة، وبيده القضيب، وفي وسطه منطقة حرير صيني، ومعه وزيره نظام الدين أحمد بن نظام الملك، ونقيب النقباء علي بن طراد الزينبي، وشيخ الشيوخ صدر الدين بن إسماعيل، وتلقاه آقسنقر البرشقي، ومعه الجيش، فقبلوا الأرض، ورتب البرشقي الجيش، ووقف القراء بين يدي الخليفة، وأقبل دبيس، وبين يديه الإماء يضربن بالدفوف، والمخانيث بالملاهي، والتقى الفريقان، وقد شهر الخليفة سيفه، وكبر واقترب من المعركة، فحمل عنتر بن أبي العسكر على ميمنة الخليفة، فكسرها، وقتل أميرها، ثم حمل مرة ثانية، فكشفهم كالأولى، فحمل عليه عماد الدين زنكي بن آقسنقر، فأسر عنتر، وأسر معه بديل بن زائدة، ثم انهزم عسكر دبيس، وألقوا أنفسهم في الماء، فغرق كثير منهم، فأمر الخليفة بضرب أعناق الأسارى صبرا بين يديه، وحصل نساء دبيس وسراريه تحت الأسر، وعاد الخليفة إلى بغداد، فدخلها في يوم عاشوراء من السنة الآتية، وكانت غيبته عن بغداد ستة عشر يوما، وأما دبيس، فإنه نجا بنفسه، وقصد غزية، ثم إلى المنتفق، فصحبهم إلى البصرة، فدخلها، ونهبها، وقتل أميرها، ثم خاف من البرشقي، فخرج منها، وسارعلى البرية، والتحق بالفرنج، وحضر معهم حصار حلب، ثم فارقهم، والتحق بالملك طغرل أخي السلطان محمود. وفيها : ملك السلطان سهام الدين تمراش بن إيلغازي بن أرتق قلعة

ماردين، بعد وفاة أبيه، وملك أخوه سليمان ميافارقين وفيها : ظهر معدن نحاس، بديار بكر قريبا من قلعة ذي القرنين. وفيها : دخل جماعة من الوعاظ إلى بغداد، فوعظوا بها، وحصل لهم قبول تام من العوام. وحج بالناس قطز الخادم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الله بن أحمد

ابن عمر بن أبي الأشعث، أبو محمد السمرقندي، أخو أبي القاسم، وكان من حفاظ الحديث، وقد زعم أن عنده منه ما ليس عند أبي زرعه الرازي، وقد صحب الخطيب مدة، وجمع وألف وصنف ورحل إلى الآفاق، توفى يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من هذه السنة عن ثمانين سنة .

علي بن أحمد السميرمي

نسبة إلى قرية بأصبهان، كان وزير السلطان محمود، وكان مجاهرا بالظلم، والفسق، وأحدث على الناس مكوسا، وجددها، بعد ما كانت قد أزيلت من مدة متطاولة، وكان يقول: قد استحييت من كثرة ظلم من لا ناصر له، وكثرة ما أحدثت من السنن السيئة. ولما عزم على الخروج إلى همذان، حضر المنجمين، فضربوا له تخت رمل لساعة خروجه ليكون أسرع لعودته، فخرج في تلك الساعة، وبين يديه السيوف المسلولة والمماليك الكثيرة بالعدد الباهرة ، فما أغنى عنه ذلك شيئا بل جاءه باطني، فضربه، فقتله، ثم مات الباطني بعده، ورجع نساؤه بعد أن ذهبن بين يديه على مراكب الذهب، حاسرات عن وجوههن قد أبدلهن الله الذل بعد العز، والخوف بعد الأمن، والحزن بعد السرور والفرح جزاء وفاقا ، وكان ذلك يوم الثلاثاء سلخ صفر، وما أشبه حالهن بقول أبي العتاهية في الخيزران وجواريها حين مات المهدي :

رُحْنَ في الوَشْيِ عليهن الـمسُـوحُ ... كلُّ بَطّاحٍ من الناسِ له يـومٌ يطوحُ

لتموتنّ ولو عُمِّرتَ ما عُمِّر نُـوحُ ... فعلـى نَفسِـك نُحْ إنْ كنتَ لابدّ تَنُوحُ

الحريري صاحب المقامات

القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، فخر الدولة أبو محمد الحريري مؤلف (المقامات) التي سارت بفصاحتها الركبان، وكاد يربو فيها على سحبان، ولم يسبق إلى مثلها، ولا يلحق، ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة، وسمع الحديث، واشتغل باللغة، والنحو، وصنف في ذلك كله، وفاق أهل زمانه، وبرز على أقرانه، وأقام ببغداد، وعمل صناعة الإنشاء مع الكتاب في باب الخليفة، ولم يكن ممن تنكر بديهته، ولا تتعكر فكرته وقريحته. قال ابن الجوزي: صنف، وقرأ الأدب واللغة، وفاق أهل زمانه، بالذكاء، والفطنة، والفصاحة، وحسن العبارة، وصنف المقامات المعروفة، التي من تأملها عرف ذكاء منشئها، وقدره وفصاحته، وعلمه. توفي في هذه

السنة بالبصرة. وقد قيل: إن أبا زيد، والحارث بن همام المطهر، لا وجود لهما، وإنما جعل هذه المقامات من باب الأمثال. ومنهم من يقول: أبو زيد بن سلام السروجي كان له وجود وكان فاضلا، وله علم، ومعرفة باللغة، فالله أعلم. وذكر ابن خلكان: أن أبا زيد كان اسمه المطهر بن سلام، وكان بصريا في النحو واللغة، وكان يشتغل عليه الحريري بالبصرة، وأما الحارث بن همام فإنه عني بنفسه، لما جاء في الحديث: «كلكم حارث، وكلكم همام». كذا قال ابن خلكان وإنما اللفظ المحفوظ «أصدق الأسماء حارث ، وهمام» لأن كل أحد إما حارث، وهو الفاعل، أو همام من الهمة، وهو العزم والخاطر، وذكر أن أول مقامة عملها، الثامنة والأربعون، وهي الحرامية، وكان سببها، أنه دخل عليهم في مسجد البصرة رجل ذو طمرين فصيح اللسان، فاستسموه فقال: أبو زيد السروجي. فعمل فيه هذه المقامة، فأشار عليه وزير الخليفة المسترشد، جلال الدين، عميد الدولة، أبو على الحسن بن أبي المعز بن صدقة، أن يكمل عليها تمام خمسين مقامة. قال ابن خلكان: كذا رأيته في نسخة بخط المصنف، على حاشيتها، وهو أصح من قول من قال: إنه الوزير شرف الدين أبو نصر أنو شروان بن محمد بن خالد بن محمد القاشاني، وهو وزير المسترشد أيضا، ويقال: إن الحريري كان قد عملها أربعين مقامة، فلما قدم بغداد، ولم يصدق في ذلك، لعجز الناس عن مثلها، فامتحنه بعض الوزراء أن يعمل مقامة، فأخذ الدواة، والقرطاس، وجلس ناحية، فلم يتيسر له شيء، فلما عاد إلى بلده، عمل عشرة أخرى، فأتمها خمسين مقامة، وقد قال فيه أبو القاسم علي بن أفلح الشاعر، وكان من جملة المكذبين له فيها :

شيخٌ لنا من ربيعةَ الفرسِ ... ينتفُ عُثْنونَهُ منَ الهَوسِ [1]
أنطقَه اللهُ بالمُشَانِ كما ... رمَاهُ وَسْطَ الديوانِ بالخَرسِ

ومعنى قوله بالمشان، هو مكان بالبصرة، وكان الحريري صدر ديوان المشان، ويقال: إنه كان ذميم الخلق، فاتفق أن رجلا رحل إليه، فلما رآه، ازدراه، ففهم الحريري ذلك، فأنشأ يقول :

ما أنتَ أولَ سارٍ غَرَّهُ قمرُ ... ورائدًا أعجبتْهُ خُضْرَةُ الدِّمَنِ [2]
فاخترْ لنفسكِ غيريَ إنَّني رَجُلٌ ... مثل المُعيدي فاسمع بي ولا ترني

ويقال : إن المعيدي اسم حصان جواد كان في العرب، ذميم الخلق، والله أعلم .

البغوي المفسر

الحسن بن مسعود بن محمد البغوي، صاحب (التفسير) ، و (شرح السنة) ، و (التهذيب في الفقه) ، و (الجمع بين الصحيحين) ، و (المصابيح في الصحاح والحسان) ، وغير ذلك، اشتغل على القاضي حسين، وبرع في هذه العلوم، وكان علامة زمانه فيها، وكان دينا، ورعا، زاهدا، عابدا،

---

(١) العثنون: أسفل اللحية، الهوس: التهور.
(٢) الدمن: آثار الناس وما سودوا .

صالحا. توفي في شوال منها ، وقيل: في سنة عشر، فالله أعلم. ودفن مع شيخه القاضي حسين، بالطالقان، والله أعلم .

ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة

في يوم عاشوراء منها: عاد الخليفة من الحلة إلى ببغداد ، مؤيدا، منصورا، من قتال دبيس. وفيها عزم الخليفة على طهور أولاد أخيه، وكانوا اثني عشر ذكرا، فزينت بغداد سبعة أيام بزينة لم ير مثلها. أظهر الناس من الحلي والمصاغ والثياب ما لم ير مثلها وفي شعبان منها: قدم أسعد المهيني مدرسا بالنظامية ببغداد، وناظرا عليها، وصرف البارجي عنها، ووقع بينه وبين بعض الفقهاء فتنة، بسبب أنه قطع منهم جماعة، واكتفى بمائتي طالب منهم، فلم يهن ذلك على كثير منهم، وفيها: سار السلطان محمود إلى بلاد الكرج، وقد وقع بينهم وبين القفجاق خلف، فقاتلهم، فهزمهم، ثم عاد إلى همدان. وفيها: ملك طغتكين صاحب دمشق مدينة حماه، بعد وفاة صاحبها قراجا، وقد كان ظالما غاشما.وفيها: عزل نقيب العلويين، وهدمت داره، وهو علي بن أفلح،لأنه كان عينا لدبيس، وأضيف إلى علي بن طراد الزينبي نقابة العلويين مع نقابة العباسيين .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد

ابن علي بن صدقة التغلبي المعروف بابن الخياط، الشاعر، الدمشقي، الكاتب، له ديوان شعر مشهور. قال الحافظ بن عساكر: ختم به شعر الشعراء بدمشق، شعره جيد حسن، وكان مكثرا لحفظ الأشعار المتقدمة، وأخبارهم. وأورد ابن خلكان قطعة جيدة من شعره من قصيدته التي لو لم يكن له سواها، لكفته، وهي التي يقول فيها :

خُذَا مـنْ صَبَـا نَجْد أماناً لقلبـه ... فَقَـدْ كـادَ رَيّاهـا يَطيـرُ بِلُبِّـه
وإيـاكُمَـا ذاكَ النَسيـمَ فإنّـه ... متى هَبَّ كان الوجـدُ أيْسَرَ خطبه
خليلـى لو أحْبَبْتُمـا لَعَلمتُمـا ... محلّ الهوى منْ مغـرمِ القلب صبّـه
تذكر والذكرى تَشُوقُ وذو الهوى ... يتُوقُ وَمن يَعْلَقْ به الحبُّ يُصْبـه
غـرامُ على يأسِ الهوى ورجـائه ... وشوقُ على بُعـد المـزارِ وقُرْبـه
وفى الركب مطوىّ الضلوعِ على جوىً ... متى يَدْعُـهُ داعـى الغـرامِ يُلَبِّـه
إذا خطرتْ من جانبِ الرملِ نَفْحَـةُ ... تضمّـنَ منهـا داؤه دونَ صَحْبِـه
ومحتجـبٌ بيـنَ الأسنـة معرضٌ ... وفى القلبِ من إعراضه مثلُ حَجبـهَ
أغارُ إذا آنَسْـتُ فى الحـىِّ أنّـةً ... حـذاراً وخوفـاً أنَ تكـونَ لِحُبِّـه

توفي في رمضان منها، عن سبع وتسعين سنة، بدمشق .

ثم دخلت سنة ثماني عشرة وخمسمائة

فيها : ظهرت الباطنية بآمد، فقاتلهم أهلها، فقتلوا منهم سبعمائة. وفيها : ردت شحنكية بغداد إلى سعد الدولة يرنقش الزكوي، وسلم إليه منصور بن صدقة أخو دبيس ليسلمه إلى دار الخلافة، وورد الخبر بأن دبيسا قد التجأ إلى طغرلبك، وقد اتفقا على أخذ بغداد، فأخذ الناس بالتأهب إلى قتالهما، وأمر آقسنقر بالعود إلى الموصل، فاستناب على البصرة عماد الدين زنكي ابن آقسنقر. وفي ربيع الأول: دخل الملك حسام تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق صاحب حلب، وقد ملكها بعد ملكها بلك بن بهرام، وكان قد حاصر قلعة منبج، فجاءه سهم في حلقه، فمات، فاستناب تمرتاش بحلب، ثم عاد إلى ماردين، فأخذت منه بعد ذلك، أخذها آقسنقر مضافة إلى الموصل، وفيها: أرسل الخليفة القاضي أبا سعد الهروي، ليخطب له ابنة السلطان سنجر، وشرع الخليفة في بناء دار على حافة دجلة لأجل العروس. وحج بالناس جمال الدولة إقبال المسترشدي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن علي بن برهان

أبو الفتح، ويعرف بابن الحمامي، تفقه على أبي الوفاء بن عقيل، وبرع في مذهب الإمام أحمد، ثم نقم عليه أصحابه أشياء، فحمله ذلك على الانتقال إلى مذهب الشافعي، فاشتغل على الغزالي والشاشي ، وبرع ، وساد ، وشهد عند الزينبي ، فقبله ، ودرس في النظامية شهرا. توفي في جمادى الأولى ، ودفن بباب إبرز .

عبد الله بن محمد

ابن جعفر أبو على الدامغاني، سمع الحديث، وشهد عند أبيه، وناب في الكرخ عن أخيه، ثم ترك ذلك كله، وولي حجابة باب النوبي، ثم عزل، ثم أعيد. توفي في جمادى .

أحمد بن محمد

ابن إبراهيم أبو الفضل الميداني: صاحب (كتاب الأمثال) ، ليس له مثل في بابه، له شعر جيد، توفي يوم الأربعاء، الخامس والعشرين من رمضان، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة

فيها: قصد دبيس والسلطان طغرل بغداد ليأخذاها من يد الخليفة، فلما اقتربا منها برز إليهما الخليفة في جحفل عظيم والناس مشاة بين يديه إلى أول منـــزله، ثم ركب الناس بعد ذلك، فلما أمست الليلة التي يقتتلون في صبيحتها، ومن عزمهم أن ينهبوا بغداد، أرسل الله مطرا عظيما، ومرض السلطان طغرل في تلك الليلة، فتفرقت تلك الجموع، ورجعوا على

أعقابهم، خائبين خائفين، والتجأ دبيس وطغرل إلى الملك سنجر، وسألاه الأمان من الخليفة، والسلطان محمود، فحبس دبيساً في قلعة، وَوشي واش أن الخليفة، يريد أن يستأثر بالملك، وقد خرج من بغداد إلى اللان، لمحاربة الأعداء، فوقع في نفس سنجر من ذلك، وأضمر سوءاً، مع أنه قد زوج ابنته من الخليفة. وفيها: قتل القاضي أبو سعد بن نصر بن منصور الهروي بهمدان، قتلته الباطنية، وهو الذي أرسله الخليفة إلى سنجر ليخطب ابنته. وحج بالناس قطز الخادم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

آقسنقر البرشقي

صاحب حلب قتلته الباطنية - وهم الفداوية - في مقصورة جامعها يوم الجمعة، وقد كان تركيا جيد السيرة محافظا على الصلوات في أوقاتها كثير البر والصدقات إلى الفقراء كثير الإحسان إلى الرعايا، وقام في الملك بعده ولده السلطان عز الدين مسعود، وأقره السلطان محمود على عمله .

بلال بن عبد الرحمن

ابن شريح بن عمر بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سليمان بن بلال بن رباح، مؤذن رسول الله ﷺ رحل، وجال في البلاد، وكان شيخا جهوري الصوت، حسن القراءة، طيب النغمة، توفي في هذه السنة، بسمرقند رحمه الله .

القاضي أبو سعد الهروي

محمد بن نصر، أحد مشاهير الفقهاء، وسادة الكبراء، قتلته الباطنية بهمذان وفيها .

ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة

فيها: تراسل السلطان محمود، والخليفة، على السلطان سنجر، وأن يكونا عليه، فلما علم بذلك سنجر: كتب إلى ابن أخيه محمود ينهاه ، ويستميله إليه، ويحذره من الخليفة، وأنه لا تؤمن غائلته، وأنه متى فرغ مني دار إليك فأخذك ، فأصغى إلى قول عمه، ورجع عن عزمه وأقبل ليدخل بغداد عامه ذلك ، فكتب إليه الخليفة ينهاه عن ذلك لقلة الأقوات بها، فلم يقبل منه، وأقبل إليه، فلما أزف قدومه، خرج الخليفة من داره، وتجهز إلى الجانب الغربي، فشق عليه ذلك، وعلى الناس، ودخل عيد الأضحى، فخطب الخليفة الناس بنفسه، خطبة عظيمة بليغة فصيحة جدا، وكبر وراءه خطباء الجوامع، وكان يوما مشهودا.وقد سردها ابن الجوزي، بطولها، ورواها عن من حضرها مع قاضي القضاة الزينبي، وجماعة من العدول، ولما نزل الخليفة عن المنبر، ذبح البدنة [1] بيده، ودخل السرادق، وتباكي الناس، ودعوا للخليفة بالتوفيق

(١) البدنة: الناقة: ما يضحى به .

والنصر، ثم دخل السلطان محمود إلى بغداد يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذي الحجة فنـزلوا في بيوت الناس، وحصل للناس منهم أذى كثير في حريمهم، ثم إن السلطان راسل الخليفة في الصلح، فأبى الخليفة، وركب في جيشه، وقاتل الأتراك ومعه شرذمة قليلة من المقاتلة، ولكن العامة كلهم معه، وقتل من الأتراك خلقا، ثم جاء عماد الدين زنكي، في جيش كثيف من واسط في سفن إلى السلطان نجدة ، فلما استشعر الخليفة ذلك دعا إلى الصلح، فوقع الصلح بين السلطان والخليفة، وأخذ الملك يستبشر بذلك جدا، ويعتذر إلى الخليفة مما وقع، ثم خرج في أول السنة الآتية إلى همذان لمرض حصل له. وفيها: كان أول مجلس تكلم فيه ابن الجوزي على المنبر، يعظ الناس، وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة، وحضره الشيخ أبو القاسم علي بن يعلى العلوى البلخي وكان نسيبا، علمه كلمات ، ثم أصعده المنبر فقالها، وكان يوما مشهودا .

قال ابن الجوزي وحزر الجمع يومئذ بخمسين ألفا، والله أعلم. وفيها: اقتتل طغتكين صاحب دمشق، وأعداؤه من الفرنج، فقتل منهم خلقا كثيرا، وغنم منهم خلقا كثيرا، وغنم منهم أموالا جزيلة ولله الحمد والمنة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن محمد

أبو الفتح الطوسي الغزالي، أخو أبي حامد الغزالي، كان واعظا مفوها، ذا حظ من الكلام والزهد وحسن التأني، وله نكت جيدة، ووعظ مرة في دار الملك محمود فأطلق له ألف دينار، وخرج ، فإذا على الباب فرس الوزير، بسرجها المذهب، وسلاسلها، وما عليها من الحلي، فركبها، فبلغ ذلك الوزير، فقال: دعوه ، ولا يرد على الفرس. فأخذها الغزالي، وسمع مرة ناعورة [1] تئن، فألقى عليها رداءه، فتمزق قطعا قطعا .

قال ابن الجوزي: وقد كانت له نكت إلا أن الغالب على كلامه التخليط، والأحاديث الموضوعة المصنوعة، والحكايات الفارغة، والمعاني الفاسدة. ثم أورد ابن الجوزي: أشياء منكرة من كلامه، فالله أعلم. من ذلك: أنه كان كلما أشكل عليه شيء رأي رسول الله في اليقظة، فسأله عن ذلك، فدله على الصواب، وكان يتعصب إلى إبليس، ويعتذر له، وتكلم فيه ابن الجوزي: بكلام طويل كثير. قال: ونسب إلى محبة المردان، والقول بالمشاهدة، فالله أعلم بصحة ذلك. قال ابن خلكان: كان واعظا مليح الوعظ حسن المنظر صاحب كرامات، وإشارات، وكان من الفقهاء غير أنه مال إلى الوعظ، فغلب عليه، ودرس بالنظامية نيابة عن أخيه لما تزهد، واختصر إحياء علوم الدين في مجلد سماه "لباب الأحيا" وله (الذخيرة في علم البصيرة) ، وطاف البلاد، وخدم الصوفية بنفسه، وكان مائلا إلى الانقطاع والعزلة، والله أعلم بحاله.

---

(١) الناعورة : الساقية .

أحمد بن علي

ابن محمد الوكيل، المعروف بابن برهان، أبو الفتح الفقيه الشافعي، تفقه على الغزالي، وعلى الكيا الهراسي، وعلى الشاشي، وكان بارعا في الأصول، وله كتاب " الذخيرة في أصول الفقه "، وكان يعرف فنونا جيدة بعينها. وولي تدريس النظامية ببغداد، دون شهر .

بهرام بن بهرام

أبو شجاع البيع ، سمع الحديث، وبنى مدرسة لأصحاب أحمد بكلواذي، ووقف قطعة من أملاكه على الفقهاء بها .

صاعد بن سيار

ابن محمد بن عبد الله بن إبراهيم أبو الأعلى الإسحاقي الهروي الحافظ، أحد المتقنين، سمع الحديث، وتوفي بعتورج ، قرية على باب هراة .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وخمسمائة

استهلت هذه السنة والخليفة والسلطان محمود متحاربان، والخليفة في السرادق في الجانب الغربي، فلما كان يوم الأربعاء، رابع المحرم، توصل جماعة من جند السلطان إلى دار الخلافة، فحصل فيها ألف مقاتل عليهم السلاح، فنهبوا الأموال، وخرج الجواري وهن حاسرات يستغثن، حتى دخلن دار الخاتون .

قال ابن الجوزي: وأنا رأيتهن كذلك، فلما وقع ذلك ركب الخليفة في جيشه، وجيء بالسفن، وانقلبت بغداد بالصراخ حتى كأن الدنيا قد زلزلت، وثارت العامة مع جيش الخليفة، فكسروا جيش السلطان، وقتلوا خلقا من الأمراء، وأسروا آخرين، ونهبوا دار السلطان، ودار وزيره، ودار طبيبه أبي البركات، وأخذوا ما كان في داره من الودائع، ومرت خبطة [1] عظيمة جدا، حتى أنهم نهبوا الصوفية برباط نهر جور، وجرت أمور طويلة، ونالت العامة من السلطان، وجعلوا يقولون له: يا باطني تترك الفرنج والروم وتقاتل الخليفة، ثم إن الخليفة انتقل إلى داره، في سابع المحرم، فلما كان في يوم عاشوراء، تماثل الحال، وطلب السلطان من الخليفة الأمان، والصلح، فلان الخليفة إلى ذلك، وتباشر الناس بالصلح، فأرسل إليه الخليفة نقيب النقباء، وقاضي القضاة، وشيخ الشيوخ، وبضعا وثلاثين شاهدا، فاحتبسهم السلطان عنده ستة أيام فساء ذلك الناس، وخافوا من فتنة أخرى أشد من الأولى، وكان برنقش الزكوي شحنة [2] بغداد يغري السلطان بأهل بغداد، لينهب أموالهم، فلم يقبل منه، ثم أدخل لأولئك الجماعة، فأدخلوا عليه وقت المغرب، فصلى بهم القاضي، وقرأوا عليه كتاب الخليفة، فقام قائماً، وأجاب

---

(١) الخبطة: الفوضى .

(٢) الشحنة: رئيس الشرطة فيها .

الخليفة إلى جميع ما اقترح عليه، ووقع الصلح والتحليف، ودخل جيش السلطان، وهم في غاية الجهد، من قلة الطعام عندهم في العسكر، وقالوا: لو لم يصالح لمتنا جوعا. وظهر من السلطان حلم كثير عن العوام، وأمر الخليفة برد ما نهب من دور الجند، وأن من كتم شيئا أبيح دمه. وبعث الخليفة علي بن طراد الزينبي النقيب إلى السلطان سنجر ليبعد عن بابه دبيسا، وأرسل معه الخلع والإكرام، فأكرم سنجر رسول الخليفة، وأمر في ضرب الطبول على بابه في ثلاثة أوقات، وظهر منه طاعة كثيرة، ثم مرض السلطان محمود ببغداد، فأمره الطبيب بالانتقال عنها إلى همذان، فسار في ربيع الآخر فوضع شحنكية بغداد إلى عماد الدين زنكي، فلما وصل السلطان إلى همذان، بعث على شحنكية بغداد مجاهد الدين بهروز، وجعل إليه الحلة، وبعث عماد الدين زنكي إلى الموصل وأعمالها. وفيها درس الحسن بن سليمان بالنظامية ببغداد. وفيها ورد أبو الفتوح الإسفراييني، فوعظ ببغداد، فأورد أحاديث كثيرة منكرة جدا، فاستتيب منها، وأمر بالانتقال منها إلى غيرها، فشد معه جماعة من الأكابر، وردوه إلى ما كان عليه، فوقع بسببه فتن كثيرة بين الناس، حتى رجمه بعض العامة بالأسواق، وذلك لأنه كان يطلق عبارات لا يحتاج إلى إيرادها، فنفرت منه قلوب العامة، وأبغضوه وجلس الشيخ عبد القادر الجيلي، فتكلم على الناس، فأعجبهم، وأحبوه، وتركوا ذاك. وفيها : قتل السلطان سنجر من الباطنية نحو من اثني عشر ألفا. وحج بالناس قطز الخادم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن عبد الملك

ابن إبراهيم بن أحمد، أبو الحسن بن أبي الفضل الهمذاني الفرضي، صاحب التاريخ من بيت الحديث. وذكر ابن الجوزي عن شيخه عبد الوهاب: أنه طعن فيه. توفي فجأة في شوال، ودفن إلى جانب ابن شريح .

فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن فضلويه

سمعت الخطيب، وابن المسلمة، وغيرهما، وكانت واعظة، لها رباط تجتمع فيه الزاهدات، وقد سمع عليها ابن الجوزي، مسند الشافعي، وغيره .

أبو محمد عبد الله بن محمد

ابن السيد البطليوسي، ثم التنيسي صاحب المصنفات في اللغة وغيرها، جمع المثلث في مجلدين، وزاد فيه على قطرب شيئاً كثيراً جداً، وله (شرح سقط الزند لأبي العلاء) ، أحسن من شرح المصنف، وله (شرح أدب الكاتب لابن قتيبة) ، ومن شعره الذي أورده له ابن خلكان :

أخو العلمِ حَيٌّ خالدٌ بعدَ موتِه ... وأوصالُه تحتَ التراب رَميمُ

وذو الجهلِ مَيِّتٌ وهو ماشٍ على الثَّرى ... يُظَنُّ منَ الأحياءِ وهو عَديمُ

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة

في أولها: قدم رسول سنجر إلى الخليفة، يسأل منه أن يخطب له على منابر بغداد، وكان يخطب له كل جمعة بجامع المنصور. وفيها: مات ابن صدقة وزير الخليفة، واستنيب في الوزارة نقيب النقباء. وفيها: اجتمع السلطان محمود بعمه سنجر، واصطلحا بعد خشونة، وسلم سنجر دبيسا إلى السلطان محمود، على أن يسترضي عنه الخليفة، ويعزل زنكي عن الموصل وبلادها ، ويسلم ذلك إلى دبيس، واشتهر في ربيع الأول ببغداد أن دبيسا أقبل إلى بغداد في جيش كثيف، فكتب الخليفة إلى السلطان محمود : لئن لم تكف دبيسا عن القدوم إلى بغداد، وإلا خرجنا إليه، ونقضنا ما بيننا وبينك من العهود والصلح. وفيها: ملك الأتابك زنكي بن آقسنقر مدينة حلب، وما حولها من البلاد. وفيها: ملك تاج الملوك بوري بن طغتكين مدينة دمشق بعد وفاة أبيه، وقد كان أبوه من مماليك ألب أرسلان، وكان عاقلا حازما عادلا خيرا، كثير الجهاد في الفرنج، رحمه الله. وفيها: عمل ببغداد مصلى للعيد ظاهر باب الحلية وحوط عليه وجعل فيه قبلة. وحج بالناس قطز الخادم، المتقدم ذكره .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن علي بن صدقة

أبو على وزير الخليفة المسترشد، توفي في رجب منها. ومن شعره الذي أورد له ابن الجوزي وقد بالغ في مدح الخليفة فيه، وأخطأ :

وجدتُ الورى كالماء طَعْماً وَرِقَّـةً ... وأنّ أميـرَ المؤمنـينَ زلالُـه
وصوّرتَ معنى العقلَ شخصاً مصوّراً ... وأنّ أميَـرَ المـؤمنـينَ مثالُـه
فلولا مكانُ الشـرعِ والدينِ والتقى ... لقلـتُ مـن الإعظـامِ : جـلّ جلالُـه

الحسين بن علي

ابن أبي القاسم اللامتي، من أهل سمرقند، روى الحديث، وتفقه، وكان يضرب به المثل في المناظرة، وكان خيرا، دينا، على طريقة السلف، مطرحا للتكلف أمَّارًا بالمعروف، قدم من عند الخاقان، ملك ما وراء النهر،في رسالة إلى دار الخلافة، فقيل له : ألا تحج عامك هذا؟ فقال: لا أجعل الحج تبعا لرسالتهم. فعاد إلى بلده فمات في رمضان من هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة، رحمه الله .

طغتكين الأتابك

صاحب دمشق التركي، أحد غلمان تتش ، كان من خيار الملوك، وأعدلهم، وأكثرهم جهادا للفرنج، وقام من بعده ولده تاج الملوك بوري .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة

في المحرم منها: دخل السلطان محمود إلى بغداد، واجتهد في إرضاء الخليفة عن دبيس، وأن يسلم إليه بلاد الموصل، فامتنع الخليفة من ذلك، وأبي أشد الإباء، هذا وقد تأخر دبيس عن الدخول إلى بغداد، ثم دخلها، وركب بين الناس، فلعنوه وشتموه في وجهه، وقدم عماد الدين زنكي، فبذل للسلطان في كل سنة مائة ألف دينار وهدايا وتحفا والتزم للخليفة بمثلها على أن لا يولي دبيسا شيئا، وعلى أن يستمر زنكي على عمله بالموصل، فأقره على ذلك، وخلع عليه، ورجع إلى عمله، فملك حلب، وحماه، وأسر صاحبها سونج بن تاج الملوك، فافتدى نفسه بخمسين ألف دينار. وفي يوم الاثنين، سلخ ربيع الآخر خلع السلطان على نقيب النقباء استقلالا، ولا يعرف أحد من العباسيين باشر الوزارة غيره. وفي رمضان منها، جاء دبيس في جيش إلى الحلة، فملكها، ودخلها في أصحابه، وكانوا ثلاثمائة فارس، ثم إنه شرع في جمع الأموال، وأخذ الغلات من القرى، حتى حصل نحوا من خمسمائة ألف دينار، واستخدم قريبا من عشرة آلاف مقاتل، وتفاقم الحال بأمره، وبعث إلى الخليفة يسترضيه، فلم يرض عليه، وعرض عليه أموالا، فلم يقبلها، وبعث إليه السلطان جيشا، فانهزم إلى البرية، ثم أغار على البصرة، فأخذ منها حواصل السلطان والخليفة، ثم دخل البرية، فانقطع خبره، وفي هذه السنة، قتل صاحب دمشق من الباطنية ستة آلاف، وعلق رؤوس كبارهم على باب القلعة، وأراح الله الشام منهم.
وفيها: حاصرت الفرنج مدينة دمشق، فخرج إليهم أهلها، فقاتلوهم قتالا شديدا، وبعث أهل دمشق عبد الله الواعظ، ومعه جماعة من التجار، يستغيثون بالخليفة، وهموا بكسر منبر الجامع، حتى وعدهم بأنه سيكتب إلى السلطان ليبعث لهم جيشا يقاتلون الفرنج، فسكنت الأمور،فلم يبعث لهم جيشا، حتى نصرهم الله من عنده ، فإن المسلمين هزموهم، وقتلوا منهم عشرة آلاف، ولم يفلت منهم سوى أربعين نفسا، ولله الحمد والمنة. وقتل بيمند الفرنجي صاحب إنطاكية.
وفيها: تخبط الناس في الحج حتى ضاق الوقت بسبب فتنة دبيس، حتى حج بهم برنقش الزكوي، وكان اسمه بغاجق .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أسعد بن أبي نصر

الميهني أبو الفتح، أحد أئمة الشافعية في زمانه، تفقه على أبي المظفر السمعاني، وساد أهل زمانه، وبرع وتفرد من بين أقرانه، وولي تدريس النظامية ببغداد، وحصل له وجاهة، عند الخاص، والعام، وعلق عنه تعليقة في الخلاف. ثم عزل عن النظامية، فسار إلى همذان، فمات بها في هذه السنة، رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة

فيها: كانت زلزلة عظيمة بالعراق، تهدم بسببها دور كثيرة ببغداد. ووقع بأرض الموصل مطر عظيم، فسقط بعضه نارا تأجج فأحرقت دورا كثيرة وخلقا من ذلك المطر، وتهارب الناس. وفيها: وجد ببغداد عقارب طيارة لها شوكتان، فخاف الناس منها خوفا شديدا. وفيها: ملك السلطان سنجر، مدينة سمرقند، وكان بها محمد بن خاقان. وفيها: ملك عماد الدين زنكي بلادا كثيرة من الجزيرة، وهما مع الفرنج، وجرت معهم حروب طويلة، نصر عليهم في تلك المواقف كلها، ولله الحمد.وقتل خلقا من جيش الروم حين قدموا إلى الشام، ومدحه الشعراء على ذلك.

قتل خليفة مصر

وفي ثاني ذي القعدة : قتل الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله بن المستعلي صاحب مصر، قتله الباطنية، وله من العمر أربع وثلاثون سنة، وكانت مدة خلافته تسعا وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفا، وكان هو العاشر من ولد عبيد الله المهدي ولما قتل، تغلب على الديار المصرية غلام من غلمانه أرمني، فاستحوذ على الأمور ثلاثة أيام، حتى حضر أبو على أحمد بن الأفضل ابن بدر الجمالي، فأقام الخليفة الحافظ أبا الميمون عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم المستنصر، وله من العمر ثمان وخمسون سنة، ولما أقامه استحوذ على الأمور دونه، وحصره في مجلسه، لا يدع أحدا يدخل إليه، إلا من يريد هو، ونقل الأموال من القصر إلى داره، و لم يبق للحافظ سوى الاسم فقط .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد

أبو إسحاق الكلبي، من أهل غزة ، جاوز الثمانين، وله شعر جيد في الأتراك فمنه :

في فتية منْ جُيوش الترك ما تركـتْ ... للرعـد كَرّاتُهـم صوتًـا ولا صيتًـا
قـومٌ إذَا قُوبِلُـوا كـانُوا مَلائكَةً ... حُسْنًـا وإنْ قُوتِلُوا كانوا عَفَارِيتَـا

وله :

ليتَ الذى بالعشقِ دُونَكَ خَصّنِى ... يا ظـالمى قَسَّـمَ المحبـةَ بيننـا
ألقـى الهزبـرَ فلاَ أخـافُ وثوبَه ... وَيَـرُوعُنِى نظـرُ الغـزالِ إذا رَنَـا

وله :

إنّمـا هـذه الحيـاةُ متـاعُ ... والسفيـهُ الغـوىُّ مَـنْ يَصْطَفِيهـا
مَـا مَضى فـاتَ والمؤمـلُ غيبٌ ... وَلَـكَ السـاعةُ التى أنـتَ فيهـا

وله :

قَالُوا : هَجَرْتَ الشِّعرَ قُلْتُ: ضرورةُ ... بـابُ الدواعـى والبواعث مغلـقُ
خلت الديارُ فـلا كريمٌ يُرْتَجَـى ... منْـه النَـوَالُ ولا مليـحٌ يُعْشَقُ

ومــن العجائب أنه لا يُشــتَرَى وَيُخَانُ فيه مــع الكســـادِ ويســرقُ

وكانت وفاته في هذه السنة، ببلاد بلخ ، ودفن بها

ومما أنشده ابن خلكان له :

إشــارةُ منْكَ تكفينا وأحسنُ مَــا ردَّ السلامَ غــداةَ البــين بالْعَنَم (١)

حتى إذا طَاحَ عنها المرطُ منْ دَهَشٍ وانْحَلّ بالضمّ سِلْكُ العَقْدِ فى الظلمِ

تَبَسَّمَتْ فأضــاءَ الليـــــلَ فالتقطـــتْ حبّــاتِ منتــثرٍ فى ضــوءِ منتظــمِ

الحسين بن محمد

ابن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب الدباس أبو عبد الله الشاعر، المعروف بالبارع، قرأ القراءات، وسمع الحديث، وكان عارفا بالنحو، واللغة، والأدب، وله شعر حسن، توفي في هذه السنة، وقد جاوز الثمانين.

محمد بن سعدون بن مرجا

أبو عامر العبدري القرشي الحافظ، أصله من بيروقة من بلاد المغرب، وبغداد، وسمع بها على طراد الزينبي، والحميدي، وغير واحد، وكانت له معرفة جيدة بالحديث، وكان يذهب في الفروع مذهب الظاهرية. توفي في ربيع الآخر في بغداد .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة

فيها: ضل دبيس عن الطريق في البرية، فأسره بعض أمراء الأعراب بأرض الشام، وحمله ملك دمشق بوري بن طغتكين، فباعه من زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل، بخمسين ألف دينار، فلما حصل في يده، لم يشك أنه سيهلكه، لما بينهما من العداوة، فأكرمه زنكي وأعطاه أموالا جزيلة، وقدمه، واحترمه، ثم جاءت رسل الخليفة في طلبه، فبعثه معهم، فلما وصل إلى الموصل، حبس في قلعتها. وفيها وقع بين الأخوين محمود ومسعود، فتواجها للقتال، ثم اصطلحا. وفيها: كانت وفاة الملك محمود بن ملكشاه ، فأقيم في الملك مكانه ابنه داود، وجعل له إتابك وزير أبيه، وخطب له بأكثر البلاد .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن عبد القاهر الصوفي

سمع الحديث، وتفقه بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وكان شيخا لطيفا عليه نور العبادة والعلم. قال ابن الجوزي أنشدني :

على كُلِّ حال فاجعل الحزمَ عُــدَّةً تُقَدِّمُهــا بينَ النوائب والدهـــــر

فإنْ نلْـــتَ خيــرًا نلْتَهُ بعَزيمَــة وإنْ قصّرتْ عَنْكَ الأمورُ فَعَنْ عُذْرَ

---

(١) الْعَنَمْ : شجرٌ لَيِّنُ الأغصان تشبه به بنان الجوارى والحسان – أطراف الأصابع ..

قال وأنشدني أيضا:

لبستُ ثوبَ الرجا والناسُ قد رقدوا — وقمتُ أشكو إلى مولاى ما أجــدُ
وقلتُ : يا عُدتى في كــلِّ نائبــة — وَمَنْ عليه لكشــف الضــرِّ اعتمــدُ
وقــد مددتُ يدى والضرُّ مشتملٌ — إليــكَ يا خيرَ مَنْ مُدَّتْ إليــه يــدُ
فــلا تردّنهــا يــا ربُّ خائبــةً — فَبَحْرُ جُــودِكِ يَرْوى كُــلَّ مَــنْ يَــرِدُ

الحسن بن سليمان

ابن عبد الله بن عبد الغني أبوعلي الفقيه، مدرس النظامية، وقد وعظ بجامع القصر، وكان يقول: ما في الفقه منتهى، ولا في الوعظ مبتدى. توفي فيها، وغسله القاضي أبو العباس بن الرطبي، ودفن عند أبي إسحاق .

حماد بن مسلم

الرحبي الدباس، كان يذكر له أحوال، ومكاشفات، واطلاع على مغيبات، وغير ذلك من المقامات، ورأيت ابن الجوزي يتكلم فيه ويقول: كان عريا من العلوم الشرعية، وإنما كان ينفق على الجهال. وذكر عن ابن عقيل: أنه كان ينفر منه، وكان حماد الدباس يقول: ابن عقيل عدوي. قال ابن الجوزي: وكان الناس ينذرون له، فيقبل ذلك، ثم ترك ذلك، وصار يأخذ من المنامات، وينفق على أصحابه. توفي في رمضان، ودفن في الشونيزية .

علي بن المستظهر بالله

أخو الخليفة المسترشد، توفي في رجب منها، وله من العمر إحدى وعشرون سنة، فترك ضرب الطبول، وجلس الناس للعزاء أياما .

محمد بن أحمد

ابن أبي الفضل الماهاني، أحد أئمة الشافعية، تفقه بإمام الحرمين، وغيره، ورحل في طلب الحديث، ودرس، وأفتى، وناظر، توفي فيها وقد جاوز التسعين، ودفن بقرية ماهان،من بلاد مرو.

محمود السلطان ابن السلطان ملكشاه

كان من خيار الملوك، فيه حلم، وأناة، وصلابة، وجلسوا للعزاء به ثلاثة أيام، سامحه الله.

هبة الله بن محمد

ابن عبد الواحد بن العباس بن الحصين، أبو القاسم الشيباني، راوي المسند، عن علي بن المهذب عن أبي بكر بن مالك، عن عبد الله بن أحمد، عن أبيه، وقد سمع قديما، لأنه ولد سنة ثنتين وثلاثين وأربعمائة، وباكر به أبوه، فأسمعه، ومعه أخوه عبد الواحد، على جماعة من علية المشايخ، وقد روى عنه ابن الجوزي، وغير واحد، وكان ثقة، ثبتا، صحيح السماع، توفي بين الظهر والعصر، يوم الأربعاء منها، وله ثلاث وتسعون سنة، رحمه الله، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة

فيها: قدم مسعود بن محمد بن ملكشاه بغداد، وقدمها قراجا الساقي، وسلجوق شاه بن محمد، وكل منهما يطلب الملك لنفسه، وقدم عماد الدين زنكي، لينضم إليهما، فتلقاه الساقي، فهزمه، فهرب منه إلى تكريت، فخدمه نائب قلعتها نجم الدين أيوب، والد الملك صلاح الدين يوسف، فاتح بيت المقدس، كما سيأتي إن شاء الله؛ حتى عاد إلى بلاده، وكان هذا هو السبب، في مصير نجم الدين أيوب إليه وهو بحلب، فخدم عنده، ثم كان من الأمور ما سيأتي إن شاء الله تعالى. ثم إن الملكين مسعود وسلجوق شاه اجتمعا، فاصطلحا، وركبا إلى الملك سنجر، فاقتتلا معه، وكان جيشه مائة وستين ألفا، وكان جيشهما قريبا من ثلاثين ألفا، وكان جملة من قتل بينهما أربعين ألفا، وأسر جيش سنجر قراجا الساقي، فقتله صبرا بين يديه، ثم أجلس طغرل بن محمد على سرير الملك، وخطب له على المنابر، ورجع سنجر إلى بلاده، وكتب طغرل إلى دبيس وزنكي ليذهبا إلى بغداد، ليأخذاها، فأقبلا في جيش كثيف، فبرز إليهما الخليفة، فهزمهما، وقتل خلقا من أصحابهما، وأزاح الله شرهما عنه، ولله الحمد. وفيها: قتل أبو علي بن الأفضل بن بدر الجمالي وزير الحافظ الفاطمي، فنقل -الحافظ الأموال التي كان أخذها إلى داره، واستوزر بعده أبا الفتح، يانس الحافظي، ولقبه أمير الجيوش، ثم احتال، فقتله، واستوزر ولده حسنا، وخطب له بولاية العهد. وفيها: عزل المسترشد وزيره علي بن طراد الزينبي، واستوزر أنو شروان بن خالد بعد تمنع. وفيها: ملك دمشق شمس الملوك إسماعيل بن بوري بن طغتكين، بعد وفاة أبيه، واستوزر يوسف بن فيروز، وكان خيرا. ملك بلادا كثيرة، وأطاعه إخوته .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن عبيد الله

ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن حمدان بن عمر بن عيسى بن إبراهيم بن غنثة ابن يزيد السلمي، ويعرف بابن كادس العكبري، أبو العز البغدادي، سمع الحديث الكثير، وكان يفهمه، ويرويه، وهو آخر من روى عن الماوردي، وقد أثنى عليه غير واحد، منهم أبو محمد بن الخشاب، وكان محمد بن ناصر يتهمه، ويرميه بأنه اعترف بوضع حديث، فالله أعلم. وقال عبد الوهاب الأنماطي كان مخلطا، توفي في جمادى الأولى منها .

محمد بن محمد بن الحسين

ابن القاضي أبي يعلي بن الفراء الحنبلي، ولد في شعبان سنة إحدى وخمسين وأربعمائة، سمع أباه وغيره، وتفقه وناظر وأفتى ودرس، وكان له بيت فيه مال، فعدي عليه من الليل، فقتل، وأخذ ماله، ثم أظهر الله عز وجلّ على قاتله، فقتلوه .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة

في صفر منها: دخل السلطان مسعود إلى بغداد، فخطب له بها، وخلع عليه الخليفة، وولاه السلطنة، ونثر الدنانير والدراهم على الناس، وخلع على السلطان داود بن محمود. وفيها: جمع دبيس جمعا كثيرا بواسط، فأرسل إليه السلطان جيشا، فكسروه، وفرقوا شمله، ثم إن الخليفة عزم على الخروج إلى الموصل ليأخذها من يد زنكي، فعرض عليه زنكي من الأموال والتحف شيئا كثيرا، ليرجع عنه، فلم يقبل، ثم بلغه أن السلطان مسعود قد اصطلح مع دبيس، وخلع عليه، فكر راجعا سريعا إلى بغداد سالما معظما. وفيها: مات ابن الزاغوني أحد أئمة الحنابلة، فطلب حلقته ابن الجوزي، وكان شابا، فحصلت لغيره، ولكن أذن له الوزير أنوشروان في الوعظ، فتكلم في هذه السنة على الناس في أماكن متعددة من بغداد، وكثرت مجالسه، وازدحم عليه الناس. وفيها: ملك شمس الملوك إسماعيل صاحب دمشق : مدينة حماة ، وكانت بيد زنكي. وفي ذي الحجة، نهب التركمان مدينة طرابلس، وخرج إليهم القومص ـــ لعنه الله ـــ الفرنجي، فهزموه، وقتلوا خلقاً من أصحابه، وحاصروه فيها مدة طويلة، حتى طال الحصار، فانصرفوا. وفيها: تولى قاسم بن أبي فليتة مكة بعد أبيه. وفيها: قتل شمس الملوك أخاه سونج، وفيها: اشتري الباطنية قلعة حصن القدموس بالشام، فسكنوها، وحاربوا من جاورهم من المسلمين والفرنج. وفيها: اقتتلت الفرنج فيما بينهم قتالاً شديداً، فمحق الله بسبب ذلك خلقاً كثيراً، وغزاهم فيها عماد الدين زنكي، فقتل منهم ألف قتيل، وغنم أموالاً جزيلة، يقال لها: غزوة أسوار. وحج بالناس فيها قطز الخادم، وكذا في التي بعدها، وقبلها .

وتوفي فيها من الأعيان :

أحمد بن سلامة

ابن عبد الله بن مخلد بن إبراهيم، أبو العباس بن الرطبي، تفقه على أبي إسحاق وابن الصباغ ببغداد، وبأصبهان على محمد بن ثابت الخجندي، ثم تولى الحكم ببغداد بالحريم، والحسبة ببغداد، وكان يؤدب أولاد الخليفة، توفي في رجب منها، ودفن عند أبي إسحاق .

أسعد بن أبي نصر بن أبي الفضل

أبو الفتح الميهني مجد الدين، أحد أئمة الشافعية،وصاحب الخلاف والمطروقة، وقد درس بالنظامية في سنة سبع عشرة وخمسمائة إلى ثلاث وعشرين، فعزل عنها، واستمر أصحابه هنالك، وقد تقدم في سنة سبع عشرة أنه وليها، وأنه توفي في سنة ثلاث وعشرين. وقال ابن خلكان: توفي سنة سبع وعشرين .

ابن الزاغوني الحنبلي

علي بن عبد الله بن نصر بن السري الزاغوني، الإمام المشهور، قرأ القراءات وسمع الحديث، واشتغل بالفقه والنحو واللغة، وله المصنفات الكثيرة في الأصول والفروع، وله يد في الوعظ، واجتمع الناس في جنازته، وكانت حافلة جداً .

الحسن بن محمد

ابن إبراهيم البورباري، من قراء أصبهان، سمع الحديث، ورحل وخرج وله تاريخ، وكان يكتب حسنا ويقرأ فصيحا، توفي بأصبهان في هذه السنة .

علي بن يعلى

ابن عوض، أبو القاسم العلوي الهروي، سمع مسند أحمد من أبي الحصين، والترمذي من أبي عامر الأزدي، وكان يعظ الناس بنيسابور، ثم قدم بغداد، فوعظ بها، فحصل له القبول التام، وجمع أموالا وكتبا. قال ابن الجوزي: وهو أول من سلكني في الوعظ، وتكلمت بين يديه وأنا صغير، وتكلمت عند انصرافه .

محمد بن أحمد

ابن يحيي أبو عبد الله العثماني الديباجي، وكان ببغداد يعرف بالمقدسي، كان أشعري الاعتقاد، ووعظ الناس ببغداد، قال ابن الجوزي: سمعته ينشد في مجلسه قوله :

دَعْ دُمُوعِي يَحــقُّ لي أنْ أنوحــَا ... لم تدعْ لي الذنوبُ قلبــاً صحيحــاً
أخْلَقَتْ مُهْجَتي أكــفُّ المعاصــي ... ونَعَاني المشيبُ نعيــاً فصيحــاً
كُلَّمَا قلتُ : قد برا جُــرْحُ قلــبي ... عــادَ قلــبي من الذنــوب جَرِيحَــا
إنّمــا الفـــوزُ والنعيــمُ لعبــد ... جــاءَ في الحــشرِ آمِنــاً مُسْتَرِيحــاً

محمد بن محمد

ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن خلف بن حازم بن أبي يعلي بن الفراء، الفقيه ابن الفقيه، ولد سنة سبع وخمسين وأربعمائة، سمع الحديث، وكان من الفقهاء، الزاهدين، الأخيار، توفي في صفر منها .

أبو محمد عبد الجبار

ابن أبي بكر محمد بن حمديس الأزدي، الصقلي، الشاعر المشهور، وأنشد له ابن خلكان: أشعاراً رائقة، فمنها قوله :

قُمْ هَاتِها مِنْ كفِّ ذات الوشاحِ [1] ... فقد نعــى الليــلَ بشـيرُ الصبــاحِ
باكرْ إلى اللــذات واركَــبْ لهــا ... ســوابقَ اللهـــو ذوات المـــراحِ
مِنْ قبلِ أنْ ترشفَ شمسُ الضحــى ... ريقَ الغوادي من ثغــورِ الأقـــاحِ [2]

ومن جملة معانيه النادرة :

زادتْ على كُحْلِ الجُفُونِ تَكَحُّــلاً ... وتَسُمُّ نَصْلَ السَّهْــمِ وهو قَتُـــولُ

---

(١) الوشَاحُ : بكسر الواو شيء ينسج من أدم عريضًا ويُرَصَّعُ بالجواهر وتَشُدُّه المرأة بين عَاتقها وكَشْحها .

(٢) الغوادى : الغيداء الفتاة الناعمة اللينة المتثنية . الأقاح : مفردها : أُقْحُوَانة ، وقُحْوَانة : نبات أوراق زهره مفلّجة صغيرة طيب الريح يشبّهون بها الأسنان .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

فيها: اصطلح الخليفة وزنكي. وفيها: فتح زنكي قلاعا كثيرة، وقتل خلقا من الفرنج. وفيها: فتح شمس الملوك الشقيف تيروت، ونهب بلاد الفرنج. وفيها: قدم سلجوق شاه بغداد، فنـــزل بدار المملكة، وأكرمه الخليفة، وأرسل إليه عشرة آلاف دينار، ثم قدم السلطان مسعود، وأكثر أصحابه ركاب على الجمال لقلة الخيل. وفيها: تولى إمرة بني عقيل أولاد سليمان بن مهارش العقيلي، إكراما لجدهم. وفيها: أعيد ابن طراد إلى الوزارة، وفيها: خلع على إقبال المسترشدي خلع الملوك، ولقب ملك العرب سيف الدولة، ثم ركب في الخلع، وحضر الديوان. وفيها: قوي أمر الملك طغرل، وضعف أمر الملك مسعود .
وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن علي بن إبراهيم

أبو الوفا الفيروزأبادي، أحد مشايخ الصوفية، سكن رباط الزوزني، وكان كلامه يستحلى وكان يحفظ من أخبار الصوفية، وسيرهم، وأشعارهم، شيئاً كثيراً .

أبو علي الفارقي

الحسن بن إبراهيم بن مرهون أبو علي الفارقي، ولد سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، وتفقه بها على أبي عبد الله محمد بن بيان الكازروني، صاحب المحاملي، ثم على الشيخ أبي إسحاق، وابن الصباغ، وسمع الحديث، وكان يكرر على المهذب والشامل، ثم ولي القضاء بواسط، وكان حسن السيرة، جيد السريرة، ممتعاً بعقله وحواسه، إلى أن توفي في محرم هذه السنة، عن ست وسبعين سنة .

عبد الله بن محمد

ابن أحمد بن الحسن، أبو محمد بن أبي بكر الشاشي، سمع الحديث، وتفقه على أبيه، وناظر، وأفتى، وكان فاضلا، واعظا، فصيحا، مفوهاً، شكره ابن الجوزي في وعظه، وحسن نظمه، ونثره، ولفظه، توفي في المحرم وقد قارب الخمسين، ودفن عند أبيه .

محمد بن أحمد

ابن علي بن أبي بكر العطان، ويعرف بابن الحلاج البغدادي، سمع الحديث، وقرأ القراءات، وكان خيرا، زاهدا، عابدا، يتبرك بدعائه، ويزار .

محمد بن عبد الواحد الشافعي

أبو رشيد، من أهل آمل طبرستان، ولد سنة سبع وثلاثين وأربعمائة، وحج وأقام بمكة، وسمع من الحديث شيئاً يسيراً، وكان زاهداً، منقطعاً عن الناس مشتغلاً بنفسه، ركب مرة مع تجار في البحر، فأوفوا على جزيرة. فقال: دعوني في هذه أعبد الله تعالى. فمانعوه، فأبى إلا المقام

بها. فتركوه، وساروا، فردهم الريح إليه، فقالوا: إنه لا يمكن المسير إلا بك، وإذا أردت المقام بها فارجع إليها. فسار معهم، ثم رجع إليها، فأقام بها مدة، ثم ترحل عنها، ثم رجع إلى بلده آمل، فمات بها رحمه الله. ويقال: إنه كان يقتات في تلك الجزيرة بأشياء موجودة فيها، وكان بها ثعبان يبتلع الإنسان، وبها عين ماء، يشرب منها ويتوضأ منها، وقبره شهير بآمل يزار .

أم الخليفة

المسترشد : توفيت ليلة الاثنين بعد العتمة، تاسع عشر شوال منها، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة

فيها: كانت وفاة المسترشد، وولاية الراشد، وكان سبب ذلك، أنه كان بين السلطان مسعود وبين الخليفة واقع كبير، اقتضى الحال أن الخليفة أراد قطع الخطبة له من بغداد، فاتفق موت أخيه طغرل بن محمد بن ملكشاه، فسار إلى البلاد، فملكها، وقوي جأشه، ثم شرع يجمع العساكر ليأخذ بغداد من يد الخليفة، فلما علم الخليفة بذلك انزعج واستعد لذلك، وقفز جماعة من رءوس الأمراء إلى الخليفة خوفا على أنفسهم من سطوة الملك مسعود، وركب الخليفة من بغداد في جحافل كثيرة، فيهم القضاة ورؤوس الدولة، من جميع الأصناف، فمشوا بين يديه أول منـــزلة، حتى وصل إلى السرادق، وبعث بين يده مقدمة، وأرسل الملك مسعود مقدمة، عليهم دبيس بن صدقة بن منصور، فجرت خطوب كثيرة، وحاصل الأمر أن الجيشين التقيا في عاشر رمضان يوم الاثنين، فاقتتلوا قتالا شديدا، ولم يقتل من الصفين سوى خمسة أنفس، ثم حمل الخليفة على جيش مسعود فهزمهم، ثم تراجعوا، فحملوا على جيش الخليفة فهزموهم، وقتلوا منهم خلقا كثيرا، وأسروا الخليفة، ثم نهبت أموالهم وحواصلهم، من جملة ذلك أربعة آلاف ألف دينار، وغير ذلك من الأثاث والخلع والآنية والقماش، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وطار الخبر في الأقاليم بذلك، وحين بلغ الخبر إلى بغداد، انزعج الناس لذلك، وزلزلوا زلزالاً شديداً، صورة ومعنى، وجاءت العامة إلى المنابر، فكسروها، وامتنعوا من حضور الجماعات، وخرج النساء في البلد حاسرات، ينحن على الخليفة، وما جرى عليه من الأسر، وتأسى بأهل بغداد في ذلك خلق كثير من أهل البلاد، وتمت فتنة كبيرة وانتشرت في الأقاليم، واستمر الحال على ذلك شهر ذي القعدة، والشناعة في الأقاليم منتشرة، فكتب الملك سنجر إلى ابن أخيه يحذره غب ذلك، عاقبة ما وقع فيه من الأمر العظيم، ويأمره أن يعيد الخليفة إلى مكانه، ودار خلافته، فامتثل الملك مسعود ذلك، وضرب للخليفة سرادق عظيم، ونصب له فية قبة عظيمة، وتحتها سرير هائل، وألبس السواد على عادته، وأركبه بعض ما كان يركبه من مراكبه، وأمسك لجام الفرس، ومشى في خدمته، والجيش كلهم مشاة، حتى أجلس الخليفة على سريره، ووقف الملك مسعود، فقبل الأرض بين يديه، وخلع الخليفة عليه، وجيء بدبيس مكتوفاً وعن يمينه أميران،

وعن يساره أميران، وسيف مسلول، ونسعة [(١)] بيضاء، فطرح بين يدي الخليفة ماذا يرسم تطبيبا لقلبه، فأقبل السلطان، فشفع في دبيس وهو ملقي يقول: العفو يا أمير المؤمنين، أنا أخطأت، والعفو عند المقدرة. فأمر الخليفة بإطلاقه وهو يقول: برنامج ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ﴾ [يوسف:٩٢] . فنهض قائما، والتمس أن يقبل يد الخليفة، فأذن له فقبلها، وأمرها على وجهه وصدره. وسأل العفو عنه، وعما كان منه، واستقر الأمر على ذلك، وطار هذا الخبر في الآفاق، وفرح الناس بذلك فلما كان مستهل ذي الحجة، جاءت الرسل من جهة الملك سنجر إلى ابن أخيه، يستحثه على الإحسان إلى الخليفة وأن يبادر إلى سرعة رده إلى وطنه، وأرسل مع الرسل جيشا، ليكونوا في خدمة الخليفة إلى بغداد، فصحب الجيش عشرة من الباطنية، فلما وصل الجيش، حملوا على الخليفة، فقتلوه في خيمته، وقطعوه قطعا، ولم يلحق الناس منه إلا الرسوم، وقتلوا معه أصحابه منهم عبيد الله بن سكينة، ثم أخذ أولئك الباطنية، فأحرقوا ــ قبحهم الله ــ وقيل: إنهم كانوا مجهزين لقتله، فالله أعلم. وطار هذا الخبر في الآفاق فاشتد حزن الناس على الخليفة المسترشد، وخرجت النساء في بغداد حاسرات عن وجوههن ينحن في الطرقات قتل على باب مراغة في يوم الخميس سابع عشر ذي الحجة، وحملت أعضاؤه إلى بغداد، وعمل عزاؤه ثلاثة أيام، بعد ما بويع لولده الراشد .

وقد كان المسترشد شجاعا مقداما، بعيد الهمة، فصيحا، بليغا، عذب الكلام، حسن الإيراد، مليح الخط، كثير العبادة، محببا إلى العامة والخاصة، وهو آخر خليفة رؤي خطيبا، قتل وعمره خمس وأربعون سنة وثلاثة أشهر، وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوما، وكانت أمه أم ولد من الأتراك رحمه الله .

خلافة الراشد بالله

أبي جعفر منصور بن المسترشد، كان أبوه قد أخذ له العهد، ثم أراد أن يخلعه، فلم يقدر على ذلك، لأنه لم يغدر. فلما قتل أبوه بباب مراغة في يوم الخميس السابع عشر من ذي القعدة، من سنة تسع وعشرين وخمسمائة، بايعه الناس، والأعيان، وخطب له على المنابر ببغداد، وكان إذ ذاك كبيرا له أولاد، وكان أبيض، جسيما، حسن اللون، فلما كان يوم عرفة من هذه السنة، جيء بالمسترشد، وصلي عليه ببيت التوبة، وكثر الزحام، وخرج الناس لصلاة العيد من الغد وهم في حزن شديد على المسترشد، وقد ظهر الرفض قليلا في أول أيام الراشد .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن الحسين

ابن عمرو أبو المظفر بن أبي بكر الشاشي، تفقه بأبيه، واخترمته المنية بعد أخيه، ولم يبلغ سن الرواية .

---

(١) النسعة: حبل من جلد عريض تشد به الرحال .

إسماعيل بن عبد الله

ابن علي أبو القاسم الحاكم، تفقه بإمام الحرمين، وكان رفيق الغزالي، يحترمه، ويكرمه، وكان فقيها بارعا، وعابدا ورعا، توفي بطوس، ودفن إلى جانب الغزالي .

دبيس بن صدقة

ابن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد، أبو الأعز الأسدي، الأمير من بيت الإمرة، وسادة الأعراب، كان شجاعا بطلا، فعل الأفاعيل وتمرق [1] في البلاد، من خوفه من الخليفة، فلما قتل الخليفة، عاش بعده أربعة وثلاثين يوما، ثم اتهم عند السلطان بأنه قد كاتب زنكي ينهاه عن القدوم إلى السلطان، ويحذره منه، ويأمره أن ينجو بنفسه، فبعث إليه السلطان غلاما أرمنيا فوجده منكسا رأسه، يفكر في خيمته، فما كلمه حتى شهر سيفه فضربه فأبان [2] رأسه عن جثته، ويقال: بل استدعاه، فقتله صبرا بين يديه، فالله أعلم .

طغرل السلطان ابن السلطان محمد بن ملكشاه

توفي بهمذان، يوم الأربعاء، ثالث المحرم منها .

علي بن محمد النروجاني

كان عابدا زاهدا، حكي ابن الجوزي عنه: أنه كان يقول : بأن القدرة تتعلق بالمستحيلات، ثم أنكر ذلك، وعذره لعدم تعقله لما يقول، ولجهله .

الفضل أبو منصور

أمير المؤمنين المسترشد بالله تقدم شيء من ترجمته. والله أعلم. كان من خيار الخلفاء العباسيين شهما شجاعا يباشر الحروب بنفسه وقد أسلفنا ذلك فيما تقدم . قتلته الباطنية بباب مبارغة يوم الخميس السابع عشر من ذي القعدة من هذه السنة ثم نقل إلى بغداد فدفن بها رحمه الله وبل بالرحمة ثراه وجعل الجنة منـــزله ومأواه .

ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسمائة

فيها: وقع بين الخليفة الراشد وبين السلطان مسعود، بسبب أنه أرسل إلى الخليفة يطلب منه ما كان كتبه له والده المسترشد حين أسره، التزم له بأربعمائة ألف دينار، فامتنع من أداء ذلك وقال: ليس بيننا وبينكم إلا السيف. فوقع بينهما الخلف، فاستجاش السلطان بالعساكر، واستنهض الخليفة الأمراء، وأرسل إلى عماد الدين زنكي فجاء، والتف على الخليفة خلائق، وجاء في غضون ذلك السلطان داود بن محمود بن محمد بن ملكشاه، فخطب له الخليفة ببغداد، وخلع عليه، وبايعه على الملك، فتأكدت الوحشة بين السلطان والخليفة جدا، وبرز الخليفة إلى

---

(١) المروق: الخروج .

(٢) أبان: فصل .

ظاهر بغداد، ومشى الجيش بين يديه كما كانوا يعاملون أباه، وذلك يوم الأربعاء سلخ شعبان، وخرج السلطان داود من جانب آخر، فلما بلغهم كثرة جيوش السلطان محمود، حسَّن عماد الدين زنكي للخليفة أن يذهب معه إلى الموصل، واتفق دخول مسعود إلى بغداد في غيبتهم، يوم الاثنين رابع شوال، فاستحوذ على دار الخلافة، بما فيها جميعه، ثم استخلص من نساء الخليفة وحظاياه الحلي، والمصاغ، والثياب التي للزينة، وغير ذلك، وجمع القضاة، والفقهاء، وأبرز لهم خط الراشد، أنه متى خرج من بغداد لقتال السلطان، فقد خلع نفسه من الخلافة، فأفتى من أفتى من الفقهاء بخلعه، فخلع في يوم الاثنين، سادس عشر شهر ذي القعدة، بحكم الحاكم، وفتيا الفقهاء، وكانت خلافته أحد عشر شهرا وأحد عشر يوما، واستدعى السلطان بعمه المقتفي بن المستظهر، فبويع بالخلافة، عوضا عن ابن أخيه الراشد بالله .

خلافة المقتفي لأمر الله

أبي عبد الله بن المستظهر، وأمه صفراء تسمى: نسيما، ويقال لها: ست السادة، وله من العمر يومئذ أربعون سنة، بويع بالخلافة بعد خلع الراشد بيومين، وخطب له على المنابر يوم الجمعة لعشرين من ذي القعدة، ولقب بالمقتفي، لأنه يقال: إنه رأى رسول الله ﷺ وهو في المنام، وهو يقول له: سيصل هذا الأمر إليك، فاقتف بي. فصار إليه بعد ستة أيام، فلقب بذلك .

فائدة حسنة ينبغي التنبيه عليها

ولي المقتفي والمسترشد الخلافة، وكانا أخوين: وكذلك السفاح والمنصور، وكذلك الهادي والرشيد. ابنا المهدي. وكذلك الواثق والمتوكل، ابنا المعتصم، أخوان. وأما ثلاثة إخوة: فالأمين، والمأمون، والمعتصم، بنو الرشيد. والمنتصر، والمعتز، والمعتمد بنو المتوكل. والمكتفي، والمقتدر، والقاهر، بنو المعتضد، والراضي، والمقتفي، والمطيع، بنو المقتدر، وأما أربعة إخوة: فلم يكن إلا في بني أمية وهم: الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام، بنو عبد الملك بن مروان.و لما استقر المقتفي بالخلافة،استمر الراشد ذاهبا إلى الموصل، صحبة صاحبها عماد الدين زنكي، فدخلها في ذي الحجة من هذه السنة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن حمويه

ابن محمد بن حمويه أبو عبد الله الجويني. روى الحديث، وكان صدوقا، مشهورا بالعلم والزهد، وله كرامات، دخل بغداد، فلما ودعهم بالخروج منها أنشدهم :

لَئِنْ كانَ لِي مِنْ بَعْدِ عـــودٍ إِلَيْكُـــمُ ... نصيبُ لُبَانَـــات [1] الفـــؤاد إليكُـــمُ
وَإِنْ تكنِ الأُخْرَى وفي الغيـــبِ غيرُه ... قضـــاهُ وإلا فَالسـلامُ عليكُـــمُ

(١) لُبَانات : واحدها : اللُّبَانة : الحاجات من غير فاقة .

محمد بن عبد الله

ابن أحمد بن حبيب، أبو بكر العامري، المعروف بابن الخباز، سمع الحديث، وكان يعظ الناس على طريق التصوف، وكان ابن الجوزي فيمن تأدب به، وقد أثنى عليه، وأنشد عنه، من شعره :

كيف احتيالي وهذا في الهوى حـــالي والشوقُ أملَكُ لي من عَذْلِ عـــذّالي؟
وكيف أشكو وفي حبّي لـــه شغـــلُ يحـــولُ بـــينَ مُهمَّـــاتي وأشغـــالي ؟

وكانت له معرفة بالفقه والحديث، وقد شرح كتاب الشهاب، وقد ابتنى رباطا وكان عنده فيه جماعة من المتعبدين والزهاد، ولما احتضر أوصاهم بتقوى الله عزَّ وجلّ، والإخلاص لله والدين، فلما فرغ، شرع في النـــزع وعرق جبينه، فمد يده، وقال بيتا لغيره :

ها قد بَسطتُ يدي إليـــك فَرُدَّهَـــا بالفضلِ لا بشماتَـــةِ الأعـــداءِ

ثم قال: أرى المشايخ بين أيديهم الأطباق، وهم ينتظرونني. ثم مات، وذلك ليلة الأربعاء نصف رمضان، ودفن برباطه، ثم غرق رباطه وقبره، في سنة أربعين وخمسمائة .

محمد بن الفضل

ابن أحمد بن محمد بن أبي العباس أبو عبد الله الصاعدي الفراوي، كان أبوه من ثغر فراوة، وسكن نيسابور، فولد له بها محمد هذا، وقد سمع الحديث الكثير على جماعة من المشايخ بالآفاق، وتفقه، وأفتى، وناظر، ووعظ، وكان ظريفا، حسن الوجه، جميل المعاشرة، كثير التبسم، وأملى أكثر من ألف مجلس، ورحل إليه الطلبة من الآفاق، حتى يقال: للفراوي ألف راوي. وقيل: إن ذلك كان مكتوبا في خاتمه. وقد أسمع صحيح مسلم قريبا من عشرين مرة، توفي في شوال منها، عن تسعين سنة .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة

فيها: كثر موت الفجأة بأصبهان، فمات ألوف من الناس، وأغلقت دور كثيرة. وفيها تزوج الخليفة بالخاتون فاطمة بنت محمد بن ملكشاه على صداق مائة ألف دينار، فحضر أخوها السلطان مسعود العقد، وجماعة من أعيان الدولة، والوزراء، والأمراء، ونثر على الناس أنواع النثار. وفيها صام أهل بغداد رمضان ثلاثين يوما، ولم يروا الهلال ليلة إحدى وثلاثين، مع كون السماء كانت مصحية. قال ابن الجوزي: وهذا شيء لم يقع مثله. وفيها: هرب وزير صاحب مصر، وهو تاج الدولة بهرام النصراني، وقد تمكن في البلاد، وأساء السيرة، فتطلبه الخليفة الحافظ، حتى أخذه، فسجنه، ثم أطلقه، فترهّب، وترك العمل، فاستوزر بعده رضوان بن الريحيني، ولقبه الملك الأفضل، ولم يلقب وزير قبله بهذا، ثم وقع بينه وبين الخليفة الحافظ، فلم يزل به الخليفة حتى قتله، واستقل بتدبير أموره وحده. وفيها: ملك عماد الدين زنكي عدة

بلدان. وفيها: طلع بالشام سحاب أسود، أظلمت له الدنيا، ثم ظهر بعده سحاب أحمر، كأنه نار أضاءت له الدنيا، ثم جاءت ريح عاصف، ألقت أشجارا كثيرة،ثم وقع مطر شديد،وسقط برد كبار.وفيها: قصد ملك الروم بلاد الشام، فأخذ بلادا كثيرة من أيدي الفرنج، وأطاعه ابن اليون ملك الأرمن .

ومن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن ثابت

ابن الحسن أبو سعد الخجندي، تفقه على والده الإمام أبي بكر الخجندي الأصبهاني، وولي تدريس النظامية ببغداد مرارا ويعزل عنها، وقد سمع الحديث، ووعظ، وتوفي في شعبان منها وقد قارب التسعين .

هبة الله بن أحمد

ابن عمر الحريري، يعرف بابن الطير، سمع الكثير، وهو آخر من روى عن أبي الحسن ابن زوج الحرة، وقد حدث عنه الخطيب، وكان ثبتا كثير السماع كثير الذكر والتلاوة، ممتعا بحواسه وقواه، إلى أن توفي في جمادى الأولى، عن ست وتسعين سنة .

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وخمسمائة

فيها: قتل الخليفة الراشد المخلوع،وذلك أنه اجتمع معه الملك داود، وجماعة من كبار الأمراء، فقصدوا قتال مسعود بأرض مراغة،فهزمهم،وبدد شملهم، وقتل منهم خلقا صبراً، منهم: صدقة بن دبيس وولي أخاه محمدا مكانه على الحلة،وهرب الخليفة الراشد المخلوع، فدخل أصبهان، فقتله رجل ممن كان يخدمه من الخراسانية، وكان قد برأ من وجع أصابه، فقتلوه في الخامس والعشرين من رمضان، ودفن بشهرستان ظاهر أصبهان. وقد كان حسن اللون، مليح الوجه شديد القوة مهيبا، أمه أم ولد. وفيها: كسى الكعبة رجل من التجار، يقال له: راست الفارسي بثمانية عشر ألف دينار، وذلك لأنه لم تأتها كسوة في هذا العام لأجل اختلاف الملوك. وفيها: كانت زلزلة عظيمة ببلاد الشام والجزيرة،والعراق،فانهدم شيء كثير من البيوت، ومات تحت الهدم خلق كثير.وفيها: أخذ الملك عماد الدين زنكي مدينة حمص في المحرم، وتزوج في رمضان بالست زمرد خاتون، أم صاحب دمشق، وهي التي تنسب إليها الخاتونية البرانية.وفيها: ملك صاحب الروم مدينة بزاعة، وهي على ستة فراسخ من حلب،فجاء أهلها الذين نجوا من القتل والسبي يستغيثون بالمسلمين ببغداد، فمنعت الخطبة ببغداد، وجرت فتن طويلة. وفيها تزوج السلطان مسعود، بسفري بنت دبيس بن صدقة، وزينت بغداد لذلك سبعة أيام .

قال ابن الجوزي: فحصل بسبب ذلك فساد عريض طويل منتشر.ثم تزوج ابنة عمه فزينت بغداد ثلاثة أيام أيضا. وفيها:ولد للسلطان الناصر صلاح يوسف بن أيوب بن شاري بقلعة تكريت.

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد

أبو بكر بن أبي الفتح الدينوري الحنبلي، سمع الحديث، وتفقه على أبي الخطاب الكلوذاني، وأفتى، ودرس، وناظر، وكان أسعد الميهني يقول عنه: ما اعترض أبو بكر الدينوري على دليل أحد إلا ثلمه [1]. وقد تخرج به ابن الجوزي، وأنشد :

تمنيتُ أنْ يمسي فَقيهًا مناظرًا ... بغير عَناء والجنونُ فنونُ
وليس اكتسابُ المالِ دونَ مشقة ... تلقّيتَها، فالعلمُ كيف يكونُ ؟

عبدُ المنعم بن عبد الكريم

ابن هوازن، أبو المظفر القشيري، وآخر من بقى منهم، سمع أباه، وأبا بكر البيهقي، وغيرهما، وسمع منه عبد الوهاب الأنماطي، وأجاز ابن الجوزي، وقارب التسعين .

محمد بن عبد الملك

ابن محمد بن عمر، أبو الحسن الكرخي، سمع الكثير في بلاد شتى، وكان فقيها مفتيا، تفقه بأبي إسحاق، وغيره من الشافعية، وكان شاعرا فصيحا، وله مصنفات كثيرة، منها " الفصول في اعتقاد الأمة الفحول " ، يذكر فيه مذاهب السلف في باب الاعتقاد، ويحكي فيه: أشياء غريبة حسنة، وله تفسير، وكتاب في الفقه وكان لا يقنت في الفجر، ويقول: لم يصح ذلك في حديث، وقد كان إمامنا الشافعي يقول: إذا صح الحديث فهو مذهبي، واضربوا بقولي الحائط. وقد كان حسن الصورة، جميل المعاشرة، ومن شعره قوله :

تناءتْ دارُه عني ولكنْ ... خيالُ جماله في القلب ساكنُ
إذا امتلأ الفؤادُ به فماذا ... يضرّ إذا خلتْ منه الأماكنُ ؟

توفي وقد قارب التسعين .

الخليفة الراشد

منصور بن المسترشد، قتل بأصبهان، بعد مرض أصابه. فقيل: إنه سم، وقيل: قتلته الباطنية، وقيل: قتله الفراشون الذين كانوا يلون أمره،فالله أعلم. وقد حكى ابن الجوزي: عن أبي بكر الصولي أنه قال: الناس يقولون: كل سادس يقوم بأمر الناس، من أول الإسلام، لابد أن يخلع. قال ابن الجوزي: فتأملت ذلك، فرأيته عجبا، قيام رسول الله ، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي ، ثم الحسن فخلعه معاوية ثم يزيد، ومعاوية بن يزيد، ومروان، وعبد الملك، ثم عبد الله بن الزبير فخلع، وقتل ثم الوليد، ثم سليمان، ثم عمر بن عبد العزيز،ثم يزيد، ثم هشام،ثم الوليد بن يزيد فخلع، وقتل ولم ينتظم لبني أمية بعده أمر حتى قام السفاح العباسي، ثم أخوه المنصور، ثم المهدي ، ثم الهادي ، ثم الرشيد ، ثم الأمين فخلع وقتل ، ثم المأمون، والمعتصم،

(١) ثلمه: أوجد فيه العلل .

والواثق، والمتوكل، والمنتصر، ثم المستعين فخلع، ثم قتل ثم المعتز،والمهتدي، والمعتمد، والمعتضد، والمكتفي. ثم المقتدر فخلع ثم أعيد، فقتل ثم القاهر،والراضي، والمتقي، والمكتفي، والمطيع، ثم الطائع فخلع ثم القادر، والقائم، والمقتدي، والمستظهر، والمسترشد، ثم الراشد فخلع، وقتل .

أنو شروان بن خالد

ابن محمد القاشاني القيني ، من قرية قين من قاشان، الوزير أبو نصر، وزر للسلطان محمود، وللخليفة المسترشد، وكان عاقلا، مهيبا، عظيم الخلقة، وهو الذي ألزم أبا محمد الحريري بتكميل (المقامات) ، وكان سبب ذلك، أن أبا محمد كان جالسا في مسجد بني حرام في محلة من محال البصرة، فدخل عليه شيخ ذو طمرين، فقالوا: من أنت؟ قال: أنا رجل من سروج، يقال لي: أبو زيد. فعمل الحريري (المقامة الحرامية) ، واشتهرت في الناس، فلما طالعها الوزير أنوشروان أعجب بها، وتكلف أبا محمد الحريري أن يزيد عليها غيرها، فزاد عليها غيرها، إلى تمام خمسين مقامة، فهي هذه المشهورة المتداولة بين الناس، وقد كان الوزير أنوشروان كريما، وقد مدحه الحريري صاحب (المقامات) .

ألا لَيْتَ شعرى والتمنيّ لعلّه ... وإن كان فيه راحةُ لأخى الكربِ
أتدرونَ أنّي مذ تناءتْ ديارُكم ... وشَطّ اقترابى من جنابكم الرحبِ؟
أكابدُ شوقاً ما أزالُ أداره ... يقلّبنى في الليل جنباً علَى جنب
وأذكرُ أيامَ التلاقي فانْثَنى ... لتذكارها باديَ الأسىَ طائرَ اللّبِّ
ولى حنّةُ في كلّ وقت إليكم ... ولا حنّةَ الصادى إلى الباردِ العذبِ
فو الله لو أنّي كتمتُ هواكُمُ ... لما كان مكتوماً بشرقِ ولا غربِ
وممَا شَجَا قَلْبي المعَنّي وشَفّهُ ... رِضَاكُم بإهمالِ الإجابةِ عن كتبي
وقد كنتُ لا أخَشْى مع الذنبِ جَفْوةً ... فقد صرتُ أخشاها وما لِيَ من ذنبِ
ولما سرى الوفدُ العراقِيُ نَحْوَكُم ... وأعوزَنَي المسْرَى إليكُمُ مع الركب
جعلتُ كتابي نائباً عن ضرورتى ... ومَنْ لم يجدْ ماءَ تيمّم بالتربِ
ويُعضّدّ أيضا بضعةُ من جوارحي ... تُنْبيكم عن سرِّ حالي وتستنبي
ولستُ أرى إذكارَكم بعد خيرِكم ... بمَكرمةِ، حسبي اعتذارُكم حسبي

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة

فيها: كانت زلزلة عظيمة، بمدينة جبرت، فمات بسببها مائتا ألف وثلاثون ألفا، وصار مكانها ماء أسود، عشرة فراسخ، في مثلها، وزلزل أهل حلب في ليلة واحدة ثمانين مرة. وفيها: وضع السلطان محمود مكوسا كثيرة عن الناس، وكثرت الأدعية له. وفيها: كانت وقعة عظيمة، بين السلطان سنجر، وخوارزم شاه، فهزمه سنجر، وقتل ولده في المعركة، فحزن عليه والده حزنا شديدا. وفيها: قتل صاحب دمشق شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري بن طغتكين

قتله ثلاثة من خواصه ليلا، وهربوا من القلعة، فأدرك اثنان، فصلبا، وأفلت واحد . وفيها: عزل اليهود والنصارى عن المباشرات، ثم أعيدوا قبل شهر، وحج بالناس فيها قطز الخادم .

وفيها توفي من الأعيان :

زاهر بن طاهر

ابن محمد، أبو القاسم بن أبي عبد الرحمن بن أبي بكر السحامي: المحدث، المكثر، الرحال الجوال، سمع الكثير، وأملى بجامع نيسابور ألف مجلس،و يقال: إنه كان به مرض يكثر بسببه الجمع بين الصلوات فتكلم فيه أبو سعد السمعاني، وقال: إنه كان يخل بالصلوات. وقد رد ابن الجوزي على السمعاني: بعذر المرض، ويقال : إنه كان به مرض، يكثر بسببه جمع الصلوات، فالله أعلم، وبلغ خمسا وثمانين سنة، توفى بنيسابور، في ربيع الآخر، ودفن بمقبرته .

يحيي بن يحيي بن علي

ابن أفلح، أبو القاسم الكاتب، وقد خلع عليه المسترشد، ولقبه جمال الملك، وأعطاه أربعة دور، وكانت له دار إلى جانبهن، فهدمهن كلهن، واتخذ مكانهن دارا هائلة، طولها ستون ذراعا في عرض أربعين ذرعا، وأطلق له الخليفة أخشابها، وآجرها، وطرازاتها، وكتب عليها أشعارا حسنة، من نظمه، ونظم غيره، فمن ذلك ما هو على باب دارها :

إنْ أُعجبَ الراءون من ظاهري ... فباطني لو علموا أعجبُ
شَدَّ باني من كفّه مُزْنَةٌ ... يخجلُ منها العارضُ الصيبُ
ورنّحتْ روضةُ أخلاقه ... في ديار نورها مذهبُ
صدرٌ كَسَى صدرىَ منْ نُوره ... شمساً على الأيامِ لا تغربُ

وعلى الطراز مكتوب :

ومن المروءة للفتى ... ما عاشَ دارٌ فاخرة
فاقنعْ منَ الدنيا بها ... واعملْ لدارِ الآخرة
هَاتيك وافيَتَ بما ... وَعَدْتَ وهاتى باترة

وفي موضع آخر مكتوب :

وناد كأن جنانَ الخلد ... أعارتْهُ من حُسْنها رَوْنَقا
وأعطتْه من حادثات الزمانَ ... أن لا يلمَّ به موبقا
فأضحى ينبّه على كلّ ما ... بنى مُعَرباً كان أو مُشرّقاً
تظلُّ الوفودُ به عُكّفًا ... ويُمْسى الضيوفُ به طرقاً
بقيتَ له يا جمالَ الملوك ... وذا الفضلِ مهما أردتَ البقا
وسالمه فيكَ ريبُ الزمانِ ... ورُقيتَ فيه الذى يتّقى

فما والله صدقت هذه الأماني، بل عما قريب الهمه الخليفة بأنه يكاتب دبيسا، فأمر بخراب داره تلك فلم يبق فيها جدارا. بل صارت خربة، بعد ما كانت قرة العيون، من أحسن المقام والقرار، وهذه حكمة الله، من تقلب الليل والنهار، وما تجري بمشيئة الأقدار، وهي حكمته، في كل دار بنيت بالأشر والبطر، وفي كل لباس لبس على التيه والكبر، والأشر. وقد أورد له ابن الجوزي: أشعارا حسنة من نظمه، وكلمات من نثره، فمن ذلك قوله :

دَعِ الهوى لأُناسٍ يعرفون به ... قد مارسوا الحبَّ حتى أصعبَه
أدخلتَ نَفْسَكَ فيماً لستَ تُجربُه ... والشيءُ صعبُ على مَنْ لا يُجربُه
أمِنَ اصطبارٍ وإن لم تستطعْ جَلَداً ... فربٌّ مدرك أمرٍ عزّ مطلبُه
أحْنِ الضلوعَ على قلب يخيّرني ... في كلِّ يومٍ يُعنّيني تقلبُه
تأرّجُ الريحُ من نجدٍ يُهيّجُه ... ولامعُ البرقِ من نغماتٍ يطربُه

وقوله:

هذه الخيفُ وهاتيكُ منى [1] ... فترفّقْ أيّها الحادي بنا
واحبسِ الركبَ علينا ساعةً ... نندبُ الدارَ ونبكي الوطنا
فلذا الموقف أعددتُ البكا ... ولذا اليومِ الدموعُ تقتني
يازماناً كُنّا فيه جيرةً ... فأعادَ اللهُ ذاك الزَّمَنَا
بيننا يوم ائتلاف نلتقي ... كان من غيرِ تراضٍ بيننا

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وخمسمائة

فيها: حاصر زنكي دمشق، فحصنها الأتابك معين الدين بن مملوك طغتكين، فاتفق موت ملكها جمال الدين محمود بن بوري بن طغتكين، فأرسل معين الدين إلى أخيه مجير الدين أتق، وهو ببعلبك، فملكه دمشق، فذهب زنكي إلى بعلبك، فأخذها، واستناب عليها نجم الدين أيوب صلاح الدين. وفيها: دخل الخليفة على الخاتون فاطمة بنت السلطان مسعود، وأغلقت بغداد أياما. وفيها: نودي للصلاة على رجل صالح، فاجتمع الناس بمدرسة الشيخ عبد القادر، فاتفق أن الرجل عطس فأفاق، وحضرت جنازة رجل آخر غيره، فصلى عليه ذلك الجمع الكثير .

وفيها: نقصت المياه من سائر الدنيا، وفيها: ولد صاحب حماه تقي الدين عمر شاهنشاه ابن أيوب بن شاري .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن جعفر

ابن الفرج أبو العباس الحربي، أحد العباد الزهاد، سمع الحديث، وكانت له أحوال صالحة، حتى كان يقال: إنه كان يري في بعض السنين بعرفات، ولم يحج في تلك السنة .

---

(١) مِنًى: اسم مكان قرب مكة به رمى الجمار والنحر من الحاج . والخيف– اسم مكان في منى وبه مسجد الخيف.

عبد السلام بن الفضل

أبو القاسم الجيلي، سمع الحديث، وتفقه على الكيا الهراسي، وبرع في الأصول، والفروع، وغير ذلك، وولي قضاء البصرة، وكان من خيار القضاة .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسمائة

فيها: وصلت البردة والقضيب إلى بغداد، وكانا مع المسترشد، حين هرب سنة تسع وعشرين وخمسمائة فحفظهما السلطان سنجر عنده حتى ردهما في هذه السنة. وفيها: كملت المدرسة الكمالية، المنسوبة إلى كمال الدين، أبي الفتوح حمزة بن طلحة، صاحب المخزن، ودرس فيها الشيخ أبو الحسن الحلي، وحضر عنده الأعيان .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إسماعيل بن محمد

ابن علي أبو القاسم الطلحي الأصبهاني، سمع الكثير، ورحل، وكتب، وأملى بأصبهان قريبا من ثلاثة آلاف مجلس،و كان إماما في الحديث،و الفقه، والتفسير،و اللغة، حافظا متقنا، توفي ليلة عيد الأضحى، وقد قارب الثمانين، ولما أراد الغاسل تنحية الخرقة عن فرجه ردها بيده، وقيل: إنه وضع يده على فرجه .

محمد بن عبد الباقي

ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الربيع بن ثابت بن وهب بن مسجعة بن الحارث بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري، سمع الحديث، وتفرد عن جماعة من المشايخ، وأملى الحديث في جامع القصر، وكان مشاركا في علوم كثيرة، وقد أسر في صغره، في أيدي الروم، فأرادوه على أن يتكلم بكلمة الكفر، فلم يفعل، وتعلم منهم خط الروم، وكان يقول: من خدم المحابر خدمته المنابر، ومن شعره الذي أورده له ابن الجوزي عنه، وسمعه منه قوله :

احفظْ لسَانَكَ لا تُبحْ بثلاثة ... سن ومال ، إنْ سُئلتَ ومذهبِ
فعلى الثلاثةِ تُبْتَلَى بثلاثةٍ ... بمُكَفِّرٍ وبحاسدٍ ومكذبِ

وقوله :

لي مدةً لابدَّ أبلُغُها ... فإذا انْقَضَتْ مِتُّ
لو عاندتْني الأسدُ ضَارِبةً ... ما ضَرّني ما لم يجئ الوقتُ

قال ابن الجوزي : بلغ من العمر ثلاثا وتسعين سنة، لم تتغير حواسه،و لا عقله، توفي ثاني رجب منها. وحضر جنازته الأعيان وغيرهم، ودفن قريبا من قبر بشر .

يوسف بن أيوب

ابن الحسن بن زهرة أبو يعقوب الهمداني، تفقه بالشيخ أبي إسحاق، وبرع في الفقه، والمناظرة، ثم ترك ذلك، واشتغل بالعبادة، وصحب الصالحين، وأقام بالجبال، ثم عاد إلى بغداد، فوعظ بها، وحصل له قبول. توفي في ربيع الأول، ببعض قرى هراة .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسمائة

فيها : كانت حروب كثيرة، بين السلطان سنجر وخوارزم شاه، فاستحوذ خوارزم على مرو بعد هزيمة سنجر، ففتك بها، وأساء التدبير، بالنسبة إلى الفقهاء الحنفية الذين بها، وكان جيش خوارزم ثلاثمائة ألف مقاتل. وفيها: تحمل عمل دمشق النهروز، وخلع نمروز شحنة بغداد على حباب صباغ الحرير الرومي، وركب هو والسلطان مسعود في سفينة في ذلك النهر، وفرح السلطان بذلك، وكان قد صرف السلطان على ذلك النهر سبعين ألف دينار. وفيها: حج كمال الدين طلحة صاحب المخزن، وعاد فتزهد، وترك العمل، ولزم داره. وفيها: عقدت الجمعة بمسجد العباسيين، بإذن الخليفة. وحج بالناس قطز .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إسماعيل بن أحمد بن عمر

ابن الأشعث، أبو القاسم بن أبي بكر السمرقندي الدمشقي ثم البغدادي، سمع الكثير، وتفرد بمشايخ، وكان سماعه صحيحا، وأملى بجامع المنصور مجالس كثيرة، نحو ثلاثمائة مجلس، توفي وقد جاوز الثمانين .

يحيى بن علي

ابن محمد بن علي ، أبو محمد بن الطراح المدبر، ولد سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وسمع الكثير، وأسمع، وكان شيخا حسنا، مهيبا كثير العبادة، توفي في رمضان منها .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وخمسمائة

فيها : ملك عماد الدين زنكي الحديثة ونقل آل مهارش منها إلى الموصل، ورتب فيها نوابا من جهته .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة

فيها : تجهز السلطان مسعود ليأخذ الموصل والشام من زنكي،فصالحه على مائة ألف دينار، فدفع إليه منها عشرين ألف دينار، وأطلق له الباقي، وسبب ذلك أن ابنه سيف الدين غازي كان لا يزال في خدمة السلطان مسعود. وفيها: ملك زنكي بعض بلاد بكر.و فيها: حصر الملك سنجر خوارزم شاه، ثم أخذ منه مالا وأطلقه. وفيها: وجد رجل يفسق بصبي، فألقي من رأس منارة، وفي ليلة الثلاثاء، الرابع والعشرين من ذي القعدة، زلزلت الأرض. وحج بالناس قطز .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الوهاب بن المبارك

ابن أحمد، أبو البركات الأنماطي، الحافظ الكبير، كان ثقة، دينا، ورعا، طليق الوجه، سهل الأخلاق، توفي في المحرم، عن ست وتسعين سنة .

علي بن طراد

ابن محمد الزينبي، الوزير، العباسي أبو القاسم نقيب النقباء على الطائفتين في أيام المستظهر، ووزر للمسترشد، وتوفي في رمضان، عن ست وسبعين سنة .

الزمخشري محمود

ابن عمر بن محمد بن عمر، أبو القاسم الزمخشري، صاحب (الكشاف في التفسير) ، و (المفصل في النحو) ، وغير ذلك من المصنفات المفيدة، وقد سمع الحديث، وطاف البلاد، وجاور بمكة مدة، وكان يظهر مذهب الاعتزال، ويصرح بذلك في تفسيره، ويناظر عليه، وكانت وفاته بخوارزم، ليلة عرفة منها، عن ست وسبعين سنة .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة

فيها : أخذ العماد زنكي الرها، وغيرها من حصول الجزيرة، من أيدي الفرنج، وقتل منهم خلقا كثيرا، وسبي نساء كثيرة، وغنم أموالا جزيلة، وأزال عن المسلمين كربا شديدا. وحج بالناس قطز الخادم، وتنافس هو وأمير مكة، فنهب الحجيج وهم يطوفون .

وفيها توفي من الأعيان :

إبراهيم بن محمد بن منصور

ابن عمر أبو الوليد الكرخي، تفقه بأبي إسحاق، وأبي سعد المتولي، حتى صار أوحد زمانه، فقها وصلاحا، مات في هذه السنة .

سعد بن محمد

ابن عمر بن منصور البزار، سمع الحديث، وتفقه بالغزالي، والشاشي، والمتولي، والكيا، وولي تدريس النظامية، وكان له سمت حسن، ووقار، وسكون، وكان يوم جنازته مشهودا، ودفن عند أبي إسحاق .

عمر بن إبراهيم

ابن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، القرشي العلوي، أبو البركات الكوفي، ثم البغدادي، سمع الكثير، وكتب كثيرا، وأقام بدمشق مدة، وكان له معرفة جيدة بالفقه، والحديث، والتفسير، واللغة، والأدب، وله تصانيف في النحو، وكان خشن العيش، صابرا محتسبا، توفي في شعبان من هذه السنة، عن سبع وتسعين سنة، رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة أربعين وخمسمائة

فيها :حصر علي بن دبيس أخاه محمدا، ولم يزل يحاصره حتى اقتلع من يده الحلة، وملكها، وفي رجب منها دخل السلطان مسعود بغداد، خوفا من اجتماع عباس صاحب الري، ومحمد شاه بن محمود، ثم خرج منها في رمضان، وحج بالناس أرجوان، مملوك أمير الجيوش، بسبب ما كان وقع بين قطز وأمير مكة في السنة الماضية

ومن توفي من الأعيان :

أحمد بن محمد

ابن الحسن بن علي بن أحمد بن سليمان، أبو سعد الأصبهاني، ثم البغدادي، سمع الحديث، وكان على طريقة السلف، حلو الشمائل، مطرح الكلفة، ربما خرج إلى السوق بقميص، وقلنسوة. وحج إحدى عشرة حجة، وكان يملي الحديث، ويكثر الصوم، توفي بنهاوند، في ربيع الأول، من هذه السنة، وقد قارب الثمانين .

علي بن أحمد

ابن الحسين بن أحمد، أبو الحسن اليزدي، تفقه بأبي بكر الشاشي، وسمع الحديث، وأسمعه، وكان له ولأخيه قميص واحد، إذا خرج هذا لبسه وجلس الآخر في البيت عريانا وكذا الآخر .

موهوب بن أحمد

ابن محمد بن الخضر، أبو منصور الجواليقي، شيخ اللغة في زمانه، باشر مشيخة اللغة بالنظامية، بعد شيخه أبي زكريا التبريزي، وكان يؤم بالمقتفي، وربما قرأ الخليفة عليه شيئا من الكتب، وكان عاقلا، متواضعا في ملبسه، طويل الصمت، كثير الفكر، وكانت له حلقة بجامع القصر، أيام الجمع، وكان فيه لكنة، وكان يجلس إلى جانبه المغربي، معبر المنامات وكان فاضلاً، لكنه كان كثير النعاس في مجلسه، فقال فيهما بعض الأدباء :

بغدادُ عنـدى ذَنْبُها لـن يَغْفـرَا ... وعيوبُها مكشـوفةٌ لـن تسـترا
كـونُ الجواليقـي فيهـا مُمْليـاً ... لغـةً وكـونُ المغربـى مُعَـبِّرا
مأسور لِلُكْنَتِه يقولُ: فصاحـةً ... وليـوم يَقْظَتِـه يُعْـبَـرُ فى الكَـرَا

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وخمسمائة

في ليلة مستهل ربيع الأول منها: احترق القصر الذي بناه المسترشد، وكان في غاية الحسن، وكان الخليفة المقتفي قد انتقل بجواريه وحظاياه إليه، ليقيم فيه ثلاثة أيام، فما هو إلا أن ناموا، احترق عليهم القصر، بسبب أن جارية أخذت في يدها شمعة، فعلق لهبها ببعض الأخشاب، فاحترق القصر، وسلم الله الخليفة وأهله، فأصبح فتصدق بأشياء كثيرة، وأطلق خلقا

من المحبوسين. وفي رجب منها: وقع بين الخليفة والسلطان مسعود واقع، فبعث الخليفة إلى الجوامع والمساجد، فأغلقت ثلاثة أيام، حتى اصطلحا. وفي يوم الجمعة نصف ذي القعدة، جلس ابن العبادي الواعظ، فتكلم والسلطان مسعود حاضر، وكان قد وضع على الناس في البيع مكسا فاحشا، فقال في جملة وعظه: يا سلطان العالم أنت تطلق في بعض الأحيان للمغني إذا طربت قريبا مما وضعت على المسلمين من هذا المكس، فهبني مغنيا، وقد طربت، فهب لي هذا المكس، شكرا لنعم الله عليك. فأشار السلطان بيده، أن قد فعلت، فضج الناس بالدعاء له، وكتب بذلك سجلات، ونودي في البلد، بإسقاط ذلك المكس، ففرح الناس بذلك، ولله الحمد والمنة. وفيها: قل المطر جدا، وقلت مياه الأنهار، وانتشر جراد عظيم، وأصاب الناس داء في حلوقهم، فمات بذلك خلائق كثيرة، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفيها: قتل الملك عماد الدين زنكي ابن قيم الدولة التركي، صاحب الموصل، وحلب، وغيرها من البلاد الشامية، والجزيرة، وكان محاصرا قلعة جعبر، وفيها شهاب الدين سالم بن مالك العقيلي، فبرطل بعض مماليك زنكي، حتى قتلوه، في الليلة الخامسة من ربيع الأول، من هذه السنة. قال العماد الكاتب: كان سكرانا: فالله أعلم. وقد كان زنكي من خيار الملوك، وأحسنهم سيرة، وشكلا، وكان شجاعا، مقداما حازما، خضعت له ملوك الأطراف، وكان من أشد الناس غيرة على نساء الرعية، وأجود الملوك معاملة، وأرفقهم بالعامة، وقام بالأمر من بعد بالموصل ولده سيف الدولة، وبحلب نور الدين محمود، فاستعاد نور الدين هذا مدينة الرها، وكان أبوه قد فتحها. فلما مات عصوا، فقهرهم نور الدين. وفيها: ملك عبد المؤمن صاحب المغرب، وخادم ابن تومرت جزيرة الأندلس، بعد حروب طويلة. وفيها: ملكت الفرنج مدينة طرابلس الغرب، وفيها: استعاد صاحب دمشق مدينة بعلبك. وفيها جاء نجم الدين أيوب إلى صاحب دمشق، فسلمه القلعة، وأعطاه أمزيه عنده بدمشق. وفيها: قتل السلطان مسعود حاجبه عبد الرحمن بن طغرلبك، وقتل عباسا صاحب الري، وألقى رأسه إلى أصحابه، فانزعج الناس، ونهبوا خيام عباس هذا، وقد كان عباس من الشجعان المشهورين، قاتل الباطنية مع مخدومه جوهر، فلم يزل يقتل منهم، حتى بنى مأذنة من رءوسهم بمدينة الري. وفيها: مات نقيب النقباء ببغداد، محمد بن طراد الزينبي، فتولى بعده علي بن طلحة الزينبي. وفيها: سقط جدار على ابنة الخليفة، وكانت قد بلغت مبالغ النساء، فماتت فحضر جنازتها الأعيان. وحج بالناس قطز الخادم .

ومن توفي فيها من الأعيان :

زنكي بن آقسنقر

تقدم ذكر شيء من ترجمته، وهو أبو نور الدين محمود الشهيد، وقد أطنب الشيخ أبو شامة في (الروضتين) في ترجمته، وما قيل: فيه من نظم ونثر، رحمه الله .

سعد الخير

محمد بن سهل بن سعد، أبو الحسن المغربي الأندلسي الأنصاري، رحل وحصل كتبا نفيسة، وروى عنه ابن الجوزي، وغيره، وقد أوصى عند وفاته أن يصلي عليه الغزنوي، وأن يدفن عند قبر عبد الله بن الأمام أحمد، وحضر جنازته خلائق من الناس .

شافع بن عبد الرشيد

ابن القاسم، أبو عبد الله الجيلي الشافعي، تفقه على الكيا وعلى الغزالي، وكان يسكن الكرخ، وله حلقة بجامع المنصور، في الرواق. قال ابن الجوزي: وكنت أحضر حلقته .

عبد الله بن علي

ابن أحمد بن عبد الله، أبو محمد سبط أبي منصور الزاهد، قرأ القراءات، وصنف فيها، وسمع الحديث الكثير، واقتنى الكتب الحسنة، وأم في مسجده نيفا وخمسين سنة، وعلم خلقا القرآن. قال ابن الجوزي: ما سمعت أحدا أحسن قراءة منه، وحضر جنازته خلق كثير .

عباس شحنة الري

توصل إلى أن ملكها، ثم قتله مسعود، وقد كان كثير الصدقات، والإحسان إلى الرعية، وقتل من الباطنية خلقا، حتى بني من رءوسهم منارة بالري، وتأسف الناس عليه .

محمد بن طراد

ابن محمد الزينبي، أبو الحسن نقيب النقباء، وهو أخو علي بن طراد الوزير، سمع الكثير من أبيه، ومن عمه أبي نصر، وغيرهما، وقارب السبعين .

وجيه بن طاهر

ابن محمد بن محمد، أبو بكر الشحامي، أخو زاهر، وقد سمع الكثير من الحديث، وكانت له معرفة به، وكان شيخا حسن الوجه، سريع الدمعة، كثير الذكر جمع السماع إلى العمل إلى صدق اللهجة توفي ببغداد في هذه السنة .

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة

فيها: ملكت الفرنج، عدة حصون، من جزيرة الأندلس. وفيها: ملك نور الدين بن محمود زنكي عدة حصون من يد الفرنج بالسواحل. وفيها: خطب للمستنجد بالله بولاية العهد، من بعد أبيه المقتفي. وفيها: تولي عون بن يحيي بن هبيرة كتابة (ديوان الزمام) ، وولي زعيم الدين يحيي ابن جعفر صدرية المخزن المعمورة. وفيها: اشتد الغلاء بإفريقية، وهلك بسببه أكثر الناس، حتى خلت المنازل، وأقفلت المعاقل وفيها: تزوج سيف الدين غازي بنت صاحب ماردين، حسام الدين تمرتاش بن أرتق، بعد أن حاصره، فصالحه على ذلك، فحملت إليه، إلى الموصل، بعد سنتين، وهو مريض، قد أشرف على الموت، فلم يدخل بها، حتى مات، فتولى بعده على

الموصل أخوه قطب بن مودود، فتزوجها. قال ابن الجوزي: وفي صفر، رأى رجلا في المنام قائلا يقول له: من زار أحمد بن حنبل غفر له. قال: فلم يبق خاص، ولا عام، إلا زاره. قال ابن الجوزي: وعقدت يومئذ ثم مجلسا، فاجتمع فيه ألوف من الناس .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أسعد بن عبد الله

ابن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله، أبو منصور، سمع الحديث الكثير، وكان خيرا، صالحا، ممتعا بحواسه، وقواه، إلى حين الوفاة، وقد جاوز المائة، بنحو من سبع سنين .

أبو محمد عبد الله

ابن محمد بن خلف بن أحمد بن عمر اللخمي الأندلسي، الرباطي الحافظ، مصنف كتاب (اقتباس الأنوار والتماس الأزهار ، في أنساب الصحابة ورواة الآثار) وهو من أحسن التصانيف الكبار، قتل شهيدا، صبيحة يوم الجمعة، العشرين من جمادى، بالبرية

نصر الله بن محمد

ابن عبد القوي، أبو الفتح اللاذقي، المصيصي، الشافعي، تفقه بالشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي، بصور، وسمع بها منه، ومن أبي بكر الخطيب، وسمع ببغداد والأنبار وكان أحد مشايخ الشام، فقيها في الأصول والفروع، توفي فيها وقد جاوز التسعين بأربع سنين .

هبة الله بن علي

ابن محمد بن حمزة أبو السعادات بن الشجري النحوي، ولد سنة خمسين وأربعمائة، وسمع الحديث، وانتهت إليه رياسة النحاة. قال: سمعت بيتا في الذم، أبلغ من قول مكويه :

وما أنا إلا المسكُ قد ضَاعَ عِنْدَكُم ... يضيعُ وعند الأكثرينَ يَضُوعُ

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة

فيها: استغاث مجير الدين بن أتابك دمشق، بالملك نور الدين محمود صاحب حلب على الفرنج، فركب سريعا، فالتقي معهم بأرض بصرى، فهزمهم، ورجع، فنـزل على الكسوة، وخرج ملك دمشق مجير الدين أرتق، فخدمه، واحترمه، وشاهد الدماشقة حرمة نور الدين، حتى تمنوه. وفيها: ملكت الفرنج المهدية، وهرب منها صاحبها الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس بن منصور بن يوسف بن بلتكين بن زيري بأهله، وخاف على أمواله، فتمزقت في البلاد، وتمزق هو أيضا في البلاد، وأكلتهم الأقطار، وكان آخر ملوك بني باديس، وكان ابتداء ملكهم في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، فدخل الفرنج إليها، وخزائنها مشحونة بالحواصل، والأموال، والعدد، وغير ذلك، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفيها: حاصرت الفرنج وهم في سبعين

ألف مقاتل، ومعهم ملك الألمان، في خلق لا يعلمهم إلا الله عزّ وجلّ، دمشق، وعليها مجير الدين أرتق، وأتابكه معين الدين، وهو مدبر المملكة، وذلك يوم السبت سادس ربيع الأول، فخرج إليهم أهلها، في مائة ألف وثلاثين ألفا، فاقتتلوا معهم قتالا شديدا، قتل من المسلمين في أول يوم نحو من مائتي رجل، ومن الفرنج خلق كثير لا يحصون، واستمر الحرب مدة، وأخرج مصحف عثمان إلى وسط صحن الجامع، واجتمع الناس حوله، يدعون الله عزّ وجلّ، والنساء والأطفال مكشفى الرءوس يدعون، ويتباكون، والرماد مفروش في البلد، فاستغاث أرتق بنور الدين محمود صاحب حلب، وبأخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل، فقصداه سريعا في نحو من سبعين ألفا، بمن انضاف إليهم من الملوك، وغيرهم. فلما سمعت الفرنج بقدوم الجيش، تحولوا عن البلد، فلحقهم الجيش، فقتلوا منهم خلقا كثيرا، وجما غفيرا، وقتلوا قسيسا معهم اسمه إلياس، وهو الذي أغراهم بدمشق، وذلك أنه افترى مناما عن المسيح، أنه وعده فتح دمشق، فقتل لعنه الله وقد كادوا يأخذون البلد، ولكن الله سلم، وحماها بحوله وقوته. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج : ٤٠] ومدينة دمشق لا سبيل للأعداء من الكفرة عليها، لأنها المحلة التي أخبر رسول الله ﷺ عنها أنها معقل الإسلام عند الملاحم والفتن، وبها ينـــزل عيسى ابن مريم، وقد قتل الفرنج خلقا كثيرا من أهل دمشق، وممن قتلوا الفقيه الكبير، الملقب حجة الدين شيخ المالكية بها أبو الحجاج يوسف بن درناس الفندلاوي، بأرض النيرب، ودفن بمقابر باب الصغير، وكان مجير الدين قد صالح الفرنج عن دمشق ببانياس، فرحلوا عنها، وتسلموا بانياس. وفيها: وقع بين السلطان مسعود وأمرائه، ففارقوه، وقصدوا بغداد، فاقتتلوا مع العامة، فقتلوا منهم خلقا كثيرا، من الصغار، والكبار، ثم اجتمعوا قبال التاج، وقبلوا الأرض، واعتذروا إلى الخليفة مما وقع، وساروا نحو النهروان، فتفرقوا في البلاد، ونهبوا أهلها، فغلت الأسعار بالعراق بسبب ذلك ، وفيها: ولي قضاء القضاة ببغداد أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن الدامغاني، بعد وفاة الزينبي. وفيها: ملك سولي بن الحسين ملك الغور مدينة غزنة، فذهب صاحبها بهرام شاه بن مسعود، من أولاد سبكتكين، إلى فرغانة، فاستغاث بملكها، فجاء بجيوش عظيمة، فاقتلع غزنة من سولي، وأخذه أسيرا، فصلبه، وقد كان كريما جوادا، كثير الصدقات .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن محمد

ابن نبهان بن محرز الغنوي الرقي، سمع الحديث، وتفقه بالشاشي، والغزالي، وكتب شيئا كثيرا من مصنفاته، وقرأها عليه، وصحبه كثيرا، وكان مهيبا، كثير الصمت، توفي في ذي الحجة منها، وقد جاوز الثمانين .

شاهان شاه بن أيوب

ابن شادي، استشهد مع نور الدين، وهو والد الست عذار، واقفة العذارية، وتقي الدين عمر، واقف التقوية .

علي بن الحسين

ابن محمد بن علي الزينبي، أبو القاسم الأكمل بن أبي طالب نور الهدى بن أبي الحسن نظام الحضرتين ابن نقيب النقباء أبي القاسم بن القاضي أبي تمام العباسي، قاضي القضاة ببغداد وغيرها، سمع الحديث، وكان فقيها رئيسا وقورا، حسن الهيئة والسمت، قليل الكلام، سافر مع الخليفة الراشد إلى الموصل، وجرت له فصول، ثم عاد إلى بغداد، فمات بها في هذه السنة، وقد جاوز الستين، وكانت جنازته حافلة .

أبو الحجاج يوسف بن درباس

الفندلاوي، شيخ المالكية بدمشق، قتل يوم السبت سادس ربيع الأول، قريبا من الربوة في أرض النيرب، هو والشيخ عبد الرحمن الجلجولي أحد الزهاد قتلا معا رحمهما الله تعالى، والله سبحانه أعلم .

سنة أربع وأربعين وخمسمائة

فيها: كانت وفاة القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي قاضيها أحد مشايخ العلماء المالكية وصاحب المصنفات الكثيرة المفيدة منها : (الشفا) ، و (شرح مسلم) ، و(مشارق الأنوار) ، وغير ذلك، وله شعر حسن، وكان إماما في علوم كثيرة، كالفقه، واللغة، والحديث، والأدب، وأيام الناس، ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة، وتوفي يوم الجمعة، في جمادى الآخرة، وقيل: في رمضان، من هذه السنة، بمدينة سبتة. وفيها: غزا الملك نور الدين محمود بن زنكي. صاحب حلب بلاد الفرنج، فقتل منهم خلقا، وكان فيمن قتل البرنس صاحب إنطاكية، وفتح شيئا كثيرا من قلاعهم، ولله الحمد. وكان قد استنجد بمعين الدين بن أتابك دمشق، فأرسل إليه بفريق من جيشه صحبة الأمير مجاهد بن مروان بن ماس نائب صرخد، فأبلوا بلاء حسنا، وقد قال الشعراء في هذه الغزوة أشعارا كثيرة، منهم ابن القيسراني، وغيره، وقد سردها أبو شامة في (الروضتين). وفي يوم الأربعاء، ثالث ربيع الآخر، استوزر للخلافة أبو المظفر يحيي بن هبيرة، ولقب عون الدين، وخلع عليه. وفي رجب: قصد الملك شاه بن محمود بغداد، ومعه خلق من الأمراء، ومعه علي بن دبيس، وجماعة من التركمان، وغيرهم، وطلبوا من الخليفة أن يخطب له، فامتنع من ذلك، وتكررت المكاتبات، وأرسل الخليفة إلى السلطان مسعود يستحثه في القدوم، فتمادى عليه، وضاق النطاق، واتسع الخرق على الراقع، وكتب الملك سنجر إلى ابن أخيه يتوعده إن لم يسرع إلى الخليفة، فما جاء إلا في أواخر السنة، فانقشعت تلك الشرور كلها، وتبدلت سرورا أجمعها. وفي هذه السنة، زلزلت الأرض زلزالا شديدا، وتموجت الأرض عشر مرات، وتقطع جبل بحلوان، وانهدم الرباط النهر جوري، وهلك خلق كثير بالبرسام، لا يتكلم المرضي به حتى يموتوا. وفيها : مات سيف الدين غازي بن زنكي، صاحب الموصل، وملك بعده أخوه قطب

الدين مودود بن زنكي، وتزوج بامرأة أخيه، التي لم يدخل بها: الخاتون بنت تمرتاش بن إيلغازي ابن أرتق، صاحب ماردين، فولدت له أولادا، كلهم ملكوا الموصل، وكانت هذه المرأة، تضع خمارها بين خمسة عشر ملكا .

وفيها: سار نور الدين إلى سنجار، ففتحها، فجهز إليه أخوه قطب الدين مودود جيشا ليرده عنها، ثم اصطلحا، فعوضه منها الرحبة، وحمص، واستمرت سنجار لقطب الدين، وعاد نور الدين إلى بلده. ثم غزا فيها الفرنج، فقتل منهم خلقا، وأسر البرنس صاحب إنطاكية، فمدحه الشعراء، منهم الفتح القيسراني، بقصيدة يقول في أولها :

هذى العزائمُ لا ما تنعقُ القضبُ	وذى المكارم لا ما قالت الكتبُ
وهذه الهممُ اللاتى متى خَطَبَتْ	تَعثّرتْ خَلْفَها الأشعارُ والخُطَبُ
صافحتَ يا ابن عماد الدين ذرْوتَها	براحة للمساعى دونها تعبُ
ما زال جدُّك يبنى كلَّ شاهقة	حتى بَنَى قُبّةً أوتادُها الشهبُ

وفيها: فتح نور الدين حصن فامية، وهو قريب من حماه. وفيها: مات صاحب مصر الحافظ لدين الله عبد المجيد بن أبي القاسم بن المستنصر، فقام بالأمر من بعده ولده الظافر إسماعيل، وقد كان أحمد بن الأفضل بن أمير الجيوش قد استحوذ على الحافظ، وخطب له بمصر ثلاثا، ثم آخر الأمر أذن بحي على خير العمل، والحافظ هذا: هو الذي وضع طبل القولنج، الذي إذا ضربه من به القولنج يخرج منه القولنج والريح الذي به، وخرج بالحجاج الأمير قطز الخادم، فمرض بالكوفة فرجع، واستخلف على الحجاج مولاه قيماز، وحين وصوله إلى بغداد توفي بعد أيام، فطمعت العرب في الحجاج، فوقفوا لهم في الطريق وهم راجعون، فضعف قيماز عن مقاومتهم، فأخذ لنفسه أمانا وهرب، وأسلم إليهم الحجيج، فقتلوا أكثرهم، وأخذوا أموال الناس، وقل من سلم فيمن نجا، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفيها: مات معين الدين بن أتابك العساكر بدمشق، وكان أحد مماليك طغتكين، وهو والد الست خاتون زوجة نور الدين، وهو واقف المدرسة المعينية، داخل باب الفرج، وقبره في قبة قتلى الشامية البرانية، بمحلة العونية، وعند دار البطيخ. ولما مات معين الدين، قويت شوكة الوزير الرئيس، مويد الدولة علي بن الصوفي، وأخيه زين الدولة حيدرة، ووقعت بينهما وبين الملك مجير الدين أرتق وحشة اقتضت أنهما جندا من العامة والغوغاء ما يقاومه، فاقتتلوا، فقتل خلق من الفريقين. ثم وقع الصلح بعد ذلك .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن نظام الملك

أبو الحسن بن علي بن نصر الوزير للمسترشد، والسلطان محمود، وقد سمع الحديث، وكان من خيار الوزراء .

أحمد بن محمد

ابن الحسين الأرجاني، قاضي تستر، روى الحديث، وكان له شعر رائق، يتضمن معاني حسنة، فمن ذلك قوله :

ولما بلوتُ الناسَ أطلبُ عندهم أخا ثقة عند اعتراض الشدائد
تطعّمتُ في حالَيْ رخاءٍ وشدة وناديتُ في الأحياء هل من مساعد ؟
فَلَمْ أرَ فيما ساءني غيرَ شامت ولم أرَ فيما سرني غيرَ حاسد
فطلّقتُ ودَّ العالمين جميعهم ورحتُ فلا ألوى على غيرِ واحد
تَمتَّعْتُمَا يا ناظريّ بنظرة وأوردتُما قلبي أمرَّ الموارد
أعينيَّ كُفّا عن فؤادي فإنّهُ مِنَ البَغْي سَعْيُ اثنين في قتلِ واحد

القاضي عياض

ابن موسى السبتي، صاحب التصانيف المفيدة، ومن شعره قوله:

الله يعلمُ أنّي منذُ لَمْ أرَكُمْ كطائر خانه ريشُ الجناحين
ولو قدرتُ ركبتُ الريحَ نَحْوَكُمُ فإنّ بُعْدَكُم عنّي جَنَى حَيْني

وقد ترجمه ابن خلكان ترجمة حسنة .

عيسى بن هبة الله

ابن عيسى أبو عبد الله النقاش، سمع الحديث، مولده سنة سبع وخمسين وأربعمائة. قال ابن الجوزي: وكان ظريفا خفيف الروح، له نوادر حسنة، رأى الناس، وعاشر الأكياس، وكان يحضر مجلسي، ويكاتبني، وأكاتبه، وكتبت إليه مرة، فعظمته في الكتاب، فكتب إلي: قد زدتني في الخطاب، حتى خشيت نقصا من الزيادة وله :

إذا وجدَ الشيخُ في نفسه نشاطًا فذلك موتُ خَفي
ألستَ ترى أن ضوءَ السراج لهبُ قبلَ أنْ يَنطَفي ؟

غازي بن آقسنقر

الملك سيف الدين صاحب الموصل، وهو أخو نور الدين محمود، صاحب حلب، ثم دمشق، فيما بعد، وقد كان سيف الدين هذا من خيار الملوك، وأحسنهم سيرة، وأجودهم سريرة، وأصبحهم صورة، شجاعا كريما، يذبح كل يوم لجيشه مائة من الغنم، ولمماليكه ثلاثين رأسا، وفي يوم العيد ألف رأس، سوى البقر، والدجاج، وهو أول من حمل على رأسه سنجق من ملوك الأطراف، وأمر الجند أن لا يركبوا إلا بسيف ودبوس، وبنى مدرسة بالموصل، ورباطا للصوفية، وامتدحه " الحيص بيص "، فأعطاه ألف دينار عينا، وخلعة. ولما توفي بالحمى، في جمادى الآخرة، دفن في مدرسته المذكورة، وله من العمر أربعون سنة، وكانت مدة ملكه بعد أبيه ثلاث سنين وخمسين يوما، رحمه الله .

قطز الخادم

أمير الحج، مدة عشرين سنة وأكثر، سمع الحديث، وقرأ على ابن الزاغوني، وكان يحب العلم، والصدقة، وكان الحاج معه في غاية الدعة والراحة، والأمن، وذلك لشجاعته، ووجاهته عند الخلفاء، والملوك، توفي ليلة الثلاثاء، الحادي عشر من ذي القعدة، ودفن بالرصافة .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وخمسمائة

فيها: فتح نور الدين محمود حصن فامية، وهو من أحصن القلاع، وقيل: فتحها في التي قبلها. وفيها: قصد دمشق، ليأخذها، فلم يتفق له ذلك، فخلع على ملكها مجير الدين أرتق وعلى وزيره ابن الصوفي، وتقررت الخطبة له بها بعد الخليفة، والسلطان، وكذلك السكة. وفيها: فتح نور الدين حصن إعزاز، وأسر ابن ملكها ابن جوسليق، ففرح المسلمون بذلك، ثم أسر بعده والده جوسليق الفرنجي، فتزايدت الفرحة بذلك، وفتح بلادا كثيرة من بلاده. وفي المحرم منها: حضر يوسف الدمشقي تدريس النظامية، وخلع عليه، ولما لم يكن بإذن الخليفة، بل بمرسوم السلطان، وابن النظام، منع من ذلك، فلزم بيته، ولم يعد إلى المدرسة بالكلية، وتولاها الشيخ أبو النجيب، بإذن الخليفة، ومرسوم السلطان قال ابن الجوزي: في هذه السنة: وقع مطر باليمن، كله دم حتى صبغ ثياب الناس .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن ذي النون

ابن أبي القاسم، بن أبي الحسن، أبو المفاخر النيسابوري، قدم بغداد، فوعظ بها، وجعل ينال من الأشاعرة، فأحبته الحنابلة، ثم اختبروه، فإذا هو معتزلي، ففتر سوقه، وجرت بسببه فتنة ببغداد، وقد سمع منه ابن الجوزي شيئا من شعره قوله :

ماتَ الكرامُ ومرّوا وانْقَضْوا ومَضْوا	وماتَ مِنْ بَعْدِهم تلك الكرامـــاتُ
وخلّفوني في قـــــومٍ ذوي سفـــــه	لو أبصروا طيفَ ضيفٍ في الكرى ماتوا

عبد الملك بن عبد الوهاب

الحنبلي القاضي بهاء الدين، كان يعرف مذهب أبي حنيفة وأحمد، ويناظر عنهما، ودفن مع أبيه وجده، بقبور الشهداء .

عبد الملك بن أبي نصر بن عمر

أبو المعالي الجيلي، كان فقيها، صالحا، متعبدا، فقيرا، ليس له بيت يسكنه، وإنما يبيت في المساجد المهجورة، وقد خرج مع الحجيج، فأقام بمكة يعبد ربه، ويفيد العلم، فكان أهلها يثنون عليه خيرا .

الفقيه أبو بكر بن العربي

المالكي، شارح الترمذي، كان فقيها عالما، وزاهدا عابدا، وسمع الحديث بعد اشتغاله في الفقه، وصحب الغزالي وأخذ عنه، وكان يتهمه برأي الفلاسفة، ويقول: دخل في أجوافهم فلم يخرج منها، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ست وأربعين وخمسمائة

فيها: أغار جيش السلطان على بلاد الإسماعيلية، فقتلوا خلقا، ورجعوا سالمين. وفيها: حاصر نور الدين دمشق شهورا، ثم ترحل عنها إلى حلب، وكان الصلح على يدي البرهان البلخي. وفيها: اقتتل الفرنج، وجيش نور الدين، فانهزم المسلمون، وقتل منهم خلق، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ولما وقع هذا الأمر، شق ذلك على نور الدين، وترك الترفّه، وهجر اللذة حتى يأخذ بالثأر، ثم إن أمراء التركمان، ومعهم جماعة من أعوانهم، ترصدوا الملك جوسليق الإفرنجي، فلم يزالوا به حتى أسروه في بعض متصيداته، فأرسل نور الدين فكبس التركمان، وأخذ منهم جوسليق أسيرا، وكان من أعيان الكفرة، وأعظم الفجرة، فأوقفه بين يديه في أذل حال، ثم سجنه. ثم سار نور الدين إلى بلاده، فأخذها كلها بما فيها. وفي ذي الحجة: جلس ابن العبادي في جامع المنصور، وتكلم وعنده جماعة من الأعيان، فكادت الحنابلة يثيرون فتنة ذلك اليوم، ولكن لطف الله وسلم. وحج بالناس فيها قيماز الأرجواني .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ برهان الدين أبو الحسن بن علي البلخي

شيخ الحنفية بدمشق، درس بالبلخية، ثم بالخاتونية البرانية، وكان عالما عاملا، ورعا زاهدا، ودفن بمقابر باب الصغير .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وخمسمائة

فيها توفي السلطان مسعود، وقام بالأمر من بعده أخوه ملكشاه بن محمود، ثم جاء السلطان محمد، وأخذ الملك،واستقر له، وقتل الأمير خاص بك، وأخذ أمواله، وألقاه للكلاب، وبلغ الخليفة أن واسط قد تخبطت أيضا، فركب إليها في الجيش، في أبهة عظيمة، وأصلح شأنها، وكر على الكوفة والحلة، ثم عاد إلى بغداد،فزينت له البلد. وفيها ملك عبد المؤمن صاحب المغرب بجاية، وهي بلاد بني حماد، فكان آخر ملوكهم، يحيى بن عبد العزيز بن حماد، ثم جهز عبد المؤمن جيشا إلى صنهاجة، فحاصرها، وأخذ أموالها. وفيها كانت وقعة عظيمة، بين نور الدين الشهيد، وبين الفرنج، فكسرهم، وقتل منهم خلقا، ولله الحمد. وفيها : اقتتل السلطان سنجر، وملك الغور علاء الدين الحسين بن الحسن أول ملوكهم، فكسره سنجر وأسره، فلما

أحضره بين يديه قال له : ماذا كنت تصنع بي لو أسرتني؟ فأخرج قيدا من فضة، وقال كنت أقيدك بهذا. فعفي عنه، وأطلقه إلى بلاده، فسار إلى غزنة، فانتزعها من يد صاحبها، بهرام شاه السبكتكيني، واستخلف عليها أخاه سيف الدين، فغدر به أهل البلد وسلموه إلى بهرام شاه، فصلبه، ومات بهرام شاه قريبا، فسار إليه علاء الدين، فهرب خسرو بن بهرام شاه عنها، فدخلها علاء الدين، فنهبها ثلاثة أيام، وقتل من أهلها بشرا كثيرا، وسخر أهلها، فحملوا ترابا في مخالي إلى محلة هنالك، بعيدة عن البلد، فعمر من ذلك التراب قلعة معروفة إلى الآن. وبذلك انقضت دولة بني سبكتكين عن بلاد غزنة، وغيرها، وقد كان ابتداء أمرهم في سنة ست وستين وثلثمائة، إلى سنة سبع وأربعين وخمسمائة، وكانوا من خيار الملوك، وأكثرهم جهادا في الكفرة، وأكثرهم أموالا، ونساء، وعَدَدا، وعُددا، وقد كسروا الأصنام، وأبادوا الكفار، وجمعوا من الأموال ما لم يجمع غيرهم من الملوك، مع أن بلادهم كانت من أطيب البلاد، وأكثرهم ريفا، ومياها، ففني جميعه، وزال عنهم ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران ٢٦] ثم ملك الغور، والهند، وخراسان، واتسعت ممالكهم، وعظم سلطان علاء الدين بعد الأسر، وحكى ابن الجوزي أن في هذه السنة باض ديك بيضة واحدة، ثم باض بازي بيضتين، وباضت نعامة من غير ذكر، وهذا شيء عجيب .

وممن توفي فيها من الأعيان :

المظفر بن أردشير

أبو منصور العبادي، الواعظ، سمع الحديث، ودخل إلى بغداد فأملى ووعظ، وكان الناس يكتبون ما يعظ به، فاجتمع له من ذلك مجلدات. قال ابن الجوزي: لا تكاد تجد في المجلد خمس كلمات جيدة. وتكلم فيه، وأطال الحط عليه، واستحسن من كلامه قوله: وقد سقط مطر وهو يعظ الناس، وقد ذهب الناس إلى تحت الجدران، فقال: لا تفروا من رشاش ماء رحمة قُطِّر من سحاب نعمة، ولكن فروا من رشاش نار اقتدح من زناد الغضب. توفي وقد جاوز الخمسين بقليل.

مسعود السلطان

صاحب ملك العراق وغيرها، حصل له من التمكن والسعادة شيء كثير لم يحصل لغيره، وجرت له خطوب طويلة، كما تقدم بعض ذلك، وقد أسر في بعض حروبه الخليفة المسترشد، كما تقدم، توفي يوم الأربعاء، سلخ جمادى الآخرة منها .

يعقوب الخطاط الكاتب

توفي بالنظامية، فجاء ديوان الحشر ليأخذوا ميراثه، فمنعهم الفقهاء، فجرت فتنة عظيمة، آل الحال إلى عزل المدرس الشيخ أبي النجيب، وضربه في الديوان تعزيرا .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وخمسمائة

فيها : وقع الحرب بين السلطان سنجر وبين الأتراك، فقتل الأتراك من جيشه خلقا كثيرا، بحيث صارت القتلى مثل التلول العظيمة، وأسروا السلطان سنجر، وقتلوا من كان معه من الأمراء صبرا، ولما أحضروه، قاموا بين يديه، وقبلوا الأرض له، وقالوا : نحن عبيدك، وكانوا عدة من الأمراء الكبار من مماليكهم، فأقام عندهم شهرين، ثم أخذوه، وساروا به، فدخلوا مرو، وهي كرسي مملكة خراسان، فسأله بعضهم أن يجعلها له إقطاعا، فقال سنجر: هذا لا يمكن هذه كرسي المملكة. فضحكوا منه، وضرطوا به فنـــزل عن سرير المملكة، ودخل خانقاه، وصار فقيرا، من جملة أهلها، وتاب عن الملك، واستحوذ أولئك الأتراك على البلاد، فنهبوها، وتركوها قاعا صفصفا، وأفسدوا في الأرض فسادا عريضا، وأقاموا سليمان شاه ملكا، فلم تطل أيامه، حتى عزلوه، وولوا ابن أخت سنجر الخاقان محمود بن كوخان، وتفرقت الأمور، واستحوذ كل إنسان منهم على ناحية من تلك الممالك، وصارت الدولة دولا. وفيها : كانت حروب كثيرة، بين عبد المؤمن، وبين العرب ببلاد المغرب. وفيها : أخذت الفرنج مدينة عسقلان من ساحل غزة. وفيها : خرج الخليفة إلى واسط في جحفل، فأصلح شأنها، وعاد إلى بغداد. وحج بالناس فيها قيماز الأرجواني .

وفيها كانت وفاة الشاعرين القرينين الشهيرين في الزمان الأخير .

الفرزدق وجرير

وهما أبو الحسن أحمد بن منير الجوني بحلب، وأبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير القيسراني الحلبي بدمشق، وعلي بن السلار الملقب بالعادل وزير الظافر صاحب مصر، وهو باني المدرسة بالإسكندرية للشافعية، للحافظ أبي طاهر السلفي، وقد كان العادل هذا ضد اسمه، كان ظلوما غشوما حطوما وقد ترجمه ابن خلكان .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسمائة

فيها : ركب الخليفة المقتفي، في جيش كثيف، إلى تكريت، فحاصر قلعتها، ولقي هناك جمعا من الأتراك، والتركمان، فأظفره الله بهم، ثم عاد إلى بغداد .

ملك السلطان نور الدين الشهيد بدمشق

وجاءت الأخبار بأن مصر قد قتل خليفتها الظافر، ولم يبق منهم إلا صبي صغير ابن خمس شهور، قد ولوه عليهم، ولقبوه الفائز. فكتب الخليفة عهدا إلى نور الدين محمود بن زنكي، بالولاية على بلاد الشام، والديار المصرية، وأرسله إليها. وفيها : هاجت ريح شديدة بعد العشاء فيها نار، فخاف الناس أن تكون الساعة، وزلزلت الأرض، وتغير ماء دجلة إلى الحمرة،

وظهر بأرض واسط بالأرض دم لا يعرف ما سببه، وجاءت الأخبار عن الملك سنجر أنه في أسر الترك، وهو في غاية الذل والإهانة، وأنه يبكي على نفسه كل وقت. وفيها : انتزع نور الدين محمود دمشق من يد ملكها نور الدين أرتق، وذلك لسوء سيرته، وضعف دولته، ومحاصرة العامة له في القلعة مع وزيره مؤيد الدولة علي بن الصوفي، وتغلب الخادم عطاء على المملكة، مع ظلمه وغشمه وكان الناس يدعون ليلا ونهارا أن يبدلهم بالملك نور الدين، واتفق مع ذلك أن الفرنج أخذوا عسقلان، فحزن نور الدين على ذلك، ولا يمكنه الوصول إليهم، لأن دمشق بينه وبينهم، ويخشى أن يحاصروا دمشق، فيشق على أهلها، ويخاف أن يرسل مجير الدين إلى الفرنج فيخذلونه، كما جري غير مرة، وذلك أن الفرنج لا يريدون أن يملك نور الدين دمشق، فيقوى بها عليهم، ولا يطيقونه، فأرسل بين يديه الأمير أسد الدين شيركوه، في ألف فارس، في صفة طلب الصلح، فلم يلتفت إليه مجير الدين، ولا عده شيئا، ولا خرج إليه أحد من أعيان أهل البلد، فكتب إلى نور الدين بذلك، فركب الملك نور الدين في جيشه، فنـــزل عيون الفاسريا من أرض دمشق، ثم انتقل إلى قريب من الباب الشرقي، ففتحها قهرا، ودخل من الباب الشرقي بعد حصار عشرة أيام، وكان دخوله في يوم الأحد، عاشر صفر من هذه السنة، وتحصن مجير الدين في القلعة، فأنزله منها، وعوضه مدينة حمص ودخل نور الدين إلى القلعة، واستقرت يده على دمشق، ولله الحمد. ونادى في البلد بالأمان والبشارة بالخير، ثم وضع عنهم المكوس، وقرئت عليهم التواقيع على المنابر، ففرح الناس بذلك، وأكثروا الدعاء له، وكتب ملوك الفرنج إليه، يهنونه بدمشق، ويتقربون إليه، ويخضعون له .

ومن توفي فيها من الأعيان :

الرئيس مؤيد الدولة

علي بن الصوفي وزير دمشق لمجير الدين ، وقد ثار على الملك غير مرة، واستفحل أمره، ثم يقع الصلح بينهما كما تقدم .

عطاء الخادم

أحد أمراء دمشق، وقد تغلب على الأمور بأمر مجير الدين، وكان ينوب على بعلبك في بعض الأحيان وقد كان ظالماً غاشماً وهو الذي ينسب إليه مسجد عطاء خارج باب شرقي والله أعلم .

ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة هجرية

فيها : خرج الخليفة في تجمل إلى دموقا، فحاصرها، فخرج إليه أهلها أن يرحل عنهم، فإن أهلها قد هلكوا من الجيشين، فأجابهم، ورحل عنهم، وعاد إلى بغداد بعد شهرين ونصف، ثم

خرج نحو الحلة، والكوفة، والجيش بين يديه، وقال له سليمان شاه: أنا ولي عهد سنجر، فإن قررتني في ذلك، وإلا فأنا كأحد الأمراء. فوعده خيرا، وكان يحمل الغاشية بين يدي الخليفة على كاهله، فمهد الأمور، ووطدها، وسلم على مشهد على إشارة بأصبعه، وكأنه خاف عليه غائلة الروافض، أو أن يعتقد في نفسه من القبر شيئا، أو غير ذلك، والله أعلم .

فتح بعلبك بيد نور الدين الشهيد

وفيها : افتتح نور الدين بعلبك، عودا على بدء، وذلك أن نجم الدين أيوب كان نائباً بها على البلد، والقلعة، فسلمها إلى رجل، يقال له : الضحاك البقاعي، فاستحوذ عليها، وكاتب نجم الدين لنور الدين، ولم يزل نور الدين يتلطف، حتى أخذ القلعة أيضا، واستدعى بنجم الدين أيوب إليه، إلى دمشق، فأقطعه إقطاعا حسنا، وأكرمه من أجل أخيه أسد الدين، فإنه كانت له اليد الطولى في فتح دمشق، وجعل الأمير شمس الدولة بوران شاه بن نجم الدين شحنة دمشق، ثم من بعده، جعل أخاه صلاح الدين يوسف هو الشحنة، وجعله من خواصه، لا يفارقه حضرا ولا سفرا، لأنه كان حسن الشكل حسن اللعب بالكرة، وكان نور الدين يحب لعب الكرة، لتدمين[1] الخيل، وتعليمها الكر والفر، وفي شحنة صلاح الدين يوسف يقول عرقلة وهو حسان ابن نمير الكلبي الشاعر :

رويدَكـم يـا لصـوصَ الشـام ... فـإنِّى لَكُـم ناصـحٌ فى مقـالى
فإيّـاكُم وسَمـىَّ النبـىّ ... يوسف ربِّ الحجَـا والكمـالِ
فذاك مُقَطِّـعُ أيـدى النسـاءِ ... وهـذا مُقَطِّـعُ أيـدى الرجـالِ

وقد ملك بوران شاه بلاد اليمن فيما بعد ذلك، وكان يلقب شمس الدولة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن ناصر

ابن محمد بن علي الحافظ، أبو الفضل البغدادي، ولد ليلة النصف من شعبان، سنة سبع وستين وأربعمائة، وسمع الكثير، وتفرد بمشايخ، وكان حافظا ضابطا مكثرا من السنة كثير الذكر سريع الدمعة. وقد تخرج به جماعة، منهم أبو الفرج ابن الجوزي، سمع بقراءته مسند أحمد، وغيره من الكتب الكبار، وكان يثني عليه كثيرا، وقد رد على أبي سعد السمعاني، في قوله: محمد بن ناصر يحب أن يقع في الناس .

قال ابن الجوزي: والكلام في الناس، بالجرح والتعديل، ليس من هذا القبيل، وإنما ابن السمعاني يحب أن يتعصب على أصحاب الإمام أحمد، نعوذ بالله من سوء القصد والتعصب.

---

(١) تدمين : أى يُدمِّ .

توفي محمد بن ناصر ليلة الثلاثاء، الثامن عشر من شعبان منها، عن ثلاث وثمانين سنة، وصلى عليه مرات، ودفن بباب حرب .

مجلي بن جميع أبو المعالي

المخزومي الأرسوفي، ثم المصري قاضيها الفقيه الشافعي مصنف الذخائر، وفيها غرائب كثيرة، وهي من الكتب المفيدة .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وخمسمائة

في المحرم: دخل السلطان سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه إلى بغداد وعلى رأسه الشمسية، فتلقاه الوزير ابن هبيرة، وأدخله على الخليفة فقبل الأرض، وحلفه على الطاعة، وصفاء النية، والمناصحة، والمودة، وخلع عليه خلع الملوك، وتقرر أن للخليفة العراق، ولسليمان شاه ما يفتحه من خراسان، ثم خطب له ببغداد بعد الملك سنجر، ثم خرج منها في ربيع الأول، فاقتتل هو والسلطان محمد بن محمود بن ملكشاه، فهزمه محمد، وهزم عسكره، فذهب مهزوما، فتلقاه نائب قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل، فأسره، وحبسه بقلعة الموصل، وأكرمه مدة حبسه وخدمه، وهذا من أغرب الاتفاقات. وفيها: ملكت الفرنج المهدية من بلاد المغرب بعد حصار شديد. وفيها: فتح نور الدين محمود بن زنكي قلعة تل حازم، واقتلعها من أيدي الفرنج، وكانت من أحصن القلاع، وأمتع البقاع، وذلك بعد قتال عظيم، ووقعة هائلة، كانت من أكبر الفتوحات، وامتدحه الشعراء عند ذلك. وفيها: هرب الملك سنجر من الأسر، وعاد إلى ملكه بمرو، وكان له في يد أعدائه نحو من خمس سنين. وفيها: ولي عبد المؤمن ملك الغرب أولاده على بلاده، استناب كل واحد منهم على بلد كبير، وإقليم متسع .

حصار بغداد

وسبب ذلك أن السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه أرسل إلى المقتفي، يطلب منه أن يخطب له في بغداد، فلم يجبه إلى ذلك، فسار من همذان إلى بغداد ليحاصرها، فانجفل الناس، وحصن الخليفة البلد، وجاء السلطان محمد، فحصر بغداد، ووقف تجاه التاج من دار الخلافة في جحفل عظيم، ورموا نحوه النشاب، وقاتلت العامة مع الخليفة قتالا شديدا، بالنفط، وغيره، واستمر القتال مدة، فبينما هم كذلك إذ جاءه الخبر أن أخاه قد خلفه في همذان، فانشمر عن بغداد إليها، في ربيع الأول من سنة اثنتين وخمسين، وتفرقت عنه العساكر الذين كانوا معه في البلاد، وأصاب الناس بعد ذلك القتال مرض شديد، وموت ذريع، واحترقت محال كثيرة من بغداد، واستمر ذلك فيها مدة شهرين. وفيها: أطلق أبو الوليد البدر بن الوزير بن هبيرة من قلعة

تكريت، وكان معتقلا فيها من مدة ثلاث سنين، فتلقاه الناس إلى أثناء الطريق، وامتدحه الشعراء، وكان من جملتهم الأبله الشاعر، أنشأ الوزير قصيدة يقول في أولها :

بأيِّ لسانٍ للوشـــاةِ أُلامُ وقـــد عَلِمُـــوا أنّي سهـرتُ وناموا؟

إلى أن قالَ:

ويَسْتكـثِرُون الوصـلَ لي ليلـةَ وقـد مَـرَّ عـامُ بالصـدودِ وعـامُ

فطرب الوزير عند ذلك. وخلع عليه ثيابه، وأطلق له خمسين دينارا، وحج بالناس قيماز .

ومن توفي فيها من الأعيان :

علي بن الحسين

أبو الحسن الغزنوي الواعظ، كان له قبول كثير من العامة، وبنت له الخاتون زوجة المستظهر رباطا بباب الأزج، ووقفت عليه أوقافا كثيرة، وحصل له جاه عريض وزاره السطان، وكان حسن الإيراد، مليح الوعظ، يحضر بمجلسه خلق كثير، وجم غفير من أصناف الناس. وقد ذكر ابن الجوزي: أشياء من وعظه، قال: وسمعته يوما يقول:حزمة حزن خير من أعدال أعمال. ثم أنشد:

كـم حسـرةٍ لي في الحشـا مـنْ ولـدٍ إذا نَشَـا

أمّلْـتُ فيـهِ رُشْـدَهُ فمـا يشـأ كُمـا نشـا

قال: وسمعته يومـا ينشـد :

يَحْسُـدُنِي قَوْمِـي علـى صَنْعتِي لأنَّـني في صَنْعَتِـي فـارسُ

سهـرتُ في لَيلـيَ واستَنْعَسُـوا وهـل يستـوي الساهـرُ والناعسُ؟

وكان يقول: تولون اليهود والنصارى، فيسبون نبيكم في يوم عيدكم، ثم يصبحون يجلسون إلى جانبكم؟ ثم؛ يقول: ألا هل بلغت؟. قال: وكان يتشيع، ثم سعي في منعه من الوعظ، ثم أذن له، ولكن ظهر للناس أمر العبادي،وكان كثير من الناس يميلون إليه،وقد كان السلطان يعظمه، ويحضر مجلسه،فلما مات السلطان مسعود ولي الغزنوي بعده، وأهين إهانة بالغة، فمرض، ومات في هذه السنة .

قال ابن الجوزي: و بلغني أنه كان يعرق في نزعه، ثم يفيق وهو يقول: رضي وتسليم. ولما مات دفن في رباطه الذي كان فيه .

محمد بن إسماعيل بن قادوس

أبو الفتح الدمياطي، كاتب الإنشاء بالديار المصرية، وهو شيخ القاضي الفاضل، كان يسميه ذا البلاغتين، وذكره العماد الكاتب في (الجريدة) . ومن شعره فيمن يكرر التكبير، ويوسوس في نية الصلاة في أولها :

وفاتـــرُ الـنِّيَـــةِ عنِّيينها مـــع كثـرةِ الرعــدةِ والهمـــزه
يُكَـبِّرَ التسْعِـــينَ في مـــرةٍ كأنّــه يُصلــيّ علــى حَـمْـزه

الشيخ أبو البيان

نبا بن محمد المعروف بابن الحوراني، الفقيه، الزاهد، العابد، الفاضل، الخاشع، قرأ القرآن، وكتاب (التنبيه على مذهب الشافعي) ، وكان حسن المعرفة باللغة، كثير المطالعة، وله كلام يؤثر عنه، ورأيت له كتابا بخطه، فيه النظائم التي يقولها أصحابه وأتباعه، بلهجة غريبة، وقد كان من نشأته إلى أن توفي على طريقة صالحة، وقد زاره الملك نور الدين محمود في رباطه داخل درب الحجر، ووقف عليه شيئا، وكانت وفاته يوم الثلاثاء ثالث ربيع الأول، من هذه السنة، ودفن بمقابر الباب الصغير، وكان يوم جنازته يوما مشهودا. وقد ذكرته في (طبقات الشافعية) ، رحمه الله .

عبد الغافر بن إسماعيل

ابن عبد القادر بن محمد بن عبد الغافر بن أحمد بن سعيد، الفارسي الحافظ، تفقه بإمام الحرمين، وسمع الكثير على جده لأمه أبي القاسم القشيري، ورحل إلى البلاد، وأسمع وصنف المفهم في غريب مسلم، وغيره، وولي خطابة نيسابور، وكان فاضلا، دينا، حافظا .

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة

استهلت هذه السنة، ومحمد شاه بن محمود محاصر بغداد، والعامة والجند من جهة الخليفة المقتفى يقاتلون أشد القتال، والجمعة لا تقام لعذر القتال، والفتنة منتشرة، ثم يسر الله، بذهاب السلطان، كما تقدم في السنة التي قبلها، وقد بسط ذلك ابن الجوزي في هذه السنة، فطول. وفيها: كانت زلزلة عظيمة بالشام، هلك بسببها خلق كثير لا يعلمهم إلا الله، وتهدم أكثر حلب، وحماه، وشيزر، وحمص، وكفر طاب، وحصن الأكراد، واللاذقية، والمعرة، وفامية وإنطاكية، وطرابلس .

قال ابن الجوزي: وأما شيزر: فلم يسلم منها إلا امرأة وخادم لها، وهلك الباقون، وأما كفر طاب: فلم يسلم من أهلها أحد، وأما فامية: فساخت قلعتها، وتل حران: انقسم نصفين، فأبدي نواويس، وبيوتا كثيرة في وسطه. قال: وهلك من مدائن الفرنج شيء كثير وتهدم أسوار أكثر مدن الشام، حتى أن مكتبا من مدينة حماه انهدم على من فيه من الصغار، فهلكوا عن آخرهم، فلم يأت أحد يسأل عن أحد منهم. وقد ذكر هذا الفصل الشيخ أبو شامة، في كتاب " الروضتين " مستقصي، وذكر ما قاله الشعراء من القصائد في ذلك. وفيها: ملك السلطان

محمود بن محمد بعد خاله سنجر جميع بلاده.و فيها: فتح السلطان محمود بن زنكي حصن شيزر، بعد حصار، وأخذ مدينة بعلبك، وكان بها الضحاك البقاعي، وقد قيل: إن ذلك كان في سنة خمسين كما تقدم، فالله أعلم، وقد تقدم ذلك. وفيها: مرض نور الدين، فمرض الشام بمرضه، ثم عوفي، ففرح المسلمون فرحا شديدا، واستولى أخوه قطب الدين مودود، صاحب الموصل على جزيرة ابن عمر. وفيها: عمل الخليفة بابا للكعبة مصفحا بالذهب، وأخذ بابها الأول، فجعله لنفسه تابوتا. وفيها: أغارت الإسماعيلية على حجاج خراسان، فلم يبقوا منهم أحدا، لا زاهدا، ولا عالما. وفيها: كان غلاء شديد بخراسان، حتى أكلو الحشرات، وذبح إنسان منهم رجلا علويا، فطبخه، وباعه في السوق، فحين ظهر عليه قتل. [وذكر أبو شامة: أن فتح بانياس كان في هذه السنة، على يد نور الدين بنفسه، وقد كان معين الدولة سلمها إلى الفرنج حين حاصروا دمشق ، فعوضهم بها ، وقيل : ملكها ، وغنم شيئا كثيرا]. وفيها : قدم الشيخ أبو الوقت عبد الأول بن عيسي بن شعيب السنجري، فسمعوا عليه البخاري في دار الوزير ببغداد، وحج بالناس قيماز .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد

ابن عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو الليث النسفي من أهل سمرقند، سمع الحديث وتفقه ووعظ، وكان حسن السمت، قدم بغداد، فوعظ الناس، ثم عاد إلى بلده، فقتله قطاع الطريق، رحمه الله تعالى .

أحمد بن بختيار

ابن علي بن محمد، أبو العباس، الماردايي، الواسطي، قاضيها، سمع الحديث، وكانت له معرفة تامة في الأدب واللغة، وصنف كتبا في التاريخ، وغير ذلك، وكان ثقة، صدوقا، توفي ببغداد، وصلي عليه بالنظامية .

السلطان سنجر

ابن الملك شاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، أبو الحارث، واسمه أحمد، ولقب بسنجر . مولده في رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة، وأقام في الملك نيفا وستين سنة، من ذلك استقلالا إحدى وأربعين سنة، وقد أسره الغُزُّ، نحوا من خمس سنين، ثم هرب منهم، وعاد إلى ملكه بمرو، ثم توفي في ربيع الأول من هذه السنة، ودفن في قبة بناها، سماها دار الآخرة، رحمه الله .

محمد بن عبد اللطيف

ابن محمد بن ثابت، أبو بكر الخجندي، الفقيه، الشافعي، ولي تدريس النظامية ببغداد، وكان يناظر حسنا، ويعظ الناس، وحوله السيوف مسللة. قال ابن الجوزي: ولم يكن ماهرا في الوعظ، وكانت حاله أشبه بالوزراء من العلماء، وتقدم عند السلاطين، حتى كانوا يصدرون عن رأيه، توفي بأصبهان فجأة فيها .

محمد بن المبارك

ابن محمد بن الخل أبو الحسن بن أبي البقاء، سمع الحديث، وتفقه على الشاشي، ودرس، وأفتى، وتوفي في محرم هذه السنة، وتوفي أخوه الشيخ أبو الحسين بن الخل الشاعر في ذي القعدة منها .

يحيى بن عيسى

ابن إدريس أبو البركات الأنباري الواعظ، قرأ القرآن، وسمع الحديث، وتفقه، ووعظ الناس على طـريقة الصالحين، وكان يبكي من أول صعوده إلى حين نزوله، وكان زاهدا عابدا ورعا آمرا بالمعـروف ناهيـا عـن المنكر، ورزق أولادا صالحين، سماهم بأسماء الخلفاء الأربعة، أبو بكر، وعمر، وعـثمان، وعـلى، وحفظهـم القرآن كلهم بنفسه، وختم خلقا كثيرا، وكان هو وزوجته يصومان الدهر، ويقومان الليل، ولا يفطران إلا بعد العشاء، وكانت له كرامات، ومنامات صالحة، ولما مات قالت زوجته: اللهم لا تحيني بعده، فماتت بعده بخمسة عشر يوما، وكانت من الصالحات، رحمهما الله تعالى .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

فيها : كثر فساد التركمان من أصحاب ابن برجم الإيواني ، فجهز إليهم الخليفة منكورس المسترشدي في جيش كثيف، فالتقوا معهم، فهزمهم أقبح هزيمة، وجاءوا بالأسارى والرءوس إلى بغداد . وفيها: كانت وقعة عظيمة بين السلطان محمود وبين الغز، فكسروه ونهبوا البلاد، وأقاموا بمرو، ثم طلبوه إليهم، فخاف على نفسه، فأرسل ولده بين يديه، فأكرموه، ثم قدم السلطان عليهم، فاجتمعوا عليه، وعظموه. وفيها: وقعت فتنة كبيرة بمرو بين فقيه الشافعية المؤيد بن الحسين، وبين نقيب العلويين بها أبي القاسم زيد بن الحسن، فقتل منهم خلق كثير، وأحرقت المدارس ، والمساجد والأسواق ، وانهزم المؤيد الشافعي إلى بعض القلاع . وفيها : ولد الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله، وفيها : خرج المقتفي نحو الأنبار متصيدا، وعبر الفرات، وزار الحسين، ومضى إلى واسط، وعاد إلى بغداد، ولم يكن معه الوزير. وحج بالناس فيها قيماز الأرجواني . وفيها : كسر جيش مصر الفرنج ، بأرض عسقلان ، كسروهم كسرة فجيعة صحبة الملك صالح أبو الغارات، فارس الدين طلائع بن رزيك، وامتدحه الشعراء. وفيها: قدم الملك نور الدين من حلب إلى دمشق، وقد شفي من المرض، ففرح به المسلمون، وخرج إلى قتال الفرنج ، فانهزم جيشه، وبقي هو في شرذمة قليلة من

أصحابه،في نحر العدو، فرموهم بالسهام الكثيرة، ثم خاف الفرنج، أن يكون وقوفه في هذه الشرذمة القليلة، خديعة، لمجيء كمين إليهم، ففروا منهزمين، ولله الحمد .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الأول بن عيسى

ابن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق، أبو الوقت السجزي الصوفي الهروي، راوي البخاري، ومسند الدارمي، والمنتخب من مسند عبد بن حميد قدم بغداد، فسمع عليه الناس هذه الكتب، وكان من خيار المشايخ، وأحسنهم سمتا، وأصبرهم على قراءة الحديث. قال ابن الجوزي: أخبرني أبو عبد الله بن الحسين التكريتي الصوفي، قال: أسندته إليّ فمات، وكان آخر ما تكلم به أن قال: ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس: ٢٦ ، ٢٧] .

نصر بن منصور

ابن الحسين بن أحمد بن عبد الخالق العطار، أبو القاسم الحراني، كان كثير المال، يعمل من صدقاته المعروف الكثير من أنواع القربات الحسنة، ويكثر تلاوة القرآن، ويحافظ على الصلوات في الجماعة، ورؤيت له منامات صالحة، وقارب الثمانين، رحمه الله .

يحيى بن سلامة

ابن الحسين أبو الفضل الشافعي، الحصكفي نسبة إلى حصن كيفا، كان إماما في علوم كثيرة، من الفقه، والآداب، ناظما ناثرا، غير أنه كان ينسب إلى الغلو في التشيع، وقد أورد له ابن الجوزي: قطعة من نظمه ، فمن ذلك قوله في جملة قصيدة له :

تقاسَمُوا يـــومَ الوداعِ كَبِـدي ... فليـسَ لي مُنْذُ تولّوا كبـــدُ
على الجفونِ رحلوا وفي الحشـا ... نـــزلوا ومـاءُ عيـــني وَرَدُوا
وأدْمُعي مسـفوحةٌ وكبـدي ... مقـــروحةٌ وعلّتي مـا تـبردُ
وصَبـْوتي دائمـــةٌ ومقلـتي ... داميـــةٌ ونـــومها مُشَـرّدُ
تَيَّمَني منهــم غـــزالٌ أغيَـدُ ... يا حبَّذا ذاك الغزالُ الأغيــدُ [1]
حسـامُه مـجرَّدٌ وصَرْحـهُ ... ممـرّدٌ وخــدّهُ مـوردُ
وصدغُهُ فـــوق احمرارِ خـدِّه ... مبلـبلٌ معقـــربٌ مجعّــدُ
كأنّمـا نكـــهتُه وريقُـه ... مسْكٌ وخـمرٌ والثنـايا بَـــرَدُ
يعقـدُهُ عنـدَ القيامِ رِدْفُـه ... وفي الحشـا منه المقيمُ المقعـدُ
لهَ قَـوامٌ كقضيـبِ بـانة ... يهتزُ قَصْـداً ليس فيـه أودُ

وهي طويلة جداً، ثم خرج من هذا التغزل إلى مدح أهل البيت والأئمة الاثنى عشر رحمهم الله.

---

(١) الأغيد: الناعم،القاموس .

وسائلي عن حبِّ أهلِ البيتِ هل أُقِرُّ إعلاناً به أم أجحدُ؟
هيهات ممزوجٌ بلحمي ودمي حبُّهم وهو الهدى والرّشدُ
حيدرةٌ والحسنان بعده ثم عليٌّ وابنُه محمدُ
وجعفرُ الصادقُ وابنُ جعفرِ موسى ويتلوه عليّ السّيدُ
أعني الرضيَّ ثم ابنه محمدٌ ثم علي وابنه المسدّدُ
والحسنُ الثاني ويتلو تلوه محمدُ بنُ الحسنِ المفتقدُ
فإنّهم أئمتي وسادتي وإن لحاني معشرٌ وفندوا
أئمةٌ أكرمْ بهم أئمةً أسماؤهم مسرودةٌ تطّردُ
هم حججُ الله على عباده وهم إليه منهجٌ ومقصدُ
قومٌ لهم فضلٌ ومجدٌ باذخٌ يعرفُه المشركُ والموحّدُ
قومٌ لهم في كلِّ أرضٍ مشهدٌ لا بَلْ لهم في كلِّ قلبٍ مشهدُ
قومٌ منىً والمشعرانِ لهم والمروتانِ لهم والمسجدُ
قومٌ لهم مكةُ والأبطحُ والخيفُ وجمعُ والبقيعُ الغرقدُ

ثم ذكر بلطف مقتل الحسين بألطف عبارة إلى أن قال:

يا أهلَ بيت المصطفي يا عُدّتي ومَنْ على حُبّهم أعتمدُ
أنتم إلى الله غداً وسيلتي وكيفَ أخشى وبكم أعتضدُ ؟
وليّكم في الخلد حي خالدٌ والضدُّ في نار لظى مخلدُ
ولستُ أهواكم ببغضي غيرَكم إنّي إذا أشقى بكم لا أسعدُ
فلا يظنُّ رافضيٌ أنني وافقته أو خارجي مفسد
محمدٌ والخلفاءُ بعدَه أفضلُ خلقِ الله فيما أجدُ
هذا اعتقادي فالزموه تفلحوا وهم بَنُوا أركانَه وشيّدُوا
ومن يَخُنْ أحمدَ في أصحابه فخصمُه يوم الميعاد أحمدُ
والشافعيُّ مذهَبي مذهبُه هذا طريقي فاسلُكُوه تهتدوا
أتبعتُه في الأصلِ والفرعِ معاً لأنه في قوله مؤيدُ
إنّي بإذن الله ناجٍ سابقٌ فليتبعني الطالبُ المسترشدُ

ومن شعره أيضاً:

إذا قَلّ مالي لم تجدني جازعاً كثيرَ الأسى مغرى بعضِّ الأناملِ
ولا بطراً إنْ جدّد الله نعمةً ولو أنّ ما أوتي جميع الناسِ لي

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وخمسمائة

فيها: مرض الخليفة المقتفي مرضا شديدا، ثم عوفي منه فزينت له بغداد أياما، وتصدق بصدقات كثيرة. وفيها: استعاد عبد المؤمن مدينة المهدية من أيدي الفرنج، وقد كانوا أخذوها من المسلمين، في سنة ثلاث وأربعين. وفيها: قاتل عبد المؤمن خلقاً كثيراً من الغرب، حتى

صارت عظام القتلى هناك كالتل العظيم، وفي صفر منها: سقط برد بالعراق كبار زنة البردة قريب من خمسة أرطال، ومنها: ما هو تسعة أرطال بالبغدادي، فهلك بذلك شيء كثير من الغلات، وخرج الخليفة إلى واسط، فاجتاز بسوقها، ورأي جامعها، وسقط عن فرسه فشج جبينه، ثم عوفي. وفي ربيع الآخر: زادت دجلة زيادة عظيمة، فغرق بسبب ذلك محال كثيرة من بغداد، حتى صار أكثر الدور بها تلولا، وغرقت تربة أحمد، وخسفت هناك القبور، وطفت الموتى على وجه الماء. قاله ابن الجوزي: وفي هذه السنة، كثر المرض والموت، وفيها: أقبل ملك الروم في جحافل كثيرة، قاصدا بلاد الشام، فرده الله خائبا خاسئا، وذلك لضيق حالهم من الميرة، وأسر المسلمون ابن أخته، ولله الحمد. وحج بالناس فيها قيماز الأرجواني .

ومن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن معالي

ابن بركة الحربي، تفقه بأبي الخطاب الكلوذاني الحنبلي، وبرع، وناظر، ودرس، وأفتى، ثم صار بعد ذلك شافعيا، ثم عاد حنبليا، ووعظ ببغداد، وتوفي في هذه السنة، وذلك أنه دخلت به راحلته في مكان ضيق، فدخل قربوس سرجه في صدره، فمات .

السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه

لما رجع من محاصرة بغداد إلى همذان أصابه مرض السل، فلم ينج منه، بل توفي في ذي الحجة منها، وقبل وفاته بأيام، أمر أن يعرض عليه، جميع ما يملكه، ويقدر عليه وهو جالس في المنظرة، فركب الجيش بكماله، وأحضرت أمواله كلها، ومماليكه، حتى جواريه، وحظاياه، فجعل يبكي ويقول: هذه العساكر لا يدفعون عني مثقال ذرة من أمر ربي، ولا يزيدون في عمري لحظة. ثم ندم، وتأسف، على ما كان منه إلى الخليفة المقتفي، وأهل بغداد، وحصارهم، وأذيتهم، ثم قال: وهذه الخزائن، والأموال، والجواهر، لو قبلهم ملك الموت مني فداء، لجدت بذلك جميعه له، وهذه الحظايا، والجواري الحسان، والمماليك، لو قبلهم فداء مني لكنت بذلك سمحا له. ثم قال : ﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ [الحاقة: ٢٨ ، ٢٩] ثم فرق شيئا كثيرا من ذلك، من تلك الحاصل، والأموال، وتوفي عن ولد صغير، واجتمعت العساكر، والأمراء على عمه سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه، وكان مسجونا بالموصل، فأفرج عنه، وانعقدت له السلطنة، وخطب له على منابر تلك البلاد، سوى بغداد، والعراق. والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة

فيها: كانت وفاة الخليفة المقتفي بأمر الله .

أبو عبد الله بن محمد بن المستظهر بالله

مرض بالتراقي [1] وقيل : بدمل خرج بحلقه، فمات ليلة الأحد ثاني ربيع الأول منها، عن ست وستين سنة، إلا ثمانية وعشرين يوما، ودفن بدار الخلافة، ثم نقل إلى الترب، وكانت

---

(١) التراقي : مرض يصيب الترقوة : وهى العظمة التى بين ثغرة النحر والعاتق فى أعلى الصدر .

خلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وستة وعشرين يوما وكان شهما،شجاعا،مقداما،يباشر الأمور بنفسه، ويشاهد الحروب، ويبذل الأموال الكثيرة لأصحاب الأخبار،وهو أول من استبد بالعراق منفردا عن السلطان، من أول أيام الديلم إلى أيامه، وتمكن في الخلافة،وحكم على العسكر،والأمراء،وقد وافق أباه في أشياء:من ذلك مرضه بالتراقي،وموته في ربيع الأول،وتقدم موت السلطان محمد شاه قبله بثلاثة أشهر،وكذلك أبوه المستظهر مات قبله السلطان محمود بثلاثة أشهر، وبعد غرق بغداد بسنة مات أبوه،وكذلك هذا.قال عفيف الناسخ:رأيت في المنام قائلا يقول:إذا اجتمعت ثلاث خاءات مات المقتفي ــ يعني خمسا وخمسين وخمسمائة .

خلافة المستنجد بالله أبو المظفر يوسف بن المقتفي

لما توفي أبوه ــ كما ذكرنا ــ بويع بالخلافة في صبيحة يوم الأحد ثاني ربيع الأول من هذه السنة بايعه أشراف بني العباس، ثم الوزير، والقضاة، والعلماء، والأمراء، وعمره يومئذ خمس وأربعون سنة، وكان رجلا صالحا، وكان ولي عهد أبيه من مدة متطاولة، ثم عمل عزاء أبيه، ولما ذكر اسمه يوم الجمعة في الخطبة نثرت الدراهم والدنانير على الناس، وفرح المسلمون به بعد أبيه، وأقر الوزير ابن هبيرة على منصبه، ووعده بذلك إلى الممات، وعزل قاضي القضاة ابن الدامغاني، وولي مكانه أبا جعفر بن عبد الواحد، وكان شيخا كبيرا، له سماع الحديث، وباشر الحكم بالكوفة، ثم توفي في ذي الحجة منها. وفي شوال من هذه السنة اتفق الأتراك بباب همذان على سليمان شاه، وخطبوا لأرسلان شاه بن طغرل، وفيها توفي .

الفائز خليفة مصر الفاطمي

وهو أبو القاسم عيسي بن إسماعيل الظافر، توفي في صفر منها، وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة، ومدة ولايته من ذلك ست سنين وشهران، وكان مدبر دولته أبو الغارات. ثم قام بعده العاضد آخر خلفائهم، وهو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ، ولم يكن أبوه خليفة، وكان يومئذ قد ناهز الاحتلام، فقام بتدبير مملكته الملك الصالح طلائع بن رزيك الوزير، أخذ له البيعة، وزوجه بابنته، وجهزها بجهاز عظيم يعجز عنه الوصف، وقد عمرت بعد زوجها العاضد، ورأت زوال دولة الفاطميين، على يد الملك صلاح الدين بن يوسف في سنة أربع وستين، كما سيأتي .

وفيها : كانت وفاة السلطان الكبير صاحب غزنة :

خسرو شاه بن ملكشاه

ابن بهرام شاه بن مسعود بن إبراهيم بن محمود بن سبكتكين، من بيت ملك، ورياسة باذخة، يرثوها كابرا عن كابر، وكان من سادات الملوك، وأحسنهم سيرة، يحب العلم وأهله، توفي في رجب منها، وقام بعده ولده ملكشاه، فسار إليه علاء الدين الحسين بن الغور، فحاصر غزنة، فلم يقدر عليها، ورجع خائبا. وفيها مات .

ملكشاه بن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه

السلجوقي، مات بأصبهان مسموما، فيقال : إن الوزير عون الدين بن هبيرة دس إليه من سقاه إياه، والله أعلم. وفيها مات أمير الحاج .

قيماز بن عبد الله الأرجواني

سقط عن فرسه وهو يلعب بالكرة بميدان الخليفة، فسال دماغه من أذنه، فمات من ساعته، وقد كان من خيار الأمراء، فتأسف الناس عليه، وحضر جنازته خلق كثير، مات في شعبان منها، فحج بالناس فيها الأمير برغش مقطع الكوفة. وحج الأمير الكبير شيركوه بن شاذي، مقدم عساكر الملك نور الدين ، وتصدق بأموال كثيرة . وفيها : استعفي القاضي زكي الدين أبو الحسن على بن محمد بن يحيي أبو الحسن القرشي من القضاء بدمشق، فأعفاه نور الدين، وولي مكانه القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري، وكان من خيار القضاة، وأكثرهم صدقة، وله صدقات جارية بعده، وكان عالما، وإليه ينسب الشباك الكمالي، الذي يجلس فيه الحكام بعد صلاة الجمعة، من المشهد الغربي بالجامع الأموي، والله أعلم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الأمير مجاهد الدين

نزار بن مامين الكردي، أحد مقدمي جيش الشام قبل نور الدين وبعده، وقد ناب في مدينة صرخد، وكان شهما، شجاعا، كثير البر والصدقات، وهو واقف المدرسة المجاهدية، بالقرب من الغورية، جوار الخيميين، وله أيضا المدرسة المجاهدية، داخل باب الفراديس البراني، وبها قبره. وله السبع المجاهدي، داخل باب الزيادة من الجامع، بمقصورة الخضر، توفي بداره في صفر منها، فحمل إلى الجامع، وصلي عليه، ثم أعيد إلى مدرسته، ودفن بها داخل باب الفراديس، وتأسف الناس عليه .

الشيخ عدي بن مسافر

ابن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان الهكاري، شيخ الطائفة العدوية، أصله من البقاع غربي دمشق من قرية بيت نار، ثم دخل إلى بغداد، فاجتمع فيها بالشيخ عبد القادر والشيخ حماد الدباس، والشيخ عقيل المنبجي، وأبي الوفا الحلواني، وأبي النجيب السهروردي، وغيرهم، ثم انفرد عن الناس، وتخلي بجبل هكار، وبني له هناك زاوية، واعتقده أهل تلك الناحية اعتقادا بليغا حتى أن منهم من يغلو غلوا كثيرا منكرا، ومنهم من يجعله إلها أو شريكا، وهذا اعتقاد فاحش، يؤدي إلى الخروج من الدين جملة. مات في هذه السنة، بزاويته، وله سبعون سنة، رحمه الله .

عبد الواحد بن أحمد

ابن محمد بن حمزة، أبو جعفر الثقفي، قاضي قضاة بغداد، وليها بعد أبي الحسن الدامغاني، في أول هذه السنة، وكان قاضيا بالكوفة قبل ذلك، توفي في ذي الحجة منها، وقد ناهز الثمانين، وولي بعده ابنه جعفر. والفائز صاحب مصر وقيماز. تقدما في الحوادث .

محمد بن يحيي

ابن على بن مسلم أبو عبد الله الزبيدي، ولد بمدينة زبيد باليمن، سنة ثمانين تقريبا، وقدم بغداد سنة تسع وخمسمائة، فوعظ، وكانت له معرفة بالنحو، والأدب، وكان صبورا على الفقر، لا يشكو حاله إلى أحد، وكانت له أحوال صالحة، رحمه الله، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة

فيها: قتل السلطان سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه، وكان عنده استهزاء، وقلة مبالاة بالدين، مدمن شرب الخمر في رمضان، فثار عليه مدبر مملكته يزديار الخادم، فقتله، وبايع بعده السلطان أرسلان شاه طغرل بن محمد بن ملكشاه. وفيها: قتل الملك الصالح فارس الدين أبو الغارات طلائع بن رزيك الأرمني وزير العاضد صاحب مصر، ووالد زوجته، وكان قد حجر على العاضد لصغره، واستحوذ على الأمور والحاشية، ووزر بعده ولده رزيك، ولقب بالعادل، وقد كان أبوه الصالح كريما أديبا، يحب أهل العلم، ويحسن إليهم، كان من خيار الملوك والوزراء، وقد امتدحه غير واحد من الشعراء. قال ابن خلكان: كان أولا متوليا بمنية بني الخصيب، ثم آل به الحال إلى أن صار وزير العاضد، والفائز قبله، ثم قام في الوزارة بعده ولده العادل رزيك بن طلائع، فلم يزل فيها حتى انتزعها منه شاور، كما سيأتي. قال: والصالح هذا هو باني الجامع عند باب زويلة ظاهر القاهرة. قال: ومن العجائب أنه ولي الوزارة في تاسع عشر شهر، ونقل من دار الوزارة إلى القرافة في تاسع عشر شهر وزالت دولتهم في تاسع عشر شهر آخر. قال: ومن شعره ما رواه عنه زين الدين على بن نجا الحنبلي :

فَشَيَّبُكَ قد محى صُنْعَ الشباب ... وحلَّ البازُ فى وكرِ الغراب
تنامُ ومقلةُ الحدثان يقظَى ... وما نابُ النوائب عنك نابِ
وكيف نَفَادُ عُمْرِك وهو كنزُ ... وقد أنفقت منه للإحسان؟

وله :

كم ذا يرينا الدهرُ من أحداثه ... عبراً وفينا الصدُّ والإعراضُ
نفس المماتِ وليس يجرى ذِكْرُه ... فينا فتُذكرُنا به الأمراضُ

ومن شعره أيضاً قوله :

أبى اللهُ إلا أن يدومَ لنا الدهرُ ... ويخدُمُنا فى ملكنا العزُ والنصرُ
عَلِمْنَا بأنَّ المالَ تفنى ألوفهُ ... ويبقى لنا من بعدِه الأجرُ والذكرُ

خَلَطْنَــــا الندى باليأسِ حتى كأنَّنا — سحابٌ لديه البرقُ والرعدُ والقطرُ

وله أيضاً وهو مما نظمه قبل موته بثلاث ليال:

نحنُ في غفـــلة ونـــوم وللمـــو — ت عيـــونٌ يقظـــانَةٌ لا تـــنامُ
قَدْ رَحلْنَـــا إلَى الحِمــــامِ سنيناً — ليتَ شعرى متى يكـــونُ الحِمام؟

ثم قتله غلمان العاضد في النهار غيلة، وله إحدى وستون سنة، وخلع على ولده العادل بالوزارة، ورثاه عمارة التميمي بقصائد حسان، ولما نقل إلى تربته بالقرافة سار العاضد معه حتى وصل إلى قبره، فدفنه في التابوت. قال ابن خلكان: فعمل الفقيه عمارة في التابوت قصيدة، فجار فيها في قوله :

وكأنَّه تابوتُ موسى أُودِعَتْ — في جَانِبَيْه سكينةٌ ووقارُ

وفيها: كانت وقعة عظيمة بين بني خفاجة، وأهل الكوفة، فقتلوا من أهل الكوفة خلقا: منهم الأمير قيصر، وجرحوا أمير الحاج برغش جراحات، فنهض إليهم وزير الخلافة عون الدين ابن هبيرة، فتبعهم، حتى أوغل خلفهم في البرية،في جيش كثيف، فبعثوا يطلبون العفو. وفيها: ولي مكة الشريف عيسي بن قاسم بن أبي هاشم، وقيل : قاسم بن أبي فليتة بن قاسم بن أبي هاشم. وفيها : أمر الخليفة بإزالة الدكاكين التي تضيق الطرقات، وأن لا يجلس أحد من الباعة في عرض الطريق، لئلا يضر ذلك بالمارة. وفيها : وقع رخص عظيم ببغداد جدا. وفيها : فتحت المدرسة التي بناها ابن الشمحل في المأمونية، ودرس فيها أبو حكيم إبراهيم بن دينار النهرواني الحنبلي، وقد توفي من آخر هذه السنة، ودرس بعده فيها أبو الفرج بن الجوزي، وقد كان عنده معيدا، ونزل عن تدريس آخر بباب الأزج عند موته .

وممن توفي فيها من الأعيان :

حمزة بن علي بن طلحة

أبو الفتوح الحاجب، كان خصيصا عند المسترشد والمقتفي، وقد بني مدرسة إلى جانب داره، وحج، فرجع متزهدا، ولزم بيته معظما نحوا من عشرين سنة، وقد امتدحه الشعراء، فقال فيه بعضهم :

يا عَضُــدَ الإسلامِ يا مـَــنْ سَمَـــتْ — إلى العـــلا همّتُــه الفـــاخــــــرَةْ
كانتْ لَكَ الدنيا فلـــم ترضهــــا — ملكـــاً فأخلـــدتَ إلى الآخـــرةْ

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة

فيها: دخلت الكرج بلاد المسلمين، فقتلوا خلقا من الرجال، وأسروا من الذراري، فاجتمع ملوك تلك الناحية: إيلدكز صاحب أذربيجان، وابن سكمان صاحب خلاط، وابن آقسنقر صاحب مراغة، وساروا إلى بلادهم في السنة الآتية، فنهبوها، وأسروا ذراريهم، والتقوا معهم،

فكسروهم كسرة فظيعة منكرة، مكثوا يقتلون فيهم ويأسرون ثلاثة أيام. وفي رجب: أعيد يوسف الدمشقي إلى تدريس النظامية، بعد عزل ابن نظام الملك، بسبب أن امرأة ادعت أنه تزوجها، فأنكر، ثم اعترف، فعزل عن التدريس. وفيها: كملت المدرسة التي بناها الوزير ابن هبيرة بباب البصرة، ورتب فيها مدرسا، وفقيها، وحج بالناس أمير الكوفة برغش .

وممن توفي فيها من الأعيان :

شجاع شيخ الحنفية

ودفن عند المشهد، وكان شيخ الحنفيه بمشهد أبي حنيفة، وكان جيد الكلام في النظر، أخذ عند الحنفية .

صدقة بن وزير الواعظ

دخل بغداد، ووعظ بها، وأظهر تقشفا، وكان يميل إلى التشيع وعلم الكلام، ومع هذا كله راج عند العوام، وبعض الأمراء، وحصل له فتوح كثير، ابتني منه رباطا، وفن فيه، سامحه الله تعالى .

زمرد خاتون

بنت جاولي، أخت الملك دقماق بن تتش لأمه، وهي بانية الخاتونية، ظاهر دمشق، عند قرية صنعاء، بمكان يقال له: تل الثعالب، غربي دمشق، على جانب الشرق القبلي، بصنعاء الشام، وهي قرية معروفة قديما، وأوقفتها على الشيخ برهان الدين على بن محمد البلخي الحنفي المتقدم ذكره، وكانت زوجة الملك بوري بن طغتكين، فولدت له ابنيه شمس الملوك إسماعيل المذكور، وقد ملك بعد أبيه، وسار سيرته، ومالأ الفرنج على المسلمين، وهم بتسليم البلد والأموال إليهم، فقتلوه، وتملك أخوه، وذلك بعد مراجعتها، ومساعدتما، وقد كانت قرأت القرآن، وسمعت الحديث، وكانت حنفية المذهب، تحب العلماء، والصالحين، وقد تزوجها الأتابكي زنكي صاحب حلب، طمعا في أن يأخذ بسببها دمشق، فلم يظفر بذلك، بل ذهبت إليه إلى حلب، ثم عادت إلى دمشق بعد وفاته، وقد دخلت بغداد، وسارت من هناك إلى الحجاز، وجاورت بمكة سنة، ثم جاءت فأقامت بالمدينة النبوية، حتى ماتت بها، ودفنت بالبقيع في هذه السنة، وقد كانت كثيرة البر والصدقات والصلاة والصوم قال السبط: و لم تمت حتى قل ما بيدها، وكانت تغربل القمح، والشعير، وتتقوت بأجرته. وهذا من تمام الخير، والسعادة، وحسن الخاتمة، رحمها الله تعالى، والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة

فيها: مات صاحب المغرب، عبد المؤمن بن علي التومرتي، وخلفه في الملك من بعده، ابنه يوسف، وحمل أباه إلى مراكش، على صفة أنه مريض، فلما وصلها أظهر موته، فعزاه الناس، وبايعوه على الملك من بعد أبيه، ولقبوه أمير المؤمنين، وقد كان عبد المؤمن هذا حازما شجاعا، جوادا، معظما للشريعة، وكان من لا يحافظ على الصلوات في زمانه يقتل، وكان إذا أذن

المؤذن، وقبل الأذان، يزدحم الخلق في المساجد وكان حسن الصلاة، ذا طمأنينة فيها كثير الخشوع، ولكن كان سفاكا للدماء، حتى على الذنب الصغير، فأمره إلى الله يحكم فيه بما يشاء.
وفيها: قتل سيف الدين محمد بن علاء الدين الغز، قتله الغز وكان عادلا. وفيها: كبست الفرنج نور الدين، وجيشه، فانهزم المسلمون، لا يلوي أحد على أحد، ونهض الملك نور الدين، فركب فرسه، والشبحة في رجله، فنـزل رجل كردي فقطعها، فسار نور الدين فنجا، وأدركت الفرنج ذلك الكردي، فقتلوه، رحمه الله، فأحسن نور الدين إلى ذريته، وكان لا ينسى ذلك له. وفيها: أمر الخليفة بإجلاء بني أسد عن الحلة، وقتل من تخلف منهم؛ وذلك لإفسادهم، ومكاتبتهم السلطان محمد شاه، وتحريضهم له على حصار بغداد، فقتل من بني أسد أربعة آلاف، وخرج الباقون منها، وتسلم نواب الخليفة الحلة. وحج بالناس فيها الأمير برغش الكبير.

ومن توفي فيها من الأعيان : السلطان الكبير

أبو محمد عبد المؤمن بن علي

القيسي الكوفي تلميذ ابن التومرت، كان أبوه يعمل في الطين فاعلا، فحين وقع نظر ابن التومرت عليه، أحبه، وتفرس فيه أنه شجاع سعيد، فاستصحبه، فعظم شأنه، والتفت عليه العساكر التي جمعها ابن التومرت من المصامدة، وغيرهم، وحاربوا صاحب مراكش على بن يوسف بن تاشفين، ملك الملثمين، واستحوذ عبد المؤمن على وهران، وتلمسان، وفاس، وسلا وسبتة، ثم حاصر مراكش، أحد عشر شهرا، فافتتحها في سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة، وتمهدت له الممالك هنالك، وصفا له الوقت، وكان عاقلا، وقورا، شكلا، حسنا، محبا للخير، توفي في هذه السنة، ومكث في الملك ثلاثا وثلاثين سنة، وكان يسمي نفسه أمير المؤمنين، رحمه الله .

طلحة بن علي

ابن طراد، أبو أحمد الزينبي، نقيب النقباء، مات فجأة، وولي النقابة بعده، ولده أبو الحسن علي ، وكان أمرد، فعزل، وصودر في هذه السنة .

محمد بن عبد الكريم

ابن إبراهيم، أبو عبد الله المعروف بابن الأنباري، كاتب الإنشاء ببغداد، وكان شيخا حسنا ظريفا، وانفرد بصناعة الإنشاء، وبعث رسولا إلى الملك سنجر وغيره، وخدم الملوك، والخلفاء، وقارب التسعين، ومن شعره في محبي الدنيا والصور :

يا مَـــنْ هجـــرتَ ولا تبالي ... هـــل تَـــرْجِعُ دولةُ الوصـــالِ؟
هل أطمـــعُ يـــا عذابَ قلبي ... أنْ يَنْعـــمَ في هـــواك بـــالي؟
مـــا ضـــرّك أنْ تعلّليـــني ... بالوصـــلِ بمـــوعد المـــحالِ
أهـــواكِ وأنـــت حـــظُّ غـــيري ... يـــا قـــاتلتي فمـــا احتيـــالي
أيـــامُ عَنـــائي فيك سُودٌ ... مـــا أشـــبَهَهُنَّ بـــالليالي

العُــذّلُ فيـــــك يَعْــــــذُلُونِي عــن حبِّك مـــا لهـــم ومالي
يـــا ملـــزمني السّلوَّ عنهـــا الصَّـــبُّ أنـــا وأنـــتَ ســـالي
والقـــــولُ بتـــركها صوابُ مـــا أحســـنه لـــو استوى لي
طلّقـــتُ تجلـــــدي ثـــلاثاً والصبـــوةُ بعـــدُ في خيـــالي

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمائة

فيها: قدم شاور بن مجير الدين، أبو شجاع السعدي، الملقب بأمير الجيوش، وهو إذ ذاك وزير الديار المصرية، بعد آل رزيك، لما قتل الناصر رزيك بن طلائع، وقام في الوزارة بعده، واستفحل أمره فيها، ثار عليه أمير يقال له: الضرغام بن سوار، وجمع له جموعا كثيرة، واستظهر عليه، وقتل ولديه: طيبا، وسليمان، وأسر الثالث، وهو الكامل بن شاور، فسجنه، ولم يقتله، ليَد كانت لأبيه عنده، واستوزر ضرغام، ولقب بالمنصور، فخرج شاور من الديار المصرية، هارًبا من العاضد ومن ضرغام، ملتجئا إلى نور الدين محمود، وهو نازل بجوسق الميدان الأخضر، فأحسن ضيافته، وأنزله بالجوسق المذكور، وطلب شاور منه عسكرا، ليكونوا معه، ليفتح بهم الديار المصرية، وليكون لنور الدين ثلث مغلها، فأرسل معه جيشا عليه أسد الدين شيركوه بن شادي، فلما دخلوا بلاد مصر خرج إليهم الجيش الذى بها، فاقتتلوا أشد القتال، فهزمهم أسد الدين، وقتل منهم خلقا، وقتل ضرغام بن سوار، وطيف برأسه في البلاد، واستقر أمر شاور في الوزارة، وتمهد حاله، ثم اصطلح العاضد وشاور على أسد الدين، ورجع عما كان عاهد عليه نور الدين، وأمر أسد الدين بالرجوع، فلم يقبل منه، وعاث في البلاد، وأخذ أموالا كثيرة، وافتتح بلدانا كثيرة، من الشرقية، وغيرها، فاستغاث شاور عليهم بملك الفرنج الذي بعسقلان، واسمه مري، فأقبل في خلق كثير، فتحول أسد الدين إلى بلبيس، وقد حصنها، وشحنها بالعدد، والآلات، وغير ذلك، فحصروه فيها ثمانية أشهر، وامتنع أسد الدين وأصحابه أشد الامتناع، فبينما هم على ذلك، إذ جاءت الأخبار، بأن الملك نور الدين قد اغتنم غيبة الفرنج، فسار إلى بلادهم، فقتل منهم خلقا كثيرا، وفتح حارم، وقتل من الفرنج بها خلقا، وسار إلى بانياس، فضعف صاحب عسقلان الفرنجي، وطلبوا من أسد الدين الصلح، فأجابهم إلى ذلك، وقبض من شاور ستين ألف دينار، وخرج أسد الدين وجيشه، فساروا إلى الشام في ذي الحجة .

وقعة حارم

فتحت في رمضان من هذه السنة، وذلك أن نور الدين استغاث بعساكر المسلمين، فجاءوه من كل فج، ليأخذ ثأره من الفرنج، فالتقي معهم على حارم، فكسرهم كسرة فظيعة، وأسر البرنس بيمند صاحب إنطاكية، والقومص صاحب طرابلس، والدوك صاحب الروم، وابن جوسليق، وقتل منهم عشرة آلاف، وقيل: عشرين ألفا. وفي ذي الحجة منها: فتح نور الدين مدينة بانياس، وقيل: إنه إنما فتحها في سنة ستين فالله أعلم. وكان معه أخوه نصر الدين أمير أميران، فأصابه سهم في إحدى عينيه، فأذهبها، فقال له الملك نور الدين: لو نظرت لما أعد الله

لك من الأجر في الآخرة، لأحببت أن تذهب الأخرى. وقال لابن معين الدين: إنه اليوم بردت جلدة والدك من نار جهنم؛ لأنه كان سلمها للفرنج، فصالحه عن دمشق. وفي شهر ذي الحجة احترق قصر جيرون حريقا عظيما، فحضر في تلك الليلة الأمراء، منهم أسد الدين شيركوه، بعد رجوعه من مصر، وسعي سعيا عظيما في إطفاء هذه النار، وصون حوزة الجامع منها .
وممن توفي فيها من الأعيان :

جمال الدين

وزير صاحب الموصل، قطب الدين مودود بن زنكي، كان كثير المعروف، واسمه محمد بن علي بن أبي منصور، أبو جعفر الأصبهاني، الملقب بالجمال، كان كثير الصدقة والبر، وقد أثر آثارا حسنة، بمكة، والمدينة، من ذلك أنه ساق عينا إلى عرفات، وعمل هناك مصانع، وبنى مسجد الخيف ودرجه وعملها بالرخام، وبنى على المدينة النبوية سورا، وبنى جسرا على دجلة، عند جزيرة ابن عمر بالحجر المنحوت، والحديد، والرصاص. وبنى الربط الكثيرة، وكان يتصدق في كل يوم في بابه بمائة دينار، ويفتدي من الأسارى في كل سنة بعشرة آلاف دينار. وكان لا تزال صدقاته وافدة إلى الفقهاء، والفقراء حيث كانوا من بغداد، وغيرها من البلاد. وقد حبس في سنة ثمان وخمسين، فذكر ابن الساعي في تاريخه، عن شخص كان معه في السجن: أنه نزل إليه طائر أبيض قبل موته، فلم يزل عنده وهو يذكر الله حتى توفي في شعبان من هذه السنة، ثم طار عنه، ودفن في رباط بناه لنفسه بالموصل، وقد كان بينه وبين أسد الدين شيركوه بن شادي مواخاة وعهد، أيهما مات قبل الآخر، أن يحمله إلى المدينة النبوية، فحمل إليها من الموصل على أعناق الرجال، فما مروا به على بلدة إلا صلوا عليه، وترحموا عليه وأثنوا خيرا فصلوا عليه بالموصل، وتكريت، وبغداد والحلة، والكوفة، وفيد ومكة، وطيف به حول الكعبة، ثم حمل إلى المدينة النبوية، فدفن بها في رباط بناه شرقي مسجد النبي ﷺ . قال ابن الجوزي وابن الساعي: ليس بينه وبين حرم النبي ﷺ وقبره سوى خمسة عشر ذراعاً. قال ابن الساعي :

ولما صلي عليه بالحلة، صعد شاب نشزا [1] فأنشد :

سري نَعْشُه على الرقاب وطالما ... سري جودُهُ فوقَ الركاب ونائلُهْ
يَمُرّ على الوادي فَتُثْنِي رِمالُه ... عليه وبالنادي فتثني أراملُهْ

وممن توفي بعد الخمسين :

ابن الخازن الكاتب

أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الخالق أبو الفضل المعروف بابن الخازن الكاتب البغدادي الشاعر. كان يكتب جيدا فائقا، اعتنى بكتابة الختمات، وأكثر ابنه نصر الله من كتابة المقامات، وجمع لابنه ديوان شعر، وأورد منه ابن خلكان قطعة كبيرة .

---

(٣) نشزاً : مرتفعاً من الأرض .

ثم دخلت سنة ستين وخمسمائة

في صفر منها: وقعت بأصبهان فتنة عظيمة بين الفقهاء، بسبب المذاهب، دامت أياما، وقتل فيها خلق كثير. وفيها: كان حريق عظيم ببغداد، فاحترقت محال كثيرة جدا، وذكر ابن الجوزي أن في هذه السنة ولدت امرأة ببغداد أربع بنات في بطن واحد، وحج بالناس فيها الأمير برغش الكبير .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عمر بن بهليقا

الطحان الذي جدد جامع العقيبة ببغداد، واستأذن الخليفة في إقامة الجمعة فيه، فأذن له في ذلك، وكان قد اشتري ما حوله من القبور، فأضاف ذلك إليه، ونبش الموتى منها، فقيض الله له من نبشه من قبره بعد دفنه، جزاء وفاقا .

محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد الحميد

أبو عبد الله الحراني، كان آخر من بقي من الشهود المقبولين عند أبي الحسن الدامغاني، وقد سمع الحديث، وكان لطيفا ظريفا، جمع كتابا سماه "روضة الأدباء"، فيها نتف حسنة. قال ابن الجوزي: زرته يوما، فأطلت الجلوس عنده، فقلت: أقوم فقد ثقلت، فأنشدني :

لئن سئمتَ إبراماً وثقلاً ... زياراتُ رفعتَ بهن قَدْري

فما أبرمتَ إلا حَبْلَ وديٍّ ... وَلاَ ثَقَّلْتَ إلا ظَهْرَ شُكْري

مرجان الخادم

كان يقرأ القراءات، وتفقه لمذهب الشافعي، وكان يتعصب على الحنابلة، ويكرههم، ويعادي الوزير ابن هبيرة وابن الجوزي معاداة شديدة، ويقول لابن الجوزي: مقصودي قلع مذهبكم، وقطع ذكركم. ولما توفي ابن هبيرة في هذه السنة قوي على ابن الجوزي، وخافه ابن الجوزي، فلما توفي في هذه السنة فرح ابن الجوزي فرحا شديدا، توفي في ذي القعدة منها .

ابن التلميذ

الطبيب، الحاذق، الماهر، اسمه هبة الله بن صاعد : توفي عن خمس وتسعين سنة، وكان موسعا عليه في الدنيا، وله عند الناس وجاهة كبيرة، وقد توفي ـــ قبّحه الله ـــ على دينه، ودفن بالبيعة العتيقة، لا رحمه الله إن كان مات نصرانيا، فإنه كان يزعم أنه مسلم، ثم مات على دينه.

الوزير ابن هبيرة

يحيي بن محمد بن هبيرة، أبو المظفر الوزير للخلافة عون الدين، مصنف كتاب (الإفصاح)، وقد قرأ القرآن، وسمع الحديث، وكانت له معرفة جيدة بالنحو، واللغة والعروض، وتفقه على مذهب الإمام أحمد، وصنف كتبا جيدة مفيدة، من ذلك (الإفصاح) في مجلدات، شرح فيه الحديث، وتكلم على مذاهب العلماء، وكان على مذهب السلف في الاعتقاد، وقد كان فقيرا

لا مال له، ثم تعرض للخدمة إلى أن وزر للمقتفي، ثم لابنه المستنجد، وكان من خيار الوزراء وأحسنهم سيرة، وأبعدهم عن الظلم، وكان لا يلبس الحرير، وكان المقتفي يقول: ما وزر لبني العباس مثله. وكذلك ابنه المستنجد، وكان المستنجد معجبا به، قال مرجان الخادم: سمعت أمير المؤمنين ينشد لابن هبيرة وهو بين يديه من شعره :

صَفَتْ نعمتان خُصّتاك وعَمَّتا — فَذكْرُهما حتى القيامة يُذْكرُ
وجودُك والدنيا إليك فقيرةٌ — وجُودُكَ والمعروفُ في الناس يُنْكرُ
فَلَوْ رَامَ يا يحيى مكانَكَ جَعْفرٌ — ويحيى لَكُفَّا عنه يحيى وجعفرُ
ولم أرَمَنْ ينوى لك السوءَ يا أبا الـ — مظفرِ إلا كنتَ أنتَ المُظَفَّرُ

وقد كان يبالغ في إقامة الدولة العباسية، وحسم مادة الملوك السلجوقية عنهم بكل ممكن حتى استقرت الخلافة في العراق كله ليس للملوك معهم حكم بالكلية، ولله الحمد. وكان يعقد في داره للعلماء مجلسا للمناظرة، يبحثون فيه، ويناظرون عنده يستفيد منهم، ويستفيدون منه، فاتفق يوما أنه كلم رجلا من الفقهاء، كلمة فيها بشاعة، قال له: يا حمار. ثم ندم، فقال:أريد أن تقول لي: كما قلت لك. فامتنع ذلك الرجل، فصالحه على مائتي دينار. مات فجأة، وقال: إنه سمه طبيب، فسم ذلك الطبيب بعد ستة أشهر، وكان الطبيب يقول: سَمَمْتُه، فَسُمِمْتُ. مات يوم الأحد، الثاني عشر من جمادى الأولى من هذه السنة، عن إحدى وستين سنة، وغسله ابن الجوزي، وحضر جنازته خلق كثير، وجم غفير جدا، وغلقت الأسواق، وتباكي الناس عليه، ودفن بالمدرسة التي أنشأها بباب البصرة، رحمه الله. وقد رثاه الشعراء بمراثي كثيرة .

ثم دخلت سنة إحدى وستين وخمسمائة

فيها: فتح نور الدين محمود حصن المنيطرة من الشام وقتل عنده خلق كثير من الفرنج، وغنم أموالا جزيلة. وفيها: هرب عز الدين بن الوزير ابن هبيرة من السجن، ومعه مملوك تركي، فنودي عليه في البلد من رده فله مائة دينار، ومن وجد عنده هدمت داره، وصلب على بابها، وذبحت أولاده بين يديه، فدلهم رجل من الأعراب عليه، فأخذ من بستان، فضرب ضربا شديدا، وأعيد إلى السجن، وضيق عليه، وفيها: أظهر الروافض سب الصحابة، وتظاهروا بأشياء منكرة، ولم يكونوا يتمكنون منها في هذه الأعصار المتقدمة، خوفا من ابن هبيرة، ووقع بين العوام كلام، فيما يتعلق بخلق القرآن. وحج بالناس برغش .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن العباس

ابن أبي الطيب بن رستم، أبو عبد الله الأصبهاني، كان من كبار الصالحين البكائين، قال: حضرت يوما بمجلس ما شاده، وهو يتكلم على الناس، فرأيت رب العزة في هذه الليلة، وهو

يقول لي: وقفت على مبتدع، وسمعت كلامه؟ لأحرمنك النظر في الدنيا. فأصبح لا يبصر، وعيناه مفتوحتان، كأنه بصير .

عبد العزيز بن الحسن

ابن الحباب الأغلبي السعدي القاضي، أبو المعالي البصري، المعروف بابن الجليس، لأنه كان يجالس صاحب مصر، وقد ذكره العماد في (الجريدة) ، وقال: كان له فضل مشهور، وشعر مأثور. فمن ذلك قوله :

وَمِنْ عَجَبٍ أنّ السيوفَ لَدَيْهِمُ تحيضُ دماءً والسيوفُ ذكورُ
وأعجبُ مِنْ ذا أنّها في أكُفِّهم تُأجّجُ ناراً والأكُفُّ بحورُ

الشيخ عبد القادر الجيلي

ابن أبي صالح أبو محمد الجيلي، ولد سنة سبعين وأربعمائة، ودخل بغداد، فسمع الحديث، وتفقه على أبي سعيد المخرمي الحنبلي، وقد كان بني مدرسة، ففوضها إلى الشيخ عبد القادر، فكان يتكلم على الناس بها، ويعظمهم، وانتفع به الناس انتفاعاً كثيراً، وكان له سمت حسن، وصمت، غير الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وكان فيه تزهد كثير، وله أحوال صالحة، ومكاشفات، ولأتباعه، وأصحابه فيه مقالات، ويذكرون عنه أقوالا، وأفعالا، ومكاشفات، أكثرها مغالاة، وقد كان صالحا، ورعا، وقد صنف كتاب " الغنيمة " و" فتوح الغيب " وفيهما أشياء حسنة، وذكر فيهما أحاديث ضعيفة وموضوعة، وبالجملة كان من سادات المشايخ، [توفي] وله تسعون سنة، ودفن بالمدرسة التي كانت له .

ثم دخلت سنة ثنتين وستين وخمسمائة

فيها: أقبلت الفرنج في جحافل كثيرة، إلى الديار المصرية، وساعدهم المصريون، فتصرفوا في بعض البلاد، فبلغ ذلك أسد الدين شيركوه، فاستأذن الملك نور الدين في العود إليها، وكان كثير الحنق على الوزير شاور، فأذن له، فسار إليها في ربيع الآخر، ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب، وقد وقع في النفوس أنه سيملك الديار المصرية، وفي ذلك يقول عرقلة المسمي بحسان الشاعر .

وذى الأتراكِ قد أزمعتْ مِصْرَ إلى حربِ الأعاريبِ
رَبٌّ كَمَا مَلَّكَهَا يوسفُ الصدِّيقُ مِنْ أولادِ يعقوبَ
فَمَلّكْها في عصرنا يوسفَ الصادقَ من أولادِ أيوبَ
مَنْ لم يزلْ ضَرّابَ هامِ العدا حقّاً وضَرّابَ العَراقيبِ

ولما بلغ الوزير شاور قدوم أسد الدين والجيش معه، بعث إلى الفرنج، فجاءوا من كل فج إليه، وبلغ أسد الدين ذلك من شأنهم، وإنما معه ألفا فارس،فاستشار من معه من الأمراء،فكلهم

أشار عليه بالرجوع إلى نور الدين لكثرة الفرنج إلا أميرا واحدا يقال له: شرف الدين برغش، فإنه قال: من خاف القتل، والأسر، فليقعد في بيته عند زوجته، ومن أكل أموال الناس، فلا يسلم بلادهم إلى العدو. وقال : مثل ذلك ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب، فعزم الله لهم، فساروا نحو الفرنج، فاقتتلوا هم وإياهم قتالا عظيما، فقتلوا من الفرنج مقتلة عظيمة، وهزموهم، ثم قتلوا منهم خلقا لا يعلمهم إلا الله عزّ وجلّ، ولله الحمد .

فتح الإسكندرية على يدي أسد الدين شيركوه

ثم أشار أسد الدين بالمسير إلى الإسكندرية فملكها، وجبي أموالها، واستناب عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف، وعاد إلى الصعيد، فملكه، وجمع منه أموالا جزيلة جدا، ثم إن الفرنج والمصريين اجتمعوا على حصار الإسكندرية ثلاثة أشهر، لينتزعوها من يد صلاح الدين، وذلك في غيبة عمه في الصعيد، وامتنع فيها صلاح الدين أشد الامتناع، ولكن ضاقت عليهم الأقوات، وضاق عليهم الحال جدا، فسار إليهم أسد الدين، فصالحه شاور الوزير عن الإسكندرية، بخمسين ألف دينار ، فأجابه إلى ذلك، وخرج صلاح الدين منها، وسلمها إلى المصريين، وعاد إلى الشام في منتصف شوال، وقرر شاور للفرنج على مصر في كل سنة مائة ألف دينار، وأن يكون لهم شحنة بالقاهرة، وعادوا إلى بلادهم، بعد أن كان الملك نور الدين أعقبهم في بلادهم، وفتح من بلادهم حصونا كثيرة، وقتل منهم خلقا من الرجال، وأسر جما غفيرا من النساء والأطفال، وغنم شيئا كثيرا من الأمتعة، والأموال، ولله الحمد. وكان معه أخوه قطب الدين مودود، فأطلق له الرقة، فسار، فتسلمها. وفيها: في شعبان منها، كان قدوم العماد الكاتب من بغداد إلى دمشق، وهو أبو حامد محمد بن محمد الأصبهاني، صاحب (الفتح القدسي) ، و (البرق الشامي) ، و (الجريدة) ، وغير ذلك من المصنفات، فأنزله قاضي القضاة كمال الدين الشهرزوري بالمدرسة النورية الشافعية، داخل باب الفرج، فنسبت إليه، لسكناه بها، فيقال لها: العمادية، ثم ولي تدريسها،في سنة سبع وستين، بعد الشيخ الفقيه ابن عبد[1]، وأول من جاء للسلام عليه، نجم الدين أيوب، كانت له وبه معرفة من تكريت، فامتدحه العماد، بقصيدة ذكرها أبو شامة، وكان أسد الدين، وصلاح الدين بمصر، فبشره فيها، بولاية صلاح الدين الديار المصرية، حيث يقول :

ويستقرُ بمصـرَ يوسفُ وبه ... تَقَرُّ بعـد التنائي عينُ يعقوبَ
ويلتقي يوسفُ فيهـا بـإخوته ... والله يجمعُهـم مِنْ غـيرِ تثريبِ

ثم تولي عماد الدين كتابة الإنشاء، للملك نور الدين محمود .

---

(١) بياض بنسخة الأستانة، ولم يكن بالمصرية بياض .

وممن توفي فيها من الأعيان :

برغش أمير الحاج سنين متعددة

كان مقدما على العساكر، خرج من بغداد لقتال شملة التركماني، فسقط عن فرسه، فمات .

أبو المعالي الكاتب

محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، صاحب (التذكرة الحمدونية) ، وقد ولي ديوان الزمام مدة، توفي في ذي القعدة، ودفن بمقابر قريش .

الرشيد الصدفي

كان يجلس بين يدي العبادي على الكرسي، كانت له شيبة، وسمت ووقار، وكان يدمن حضور السماعات، ويرقص، فاتفق أنه مات، وهو يرقص، في بعض السماعات .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسمائة

في صفر منها: وصل شرف الدين أبو جعفر بن البلدي، من واسط، إلى بغداد، فخرج الجيش لتلقيه، والنقيبان، والقاضي، ومشى الناس بين يديه، إلى الديوان، فجلس في دست الوزارة، وقرئ عهده، ولقب بالوزير، شرف الدين، جلال الإسلام، معز الدولة سيد الوزراء صدر الشرق والغرب. وفيها: أفسدت خفاجة في البلاد، ونهبوا القرى، فخرج إليهم جيش من بغداد، فهربوا في البراري فانحسر الجيش عنهم، خوفا من العطش، فكروا على الجيش، فقتلوا منهم خلقا، وأسروا آخرين، وكان قد أسر الجيش منهم خلقا، فصلبوا على الأسوار. وفي شوال منها: وصلت امرأة الملك نور الدين محمود بن زنكي إلى بغداد، تريد الحج من هناك، وهي الست عصمت الدين خاتون بنت معين الدين، ومعها الخدم والخدام، وفيهم صندل الخادم، وحملت لها الإمامات، وأكرمت غاية الإكرام .

وفيها: مات قاضي قضاة بغداد جعفر، فشغر البلد عن حاكم ثلاثا وعشرين يوما، حتى ألزموا روح بن الحدثني قاضي القضاة في رابع رجب .

ومن توفي فيها من الأعيان :

جعفر بن عبد الواحد

أبو البركات الثقفي، قاضي قضاة بغداد بعد أبيه، ولد سنة تسع وعشرين وخمسمائة، وسبب وفاته، أنه طلب منه مال، وكلمه الوزير ابن البلدي كلاما خشنا، فخاف، فرمي الدم، ومات .

أبو سعد السمعاني

عبد الكريم بن محمد بن منصور، أبو سعد السمعاني، رحل إلى بغداد، فسمع بها، وذيل على تاريخها للخطيب البغدادي، وقد ناقشه ابن الجوزي في (المنتظم) ، وذكر عنه: أنه كان يتعصب على أهل مذهبه، ويطعن في جماعة منهم، وأنه يترجم بعبارة عامية، مثل قوله عن

بعض الشيخات: إنما كانت عفيفة. وعن الشاعر المشهور "بحيص بيص" : إنه كانت له أخت، يقال لها: دخل خرج، وغير ذلك .

عبد القاهر بن محمد

ابن عبد الله أبو النجيب السهروردي، كان يذكر أنه من سلالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، سمع الحديث، وتفقه، وأفتى، ودرس بالنظامية، وابتنى لنفسه مدرسة، ورباطا، وكان مع ذلك متصوفا، يعظ الناس، ودفن بمدرسته .

محمد بن عبد الحميد

ابن أبي الحسين أبو الفتح الرازي، المعروف بالعلاء العالم، وهو من أهل سمرقند، وكان من الفحول في المناظرة، وله طريقة في الخلاف والجدل، يقال لها: التعليقة العالمية. قال ابن الجوزي: وقد قدم بغداد، وحضر مجلسي. وقال أبو سعد السمعاني: كان يدمن شرب الخمر. قال: وكان يقول: ليس في الدنيا أطيب من كتاب المناظرة، وباطية من خمر أشرب منها. قال ابن الجوزي: ثم بلغني عنه، أنه أقلع عن شرب الخمر، والمناظرة، وأقبل على النسك، والخير .

يوسف بن عبد الله

ابن بندار الدمشقي، مدرس النظامية ببغداد، تفقه على أسعد الميهني، وبرع في المناظرة، وكان يتعصب للأشعرية، وقد بعث رسولا في هذه السنة، إلى شملة التركماني، فمات في تلك البلاد .

ثم دخلت سنة أربع وستين وخمسمائة

فيها: كان فتح مصر، على يد الأمير أسد الدين شيركوه، وفيها: طغت الفرنج بالديار المصرية، وذلك أنهم جعلوا شاور شحنة لهم بها، وتحكموا في أموالها، ومساكنها، أفواجا، أفواجا، ولم يبق شيء من أن يستحوذوا عليها، ويخرجوا منها أهلها من المسلمين، وقد سكنها أكثر شجعانهم، فلما سمع الفرنج ذلك، جاءوا إليها من كل فج وناحية، صحبة ملك عسقلان، في جحافل هائلة، فأول ما أخذوا مدينة بلبيس، وقتلوا من أهلها خلقا، وأسروا آخرين، ونزلوا بها، وتركوا بها أثقالهم، وجعلوها موئلا ومعقلا لهم، ثم ساروا، فنـــزلوا على القاهرة، من ناحية باب البرقية، فأمر الوزير شاور الناس أن يحرقوا مصر، وأن ينتقل الناس منها إلى القاهرة، فنهبوا البلد، وذهب للناس أموال كثيرة جدا، وبقيت النار تعمل في مصر أربعة وخمسين يوما، فعند ذلك أرسل صاحبها العاضد يستغيث بنور الدين، وبعث إليه بشعور نسائه يقول: أدركني، واستنقذ نسائي من أيدي الفرنج. والتزم له بثلث خراج مصر على أن يكون أسد الدين مقيما بها عندهم، والتزم له بإقطاعات زائدة على الثلث، فشرع نور الدين في تجهيز الجيوش إلى مصر، فلما استشعر الوزير شاور بوصول المسلمين، أرسل إلى ملك الفرنج، يقول: قد عرفت محبتي ومودتي لكم، ولكن العاضد، والمسلمين، لا يوافقوني على تسليم البلد.

وصالحهم، ليرجعوا عن البلد بألف ألف دينار، وعجل لهم من ذلك ثمانمائة ألف دينار، فانشمروا راجعين إلى بلادهم، خوفا من عساكر نور الدين، وطمعا في العودة إليها مرة ثانية، ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ، واللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[آل عمران:٥٤] . ثم شرع الوزير شاور في مطالبة الناس بالذهب الذي صالح به الفرنج، وتحصيله، وضيق على الناس، مع ما نالهم من الضيق، والحريق، والخوف، فجبر الله مصابهم، بقدوم عساكر المسلمين عليهم، وهلاك الوزير على يديهم، وذلك أن نور الدين استدعي الأمير أسد الدين من حمص إلى حلب، فساق إليه هذه المسافة، وقطعها في يوم واحد، فإنه قام من حمص بعد أن صلي الصبح، ثم دخل منـــزله، فأصاب فيه شيئا من الزاد، ثم ركب وقت طلوع الشمس، فدخل حلب على السلطان نور الدين من آخر ذلك اليوم، ويقال: إن هذا لم يتفق لغيره، إلا للصحابة، فسر بذلك نور الدين ، فقدمه على العساكر، وأنعم عليه بمائتي ألف دينار، وأضاف إليه من الأمراء الأعيان، كل منهم يبتغي بمسيره رضي الله والجهاد في سبيله، وكان من جملة الأمراء ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولم يكن منشرحاً لخروجه هذا بل كان كارها له، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران:٢٦] الآية، وأضاف إليه ستة آلاف من التركمان، وجعل أسد الدين مقدما على هذه العساكر كلها، فسار بهم من حلب إلى دمشق، ونور الدين معهم، فجهزه من دمشق إلى الديار المصرية، وأقام نور الدين بدمشق، ولما وصلت الجيوش النورية، إلى الديار المصرية، وجدوا الفرنج، قد انشمروا عن القاهرة، راجعين إلى بلادهم، بالصفقة الخاسرة، وكان وصوله إليها في سابع ربيع الآخر، فدخل الأمير أسد الدين، على العاضد في ذلك اليوم، فخلع عليه خلعة سنية، فلبسها،وعاد إلى مخيمه بظاهر البلد،وفرح المسلمون بقدومه، وأجريت عليهم الجرايات، وحملت إليهم التحف والكرامات، وخرج وجوه الناس إلى المخيم، خدمة لأسد الدين، وكان فيمن جاء إليه المخيم ، الخليفة العاضد متنكرا، فأسر إليه أمورا مهمة، منها: قتل الوزير شاور، وقرر ذلك معه، وأعظم أمر الأمير أسد الدين، ولكن شرع يماطل، بما كان التزمه للملك نور الدين، وهو مع ذلك يتردد إلى أسد الدين، ويركب معه، وعزمْ على عمل ضيافة له، فنهاه أصحابه عن الحضور خوفا عليه من غائلته، وشاوروه في قتل شاور، فلم يمكنهم الأمير أسد الدين من ذلك.

فلما كان في بعض الأيام، جاء شاور إلى منـــزل أسد الدين، فوجدوه قد ذهب لزيارة قبر الشافعي، وإذا ابن أخيه يوسف هنالك، فأمر صلاح الدين يوسف بالقبض على الوزير شاور، ولم يمكنه قتله، إلا بعد مشاورة عمه أسد الدين، وانهزم أصحابه، فأعلموا العاضد، لعله يبعث ينقذه، فأرسل العاضد إلى الأمير أسد الدين يطلب منه رأسه، فقتل شاور، وأرسلوا برأسه إلى العاضد،في سابع عشر ربيع الآخر، ففرح المسلمون بذلك وأمر أسد الدين بنهب دار شاور، فنهبت، ودخل أسد الدين علي العاضد، فاستوزره، وخلع عليه خلعة عظيمة، ولقبه الملك المنصور، فسكن دار شاور، وعظم شأنه هنالك، ولما بلغ نور الدين خبر فتح مصر فرح بذلك،

وقصدته الشعراء بالتهنئة، غير أنه لم ينشرح، لكون أسد الدين صار وزيرا للعاضد، وكذلك لما انتهت الوزارة، إلى ابن أخيه صلاح الدين، فشرع نور الدين في إعمال الحيلة في إزالة ذلك، فلم يتمكن، ولا قدر عليه، ولا سيما، أنه بلغه، أن صلاح الدين، استحوذ على خزائن العاضد، كما سيأتي بيانه، إن شاء الله، والله أعلم. وأرسل أسد الدين إلى القصر يطلب كاتبا، فأرسلوا إليه القاضي الفاضل، رجاء أن يقبل منه إذا قال وأفاض فيما كانوا يؤملون، وبعث أسد الدين العمال في الأعمال، وأقطع الإقطاعات، وولي الولايات، وفرح بنفسه أياما معدودات، فأدركه حمامه في يوم السبت، الثاني والعشرين، من جمادى الآخرة، من هذه السنة، وكانت ولايته شهرين وخمسة أيام، فلما توفي أسد الدين ـــ رحمه الله أشار الأمراء الشاميون على العاضد بتولية صلاح الدين يوسف الوزارة بعد عمه، فولاه العاضد الوزارة، وخلع عليه خلعة سنية، ولقبه الملك الناصر .

صفة الخلعة التي لبسها صلاح الدين

مما ذكره أبو شامة في (الروضتين) ، عمامة بيضاء بطرف ذهب، وثوب ديبقي، بطراز ذهب، وجبة، بطراز ذهب، وطيلسان بطراز مذهبة، وعقد جوهر بعشرة آلاف دينار، وسيف محلي بخمسة آلاف دينار، وحجزة بثمانية آلاف دينار، وعليها طوق ذهب، وسرفسار [١] ذهب بجوهر، وفي رأسها مائتا حبة جوهر وفي قوائمها أربعة عقود جوهر، وفي رأسها قصبة ذهب، فيها تندة [٢] بيضاء، بأعلام بيض، ومع الخلعة عدة بقج [٣]، وخيل، وأشياء أخر، ومنشور الوزارة، ملفوف بثوب، أطلس أبيض، وذلك في يوم الاثنين، الخامس والعشرين من جمادى الآخرة، من هذه السنة، وكان يوما مشهودا، وسار الجيش بكماله في خدمته، لم يتخلف عنه سوى عين الدولة الياروقي، وقال: لا أخدم يوسف بعد نور الدين. ثم سار بجيشه إلى الشام، فلامه نور الدين على ذلك، وأقام الملك صلاح الدين بمصر، بصفة نائب للملك نور الدين، يخطب على المنابر بالديار المصرية، ويكاتبه بالأمير الإسفهلار صلاح الدين، ويتواضع له صلاح الدين في الكتب والعلامة، لكن قد التفت عليه القلوب، وخضعت له النفوس، واضطهد العاضد في أيامه، غاية الاضطهاد، وارتفع قدر صلاح الدين بين العباد بتلك البلاد، وزاد في إقطاعات الذين معه، فأحبوه، واحترموه، وخدموه، وكتب إليه نور الدين يعنفه على قبول الوزارة بدون مرسومة وأمره أن يقيم حساب الديار المصرية، فلم يلتفت صلاح الدين إلى ذلك، وجعل نور الدين يقول في غضون ذلك: ملك ابن أيوب. وأرسل [صلاح الدين] إلى نور الدين يطلب منه

---

(١) السرفسار : عقد .
(٢) التنده : المرتفع .
(٣) بقج : المصرة .

أهله، وإخوته، وقرابته، فأرسلهم إليه، وشرط عليهم السمع والطاعة له، فاستقر أمره بمصر، وتوطأت دولته بذلك، وكمل أمره، وتمكن سلطانه، وقويت أركانه. وقد قال بعض الشعراء في قتل صلاح الدين لشاور الوزير :

هيّا لمصرَ حـــورُ يوسفَ مَلكَهَا ... بأمرٍ من الرحمن كان موقوتا

وما كان فيها قتلُ يوســـفَ شـــاوراً ... يماثـــلُ إلا قتـــلَ داودَ جالوتـــا

قال أبو شامة: وقتل العاضد في هذه السنة أولاد شاور وهم: شجاع الملقب بالكامل والطاري الملقب بالمعظم، وأخوهما الآخر الملقب بفارس المسلمين، وطيف برؤوسهم ببلاد مصر.

ذكر مقتل الطواشي

مؤتمن الخلافة، وأصحابه، على يدي صلاح الدين، وذلك أنه كتب من دار الخلافة بمصر إلى الفرنج، ليقدموا إلى الديار المصرية، ليخرجوا منها الجيوش الإسلامية الشامية، وكان الذي يفد بالكتاب إليهم الطواشي مؤتمن الخلافة، مقدم العساكر بالقصر، وكان حبشيا، وأرسل الكتاب مع إنسان أمن إليه، فصادفه في بعض الطريق من أنكر حاله، فحمله إلى الملك صلاح الدين، فقرره، فأخرج الكتاب، ففهم صلاح الدين الحال فكتمه واستشعر الطواشي مؤتمن الدولة، أن صلاح الدين قد اطلع على الأمر، فلازم القصر مدة طويلة، خوفا على نفسه، ثم عن له في بعض الأيام أن خرج إلى الصيد، فأرسل صلاح الدين إليه من قبض عليه، وقتله، وحمل رأسه إليه، ثم عزل جميع الخدام الذين يلون خدمة القصر، واستناب على القصر عوضهم بهاء الدين قراقوش، وأمره أن يطالعه بجميع الأمور، صغارها، وكبارها .

وقعة السودان

وذلك أنه قتل الطواشي، مؤتمن الخلافة الحبشي، وعزل بقية الخدام، غضبوا لذلك، واجتمعوا قريبا من خمسين ألف، فاقتتلوا، هم وجيش صلاح الدين بين القصرين، فقتل خلق كثير من الفريقين، وكان العاضد ينظر من القصر إلى المعركة، وقد قذف الجيش الشامي من القصر بحجارة، وجاءهم منه سهام، فقيل: كان ذلك بأمر العاضد، وقيل: لم يكن بأمره. ثم إن أخا الناصر، نور شاه شمس الدولة ــ وكان حاضرا للحرب، قد بعثه نور الدين لأخيه ليشد أزره ــ أمر بإحراق منظرة العاضد، ففتح الباب ونودي إن أمير المؤمنين يأمركم أن تخرجوا هؤلاء السودان من بين أظهركم، ومن بلادكم فقوي الشاميون، وضعف جأش السودان جدا ، وأرسل السلطان إلى محلة السودان، المعروفة بالمنصورة، التي فيها دورهم، وأهلوهم، بباب زويلة فأحرقها، فولوا عند ذلك مدبرين، وركبهم السيف، فقتل منهم خلقا كثيرا، ثم طلبوا الأمان فأجابهم إلى ذلك، وأخرجهم إلى الجيزة، ثم خرج لهم شمس الدولة نور شاه أخو الملك صلاح الدين، فقتل أكثرهم أيضا، و لم يبق منهم إلا القليل، فتلك بيوتهم خاوية، بما ظلموا .

وفيها: افتتح نور الدين، قلعة جعبر، وانتزعها من يد صاحبها شهاب الدين مالك بن علي العقيلي، وكانت في أيديهم من أيام السلطان ملكشاه. وفيها: احترق جامع حلب، فجدده نور الدين. وفيها مات ماروق، الذي تنسب إليه المحلة، بظاهر حلب .

وممن توفي فيها من الأعيان :

سعد الله بن نصر بن سعيد الدجاجي

أبو الحسن الواعظ الحنبلي، ولد سنة ثمانين وأربعمائة، وسمع الحديث، وتفقه، ووعظ، وكان لطيف الوعظ، وقد أثنى عليه ابن الجوزي في ذلك، وذكر أنه سئل مرة، عن أحاديث الصفات، فنهى عن التعرض لذلك، وأنشد :

أبي الغائبُ الغضبانُ يا نفسُ أنْ ترضي ... وأنت التي صيّرت طاعتَه فرضا
فلا تَهْجرُي مَنْ لا تُطيقينَ هَجرَه ... وإنْ هَمَّ بالهجران خدّاك والأرضا

وذكر ابن الجوزي عنه: أنه قال: خفت مرة من الخليفة، فهتف بي هاتف في المنام وقال لي اكتب :

ادفعْ بصبرك حادثَ الأيامِ ... وتَرَجَّ لُطفَ الواحد العلاّمِ
لا تيأسَنّ وإن تضايقَ كربُها ... ورماكَ ريبُ صروفها بسهام
فله تعالى بين ذلك فرجةُ ... تخفى على الأفهامِ والأوهامِ
كم من نجا من بين أطرافِ القنا ... وفريسة سلمتْ من الضرغامِ

شاور بن مجير الدين

أبو شجاع السعدي الملقب أمير الجيوش، وزير الديار المصرية أيام العاضد، وهو الذي انتزع الوزارة من يدي رزيك، وهو أول من استكتب القاضي الفاضل استدعي به من إسكندرية، من باب السدرة، فحظي عنده، وانحصر منه الكتاب بالقصر، لما رأوا من فضله وفضيلته. وقد امتدحه الشعراء، منهم عمارة اليمني، حيث يقول :

ضَجرَ الحديدُ منَ الحديد وشاورُ ... من نصر دين محمد لم يضجر
حلَفَ الزمانُ ليأتين بمثله ... حَنَثَتْ يَمينكَ يا زمانُ فكَفِّرِ

ولم يزل أمره قائما، إلى أن ثار عليه الأمير ضرغام بن سوار، فالتجأ إلى نور الدين، فأرسل معه الأمير أسد الدين شيركوه، فنصروه على عدوه، فنكث عهده، فلم يزل أسد الدين حنقا عليه، حتى قتله في هذه السنة، على يدي ابن أخيه صلاح الدين ضرب عنقه بين يدي الأمير جردنك، في السابع عشر من ربيع الآخر، واستوزر بعده أسد الدين، فلم تطل مدته بعده، إلا شهرين وخمسة أيام. قال ابن خلكان: هو أبو شجاع شاور بن مجير الدين بن نزار ابن عشائر ابن شاس بن مغيث بن حبيب بن الحارث بن ربيعة بن مخيس بن أبي ذؤيب عبد الله، وهو والد حليمة السعدية ، كذا قال. وفيما قال : نظر لقصر هذا النسب، لبعد المدة، والله أعلم .

شيركوه بن شادي

أسد الدين الكردي الزرزاري، وهم أشرف شعوب الأكراد، وهو من قرية يقال لها : درين، من أعمال أذربيجان، خدم هو، وأخوه نجم الدين أيوب ـــ وكان الأكبر ـــ الأمير مجاهد الدين بهروز الخادم شحنة العراق، فاستناب نجم الدين أيوب على قلعة تكريت، فاتفق أن دخلها عماد الدين زنكي، هاربا من قراجا الساقي، فأحسنا إليه، وخدماه، ثم اتفق أنه قتل رجلاً من العامة، فأخرجهما بهروز من القلعة، فصارا إلى زنكي بحلب، فأحسن إليهما، ثم حظيا عند ولده نور الدين محمود، فاستناب أيوب على بعلبك، وأقره ولده نور الدين، وصار أسد الدين عند نور الدين أكبر أمرائه، وأخصهم عنده، وأقطعه الرحبة، وحمص، مع ماله عنده من الإقطاعات، وذلك لشهامته، وشجاعته، وصرامته، وجهاده في الفرنج،في أيام معدودات، ووقعات معتبرات، ولا سيما يوم فتح دمشق، وأعجب من ذلك ما فعله بديار مصر، بلّ الله بالرحمة ثراه، وجعل الجنة مأواه، وكانت وفاته يوم السبت فجأة، بخانوق حصل له، وذلك في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة، رحمه الله. قال أبو شامة: وإليه تنسب الخانقاة الأسدية، بالشرق القبلي. ثم آل الأمر من بعده إلى ابن أخيه صلاح الدين يوسف، ثم استوسق له الملك والممالك هنالك .

محمد بن عبد الله بن عبد الواحد

ابن سليمان المعروف بابن البطي، سمع الحديث، وأسمع، ورحل إليه، وقارب التسعين .

محمد الفارقي

أبو عبد الله الواعظ، يقال: إنه كان يحفظ (نهج البلاغة) ، ويعبر ألفاظه، وكان فصيحا، بليغا، يكتب كلامه، ويروي عنه كتاب، يعرف بالحكم الفارقية .

المعمر بن عبد الواحد

ابن رحار أبو أحمد الأصبهاني، أحد الحفاظ، الوعاظ، روي عن أصحاب أبي نعيم، وكانت له معرفة جيدة بالحديث، توفي وهو ذاهب إلى الحج بالبادية، رحمه الله .

ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة

في صفر منها: حاصرت الفرنج مدينة دمياط من بلاد مصر، خمسين يوما، بحيث ضيقوا على أهلها، وقتلوا أمما كثيرة، جاءوا إليها من البر، والبحر، رجاء أن يملكوا الديار المصرية، وخوفا من استيلاء المسلمين على القدس، فكتب صلاح الدين إلى نور الدين يستنجده عليهم، ويطلب منه أن يرسل إليه بإمداد من الجيوش، فإنه إن خرج من مصر خلفه أهلها بسوء، وإن قعد عن الفرنج أخذوا دمياط، وجعلوها معقلا لهم يتقوون بها على أخذ مصر. فأرسل إليه نور الدين ببعوث كثيرة، يتبع بعضها بعضا. ثم إن نور الدين، اغتنم غيبة الفرنج عن بلدانهم، فصمد

إليهم في جيوش كثيرة، فجاس خلال ديارهم، وغنم من أموالهم، وقتل، وسبى شيئا كثيرا، وكان من جملة من أرسله إلى صلاح الدين أبوه الأمير نجم الدين أيوب في جيش من تلك الجيوش، ومعه بقية أولاده، فتلقاه الجيش من مصر، وخرج العاضد لتلقيه، إكراما لولده، وأقطعه إسكندرية، ودمياط، وكذلك لبقية أولاده، وقد أمد العاضد صلاح الدين في هذه الكائنة بألف ألف دينار، حتى انفصلت الفرنج عن دمياط، وأجلت الفرنج عن دمياط لأنه بلغهم أن نور الدين قد غزا بلادهم وقتل خلقا من رجالهم، وسبى كثيرا من نسائهم، وأطفالهم، وغنم من أموالهم، فجزاه الله عن المسلمين خيرا. ثم سار نور الدين في جمادى الآخرة إلى الكرخ، ليحاصرها ـــ وكانت من أمنع البلاد ـــ وكاد أن يفتحها، ولكن بلغه أن مقدمين من الفرنج قد أقبلا نحو دمشق، فخاف أن يلتف عليهما الفرنج، فترك الحصار وأقبل نحو دمشق فحصنها، ولما انجلت الفرنج عن دمياط فرح نور الدين فرحا شديدا، وأنشد الشعراء كل منهم في ذلك قصيدا، وقد كان الملك نور الدين شديد الاهتمام، قوي الاغتمام بذلك، حتى قرأ عليه بعض طلبة الحديث، جزءا في ذلك، فيه حديث مسلسل بالتبسم، فطلب منه أن يتبسم، ليصل التسلسل، فامتنع من ذلك، وقال: إني لأستحي من الله، أن يراني متبسما، والمسلمون يحاصرهم الفرنج، بثغر دمياط. وقد ذكر الشيخ أبو شامة، أن إمام مسجد أبي الدرداء بالقلعة المنصورة، رأي في تلك الليلة التي أجلي فيها الفرنج عن دمياط، رسول الله ﷺ وهو يقول: سلم على نور الدين، وبشره بأن الفرنج قد رحلوا عن دمياط. فقلت: يا رسول الله، بأي علامة؟ فقال: بعلامة ما سجد يوم تل حارم، وقال في سجوده: اللهم انصر دينك، ومن هو محمود الكلب؟ فلما صلي نور الدين عنده الصبح، بشره بذلك، وأخبره بالعلامة، فلما جاء إلى عند ذكر "من هو محمود الكلب" انقبض من قول ذلك، فقال له نور الدين: قل ما أمرك به رسول الله ﷺ. فقال: ذلك فقال: صدقت. وبكي نور الدين، تصديقا، وفرحا بذلك، ثم كشفوا فإذا الأمر كما أخبر في المنام .

قال العماد الكاتب: وفي هذه السنة، عمر الملك نور الدين جامع داريا، وعمر مشهد أبي سليمان الداراني بها، وشتي بدمشق. وفيها: حاصر الكرك أربعة أيام، وفارقه من هناك نجم الدين أيوب، والد صلاح الدين، متوجها إلى ابنه بمصر، وقد وصاه نور الدين، أن يأمر ابنه صلاح الدين أن يخطب بمصر للخليفة المستنجد بالله العباسي، وذلك أن الخليفة بعث يعاتبه في ذلك. وفيها: قدم الفرنج من السواحل، ليمنعوا الكرك، مع ثبيب بن الرقيق، وابن القنقري، وكانا أشجع فرسان الفرنج، فقصدهما نور الدين ليقابلهما، فحادا عن طريقه. وفيها: كانت زلزلة عظيمة بالشام، والجزيرة، وعمت أكثر الأرض، وتهدمت أسوار كثيرة بالشام، وسقطت دور كثيرة على أهلها، ولا سيما بدمشق وحمص، وحماه، وحلب، وبعلبك، سقطت أسوارها، وأكثر قلعتها، فجدد نور الدين عمارة أكثر ما وقع بهذه الأماكن .

وفيها توفي :

الملك قطب الدين مودود بن زنكي

أخو نور الدين محمود صاحب الموصل، وله من العمر أربعون سنة، ومدة ملكه منها إحدى وعشرون سنة،وكان من خيار الملوك محببا إلى الرعية عطوفا عليهم محسنا إليهم حسن الشكل. وتملك من بعده ولده سيف الدين غازي من الست خاتون بنت تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق أصحاب ماردين،وكان مدبر مملكته والمتحكم فيها فخر الدين عبد المسيح، وكان ظالما، غاشما.وفيها : كانت حروب كثيرة بين ملوك الغرب بجزيرة الأندلس، وكذلك كانت حروب كثيرة، بين ملوك الشرق أيضا. وحج بالناس فيها، وفيما قبلها الأمير برغش الكبير، و لم أر أحدا من أكابر الأعيان توفي فيها .

ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة

فيها : كانت وفاة المستنجد، وخلافة ابنه المستضيء، وذلك أن المستنجد كان قد مرض في أول هذه السنة، ثم عوفي فيما يبدو للناس، فعمل ضيافة عظيمة بسبب ذلك، وفرح الناس بذلك، ثم أدخله الطبيب إلى الحمام وبه ضعف شديد، فمات في الحمام، ويقال: إن ذلك كان بإشارة بعض الدولة على الطبيب، استعجالا لموته، توفي يوم السبت بعد الظهر ثاني ربيع الآخر عن ثمان وأربعين سنة، وكانت مدة خلافته إحدى عشرة سنة وشهرا، وكان من خيار الخلفاء، وأعدلهم، وأرفقهم بالرعايا، ومنع عنهم المكوس والضرائب، و لم يترك بالعراق مكسا، وقد شفع إليه بعض أصحابه في رجل شرير، وبذل فيه عشرة آلاف دينار، فقال له الخليفة: أنا أعطيك عشرة آلاف دينار، وائتني بمثله، لأريح المسلمين من شره، وكان المستنجد أسمر، طويل اللحية، وهو الثاني والثلاثين من العباسيين، وذلك في الجمل لام باء، ولهذا قال فيه بعض الأدباء :

أصبحتَ لُبّ بني العباس جُملَتَها إذا عَدَدتَ بحساب الجُمَل الخُلَفَا

وكان أمّاراً بالمعروف، نهّاء عن المنكر، وقد رأي في منامه أن رسول اللهﷺ ، وهو يقول له: قل اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، دعاء القنوت بتمامه. وصلي عليه يوم الأحد، قبل الظهر، ودفن بدار الخلافة، ثم نقل إلى الترب من الرصافة، رحمه الله تعالى .

خلافة المستضيء

وهو أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد بن المقتفي، وأمه أرمنية، تدعي عصمت، وكان مولده في شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة. بويع بالخلافة يوم مات أبوه بكرة الأحد، تاسع ربيع الآخر، وبايعه الناس، و لم يل الخلافة أحد اسمه الحسن بعد الحسن بن علي غير هذا، ووافقه في الكنية أيضا، وخلع يومئذ على الناس أكثر من ألف خلعة، وكان يوما مشهودا، وولي قضاء قضاة بغداد الروح بن الحدثني يوم الجمعة، حادي عشرين ربيع الآخر، وخلع على

الوزير، وهو الأستاذ عضد الدولة، وضربت على بابه الدبابات ثلاثة أوقات، الفجر، والمغرب، والعشاء، وأمر سبعة عشر أميرا من المماليك، وأذن للوعاظ فتكلموا بعد ما منعوا مدة طويلة، لما كان يحدث بسبب ذلك من الشرور الطويلة، ثم كثر احتجا به، ولما جاءت البشارة بولايته إلى الموصل، قال العماد الكاتب :

قد أضـــاء الزمـــانُ بالمستضـــيء ... وارثُ الــبردِ وابنُ عَــم النّبيِّ
جـــاءَ بالحـــقّ والشريعـــة والعــدْ ... ل فيـــا مرحبـــاً بهـــا المجـــيِّ
فهنيئـــا لأهـــل بغـــدادَ فَـــازُوا ... بَعْــد بؤسٍ بكــلِّ عيــشٍ هنيِّ
وَمَضى إن كـــانَ في الزمـــنِ المظــ ... لم بالعـــودِ في الزمـــانِ المضـــيِّ

وفيها: سار الملك نور الدين إلى الرقة، فأخذها وكذا نصيبين والخابور وسنجار، وسلمها إلى زوج ابنته ابن أخيه مودود بن عماد الدين، ثم سار إلى الموصل، فأقام بها أربعة وعشرين يوما، وأقرها على ابن أخيه سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود مع الجزيرة، وزوجه ابنته الأخرى، وأمر بعمارة جامعها، وتوسعته، ووقف على تأسيسه بنفسه، وجعل له خطيبا، ودرسا للفقه، وولي التدريس للفقيه أبي بكر البرقاني، تلميذ محمد بن يحيي تلميذ الغزالي، وكتب له منشورا بذلك، ووقف على الجامع قرية من قري الموصل، وذلك كله بإشارة الشيخ الصالح العابد عمر الملا، وقد كانت له زاوية يقصد فيها، وله في كل سنة دعوة في شهر المولد يحضر فيها عنده الملوك، والأمراء، والعلماء، والوزراء، ويحتفل بذلك، وقد كان الملك نور الدين صاحبه، وكان يستشيره في أموره، وممن يعتمده في مهماته، وهو الذي أشار عليه في مدة مقامه في الموصل بجميع ما فعله من الخيرات، فلهذا حصل بقدومه لأهل الموصل كل مسرة، واندفعت عنهم كل مضرة، وأخرج من بين أظهرهم الظالم، الغاشم، فخر الدين عبد المسيح، وسماه عبد الله، وأخذه معه إلى دمشق، فأقطعه إقطاعا حسنا، وقد كان عبد المسيح هذا نصرانيا، فأظهر الإسلام، وكان يقال : إن له كنيسة في جوف داره، وكان سيء السيرة خبيث السريرة في حق العلماء، والمسلمين خاصة، ولما دخل نور الدين الموصل كان الذي استأمن له نور الدين الشيخ عمر الملا، وحين دخل نور الدين الموصل، خرج إليه ابن أخيه، فوقف بين يديه، فأحسن إليه وأكرمه، وألبسه خلعة جاءته من الخليفة، فدخل فيها إلى البلد في أبهة عظيمة، ولم يدخل نور الدين الموصل حتى قوي الشتاء، فأقام بها كما ذكرنا، فلما كان في آخر ليلة من إقامته بها، رأي رسول الله ﷺ يقول له: طابت لك بلدك، وتركت الجهاد، وقتال أعداء الله؟ فنهض من فوره إلى السفر، وما أصبح إلا سائرا إلى الشام، واستقضى الشيخ بن أبي عصرون، وكان معه على سنجار، ونصيبين، والخابور، فاستناب فيها ابن أبي عصرون نوابا وأصحابا .

وفيها: عزل صلاح الدين قضاة مصر لأنهم كانوا شيعة، وولي قضاء القضاة بها لصدر الدين عبد الملك بن درباس المارداني الشافعي، فاستناب في سائر المعاملات قضاة شافعية، وبني مدرسة للشافعية، وأخري للمالكية، واشتري ابن أخيه تقي الدين عمر دارا تعرف بمنازل العز،

وجعلها مدرسة للشافعية، ووقف عليها الروضة، وغيرها. وعمّر صلاح الدين أسوار البلد، وكذلك أسوار إسكندرية، وأحسن إلى الرعايا إحسانا كثيرا، وركب فأغار على بلاد الفرنج، بنواحي عسقلان، وغزة، وضرب قلعة كانت لهم على أيلة، وقتل خلقا كثيرا من مقاتلتهم، وتلقي أهله وهم قادمون من الشام، واجتمع شمله بهم بعد فرقة طويلة. وفيها قطع صلاح الدين الأذان بحي على خير العمل من ديار مصر كلها،وشرع في تمهيد الخطبة لبني العباس على المنابر.

وممن توفي فيها من الأعيان :

طاهر بن محمد بن طاهر

أبو زرعة المقدسي الأصل، الرازي المولد، الهمداني الدار، ولد سنة إحدى وثمانين وأربعمائة، وأسمعه والده الحافظ محمد بن طاهر الكثير، ومما كان يرويه مسند الشافعي، توفي بهمدان يوم الأربعاء سابع ربيع الآخر، وقد قارب التسعين .

يوسف القاضي

أبو الحجاج بن الخلال، صاحب ديوان الإنشاء بمصر، وهو شيخ القاضي الفاضل في هذا الفن، اشتغل عليه فيه، فبرع حتى قدر أنه صار مكانه، حين ضعف عن القيام بأعباء الوظيفة، لكبره، وكان القاضي الفاضل يقوم به وبأهله حتى مات، ثم كان بعد موته كثير الإحسان إلى أهله، رحمهم الله .

يوسف بن الخليفة

المستنجد بالله بن المقتفى بن المستظهر، تقدم ذكر وفاته، وترجمته، وقد توفي بعده عمه أبو نصر بن المستظهر بأشهر، ولم يبق بعده أحد من ولد المستظهر، وكانت وفاته يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من ذي القعدة منها .

ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة

فيها كانت وفاة العاضد صاحب مصر :

في أول جمعة منها، فأمر صلاح الدين بإقامة الخطبة لبني العباس بمصر وأعمالها في الجمعة الثانية، وكان يوما مشهودا، ولما انتهي الخبر إلى الملك نور الدين، أرسل إلى الخليفة يعلمه بذلك مع ابن أبي عصرون شهاب الدين أبي المعالي، فزينت بغداد، وغلقت الأسواق، وعملت القباب، وفرح المسلمون فرحا شديداً، وكانت قد قطعت الخطبة لبني العباس من ديار مصر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة في خلافة المطيع العباسي حين تغلب الفاطميون على مصر، أيام المعز الفاطمي باني القاهرة إلى هذا الآن، وذلك مائتا سنة وثماني سنين. قال ابن الجوزي: وقد ألفت في ذلك كتابا "سميته النصر على مصر".

موت العاضد آخر خلفاء العبيديين

والعاضد في اللغة القاطع « لا يعضد شجرها» [1] لا يقطع، وبه قطعت دولتهم، واسمه عبد الله، ويكني بأبي محمد بن يوسف الحافظ بن المستنصر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور القاهري، أبي الغنائم بن المهدي أولهم، كان مولد العاضد في سنة ست وأربعين، فعاش إحدى وعشرين سنة، وكانت سيرته مذمومة، وكان شيعيا خبيثا لو أمكنه قتل كل من قدر عليه من أهل السنة، واتفق أنه لما استقر أمر الملك صلاح الدين رسم بالخطبة لبني العباس عن مرسوم الملك نور الدين، وذلك أن الخليفة، بعث إلى نور الدين، فعاتبه في ذلك قبل وفاته، وكان المستنجد إذ ذاك مدنفا مريضا، فلما مات، تولي بعده ولده، فكانت الخطبة بمصر له، ثم إن العاضد مرض، فكانت وفاته في يوم عاشوراء، فحضر الملك صلاح الدين جنازته، وشهد عزاه، وبكي عليه، وتأسف، وظهر منه حزن كثير عليه، وقد كان مطيعا له، فيما يأمره به، وكان العاضد كريما، جوادا سامحه الله. ولما مات استحوذ صلاح الدين على القصر بما فيه، وأخرج منه أهل العاضد، إلى دار أفردها لهم، وأجري عليهم الأرزاق، والنفقات الهنية، والعيشة الرضية عوضا عما فاتهم من الخلافة، وكان صلاح يتندم على إقامة الخطبة لبني العباس بمصر قبل وفاة العاضد، وهلا صبر بها إلى بعد وفاته، ولكن كان ذلك قدرا مقدورا .

ومما نظمه العماد فى ذلك :

توفى العاضدُ الدعــيّ فما	يفتح ذو بدعة بمصَــر فمــا
وعصر فرعونها انقضى وغدا	يوسفُها فى الأمُورِ محتكمــا
قد طُفئتْ جمرة الغواة وقــد	داخَ من الشركِ كلّ ما اضطرما
وصارَ شملُ الصلاحِ مُلْتئِـماً	بها وعقدُ الســداد منتظمــا
لما غدا مُشعراً شعــارَ بنى ال	عباسى حقاً والباطلَ اكتتمــا
وباتَ داعىُ التوحيد مُنْتظِراً	ومن دعاة الإشراكِ منتقمــا
وظلّ أهلُ الضلالِ فى ظُللٍ	واجبة مــن غبائــه وعمــى
وارتكسَ الجاهلون فى ظلـــم	لما أضــاءتْ منابــرُ العلمــا
وعاد بالمستضــىءِ معتليــاً	بناءُ حقٍّ بعد ما كان مُنْهَدِما
أعيدت الدولةُ التى اضطهدتْ	وانتصر الدينُ بعدما اهتضمــا
واهتزّ عِطفُ الإسلامِ مِنْ جَذَلٍ	وافترّ ثغرُ الإسلامِ وابتسمــا
واستبشرتْ أوجُهُ الهدى فرحاً	فليقــرعِ الكفــرُ سِنَّهُ ندمــا

---

(١) رواه البخارى فى العلم (١١٢) وفى الجنائز (١٣٤٩) .

عاد حريمُ الأعداءِ مُنتهكُ الـ حمى وفى الطغـــاة منقسمـــا
قصورُ أهلِ القصورِ أخزتْها عامرُ بيتٍ من الكمالِ ســما
أزعجَ بعدَ السكوتِ سالُتَهـــا ومـــاتَ ذلاً وأنفُـــه رغمـــا

ومما قيل من الشعر ببغداد يبشر الخليفة المستضيء بالخطبة له بمصر وأعمالها :

ليهنيكَ يا مولاى فتحٌ تتابعتْ إليكَ به خوضُ الركائبِ تُوجفُ
أخذتْ به مصراً وقد حالَ دونها من الشركِ يأسُ لها الحقّ يقذفُ
فعادتْ بحمد الله باسمِ إمامنَا تتيهُ عَلَىَ كَلّ البلادِ وتشـــرفُ
ولا غروَ إنْ ذَلّتْ ليوسفَ مصْرُهُ وَكانتْ إلى عليائـــه تتشـــوّفُ
فشابَهَهُ خُلقًا وخَلقـــاً وَعفَّةً وَكُلٌ عن الرحمن فى الأرضِ يخلفُ
كشفتَ بها عن آل هاشم سبّـــةً وعارًا أبى إلا بسَيْفكَ يكشفُ

وقد ذكر ذلك أبو شامة في الروضتين، وهي أطول من هذه، وذكر: أن أبا الفضائل الحسين بن محمد بن بركات الوزير أنشدها للخليفة عند موته، بعد منام رآه، وأراد بيوسف الثاني المستنجد، وهكذا ذكر ابن الجوزي: أنها أنشدت في حياة المستنجد، ولم يخطب بها إلا لابنه المستضيء، فجري المقال باسم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وقد أرسل الخليفة إلى الملك نور الدين معظمة لما بشر بالخطبة له بمصر، وكذلك للملك صلاح الدين إلى الديار المصرية، ومعها أعلام سود، ولواء معقود، ففرقت على الجوامع بالشام وبمصر. قال ابن أبي طي في كتابه: ولما تفرغ صلاح الدين من توطيد المملكة، وإقامة الخطبة، والتعزية، استعرض حواصل القصرين، فوجد فيهما من الحواصل: والأمتعة، والآلات، والملابس، والمفارش، شيئا باهرا، وأمرا هائلا، من ذلك سبعمائة يتيمة من الجواهر، وقضيب زمرد طوله أكثر من شبر وسمكه نحو الإبهام، وحبل من ياقوت، وإبريق عظيم من الحجر المانع، وطبل للقولنج، إذا ضرب عليه أحد فيه ريح غليظة، أو غيرها خرج منه ذلك الريح من دبره، وينصرف عنه ما يجده من القولنج فاتفق أن بعض أمراء الأكراد أخذه في يده، ولم يدر ما شأنه، فضرب عليه، فحبق — أي ضرط — فألقاه من يده على الأرض، فكسره، فبطل أمره. وأما القضيب الزمرد، فإن صلاح الدين كسره ثلاث فلق، فقسمه بين نسائه، وقسم بين الأمراء شيئا كثيرا من قطع البلخش [1] والياقوت، والذهب، والفضة، والأثاث، والأمتعة، وغير ذلك، ثم باع ما فضل عن ذلك، وجمع عليه أعيان التجار، فاستمر البيع فيما بقي هنالك، من الأثاث، والأمتعة، نحوا من عشر سنين، وأرسل إلى الخليفة ببغداد، من ذلك، هدايا سنية، نفيسة، وكذلك إلى الملك نور

(١) البلخش : نوع من الأحجار يؤتى به من بلخشان : بلدة تركية .

الدين، أرسل إليه من ذلك جانبا كثيرا، صالحا، ولم يدخر لنفسه شيئا، مما حصل له من الأموال، بل كان يعطي ذلك من حوله من الأمراء، وغيرهم، فكان مما أرسله إلى نور الدين ثلاث قطع بلخش زنة الواحدة واحد وثلاثون مثقالا، والأخرى ثمانية عشر مثقالا، والثالثة عشرة مثاقيل، وقيل: أكثر مع لآليء كثيرة، وستون ألف دينار، وعطر لم يسمع بمثله، ومن ذلك حمارة، وفيل عظيم جدا، فأرسلت الحمارة إلى الخليفة في جملة هدايا. قال ابن أبي طي: ووجد خزانة كتب ليس لها في مدائن الإسلام نظير، تشتمل على ألفي مجلد. قال: ومن عجائب ذلك: أنه كان بها ألف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري. وكذا قال العماد الكاتب: كانت الكتب قريبة من مائة وعشرين ألف مجلد. وقال ابن الأثير: كان فيها من الكتب بالخطوط المنسوبة مائة ألف مجلد، وقد تسلمها القاضي الفاضل، فأخذ منها شيئا كثيرا مما اختاره وانتخبه. قال: وقسم القصر الشمالي، بين الأمراء، فسكنوه، وأسكن أباه نجم الدين أيوب في قصر عظيم على الخليج، يقال له: اللؤلؤة، الذي فيه بستان الكافوري، وأسكن أكثر الأمراء في دور كان ينتمي إلى الفاطميين، ولا يلقي أحد من الأتراك أحدا من أولئك الذين كانوا بها من الأكابر إلا شلحوه ثيابه، ونهبوا داره حتى تمزق كثير منهم في البلاد، "وتفرقوا شذر مذر" [١] و"صاروا أيدي سبأ" [٢].

وقد كانت مدة ملك الفاطميين مائتين وثمانين سنة وكسرا، فصاروا كأمس الذاهب، ﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ [هود:٩٥]. وكان أول من ملك منهم المهدي، وكان من سلمية حدادا اسمه عبيد، وكان يهوديا، فدخل بلاد المغرب، وتسمي بعبيد الله، وادعي أنه شريف علوي فاطمي، وقال عن نفسه: إنه المهدي، كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء، والأئمة، بعد الأربعمائة، كما قد بسطنا ذلك، فيما تقدم، والمقصود: أن هذا الدعي الكذاب راج له ما افتراه في تلك البلاد، ووازره جماعة من الجهلة، وصارت له دولة وصولة، ثم تمكن إلى أن بني مدينة سماها المهدية نسبة إليه، وصار ملكا مطاعا يظهر الرفض، وينطوي على الكفر المحض. ثم كان من بعده ابنه القائم محمد، ثم ابنه المنصور إسماعيل، ثم ابنه المعز معد، وهو أول من دخل ديار مصر منهم، وبنيت له القاهرة المعزية والقصران، ثم ابنه العزيز نزار، ثم ابنه الحاكم منصور، ثم ابنه الطاهر علي ، ثم ابنه المستنصر معد، ثم ابنه المستعلي أحمد، ثم ابنه الآمر منصور، ثم ابن عمه الحافظ عبد المجيد، ثم ابنه الظافر إسماعيل، ثم الفائز عيسي، ثم ابن عمه العاضد عبد الله، وهو آخرهم، فجملتهم أربعة عشر ملكا، ومدتهم مائتان ونيف وثمانون سنة، وكذلك عدة خلفاء بني أمية أربعة عشر أيضا، ولكن كانت مدتهم نيفا وثمانين سنة، وقد نظمت أسماء هؤلاء، وهؤلاء،

---

(١) شذر مذر : التفرق فى كل ناحية .

(٢) "صاروا أيدى سبأ" : أهل سبأ الذين شردهم وفرقهم طوفان السَّد : سد مأرب . فى اليمن .

بأرجوزة تابعة لأرجوزة بني العباس، عند انقضاء دولتهم ببغداد، في سنة ست وخمسين وستمائة، كما سيأتي. وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء، وأكثرهم مالا، وكانوا من أغنى الخلفاء، وأجبرهم، وأظلمهم، وأنجس الملوك سيرة، وأخبثهم سريرة، ظهرت في دولتهم البدع، والمنكرات، وكثر أهل الفساد، وقل عندهم الصالحون من العلماء والعباد، وكثر بأرض الشام النصرانية، والدرزية، والحشيشية، وتغلب الفرنج على ساحل الشام بكماله حتى أخذوا القدس، ونابلس، وعجلون، والغور، وبلاد غزة، وعسقلان، وكرك الشوبك، وطبرية، وبانياس، وصور، وعكا، وصيدا، وبيروت، وصفد، وطرابلس، وإنطاكية، وجميع ما والى ذلك، إلى بلاد إياس وسيس، واستحوذوا على بلاد آمد، والرها، ورأس العين، وبلاد شتى غير ذلك، وقتلوا من المسلمين خلقا، وأمما لا يحصيهم إلا الله، وسبوا ذراري المسلمين، من النساء والولدان، مما لا يحد ولا يوصف، وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها، وصارت دار إسلام، وأخذوا من أموال المسلمين ما لا يحد ولا يوصف، وكادوا أن يتغلبوا على دمشق، ولكن الله سلم، وحين زالت أيامهم، وانتقض إبرامهم أعاد الله عزّ وجلّ هذه البلاد كلها إلى المسلمين بحوله، وقوته، وجوده، ورحمته، وقد قال الشاعر المعروف عرقلة [1].

أصبحَ الملكُ بعــد آل عَلــيٍّ	مُشرقاً بالملوكِ من آل شــادى
وغدا الشرقُ يحســدُ الغــر	بَ للقومِ فمصرُ تزهو على بغدادِ
ما حووها إلا بعـــزمٍ وحـــزمٍ	وصليل الفـــولاذ فى الأكبـــادِ
لا كَفِرْعَوْنَ والعزيـــزِ ومَـــنْ	كنَ بها كالخطيبِ والاستـــادِ

قال أبو شامة: يعني بالإسناد كأنه نور الإخشيدي، وقوله : آل على يعني الفاطميين على زعمهم، ولم يكونوا فاطميين، وإنما كانوا ينسبون إلى عبيد، وكان اسمه سعيدا، وكان يهودياً حدادًا بسلمية، ثم ذكر ما ذكرناه من كلام الأئمة فيهم، وطعنهم في نسبهم. قال: وقد استقصيت الكلام في " مختصر تاريخ دمشق " في ترجمة عبد الرحمن بن إلياس، ثم ذكر في " الروضتين " في هذا الموضع، أشياء كثيرة في غضون ما سقته من قبائحهم، وما كانوا يجهرون به في بعض الأحيان، من الكفريات، وقد تقدم من ذلك شيء كثير في تراجمهم. قال أبو شامة: وقد أفردت كتابا سميته "كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر والكذب والكر والكيد"و كذا صنف العلماء في الرد عليهم: كتبا كثيرة، من أجل ما وضع في ذلك كتاب القاضي أبو بكر الباقلاني، الذي سماه "كشف الأسرار وهتك الأستار" وما أحسن ما قاله بعض الشعراء : في بني أيوب، يمدحهم على ما فعلوه بديار مصر :

---

(١) عرقلة : حسان بن نمير بن عجل الكلبي من سكان دمشق . مدح صلاح الدين الأيوبي ونادمه. وقد وعده صلاح الدين بألف دينار إن فتح الديار المصرية؛ فلما فتحها أعطاه ألفين . مات فجأة .

أبدتُم من يلي دولة الكفر من بني عبيد بمصر إن هذا هو الفضلُ
زنادقـــةُ شيعـــية باطنيـــةُ مجوسُ وما في الصالحين لهم أصلُ
يُسرّون كفراً ويُظهرُون تشيّعاً ليَستُرُوا سابورَ عمّهمُ الجهـــلُ [١]

وفيها: أسقط الملك صلاح الدين عن أهل مصر المكوس، والضرائب، وقرئ المنشور بذلك على رءوس الأشهاد يوم الجمعة بعد الصلاة ثالث صفر. وفيها: حصلت نفرة بين نور الدين وصلاح الدين، وذلك أن نور الدين غزا في هذه السنة، بلاد الفرنج في السواحل، فأحل بهم بأسا شديدا، وقرر في أنفسهم منه نقمة ووعيدا، ثم عزم على محاصرة الكرك، وكتب إلى صلاح الدين يلتقيه بالعساكر المصرية إلى بلاد الكرك ليجتمعا هنالك، ويتفقا على المصالح التي يعود نفعها على المسلمين، فتوهم من ذلك صلاح الدين، وخاف أن يكون لهذا الأمر غائلة يزول بها ما حصل له من التمكن من بلاد مصر، ولكنه مع ذلك ركب في جيشه من مصر، لأجل امتثال المرسوم، فسار أياما، ثم كر راجعا معتلا بقلة الظهر، والخوف على اختلال الأمور إذا بعد عن مصر، واشتغل عنها، وأرسل يعتذر إلى نور الدين. فوقع في نفسه منه، واشتد غضبه عليه،وعزم على الدخول إلى مصر، وانتزاعها من صلاح الدين،وتوليتها غيره، ولما بلغ هذا الخبر صلاح الدين ضاق بذلك ذرعه،وذكر ذلك بحضرة الأمراء والكبراء، فبادر ابن أخيه تقي الدين عمر، وقال: والله لو قصدنا نور الدين لنقاتلنه. فشتمه الأمير نجم الدين أيوب، والد صلاح الدين، وسبه، وأسكته، ثم قال لابنه: اسمع ما أقول لك والله ما ههنا أحد أشفق عليك مني، ومن خالك هذا يعني شهاب الدين الحارمي — ولو رأينا نور الدين لبادرنا إليه، ولقبلنا الأرض بين يديه، وكذلك بقية الأمراء والجيش، ولو كتب إلى أن أبعثك إليه مع نجّاب [٢] لفعلت، ثم أمر من هنالك بالانصراف والذهاب، فلما خلا بابنه قال له: أمالك عقل؟ تذكر مثل هذا بحضرة هؤلاء، فيقول: عمر مثل هذا الكلام، فتقره عليه، فلا يبقي عند نور الدين أهم من قصدك، وقتالك، وخراب ديارنا، وأعمارنا، ولو قد رأي الجيش كلهم نور الدين، لم يبق معك واحد منهم، ولذهبوا كلهم إليه، ولكن ابعث إليه، وترفق له، وتواضع عنده، وقل له: وأي حاجة إلى مجيء مولانا السلطان إلى قتالي؟ ابعث إلى بنجّاب أو جمال، حتى أجيء معه، إلى بين يديك. فبعث إليه بذلك، فلما سمع نور الدين مثل هذا الكلام لأن قلبه له، وانصرفت همته عنه، واشتغل بغيره، وكان أمر الله قدرا مقدورا .

وفيها: اتخذ نور الدين الحمام الهوادي، وذلك لامتداد مملكته، واتساعها، فإنه ملك من حد النوبة إلى همذان، لا يتخللها إلا بلاد الفرنج، وكلهم تحت قهره، وهدنته، ولذلك اتخذ في كل قلعة، وحصن الحمام التي يحمل الرسائل إلى الآفاق في أسرع مدة، وأيسر عدة، وما أحسن ما

---

(٢) السابور : الجرح .
(١) قائد الجمال .

قال فيهن القاضي الفاضل: الحمام ملائكة الملوك. وقد أطنب ذلك العماد الكاتب، وأطرب، وأعجب، وأغرب .

ومن توفي فيها من الأعيان :

عبد الله بن أحمد

ابن أحمد بن أحمد أبو محمد بن الخشاب، قرأ القرآن، وسمع الحديث، واشتغل بالنحو، حتى ساد أهل زمانه فيهما، و(شرح الجمل) لعبد القاهر [الجرجاني] وكان رجلا صالحا، متطوعا، وهذا نادر في النحاة، توفي في شعبان من هذه السنة، ودفن قريبا من الإمام أحمد، ورؤي في المنام. فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، وأدخلني الجنة، إلا أنه أعرض عني وعن جماعة من العلماء، تركوا العمل، واشتغلوا بالقول. قال ابن خلكان: كان مطرحا للكلفة في مأكله، وملبسه، وكان لا يبالي بمن شرق أو غرب .

محمد بن محمد بن محمد

أبو المظفر الدوي، تفقه على محمد بن يحيي تلميذ الغزالي، وناظر، ووعظ ببغداد، وكان يظهر مذهب الأشعري، ويتكلم في الحنابلة، مات في رمضان منها .

ناصر بن الجوني الصوفي

كان يمشي في طلب الحديث حافيا، توفي ببغداد. قال أبو شامة: وفيها توفي :

نصر الله [بن عبد الله] أبو الفتوح

الإسكندري، المعروف بابن قلاقس، الشاعر بعيذاب، توفي عن خمس وأربعين سنة .

والشيخ أبو بكر

يحيي بن سعدون القرطبي نزيل الموصل المقري النحوي قال: وفيها ولد العزيز، والظاهر، ابنا صلاح الدين، والمنصور محمد بن تقي الدين عمر .

ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة

فيها: أرسل نور الدين إلى صلاح الدين ــ وكان الرسول الموفق خالد بن القيسراني ــ ليقيم حساب الديار المصرية، وذلك لأن نور الدين استقل الهدية التي أرسل بها إليه من خزائن العاضد، ومقصوده أن يقرر على الديار المصرية خراجا منها في كل عام. وفيها: حاصر صلاح الدين الكرك، والشوبك، فضيق على أهلها، وخرب أماكن كثيرة من معاملاتها، ولكن لم يظفر بها عامه ذلك. وفيها: اجتمعت الفرنج بالشام لقصد زرع [1]، فوصلوا إلى سمسكين، فبرز إليهم نور الدين، فهربوا منه إلى الغور، ثم إلى السواد، ثم إلى الشلالة، فبعث سرية إلى طبرية، فعاثوا

(١) كذا في الأصل ، وفي ابن الأثير : قصدوا بلاد حوران من أعمال دمشق .

هنالك، وسبوا، وقتلوا، وغنموا، وعادوا سالمين، ورجع الفرنج خائبين. وفيها: أرسل السلطان صلاح الدين أخاه شمس الدولة نور شاه إلى بلاد النوبة، فافتتحها، واستحوذ على معقلها، وهو حصن يقال له: إبريم، ولما رآها بلدة قليلة الجدوي لا يفي خراجها بكلفتها، استخلف على الحصن المذكور رجلا من الأكراد، يقال له: إبراهيم، فجعله مقدما مقررا بحصن إبريم، وانضاف إليه جماعة من الأكراد البطالين، فكثرت أموالهم، وحسنت أحوالهم هنالك، وشنوا الغارات، وحصلوا على الغنائم .

وفيها: كانت وفاة الأمير نجم الدين أيوب بن شادي والد صلاح الدين سقط عن فرسه فمات، وسنأتي على ترجمته في الوفيات. وفيها : سار الملك نور الدين إلى بلاد عز الدين قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان السلجوقي، وأصلح ما وجده فيها من الخلل. ثم سار، فافتتح مرعش وبهنسا وعمل في كل منهما بالحسني. قال العماد: وفيها: وصل الفقيه الإمام الكبير قطب الدين النيسابوري، وهو فقيه عصره، ونسيج وحده، فسر به نور الدين، وأنزله بحلب، بمدرسة باب العراق، ثم أتي به إلى دمشق فدرس بزاوية جامع الغربية المعروفة بالشيخ نصر المقدسي، ثم نزل بمدرسة الحاروق، ثم شرع نور الدين بإنشاء مدرسة كبيرة للشافعية، فأدركه الأجل قبل ذلك. قال أبو شامة: وهي العادلية الكبيرة، التي عمرها بعد ذلك الملك العادل أبو بكر بن أيوب. وفيها: رجع شهاب الدين بن أبي عصرون من بغداد، وقد أدي الرسالة بالخطبة العباسية بالديار المصرية، ومعه توقيع من الخلافة بإقطاع درب هارون وصريفين لنور الدين، وقد كانتا قديما لأبيه عماد الدين زنكي، فأراد نور الدين أن ينشيء ببغداد مدرسة على حافة الدجلة، ويجعل هذين المكانين وقفا عليها فعاقه القدر عن ذلك. وفيها: وقعت بناحية خوارزم حروب كثيرة بين سلطان شاه وبين أعدائه، استقصاها ابن الأثير وابن الساعي .

وفيها: هزم ملك الأرمن مليح بن ليون عساكر الروم، وغنم منهم شيئا كثيرا، وبعث إلى نور الدين بأموال كثيرة، وثلاثين رأسا من رءوس كبارهم، فأرسلها نور الدين إلى الخليفة المستضيء. وفيها: بعث صلاح الدين سرية صحبه قراقوش مملوك تقي الدين عمر بن شاهنشاه، إلى بلاد إفريقية، فملكوا طائفة كثيرة منها، من ذلك مدينة طرابلس الغرب، وعدة مدن معها .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إيلدكز التركي الأتابكي

صاحب أذربيجان، وغيرها، كان مملوكا للكمال السميرمي وزير السلطان محمود، ثم علا أمره، وتمكن، وملك بلاد أذربيجان، وبلاد الجبل، وغيرها، وكان عادلا منصفا شجاعا محسنا إلى الرعية، توفي بهمدان .

الأمير نجم الدين أبو الشكر أيوب بن شادي

ابن مروان، زاد بعضهم بعد مروان بن يعقوب، والذي عليه جمهورهم أنه لا يعرف بعد شادي أحد في نسبهم، وأغرب بعضهم، وزعم أنهم من سلالة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وهذا ليس بصحيح، والذي نسب إليه ادعاء هذا هو أبو الفداء إسماعيل بن طغتكين بن أيوب بن شادي ويعرف بابن سيف الإسلام، وقد ملك اليمن بعد أبيه، فتعاظم في نفسه، وادعي الخلافة، وتلقب بالإمام الهادي بنور الله ولهجوا بذلك، وقال هو في ذلك :

وأنـا الهـادى الخليفـةُ والـذى ... أدوسُ رقابَ الغلبِ بالضُّمَّرِ الجُـرْدِ
ولابُدَّ من بغدادَ أطـوى ربوعَهـا ... وأنشرُها نشرَ السماسِق [1] على البرد
وأنصـبُ أعلامى على شُرُفَاتِهـا ... وأحيِي بها ما كان أسَّسَـه جـدِّى
ويُخطبُ لى فيها على كـلِّ منـبرٍ ... وأُظْهِرُ أمْرَ اللهِ فى الغـورِ والنجدِ [2]

وما ادعاه ليس بصحيح، ولا أصل له يعتمد عليه، ولا مستند يستند إليه، والمقصود أن الأمير نجم الدين، كان أسن من أخيه أسد الدين شيركوه، ولد بأرض الموصل، كان الأمي نجم الدين شجاعا، خدم الملك محمد بن ملكشاه، فرأي فيه شهامة، وأمانة، فولاه قلعة تكريت، فحكم فيها، فعدل، وكان من أكرم الناس، ثم أقطعها الملك مسعود لمجاهد الدين نهروز شحنة العراق، فاستمر فيها، فاجتاز به في بعض الأحيان الملك عماد الدين زنكي منهزما من قراجا الساقي، فآواه، وخدمه خدمة بالغة تامة، وداوي جراحاته، وأقام عنده مدة خمسة عشر يوما، ثم ارتحل إلى بلده الموصل، ثم اتفق أن نجم الدين أيوب عاقب رجلا نصرانيا، فقتله، وقيل: إنما قتله أخوه أسد الدين شيركوه، وهذا بخلاف الذي ذكره ابن خلكان، فإنه قال: رجعت جارية من بعض الخدم، فذكرت له: أنه تعرض لها اسفهسلار، الذي بباب القلعة، فخرج إليه أسد الدين، فطعنه بحربة، فقتله، فحبسه أخوه نجم الدين، وكتب إلى مجاهد الدين نهروز، يخبره بصورة الحال، فكتب إليه يقول: إن أباكم كانت له على خدمة، وكان قد استنابه في هذه القلعة، قبل ابنه نجم الدين أيوب، وإني أكره أن أسوءكما، ولكن انتقلا منها. فأخرجهما نهروز من قلعته. وفي ليلة خروجه منها: ولد له الملك الناصر صلاح الدين يوسف. قال: فتشاءمت به لفقدي بلدي، ووطني. فقال له بعض الناس: قد نري ما أنت فيه من التشاؤم بهذا المولود، فما يؤمنك أن يكون هذا المولود ملكا عظيما له صيت؟ فكان كما قال، فاتصلا بخدمة الملك عماد الدين زنكي، أبي نور الدين، ثم كانا عند نور الدين متقدمان عنده، وارتفعت منـزلتهما، وعظما،

---

(١) السماسق: الياسمين .

(٢) الْغَـوْرُ والـنَّجْدُ : الغَـوْرُ : المطمئن من الأرض . والغَورُ : تهامة وما يَلِي اليمن . النَّجْدُ : ما ارتفع من الأرض. نَجْـدُ : مـن بلاد العرب وهو خلاف الغور فالغورُ تِهامَةُ ، وكل ما ارتفع من تِهامَةَ إلى أرض العراق فهو نَجْدُ . وهو مذكر .

فاستناب نور الدين نجم الدين أيوب على بعلبك وكان أسد الدين من أكبر أمرائه، ولما تسلم بعلبك، أقام مدة طويلة، وولد له فيها أكثر أولاده، ثم كان من أمره ما ذكرناه في دخوله الديار المصرية، ثم إنه في ذي الحجة سقط عن فرسه فمات بعد ثمانية أيام في اليوم السابع والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة، وكان ابنه صلاح الدين محاصر الكرك غائبا عنه، فلما بلغه خبر موته تألم لغيبته عن حضوره، وأرسل يتحرق، ويتحزن، وأنشد :

وتَخطَّفُه يدُ الردي في غَيْبَتي ... هبني حضرتُ فكُنْتُ ماذا أصنَع ؟

وقد كان نجم الدين أيوب كثير الصلاة، والصدقة، والصيام، كريم النفس، جوادا، ممدحاً. قال ابن خلكان: وله خانقاه بالديار المصرية، ومسجد، وقناة، خارج باب النصر من القاهرة، وقفها في سنة ست وستين. قلت: وله بدمشق خانقاه أيضا، تعرف بالنجمية، وقد استنابه ابنه على الديار المصرية، حين خرج إلى الكرك، وحكمه في الخزائن، وكان من أكرم الناس، وقد امتدحه الشعراء، كالعماد وغيره، ورثوه بمراث كثيره، وقد ذكر ذلك مستقصى الشيخ أبو شامة " في الروضتين " ودفن مع أخيه أسد الدين، بدار الإمارة، ثم نقل إلى المدينة النبوية في سنة ثمانين، فدفنا بتربة الوزير جمال الدين الموصلي الذي كان مواخيا لأسد الدين شيركوه، وهو الجمال المتقدم ذكره الذي ليس بين تربته ومسجد النبيﷺ، إلا مقدار سبعة عشر ذراعا، فدفنا عنده. قال أبو شامة: وفي هذه السنة توفي ملك الرافضة والنحاة .

الحسن بن ضافي بن بزدن التركي

كان من أكابر أمراء بغداد، المتحكمين في الدولة، ولكنه كان رافضيا خبيثا، متعصبا للروافض، وكانوا في خفارته وجاهه، حتى أراح الله المسلمين منه في هذه السنة في ذي الحجة منها، ودفن بداره، ثم نقل إلى مقابر قريش فلله الحمد والمنة. وحين مات، فرح أهل السنة بموته، فرحا شديدا، وأظهروا الشكر لله؛ فلا تجد أحدا منهم، إلا يحمد الله، فغضب الشيعة من ذلك، ونشأت بينهم فتنة بسبب ذلك. وذكر ابن الساعي في تاريخه: أنه كان في صغره شابا حسنا مليحا معشوقا للأكابر من الناس. قال ولشيخنا أبي اليمن الكندي فيه، وقد رمدت عينه .

بكُلِّ صبــاحٍ لــي وَكلِّ عشيةٍ ... وقوفُ على أبوابكم وســلامُ
وَقَدْ قيلَ لي: يشكو سقاماً بعَيْنِه ... فها نَحْــنُ منْهــا نَشْتَكــي وَنُضَــامُ

ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة

قال ابن الجوزي في المنتظم: إنه سقط عندهم ببغداد برد كبار كالنارنج، ومنه ما وزنه سبعة أرطال، ثم أعقب ذلك سيل عظيم، وزيادة عظيمة في دجلة، لم يعهد مثلها أصلا، فخرب أشياء كثيرة من العمران والقرى، والمزارع، حتى القبور، وخرج الناس إلى الصحراء، وكثر الضجيج، والابتهال إلى الله، حتى فرّج الله عزّ وجلّ، وتناقصت زيادة الماء بحمد الله ومنه: وأما

الموصل: فإنه كان بها نحو ما كان ببغداد، وانهدم بالماء نحو من ألفي دار، واستهدم بسببه مثل ذلك، وهلك تحت الردم خلق كثير، وكذلك الفرات زادت زيادة عظيمة، فهلك بسببها شيء كثير من القرى، وغلت الأسعار بالعراق في هذه السنة في الزروع، والثمار، ووقع الموت في الغنم، وأصيب كثير ممن أكل منها بالعراق، وغيرها. قال ابن الساعي: وفي شوال منها، توالت الأمطار بديار بكر، والمَوصل، أربعين يوما وليلة، لم يروا الشمس، سوى مرتين لحظتين يسيرتين، ثم تستتر بالغيوم، فتهدمت بيوت كثيرة، ومساكن على أهلها، وزادت الدجلة بسبب ذلك زيادة عظيمة، وغرق كثير من مساكن بغداد، والموصل، ثم تناقص الماء بإذن الله. قال ابن الجوزي: وفي رجب وصل ابن الشهرزوري من عند نور الدين، ومعه ثياب مصرية، وحمارة ملونة، جلدها مخطط، مثل الثوب العتابي. وفيها: عزل ابن الشامي عن تدريس النظامية، ووليها أبو الخير القزويني. قال: وفي جمادى الآخرة اعتقل المجير الفقيه،ونسب إلى الزندقة، والانحلال، وترك الصلاة، والصوم، فغضب له ناس. وزكوه، وأخرج، وذكر أنه وعظ بالحدثية، فاجتمع عنده قريبا من ثلاثين ألفا. قال ابن الساعي: وفيها: سقط أحمد بن أمير المؤمنين المستضيء من قبة شاهقة إلى الأرض، فسلم، ولكن نبت يده اليمنى، وساعده اليسري، وانسلخ شيء من أنفه، وكان معه خادم أسود، يقال له: نجاح، فلما رأي سيده قد سقط ألقي هو نفسه أيضا خلفه، وقال: لا حاجة لي في الحياة بعده، فسلم أيضا، فلما صارت الخلافة إلى أبي العباس الناصر — وهو هذا الذي قد سقط — لم ينسها لنجاح هذا، فحكمه في الدولة، وأحسن إليه، وقد كانا صغيرين لما سقطا. وفيها: سار الملك نور الدين نحو بلاد الروم، وفي خدمته الجيش، وملك الأرمن وصاحب ملطية، وخلق من الملوك والأمراء، وافتتح عدة من حصونهم، وحاصر قلعة الروم، فصالحه صاحبها بخمسين ألف دينار جزية، ثم عاد إلى حلب، وقد وجد النجاح في كل ما طلب، ثم أتي دمشق مسرورا محبورا. وفيها :كان فتح بلاد اليمن للملك صلاح الدين، وكان سبب ذلك: أن صلاح الدين بلغه أن بها رجلا يقال له : عبد النبي بن مهدي، وقد تغلب عليها، ودعا إلى نفسه، وتسمي بالإمام، وزعم أنه سيملك الأرض كلها، وقد كان أخوه على بن مهدي، قد تغلب قبله عليها، وانتزعها من أيدي أهل زبيد، ومات سنة ستين، فملكها بعده أخوه هذا، وكل منهما كان سيء السيرة، والسريرة، فعزم صلاح الدين، لكثرة جيشه، وقوته، على إرسال سرية إليه، وكان أخوه الأكبر شمس الدولة، شجاعا، مهيبا، بطلا، وكان ممن يجالس عمارة اليمني الشاعر، وكان عمارة ينعت له بلاد اليمن، وحسنها، وكثرة خيرها، فحداه ذلك على أن خرج في تلك السرية في رجب من هذه السنة، فورد مكة، فاعتمر بها، ثم سار منها إلى زبيد، فخرج إليه عبد النبي، فقاتله، فهزمه توران شاه، وأسره وأسر زوجته الحرة، وكانت ذات أموال جزيلة، فاستقرها على أشياء جزيلة، وذخائر جليلة، ونهب الجيش زبيد، ثم توجه إلى عدن، فقاتله ياسر ملكها، فهزمه، وأسره، وأخذ البلد بيسير من الحصار، ومنع الجيش من نهبها، وقال: ما جئنا لنخرب البلاد، وإنما جئنا لعمارتها وملكها .

ثم سار في الناس سيرة حسنة، عادلة، فأحبوه، ثم تسلم بقية الحصون، والمعاقل، والمخالف، واستوسق له ملك اليمن بحذافيره [١]، وألقى إليه أفلاذ كبده، ومطاميره، وخطب للخليفة العباسي المستضيء، وقتل الدعي المسمى بعبد النبي، وصفت اليمن من أكدارها، وعادت إلى ما سبق من مضمارها، وكتب بذلك إلى أخيه الملك الناصر، يخبره بما فتح الله عليه، وأحسن إليه، فكتب الملك صلاح الدين بذلك إلى نور الدين فأرسل نور الدين بذلك إلى الخليفة، يبشره بفتح اليمن والخطبة بها له. وفيها : خرج الموفق خالد بن القيسراني من الديار المصرية، وقد أقام بها الملك الناصر حساب الديار المصرية، وما خرج من الحواصل حسب ما رسم به الملك نور الدين كما تقدم، وقد كاد صلاح الدين لما جاءته الرسالة بذلك يظهر شق العصا ويواجه بالمخالفة والإباء لكنه عاد إلى طباعه الحسنة، وأظهر الطاعة المستحسنة، وأمر بكتابة الحساب، وتحرير الكتاب والجواب، فبادر إلى ذلك جماعة الدواوين، والحساب، والكتاب، وبعث مع ابن القيسراني بهدية سنية، وتحف هائلة هنية. فمن ذلك خمس ختمات شريفات، مغطات بخطوط مستويات، ومائة عقد من الجواهر النفيسات خارجا عن قطع البلخش، واليواقيت، والفصوص، والثياب الفاخرات، والأواني، والأباريق، والصحاف الذهبيات، والفضيات، والخيول المسومات، والغلمان، والجواري الحسان، والحسنات، ومن الذهب عشرة صناديق مقفلات مختومات مما لا يدري كم فيها مئين ألوف ومئات من الذهب المصري المعد للنفقات. فلما فصلت العير من الديار المصرية، لم تصل إلى الشام حتى أن نور الدين مات رحمه الله رب الأرضين والسموات، فأرسل صلاح الدين من ردها إليه وأعادها عليه، ويقال : إن منها ما عدي عليه، وعلم بذلك حين وضعت بين يديه .

مقتل عمارة بن أبي الحسن

ابن زيدان الحكمي من قحطان، أبو محمد الملقب بنجم الدين اليمني، الفقيه الشاعر الشافعي، وسبب قتله أنه اجتمع جماعة من رؤوس الدولة الفاطمية الذين كانوا فيها حكاما، فاتفقوا بينهم أن يردوا الدولة الفاطمية، فكتبوا إلى الفرنج، يستدعونهم إليهم، وعينوا خليفة من الفاطميين، ووزيرا وأمراء، وذلك في غيبة السلطان ببلاد الكرك، ثم اتفق مجيئة فحرض عمارة اليمني، شمس الدولة توران شاه على المسير إلى اليمن ليضعف بذلك الجيش عن مقاومة الفرنج إذا قدموا لنصرة الفاطميين، فخرج توران شاه، ولم يخرج معه عمارة، بل أقام بالقاهرة، يفيض في هذا الحديث، ويداخل المتكلمين فيه، ويصافيهم، وكان من أكابر الدعاة إليه، والمحرضين عليه، وقد أدخلوا معهم فيه بعض من ينسب إلى صلاح الدين، وذلك من قلة عقولهم، وتعجيل دمارهم، فخانهم أحوج ما كانوا إليه، وهو الشيخ زين الدين على بن نجا الواعظ، فإنه أخبر السلطان بما تمالأوا وتعاقدوا عليه، فأطلق له السلطان أموالا جزيلة، وأفاض عليه حللا جميلة، ثم

---

(١) بحذافيره : بكل جوانبه .

استدعاهم السلطان واحدا واحدا فقررهم، فأقروا بذلك، فاعتقلهم، ثم استفتي الفقهاء في أمرهم، فأفتوه بقتلهم، ثم عند ذلك أمر بقتل رؤوسهم، وأعيانهم، دون أتباعهم، وغلمانهم، وأمر بنفي من بقي من جيش العبيديين إلى أقصي البلاد، وأفرد ذرية العاضد، وأهل بيته في دار، فلا يصل إليهم إصلاح، ولا إفساد، وأجري عليهم ما يليق بهم من الأرزاق، والثياب، وكان عمارة معاديا للقاضي الفاضل، فلما حضر عمارة بين يدي السلطان قام القاضي الفاضل إلى السلطان، ليشفع فيه عنده، فتوهم عمارة أنه يتكلم فيه، فقال: يا مولانا السلطان لا تسمع منه. فغضب الفاضل، وخرج من القصر، فقال له السلطان: إنه إنما كان يشفع فيك. فندم ندما عظيما. ولما ذهب به ليصلب، مر بدار الفاضل، فطلبه، فتغيب عنه، فأنشد :

عبـــدُ الرحيـــم قـــد احتجـــبَ إنّ الخـــلاصَ هـــو العجـــبُ

قال ابن أبي طي: وكان الذين صلبوا الفضل بن الكامل القاضي، وهو أبو القاسم هبة الله ابن عبد الله بن كامل قاضي قضاة الديار المصرية زمن الفاطميين، ويلقب بفخر الأمناء، فكان أول من صلب فيما قاله العماد، وقد كان ينسب إلى فضيلة وأدب، وله شعر رائق، فمن ذلك قوله في غلام رفّاء :

يا رَافِيـاً خَرْقَ كُـلِّ ثـوبِ وما رَفَـا حُبُّـهُ اعتقـادي
عسي بِكَـفِّ الوصـالِ تَرْفُـو ما مَـزّقَ الهجرُ مِـنْ فُـؤادي

وابن عبد القوي داعي الدعاة، وكان يعلم بدفائن القصر، فعوقب ليدل عليها، فامتنع من ذلك، فمات، واندرست. والعويرس وهو ناظر الديوان، وتولى مع ذلك القضاء. وشبريا وهو كاتب السر. وعبد الصمد الكاتب، وهو أحد أمراء المصريين. ونجاح الحمامي، ورجل منجم نصراني أرمني كان قد بشرهم بأن هذا الأمر يتم بعلم النجوم .

وعمارة اليمني الشاعر

وقد كان شاعرا، مطيقا بليغا فصيحا، لا يلحق شأوه في هذا الشأن، وله ديوان شعر مشهور، وقد ذكرته في طبقات الشافعية، لأنه كان يشتغل بمذهب الشافعي، وله مصنف في الفرائض، وكتاب الوزراء الفاطميين، وكتاب جمع سيرة نفسية، التي كان يعتقدها عوام مصر، وقد كان أديبا، فاضلا، فقيها، غير أنه كان ينسب إلى موالاة الفاطميين، وله فيهم، وفي وزرائهم، وأمرائهم، مدائح كثيرة جدا، وأقل ما كان ينسب إلى الرفض، وقد اتهم بالزندقة، والكفر المحض، وذكر العماد في الخريدة، أنه قال في قصيدته، التي يقول في أولها :

العِلْمُ مُذْ كَانَ مُحْتَاجاً إلى العَلَمِ وَشَفْرَةُ السَّيْفِ تَسْتَغْنِي عَنِ القَلَمِ

وهي طويلة جدا، فيها كفر وزندقة كثيرة. قال فيها :

قَدْ كَانَ أَوَّلُ هذا الدِّينِ مِنْ رَجُلٍ سَعَى إلَى أنْ دَعَوْهُ سَيِّدُ الأُمَمِ

قال العماد: فأفتى أهل العلم من أهل مصر، بقتله، وحرضوا السلطان على المثلة به، وبمثله. قال: ويجوز أن يكون هذا البيت، معمولاً عليه، والله أعلم. وقد أورد ابن الساعي، شيئاً من رقيق شعره فمن ذلك قوله، يمدح بعض الملوك :

إذا أنَا قَبَّلْتُ بشْرَ جَبِينه ... فَارَقْتُهُ وَالبشْرُ فَوْقَ جَبِيني
وإذا لَثَمْتُ يَمِينَهُ وَخَرَجْتُ مِنْ ... أبْوَابِه لَثَمَ المُلُوكُ يَمِيني

ومن ذلك قوله يتغزل :

لي في هَوَى الرَّشأ العُذْرِيِّ إعْذَارُ ... لَمْ يَبْقَ لي مُذْ أقْسَرَ الدَّمْعُ إنْكَارُ
لي في القُدُود وَفي لَثْمِ الخُدُو ... دوفي ضَمِّ النُّهُود لُبَانَاتٌ وأوْطَارُ
هذا اختياري فَوَافِقْ إنْ رَضِيتَ بِه ... وَإلاَّ فَدَعْني لِمَا أهْوَىَ وَأخْتَارُ

ومما أنشده الشيخ تاج الدين الكندي في عمارة اليمني حين صلب :

عمارةُ في الإسْلام أبْدَى جنَايَةً ... وَبَايَعَ فيهَا بيعَةً وَصَلِيبَا
وأمْسَى شَريكُ الشِّرْكَ في بَعْض أحْمَد ... وَأصْبَحَ في حُبِّ الصَّلِيب صَلِيبَا
سَيَلْقَى غَداً ما كَانَ يَسْعَى لِنَفْسه ... وَيُسْقَى صَدِيداً في لَظَى وَصَلِيبا

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : فالأول: صليب النصارى، والثاني بمعنى : مصلوب. والثالث بمعنى: القوي، والرابع: ودك العظام. ولما صلب الملك الناصر هؤلاء يوم السبت الثاني من شهر رمضان من هذه السنة، بين القصرين من القاهرة، كتب إلى الملك نور الدين، يعلمه بما وقع منهم، وبهم، من الخزي، والنكال، قال العماد: فوصل الكتب بذلك يوم توفي الملك نور الدين رحمه الله تعالى. وكذلك قتل صلاح الدين رجلا من أهل الأسكندرية، يقال له: قديد القصاص كان قد افتتن به الناس، وجعلوا له جزءا من أكسابهم، حتى النساء من أمواهن، فأحيط به، فأراد القصاص الخلاص، ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[ص:٣] فقتل أسوة فيمن سلف، ومما وجد من شعر عمارة يرثي العاضد، ودولته، وأيامه .

أسَفِي عَلَى زَمَن الإمَام العَاضِد ... أسَفُ العَقِيم عَلَى فِرَاق الوَاحِد
لَهْفِي عَلَى حُجُرَات قَصْرِكَ إذ خَلَتْ ... يَا ابْنَ النَّبيِّ مِنِ ازْدِحَام الوَافِد
وَعَلَى انْفِرَادكَ في عَسَاكِرِكَ التي ... كَانُوا كَأمْوَاج الخِضَمِّ الرَّاكِد
قَلدْتَ مُؤْتَمَنَ الخِلافَة أمْرَهُمْ ... فَكَبَا وَقَصَّرَ عَنْ صَلاح الفَاسِد
فَعَسَى اللَّيَالي أنْ تَرُدَّ عَلَيْكُمْ ... مَا عَوَّدَتْكُمْ مِنْ جَميلِ عَوَائِد

وله في قصيدة :

يا عَاذلي في هَوَى أبْنَاء فَاطِمَةَ ... لَكَ المَلامَةُ إنْ قَصَّرْتَ في عَذَلي
بالله زُرْ سَاحَةَ القَصْرَيْنِ وَابْكِ مَعي ... عَلَيْهِمَا عَلَى صِفِّينَ وَالجَمَلِ
وَقُلْ لأهْلِهِمَا : وَالله مَا الْتَحَمَتْ ... فيكُمْ قُرُوحي وَلا جُرْحي بمُنْدَمل

مَاذا تَرَى كَائِنَاتِ الإفْرَنْجُ فَاعِلَةً   في نَسْل آل أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِي

وقد أورد له الشيخ أبو شامة، في "الروضتين"، أشعارا كثيرة، من مدائحه في الفاطميين، وكذا ابن خلكان .

ابن قسرول

صاحب كتاب "مطالع الأنوار" الذي وضعه على كتاب "مشارق الأنوار" للقاضي عياض، وكان من علماء بلاده، وفضلائهم المشهورين، مات فجأة بعد صلاة الجمعة، سادس شوال منها عن أربع وستين سنة، قال ابن خلكان، والله سبحانه وتعالى أعلم .

فصل

وفاة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي

وذكر شيء من سيرته العادلة وأيامه الكاملة

هو الملك العادل، نور الدين أبو الغنائم محمود الملك الأتابك قسيم الدولة، عماد الدين أبي سعيد زنكي، الملقب بالشهيد، ابن الملك آقسنقر الأتابك، الملقب بقسيم الدولة التركي، السلجوقي مولاهم، ولد وقت طلوع الشمس من يوم الأحد السابع عشر من شوال سنة إحدى عشرة وخمسمائة بحلب، ونشأ في كفالة والده صاحب حلب، والموصل، وغيرهما من البلدان، الكثيرة الكبيرة. وتعلم القرآن، والفروسية، والرمي، وكان شهما، شجاعا، ذا همة عالية، وقصد صالح، وحرمة وافرة، وديانة بينة، فلما قتل أبوه سنة إحدى وأربعين، وهو محاصر جعبر كما ذكرنا صار الملك بحلب إلى ابنه نور الدين هذا، وأعطاه أخوه سيف الدين غازي الموصل، ثم تقدم، ثم افتتح الملك نور الدين دمشق في سنة تسع وأربعين، فأحسن إلى أهلها، وبنى لهم المدارس، والمساجد، والربط، ووسع لهم الطرق على المارة، وبنى عليها الرصافات، ووسع الأسواق، ووضع المكوس بدار الغنم، والبطيخ، والعرصد، وغير ذلك، وكان حنفي المذهب، يحب العلماء والفقراء، ويكرمهم، ويحترمهم، ويحسن إليهم، وكان يقوم في أحكامه بالمعدلة الحسنة، واتباع الشرع المطهر، ويعقد مجالس العدل، ويتولاها بنفسه، ويجتمع إليه في ذلك القاضي، والفقهاء، والمفتيون من سائر المذاهب، ويجلس في يوم الثلاثاء بالمسجد المعلق الذي بالكشك، ليصل إليه كل احد من المسلمين، وأهل الذمة، حتى يساويهم، وأحاط السور على حارة اليهود، وكان خرابا، وأغلق باب كسان، وفتح باب الفرج، ولم يكن قبله هناك باب بالكلية، وأظهر ببلاده السنة، وأمات البدعة، وأمر بالتأذين بحي على الصلاة، حي على الفلاح، ولم يكن يؤذن بهما في دولتي أبيه وجده، وإنما كان يؤذن بحي على خير العمل، لأن شعار الرفض كان ظاهرا بها، وأقام الحدود، وفتح الحصون، وكسر الفرنج غير مرة واستنقذ من أيديهم معاقل كثيرة، من الحصون المنيعة التي كانوا قد استحوذوا عليها، من بلاد المسلمين، كما

تقدم بسط ذلك في السنين المتقدمة في أيامه ، وأقطع الأمراء العرب إقطاعات لئلا يتعرضوا للحجيج، وبنى بدمشق مارستاناً لم ين في الشام قبله مثله، ولا بعده أيضا، ووقف وقفا، على من يعلم الأيتام الخط والقراءة، وجعل لهم نفقة، وكسوة، وعلى المجاورين بالحرمين، وله أوقاف دارة على جميع أبواب الخير، وعلى الأرامل، والمحاويج وكان الجامع داثرا [1]، فولى نظره القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري الموصلي، الذي قدم به فولاه قضاء قضاة دمشق فأصلح أموره، وفتح المشاهد الأربعة، وقد كانت حواصل الجامع بها من حين احترقت في سنة إحدى وستين وأربعمائة، وأضاف إلى أوقاف الجامع المعلومة، الأوقاف التي لا يعرف واقفوها، ولا يعرف شروطهم فيها، وجعلها قلما واحداً، وسمي مال المصالح، ورتب عليه لذوي الحاجات الفقراء، والمساكين والأرامل والأيتام وما أشبه ذلك. وقد كان رحمه الله، حسن الخط، كثير المطالعة للكتب الدينية، متبعا للآثار النبوية، محافظا على الصلوات في الجماعات، كثير التلاوة محبا لفعل الخيرات، عفيف البطن، والفرج، مقتصدا في الإنفاق على نفسه، وعياله، في المطعم، والملبس، حتى قيل: إنه كان أدنى الفقراء في زمانه، أعلى نفقة منه، من غير اكتناز، ولا استئثار بالدنيا، ولم يسمع منه كلمة فحش قط، في غضب، ولا رضى، صموتاً وقوراً. قال ابن الأثير: لم يكن من ملوك الإسلام بعد عمر بن عبد العزيز مثل الملك نور الدين، ولا أكثر تحرياً، للعدل والإنصاف منه، وكانت له دكاكين بحمص قد اشتراها مما يخصه من المغانم، فكان يقتات منها، وزاد امرأته من كراها على نفقتها عليها، واستفتى العلماء في مقدار ما يحل له من بيت المال، فكان يتناوله، ولا يزيد عليه شيئا ولو مات جوعا، وكان يكثر اللعب بالكرة، فعاتبه رجل من كبار الصالحين في ذلك، فقال: إنما الأعمال بالنيات، وإنما أريد بذلك تمرين الخيل على الكرّ والفرّ، وتعليمها ذلك، ونحن لا نترك الجهاد. وكان لا يلبس الحرير، وكان يأكل من كسب يده بسيفه ورمحه، وركب يوما مع بعض أصحابه، والشمس في ظهورهما، والظل بين أيديهما، لا يدركانه، ثم رجعا، فصار الظل وراءهما، فساق نور الدين فرسه سوقاً عنيفاً، وظله يتبعه، فقال لصاحبه: أتدري ما شبهت هذا الذي نحن فيه؟ شبهته بالدنيا تهرب ممن يطلبها وتطلب من يهرب منها. وقد أنشد بعضهم في هذا المعنى :

مَثَلُ الرِّزْقِ الذي تَطْلُبُهُ ... مَثَلُ الظِّلِّ الَّذي يَمْشي مَعَكْ
أَنْتَ لا تُدْرِكُهُ مُسْتَعْجِلاً ... فَإذا وَلَّيْتَ عَنْهُ تَبِعَكْ

وكان فقيها على مذهب أبي حنيفة، وسمع الحديث، وأسمعه، وكان يكثر الصلاة بالليل، من وقت السحر إلى أن يركب :

جَمَعَ الشَّجاعةَ والخُشُوعَ لَدَيْهِ ... ما أحسَنَ الشجعانَ في المِحْرابِ

---

(١) داثر : هالك .

وكذلك كانت زوجته عصمت الدين خاتون بنت الأتابك معين الدين تكثر القيام في الليل، فنامت ذات ليلة عن وردها، فأصبحت وهي غضبى، فسألها نور الدين عن أمرها، فذكرت نومها الذي فوت عليها وردها، فأمر نور الدين عن ذلك بضرب طلبخانة في القلعة وقت السحر لتوقظ النائم ذلك الوقت، لقيام الليل، وأعطى الضارب على الطبلخانة أجرا جزيلا، وجراية كثيرة.

فألبَسَ اللهُ هَاتيكَ العظَـامَ وإن بَلينَ تحـتَ الثرَى عَفْواً وغُفْراناً
سَقَى ثَرَى أوْدَعُوهَ رَحْمَةً مَـلأتْ مَثْـوَى قُبُـورِهِمُ رَوْحـاً ورَيْحـاناً

وذكر ابن الأثير، أن الملك نور الدين بينما هو ذات يوم يلعب بالكرة إذ رأى رجلا يحدث آخر، ويومئ إلى نور الدين فبعث الحاجب ليسأله ما شأنه، فإذا هو رجل معه رسول من جهة الحاكم، وهو يزعم أن له على نور الدين حقا، يريد أن يحاكمه عند القاضي، فلما رجع الحاجب إلى نور الدين وأعلمه بذلك، ألقى الجوكان [1] من يده، وأقبل مع خصمه، ماشيا إلى القاضي الشهرزوري، وأرسل نور الدين إلى القاضي، أن لا تعاملني إلا معاملة الخصوم، فحين وصل، وقف نور الدين مع خصمه بين يدي القاضي حتى انفصلت الخصومة والحكومة، و لم يثبت للرجل على نور الدين حق، بل ثبت الحق للسلطان على الرجل، فلما تبين ذلك قال السلطان: إنما جئت معه لئلا يتخلف أحد عن الحضور إلى الشرع إذا دعي إليه، فإنما نحن معاشر الحكام أعلانا وأدنانا شحنكية [2] لرسول الله ﷺ، ولشرعه، فنحن قائمون بين يديه، طوع مراسيمه فما أمر به امتثلناه، وما نهانا عنه اجتنبناه، وأنا أعلم أنه لا حق للرجل عندي، ومع هذا أشهدكم، أني قد ملكته ذلك الذي ادعى به، ووهبته له. وأرسل القاضي تاج الدين رسولاً من جهته يقال له: سويد ليحضر الملك نور الدين إلى مجلس الحكم لسماع دعوى من رجل عليه فبلغ سويد الرسالة إلى الحاجب فدخل وهو يضحك ويقول: ليقم المولى إلى القاضي لسماع دعوى وكأنه يستهزئ بذلك، فقال له الملك: وما بك تستهزئ بذلك؟ ثم قال: ائتوني بفرسي فنهض وهو يقول: إنما كان قول المؤمنين إذ دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا. وذهب إلى الحاكم وكان يوم مطر كثير الوصل رحمه الله تعالى. قال ابن الأثير: وهو أول من ابتنى دارا للعدل، وكان يجلس فيها في الأسبوع مرتين، وقيل: أربع مرات، وقيل: خمس. ويحضر القاضي، والفقهاء من سائر المذاهب، ولا يحجبه يومئذ حاجب، ولا غيره، بل يصل إليه القوي والضعيف، فكان يكلم الناس، ويستفهمهم، ويخاطبهم بنفسه، فيكشف المظالم، وينصف المظلوم من الظالم، وسبب ذلك، أن أسد الدين بن شيركوه بن شادي كان قد عظم

---

(١) الجوكان : مضرب الكرة .
(٢) الشحنكية : الخَدَمُ .

شأنه عند نور الدين، حتى صار كأنه شريكه في المملكة، واقتنى الأملاك، والأموال، والمزارع، والقرى، وكان ربما ظلم نوابه جيرانه في الأراضي، والأملاك العدل، وكان القاضي كمال الدين ينصف كل من استعداه على جميع الأمراء، إلا أسد الدين هذا، فما كان يهجم عليه، فلما ابتنى نور الدين دار العدل، تقدم أسد الدين إلى نوابه أن لا يدعو لأحد عنده ظلامة، وإن كان عظيمة، فإن زوال ماله عنده أحب إليه أن يراه نور الدين بعين ظالم، أو يوقفه مع خصم من العامة، ففعلوا ذلك، فلما جلس نور الدين بدار العدل مدة متطاولة، ولم ير أحد يستعدي على أسد الدين سأل القاضي عن ذلك، فأعلمه بصورة الحال، فسجد نور الدين شكرا لله، وقال : الحمد لله الذي جعل أصحابنا، ينصفون من أنفسهم. وأما شجاعته فكان يقال: إنه لم ير على ظهر فرس قط أشجع ولا أثبت منه، وكان حسن اللعب بالكرة، وكان ربما ضربها، ثم يسوق وراءها، ويأخذها من الهوى بيده، ثم يرميها إلى آخر الميدان، ولم ير جوكانه يعلو على رأسه، ولا يرى الجوكان في يده، لأن الكم ساتر لها، ولكنه استهانة بلعب الكرة، وكان شجاعا، صبورا في الحرب، يضرب به المثل في ذلك، وكان يقول: قد تعرضت للشهادة غير مرة، فلم يتفق لي ذلك، ولو كان في خير ولي عند الله قيمة، لرزقنيها، والأعمال بالنية. وقال له يوما قطب الدين النيسابوري : بالله يا مولانا السلطان لا تخاطر بنفسك، فإنك لو قتلت قتل جميع من معك وأخذت البلاد وفسد المسلمين فقال له : اسكت يا قطب الدين، فإن قولك إساءة أدب على الله، ومن هو محمود؟ من كان يحفظ الدين والبلاد قبلي غير الذي لا إله إلا هو؟ فبكي من كان حاضرا، رحمه الله .

وقد أسر بنفسه في بعض الغزوات بعض ملوك الإفرنج فاستشار الأمراء فيه هل يقتله أو يأخذ ما يبذل له من المال؟ وكان قد بذل له في فداء نفسه مالا كثيراً، فاختلفوا عليه، ثم حسن في رأيه إطلاقه، وأخذ الفداء منه فبعث إلى بلده من خلاصته من يأتيه بما افتدى به نفسه فجاء به سريعا، فأطلقه نور الدين فحين وصل إلى بلاده مات ذلك الملك ببلده، فأعجب ذلك نور الدين وأصحابه وأبتنى نور الدين البيمارستان الذي بني بدمشق ، وهو أحسن ما بني من البيمارستانات بالبلاد ومن شرطه أنه على الفقراء والمساكين وإذا لم يوجد بعض الأدوية التي يعز وجودها إلا فيه فلا يمنع منه الأغنياء ومن جاء إليه فلا يمنع من شرابه ولهذا جاء إليه نور الدين وشربه من شرابه رحمه الله .

قلت: ويقول بعض الناس : إنه لم تخمد منه النار منذ بني إلى زماننا هذا، فالله أعلم .

وقد بنى الخانات الكثيرة في الطرقات، والأبراج، ورتب الخفراء في الأماكن المخوفة، وجعل فيها الحمام الهوادي التي تطلعه على الأخبار في أسرع مدة. وبنى الربط، والخانقاهات، وكان يجمع الفقهاء عنده للبحث والمشايخ والصوفية للزيارة ويكرمهم ويعظمهم، وكان يحب الصالحين، وقد نال بعض الأمراء عنده من بعض العلماء وهو قطب الدين النيسابوري، فقال له

نور الدين: ويحك، إن كان ما تقول حقا، فله من الحسنات الكثيرة، الماحية لذلك، ما ليس عندك، مما يكفر عنه سيئات ما ذكرت إن كنت صادقا على أني والله لا أصدقك وإن عدت ذكرته أو أحد غيره عني بسوء لأوذينك. قال : فكف عنه، ولم يذكره بعد ذلك. وقد ابتنى بدمشق دارا لاستماع الحديث، وإسماعه. قال ابن الأثير: وهو أول من بنى دار حديث، وقد كان مهيبا، وقورا، شديدا الهيبة في قلوب الأمراء لا يتجاسر أحد أن يجلس بين يديه إلا بإذنه، ولم يكن أحد من الأمراء يجلس بلا إذن، سوى الأمير نجم الدين أيوب، وأما أسد الدين شيركوه، ومجد الدين بن الداية، نائب حلب، وغيرهما من الأكابر، فكانوا يقفون بين يديه، ومع هذا كان إذا دخل أحد من الفقهاء، والفقراء، قام له، ومشي خطوات، وأجلسه معه على سجادته وشرع يحادثه في وقار وسكون، وإذا أعطى أحداً منهم شيئا مستكثراً، يقول: هؤلاء جند الله، وبدعائهم ننصر على الأعداء، ولهم في بيت المال حق أضعاف هذا فإذا رضوا منا ببعض حقهم، فلهم المنة علينا، وقد سمع عليه جزء حديث وفيه "فخرج رسول الله ﷺ متقلدا السيف" فجعل يتعجب من تغيير عادات الناس، لما ثبت عنه عليه السلام، وكيف يربط الأجناد والأمراء على أوساطهم، ولا يفعلون كما فعل رسول الله ﷺ ، ثم أمر الجند بأن لا يحملوا السيوف إلا متقلديها، ثم خرج هو في اليوم الثاني إلى الموكب وهو متقلد السيف، وجميع الجيش كذلك يريد بذلك الاقتداء برسول الله ﷺ ، فرحمه الله .

وقص عليه وزيره موفق الدين خالد بن محمد بن نصر القيسراني الشاعر: أنه رأي في منامه كأنه يغسل ثياب الملك نور الدين، فأمره بأن يكتب مناشير بوضع المكوس، والضرائب عن البلاد، وقال له: هذا تأويل رؤياك. وكتب إلى الناس ليكون منهم في حل مما كان أخذ منهم، ويقول لهم: إنما صرف ذلك، في قتال أعدائكم من الكفرة والذّب عن بلادكم، ونسائكم، وأولادكم. وكتب بذلك إلى سائر ممالكه، وبلدان سلطانه، وأمر الوعاظ أن يستحلوا له من التجار، وكان يقول في سجوده: اللهم ارحم المكاس العشار الظالم محمود الكلب. وقيل: إن برهان الدين البلخي، أنكر على الملك نور الدين، في استعانته في حروب الكفار، بأموال المكوس، وقال له مرة: كيف تنصرون وفي عساكركم الخمور والطبول والزمور؟ ويقال: إن سبب وضعه المكوس عن البلاد، أن الواعظ أبا عثمان – المنتخب – بن أبي محمد الواسطي — وكان من الصالحين الكبار، وكان هذا الرجل ليس له شيء ، ولا يقبل من أحد شيئا، إنما كانت له جبة يلبسها إذا خرج إلى مجلس وعظه، وكان يجتمع في مجلس وعظه الألوف من الناس — أنشد نور الدين أبياتا تتضمن ما هو متلبس به في ملكه، وفيها تخويف وتحذير شديد له :

مَثِّــــلْ وقوفَك أيُّهــا المغـــرورُ	يومَ القيـــامة والسمـــاءُ تمـــورُ
إنْ قيلَ: نورُ الدين رُحْتَ مُسلماً	فاحذرْ بأَنْ تَبقـــى وما لك نورُ
أنَهيتَ عن شرب الخمور وأنتَ في	كأس المظالم طائـــشٌ مخمـــورُ

عطّلْتَ كاساتِ المدامِ تَعفُّفاً وعليك كاساتُ الحرامِ تدورُ
ماذا تقولُ: إذا انقلبتَ إلى البلى فرداً وجاءك منكرٌ ونكيرُ؟
ماذا تقولُ: إذا وقفتَ بموقف فردًا ذليلاً والحسابُ عسيرُ
وتعلّقتْ فيك الخصومُ وأنتَ في يومِ الحسابِ مسلسلٌ مجرورُ
وتَفرّقتْ عنك الجنودُ وأنتَ في ضيقِ اللحودِ موسدُ مقبورُ
ووددتَ أنّك ما وليتَ ولايةً يوماً ولا قالَ الأنامُ: أميرُ
وبقيتَ بعد العزِّ رهنَ حفيرة في عالمِ الموتى وأنت حقيرُ
وحُشِرْتَ عرياناً حزيناً باكياً قلقاً وما لك في الأنامِ مجيرُ؟
أرضيتَ أن تحيا وقلبُكَ دارسٌ عافي التراب وجسمك المعمورُ؟
أرضيتَ أنْ يحظى سواكَ بقربه أبدا وأنتَ مُبْعَدُ مهجورُ؟
مهِّدْ لنفسكَ حجةً تَنجُو بها يومَ المعادِ ويومَ تبدو العورُ

فلما سمع نور الدين هذه الأبيات، بكى بكاء شديدا، وأمر بوضع المكوس والضرائب في سائر بلاده. وكتب إليه الشيخ عمر الملا من الموصل ـــ وكان قد أمر الولاة، والأمراء بها، أن لا يفصلوا بها أمرا حتى يعلموه، فما أمرهم به من شيء امتثلوه، وكان من الصالحين الزاهدين، وكان نور الدين يستقرض منه في كل رمضان ما يفطر عليه، وكان يرسل إليه، بفتيت، ورقاق، فيفطر عليه جميع رمضان ـــ فكتب إليه الشيخ عمر بن الملا هذا : إن المفسدين قد كثروا، ويحتاج إلى سياسة، ومثل هذا لا يجيء إلا بقتل وصلب وضرب وإذا أخذ إنسان في البرية من يجيء يشهد له؟ فكتب إليه الملك نور الدين على ظهر كتابه: إن الله خلق الخلق، وشرع لهم شريعة، وهو أعلم بما يصلحهم، ولو علم أن في الشريعة زيادة في المصلحة، لشرعها لنا، فلا حاجة بنا إلى الزيادة على ما شرعه الله تعالى، فمن زاد فقد زعم أن الشريعة ناقصة، فهو يكملها بزيادته، وهذا من الجرأة على الله، وعلى ما شرعه والعقول المظلمة لا تهتدي، والله سبحانه يهدينا وإياك إلى صراط مستقيم. فلما وصل الكتاب إلى الشيخ عمر الملا جمع الناس بالموصل، وقرأ عليهم الكتاب،وجعل يقول: انظروا إلى كتاب الزاهد إلى الملك، وكتاب الملك إلى الزاهد.

وجاء إليه أخو الشيخ أبي البيان، يستعديه على رجل أنه سبه ويرميه بأنه يرائي وأنه جعل يبالغ في الشكاية عليه، فقال له السلطان: أليس الله تعالى يقول: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ ؟ [الفرقان : ٦٣] وقال: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] فسكت الشيخ، ولم يحر جوابا، وقد كان نور الدين يعتقده، ويعتقد أخاه أبا البيان، وأتاه زائرا مرات، ووقف عليه وقفا. وقال الفقيه أبو الفتح الأشري – معيد النظامية ببغداد، وكان قد جمع سيرة مختصرة لنور الدين، قال: وكان نور الدين محافظا على الصلوات في أوقاتها في جماعة، بتمام شروطها، والقيام بها، بأركانها، والطمأنينة في ركوعها، وسجودها، وكان كثير الصلاة بالليل، كثير الابتهال في الدعاء، والتضرع إلى الله عزّ وجلّ في أموره كلها. قال: وبلغنا عن جماعة من

الصوفية، ممن يعتمد على قولهم، أنهم دخلوا بلاد القدس للزيارة أيام أخذ القدس الفرنج. فسمعهم يقولون: إن القسيم بن القسيم — يعنون نور الدين — له مع الله سر، فإنه لم يظفر، وينصر علينا بكثرة جنده، وجيشه، وإنما يظفر علينا وينصر بالدعاء، وصلاة الليل، فإنه يصلي بالليل، ويرفع يده إلى الله، ويدعو، فإنه يستجيب له، ويعطيه سؤله، فيظفر علينا. قال: فهذا كلام الكفار في حقه .

وحكى الشيخ أبو شامة: أن نور الدين وقف بستان الميدان سوى الغيضة التي تليه نصفه على تطييب جامع دمشق، والنصف الآخر يقسم أحد عشر جزءاً : جزءان على تطييب المدرسة التي أنشأها للخليفة، والتسع أجزاء الباقية على تطييب المساجد التسعة، وهي مسجد الصالحين بجبل قيسون، وجامع القلعة، ومسجد عطية، ومسجد ابن لبيد بالعسقار، ومسجد الرماحين المعلق، ومسجد العباس بالصالحية، ومسجد دار البطيخ المعلق، والمسجد الذي جدده نور الدين جوار بيعة اليهود لكل من هذه المساجد جزء من أحد عشر جزءا من النصف. ومناقبه، ومآثره كثيرة جدا. وقد ذكرنا نبذة من ذلك يستدل بها على ما وراءها .

وقد ذكر الشيخ شهاب الدين في أول الروضتين كثيرا من محاسنه، وذكر ما مدح به من القصائد وذكر أنه لما فتح أسد الدين الديار المصرية ثم مات، ثم تولى صلاح الدين، هَمّ بعزله عنها، واستنابة غيره فيها غير مرة، ولكن يعوقه عن ذلك القدر ويصده قتال الفرنج، واقتراب أجله، فلما كان في هذه السنة — وهي سنة تسع وستين وخمسمائة — وهي آخر مدته، أضمر على الدخول إلى الديار المصرية، وصمم عليه، وأرسل إلى عساكر بلاد الموصل، وغيرها، ليكونوا ببلاد الشام، حفاظا لها من الفرنج في غيبته، ويركب هو في جمهور الجيش إلى مصر، وقد خاف منه الملك صلاح الدين خوفا شديدا، فلما كان يوم عيد الفطر، من هذه السنة، ركب إلى الميدان الأخضر القبلي، وصلى فيه صلاة عيد الفطر، وكان ذلك نهار الأحد، ورمى العتق في الميدان الأخضر الشمالي، والقدر يقول له: هذا آخر أعيادك، ومد في ذلك اليوم سماطا حافلا، وأمر بانتهابه، وطهر ولده الملك الصالح إسماعيل في هذا اليوم، وزينت له البلد، وضربت البشائر للعيد والختان، ثم ركب في يوم الاثنين، في موكب على العادة، ثم لعب بالكرة في يومه ذلك اليوم، فحصل له غيظ من بعض الأمراء — ولم يكن ذلك من سجيته — فبادر إلى القلعة، وهو كذلك في غاية الغضب، وحصل له انزعاج، ودخل في حيرة سوء المزاج، واشتغل بنفسه، وأوجاعه، وتنكرت عليه جميع حواسه، وطباعه، واحتبس أسبوعا عن الناس، والناس في شغل عنه، بما هم فيه من اللعب والانشراح، في الزينة التي نصبوها لأجل طهور ولده، فهذا يجود بروحه، وهذا يجود بموجوده سرورا بذلك، فانعكست تلك الأفراح بالأتراح، ونسخ الجد ذلك المزاح، وحصلت للملك خوانيق في حلقه منعته من أداء النطق، وهذا شأن أوجاع الحلق، وكان قد أشير عليه بالفصد، فلم يقبل، وبالمبادرة إلى المعالجة، فلم يفعل، وكان أمر الله قدرا مقدورا. فلما كان يوم الأربعاء الحادي عشر من شوال من هذه السنة قبض إلى رحمة الله تعالى عن ثمان

وخمسين سنة، مكث منها في الملك ثمان وعشرين سنة، رحمه الله، وصلي عليه بجامع القلعة ودفن بها ثم حول إلى تربة بنيت له بباب المدرسة التي أنشأها للحنفية رحمه الله وبلّ بالرحمة ثراه وجعل الجنة مأواه بين باب الخواصين، وباب الخيميين على الدرب، وقبره بها يزار ويحلق بشباكه، ويطيب، ويتبرك به كل مار، فيقول قبر نور الدين الشهيد، لما حصل له في حلقه من الخوانيق، وكذا كان يقال لابنه الشهيد، ويلقب بالقسيم، وكانت الفرنج تقول له القسيم بن القسيم. وقد رثاه الشعراء بمراث كثيرة، قد أوردها أبو شامه في الروضتين، وما أحسن ما قاله العماد :

عجبتُ من المـوت لَمـا أتى ... إلى مـلك في سحايـا مَـلَكْ
وكيف ثوى الفُـلْـكُ المُنْتـدِ ... يـرُفي الأَرض وسْـطَ الفُـلَكْ

وقال حسان الشاعر الملقب بالعرقلة في مدرسة نور الدين حين دفن فيها رحمه الله تعالى :

ومدرسـة ستـدرسُ كلّ شيء ... وتبقـى في حمـى علـمٍ ونسك
تَضُـوعُ ذِكرُهـا شرْقاً وغرباً ... بنـورِ الديـن محمـودِ بنِ زنكي
يقـولُ: وقـولُه حقُ وصدقُ ... بغـيرِ كنايـة وبغـيرِ شَكٌ
دمشقُ في المدائنِ بيـتُ ملكـي ... وهـذي في المـدارسِ بيْتُ مَلِكي

صفة نور الدين رحمه الله تعالى

كان طويل القامة، أسمر اللون، حلو العينين، واسع الجبين، حسن الصورة، تركي الشكل، ليس له لحية، إلا في حنكه، مهيبا متواضعا، عليه جلالة ونور، يعظم الإسلام وقواعد الدين، ويعظم الشرع .

فصل

فلما مات نور الدين في شوال من هذه السنة، بويع من بعده بالملك لولده الصالح إسماعيل، وكان صغيرا، وجعل أتابكه الأمير شمس الدين بن مقدم، فاختلف الأمراء، وحادت الآراء، وظهرت الشرور، وكثرت الخمور، وقد كانت لا توجد في زمنه، ولا أحد يجسر أن يتعاطى شيئا منها، ولا من الفواحش، وانتشرت الفواحش، وظهرت حتى أن ابن أخيه سيف الدين غازي بن مودود صاحب الموصل لما تحقق موت عمه — وكان محصورا منه — نادي مناديه بالبلد بالمسامحة باللعب، واللهو، والشراب، والمسكر، والطرب، ومع المنادي دف، وقدح ومزمار الشيطان، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وقد كان ابن أخيه هذا، وغيره من الملوك، والأمراء الذين له حكم عليهم لا يستطيع أحد منهم أن يفعل شيئا من المناكر والفواحش، فلما مات، مرح أمرهم، وعاثوا في الأرض فسادا، وتحقق قول الشاعر :

ألا فاسْقِني خَمْراً وقُلْ لي : هي الخمرُ ... ولا تَسْقِني سرًّا وقد أمْكَنَ الجهرُ

وطمعت الأعداء من كل جانب في المسلمين، وعزم الفرنج على قصد دمشق، وانتزاعها من أيدي المسلمين، فبرز إليهم ابن مقدم الأتابك، فواقعهم عند بانياس، فضعف عن مقاومتهم، فهادنهم مدة، ودفع إليهم أموالا جزيلة عجلها لهم، ولولا أنه خوفهم بقدوم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لما هادنوه. ولما بلغ ذلك صلاح الدين كتب إلى الأمراء، وخاصة ابن مقدم يلومهم على ما صنعوا من المهادنة، ودفع الأموال إلى الفرنج، وهم أقل، وأذل، وأخبرهم أنه عزم على قصد البلاد الشامية، ليحفظها من الفرنج، فردوا إليه كتابا فيه غلظة، وكلام فيه بشاعة، فلم يلتفت إليهم، ومن شدة خوفهم منه كتبوا إلى سيف الدين غازي صاحب الموصل ليملكوه عليهم ليدفع عنهم كيد الملك الناصر صلاح الدين صاحب مصر، فلم يفعل لأنه خاف أن يكون مكيدة منهم له، وذلك أنه كان قد هرب منه الطواشي سعد الدولة مستكين الذي كان قد جعله الملك نور الدين عينا عليه، وحافظا له من تعاطي مالا يليق من الفواحش، والخمر، واللعب، واللهو. فلما مات نور الدين، ونادى في الموصل تلك المناداة القبيحة خاف منه الطواشي المذكور أن يمسكه، فهرب منه سرا، فلما تحقق غازي موت عمه بعث في إثر هذا الخادم، ففاته، فاستحوذ على حواصله، ودخل الطواشي حلب، ثم سار إلى دمشق فاتفق مع الأمراء على أن يأخذوا ابن نور الدين الملك الصالح إسماعيل إلى حلب،، فيربيه هنالك مكان ربي والده، وتكون دمشق مسلمة إلى الأتابك شمس الدولة بن مقدم، والقلعة إلى الطواشي جمال الدين وريحان. فلما سار الملك الصالح من دمشق خرج معه الكبراء، والأمراء من دمشق إلى حلب وذلك في الثالث والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة، وحين وصلوا حلب جلس الصبي على سرير ملكها، واحتاطوا على ابن الداية، شمس الدين على بن الداية أخو مجد الدين الذي كان رضيع نور الدين، وإخوته الثلاثة، وقد كان شمس الدين علي بن الداية، يظن أن ابن نور الدين يسلم إليه فيربيه لأنه أحق الناس بذلك، فخيبوا ظنه، وسجنوه وإخوته في الجب، فكتب الملك صلاح الدين إلى الأمراء يلومهم على ما فعلوا من نقل الولد من دمشق إلى حلب، ومن حبسهم بني الداية، وهم من خيار الأمراء، ورءوس الأمراء، ولم لا يسلموا الولد إلى مجد الدين بن الداية الذي هو أحظى عند نور الدين، وعند الناس منهم. فكتبوا إليه يسيئون الأدب عليه، وكل ذلك يزيده حنقا عليهم، ويحرضه على القدوم إليهم، ولكنه في الوقت، في شغل شاغل لما دهمه ببلاد مصر من الأمر الهائل كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى، في أول السنة الآتية .

وممن توفي فيها من الأعيان والمشاهير :

الحسن بن الحسن

ابن أحمد بن محمد العطار،أبو العلاء الهمداني الحافظ الكبير، سمع الكثير، ورحل إلى بلدان كثيرة، واجتمع بالمشايخ، وقدم بغداد، وحصل الكتب الكثيرة، واشتغل بعلم القراءات واللغة حتى صار أوحد زمانه في علمي الكتاب والسنة، وصنف الكتب الكثيرة المفيدة، وكان على

طريقة السلف مرضي الطريقة عابدا زاهدا صحيح الاعتقاد حسن السمت له ببلده المكانة، والقبول التام، وكانت وفاته ليلة الخميس، الحادي عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة، وقد جاوز الثمانين بأربعة أشهر وأيام. قال ابن الجوزي: وقد بلغني: أنه رأى في المنام أنه في مدينة جميع جدرانها كتب، وحوله كتب لا تعد، ولا تحصى، وهو مشتغل بمطالعتها. فقيل له: ما هذا؟ فقال: سألت الله أن يشغلني بما كنت أشتغل به في الدنيا فأعطاني وفيها توفى :

الأهوازي

خازن كتب مشهد أبي حنيفة ببغداد، توفي فجأة، في ربيع الأول من هذه السنة .

محمود بن زنكي بن آقسنقر

السلطان الملك العادل نور الدين، صاحب بلاد الشام، وغيرها من البلدان الكثيرة الواسعة، كان مجاهدا في الفرنج، آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، محبا للعلماء، والفقراء، والصالحين، مبغضا للظلم، صحيح الاعتقاد، مؤثرا لأفعال الخير، لا يجسر أحد أن يظلم أحد في زمانه، وكان قد قمع المناكر، وأهلها، ورفع العلم، والشرع، وكان مدمنا لقيام الليل يصوم كثيرا، ويمنع نفسه عن الشهوات، وكان يحب التيسير على المسلمين، ويرسل البر إلى العلماء والفقراء والمساكين والأيتام والأرامل وليست الدنيا عنده بشيء رحمه الله، وبلّ ثراه بالرحمة والرضوان. قال ابن الجوزي: استرجع نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله تعالى من أيدي الكفار، نيفاً وخمسين مدينة، وقد كان يكاتبني، وأكاتبه، قال: ولما حضرته الوفاة، أخذ العهد على الأمراء، من بعده لولده - يعني الصالح إسماعيل - وجدد العهد مع صاحب طرابلس أن لا يغير على الشام، في المدة التي كان مادّه عليها ، وذلك أنه كان قد أسره في بعض غزواته، وأسر معه جماعة من أهل دولته، فافتدى نفسه منه بثلاثمائة ألف دينار وخمسمائة حصان وخمسمائة زردية ومثلها أتراس وقنطوريات وخمسمائة أسير من المسلمين وعاهده أن لا يغير على بلاد المسلمين، لمدة سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام، وأخذ منه رهائن على ذلك، مائة من أولاده، وأولاد كبار الفرنج، وبطارقتهم، فإذا نكث أراق دماءهم، وكان قد عزم على فتح بيت المقدس شرفه الله فوافته المنية في شوال من هذه السنة، والأعمال بالنيات، فحصل له أجر ما نوى، وكانت ولايته ثمان وعشرين سنة وأشهراً، وقد تقدم ذلك. وهذا مقتضى ما ذكره ابن الجوزي ومعناه .

وفي هذه السنة كانت وفات ملك الفرنج مري لعنه الله وباطنه ملك بلاد عسقلان ونحوها وكان قارب أن يملك الديار المصرية لولا فضل الله ورحمته لعباده المؤمنين .

الخضر بن نصر

علي بن عقيل بن نصر الأربلي الفقيه الشافعي أول من درس بأربل في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وكان فاضلا، دينا، انتفع به الناس، وكان قد اشتغل على الكيا الهراسي، وغيره، ببغداد، وقدم دمشق، فأرّخه ابن عساكر في هذه السنة، وترجمه ابن خلكان في الوفيات، وقال:

قبره يزار، وقد زرته غير مرة، ورأيت الناس ينتابون قبره ويتبركون به. وهذا الذي قاله ابن خلكان مما ينكره أهل العلم عليه وعلى أمثاله ممن يعظم القبور، وفيها: هلك ملك الفرنج، مري، لعنه الله، وأظنه ملك عسقلان، ونحوها من البلاد، وقد كان قارب أن يملك الديار المصرية، لولا فضل الله، ورحمته بعباده المؤمنين .

ثم دخلت سنة سبعين وخمسمائة

استهلت [هذه السنة] والسلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب قد عزم على الدخول إلى بلاد الشام ليحفظه من أيد الفرنج ولكن دهمه أمر شغله عنه، وذلك أن الفرنج قدموا إلى الساحل المصري في أسطول لم يسمع بمثله، وكثرة مراكب وآلات من الحرب، والحصار، والمقاتلة من جملة ذلك مائتي شيني في كل منها مائة وخمسون مقاتلا، وأربعمائة قطعة أخرى، وكان قدومهم من صقلية إلى ظاهر إسكندرية قبل رأس السنة بأربعة أيام، فنصبوا المنجنيقات، والدبابات حول البلد، وبرز إليهم أهلها، فقاتلوهم دونها قتالا شديدا ، واستمر القاتل أياما وقتل من كلا الفريقين خلق كثير، ثم اتفق أهل البلد على تحريق ما نصبوه من المنجانيق، والدبابات، ففعلوا ذلك، فأضعف ذلك قلوب الفرنج، ثم كبسهم المسلمون، فقتلوا منهم جماعة، وغنموا منهم ما أرادوا، فانهزم الفرنج في كل وجه، ولم يكن لهم ملجأ إلا البحر، أو القتل، أو الأسر، واستحوذ المسلمون على أموالهم، وأثقالهم وخيولهم، وما ضربوهم من الخيام، وبالجملة قتلوا خلقا من الرجال، وغنموا شيئاً كثيراً وركب من بقي منهم في أسطول إلى بلادهم خائبين .

ومما عوق الملك الناصر عن الشام أيضا: أن رجلا يعرف بالكنـــز سماه بعضهم عباس بن شادي، وكان من مقدمي الديار المصرية، ومن الدولة الفاطمية، كان قد انتزح إلى بلد يقال له: أسوان، وجعل يجمع عليه الناس، فاجتمع عليه خلق كثير من الرعاع الحاضرة، والعربان، والرعيان، وكان يزعم إليهم، أنه سيعيد الدولة الفاطمية، ويدحض الأتابكة التركية، فالتف عليه خلق كثير وجم غفير، ثم قصدوا قوص وأعمالها، وقتل طائفة من أمرائها، ورجالها، فجرد إليه الملك صلاح الدين طائفة من الجيش المصري وقدم عليهم أخاه الملك العادل أبا بكر الكردي، فلما التقيا هزمه أبو بكر، وأسر أهله وقتله .

فصل

فلما تمهدت البلاد المصرية، ولم يبق بها رأس من الدولة العبيدية برز السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف في الجيوش التركية قاصدا البلاد الشامية، وذلك حين مات سلطانها نور الدين محمود بن زنكي، وأخيف سكانها، وتضعضعت أركانها، واختلف حكامها، وفسد نقضها وإبرامها، وقصده جمع شملها والإحسان إلى أهلها وأمن سهلها وجبلها، ونصرة الإسلام، ودفع الطغام، وإظهار القرآن، وإخفاء سائر الأديان، وتكسير الصلبان في رضى الرحمن، وإرغام

الشيطان. فخرج من الديار المصرية إلى البركة في مستهل صفر وأقام بها حتى اجتمع عليه العسكر واستناب على مصر أخاه سيف الدين أبا بكر، ثم سار إلى بلبيس في الثالث عشر من ربيع الأول، ثم ساق حتى اجتاز بمدينة بصري فسار في خدمته صاحبها صديق بن حاوي فدخل مدينة دمشق في يوم الاثنين سلخ ربيع الأول، و لم ينتطح فيها عنـــزان، ولا اختلف عليه سيفان، وذلك أن نائبها شمس الدين بن مقدم كان قد كتب إليه أولا، فأغلظ له في الكتاب، فلما رأى أمره متوجها جعل يكاتبه، ويستحثه على القدوم إلى دمشق، ويعده بتسليم البلد، فلما رأى الجد لم يمكنه المخالفة، فسلمه البلد بلا مدافعة، فنـــزل السلطان أولا في دار والده دار العقيلي، التي بناها الملك الظاهر بيبرس مدرسة، وجاء أعيان البلد للسلام عليه، فرأوا منه غاية الإحسان، وكان نائب القلعة إذ ذاك الطواشي ريحان، فكاتبه، وأجزل نواله، حتى سلمها إليه، ثم نزل إليه، فأكرمه، واحترمه، ثم أظهر السلطان أنه أحق الناس بتربية ولد نور الدين لما لنور الدين عليهم من الإحسان المتين، وذكر أنه خطب لنور الدين بالديار المصرية، ثم إن السلطان عامل الناس بالإحسان، وأمر بإبطال ما أحدث بعد نور الدين من المكوس، والضرائب، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ولله عاقبه الأمور .

فصل

فلما استقرت له دمشق بحذافيرها نهض إلى حلب مسرعا لما فيها من التخبيط، والتخليط، واستناب على دمشق أخاه طغتكين بن أيوب الملقب بسيف الإسلام فلما اجتاز بحمص أخذ ربضها، و لم يشتغل بقلعتها لعلمه بحصولها، ثم سار إلى حماة، فتسلمها من صاحبها عز الدين بن جبريل، وسأله أن يكون سفيره بينه وبين الحلبيين، فأجابه إلى ذلك، فسار إليهم، فحذرهم بأس صلاح الدين، فلم يلتفتوا إليه و لم يعولوا عليه بل أمروا بسجنه واعتقاله، فأبطأ الجواب على صلاح الدين فكتب إليهم كتابا بليغا يلومهم فيه على ما هم فيه من الاختلاف، وعدم الائتلاف، فردوا عليه أسوأ جواب، فأرسل إليهم يذكرهم أيامه، وأيام أبيه، وعمه في خدمة نور الدين في المواقف المحمودة التي يشهد لهم بها أهل الدين، ثم سار إلى حلب فنـــزل على جبل جوشن، ثم نودي في أهل حلب بالحضور في ميدان باب العراق، فاجتمعوا فأشرف عليهم ابن الملك نور الدين، فتودد إليهم وتباكي لديهم وحرضهم على قتال صلاح الدين، وذلك عن إشارة الأمراء المقدمين، فأجابه أهل البلد بوجوب طاعته على كل أحد وشرط عليه الروافض منهم أن يعاد الأذان بحي على خير العمل، وأن يذكر في الأسواق، وأن يكون لهم في الجامع الجانب الشرقي، وأن يذكر أسماء الأئمة الاثني عشر بين يدي الجنائز، وأن يكبروا على الجنائز خمسا، وأن تكون عقود أنكحتهم إلى الشريف أبي طاهر بن أبي المكارم حمزة بن زاهر الحسيني، فأجيبوا إلى ذلك كله، فأذن بالجامع وسائر البلد بحي على خير العمل، وعجز أهل البلد عن مقاومة الناصر، وأعملوا في مكيدته كل خاطر فأرسلوا أولا إلى شيبان صاحب الحسبة، فأرسل

نفرا من أصحابه إلى الناصر ليقتلوه، فلم يظفر منه بشيء بل قتلوا بعض الأمراء، ثم ظهر عليهم فقتلوا عن آخرهم، فراسلوا عند ذلك القومص صاحب طرابلس الفرنجي، ووعدوه بأموال جزيلة إن هو رحل عنهم السلطان الملك الناصر، وكان هذا القومص قد أسره نور الدين وهو معتقل عنده مدة عشر سنين، ثم افتدى نفسه بمائة ألف دينار، وألف أسير من المسلمين، فكان لا ينساها لنور الدين، بل قصد حمص ليأخذها، فركب إليه السلطان الناصر، وقد أرسل السلطان إلى بلده طرابلس سرية، فقتلوا، وأسروا، وغنموا، فلما اقترب الناصر منه، نكص على عقبيه راجعا إلى بلده، ورأى أنه قد أجابهم إلى ما أرادوا منه، فلما فصل الناصر إلى حمص لم يكن قد أخذ قلعتها، فتصدي لأخذها، فنصب عليها المنجنيقات، فأخذها قسرا، وملكها قهرا، ثم كرّ راجعا إلى حلب، فأناله الله في هذه الكرة ما طلب، فلما نزل بها كتب إليهم القاضي الفاضل على لسان السلطان كتابا بليغا فصيحا فائقا رائقا على يدي الخطيب شمس الدين يقول فيه: فإذا قضي التسليم حق اللقا، فاستدعي الإخلاص جهد الدعا، فليَعُدّ وليُعِدّ حوادث ما كان حديثا يفترى، وحواري أمور إن قال فيها كثيرا فأكثر منه ما قد جرى، ويشرح صدر منها لعله يشرح منها صدرا، وليوضح الأحوال المستبشرة، فإن الله لا يعبد سرا .

ومن العجائب أنْ تســيرَ غرائبُ	في الأرضِ لم يَعْلَـمْ بهـــا المأمــولُ
كالعيسِ أقتلُ ما يكونُ لها الصدي	والمــاءُ فـــوقَ ظهورِهـــا محـمولُ

فإنا كنا نقتبس النار بأكفنا، وغيرنا يستنير، ونستنبط الماء بأيدينا، وسوانا يستمير، ونلتقي السهام بنحورنا، وغيرنا يعتمد التصوير الأبدان تسترد بضاعتنا، بموقف العدل، الذي يرد به المغصوب، ونظهر طاعتنا، فنأخذ بحظ الألسن كما أخذ بحظ القلوب، وكان أول أمرنا أنا كنا في الشام نفتح الفتوح بمباشرتنا أنفسنا، ونجاهد الكفار متقدمين بعساكرنا نحن ووالدنا وعمنا فأي مدينة فتحت، أو أي معقل للعدو، أو عسكر، أو مصاف للإسلام، معه ضرب؟ فما يجهل أحد صنعنا، ولا يجحد عدونا أن يصطلي الجمرة، ونملك الكرة ونقدم الجماعة ونرتب المقاتلة، وندبر التعبئة إلى أن ظهرت في الشام الآثار التي لنا أجرها، ولا يضرنا أن يكون لغيرنا ذكرها ثم ذكر ما صنعوا بمصر من كسر الكفر، وإزالة المنكر، وقمع الفرنج، وهدم البدع، وما بسط من العدل، ونشر من الفضل، وما أقامه من الخطبة العباسية ببلاد مصر واليمن والنوبة وإفريقية وغير ذلك بكلام بسيط حسن .

فلما وصلهم الكتاب، أساءوا الجواب، وقد كانوا كاتبوا صاحب الموصل، سيف الدين غازي بن مودود أخي نور الدين محمود بن زنكي، فبعث إليهم أخاه مسعود عز الدين في عساكره، وأقبل إليهم في دساكره، وانضاف إليهم الحلبيون، وقصدوا حماة في غيبة الناصر، واشتغاله بقلعة حمص وعمارتها، فلما بلغه خبرهم، سار إليهم في قل من الجيش، فانتهي إليهم وهم في جحافل كثيرة، فواقفوه، وطمعوا فيه، لقلة من معه، وهموا بمناجزته، فجعل يداريهم،

ويدعوهم إلى المصالحة، لعل الجيش يلحقونه، حتى قال لهم في جملة ما قال: أنا أقنع بدمشق وحدها، وأقيم بها الخطبة للملك الصالح إسماعيل، وأترك ما عداها من أرض الشام. فامتنع من المصالحة الخادم سعد الدولة كمشتكين، إلا أن يجعل لهم الرحبة، التي هي بيد ابن عمه ناصر الدين بن أسد الدين، فقال: ليس لي ذلك، ولا أقدر عليه، فأبوا الصلح، وأقدموا على القتال، فجعل جيشه كردوسا واحدا، وذلك يوم الأحد التاسع عشر من رمضان، عند قرون حماة فصبر صبرا عظيما، وجاء في أثناء الحال ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه، ومعه أخوه فروخ شاه في طائفة من الجيش، وقد ترجح دسته عليهم، وخلص رعبه إليهم، فولوا هنالك هاربين، وتولوا منهزمين، فأسر من أسر من رءوسهم ونادي أن لا يتبع مدبر، ولا يذفف على جريح، ثم أطلق من وقع في أسره، وسار على الفور إلى حلب، وقد انعكس عليهم الحال، وآلوا إلى شر مآل، فبالأمس كان يطلب منهم المصالحة والمسالمة، وهم اليوم يطلبون منه أن يكف عنهم ويرجع على أن المعرة، وكفر طاب، وماردين له زيادة على ما بيده من أراضي حماه، وحمص، فقبل ذلك، وكف عنهم، وحلف على ألا يغزو بعدها الملك الصالح، وأن يدعو له على سائر منابر بلاده، وشفع في بني الداية أخوه مجد الدين، على أن يخرجوا، ففعل ذلك، ثم رجع مؤيدا منصورا .

فلما كان بحماة، وصلت إليه رسل الخليفة المستضيء بأمر الله، بالخلع السنية، والتشريفات العباسية، والأعلام السود، والتوقيع من الديوان بالسلطنة، ببلاد مصر، والشام، وأفيضت الخلع على أهله، وأقاربه، وأصحابه، وأعوانه، وأنصاره وكان يوما مشهودا. واستناب على حماة ابن خاله، وصهره، الأمير شهاب الدين محمود، ثم سار إلى حمص، فأطلقها ابن عمه ناصر الدين، كما كانت من قبله لأبيه شيركوه أسد الدين، ثم إلى بعلبك على البقاع إلى دمشق، في ذي القعدة .

وفيها: ظهر رجل من قرية مشغرا من معاملة دمشق، وكان مغربيا، فادعي النبوة وأظهر شيئا من المخاريق، والمحاييل، والشعبذة والأبواب النارنجية، فافتتن به طوائف من أهل تلك الناحية من الطغام والعوام، فتطلبه السلطان، فهرب إلى معاملة حلب، فألف عليه كل مقطوع الذنب، وأضل خلقا من الفلاحين، وتزوج امرأة أحبها، وكانت من أهل تلك البطائح فعلمها أن ادعت النبوة، فأشبها قصة مسيلمة وسجاح. وفيها: هرب وزير الخليفة، ونهبت داره. وفيها: درس الشيخ أبو الفرج بن الجوزي بمدرسة أنشئت للحنابلة، فحضر عنده قاضي القضاة أبو الحسن ابن الدامغاني، والفقهاء، والكبراء، وكان يوما مشهودا، وخلعت عليه خلعة سنية .

وممن توفي فيها من الأعيان :

روح بن أحمد

أبو طالب الحدثي، قاضي القضاة، ببغداد، في بعض الأحيان، وكان ابنه في أرض الحجاز، فلما بلغه موت أبيه مرض بعده، فمات بعد أيام، وكان ينبذ بالرفض .

شملة التركماني

كان قد تغلب على بلاد فارس واستحدث قلاعا، وتغلب على السلجوقية، وانتظم له الدست نحوا من عشرين سنة، ثم حاربه بعض التركمان، فقتلوه .

قيماز بن عبد الله

قطب الدين المستنجدي، وزر للخليفة المستضيء، وكان مقدما على العساكر كلها، ثم خرج على الخليفة، وقصد أن ينهب دار الخلافة، فصعد الخليفة فوق سطح في داره، وأمر العامة بنهب قيماز، فنهبت، وكان ذلك بإفتاء الفقهاء، فهرب، فهلك وهلك من كان معه في المهامة، والقفار .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وخمسمائة

فيها: طلب الفرنج من السلطان صلاح الدين وهو مقيم بمرج الصفر أن يهادهم فأجابهم إلى ذلك لأن الشام كان مجدبا، وأرسل جيشه صحبة القاضي الفاضل إلى الديار المصرية، ليستغلوا المغل، ثم يقبلوا، وعزم هو على المقام بالشام، واعتمد على كاتبه العماد عوضا عنه ، ولم يكن أحدا أعز عليه منه :

وما عن رِضًى كانتْ سُلَيْمىَ بديلةً ... بِلَيْلَى ولكن للضروراتِ أحكامُ

وكانت إقامة السلطان بالشام وإرسال الجيش صحبة القاضي الفاضل غاية الحزم والتدبير والإلهام ليحفظ ما استجد من الممالك خوفا عليه مما هنالك، فلما أرسل الجيوش إلى مصر، وبقي هو في طائفة يسيرة، والله قد تكفل له بالنصر. كتب صاحب الموصل سيف الدين غازي ابن أخي نور الدين إلى جماعة الحلبيين، يلومهم على ما وقع بينهم وبين الملك صلاح الدين من المصالحة، وقد كان إذ ذاك مشغولا بمحاصرة أخيه ، وهو عماد الدين زنكي بسنجار، وليست هذه بفعلة صالحة، وما كان سبب قتاله لأخيه إلا لكونه أبى طاعة الملك الناصر، فاصطلح مع أخيه حين عرف قوة الناصر وناصريه، ثم حرض الحلبيين على نقض العهود، ونبذها إليه، فأرسلوا إليه بالعهود التي عاهدوه عليها، ودعوه إليها، فاستعان عليهم بالله، وأرسل إلى الجيوش المصرية ليقدموا عليه، فأقبل صاحب الموصل بعساكره، ودساكره، واجتمع بابن عمه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل، وسار في عشرين ألف مقاتل على الخيول المضمرة الجرد الأبابيل، وسار نحوهم الناصر، وهو كالهزبر الكاسر، وإنما معه ألف فارس من الحماة، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، ولكن الجيوش المصرية قد خرجوا إليه قاصدين، وله ناصرين في جحافل كالجبال، فاجتمع الفريقان، وتداعوا إلى النـــزال، وذلك في يوم الخميس العاشر من شوال، فاقتتلوا قتالا شديدا، حتى حمل الملك الناصر بنفسه الكريمة، وكانت بإذن الله الهزيمة، فقتلوا خلقا من الحلبيين والمواصلة، وأخذوا مضارب الملك سيف الدين غازي، وحواصله، وأسروا جماعة ممن رءوسهم، فأطلقهم الناصر، بعدما أفاض الخلع على أبدانهم، ورءوسهم، وقد

كانوا استمانوا بجماعة من الفرنج، في حال القتال، وهذا ليس من أفعال الأبطال، وقد وجد السلطان في مخيم السلطان غازي سبتا من الأقفاص التي فيها الطيور المطربة، وذلك في مجلس شرابه المسكر، وكيف من هذا حاله ومسلكه ينتصر، فأمر السلطان بردها عليه وتسييرها إليه، وقال للرسول: قل له بعد وصولك إليه، وسلامك عليه: اشتغالك بهذه الطيور، أحب إليك مما وقعت فيه من المحذور. وغنم السلطان من أموالهم شيئا كثيرا، ففرقه على أصحابه غيبا وحضورا، وأنعم بخيمة سيف الدين غازي، على ابن أخيه عز الدين فروخ شاه بن نجم الدين، ورد ما كان في وطاقه من الجواري، والمغنيات، وقد كان معه أكثر من مائة مغنية، ورد الأقفاص وآلات اللهو واللعب إلى حلب، وقال: قولوا لهم، هذه أحب إليكم، من الركوع، والسجود. ووجد عسكر المواصلة كالحانة، من كثرة الخمور، والبرابط والملاهي، وهذا سبيل كل فاسق، ساه ، لاهي .

فصل

فلما رجعت الجيوش إلى حلب، وقد انقلبوا شر منقلب، وندموا على ما نقضوا من الإيمان، وشقهم العصا على السلطان، حصنوا البلد خوفا من الأسد، وأسرع صاحب الموصل، فوصلها، وما صدق حتى دخلها، فلما فرغ الناصر مما غنم أسرع المسير إلى حلب، وهو في غاية القوة، فوجدهم قد حصنوها، فقال: المصلحة أن نبادر إلى فتح الحصون التي حول البلد، ثم نعود إليهم، فلا يمتنع علينا منهم أحد. فشرع يفتحها حصنا حصنا، ويهدم أركان دولتهم ركنا ركنا، ففتح مراغة، ومنبج، ثم سار إلى إعزاز، فأرسل الحلبيون إلى سنان، فأرسل جماعة لقتل السلطان، فدخل جماعة منهم في جيشه، في زي الجند، فقاتلوا أشد القتال حتى اختلطوا بهم، فوجدوا ذات يوم فرصة، والسلطان ظاهر للناس، فحمل عليه واحد منهم، فضربه بسكين على رأسه، فإذا هو محترس منهم باللأمة[1]، فسلمه الله غير أن السكين مرت على خده فجرحته جرحا هينا، ثم أخذ الفداوي رأس السلطان، فوضعه إلى الأرض ليذبحه، ومن حوله قد أخذتهم دهشة، ثم ثاب إليهم عقلهم، فبادروا إلى الفداوي، فقتلوه، وقطعوه، ثم هجم عليه آخر في الساعة الراهنة فقتل، ثم هجم آخر على بعض الأمراء، فقتل أيضا، ثم هرب الرابع، فأدرك فقتل، وبطل القتال ذلك اليوم، ثم صمم السلطان على البلد، ففتحها، وأقطعها ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، وقد اشتد حنقه على أهل حلب. لما أرسلوا إليه من الفداوية، وإقدامهم على ذلك منه، فجاء فنـــزل تجاه البلد على جبل جوشن، وضربت خيمته على رأس البادوقية، وذلك في خامس عشر ذي الحجة، وجبي الأموال، وأخذ الخراج من القري، ومنع أن يدخل البلد شيء ، أو يخرج منه أحد، واستمر محاصرا لها، حتى انسلخت السنة .

---

(١) اللأْمَةُ : الدِّرْعُ سمبت بذلك لإحكامها وجودة حَلَقها .

وفي ذي الحجة . ن هذه السنة عاد نور الدولة أخو السلطان من بلاد اليمن إلى أخيه وذويه وإلى الشام وطيبه وظلاله لأنه ضجر من حر اليمن، وإن كان قد حصل أموالا جزيلة، ففرح به السلطان، فلما اجتمعا، قال الناصر الناصح البر الوفي: أنا يوسف، وهذا أخي، وقد استناب شمس الدولة على بلاد اليمن، من ذوي قرابته، فلما استقر عند أخيه استنابه على دمشق وأعمالها، وقيل: إن قدومه كان قبل وقعة المواصلة، وكان من أكبر أسباب الظفر والنصر لشجاعته وفروسيته بسالته .

وفيها: أنفذ تقي الدين عمرو ابن أخي الناصر، مملوكه بهاء الدين قراقوش في جيشه إلى بلاد المغرب، ففتح بلادا كثيرة، وغنم أموالا جزيلة، ثم عاد إلى مصر. وفيها: قدم إلى دمشق أبو الفتوح الواعظ عبد السلام بن يوسف ابن محمد بن مقلد التنوخي، الدمشقي الأصل، البغدادي المنشأ ذكره العماد في الجريدة. قال: وكان صاحبي، وجلس للوعظ، وحضر عنده السلطان صلاح الدين، وأورد له متطعات أشعار، فمن ذلك ما كان يقول في مجلسه :

يا مالكاً مُهْجَتي يا مُنْتَهىَ أمَلي ... يا حاضراً شاهداً في القلب والفكرِ
خَلَقْتَني من تراب أنتَ خَالقُه ... حتى إذا صرتُ تَمثالاً من الصُّورِ
أجريتَ في قَالبيَ روحاً مُنورَةً ... تَمرُّ فيه كَجَرْيِ الماء في الشجرِ
جَمَعْتَني منْ صَفَا روحٍ مُنورة ... وهيكلٍ صُغْتَهُ منْ معدن كدرِ
إنْ غبتُ فيك فيا فَخْري ويا شَرَفي ... وإنْ حضرتُ فيا سمعي ويا بصري
أو احتجبتُ فَسرّي فيكَ في وَلَه ... وإنْ خطرتَ فقلبي منْكَ في خطرِ
تَبْدو فَتَمْحُو رسومي ثم تُثْبتُها ... وإن تُغيَّب عني عشتُ بالأثرِ

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحافظ أبو القاسم بن عساكر . علي بن الحسن بن هبة الله

ابن عساكر، أبو القاسم، الدمشقي، أحد أكابر حفاظ الحديث، ومن عني به، سماعا، وجمعا، وتصنيفا، واطلاعا، وحفظا لأسانيده، ومتونه، وإتقانا لأساليبه، وفنونه، صنف تاريخ الشام، في ثمانين مجلدة، فهي باقية بعده مخلدة، وقد ندر على من تقدمه من المؤرخين وأتعب من يأتي بعده من المتأخرين، فحاز فيه قصب السبق ومن نظر فيه، وتأمله رأي، ما وصفه فيه، وأصله، وحكم بأنه فريد دهره في التواريخ، وأنه الذروة العليا من الشماريخ هذا مع ما له في علوم الحديث، من الكتب المفيدة، وما هو مشتمل عليه من العبادة والطرائق الحميدة، فله أطراف الكتب الستة، والشيوخ النبل، وتبيين كذب المفترى على أبي الحسن الأشعري، وغير ذلك من المصنفات الكبار، والصغار، والأجزاء، والأسفار، وقد أكثر في طلب الحديث من الترحال، والأسفار، وجاز المدن، والأقاليم، والأمصار، وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من الحفاظ نسخا واستنساخا ومقابلة وتصحيح الألفاظ، وكان من أكابر سروات [1] الدماشقة،

(١) سروات : سادة .

ورياسته فيهم عالية باسقة، من ذوي الأقدار، والهيئات، والأموال الجزيلة، والصلاة، والهبات كانت وفاته في الحادي عشر من رجب، وله من العمر ثنتان وسبعون سنة، وحضر السلطان صلاح الدين جنازته، ودفن بمقابر باب الصغير، رحمه الله تعالى. وكان الذي صلى عليه الشيخ قطب الدين النيسابوري. قال ابن خلكان: وله أشعار كثيرة منها :

أيا نفسُ وَيْحَكِ جاءَ المشيبُ ... فماذا التصابي ؟ وماذا الغزلُ؟
تولّى شبابي كأنْ لم يكنْ ... وجاء المشيبُ كأنْ لم يزلْ
كأنّي بنفسي على غِرَّةٍ ... وخَطْبُ المنونِ بها قد نزلْ
فيا ليتَ شعْري ممّنْ أكونُ ... وما قدّرَ اللهُ لي في الأزلْ

قال: وقد التزم فيها بما لم يلزم، وهو الزاي مع اللام. قال: وكان أخوه صائن الدين هبة الله بن الحسن، محدثا فقيها، اشتغل ببغداد على أسعد المهيني، ثم قدم دمشق، فدرس بالغزالية، وتوفي بها عن ثلاث وستين سنة .

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة

استهلت هذه السنة والناصر محاصر حلب، فسألوه، وتوسلوا إليه أن يصالحهم، فصالحهم، على أن تكون حلب وأعمالها للملك الصالح فقط، فكتبوا بذلك الكتاب، فلما كان المساء بعث السلطان الصالح إسماعيل يطلب منه زيادة قلعة إعزاز، وأرسل بأخت له صغيرة وهي الخاتون بنت نور الدين ليكون ذلك أدعى له بقبول السؤال، وأنجح في حصول النوال، فحين رآها السلطان قام قائما وقبل الأرض، وأجابها إلى سؤالها، وأطلق لها من الجواهر والتحف شيئا كثيرا، ثم ترحل عن حلب، فقصد الفداوية الذين اعتدوا عليه، فحاصر حصنهم مصبات، فقتل، وسبى، وحرق، وأخذ بقارهم، وخرب ديارهم، ثم شفع فيهم خاله شهاب الدين محمود بن تتش صاحب حماة لأنهم جيرانه، فقبل شفاعته، وأحضر إليه نائب بعلبك الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك مقدم الذي كان نائب دمشق جماعة من أسارى الفرنج الذين عاثوا في البقاع في غيبته، فجدد ذلك له الغزو في الفرنج، فصالح الفداوية الإسماعيلية أصحاب سنان، ثم كرّ راجعا إلى دمشق، فتلقاه أخوه شمس الدولة توران شاه، فلقبه الملك المعظم، وعزم الناصر على دخول مصر، وكان القاضي كمال الدين محمد الشهرزوري قد توفي في السادس من المحرم من هذه السنة، وقد كان من خيار القضاة، وأخص الناس بنور الدين الشهيد، فوض إليه نظر الجامع، ودار الضرب، وعمارة الأسوار، والنظر في المصالح العامة .

ولما حضرته الوفاة، أوصى بالقضاء لابن أخيه ضياء الدين بن تاج الدين الشهرزوري، مع أنه كان يجد عليه لما كان بينه وبينه حين كان صلاح الدين سجنه بدمشق، وكان يعاكسه، ويخالفه، ومع هذا أمضى وصيته لابن أخيه، فجلس في مجلس القضاء على عادة عمه وقاعدته، وبقي في نفس السلطان من تولية شرف الدين أبي سعيد عبد الله بن أبي عصرون الحلبي، وكان

قد هاجر إلى السلطان، إلى دمشق فوعده أن يوليه قضاءها، وأسر بذلك إلى القاضي الفاضل، فأشار الفاضل على الضياء أن يستعفي من القضاء، فاستعفى، فأعفي، وترك له وكالة بيت المال، وولى السلطان ابن أبي عصرون على أن يستنيب القاضي محيي الدين أبي المعالي محمد بن زكي الدين، ففعل ذلك، ثم بعد ذلك استقل بالحكم محيي الدين أبو حامد بن أبي عصرون، عوضا عن أبيه شرف الدين بسبب ضعف بصره .

وفي صفر منها، وقف السلطان الناصر قرية حزم على الزاوية الغزالية، ومن يشتغل بها بالعلوم الشرعية، وما يحتاج إليه الفقيه، وجعل النظر لقطب الدين النيسابوري مدرسها. وفي هذا الشهر، تزوج السلطان الناصر بالست خاتون عصمة الدين بنت معين الدين أُنُر وكانت زوجة نور الدين محمود، وكانت مقيمة بالقلعة، وولي تزويجها منه أخوها الأمير سعد الدين أُنُر، وحضر القاضي ابن عصرون العقد، ومن معه من العدول، وبات الناصر عندها تلك الليلة والتي بعدها، ثم سافر إلى مصر بعد يومين ركب يوم الجمعة قبل الصلاة، فنـــزل مرج الصفر، ثم سافر، فعشا قريبا من الصفين، ثم سار فدخل مصر يوم السبت سادس عشر ربيع الأول من هذه السنة وتلقاه أخوه، ونائبه عليها، الملك العادل سيف الدين أبو بكر إلى عند بحر القلزم، ومعه من الهدايا شيء كثير من المآكل المتنوعة وغيرها، وكان في صحبة السلطان العماد الكاتب، ولم يكن ورد الديار المصرية قبل ذلك، فجعل يذكر محاسنها، وما اختصت به من بين البلدان، وذكر الأهرام، وشبههما بأنواع من التشبيهات، وبالغ في ذلك حسب ما ذكره في "الروضتين".

وفي شعبان منها ركب الناصر إلى الإسكندرية، فأسمع ولديه الأفضل علي والعزيز عثمان على الحافظ السلفي، وتردد بهما إليه ثلاثة أيام، الخميس، والجمعة، والسبت رابع رمضان وعزم الناصر على تمام الصيام بها، وقد كمل عمارة السور على البلد، وأمر بتجديد الأسطول، وإصلاح مراكبه وسفنه، وشحنه بالمقاتلة، وأمرهم بغزو جزائر البحر، وأقطعهم الإقطاعات الجزيلة على ذلك، وأرصد للأسطول من بيت المال ما يكفيه لجميع شئونه، ثم عاد إلى القاهرة في أثناء رمضان، فأكمل صومه .

وفيها: أمر الناصر ببناء مدرسة للشافعية، على قبر الشافعي، وجعل الشيخ نجم الدين الخبوشاني مدرسها، وناظرها. وفيها: أمر ببناء المارستان بالقاهرة، ووقف عليه وقوفا كثيرة. وفيها: بنى الأمير مجاهد الدين قيماز نائب قلعة الموصل جامعا حسنا، ورباطا، ومدرسة، ومارستان، متجاورات، بظاهر الموصل، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمس وتسعين وخمسمائة رحمه الله. وله عدة مدارس، وخوانقات، وجوامع، غير ما ذكرنا، وكان دينا، خيرا فاضلا، حنفي المذهب، يذاكر في الأدب، والأشعار، والفقه، كثير الصيام، وقيام الليل. وفيها: أمر الخليفة بإخراج المجذومين من بغداد لناحية منها: ليتميزوا عن أهل العافية، نسأل الله العافية. وذكر ابن الجوزي، في المنتظم: عن امرأة قالت: كنت أمشي في الطريق، وكأن رجلا يعارضني

كلما مررت به فقلت له: إنه لا سبيل إلى هذا الذي ترومه مني إلا بكتاب وشهود، فتزوجني عند الحاكم، فمكثت معه مدة، ثم اعتراه انتفاخ ببطنه، فكنا نظن أنه استسقاء فنداويه لذلك، فلما كان بعد مدة ولد ولدا، كما تلد النساء، وإذا هو خنثى مشكل، وهذا من أغرب الأشياء.

وفيها توفي من الأعيان :

علي بن عساكر

ابن المرحب بن العوام أبو الحسن البطائحي المقري اللغوي، سمع الحديث، وأسمعه، وكان حسن المعرفة بالنحو، واللغة، ووقف كتبه بمسجد ابن جرارة ببغداد، وكانت وفاته في شعبان، وقد نيف على الثمانين .

محمد بن عبد الله

ابن القاسم أبو الفضل، قاضي القضاة بدمشق، كمال الدين الشهرزوري، الموصلي، وله بها مدرسة على الشافعية، وأخرى بنصيبين، وكان فاضلا، دينا أمينا، ثقة، ولي القضاء بدمشق لنور الدين الشهيد محمود بن زنكي، واستوزره أيضا فيما حكاه ابن الساعي. قال: وكان يبعثه في الرسائل. كتب مرة على قصة إلى الخليفة المقتفي: محمد بن عبد الله الرسول، فكتب الخليفة تحت ذلك ﷺقلت: وقد فوض إليه نور الدين نظر الجامع، ودار الضرب، والأسوار، وعمر له المارستان، والمدارس، وغير ذلك وكانت وفاته في المحرم، من هذه السنة، بدمشق .

الخطيب شمس الدين

ابن الوزير أبو الضياء، خطيب الديار المصرية، وابن وزيرها، كان أول من خطب بديار مصر للخليفة المستضيء بأمر الله العباسي، بأمر الملك صلاح الدين، ثم حظي عنده حتى جعله سفيرا بينه وبين الملوك والخلفاء، وكان رئيسا مطاعا كريما ممدحا يقرأ عليه الشعراء والأدباء. ثم جعل الناصر مكانه الشهرزوري المتقدم برسوم السلطان، وصارت وظيفة مقررة .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة

فيها: أمر الملك الناصر ببناء قلعة الجبل، وإحاطة السور على القاهرة ومصر، فعمر قلعة للملك، لم يكن في الديار المصرية مثلها، ولا على شكلها، وولى عمارة ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش، مملوك تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب. وفيها: كانت وقعة الرملة على المسلمين، وفي جمادى الأولى منها: سار السلطان الناصر صلاح الدين من مصر قاصدا غزو الفرنج، فانتهى إلى بلاد الرملة، فسبى، وغنم، ثم تشاغل جيشه بالغنائم، وتفرقوا في القرى والمحال، وبقي السلطان في طائفة من الجيش منفردا، فهجمت عليه الفرنج، في جحفل من المقاتلة، فما سلم إلا بعد جهد جهيد، ثم تراجع الجيش إليه، واجتمعوا عليه بعد أيام، ووقعت الأراجيف في الناس، بسبب ذلك، وما صدق أهل مصر حتى نظروا إليه، وصار الأمر كما قيل:

رضيت من الغنيمة بالإياب ومع هذا دقت البشائر في البلدان فرحا بسلامة السلطان، ولم تجر هذه الوقعة، إلا بعد عشر سنين. وذلك يوم حطين، وقد ثبت السلطان في هذه الوقعة ثباتا عظيما، وأسر للملك المظفر تقي الدين عمر بن أخي السلطان ولده شاهنشاه، فبقي عندهم سبع سنين، وقتل: ابنه الآخر، وكان شابا قد طرّ شاربه فحزن على المقتول، والمفقود، وصبر تأسيا بأيوب، وناح كما ناح داود، وأسر الفقيهان، الأخوان، ضياء الدين عيسى، وظهير الدين فافتداهما السلطان بعد سنتين بتسعين ألف دينار .

وفيها: تخبطت دولة حلب، وقبض السلطان الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين على الخادم كمشتكين، وألزمه بتسليم قلعة حارم، وكانت له، فأبى من ذلك، فعلقه منكوسا، ودخن تحت أنفه، حتى مات من ساعته. وفيها: جاء ملك كبير من ملوك الفرنج، يروم أخذ الشام، لغيبة السلطان، واشتغال نوابه ببلدانهم. قال العماد الكاتب: ومن شرط هدنة الفرنج أنه متى جاء ملك كبير من ملوكهم لا يمكنهم دفعه أنهم يقاتلون معه، ويؤازرونه، وينصرونه، فإذا انصرف عنهم عادت الهدنة كما كانت فقصد هذا الملك وجملة الفرنج مدينة حماه وصاحبها شهاب الدين محمود ــ خال السلطان ــ مريض، ونائب دمشق ومن معه من الأمراء مشغولون ببلدانهم فكادوا يأخذون البلد، ولكن هزمهم الله بعد أربعة أيام، فانصرفوا إلى حارم، فلم يتمكنوا من أخذها، وكشفهم عنها الملك الصالح صاحب حلب، وقد دفع إليهم من الأموال والأسرى ما طلبوه منه، وتوفي صاحب حماه شهاب الدين محمود خال السلطان الناصر، وتوفي قبله ولده تتش بثلاثة أيام، ولما سمع الملك الناصر بنــزول الفرنج على حارم خرج من مصر قاصدا بلاد الشام، فدخل دمشق في رابع عشر شوال، وصحبته العماد الكاتب، وتأخر القاضي الفاضل بمصر، لأجل الحج .

وفيها: جاء كتاب القاضي الفاضل الناصر يهنئه بوجود مولود، وهو أبو سليمان داود، وبه كمل له اثني عشر ذكرا، وقد ولد له عدة أولاد ذكور، فإنه توفي عن سبعة عشر ذكرا، وابنة صغيرة اسمها مؤنسة التي تزوجها ابن عمها الملك الكامل محمد بن العادل، كما سيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى .

وفيها: جرت فتنة عظيمة بين اليهود، والعامة ببغداد: بسبب أن مؤذنا أذن عند كنيسة، فنال منه بعض اليهود، بكلام أغلظ له فيه، فشتمه المسلم، فاقتتلا، فجاء المؤذن يشتكي منه إلى الديوان، فتفاقم الحال، وكثرت العوام، وأكثروا الضجيج، فلما حان وقت الجمعة منعت العامة الخطباء في بعض الجوامع، وخرجوا من فورهم، فنهبوا سوق العطارين الذي فيه اليهود، وذهبوا إلى كنيسة اليهود، فنهبوها، ولم يتمكن الشرط من ردهم، فأمر الخليفة بصلب بعض العامة، فأخرج في الليل جماعة من الشطار الذين كانوا في الحبوس، وقد وجب عليهم القتل، فصلبوا، فظن كثير من الناس أن هذا كان بسبب هذه الكائنة، فسكن الناس. وفيها:خرج الوزير الخليفة

عضد الدولة ابن رئيس الرؤساء ابن المسلمة قاصدا الحج، وخرج الناس في خدمته ليودعوه فتقدم إليه ثلاثة من الباطنية في صورة فقراء، ومعهم قصص، فتقدم أحدهم ليناوله قصة، فاعتنقه وضربه بالسكين ضربات، وهجم الثاني وكذلك الثالث عليه، فهبروه، وجرحوا جماعة حوله، وقتل الثلاثة من فورهم، ورجع الوزير إلى منـــزله محمولا، فمات من يومه، وهذا الوزير هو الذي قتل ولدي الوزير ابن هبيرة، وأعدمهما فسلط الله عليه من قتله، وكما تدين تدان، جزاء وفاقا .

وممن توفي فيها من الأعيان :

صدقة بن الحسين

أبو الفرج الحداد، قرأ القرآن، وسمع الحديث، وتفقه، وأفتى، وقال الشعر، وقال في الكلام وله تاريخ ذيل على شيخه ابن الزاغوني، وفيه غرائب وعجائب. قال ابن الساعي: كان شيخا، عالما فاضلا، وكان فقيرا، يأكل من أجرة النسخ، وكان يأوي إلى مسجد بغداد عند البدرية يؤم فيه، وكان يعتب على الزمان وبنيه، ورأيت ابن الجوزي في المنتظم : يذمه، ويرميه بالعظائم، وأورد له من أشعاره ما فيه مشابهة لابن الراوندي، في الزندقة، فالله أعلم. توفي في ربيع الآخر من هذه السنة، عن خمس وسبعين سنة، ودفن بباب حرب، ورؤيت له منامات غير صالحة، نسأل الله العافية في الدنيا، والآخرة .

محمد بن أحمد بن عبد الجبار بن المظفر

الحنفي المعروف بابن مشطب كان من الفضلاء المشاهير . تفقه ودرس وأفتى وناظر ، توفي في هذه السنة وقد جاوز الثمانين .

محمد بن أسعد بن محمد

أبو منصور العطار، المعروف بحفدة، سمع الكثير، وتفقه، وناظر، وأفتى، ودرس، وقدم بغداد، فمات بها .

محمود بن تتش شهاب الدين الحارمي

خال السلطان صلاح الدين، كان من خيار الأمراء، وشجعانهم، أقطعه ابن أخته حماة، وقد حاصره الفرنج وهو مريض، فأخذوا حماة، وقتلوا بعض أهلها، ثم تناخى أهلها، فردوهم خائبين .

فاطمة بنت نصر العطار

كانت من سادات النساء، وهي من سلالة أخت صاحب المخزن، كانت من العابدات، المتورعات، المخدرات يقال: إنها لم تخرج من منـــزلها سوى ثلاث مرات، وقد أثني عليها الخليفة، وغيره، والله أعلم .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسمائة

فيها: ورد كتاب من القاضي الفاضل من مصر إلى الناصر، وهو بالشام يهنيه بسلامة أولاده الملوك الاثنى عشر ، يقول : وهم بحمد الله بهجة الحياة وزينتها ، وريحانة القلـــوب،

والأرواح، وزهرهما، إن فؤادا وسع فراقهم لواسع، وإن قلبا قنع بأخبارهم لقانع، وإن طرفا نام عن البعد عنهم لهاجع، وإن ملكا ملك صبره عنهم لحازم، وإن نعمة الله بهم لنعمة بها العيش ناعم، أما يشتاق جيد المولى أن تطوق بدررهم؟ أما تظمأ عينه أن تروى بنظرهم؟ أما يحن قلبه لقلبهم؟ أما يلتقط هذا الطائر بفتيلهم؟ وللمولي أبقاه الله أن يقول :

وما مثلُ هذا الشوقِ يحملُ بعضَه ... ولكنَّ قلبي في الهوي يتقلبُ

وفيها: أسقط صلاح الدين المكوس، والضرائب، عن الحجاج بمكة، وقد كان يؤخذ من حجاج الغرب شيء كثير ومن عجز عن أدائه حبس، فربما فاته الوقوف بعرفة، وعوض أمير مكة بمال، أقطعه إياه بمصر، وأن يحمل إليه في كل سنة، ثمانية آلاف إردب، إلى مكة، ليكون عونا له، ولأتباعه، ورفقا بالمجاورين، وقررت للمجاورين أيضا غلات تحمل إليهم رحمه الله. وفيها : عصى الأمير شمس الدين بن مقدم ببعلبك، ولم يجئ إلى خدمة السلطان، وهو نازل على حمص، وذلك أنه بلغه أن أخا السلطان توران شاه طلب بعلبك منه، فأطلقها له، فامتنع ابن المقدم من الخروج منها حتى جاء السلطان بنفسه، فحصره فيها من غير قتال، ثم عوض ابن المقدم عنها، بتعويض كثير، خير مما كان بيده، فخرج منها، وتسلمها، وسلمها توران شاه. قال ابن الأثير: وكان في هذه السنة غلاء شديد، بسبب قلة المطر عم العراق، والشام، وديار مصر، واستمر إلى سنة خمس وسبعين، فجاء المطر، ورخصت الأسعار، ثم عقب ذلك، وباء شديد، وعم البلاد مرض آخر، وهو السرسام فما ارتفع إلا في سنة ست وسبعين، فمات بسبب ذلك خلق كثير، وأمم لا يعلم عددهم إلا الله. وفي رمضان منها وصلت خلع الخليفة إلى الملك صلاح الدين، وهو بدمشق، وزيد في ألقابه معز أمير المؤمنين، وخلع على أخيه توران شاه، ولقب بمصطفى أمير المؤمنين .

وفيها: جهز الناصر ابن أخيه، فروخ شاه بن شاهنشاه بين يديه لقتال الفرنج، الذين عاثوا في نواحي دمشق، فنهبوا ما حولها، وأمره أن يداريهم حتى يتوسطوا البلاد، ولا يقاتلهم حتى يقدم عليه، فلما رأوه عاجلوه بالقتال، فكسرهم، وقتل من ملوكهم صاحب الناصرة الهنفري، وكان من أكابر ملوكهم وشجعانهم لا ينهنهه اللقاء، فكبته الله في هذه الغزوة، ثم ركب الناصر في إثر ابن أخيه، فما وصل إلى الكسوة حتى تلقته الرءوس على الرماح، والغنائم، والأسارى. وفيها: بنت الفرنج قلعة عند بيت الأحزان للداوية، فجعلوها مرصدا لحرب المسلمين، وقطع طريقهم، ونقضت ملوكهم العهود، التي كانت بينهم وبين صلاح الدين، وأغاروا على نواحي البلدان من كل جانب، ليشغلوا المسلمين عنهم، وتفرقت جيوشهم، فلا تجتمع في بقعة واحدة، فرتب السلطان ابن أخيه عمر على حماة، ومعه ابن مقدم، وسيف الدين علي بن أحمد المشطوب بنواحي البقاع، وغيرها، وبثغر حمص ابن عمه ناصر الدين بن أسد الدين شيركوه، وبعث إلى

أخيه الملك أبي بكر العادل، نائبه بمصر أن يبعث إليه ألفا وخمسمائة فارس يستعين بهم على قتال الفرنج، وكتب إلى الفرنج يأمرهم بتخريب هذا الحصن الذي بنوه للداوية، فامتنعوا إلا أن يبذل لهم ما غرموه عليه، فبذل لهم ستين ألف دينار، فلم يقبلوا، ثم أوصلهم إلى مائة ألف دينار، فقال له ابن أخيه تقي الدين عمر: ابذل هذا إلى أجناد المسلمين، وسر إلى هذا الحصن، فخربه، فأخذ بقوله في ذلك ، وخربه في السنة الآتية، كما سنذكره .

وفيها : أمر الخليفة المستضيء بكتابة لوح على قبر الإمام أحمد بن حنبل، فيه آية الكرسي وبعدها: هذا قبر تاج السنة وحبر الأمة العالي الهمة العالم العابد الفقيه الزاهد وذكروا تاريخ وفاته، رحمه الله تعالى .

وفيها : احتيط ببغداد، على شاعر ينشد للروافض يقال له : ابن قرايا يقف في الأسواق ويذكر أشعارا يضمنها ذم الصحابة رضي الله عنهم وسبهم، وتهجين من يحبهم، فعقد له مجلس بأمر الخليفة، ثم استنطق، فإذا هو رافضي، خبيث، داعية إليه، فأفتى الفقهاء بقطع لسانه، ويديه، ففعل به ذلك، ثم اختطفته العامة، فما زالوا يرمونه بالآجر، حتى ألقى نفسه في دجلة، فاستخرجوه منها، فقتلوه، حتى مات، فأخذوا شريطا، وربطوه في رجله، وجروه على وجهه، حتى طافوا به البلد، وجميع الأسواق، ثم ألقوه في بعض الأتونة، مع الآجر، والكلس، وعجز الشرط على تخليصه منهم، وفيها توفي من الأعيان:

أسعد بن بلدرك الجبريلي

سمع الحديث،وكان شيخا، ظريف المذاكرة، جيد المبادرة، توفي عن مائة سنة وأربع سنين.

الحيص بيص

سعد بن محمد بن سعد [الملقب] شهاب الدين، أبو الفوارس المعروف بحيص بيص، له ديوان شعر مشهور، توفي يوم الثلاثاء خامس شهر شعبان من هذه السنة وله ثنتان وثمانون سنة، وصلى عليه بالنظامية، ودفن بباب التبن، ولم يعقب [1] ، ولم يكن له في المراسلات بديل، كان يتقعر فيها، ويتفاصح جدا، فلا تواتيه إلا وهي معجرفة وكان يزعم أنه من بني تميم، فسئل أبوه عن ذلك، فقال: ما سمعته إلا منه. فقال بعض الشعراء يهجوه، فيما ادعاه من ذلك :

كم تَبادي [2] وكـــم تُطيـــلُ طرطو ... رَكَ وما فيـــك شَـــعْرةٌ من تميـــمِ
فَكُلِ الضَّبَّ واقرطِ الحنظـــلَ اليـــا ... بسَ واشربْ إنْ شئتَ بولَ الظليمِ [3]
ليس ذا وجه مَنْ يُضِيفُ ولا يَقْـــ ... رى ولا يدفـــعُ الأذى عـــن حريـــمِ

---

(١) لم يترك أولادًا بعده .

(٢) تبادى : تشبَّه بأهل البادية .

(٣) اقرط : اقطع . الحنظل : شجر ثمره شديد المرارة . الظليم : ذكر النعام .

ومن شعر الحيص بيص المستجاد قوله :

سلامةُ المرء ساعةً عجبُ وكُلّ شيء لحتفه سببُ
يفرُّ والحادثاتُ تطلبُه يفرُّ منها ونَحْوها الهربُ
وكيفَ يبقى على تقلُّبه مسلّماً من حياته العطبُ ؟!

ومن شعره أيضاً قوله :

لا تَلْبَس الدّهرَ على غرّة فما لموت الحيّ من بدٌ
ولا يخادعْكَ طويلُ البقا فتحسب التطويلَ منْ خلد
يقرُبُ ما كان لنا آخراً ما أقربَ المهدَ من اللحدَ

وبقرب من هذا ما ذكره صاحب (العقد) أحمد بن عبد ربه الأندلسي في عقده :

ألا إنّما الدنيا غَضَارَةُ [1] أيْكَة إذا اخضرَّ منها جانبُ جفَّ جانبُ
وما الدهرُ والآمالُ إلاّ فجائعٌ عليها وما اللذاتُ إلاّ مصائبُ
فلا تكتحلْ عيناك منها بعَبْرَة على ذاهب منها فإنّكَ ذاهبُ

قد ذكر أبو سعد السمعاني حيص بيص هذا في ذيله، وأثنى عليه، وسمع عليه ديوانه ورسائله، وأثنى على رسائله القاضي ابن خلكان، وقال: كان فيه تيه، وتعاظم، ولا يتكلم إلا معربا، وكان فقيها، شافعي المذهب، واشتغل بالخلاف، وعلم النظر، ثم تشاغل عن ذلك كله بالشعر، وكان من أخبر الناس بأشعار العرب، واختلاف لغاتهم. قال: وإنما قيل له : الحيص بيص، لأنه رأى الناس في حركة واختلاط، فقال: ما للناس في حيص بيص ؟ أي في شر وهرج، فغلب عليه هذه الكلمة، وكان يزعم أنه من ولد أكثم بن صيفي طبيب العرب،ولم يترك عقبا. كانت له حوالة بالحلة،فذهب يتقاضاها، فتوفي ببغداد، في هذه السنة .

محمد بن نسيم

أبو عبد الله الخياط، عتيق الرئيس أبي الفضل بن عبسون، سمع الحديث، وقارب الثمانين، سقط من درجة، فمات. قال: أنشدني مولى الدين. يعني ابن علام الحكيم بن عبسون :

لَلْقَارئُ المحزونُ أجْدَرُ بالتّقى من راهب في ديره منقوس
ومراقبُ الأفلاك كانتْ نفسُه بعبادة الرحمن أحرى الأنفس
والماسحُ الأرضينَ وهي فسيحةٌ أولى بمسح في أكفٍّ اللمَّس
أولى بخشية ربّه منْ جاهلٍ بمثلّث ومربّع ومُخَمَّسِ

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة

وفيها : كانت وقعة مرج عيون، استهلت هذه السنة والسلطان صلاح الدين الناصر، نازل بجيشه على تل القاضي ببانياس، ثم قصده الفرنج بجمعهم، فنهض إليهم، فما هو إلا أن التقي

(١) غَضَارَةُ : الخصب وطيب العيش . أَيْكَةُ : الشجر الكثير الملتف الجمع الأَيْكُ .

الفريقان، واصطدم الجندان، فأنزل الله نصره، وأعز جنده، فولت ألوية الصلبان ذاهبة، وخيل الله لركابهم راكبة، فقتل منهم خلق كثير، وأسر من ملوكهم جماعة، وأنابوا إلى السمع والطاعة منهم : مقدم الداوية، ومقدم الأبسباتارية، وصاحب الرملة، وصاحب طبرية، وقسطلان يافا، وآخرون من ملوكهم، وخلق من شجعانهم وأبطالهم، ومن فرسان القدس جماعة كثيرون، تقريبا من ثلاثمائة أسير من أشرافهم، فصاروا يهانون في القيود. قال العماد: فاستعرضهم السلطان في الليل حتى أضاء الفجر، وصلى يومئذ الصبح بوضوء العشاء، وكان جالسا ليلتئذ، في نحو العشرين، والفرنج كثير، فسلمه الله منهم، ثم أرسلهم إلى دمشق ليعتقلوا بقلعتها، فافتدى ابن البارزاني صاحب الرملة نفسه بمائة ألف وخمسين ألف دينار صورية، وإطلاق ألف أسير من بلاده، فأجيب إلى ذلك، وافتدى جماعة منهم أنفسهم بأموال جزيلة، ومنهم من مات في السجن، واتفق أنه في اليوم الذي ظفر فيه السلطان بالفرنج بمرج عيون، ظهر أسطول المسلمين على بطشة للفرنج في البحر، وأخرى معها، فغنموا منها ألف رأس من السبي، وعاد إلى الساحل مؤيدا منصورا، وقد امتدح الشعراء السلطان في هذه الغزوة بمدائح كثيرة، وكتب بذلك إلى بغداد، فدقت البشائر بها فرحا وسرورا، وكان الملك المظفر تقي الدين عمر غائبا عن هذه الوقعة، مشتغلا بما هو أعظم منها، وذلك أن ملك الروم فرار سلان بعث يطلب حصن رعنان، وزعم أن نور الدين اغتصبه منه، وأن ولده قد عصى، فلم يجبه إلى ذلك السلطان، فبعث صاحب الروم عشرين ألف مقاتل يحاصرونه، فأرسل السلطان تقي الدين عمر في ثمانمائة فارس، منهم سيف الدين علي بن أحمد المشطوب، فالتقوا معهم، فهزموهم بإذن الله، واستقرت يد صلاح الدين على حصن رعنان، وقد كان مما عوض به ابن مقدم عن بعلبك، وكان تقي الدين عمر، يفتخر بهذه الوقعة، ويرى أنه قد هزم عشرين ألفا، وقيل : ثلاثين ألفا بثمانمائة فارس ، وكان السبب في ذلك أنه بيتهم، وأغار عليهم، فما لبثوا، بل فروا منهزمين عن آخرهم، فأكثر فيهم القتل، واستحوذ على جميع ما تركوه في خيامهم، ويقال : إنه كسرهم يوم كسر السلطان الفرنج، بمرج عيون، والله أعلم .

ذكر تخريب حصن الأحزان

وهو قريب من صفد، ثم ركب السلطان إلى الحصن، الذي كانت الفرنج قد بنوه في العام الماضي، وحفروا فيه بئرا، وجعلوه لهم عينا، وسلموه إلى الداوية، فقصده السلطان، فحاصره، ونقبه من جميع جهاته، وألق فيه النيران، وخربه إلى الأساس، وغنم جميع ما فيه، فكان فيه مائة ألف قطعة من السلاح، ومن المأكل شيء كثير، وأخذ منه سبعمائة أسير، فقتل بعضا، وأرسل إلى دمشق الباقي، ثم عاد إلى دمشق مؤيدا منصورا غير أنه مات من إمرائه عشرة بسبب ما نالهم من الحر والوباء في مدة الحصار، وكانت أربعة عشر يوما، ثم إن الناس زاروا مشهد يعقوب على العادة القديمة ، وقد امتدحه الشعراء فقال بعضهم :

بجدِّكَ أعطافُ القنا تعطّفتْ وطرفُ الأعادي دون مجدك يطرفُ[1]
شهابُ هُدَىً في ظلمة الشرك ثاقبٌ وسيفُ إذا ما هَزّه اللهُ مرهفُ[2]
وقفتَ على حصنِ المخاضِ وإنّه لموقفُ حقٌّ لا يوازيه موقفُ
فلم يَبْدُ وجهُ الأرضِ بل حالَ دونهُ رجالٌ كآساد الشرى [3] وهي تزحفُ
وجردٌ سَلْهُوب ودرعٌ مضاعفٌ وأبيضُ هنديّ ولُدْن مهفهف[4]
وما رجعتْ أعلامُك البيضُ ساعةً إلاّ غدتْ أكبادُها السودُ ترجفُ
كنائسُ أعاليه صليبٌ وبيعةٌ وشادَ به دينٌ حنيفٌ ومصحفُ
صليبٌ وعُبّادُ الصليب ومنزلٌ لنوال قد غادرتَه وهو صفصفُ[5]
تَسْكُنُ أوطانَ النبيين عصبةٌ تمينُ لدى أيمانها وهي تحلفُ؟ [6]
نصحتُكُمُ والنصحُ في الدين واجبٌ ذَرُوا بيتَ يعقوبَ فقد جاء يوسفُ

وقال شاعر آخر وأجاد:

هلاكُ الفرنجِ أتى عاجلاً وقد آنَ تكسيرُ صُلْبانها
ولو لم يكنْ قَدْ دنا حَتْفُها لما عمرتْ بيتَ أحزانها

ومن كتاب كتبه القاضي الفاضل إلى بغداد في وصف هذا الحصن الذي خربه صلاح الدين. وقد قيس عرض حائطه فزاد على عشرة أذرع، وقطعت له عظام الحجارة، كل فص منها سبعة أذرع إلى ما فوقها وما دونها وعدتها تزيد على عشرين ألف حجر، لا يستقر الحجر في بنيانه، إلا بأربعة دنانير، فما فوقها، وفيما بين الحائطين حشو من الحجارة الضخمة الصم أتوا بها من رءوس الجبال الشم، وقد جعلت شعبيته بالكلس الذي إذا أحاطت بالحجر، مازجه بمثل جسمه، ولا يستطيع الحديد أن يتعرض إلى هدمه. وفيها : أقطع صلاح الدين ابن أخيه عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب مدينة بعلبك. وأغار فيها على صفت وأعمالها فقتل طائفة كبيرة من مقاتليها ورجالها وكان فرخشاه من الصناديد الأبطال .

وفيها : حج القاضي الفاضل من دمشق، وعاد إلى مصر، فقاسى في الطريق أهوالا، ولقي ترحا، وتعبا، وكلالا، وكان في العام الماضي قد حج من مصر، وعاد إلى الشام، وكان ذلك العام في حقه أسهل من هذا العام. وفيها : كانت زلزلة عظيمة، انهدم بسببها قلاع، وقرى،

(١) أعطاف القنا : جنبات الرماح . تعطفت : تمايلت .
(٢) المرهف : السيف القاطع .
(٣) الشرى : جمع أشراء الجبل مأسدة جانب الفرات يُضرب بها المثل . فيقال : (هو كأسد الشرى) .
(٤) جرد : الخيل السلاهبة : الطوال . أبيض : السيف . لُدن : الرمح .
(٥) المنوال : حائل النساج. الصفصف : الخراب .
(٦) تمين : تكذب .

ومات خلق كثير فيها من الورى، وسقط من رءوس الجبال صخور كبار، وصادمت بين الجبال، في البراري، والقفار، مع بعد ما بين الجبال من الأقطار. وفيها : أصاب الناس غلاء شديد، وفناء شريد، وجهد جهيد، فمات خلق كثير بهذا وهذا، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ذكر وفاة الخليفة المستضيء بأمر الله وشيء من ترجمته

كان ابتداء مرضه أواخر شوال، فأرادت زوجته أن تكتم ذلك، فلم يمكنها، ووقعت فتنة كبيرة ببغداد، ونهبت العوام دورا كثيرة، وأموالا جزيلة، فلما كان يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال، خطب لولي العهد، أبي العباس أحمد بن المستضيء، وهو الخليفة الناصر لدين الله، وكان يوما مشهودا، نثر الذهب فيه على الخطباء، والمؤذنين، ومن حضر ذلك، عند ذكر اسمه على المنبر. وكان مرضه بالحمى، ابتدأ فيها يوم عيد الفطر، ولم يزل الأمر يتزايد به، حتى استكمل في مرضه شهرا، ومات سلخ شوال، وله من العمر تسع وثلاثون سنة، وكانت مدة خلافته تسع سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما، وغسل، وصلي عليه من الغد. ودفن بدار النصر التي بناها وذلك عن وصيته التي أوصاها، وترك ولدين أحدهما ولي عهده، وهو عدة الدنيا والدين أبو العباس أحمد الناصر لدين الله، والآخر : أبو منصور هاشم، وقد وزر له جماعة من الرؤساء، وكان من خيار الخلفاء، آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، مزيلا عن الناس المكوسات والضرائب، مبطلا للبدع والمعائب، وكان حليما، وقورا، كريما، وبويع بالخلافة من بعده لولده الناصر.

وفيها توفي من الأعيان :

إبراهيم بن على

أبو إسحاق، الفقيه، الشافعي، المعروف بابن الفراء الأموي، ثم البغدادي، كان فاضلا، مناظرا، فصيحا، بليغا، شاعرا، توفي عن أربع وسبعين سنة، وصلى عليه أبو الحسن القزويني مدرس النظامية .

إسماعيل بن موهوب

ابن محمد بن أحمد بن الخضر أبو محمد الجواليقي، الملقب حجة الإسلام، أحد أئمة اللغة في زمانه، والمشار إليه من بين أقرانه، بحسن الدين، وقوة اليقين، وعلم اللغة، والنحو، وصدق اللهجة، وخلوص النية، وحسن السيرة، في مرباه، ومنشأه، ومنتهاه، سمع الحديث، وسمع الأثر، واتبع سبيله، ومرماه، رحمه الله تعالى .

المبارك بن علي بن الحسين

أبو محمد بن الطباخ البغدادي، نزيل مكة، ومجاورها، وحافظ الحديث بها، والمشار إليه بالعلم فيها. كان يوم جنازته يوما مشهودا .

خلافة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء

لما توفي أبوه في سلخ شوال من سنة خمس وسبعين وخمسمائة بايعه الأمراء والوزراء، والكبراء، والخاصة، والعامة، وكان قد خطب له على المنابر، في حياة أبيه، قبل موته بيسير، فقيل: إنه إنما عهد له قبل موته بيوم. وقيل: بأسبوع. ولكن قدر الله، أنه لم يختلف عليه اثنان بعد وفاة أبيه ولقب بالناصر، ولم يل الخلافة من بني العباس قبله أطول مدة منه، فإنه مكث خليفة إلى سنة وفاته، في ثلاث وعشرين وستمائة، وكان ذكيا، شجاعا مهيبا، كما سيأتي ذكر سيرته عند وفاته. وفي سابع ذي القعدة من هذه السنة عزل صاحب المخزن ظهير الدين أبو بكر ابن العطار، وأهين غاية الإهانة هو وأصحابه، وقتل خلق منهم، وشهر في البلد، وتمكن أمر الخليفة الناصر، وعظمت هيبته في البلاد وقلوب العباد وقام بأعباء الخلافة على ما ينبغي في جميع أموره وشؤونه. ولما حضر عيد الأضحى، أقيم على ما جرت به العادة، والله أعلم .

ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسمائة

فيها : هادن السلطان صلاح الدين الفرنج، وسار إلى بلاد الروم، فأصلح بين ملوكها، من بين أرتق، وكرّ على بلاد الأرمن، فأهان ملكها، وفتح بعض حصونها، وأخذ منها غنائم كثيرة جدا، من أواني الفضة والذهب، لأن ملكها كان قد غدر بقوم من التركمان، فرده إلى بلاده، ثم صالحه على مال يحمله إليه، وأسارى يطلقهم من أسره، وآخرين يستنقذهم من أيدي الفرنج، ثم عاد مؤيدا، منصورا، فدخل حماة، في أواخر جمادى الآخرة، وامتدحه الشعراء على ذلك، ومات صاحب الموصل سيف الدين غازي بن مودود، وكان شابا، حسنا، مليح الشكل، تام القامة، مدور اللحية، مكث في الملك عشر سنين، ومات عن ثلاثين سنة، وكان عفيفا في نفسه، مهيبا، وقورا، لا يلتفت إذا ركب، وإذا جلس، وكان غيورا، لا يدع أحدا من الخدم الكبار يدخل على النساء، وكان لا يقدم على سفك الدماء، وكان ينسب إلى شيء من البخل، سامحه الله، توفي في ثالث صفر، وكان قد عزم على أن يجعل الملك من بعده لولده عز الدين سنجرشاه، فلم يوافقه الأمراء خوفا من صلاح الدين لصغر سنه، فاتفقوا كلهم على أخيه، فأجلس مكانه في المملكة، وكان يقال له : عز الدين مسعود، وجعل مجاهد الدين قايماز نائبه، ومدبر مملكته. وجاءت رسل الخليفة يلتمسون من صلاح الدين أن يبقي سروج، والرها، والرقة، وحران، والخابور، ونصيبين في يده كما كانت في يد أخيه، فامتنع السلطان من ذلك، وقال: هذه البلاد، هي حفظ ثغور المسلمين، وإنما تركتها في يده ليساعدنا على غزو الفرنج، فلم يفعل ذلك، وكتب إلى الخليفة يعرفه أن المصلحة في ترك ذلك عونا للمسلمين .

وفاة توران شاه

فيها : توفي السلطان الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب، أخي الملك صلاح الدين، وهو الذي افتتح بلاد اليمن، عن أمر أخيه، فمكث فيها حينا، واقتنى منها أموالا جزيلة،

ثم استناب فيها، وأقبل إلى الشام، شوقا إلى أخيه، وقد كتب إليه في أثناء الطريق شعرا عمله له بعض الشعراء، يقال له : ابن المنجم، وكانوا قد وصلوا إلى سما :

وهل لأخي بل مالكي علمُ ذا الذى ... إليه وإنْ طالَ التردّدُ راجعُ ؟
وإنّي بيوم واحد من لقائه ... عليَّ وإنْ قد عظمَ الموتُ بائعُ
ولم يبقَ إلّا دونَ عشرينَ ليلةً ... ويُحيِيَ اللقا أبصارنا والمسامعُ
إلى ملك تعنُو الملوكُ إذا بَدَا ... وتَخشعُ إعظامًا له وهو خاشعُ
كتبتُ وأشواقي إليكَ ببعضها ... تعلّمت النوحَ الحمامُ السواجعُ
وما الملكُ إلا راحةٌ أنتَ زَنْدُها ... تَضُمُّ على الدنيا ونَحْنُ الأصابعُ

وكان قدومه على أخيه سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، فشهد معه مواقف مشهودة محمودة، واستنابه على دمشق مدة، ثم سار إلى مصر، فاستنابه على الإسكندرية، فلم توافقه، وكانت يعتريه القولنج، فمات في هذه السنة، ودفن بقصر الإمارة فيها، ثم نقلته أخته ست الشام بنت أيوب، فدفنته بتربتها التي بالشامية البرانية، فقبره القبلي، والوسطاني قبر زوجها وابن عمها ناصر الدين بن محمد أسد الدين شيركوه، صاحب حماة، والرحبة، والمؤخر قبرها، والتربة الحسامية منسوبة إلى ولدها حسام الدين عمر بن لاشين، وهي إلى جانب المدرسة من غربها، وقد كان توران شاه هذا، كريما شجاعا، عظيم الهيبة، كبير النفس، واسع النفقة والعطاء، قال فيه ابن سعدان الحلبي :

هو الملكُ إنْ تسمعْ بكِسْرى وقيصرَ ... فإنّهما في الجود والبأسِ عبداه
وما حَاتمٌ ممن يقاسُ بمثله ... فخذ ما رأيناه وَدَعْ ما رويناه
وَلُذْ بعلاه مُستجيراً فإنّه ... يُجيرُك من جَوْرِ الزمانِ وعدواه
ولا تتحملْ للسحائب منه إذا ... هطلتْ جوداً سَحائبُ كفاه
فَتُرْسِلُ كفاه بما اشْتَقّ منهما ... فَلليُمْنِ يُمْناه ولليُسْرِ يُسراه

ولما بلغ موته أخاه صلاح الدين بن أيوب، وهو مخيم بظاهر حمص، حزن عليه حزنا شديدا، وجعل ينشد باب المراثي من الحماسة، وكانت محفوظة .

وفي رجب منها : قدمت رسل الخليفة الناصر وخلع وهدايا إلى الناصر صلاح الدين، فلبس خلعة الخليفة بدمشق، وزينت له البلد، وكان يوما مشهودا. وفي رجب أيضا منها : سار السلطان إلى مصر لينظر في أحوالها، ويصوم بها رمضان، ومن عزمه أن يحج عامه ذلك، واستناب على الشام ابن أخيه عز الدين فروخ شاه ، وكان عزيز المثل، غزير الفضل، فكتب القاضي الفاضل، عن الملك العادل أبي بكر، إلى أهل اليمن، والبقيع، ومكة، يعلمهم بعزم السلطان الناصر على الحج، ومعه صدر الدين أبو القاسم عبد الرحيم شيخ الشيوخ ببغداد، الذي قدم من جهة الخليفة في الرسالة، وجاء بالخلع، ليكون في خدمته إلى الديار المصرية، وفي

صحبته إلى الحجاز، فدخل السلطان مصر، وتلقاه الجيش وكان يوما مشهودا وأما صدر الدين فإنه لم يقم بها إلا قليلا، حتى توجه إلى الحجاز في البحر، فأدرك الصيام في المسجد الحرام .

وفيها : سار قراقوش التقوي إلى المغرب، فحاصر بها فاس، وقلاعا كثيرة حولها، واستحوذ على أكثرها، واتفق له أنه أسر من بعض الحصون غلاما أسود، فأراد قتله، فقال له أهل الحصن: لا تقتله، وخذ لك ديته عشرة آلاف دينار. فأبى فأوصله إلى مائة ألف، فأبى إلا قتله، فقتله، فلما قتله، نزل صاحب الحصن، وهو شيخ كبير، ومعه مفاتيح ذلك الحصن، فقال له: خذ هذه، فإني شيخ كبير، وإنما كنت أحفظه من أجل هذا الصبي الذي قتلته، ولي أولاد أخ أكره أن يملكوه بعدي فأقره فيه، وأخذ منه أموالا كثيرة .

وفيها توفي من الأعيان :

الحافظ أبو طاهر السلفي

أحمد بن محمد بن إبراهيم سلفة الحافظ الكبير المعمر، أبو طاهر السلفي الأصبهاني، وإنما قيل له : السلفي لجده إبراهيم سلفة، لأنه كان مشقوق إحدى الشفتين، وكان له ثلاث شفاه فسمته الأعاجم لذلك. قال ابن خلكان: وكان يلقب بصدر الدين، وكان شافعي المذهب، ورد بغداد، واشتغل بها على الكيا الهراسي، وأخذ اللغة عن الخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي، سمع الحديث الكثير، ورحل في طلبه إلى الآفاق، ثم نزل ثغر الإسكندرية، في سنة إحدى عشرة وخمسمائة، وبنى له العادل أبو الحسن على بن السلار وزير الخليفة الظافر مدرسة، وفوضها إليه، فهي معروفة به إلى الآن قال ابن خلكان: وأما أماليه، وكتبه، وتعاليقه فكثيرة جدا، وكان مولده فيما ذكر المصريون : سنة ثنتين وسبعين وأربعمائة، ونقل الحافظ عبد الغني عنه أنه قال: أذكر مقتل نظام الملك في سنة خمس وثمانين وأربعمائة ببغداد، وأنا ابن عشر تقريبا ونقل أبو القاسم الصفراوي أنه قال: مولدي بالتخمين لا باليقين، سنة ثمان وسبعين فيكون مبلغ عمره ثمانيا وتسعين سنة، لأنه توفي ليلة الجمعة خامس ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة بثغر الإسكندرية، والله أعلم، ودفن بوعلة، وفيها جماعة من الصالحين، وقد رجح ابن خلكان قول الصفراوي ، قال: ولم يبلغنا من ثلاثمائة، أن أحدا جاوز المائة إلا القاضي أبا الطيب الطبري، وقد ترجمه ابن عساكر في تاريخه ترجمة حسنة، وإن كان قد مات قبله بخمس سنين، فذكر رحلته في طلب الحديث، ودورانه في الأقاليم، وأنه كان يتصوف أولا، ثم أقام بثغر الإسكندرية، وتزوج بامرأة ذات يسار، فحسنت حاله، وبنت عليه مدرسة هناك، وذكر طرفا من أشعاره منها قوله :

أَتَــأْمَنُ إلمــــامَ المنيّــــة بغتــةً   وأمنُ الفتى جهلٌ وقد خَبَرَ الدّهــرا؟
وليسَ يحابي الدهــرُ في دَوَرَانــه   أرذلَ أهليــه ولا الســادةَ الزهــرا

وكيف؟! وقد ماتَ النبيُّ وصحبُه ... وأزواجُـــه طُرّاً وفاطمـــةُ الزهـــرا

ومن شعر الحافظ السلفي الذي أورده ابن عساكر قوله :

يـــا قاصداً علمَ الحـــديث لدينه ... إذا ضَلّ عن طرق الهدايـــة وَهْمُـــهُ

إنّ العلومَ كما علمـــتَ كثـــيرَةٌ ... وأجَلُّهـــا فقـــهُ الحديـــثِ وعلمـــه

مـــَنْ كـــانَ طالبه وفيه تيقـــظٌ ... قـــد تم سهم في المعـــالي ســـهمـــه

لولا الحـــديثُ وأهلُـــه لم يستقمْ ... ديـــنُ النَّـــبيِّ وشـــذّ عنـــا حكمـــه

وإذا استرابَ بقولنا متحذلقٌ ... ما كُلّ فهمٍ في البسيطـــةِ فهمـــه

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة

استهلت وصلاح الدين مقيم بالقاهرة، مواظب على سماع الحديث، وجاءه كتاب من نائبه بالشام عز الدين فروخ شاه يخبره فيه بما منّ الله به على الناس، من ولادة النساء بالتوأم، جبراً لما كان أصابهم من الوباء بالعام الماضي، والفناء، وبأن الشام مخصبة بإذن الله لما كان أصابهم من الغلاء. وفي شوال: توجه الملك صلاح الدين إلى الإسكندرية لينظر ما أمر من تحصين سورها، وعمارة أبراجها، وقصورها، وسمع بها موطأ مالك، على الشيخ أبي طاهر بن عوف عن الطرطوشي، وسمع معه العماد الكاتب، وأرسل القاضي الفاضل رسالة إلى السلطان،يهنئه بهذا السماع

وفاة الملك الصالح نور الدين الشهيد

صاحب حلب وما جري بعده من الأمور

كانت وفاته في الخامس والعشرين من رجب من هذه السنة بقلعة حلب، ودفن بها، وكان سبب وفاته، فيما قيل : أن الأمير علم الدين سليمان بن حيدر سقاه سُمًّا في عنقود عنب في الصيد وقيل بل : سقاه ياقوت الأسدي في شراب فاعتراه قولنج فما زال كذلك حتى مات وهو شاب حسن الصورة وبهي المنظر، ولم يبلغ عشرين سنة، وكان من أعف الملوك ومن أشبه أباه فما ظلم . وصف له الأطباء في مرضه شرب الخمر فاستفتى الفقهاء في شربها تداوياً، فأفتوه بذلك، فقال :أيزيد شربها في أجلي أو ينقص منه تركها شيئا؟قالوا: لا، قال: فوالله لا أشربها وألقى الله وقد شربت ما حرمه علي ولما يئس من نفسه استدعى الأمراء فحلفهم لابن عمه عز الدين مسعود وصاحب الموصل لقوة سلطانه، وتمكنه لمنعها من صلاح الدين، وخشي أن يبايع لابن عمه الآخر عماد الدين زنكي صاحب سنجار، وهو زوج أخته وتربية والده فلا يمكنه حفظها من صلاح الدين، فلما مات، استدعي الحلبيون عز الدين مسعود بن قطب الدين صاحب الموصل، فجاء إليهم، فدخل حلب في أبهة عظيمة، وكان يوما مشهودا، وذلك فـــي العشرين من شعبان، فتسلم خزائنها، وحواصلها وما فيها من السلاح، وكان تقي الدين عمر في مدينة منبج، فهرب إلى حماة، فوجد أهلها، قد نادوا بشعار صاحب الموصل، وأطمع الحلبيون

مسعودا بأخذ دمشق لغيبة صلاح الدين عنها، وأعلموه محبة أهل الشام لهذا البيت الأتابكي نور الدين، فقال لهم: بيننا وبين صلاح الدين أيمان، وعهود، وأنا لا أغدر به، فأقام بحلب شهورا، وتزوج بأم الملك الصالح في شوال، ثم سار إلى الرقة، فنـــزلها، وجاءه رسل أخيه عماد الدين زنكي يطلب منه أن يقايضه من حلب إلى سنجار، وألح عليه في ذلك، وتمنع أخوه، ثم فعل على كره منه، فسلم إليه حلب، وتسلم عز الدين سنجار، والخابور، والرقة، ونصيبين، وسروج، وغير ذلك من البلاد .

ولما سمع الملك صلاح الدين بهذه الأمور، ركب من الديار المصرية، في عساكره، فسار حتى أتى الفرات، فعبرها، وخامر إليه بعض أمراء صاحب الموصل، وتقهقر صاحب الموصل عن لقائه، واستحوذ صلاح الدين على بلاد الجزيرة بكمالها، وهم بمحاصرة الموصل، فلم يتفق له ذلك، ثم جاء إلى حلب، فتسلمها من عماد الدين زنكي لضعفه عن ممانعتها، ولقلة ما ترك فيها عز الدين من الأسلحة، وذلك في السنة الآتية .

وفيها : عزم البرنس صاحب الكرك على قصد تيماء من أرض الحجاز ليتوصل منها إلى المدينة النبوية، فجهز له صلاح الدين سرية من دمشق تكون حاجزة بينه وبين الحجاز، فصده ذلك عن قصده. وفيها : ولى السلطان صلاح الدين أخاه سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين ابن أيوب نيابة اليمن، وأرسله إليها، وذلك لاختلاف نوابها، واضطراب أصحابها، بعد وفاة المعظم توران شاه أخي السلطان، فسار إليها طغتكين، فوصلها، في سنة ثمان وسبعين، فسار فيها أحسن سيرة، واحتاط على أموال حطان بن منقذ صاحب زبيد، وكانت تقارب ألف ألف دينار أو أكثر، وأما نائب عدن فخر الدين عثمان [الزنجيلي] ، فإنه خرج من اليمن، قبل قدوم طغتكين، فسكن الشام، وله أوقاف مشهورة باليمن، ومكة، وإليه تنسب المدرسة الزنجلية، خارج باب توما، تجاه دار المطعم، وكان قد حصل من اليمن أموالا عظيمة جدا .

وفيها : غدرت الفرنج، ونقضت عهودها، وقطعوا السبل على المسلمين، برا، وبحرا، وسرا، وجهرا، فأمكن الله من لطيشة [1] عظيمة، فيها نحو من ألفين وخمسمائة، من مقاتلتهم المعدودين ألقاها الموج إلى ثغر دمياط، قبل خروج السلطان من مصر، فأحيط بها، فغرق بعضهم، وحصل في الأسر نحو ألف وسبعمائة. وفيها سار : قراقوش إلى بلاد إفريقية، ففتح بلادا كثيرة، وقاتل عسكر ابن عبد المؤمن، صاحب المغرب، واستفحل أمره هناك، وقراقوش مملوك تقي الدين عمر ابن أخي السلطان صلاح الدين، ثم عاد إلى مصر، فأمره صلاح الدين أن يتم السور المحيط بالقاهرة، ومصر، وذلك قبل خروجه منها في هذه السنة، وكان ذلك آخر

---

(١) اللطيشة : السفينة .

عهده بها، حتى توفاه الله، بعد أن أناله الله بلوغ مناه، ففتح عليه بيت المقدس وما حوله، ولما خيم بارزا من مصر وأولاده حوله، جعل يشمهم، ويقبلهم، ويضمهم، فأنشد بعضهم في ذلك :

تَمَتَّعْ مِـــنْ شَميمِ عـــرارِ نجـــدٍ فمـــا بعدَ العشيّـــة مِـــنْ عـــرَارِ

وكان الأمر كما قال ، لم يعد إلى مصر بعد هذا العام، بل كان مقامه بالشام. وفيها : ولد للسلطان ولدان أحدهما المعظم توران شاه، والملك المحسن أحمد، وكان بين ولادتهما سبعة أيام، فزينت البلاد، واستمر الفرح أربعة عشر يوما .

وفيها توفي من الأعيان :

الشيخ كمال الدين أبو البركات

عبد الرحمن بن محمد بن أبي السعادات، عبيد الله بن محمد بن عبيد الله الأنباري، النحوي، الفقيه، العابد، الزاهد، الناسك الخاشع الورع، كان خشن العيش، ولا يقبل من أحد شيئا، ولا من الخليفة، وكان يحضر نوبة الصوفية بدار الخلافة، ولا يقبل من جوائز الخليفة ولا فلسا، وكان مثابرا على الاشتغال، وله تصانيف مفيدة، توفي في شعبان من هذه السنة. قال ابن خلكان: له كتاب " أسرار العربية " مفيد جدا، وكتاب " طبقات النحاة " ، مفيد جدا، وكتاب " الميزان " في النحو أيضا، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة

في خامس محرمها : كان بروز السلطان من مصر قاصدا بلاد الشام لمناجزة الأعداء والإحسان إلى الأولياء، وكان ذلك آخر عهده بمصر، وأغار بطريقه على بعض نواحي بلاد الإفرنج، وقد جعل أخاه تاج الملوك بوري بن أيوب على الميمنة، فالتقوا على الأردن بعد سبعة أيام، وقد أغار عز الدين فروخ شاه على بلاد طبرية، وما حولها وافتتح حصونا جيدة، وأسر منهم ألفا، وغنم عشرين ألف رأس من الأنعام، ودخل الناصر دمشق، سابع عشر صفر، ثم خرج منها في العشر الأول من ربيع الأول، فاقتتل مع الفرنج، في نواحي طبرية، وبيسان تحت حصن كوكب، فقتل خلق من الفريقين، وكانت النصرة للمسلمين على الفرنج، ثم رجع إلى دمشق مؤيدا منصورا، ثم ركب قاصدا حلب، وبلاد الشرق ليأخذها وذلك أن المواصلة والحلبيين كاتبوا الفرنج على حرب المسلمين فغارت الفرنج على بعض أطراف البلاد، ليشغلوا الناصر عنهم بنفسه، فجاء إلى حلب، فحاصرها ثلاثا، ثم رأى العدول عنها إلى غيرها أولى، فسار حتى بلغ الفرات، واستحوذ على بلاد الجزيرة، والرها، والرقة، ونصيبين، والخابور وحران وغير ذلك وخضعت له الملوك، ثم عاد إلى حلب، فتسلمها من صاحبها عماد الدين زنكي، فاستوثقت له الممالك شرقا وغربا، وتمكن حينئذ من قتال الفرنج .

فصل

ولما عجز إبرنس الكرك عن إيصال الأذى إلى المسلمين في البر عمل مراكب في بحر القلزم ليقطعوا الطريق على الحجاج، والتجار، فوصلت أذيتهم إلى عيذاب، وخاف أهل المدينة النبوية من شرهم، فأمر الملك العادل الأمير حسام الدين لؤلؤ صاحب الأسطول أن يعمل مراكبه في بحر القلزم، ليحارب صحاب الإبرنس، ففعل ذلك، فظفر بهم في كل موطن، فقتلوا منهم، وحرقوا، وغرقوا، وسبوا في مواطن كثيرة، ومواقف هائلة، وأمن البر والبحر، بإذن الله تعالى، وأرسل الناصر إلى أخيه العادل ليشكر ذلك عن مساعيه، وأرسل إلى ديوان الخليفة، يعرفهم بذلك .

فصل في وفاة الملك المنصور عز الدين

فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك، ونائب دمشق لعمه الناصر، وهو والد الأمجد بهرام شاه صاحب بعلبك بعد أبيه، وإليه تنسب المدرسة الفروخ شاهية بالشرق الشمالي، بدمشق، وإلى جانبها التربة الأمجدية لولده، وهما وقف على الحنفية، والشافعية، وقد كان فروخ شاه، شجاعا، شهما، عاقلا، ذكيا، ممدحا، امتدحه الشعراء لفضله، وجوده، وكان من أكبر أصحاب الشيخ تاج الدين أبي اليمن الكندي، عرفه من مجلس القاضي الفاضل، فانتمى إليه، وكان يحسن إليه، وله وللعماد الكاتب فيه مدائح، وكان ابنه الأمجد شاعرا جيدا، ولاه عم أبيه صلاح الدين بعلبك بعد أبيه، واستمر فيها مدة طويلة، ومن محاسن فروخ شاه صحبته لتاج الدين الكندي وله شعر رائق :

أنا في أسرِ السقــامِ ... وهو في هــذا المقـــامِ
رشأ يرشقُ عينـــا ... هُ فـــوادي بسهــــام
كلّما أرْشَفَني فـــا ... هُ على حـــرِّ الأوَامِ[1]
ذقتُ منه الشّهْدَ في ... أصفى مذاقــاتِ المــدامِ

وقد دخل يوما الحمام، فرأى رجلا كان يعرفه من أصحاب الأموال، وقد نزل به الحال، حتى إنه كان يستتر ببعض ثيابه، لئلا تبدو عورته، فرق له، وأمر غلامه أن ينقل بقجة، وبساطا إلى موضع الرجل، وأمره فأحضر ألف دينار، وبغلة، وتوقيعا له في كل شهر بعشرين ألف دينار، فدخل الرجل الحمام فقيرا، وخرج منه غنيا، فرحمة الله على الأجواد الجياد .

وفيها توفي من الأعيان :

الشيخ أبو العباس

أحمد الرفاعي بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد، المعروف بابن الرفاعي، شيخ الطائفة الأحمدية الرفاعية البطائحية، لسكناه أم عبيدة، من قري البطائح، وهي بين البصرة،

(١) الأوام : العطش .

وواسط، كان أصله من العرب، فسكن هذه البلاد، والتف عليه خلق كثير، ويقال: إنه حفظ التنبيه في الفقه، على مذهب الشافعي. قال ابن خلكان: ولأتباعه أحوال عجيبة، من أكل الحيات وهي حية، والدخول في النار في التنانير [1] وهي تضطرم، ويلعبون بها وهي تشتعل، ويقال إنهم في بلادهم يركبون الأسود. وذكر ابن خلكان: أنه قال: وليس للشيخ أحمد عقب، وإنما النسل لأخيه، وذريته يتوارثون المشيخة بتلك البلاد. وقال: ومن شعره على ما قيل :

إذا جَنّ ليلـي هامَ قلبي بذكركُـم ... أنوحُ كما نـاحَ الحمـامُ المطـوَّقُ
وفوقي سحـابٌ يمطرُ الهمَ والأسى ... وتحتي بحـارٌ بالأسـى تتدفّـقُ
سلوا أمَّ عمرو كيفَ باتَ أسـيرُها ... تفكُّ الأسـارى دونه وهو موثقُ؟
فلا هو مقتولٌ ففي القتـلِ راحـةٌ ... ولا هـو ممنـونٌ عليـه فيعتـقُ

ومن شعره في الغيرة [2] قوله:

أغارُ عليها منْ أبيهـا وأمِّهـا ... ومنْ كُلِّ مَنْ يدنُو إليهـا وينظرُ
وأحسدُ للمرآةِ أيضا بكَفِّهـا ... إذا نظرتْ مثلَ الذي أنا أنـظرُ

قال: ولم يزل على تلك الحال، إلى أن توفي، في يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى الأولى، من هذه السنة .

خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال

أبو القاسم القرطبي، الحافظ، المحدث، المؤرخ، صاحب التصانيف، له كتاب " الصلة " جعله ذيلا على تاريخ أبي الوليد بن الفرضي، وله كتاب " المستغيثين بالله" وله مجلدة في تعيين الأسماء المبهمة، على طريق الخطيب، وله أسماء من روى الموطأ، على حروف المعجم، بلغوا ثلاثة وسبعين رجلا، مات في رمضان، عن أربع وثمانين سنة .

العلامة قطب الدين أبو المعالي

مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري، تفقه على محمد بن يحيى صاحب الغزالي، قدم دمشق، ودرس بالغزالية، والمجاهدية، وبحلب بمدرسة نور الدين، وأسد الدين، ثم بهمدان، ثم رجع إلى دمشق ودرس بالغزالية، وانتهت إليه رياسة المذهب، ومات بها في سلخ رمضان، يوم العيد سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، عن ثلاث وتسعين سنة، وعنه أخذ الفخر بن عساكر وغيره وهو الذي صلى على الحافظ ابن عساكر، والله سبحانه أعلم .

---

(١) التنانير : جمع تنور : الأفران التي يخبز فيها .

(٢) ومن رقيق شعر الغيرة ما قالته الشاعرة عاتكة الركونية الأندلسية في محبوبها

أغَـارُ عَلَيْـكَ مِـنْ عَيْنـي وَمِنِّـي ... وَمِنْـكَ ومِـنْ زَمَانِـكَ والمكـانِ
وَلَـوْ أَنّـي خَبَأْتُـكَ فـي عُيُـونِي ... إلـى يَـوْمِ القيـامَةِ مَـا كَفَـانِي

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة

في رابع عشر محرمها تسلم السلطان الناصر مدينة آمد صلحا بعد حصار طويل من يد صاحبها ابن بيسان بعد حمل ما أمكنه من حواصله، وأمواله مدة ثلاثة أيام، ولما تسلم البلد، وجد فيه شيئا كثيرا من الحواصل، وآلات الحرب، حتى إنه وجد برجا، مملوءا بنصول النشاب، وبرجا آخر فيه مائة ألف شمعة، وأشياء يطول شرحها، ووجد فيها خزانة كتب ألف ألف مجلد، وأربعين ألف مجلد، فوهبها كلها للقاضي الفاضل، فانتخب منها حمل سبعين حمارة. ثم وهب السلطان البلد بما فيه لنور الدين محمد بن قرا أرسلان — وكان قد وعده بها — فقيل له: إن الحواصل لم تدخل في الهبة، فقال: لا أبخل بها عليه، وكان في خزائنها ثلاثة آلاف ألف دينار، فامتدحه الشعراء على هذا الصنيع .

ومن أحسن ذلك قول بعضهم :

قُلْ للملوكِ : تنحوا عن ممالكِكم ... فقد أتى آخذُ الدنيا ومُعْطِيها

ثم سار السلطان في بقية المحرم إلى حلب فحاصرها، وقاتله أهلها قتالا شديدا، فجرح أخو السلطان تاج الملوك بوري بن أيوب جرحا بليغا، فمات منه بعد أيام، وكان أصغر أولاد أيوب، لم يبلغ عشرين سنة، وقيل إنه جاوزها بثنتين، وكان ذكيا فهما، له ديوان شعر لطيف، فحزن عليه أخوه صلاح الدين حزنا شديدا، ودفنه بحلب، ثم نقله إلى دمشق، ثم اتفق الحال بين الناصر، وبين صاحب حلب، عماد الدين زنكي بن آقسنقر، على عوض أطلقه له الناصر، بأن يرد عليه سنجار، ويسلمه حلب، فخرج عماد الدين من القلعة، إلى خدمة الناصر، وعزاه في أخيه، ونزل عنده في المخيم، ونقل أثقاله إلى سنجار، وزاده السلطان الخابور، والرقة، ونصيبين، وسروج، واشترط عليه إرسال العسكر في الخدمة، لأجل الغزاة في الفرنج، ثم سار، وودعه السلطان، ومكث السلطان في المخيم، يرى حلب أياما، غير مكترث بحلب، ولا وقعت منه موقعا، ثم صعد إلى قلعتها، يوم الاثنين، السابع والعشرين من صفر، وعمل له الأمير طهمان وليمة عظيمة، فتلا هذه الآية، وهو داخل في بابها﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ﴾ [آل عمران٢٦] الآية. ولما دخل دار الملك تلا قوله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ [الأحزاب٢٧] الآية. ولما دخل مقام إبراهيم صلى فيه ركعتين، وأطال السجود به، والدعاء، والتضرع إلى الله، ثم شرع في عمل وليمة، وضربت البشائر، وخلع على الأمراء، وأحسن إلى الرؤساء والفقراء، ووضعت الحرب أوزارها، وقد امتدحه الشعراء بمدائح حسان. ثم إن القلعة وقعت منه بموقع عظيم، ثم قال ما سررت بفتح قلعة أعظم سرورا من فتح مدينة حلب، وأسقطت عنها، وعن سائر بلاد الجزيرة، المكوس، والضرائب، وكذلك عن بلاد الشام، ومصر، وقد عاث الفرنج في غيبته في الأرض فسادا، فأرسل إلى عساكره، فاجتمعوا إليه، وكان قد بشر بفتح بيت المقدس، حين فتح حلب، وذلك أن الفقيه مجد الدين بن جهبل الشافعي رأى في تفسير أبي الحكم العربي،

عند قوله ﴿ الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ﴾ [الروم ١ ، ٢] الآية، البشارة بفتح بيت المقدس في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، واستدل على ذلك بأشياء، فكتب ذلك في ورقة، وأعطاها للفقيه عيسي الهكاري، ليبشر بها السلطان، فلم يتجاسر على ذلك، خوفا من عدم المطابقة، فأعلم بذلك القاضي محيي الدين بن التركي، فنظم معناها في قصيدة يقول فيها :

وفتحُكُم حلبَ الشبهاءَ في صفرٍ قضى لكم بافتتاحِ القدسِ في رجبِ[1]

وقدمها إلى السلطان، فتاقت نفسه إلى ذلك، فلما افتتحها ـــ كما سيأتي ـــ أمر ابن الزنكي، فخطب يومئذ، وكان يوم الجمعة، ثم بلغه بعد ذلك أن [ابن] جهبل هو الذي قال ذلك أولا،فأمره فدرس على نفس الصخرة درسا عظيما، فأجزل له العطاء، وأحسن عليه الثناء.

فصل

ثم رحل من حلب، في أواخر ربيع الآخر، واستخلف على حلب ولده الظاهر غازي، وولى قضاءها لابن الزكي، فاستناب له فيها نائبا، وسار مع السلطان، فدخلوا دمشق، في ثالث جمادى الأولى، وكان ذلك يوما مشهودا، ثم برز منها خارجا إلى قتال الفرنج، في أول جمادى الآخرة، قاصدا نحو بيت المقدس، فانتهى إلى بيسان، فنهبها، ونزل على عين جالوت، وأرسل بين يديه سرية هائلة، فيها جرديل، وطائفة من النورية، وجاء مملوك عمه أسد الدين، فوجدوا جيش الفرنج قاصدين إلى أصحابهم بنجدة، فالتقوا معهم، فقتلوا من الفرنج خلقا، وأسروا مائة أسير، ولم يفقد من المسلمين سوى شخص واحد، ثم عاد في آخر ذلك اليوم، وبلغ السلطان أن الفرنج قد اجتمعوا لقتاله، فقصدهم، وتصدى لهم لعلهم يصافونه، فالتقى معهم، فقتل منهم خلقا كثيرا، وجرح مثلهم، فرجعوا ناكصين على أعقابهم، خائفين منه غاية المخافة، ولازال جيشه خلفهم، يقتل، ويأسر، حتى غزوا في بلادهم، فرجعوا عنهم، وكتب القاضي الفاضل إلى الخليفة، يعلمه بما من الله عليه، وعلى المسلمين من نصرة الدين، وكان لا يفعل شيئا، ولا يريد أن يفعله إلا أطلع عليه الخليفة : أدبا، واحتراما، وطاعة، واحتشاما .

فصل

وفي رجب : سار السلطان إلى الكرك، فحاصرها، وفي صحبته تقي الدين عمر ابن أخيه، وقد كتب لأخيه العادل ليحضر عنده ليوليه حلب، وأعمالها، وفق ما كان طلب، واستمر الحصار على الكرك، مدة شهر رجب، ولم يظفر منها بطلب، وبلغه أن الفرنج قد اجتمعوا كلهم، ليمنعوا منه الكرك فكر راجعا إلى دمشق ـــ وذلك من أكبر همته ـــ وأرسل ابن أخيه تقي الدين إلى مصر نائبا، وفي صحبته القاضي الفاضل، وبعث أخاه على مملكة حلب وأعمالها، واستقدم ولده الظاهر إليه، وكذلك نوابه ومن يعز عليه، وإنما أعطى أخاه حلب ليكون قريبا منه، فإنه كان لا يقطع أمرا دونه، واقترض السلطان من أخيه العادل مائة ألف دينار، وتألم

(١) في النجوم الزاهرة : وَفَتْحُه حَلَباً بالسّيفِ في صفر ∴ مُبَشِّرٌ بفتوحِ القدسِ في رجبِ .

الظاهر بن الناصر على مفارقة حلب، وكانت إقامته الأولى بها ستة أشهر، ولكن لا يقدر أن يظهر ما في نفسه لوالده لكن ظهر ذلك، على صفحات وجهه، ولفظات لسانه .

ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة

فيها : أرسل الناصر إلى العساكر الحلبية، والجزيرية، والمصرية، والشامية، أن يقدموا عليه لقتال الفرنج، فقدم عليه تقي الدين عمر من مصر، ومعه الفاضل، ومن حلب العادل، وقدمت ملوك الجزيرة، وسنجار، وغيرها، فأخذ الجميع، وسار نحو الكرك، فأحدقوا بها، في رابع عشر جمادى الأولى، وركب عليها المنجنيقات، وكانت تسعة، وأخذ في حصارها، وذلك أنه رأى أن فتحها أنفع للمسلمين من غيرها، فإن أهلها يقطعون الطريق على الحجاج، فبينما هو كذلك، إذ بلغه أن الفرنج قد اجتمعوا له كلهم، فارسهم، وراجلهم، ليمنعوا منه الكرك، فانشمر عنها، وقصدهم فنـــزل على حسبان تجاههم، ثم صار إلى ماعر، فانهزمت الفرنج، قاصدين الكرك، فأرسل وراءهم من قتل منهم مقتلة عظيمة، وأمر السلطان بالإغارة على السواحل، لخلوها من المقاتلة، فنهبت نابلس، وما حولها من القرى والرساتيق، ثم عاد السلطان إلى دمشق، فأذن للعساكر في الانصراف إلى بلادهم، وأمر ابن أخيه عمر، الملك المظفر أن يعود إلى مصر، وأقام هو بدمشق، ليؤدي فرض الصيام، وليجل الخيل [1] ، ويحد الحسام، وقدم على السلطان خلع الخليفة، فلبسها، وألبس أخاه العادل، وابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه، ثم خلع خلعته على ناصر الدين بن قرا أرسلان، صاحب حصن كيفا، وآمد، التي أطلقها له السلطان. وفيها : مات صاحب المغرب يوسف بن عبد المؤمن بن علي، وقام في الملك بعده ولده يعقوب. وفي أواخرها : بلغ صلاح الدين أن صاحب الموصل نازل إربل، فبعث صاحبها يستصرخ به، فركب من فوره إليه، فسار إلى بعلبك، ثم إلى حماه، فأقام بها أياما ينتظر وصول العماد الكاتب إليه، وذلك لأنه حصل له ضعف، فأقام ببعلبك، وقد أرسل إليه الفاضل، من دمشق طبيبا، يقال له : أسعد بن المطران، فعالجه مداواة من طب لمن حب .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وخمسمائة

استهلت والسلطان مخيم بظاهر حماه، ثم سار إلى حلب، وتلقاه أخوه العادل واجتمعت اليه العساكر فخرج منها في صفر قاصدا الموصل، فجاء إلى حران، فقبض على صاحبها مظفر الدين، وهو أخو زين الدين صاحب إربل، ثم رضي عنه، وأعاده إلى مملكته، حتى يتبين خبث طويته، ثم سار إلى الموصل، فتلقاه الملوك من كل ناحية، وجاء إلى خدمته عماد الدين أبو بكر ابن قرا أرسلان، وسار السلطان، فنـــزل على الإسماعيليات، قريبا من الموصل، وجاءه صاحب إربل زين الدين، الذي خضعت له ملوك تلك الناحية، ثم أرسل صلاح الدين ضياء الدين

---

(١) يجل الخيل : أراحها .

الشهرزوري إلى الخليفة يعلمه بما عزم عليه من حصار الموصل وإنما مقصوده ردهم إلى طاعة الخليفة، ونصرة الإسلام، فحاصرها مدة، ثم رحل عنها، ولم يفتحها، وسار إلى خلاط، واستحوذ على بلدان كثيرة، وأقاليم جمة، ببلاد الجزيرة، وديار بكر، وجرت أمور استقصاها ابن الأثير في كامله، وصاحب (الروضتين) ، ثم وقع الصلح بينه وبين المواصلة، على أن يكونوا من جنده، إذا ندبهم لقتال الفرنج، وعلى أن يخطب له، وتضرب له السكة، ففعلوا ذلك في تلك البلاد كلها، وانقطعت خطبة السلاجقة، والأرتقية، بتلك البلاد كلها، ثم اتفق مرض السلطان بعد ذلك مرضا شديدا، فكان يتجلد، ولا يظهر شيئا من الألم، حتى قوي عليه الأمر، وتزايد الحال، حتى وصل إلى حران، فخيم هنالك من شدة ألمه، وشاع ذلك في البلاد، وخاف الناس عليه، وأرجف الكفرة والملحدون بموته، وقصده أخوه العادل من حلب، بالأطباء والأدوية، فوجده في غاية الضعف، وأشار عليه بأن يوصي، فقال: ما أبالي، وأنا أترك من بعدي أبا بكر وعمر وعثمان وعليا ـــ يعني أخاه العادل، وتقي الدين عمر، صاحب حماة، وهو إذ ذاك نائب مصر، وهو بها مقيم وابنيه العزيز عثمان، والأفضل عليا ـــ ثم نذر لئن شفاه الله من مرضه هذا، ليصرفن همته كلها إلى قتال الفرنج، ولا يقاتل بعد ذلك مسلما، وليجعل أكبر همه فتح بيت المقدس، ولو صرف في سبيل الله جميع ما يملكه، من الأموال، والذخائر، وليقتلن البرنس صاحب الكرك بيده، لأنه نقض العهد، وتنقص الرسول ﷺ وذلك أنه أخذ قافلة ذاهبة من مصر إلى الشام، فأخذ أموالهم، وضرب رقابهم، وهو يقول: أين محمدكم؟ ادعوه ينصركم، وكان هذا النذر كله، بإشارة القاضي الفاضل، وهو أرشده إليه، وحثه عليه، حتى عقده مع الله عزّ وجلّ ، فعند ذلك شفاه الله وعافاه من ذلك المرض الذي كان فيه كفارة لذنوبه وجاءت البشارات بذلك من كل ناحية، فدقت البشائر، وزينت البلاد، وكتب الفاضل من دمشق، وهو يقيم بها إلى المظفر عمر، أن العافية الناصرية، قد استقامت، واستفاضت أخبارها، وطلعت بعد الظلمة أنوارها، وظهرت بعد الاختفاء آثارها، وولت العلة، ولله الحمد والمنة، وطفئت نارها، وانجلى غبارها، وخمد شرارها، وما كانت إلا فلتة، وقى الله شرها، وشنارها [1] وعظيمة كفى الله الإسلام عارها، وتوبة امتحن الله بها نفوسنا، فرأى أقل ما عندها صبرنا، وما كان الله ليضيع الدعاء، وقد أخلصته القلوب، ولا تتوقف الإجابة، وإن سدت طريقها الذنوب، ولا ليخلف وعد فرج، وقد أيس الصاحب والمصحوب .

نَعِيٌّ زادَ فيه الدهرُ ميماً ... فأصبحَ بعد بؤساهُ نعيماً
وما صدقَ النذيرُ به لأنّي ... رأيتُ الشمسَ تطلعُ والنجوما

وقد استقبل مولانا السلطان الملك الناصر غضة جديدة، والعزمة ماضية حديدة، والنشاط إلى الجهاد، والتوبة لرب العباد، والجنة مبسوطة البساط، وقد انقضى الحساب، وجزنا الصراط.

(١) شنارها : عارها . اللسان مادة (شنر) .

وعرضنا نحن على الأهوال، التي من خوفها، كاد الجمل يلج بسم الخياط. ثم ركب السلطان من حران، بعد العافية، فدخل حلب،ثم ركب فدخل دمشق،وقد تكاملت عافيته، وقد كان يوما مشهودا.
وفيها توفي من الأعيان :

الفقيه مهذب الدين : عبد الله بن أسعد الموصلي

مدرس حمص، وكان بارعا في فنون، ولا سيما في الشعر والأدب، وقد أثنى عليه العماد، والشيخ شهاب الدين أبو شامة .

الأمير ناصر الدين محمد بن شيركوه

صاحب حمص، والرحبة، وهو ابن عم صلاح الدين، وزوج أخته ست الشام بنت أيوب، توفي بحمص، فنقلته زوجته إلى تربتها بالشامية البرانية، وقبره الأوسط، بينها وبين أخيها المعظم توران شاه صاحب اليمن، وقد خلف من الأموال، والذخائر شيئا كثيرا، ينيف على ألف ألف دينار، توفي يوم عرفة فجأة فولي بعده مملكة حمص ولده أسد الدين شيركوه بأمر صلاح الدين .

المحمودي بن محمد بن على بن إسماعيل

ابن عبد الرحمن الشيخ جمال الدين أبو الثناء المحمودي بن الصابوني، كان أحد الأئمة المشهورين، وإنما يقال له: المحمودي لصحبة جده السلطان محمود بن زنكي، فأكرمه، ثم سار إلى مصر، فنـــزلها،وكان صلاح الدين يكرمه،وأوقف عليه وعلى ذريته أرضا،فهي لهم إلى الآن .

الأمير سعد الدين مسعود

ابن معين الدين ألين، كان من كبار الأمراء، أيام نور الدين، وصلاح الدين، وهو أخو الست خاتون، وحين تزوجها صلاح الدين، زوّجه بأخته الست ربيعة خاتون بنت أيوب، التي تنسب إليها المدرسة الصلاحية، بسفح قيسون على الحنابلة، وقد تأخرت مدتها، فتوفيت في سنة ثلاث وأربعين وستمائة، وكانت آخر من بقي من أولاد أيوب لصلبه، وكانت وفاته بدمشق، في جمادى الآخرة، من جرح أصابه وهو في حصار ميافارقين .

الست خاتون عصمت الدين

بنت معين الدين نائب دمشق، وأتابك عساكرها، قبل نور الدين، كما تقدم، وقد كانت زوجة نور الدين، ثم خلف عليها من بعده صلاح الدين، في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وكانت من أحسن النساء، وأعفهن، وأكبرهن صدقة، وهي واقفة الخاتونية الجوانية بمحلة حجر الذهب، وخانقاه خاتون ظاهر باب النصر في أول الشرف القبلي على بانياس، ودفنت بتربتها في سفح قاسيون، قريبا من قباب السركسية، وإلى جنبها دار الحديث الأشرفية والأتابكية، ولها أوقاف كثيرة غير ذلك، وأما الخاتونية البرانية، التي على القنوات بمحلة صنعاء الشام، ويعرف

ذلك المكان التي هي فيه، بتل الثعالب، فهي من إنشاء الست زمرد خاتون بنت جاولى، وهي أخت الملك دقماق لأمه، وكانت زوجة زنكي والد نور الدين محمود، صاحب حلب، وقد ماتت قبل هذا الحين، كما تقدمت وفاتها .

الحافظ الكبير أبو موسي المديني

محمد بن عمر محمد الأصبهاني الحافظ، الموسوي المديني، أحد حفاظ الدنيا الرحالين الجوالين، له مصنفات عديدة، وشرح أحاديث كثيرة، رحمه الله .

السهيلي أبو القاسم

وأبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب أبي عمر بن أبي الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح ــ هو الداخل إلى الأندلس ــ الخثعمي السهيلي، حكى القاضي ابن خلكان : أنه أملى عليه نسبه كذلك، قال: والسهيلي نسبة إلى قرية، بالقرب من مالقة اسمها سهيل لأنه لا يرى سهيل النجم في شيء من تلك البلاد إلا منها، من رأس جبل شاهق عندها، وهي من قرى المغرب، ولد السهيلي سنة ثمان وخمسمائة، وقرأ القراءات، واشتغل، وحصل حتى برع، وساد أهل زمانه، بقوة القريحة، وجودة الذهن، وحسن التصنيف، وذلك من فضل الله تعالى ورحمته، وكان ضريرا مع ذلك، له (الروض الأنف) يذكر فيه نكتا حسنة على السيرة لم يسبق إلى شيء منها، أو إلى أكثرها، وله كتاب " الأعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام " وكتاب " نتائج الفكر " ، و (مسألة في الفرائض) بديعة، و (مسألة في السر في كون الدجال أعور) ، وأشياء فريدة كثيرة بديعة مفيدة، وله أشعار حسنة، وكان عفيفا فقيرا، وقد حصل له مال كثير، في آخر عمره من صاحب مراكش مات يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان من هذه السنة، وله قصيدة كان يدعو الله بها، ويرتجي الإجابة ببركتها وهي قوله :

يا مَنْ يَرى ما في الضميرِ ويسمعُ ... أنتَ المعدُّ لكلِّ ما يتوقعُ
يا مَنْ يُرجّى للشدائدِ كلِّها ... يا مَنْ إليه المشْتَكى والمفزعُ
يا مَنْ خزائنُ رزقِه في قولِ كُنْ ... امْنُنْ فإنّ الخيرَ عندك أجمعُ
مالي سوى فقري إليكِ وسيلةٌ ... فبالافتقارِ إليك فَقْرِي أدفعُ
مالي سوى قَرْعِي لبابِكَ حيلةٌ ... فَلَئِنْ رُددْتُ فأي بابٍ أقرعُ؟
ومَنْ ذا الذي أدعُو وأهتفُ باسمه ... إنْ كان فَضْلُك عن فقيرِكَ يمنعُ؟
حاشا لمجدِك أنْ تُقنِّطَ عاصياً ... الفضلُ أجزلُ والمواهبُ أوسعُ

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة

في ثاني ربيع الأول منها : كان دخول الناصر بدمشق بعد عافيته، وزار القاضي الفاضل، واستشاره، وكان لا يقطع أمرا دونه، وقرر في نيابة دمشق، ولده الأفضل علي، ونزل أبو بكر

العادل عن حلب لصهره زوج ابنته الملك الظاهر غازي بن الناصر، وأرسل السلطان أخاه العادل صحبة ولده عماد الدين عثمان، الملك العزيز، على ملك مصر، ويكون الملك العادل أتابكه، وله إقطاع كبير جدا، وعزل عن نيابتها تقي الدين عمر، فعزم على الدخول إلى إفريقية، فلم يزل الناصر يتلطف به، ويترفق له، حتى أقبل بجنوده نحوه، فأكرمه، واحترمه، وأقطعه حماة، وبلادا كثيرة معها، وقد كانت له قبل ذلك، وزاد له على ذلك مدينة ميافارقين، وامتدحه العماد بقصيدة ذكرها في " الروضتين " .

وفيها : هادن قومص طرابلس السلطان، وصالحه، وصافاه، حتى كان يقاتل ملوك الفرنج أشد القتال، وسبى منهم النساء والصبيان، وكاد أن يسلم، ولكن صده السلطان، فمات على الكفر والطغيان، وكانت مصالحته من أقوى أسباب النصر على الفرنج، ومن أشد ما دخل عليهم في دينهم. قال العماد الكاتب: وأجمع المنجمون على خراب العالم في شعبان لأن الكواكب الستة تجتمع فيه، في الميزان، فيكون طوفان الريح في سائر البلدان، وذكر أن ناسا من الجهلة تأهبوا لذلك بحفر مغارات في الجبال، ومدخلات، وأسراب في الأرض، خوفا من ذلك، قال: فلما كانت تلك الليلة، التي أشاروا إليها، وأجمعوا عليها، لم ير ليلة مثلها، في سكونها، وركودها، وهدوئها، وقد ذكر ذلك غير واحد من الناس، في سائر أقطار الأرض، وقد نظم الشعراء في تكذيب المنجمين في هذه الواقعة، وغريبها أشعارا كثيرة حسنة منها :

مَزِّقِ التقويمَ والزيجَ[1] فقد بانَ الخفا ... إنّما التقويمُ والزيـجُ هبـاءٌ وهـوا
ويثورُ الرملُ حتى يمتلي منه الصفا ... ويعمُّ الأرضَ رجفٌ وخرابٌ وبلـى
قلتُ للسبعة : إبرامٌ ومنـعٌ وعطا ... ومتى ينـزلْنَ في الميزان يستولي الهوا
ويصيرُ القاعُ كالقفِّ والطود العدا ... وحكمتم فأبى الحاكمُ إلا ما يشـا
ما أتى الشرعُ ولا جاءتْ بهذا الأنبيا ... فبقيتُم ضحكةً يضحكُ منها العلمـا
حَسْبُكم خزْياً وَعَاراً ما يقولُ الشعرا ... ما الذي أطمعَكم في الحكمِ إلا الأمرا
ليتَ إذ لم يحسنوا في الدين طَغَامًا أسـا ... فعلى اصطرلابِ بطليموسَ والزيج العفا

وعليه الخزيُ ما حادتْ على الأرضِ السَّمَا

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش

بري بن عبد الجبار بن بري المقدسي، ثم المصري، أحد أئمة اللغة، والنحو، في زمانه، وكان عليه تعرض الرسائل، بعد ابن بابشاد، وكان كثير الاطلاع عالما بهذا الشأن، مطرحا للتكليف في كلامه، لا يلتفت، ولا يعرج على الإعراب فيه إذا خاطب الناس، وله التصانيف المفيدة، توفي وقد جاوز الثمانين بثلاث سنين، رحمه الله تعالى، والله سبحانه أعلم .

---

(١) الزيج : جدول يستخدم في علم لفلك .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

فيها : كانت وقعة حطين، التي كانت أمارة، وتقدمة، وإشارة، لفتح بيت المقدس، واستنقاذه من أيدي الكفرة. قال ابن الأثير: كان أول يوم منها يوم السبت، وكان يوم النيروز، وذلك أول سنة الفرس، واتفق أن ذلك كان أول سنة الروم، وهو اليوم الذي نزلت فيه الشمس برج الحمل، وكذلك كان القمر في برج الحمل أيضا، وهذا شيء يعد وقوع مثله، وبرز السلطان من دمشق يوم السبت، مستهل محرم، في جيشه، فسار إلى رأس الماء، فنـــزل ولده الأفضل هناك، في طائفة من الجيش، وتقدم السلطان ببقية الجيش إلى بصرى، فخيم على قصر أبي سلام، ينتظر قدوم الحجاج، وفيهم أخته ست الشام، وابنها حسام الدين محمد بن عمر بن لاشين، ليسلموا من معرة برنس الكرك، فلما جاز الحجيج سالمين، سار السلطان، فنـــزل على الكرك، وقطع ما حوله من الأشجار، ورعى الزرع، وأكلوا الثمار، وجاءت العساكر المصرية، وتوافت الجيوش الشرقية، فنـــزلوا عند ابن السلطان على رأس الماء، وبعث الأفضل سرية نحو بلاد الفرنج، فقتلت، وغنمت، وسلمت، ورجعت، فبشر بمقدمات الفتح، والنصر، وجاء السلطان بجحافله، فالتفت عليه جميع العساكر، فرتب الجيوش، وسار قاصدا بلاد الساحل، وكان جملة من معه من المقاتلة، اثني عشر ألفا غير المتطوعة، فتسامعت الفرنج بقدومه، فاجتمعوا كلهم، وتصالحوا فيما بينهم، وصالح قومص طرابلس وبرنس الكرك الفاجر، وجاءوا بحدهم ، وحديدهم، واستصحبوا معهم صليب الصلبوت، يحمله منهم عباد الطاغوت، وضلال الناسوت، في خلق لا يعلم عدتهم إلا الله عزّ وجلّ، يقال : كانوا خمسين ألفا، وقيل : ثلاثا وستين ألفا، وقد خوفهم صاحب طرابلس من المسلمين، فاعترض عليه البرنس صاحب الكرك، فقال له: لا أشك أنك تحب المسلمين، وتخوفنا كثرتهم، وسترى غب ما أقول لك. فتقدموا نحو المسلمين، وأقبل السلطان، ففتح طبرية، وتقوى بما فيها من الأطعمة، والأمتعة، وغير ذلك، وتحصنت منه القلعة، فلم يعبأ بها، وحاز البحيرة في حوزته، ومنع الله الكفرة أن يصلوا منها إلى قطرة، حتى صاروا إلى عطش عظيم فبرز السلطان، إلى سطح الجبل الغربي، من طبرية عند قرية يقال لها : حطين التي يقال : إن فيها قبر شعيب عليه الصلاة والسلام، وجاء العدو المخذول، وكان فيهم صاحب عكا، وكفرنكا، وصاحب الناصرة، وصاحب صور، وغير ذلك من جميع ملوكهم، فتواجه الفريقان، وتقابل الجيشان، وأسفر وجه الإيمان، واغبر وأقتم وأظلم وجه الكفر والطغيان، ودارت دائرة السوء، على عبدة الصلبان، وذلك عشية يوم الجمعة، فبات الناس على مصافهم، وأصبح صباح يوم السبت، الذي كان يوما عسيرا على أهل الأحد، وذلك لخمس بقين من ربيع الآخر، فطلعت الشمس على وجوه الفرنج، واشتد الحر، وقوي بهم العطش، وكان تحت أقدام خيولهم، حشيش قد صار هشيما، وكان ذلك عليهم مشئوما، فأمر السلطان النفاطة، أن يرموه بالنفط، فرموه، فتأجج نارا، تحت سنابك خيولهم، فاجتمع عليهم حر

الشمس، وحر العطش، وحر النار، وحر السلاح، وحر رشق النبال، وتبارز الشجعان، ثم أمر السلطان بالتكبير، والحملة الصادقة، فحملوا، وكان النصر من الله عز وجل، فمنحهم الله أكتافهم، فقتل منهم ثلاثون ألفا فى ذلك اليوم، وأسر ثلاثون ألفا من شجعانهم، وفرسانهم، وكان في جملة من أسر جميع ملوكهم، سوى قومس طرابلس، فإنه انهزم في أول المعركة، واستلبهم السلطان صليبهم الأعظم، وهو الذين يزعمون أنه صلب عليه المصلوب، وقد غلفوه بالذهب، واللآلئ، والجواهر النفيسة، ولم يسمع بمثل هذا اليوم في عزّ الإسلام وأهله، ودمغ الباطل وأهله حتى ذكر أن بعض الفلاحين رآه بعضهم يقود نيفا وثلاثين أسيرا من الفرنج قد ربطهم بطنب خيمة، وباع بعضهم أسيرا بنعل ليلبسها في رحله، وجرت أمور لم يسمع بمثلها، إلا في زمن الصحابة والتابعين، فلله الحمد دائما، كثيرا طيبا مباركا .

فلما تمت هذه الوقعة ووضعت الحرب أوزارها أمر السلطان بضرب مخيم عظيم، وجلس فيه على سرير المملكة، وعن يمينه أسرة، وعن يساره مثلها، وجيء بالأسارى تتهادى قيودها، فأمر بضرب أعناق جماعة من مقدمي الداوية — والأسارى بين يديه — صبرا، ولم يترك أحدا منهم ممن كان يذكر الناس عنه شرا، ثم جيء بملوكهم، فأجلسوا عن يمينه، ويساره على مراتبهم، فأجلس ملكهم الكبير عن يمينه، وأجلس أرياط برنس الكرك، وبقيتهم عن شماله، ثم جيء إلى السلطان بشراب، من الجلاب مثلوجا، فشرب، ثم ناول الملك، فشرب، ثم ناول أرياط صاحب الكرك، فغضب السلطان، وقال له: إنما ناولتك، ولم آذن لك أن تسقيه، هذا لا عهد له عندي، ثم تحول السلطان إلى خيمة، داخل تلك الخيمة، واستدعي بأرياط صاحب الكرك، فلما أوقف بين يديه، قام إليه بالسيف، ودعاه إلى الإسلام، فامتنع، فقال له: نعم، أنا أنوب عن رسول الله صلي الله عليه وسلم، في الانتصار لأمته. ثم قتله، وأرسل برأسه إلى الملوك، وهم في الخيمة، وقال: إن هذا تعرض لسب رسول الله صلي الله عليه وسلم. ثم قتل السلطان جميع من كان من الأسارى من الداوية والاستثارية صبرا، وأراح المسلمين من هذين الجنسين الخبيثين، ولم يسلم ممن عرض عليه الإسلام إلا القليل، فيقال : إنه بلغت القتلى ثلاثين ألفا، والأسارى كذلك كانوا ثلاثين ألفا، وكان جملة جيشهم ثلاثة وستين ألفا، وكان من سلم مع قلتهم وهرب أكثرهم جرحى، فماتوا ببلادهم، وممن مات كذلك، قومس طرابلس، فإنه انهزم جريحا، فمات بها، بعد مرجعه، ثم أرسل السلطان برءوس أعيان الفرنج، ومن لم يقتل من رءوسهم، وبصليب الصلبوت صحبة القاضي بن أبي عصرون، إلى دمشق، ليودعوا في قلعتها، فدخل بالصليب منكوسا، وكان يوما مشهودا .

ثم سار السلطان إلى قلعة طبرية، فأخذها، وقد كانت طبرية تقاسم بلاد حوران، والبلقاء، وما حولها من الجولان، وتلك الأراضي كلها بالنصف، فأراح الله المسلمين من تلك المقاسمة، سار السلطان إلى حطين، فزار قبر شعيب، ثم ارتفع منه إلى إقليم الأردن، فتسلم تلك

كلها، وهي قري كثيرة، كبار وصغار، ثم سار إلى عكا، فنـــزل عليها يوم الأربعاء سلخ ربيع الآخر، فافتتحها صلحا، يوم الجمعة، وأخذ ما كان بها من حواصل الملوك، وأموالهم، وذخائرهم، ومتاجر، وغيرها، واستنقذ من كان بها من أسرى المسلمين، فوجد فيها أربعة آلاف أسير، ففرج الله عنهم، وأمر بإقامة الجمعة بها، وكانت أول جمعة أقيمت بالساحل، بعد أخذه الفرنج نحوا من سبعين سنة. ثم سار منها إلى صيدا، وبيروت، وتلك النواحي من السواحل، يأخذها بلدا بلدا، لخلوها من المقاتلة، والملوك، ثم رجع سائرا نحو غزة، وعسقلان، ونابلس، وبيسان، وأراضي الغور، فملك ذلك كله، واستناب على نابلس أخيه حسام الدين عمر بن محمد بن لاشين، وهو الذي افتتحها، وكان جملة ما افتتحه السلطان في هذه المدة القريبة خمسين بلدا كبارا، كل بلد له مقاتلة، وقلعة، ومنعة، وغنم الجيش والمسلمون، من هذه الأماكن، شيئا كثيرا، وسبوا خلقا .

ثم إن السلطان أمر جيوشه أن ترتع في هذه الأماكن، مدة شهور، ليستريحوا، وتحموا أنفسهم، وخيولهم، لفتح بيت المقدس، وطار في الناس أن السلطان عزم على فتح بيت المقدس، فقصده العلماء، والصالحون، تطوعا، وجاءوا إليه، ووصل أخوه العادل بعد وقعة حطين، وفتح عكا، ففتح بنفسه حصونا كثيرة، فاجتمع من عباد الله، ومن الجيوش، شيء كثير جدا، فعند ذلك، قصد السلطان القدس، بمن معه كما سيأتي. وقد امتدحه الشعراء، بسبب وقعة حطين، فقالوا، وأكثروا، وكتب إليه القاضي الفاضل، من دمشق — وهو مقيم بها لمرض اعتراه — "ليهن المولى أن الله أقام به الدين القيم، وكتب المملوك هذه الخدمة والرءوس لم ترفع من سجودها، والدموع لم تمسح من خدودها، وكلما ذكر المملوك أن البيع تعود مساجد، والمكان الذي كان يقال فيه إن الله ثالث ثلاثة، يقال فيه اليوم : إنه الواحد، جدد لله شكرا، تارة يفيض من لسانه، وتارة يفيض من جفنه، سرورا بتوحيد الله تعالى الملك الحق المبين، وأن يقال : محمد رسول الله الصادق الأمين، وجزى الله يوسف خيرا، عن إخراجه من سجنه، والمماليك ينتظرون المولى، وكل من أراد أن يدخل الحمام بدمشق، قد عزم على دخول حمام طبرية .

تِلْكَ المكارمُ لا قعْبَانَ من لبنِ ... وذلك السيفُ لا سيفَ بنِ ذي يَزَنِ

ثم قال: وللألسنة بعد هذا الفتح، تسبيح طويل، وقول جميل، جليل ".

ذكر فتح بيت المقدس في هذه السنة

"و استنقاذه من أيدي النصارى، بعد أن استحوذوا عليه، مدة ثنتين وتسعين سنة" .

لما افتتح السلطان تلك الأماكن المذكورة فيما تقدم أمر العساكر، فاجتمعت، ثم سار نحو بيت المقدس، فنـــزل غربي بيت المقدس، في الخامس عشر من رجب من هذه السنة — أعني سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة — فوجد البلد قد حصنت غاية التحصين، وكانوا ستين ألف

مقاتل دون بيت المقدس، أو يزيدون، وكان صاحب القدس يومئذ رجلا يقال له : بالبان بن بازران، ومعه من سلم من وقعة حطين، يوم التقى الجمعان من الداوية، والاستبارية أتباع الشيطان، وعبدة الصلبان، فأقام السلطان بمنـــزله المذكور خمسة أيام، وسلم إلى كل طائفة من الجيش ناحية من السور، وأبراجه، ثم تحول السلطان إلى ناحية الشام، لأنه رآها أوسع للمجال، والجلاد، والنـــزال، وقاتل الفرنج دون البلد قتالا هائلا، وبذلوا أنفسهم، وأموالهم، في نصرة دينهم، وقمامتهم استشهد في الحصار بعض أمراء المسلمين، فحنق عند ذلك كثير من الأمراء والصالحين، واجتهدوا في القتال، ونصب المجانيق، والعرادات [1] على البلد، وغنت السيوف، والرماح الخطيات، والعيون تنظر إلى الصلبان منصوبة فوق الجدران، وفوق قبة الصخرة صليب كبير، فزاد ذلك أهل الإيمان حنقا، وشدة التشمير، وكان ذلك يوما عسيرا، على الكافرين غير يسير، فبادر السلطان بأصحابه إلى الزاوية الشرقية الشمالية من السور، فنقبها، وعلقها، وحشاها، وأحرقها، فسقط ذلك الجانب، وخر البرج برمته، فإذا هو واجب [2] ،فلما شاهد الفرنج ذلك الحادث الفظيع، والخطب المؤلم الوجيع، قصد أكابرهم السلطان، وتشفعوا إليه أن يعطيهم الأمان، فامتنع من ذلك، وقال: لا أفتحها إلا عنوة، كما افتتحتموها أنتم عنوة، ولا أترك بها أحدا من النصارى، إلا قتلته، كما قتلتم أنتم من كان بها من المسلمين، فطلب صاحبها بالبان بن بازران الأمان، ليحضر عنده، فأمنه، فلما حضر، ترفق للسلطان، وذَلّ ذُلاً عظيما، وتشفع إليه بكل ما أمكنه، فلم يجبه إلى الأمان لهم، فقالوا: إن لم تعطنا الأمان، رجعنا، فقتلنا كل أسير بأيدينا ـــ وكان قريبا من أربعة آلاف ـــ وقتلنا ذرارينا، وأولادنا، ونساءنا، وخربنا الدور، والأماكن الحسنة، وأحرقنا المتاع، وأتلفنا ما بأيدينا من الأموال، وهدمنا قبة الصخرة، وحرقنا ما نقدر عليه، ولا نبقي ممكنا في إتلاف ما نقدر عليه، وبعد ذلك نخرج، فنقاتل قتال الموت، ولا خير في حياتنا بعد ذلك، فلا يقتل واحد منا، حتى يقتل أعدادا منكم، فماذا ترتجي بعد هذا من الخير؟ .

فلما سمع السلطان ذلك، أجاب إلى الصلح، وأناب، على أن يبذل كل رجل منهم، عن نفسه عشرة دنانير، وعن المرأة خمسة دنانير، وعن كل صغير وصغيرة، دينارين، ومن عجز عن ذلك، كان أسيرا للمسلمين، وأن تكون الغلات، والأسلحة، والدور للمسلمين، وأنهم يتحولون منها إلى مأمنهم، وهي مدينة صور. فكتب الصلح بذلك، وأن من لم يبذل ما شرط عليه، إلى أربعين يوما، فهو أسير، فكان جملة من أسر بهذا الشرط: ستة عشر ألف أسير، من رجال، ونساء، وولدان، ودخل السلطان، والمسلمون، البلد يوم الجمعة، قبل وقت الصلاة بقليل، وذلك يوم السابع والعشرين من رجب. قال العماد: وهي ليلة الإسراء برسول الله صلي الله عليه

---

(١) بعض آلات الحصار .

(٢) الواجب : سقط والهد .

وسلم، من المسجد الحرام، إلى المسجد الأقصى. قال أبو شامة: وهو أحد الأقوال في الإسراء، ولم يتفق للمسلمين صلاة الجمعة يومئذ، خلافا لمن زعم أنها أقيمت يومئذ، وأن السلطان خطب بنفسه بالسواد، والصحيح أن الجمعة لم يتمكنوا من إقامتها يومئذ لضيق الوقت، وإنما أقيمت في الجمعة المقبلة، وكان الخطيب محيي الدين بن محمد بن علي القرشي بن الزكي،كما سيأتي قريبا.

ولكن نظفوا المسجد الأقصى مما كان فيه من الصلبان، والرهبان، والخنازير، وخربت دور الداوية، وكانوا قد بنوها غربي المحراب الكبير، واتخذوا المحراب مشتا لعنهم الله، فنظف من ذلك كله، وأعيد إلى ما كان عليه في الأيام الإسلامية، وغسلت الصخرة بالماء الطاهر، وأعيد غسلها بماء الورد، والمسك الفاخر، وأبرزت للناظرين، وقد كانت مستورة، مخبوءة عن الزائرين، ووضع الصليب عن قبتها، وعادت إلى حرمتها، وقد كان الفرنج، قلعوا منها قطعا، فباعوها من أهل البحور الجوانية، بزنتها ذهبا، فتعذر استعادة ما قطع منها .

ثم قبض من الفرنج، ما كانوا بذلوه عن أنفسهم، من الأموال، وأطلق السلطان خلقا منهم بنات الملوك، بمن معهن من النساء، والصبيان، والرجال، ووقعت المسامحة في كثير منهم، وشفع في أناس كثير، فعفا عنهم، وفرق السلطان جميع ما قبض منهم، من الذهب في العسكر، ولم يأخذ منه شيئا، مما يقتنى، ويدخر، وكان رحمه الله حليما كريما مقداما شجاعا رحيما .

أول جمعة أقيمت ببيت المقدس بعد فتحه

لما تطهر بيت المقدس مما كان فيه، من الصلبان، والنواقيس، والرهبان، والقساقس، ودخله أهل الايمان، نودي بالأذان، وقرئ القرآن، ووحد الرحمن، كان أول جمعة، أقيمت في اليوم الرابع من شعبان، بعد يوم الفتح بثمان، فنصب المنبر إلى جانب المحراب، وبسطت البسط، وعلقت القناديل، وتلي التنـــزيل، وجاء الحق، وبطلت الأباطيل، وصفت السجادات، وكثرت السجدات، وتنوعت العبادات، وارتفعت الدعوات، ونزلت البركات، وانجلت الكربات، وأقيمت الصلوات، وأذن المؤذنون، وخرج القسيسون،وزال البوس، وطابت النفوس، وأقبلت السعود، وأدبرت النحوس، وعُبِدَ اللهُ الأحدُ الصمدُ الذي ﴿لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص : ٣ : ٤] وكبره الراكع والساجد، والقائم، والقاعد، وامتلأ الجامع، وسالت لرقة القلوب المدامع، ولما أذن المؤذنون للصلاة، قبل الزوال، كادت القلوب تطير من الفرح في ذلك الحال، ولم يكن عين خطيب، فبرز السلطان المرسوم الصلاحي، وهو في قبة الصخرة، أن يكون القاضي محيي الدين بن الزكي اليوم خطيبا، فلبس الخلعة السوداء، وخطب للناس خطبة سنية، فصيحة، بليغة، ذكر فيها شرف البيت المقدس، وما ورد فيه من الفضائل، والترغيبات، وما فيه من الدلائل. وقد أورد الشيخ أبو شامة الخطبة في " الروضتين"، بطولها، وكان أول ما قال : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٤٥] ثم أورد تحميدات القرآن كلها، ثم قال:(الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره،

ومصرف الأمور بأمره، ومزيد النعم بشكره، ومستدرج الكافرين بمكره، الذي قدر الأيام دولا بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، وأفاض على العباد من طله وهطله الذي أظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلا يمانع، والظاهر على خليقته فلا ينازع، والآمر بما يشاء فلا يراجع، والحاكم بما يريد فلا يدافع، أحمده على إظفاره، وإظهاره، وإعزازه لأوليائه، ونصرة أنصاره، ومطهر بيت المقدس من أدناس الشرك، وأوضاره حمد من استشعر الحمد باطن سره، وظاهر أجهاره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأحد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه، وأرضى به ربه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، رافع الشكر، وداحض الشرك، ورافض الإفك، الذي أسري به من المسجد الحرام، إلى هذا المسجد الأقصى، وعرج به منه إلى السموات العلي إلى سدرة المنتهي، ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ مَا زَاغَ الْبَصَرُ ، وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم : ١٥ - ١٧] ﷺ وعلى خليفته الصديق، السابق إلى الإيمان، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذي النورين جامع القرآن، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مزلزل الشرك، ومكسر الأصنام، وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان) .

ثم ذكر الموعظة، وهي مشتملة على تغبيط الحاضرين، بما يسره الله على أيديهم، من فتح بيت المقدس، الذي من شأنه كذا وكذا، فذكر فضائله، ومآثره، وأنه أول القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه، ولا تعقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه، وإليه أسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام، وصلى فيه بالأنبياء والرسل الكرام ومنه كان المعراج إلى السموات، ثم عاد إليه، ثم سار منه إلى المسجد الحرام، على البراق، وهو أرض المحشر، والمنشر يوم التلاق، وهو مقر الأنبياء، ومقصد الأولياء، وقد أسس على التقوى من أول يوم .

قلت: ويقال: إن أول من أسسه، يعقوب عليه السلام، بعد أن بنى الخليل المسجد الحرام، بأربعين سنة، كما جاء في الصحيحين، ثم جدد بناءه سليمان بن داود عليهما السلام، كما ثبت فيه الحديث بالمسند والسنن، وصحيح ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، وغيرهم، وسأل سليمان عليه السلام الله، عند فراغه منه، خلالا ثلاثا، حكما يصادف حكمه وملكا لا ينبغي لأحد من بعده وأنه لا يأتي أحد هذا المسجد لا ينهزه إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

ثم ذكر تمام الخطبتين، ثم دعا للخليفة الناصر العباسي، ثم دعا للسلطان الناصر صلاح الدين. وبعد الصلاة، جلس الشيخ زين الدين أبو الحسن بن علي نجا المصري على كرسي الوعظ، بإذن السلطان، فوعظ الناس، واستمر القاضي ابن الزكي، يخطب بالناس في أيام الجمع،

أربع جمعات، ثم قرر السلطان للقدس خطيبا مستقرا، وأرسل إلى حلب، فاستحضر المنبر، الذي كان الملك العادل نور الدين الشهيد قد استعمله لبيت المقدس، وقد كان يؤمل أن يكون فتحه على يديه، فما كان إلا على يدي بعض أتباعه صلاح الدين، بعد وفاته .

نكتة غريبة

قال أبو شامة في " الروضتين " : وقد تكلم شيخنا أبو الحسن على بن محمد السخاوي، في تفسيره الأول، فقال: وقع في تفسير أبي الحكم الأندلسي — يعني ابن برجان — في أول سورة الروم، أخبار عن فتح بيت المقدس، وأنه ينــزع من أيدي النصارى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة. قال السخاوي: ولم أره أخذ ذلك من علم الحروف، وإنما أخذه فيما زعم من قوله: ﴿ آلم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾ [الروم:١-٤] فبنى الأمر على التاريخ، كما يفعل المنجمون، فذكر : أنهم يغلبون في سنة كذا وكذا، ويغلبون في سنة كذا وكذا على ما تقتضيه دوائر التقدير، ثم قال: وهذه نجابة وافقت إصابة، إن صح، قال : ذلك قبل وقوعه، وكان في كتابه قبل حدوثه، قال: وليس هذا من قبيل علم الحروف، ولا من باب الكرامات، والمكاشفات، ولا ينال في حساب. قال: وقد ذكر في تفسير سورة القدر، أنه لو علم الوقت الذي نزل فيه القرآن، لعلم الوقت الذي يرفع فيه .

قلت: ابن برجان ذكر هذا في تفسيره، في حدود سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة، ويقال : إن الملك نور الدين، أوقف على ذلك، فطمع أن يعيش إلى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، لأن مولده في سنة إحدى عشر وخمسمائة، فتهيأ لأسباب ذلك، حتى إنه أعد منبرا عظيما لبيت المقدس، إذا فتحه، والله أعلم .

وأما الصخرة المعظمة، فإن السلطان أزال ما حولها من المنكرات، والصور، والصلبان، وطهرها بعد ما كانت جيفة، وأظهرها بعد ما كانت خفية، مستورة غير مرئية، وأمر الفقيه عيسي الهكاري، أن يعمل حولها شبابيك من حديد، ورتب لها إماما راتبا، وقف عليه رزقا جيدا، وكذلك إمام الأقصى، وعمل للشافعية مدرسة، يقال لها : الصلاحية، والناصرية أيضا، وكان موضعها كنيسة على قبر حنة أم مريم، ووقف على الصوفية رباطا كان للتبرك إلى جنب القمامة [1] ، وأجرى على الفقهاء والفقراء الجوامك، وأرصد الختم، والربعات، في أرجاء المسجد الأقصي، والصخرة، ليقرأ فيها المقيمون، والزائرون، وتنافس بنو أيوب، فيما يفعلونه ببيت المقدس، وغيره من الخيرات، إلى كل أحد، وعزم السلطان على هدم القمامة ، وأن يجعلها دكا، لتنحسم مادة النصارى من بيت المقدس، فقيل له : إنهم لا يتركون الحج إلى هذه البقعة ولو كانت قاعا صفصفا، وقد فتح هذه البلد قبلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وترك هذه

---

(١) كنيسة القيامة .

الكنيسة بأيديهم، ولك في ذلك أسوة. فأعرض عنها، وتركها على حالتها، تأسيا بعمر رضي الله عنه، ولم يترك من النصارى فيها سوى أربعة يخدمونها، وحال بين النصارى وبينها، وهدم المقابر التي كانت لهم عند باب الرحمة، وعفا آثارها، وهدم ما كان هناك من القباب .

وأما أسارى المسلمين، الذين كانوا بالقدس، فإنه أطلقهم جميعهم، وأحسن إليهم، وأطلق لهم إعطاءات سنية، وكساهم ، وانطلق كل منهم إلى وطنه وعاد إلى أهله ومسكنه، فلله الحمد على نعمه ومننه .

فصل

فلما فرغ السلطان صلاح الدين من القدس الشريف، انفصل عنها في الخامس والعشرين من شعبان، قاصدا مدينة صور بالساحل، وكان فتحها قد تأخر، وقد استحوذ عليها، بعد وقعة حطين، رجل من تجار الفرنج، يقال له : المركيس، فحصنها، وضبط أمرها، وحفر حولها خندقا من البحر إلى البحر، فجاء السلطان، فحاصرها مدة، ودعا بالأسطول من الديار المصرية في البحر، فأحاط بها برا وبحرا، فعدت الفرنج في بعض الليالي، على خمس شواني من أسطول المسلمين، فملكتها، فأصبح المسلمون واجمين، حزنا، وتأسفا، وقد دخل عليهم فصل البرد، وقلت الأزواد، وكثرت الجراحات، وكلّ الأمراء من المحاصرات، فسألوا السلطان أن ينصرف بهم إلى دمشق، حتى يستريحوا، ثم يعودوا إليها بعد هذا الحين، فأجابهم إلى ذلك، على تمنع منه، ثم توجه بهم نحو دمشق، واجتاز في طريقه على عكا، وتفرقت العساكر إلى بلادها. وأما السلطان، فإنه لما وصل إلى عكا، نزل بقلعتها، وأسكن ولده الأفضل برج الداوية، وولى نيابتها عز الدين حرديل، وقد أشار بعضهم على السلطان، بتخريب مدينة عكا، خوفا من عود الفرنج إليها، فكاد، ولم يفعل، وليته فعل، بل وكل بعمارتها، وتجديد محاسنها، بهاء الدين قراقوش التقوي، ووقف دار الاستشارية بصفين، على الفقهاء، والفقراء، وجعل دار الأسقف مارستانا، ووقف على ذلك كله أوقافا دارة، وولى نظر ذلك، إلى قاضيها جمال الدين ابن الشيخ أبي النجيب .

ولما فرغ من هذه الأشياء، عاد إلى دمشق، مؤيدا، منصورا، وأرسل إليه الملوك بالتهاني، والتحف، والهدايا، من سائر الأقطار، والأمصار، وكتب الخليفة إلى السلطان، يعتب عليه في أشياء، منها أنه بعث إليه في بشارة الفتح، بوقعة حطين، شابا بغداديا، كان وضيعا عندهم، لا قدر له، ولا قيمة، وأرسل بفتح القدس مع نجاب، ولقب نفسه بالناصر مضاهاة للخليفة. فتلقى ذلك بالبشر، واللطف، والسمع، والطاعة، وأرسل يعتذر مما وقع. وقال: الحرب كانت شغلته عن التروي، في كثير من ذلك، وأما لقبه بالناصر : فهو من أيام الخليفة المستضيء، ومع هذا، فمهما لقبني أمير المؤمنين، فلا أعدل عنه، وتأدب مع الخليفة، غاية الأدب، مع غناه عنه .

وفيها : كانت وقعة عظيمة، ببلاد الهند، بين الملك شهاب الدين الغوري، صاحب غزنة، وبين ملك الهند الكبير، فأقبلت الهنود، في عدد كثير، من الجنود، ومعهم أربعة عشر فيلا،

فالتقوا، واقتتلوا، قتالا شديدا، فانهزمت ميمنة المسلمين ومسيرتهم، وقيل : للملك أنج بنفسك، فما زاده ذلك إلا إقداما، فحمل على الفيلة، فجرح بعضها — وجرح الفيل لا يندمل — فرماه بعض الفيالة بحربة في ساعده، فخرجت من الجانب الآخر، فخر صريعا، فحملت عليه الهنود ليأخذوه، فحاحف عنه أصحابه، فاقتتلوا عنده قتالا شديدا، وجرت حرب عظيمة، لم يسمع بمثلها بموقف، فغلب المسلمون الهنود، وخلصوا صاحبهم، وحملوه على كواهلهم، في محفة عشرين فرسخا، وقد نزفه الدم، فلما تراجع إليه جيشه، أخذ في تأنيب الأمراء، وحلف ليأكلن كل أمير عليق فرسه، وما أدخلهم غزنة إلا مشاة .

وفيها : ولدت امرأة من سواد بغداد، بنتا لها أسنان. وفيها : قتل الخليفة الناصر أستاذ داره أبا الفضل بن الصاحب، وكان قد استحوذ على الأمور، ولم يبق للخليفة معه كلمة تطاع، ومع هذا كان عفيفا عن الأموال، جيد السيرة، فأخذ الخليفة منه شيئا كثيرا من الحواصل، والأموال. وفيها : استوزر الخليفة أبا المظفر جلال الدين، ومشى أهل الدولة في ركابه، حتى قاضي القضاة ابن الدامغاني، وقد كان أبو يونس هذا شاهدا عند القاضي، وكان يقول — وهو يمشي في ركابه —: لعن الله طول العمر، فمات القاضي في آخر هذه السنة .

وفيها توفي من الأعيان :

الشيخ عبد المغيث بن زهير الحربي

كان من صلحاء الحنابلة، وكان يزار، وله مصنف في فضل يزيد بن معاوية، أتى فيه بالغرائب، والعجائب، وقد رد عليه أبو الفرج بن الجوزي، فأجاد، وأصاب، ومن أحسن ما اتفق لعبد المغيث هذا، أن بعض الخلفاء — وأظنه الناصر — جاءه زائرا مستخفيا، فعرفه الشيخ عبد المغيث، ولم يعلمه بأنه قد عرفه، فسأله الخليفة عن يزيد، أيلعن، أم لا؟ فقال: لا أسوغ لعنه، لأني لو فتحت هذا الباب، لأفضى الناس إلى لعن خليفتنا. فقال الخليفة: ولم؟ قال: لأنه يفعل أشياء منكرة كثيرة، منها كذا وكذا. ثم شرع يعدد على الخليفة أفعاله القبيحة، وما يقع منه من المنكر، لينـزجر عنها، فتركه الخليفة، وخرج من عنده، وقد أثر كلامه فيه، وانتفع به. مات في المحرم من هذه السنة. وفيها توفي الشيخ .

علي بن خطاب بن خلف

العابد الناسك، أحد الزهاد، وذوي الكرامات، وكان مقامه بجزيرة ابن عمر. قال ابن الأثير في الكامل: ولم أر مثله، في حسن خلقه وسمته، وكراماته، وعبادته .

الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن مقدم

أحد نواب صلاح الدين، لما افتتح الناصر بيت المقدس، أحرم جماعة في زمن الحج منه إلى المسجد الحرام، وكان ابن مقدم أمير الحاج في تلك السنة، فلما وقف بعرفة، ضرب الدبادب،

ونشر الألوية، وأظهر عز السلطان صلاح الدين وعظمته، فغضب طاشتكين أمير الحاج من جهة الخليفة، فزجره عن ذلك، فلم يسمع، فاقتتلا، فجرح ابن مقدم، ومات في اليوم الثاني بمنى، ودفن هنالك، وجرت خطوب كثيرة، وليم طاشتكين على ما فعل، وخاف معرة ذلك من جهة صلاح الدين والخليفة، وعزله الخليفة عن منصبه .

محمد بن عبيد الله

ابن عبد الله سبط ابن التعاويذي الشاعر، ثم أضر في آخر عمره، وجاز الستين، توفي في شوال.

نصر بن فتيان بن مطر

الفقيه الحنبلي، المعروف بابن المنى، كان زاهدا، عابدا، مولده سنة إحدى وخمسمائة، وممن تفقه عليه من المشاهير، الشيخ موفق الدين بن قدامة، والحافظ عبد الغني، ومحمد بن خلف ابن راجح، والناصر عبد الرحمن بن المنجم بن عبد الوهاب، وعبد الرزاق ابن الشيخ عبد القدر الجيلي، وغيرهم توفي خامس رمضان .

وفيها توفي قاضي القضاة :

أبو الحسن الدامغاني

وقد حكم في أيام المقتفي، ثم المستنجد، ثم عزل، وأعيد في أيام المستضيء، وحكم للناصر حتى توفي في هذه السنة .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة

في محرمها : حاصر السلطان صلاح الدين حصن كوكب، فرآه منيعا صعبا، فوكل به الأمير قايماز البجمي، في خمسمائة فارس، يضيقون عليهم المسالك، وكذلك وكل لصفت [الصفد] وكانت للداوية خمسمائة فارس، مع طغرل الخازندار، يمنعون الميرة والتقاوي أن تصل إليهم، وبعث إلى الكرك والشوبك جيشا آخر يضيقون على أهلها، ويحاصرونهم، ليفرغ من أموره، لقتال هذه الأماكن، ولما رجع السلطان من هذه الغزوة إلى دمشق، وجد الصفي بن الفايض، وكيل الخزانة، قد بنى له دارا بالقلعة هائلة مطلة على الشرف القبلي، فغضب عليه، وعزله، وقال: إنا لم نخلق للمقام بدمشق، ولا بغيرها من البلاد، وإنما خلقنا لعبادة الله عزّ وجلّ، والجهاد في سبيله، وهذا الذي عملته، مما يثبط النفوس، ويقعدها عما خلقت له. وجلس السلطان بدار العدل، فحضرت عنده القضاة، وأهل الفضل، وزار القاضي الفاضل، في بستانه، على الشرف في جوسق بن الفراش، وحكى له ما جرى من الأمور، واستشاره فيما يفعل في المستقبل، من المهمات، والغزوات، ثم خرج من دمشق، فسلك على بيوس، وقصد البقاع، وسار إلى حمص، وحماة، وجاءت الجيوش من الجزيرة، وهو على العاصي، فسار إلى السواحل

الشمالية، ففتح أنطرطوس، وغيرها من الحصون، وجبلة، واللاذقية، وكانتا من أحصن المدن عمارة، ورخاما، ومحالا، وفتح صهيون، وبكاس، والشغر، وهما قلعتان على العاصي، حصينتان، فتحهما عنوة، وفتح حصن بدرية، وهي قلعة عظيمة، على جبل شاهق، منيع، تحتها أودية عميقة، يضرب بها المثل في سائر بلاد الفرنج والمسلمين، فحاصرها أشد حصار، وركب عليها المجانيق الكبار، وفرق الجيش ثلاث فرق، كل فريق يقاتل، فإذا كلوا، وتعبوا، خلفهم الفريق الآخر، حتى لا يزال القتال مستمرا، ليلا، ونهارا، فكان فتحها في نوبة السلطان، أخذها عنوة، في أيام معدودات، ونهب جميع ما فيها، واستولى على حواصلها، وأموالها، وقتل حماتها، ورجالها، وسبى ذراريها وأطفالها، ثم عدل عنها، ففتح حصن دربساك، وحصن بغراس، كل ذلك يفتحه عنوة، فيغنم ويسلم، ثم سمت به همته العالية، إلى فتح أنطاكية، وذلك لأنه أخذ جميع ما حولها، من القري، والمدن، واستظهر عليها بكثرة الجنود، فراسله صاحب أنطاكية، يطلب منه الهدنة، على أن يطلق من عنده من أسرى المسلمين، فأجابه إلى ذلك، لعلمه بتضجر من معه من الجيش، فوقعت الهدنة على سبعة أشهر، ومقصود السلطان أن يستريح من تعبها، وأرسل السلطان من تسلم منه الأسارى، وقد ذلت دولة النصارى، ثم سار، فسأله ولده الظاهر أن يجتاز بحلب، فأجابه إلى ذلك، فنـــزل بقلعتها ثلاثة أيام، ثم استقدمه ابن أخيه تقي الدين إليه، إلى حماة، فنـــزل عنده ليلة واحدة، وأقطعه جبلة، واللاذقية، ثم سار، فنـــزل بقلعة بعلبك، ودخل حمامها، ثم عاد إلى دمشق في أوائل رمضان، وكان يوما مشهودا، وجاءته البشائر، بفتح الكرك على المسلمين وإنقاذه من أيدي الفرنج، وأراح الله منهم تلك الناحية، وسهل حزنها [1] على السالكين من التجار، والغزاة، والحجاج:﴿ **فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام : ٤٥] .

فصل في فتح صفد وحصن كوكب

لم يقم السلطان بدمشق، إلا أياما، حتى خرج بجيشه قاصدا بلاد صفد، فنازلها في العشر الأوسط من رمضان، وحاصرها بالمجانيق والشجعان، وكان البرد شديدا، يصبح الماء فيه جليدا، فما زال حتى فتحها صلحا في ثامن شوال، ثم سار إلى صور، فألقت إليه بقيادها، وتبرأت من أنصارها، وأجنادها، وقوادها، وتحققت لما فتحت صفد أنها مقرونة معها في أصفادها، ثم سار منها إلى حصن كوكب — وهي معقل الاستثارية، كما أن صفد كانت معقل الداوية — وكانوا أبغض أجناس الفرنج إلى السلطان لا يكاد يترك منهم أحدا إلا قتله إذا وقع في المأسورين. فحاصر قلعة كوكب حتى أخذها، وقتل من بها، وأراح المارة من شر ساكنيها، وتمهدت تلك السواحل، واستقر بها منازل قاطنيها. هذا والسماء تصب، والرياح تهب،

(١) الحزن : ما غلظ من الأرض صخوراً ووعورة .

والسيول تعب، والأرحل في الأوحال تخب، وهو في كل ذلك، صابر مصابر، وكان القاضي الفاضل معه في هذه الغزوة، وكتب القاضي الفاضل إلى أخي السلطان، صاحب اليمن، يستدعيه إلى الشام، لنصرة الإسلام، وأنه قد عزم على حصار أنطاكية، ويكون تقي الدين عمر محاصرا طرابلس إذا انسلخ هذا العام، ثم عزم القاضي الفاضل على الدخول إلى مصر، فودعه السلطان فدخل القدس فصلى به الجمعة وعيّد فيه عِيد الأضحى ثم سار ومعه أخوه السلطان العادل إلى عسقلان ثم أقطع أخاه الكرك عوضا عن عسقلان، وأمره بالانصراف، ليكون عونا لابنه العزيز على حوادث مصر، وعاد السلطان، فأقام بمدينة عكا، حتى انسلخت هذه السنة .

وفيها : خرجت طائفة بمصر من الرافضة، ليعيدوا دولة الفاطميين، واغتنموا غيبة العادل عن مصر، واستخفوا أمر العزيز عثمان بن صلاح الدين، فبعثوا اثني عشر رجلا : ينادون في الليل، يا آل عَلِيّ يا آل عَلِيّ بناء عَلَى أن العامة تجيبهم، فلم يجبهم أحد، ولا التفت إليهم، فلما رأوا ذلك، انهزموا، فأدركوا، وأخذوا، وقيدوا، وحبسوا، ولما بلغ أمرهم السلطان صلاح الدين ساءه ذلك، واهتم له، وكان القاضي الفاضل عنده بعد لم يفارقه، فقال له: أيها الملك، ينبغي أن تفرح، ولا تحزن حيث لم يصغ إلى هؤلاء الجهلة أحد من رعيتك، ولو أنك بعثت جواسيس من قبلك، يختبرون الناس، لسرك ما بلغك عنهم. فسري عنه ما كان يجد، ورجع إلى قوله، وأرسله إلى مصر، ليكون له عينا وعونا .

وفيها توفي من الأعيان :

الأمير الكبير سلالة الملوك والسلاطين الشيزرى

مؤيد الدولة، أبو الحارث، وأبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن [مقلد بن نصر بن] منقذ أحد الشعراء المشهورين، المشكورين، بلغ من العمر ستا وتسعين سنة، وكان عمره تاريخا مستقلا وحده، وكانت داره بدمشق، مكان العزيزية، وكانت معقلا للفضلاء، ومنـزلا للعلماء، وله أشعار رائقة، ومعان فائقة، ولديه علم غزير، وعنده جود، وفضل كثير، وكان من أولاد ملوك شيزر، ثم أقام بمصر مدة في أيام الفاطميين، ثم عاد إلى الشام، فقدم على الملك صلاح الدين في سنة سبعين وأنشده .

حمدتُ على طول عمري المشيبا ... وإن كنتُ أكثرتُ فيه الذنوبَا
لأنّي حييتُ إلى أنْ لقيتُ ... بعد العدوِّ صديقاً حبيباً

وله في سن قلعها وفقد نفعها:

وصاحبٌ لا أملُّ الدهرَ صُحبَته ... يشقى لِنَفْعي ويَسْعَى سعي مجتهد
لم أَلْقَهُ مُذْ تصاحَبْنا فَحِينَ بَدَا ... لناظِرَي افْتَرَقْنَا فُرْقَةَ الأبد

وله ديوان شعر كبير، وكان صلاح الدين يفضله على سائر الدواوين، وقد كان مولده في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وكان في شبيبته شهماً شجاعا، قتل الأسد وحده مواجهة، ثم عمر إلى أن توفي في هده السنة، ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من رمضان، ودفن شرقي جبل قاسيون قال: وزرت قبره، وأنشدت له :

لا تَستَعِرْ جَلَـداً علـى هجرانهـم فقواك تضعفُ عن صـدود دائـم
واعلمْ بأنّك إنْ رجعـتَ إليهـم طوعاً وإلاّ عُـدْتَ عـودةَ نـادمِ

وله أيضاً :

وأعجبُ لضعفِ يدي عن حَمْلها قلماً من بعدِ حَطْمِ القنـا في لبَّة الأسـدِ
وقلْ لِمنْ يتمنى طولَ مدتـه :هذي عواقبُ طـولِ العمـرِ والمـددِ

قال ابن الأثير: وفي هذه السنة توفي شيخنا : .

أبو محمد عبد اللّه بن على

ابن عبد اللّه بن سويد التكريتي،كان عالمًا بالحديث، وله تصانيف حسنة .

الحازمي الحافظ

قال الشيخ شهاب الدين : وفيها توفي الحافظ أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الحازمي الهمداني، ببغداد، صاحب التصانيف، على صغر سنه، ومنها : (العجالة في النسب) و(الناسخ والمنسوخ) ، وغيرها ومولده سنة ثمان أو تسع وأربعين وخمسمائة، توفي في الخامس والعشرين من جمادى الأولى من هذه السنة .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة

فيها : قدم من جهة الخليفة رسل إلى السلطان، يعلمونه بولاية العهد لأبي نصر محمد الملقب بالظاهر بن الخليفة الناصر فأمر السلطان خطيب دمشق، أبا القاسم عبد الملك بن زيد الدولعي أن يذكره على المنبر، ثم جهز السلطان مع الرسل تحفا كثيرة، وهدايا سنية، وأرسل بأسارى من الفرنج، على هيئتهم، في حال حربهم، وأرسل بصليب الصلبوت فدفن تحت عتبة باب النوبي من دار الخليفة، فكان بالأقدام يداس، بعدما كان يعظم ويباس، والصحيح أن هذا الصليب، كان منصوبا على الصخرة، وكان من نحاس مطلياً بالذهب، فحطه اللّه إلى أسفل العتب .

قصة عكا وما كان من أمرها

لما كان شهر رجب : اجتمع من كان بصور من الفرنج، وساروا إلى مدينة عكا، فأحاطوا بها، يحاصرونها فتحصن من فيها من المسلمين وأعدوا للحصار ما يحتاجون اليه وبلغ السلطان خبرهم فسار إليهم من دمشق مسرعاً، فوجدهم قد أحاطوا بها إحاطة الخاتم بالخنصر، فلم يزل

يدافع عنها، ويمانعهم منها، حتى جعل طريقا إلى باب القلعة، يصل إليه كل من أراده، من جندي، وسوقي، وامرأة، وصبي،ثم أدخل إليها كل من أراد، من الآلات والأمتعة، ودخل هو بنفسه، فعلا على سورها، ونظر إلى الفرنج، وجيشهم، وكثرة عددهم، وعددهم، والميرة تفد إليهم من البحر، في كل وقت، وكل ما لديهم في ازدياد، وفي كل حين تصل إليهم الأمداد، ثم عاد إلى مخيمه والجنود تفد إليه، وتقدم عليه من كل جهة ومكان، منهم رجال، وفرسان، فلما كان في العشر الأخير من شعبان، برزت الفرنج من مراكبها، إلى مواكبها، في نحو من ألفي فارس، وثلاثين ألف راجل، فبرز إليهم السلطان، فيمن معه من الشجعان، فاقتتلوا بمرج عكا قتالا عظيما، وهزم جماعة من المسلمين في أول النهار، ثم كانت الدائرة على الفرنج فكانت القتلى بينهم أزيد من سبعة آلاف قتيل، ولما تناهت هذه الوقعة تحول السلطان عن مكانه الأول، إلى موضع بعيد، من رائحة القتلى، خوفا من الوخم والأذى، وليستريح الخيالة والخيل، ولم يعلم أن ذلك من أكبر مصالح العدو المخذول، فإنهم اغتنموا هذه الفرصة، فحفروا حول مخيمهم خندقا في البحر، محدقا بجيشهم، واتخذوا من ترابه سوراً شاهقا، وجعلوا له أبوابا، يخرجون منها إذا أرادوا، وتمكنوا في منـــزلهم ذلك، الذي اختاروا، وارتادوا، وتفارط الأمر على المسلمين، وقوي الخطب، وصار الداء عضالا، وازداد الحال وبالا، اختبارًا من الله، وامتحاناً، وكان رأي السلطان أن يناجزوا بعد الكرة سريعاً، ولا يتركوا، حتى يطيب البحر، فتأتيهم الأمداد من كل صوب، فتعذر عليه الأمر بإملال الجيش، والضجر، وكل منهم لأمر الفرنج قد احتقر، ولم يدر ما قد حتم في القدر، فأرسل السلطان إلى جميع الملوك، يستنفر، ويستنصر، وكتب إلى الخليفة بالبث، وبث الكتب بالتحضيض، والحث السريع، فجاءته الأمداد، جماعات، وآحادا، وأرسل إلى مصر، يطلب أخاه العادل، ويستعجل الأسطول، فقدم عليه، فوصل إليه خمسون قطعة في البحر، مع الأمير حسام الدين لؤلؤ، وقدم العادل في عسكر المصريين، فلما وصل الأسطول حادت مراكب الفرنج عنه، يمنة ويسرة، وخافوا منه، واتصل بالبلد الميرة، والعدد والعدد وانشرحت الصدور بذلك، وانسلخت هذه السنة، والحال ما حال، بل هو على ما هو عليه، ولا ملجأ من الله إلا إليه .

وفيها توفي من الأعيان :

القاضي شرف الدين أبو سعد

عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبي عصرون،أحد أئمة الشافعية،له كتاب " الانتصاف"، وقد ولي قضاء القضاة بدمشق، ثم أضر قبل موته بعشر سنين، فجعل ولده نجم الدين مكانه، بطيب قلبه،وقد بلغ من العمر ثلاثا وتسعين سنة ونصفا، ودفن بالمدرسة العصرونية، التي أنشأها عند سويقة باب البريد، قبالة داره، بينهما عرض الطريق، وكان من الصالحين، والعلماء العاملين.وقد ذكره ابن خلكان، فقال: كان أصله من حديثة عانة الموصل، ورحل في طلب

العلم، إلى بلدان شتى، وأخذ عن أسعد الميهني، وأبي علي الفارقي، وجماعة، وولي قضاء سنجار، وحران، وباشر في أيام نور الدين تدريس الغزالية، ثم انتقل إلى حلب، فبنى له نور الدين بحلب مدرسة، وبحمص أخري، ثم قدم دمشق، في أيام صلاح الدين، فولي قضاءها، في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، إلى أن توفي في هذه السنة، وقد جمع جزءاً في قضاء الأعمى، وأنه جائز، وهو خلاف المذهب، وقد حكاه صاحب البيان، وجها لبعض الأصحاب. قال: ولم أره في غيره، ولكن حبك الشيء يعمي ويصم، وقد صنف كتباً كثيرة، منها " صفوة المذهب في نهاية المطلب " ، في سبع مجلدات، " والانتصاف " في أربعة، و" الخلاف " في أربعة، و" الذريعة في معرفة الشريعة "، و" المرشد " ، وغير ذلك، وكتابا سماه " مأخذ النظر " ، ومختصرا في الفرائض، وقد ذكره ابن عساكر في تاريخه، والعماد، فأثني عليه، وكذلك القاضي الفاضل وأورد له العماد أشعاراً كثيرة، وابن خلكان، منها :

أُؤمِّلُ أنْ أحيــا وفي كــلِّ ســاعة تَمَرُّ بي الموتى تَهُــزُّ نعوشهَــا
وما أنــا إلاّ مِثْلُهم غــيرَ أنّ ليَ بقايــا ليــالٍ في الزمــانِ أعيشُهــا

أحمد عبد الرحمن بن وهبان

أبو العباس المعروف بابن أفضل الزمان، قال الأثير: كان عالماً، متبحراً في علوم كثيرة، من الفقه، والأصول، والحساب، والفرائض، والنجوم، والهيئة، والمنطق،وغير ذلك، وقد جاوز بمكة، وأقام بها إلى أن مات بها، وكان من أحسن الناس صحبة وخلقا .

الفقية الأمير ضياء الدين عيسي الهكاري

كان من أصحاب أسد الدين شيركوه، دخل معه إلى مصر، ثم كان ملازماً للسلطان صلاح الدين حتى مات في ركابه بمنــزله الخروبة، قريباً من عكا، فنقل إلى القدس، فدفن به، كان ممن تفقه على الشيخ أبي القاسم بن البرزي الجزري، وكان من الفضلاء، والأمراء الكبار .

المبارك بن المبارك الكرخي

مدرس النظامية، تفقه بابن الخل، وحظي بمكانة عند الخليفة والعامة،وكان يضرب بحسن خطه المثل. ذكرته في الطبقات رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة

استهلت والسلطان محاصر لحصن عكا، وأمداد الفرنج تفد إليهم من البحر في كل وقت حتى أن نساء الفرنج ليخرجن بنية القتال، ومنهن من تأتي بنية راحة الغرباء، لينكحوها في الغربة، فيجدون راحة، وخدمة، وقضاء وطر، قدم إليهم مركب فيه ثلاثمائة امرأة، من أحسن النساء، وأجملهن، بهذه النية، فإذا وجدوا ذلك ثبتوا على الحرب، والغربة، حتى أن كثيرا من

فسقة المسلمين تحيزوا إليها من أجل هذه النسوة، واشتهر الخبر بذلك. وشاع بين المسلمين، والفرنج، بأن ملك الألمان، قد أقبل بثلاثمائة ألف مقاتل، من ناحية القسطنطينية، يريد أخذ الشام، وقتل أهله، انتصارا لبيت المقدس فعند ذلك حمل السلطان والمسلمون هما عظيما، وخافوا غاية الخوف، مع ما هم فيه من الشغل، والحصار الهائل، وقويت قلوب الفرنج بذلك، واشتدوا للحصار والقتال، ولكن لطف الله وأهلك عامة جنده في الطرقات بالبرد والجوع والضلال في المهالك، على ما سيأتي بيانه، وكان سبب قتال الفرنج، وخروجهم من بلادهم، ونفيرهم، ما ذكره ابن الأثير في كامله، أن جماعة من الرهبان، والقسيسين، الذين كانوا ببيت المقدس وغيره ركبوا من صور في أربعة مراكب وخرجوا يطوفون ببلدان النصارى البحرية، وما هو قاطع البحر من الناحية الأخرى، يحرضون الفرنج، ويحثونهم على الانتصار لبيت المقدس، ويذكرون لهم ما جرى على أهل القدس، وأهل السواحل، من القتل، والسبي، وخراب الديار، وقد صوروا صورة المسيح وصورة عربي آخر يضربه ويؤذيه، فإذا سألوهم من هذا الذي يضرب المسيح؟ قالوا: هذا نبي العرب، يضربه، وقد جرحه، ومات. فينـــزعجون لذلك، ويحمون، ويبكون، ويحزنون، فعند ذلك خرجوا من بلادهم، لنصرة دينهم، ونبيهم، وموضع حجهم على الصعب والذلول، حتى النساء المخدرات، والزواني، والزانيات، الذين هم عند أهليهم، من أعز الثمرات.

وفي نصف ربيع الأول: تسلم السلطان شعيف أربون بالأمان، وكان صاحبه مأسورا، في الذل، والهوان، وكان من أدهى الفرنج، وأخبرهم بأيام الناس، وربما قرأ في كتب الحديث، وتفسير القرآن، وكان مع هذا غليظ الجلد، قاسي القلب، كافر النفس. ولما انفصل فصل الشتاء، وأقبل الربيع، جاءت ملوك الإسلام من بلدانها، بخيولها، وشجعانها، ورجالها، وفرسانها، وأرسل الخليفة إلى الملك صلاح الدين أحمالا من النفط، والرماح، ونفاطة، ونقابين، كل منهم متقن في صنعته غاية الإتقان، ومرسوما بعشرين ألف دينار، وانفتح البحر، وتواترت مراكب الفرنج من كل جزيرة، لأجل نصرة أصحابهم، يمدونهم بالقوة، والميرة، وعملت الفرنج ثلاثة أبرجة، من خشب، وحديد، عليها جلود مسقاة بالخل، لئلا يعمل فيها النفط، يسع البرج منها خمسمائة مقاتل، وهي أعلا من أبرجة البلد، وهي مركبة على عجل، بحيث يديرونها كيف شاءوا، وعلى ظهر كل منها منجنيق كبير، فلما رأى المسلمون ذلك أهمهم أمرها، وخافوا على البلد، ومن فيه من المسلمين أن يؤخذوا وحصل لهم ضيق منها، فأعمل السلطان فكره بإحراقها، وأحضر النفاطين، ووعدهم بالأموال الجزيلة، إن هم أحرقوها، فانتدب لذلك شاب نحاس من دمشق، يعرف : بعلي بن عريف النحاسين، والتزم بإحراقها، فأخذ النفط الأبيض، وخلطه بأدوية يعرفها، وغلى ذلك في ثلاثة قدور من نحاس، حتى صار نارا تأجج، ورمي كل برج منها، بقدر من تلك القدور، بالمنجنيق من داخل عكا، فاحترقت الأبرجة الثلاثة، حتى صارت نارا بإذن الله لها ألسنة في الجو متصاعدة، واحترق من كان فيها، فصرخ المسلمون صرخة

واحدة بالتهليل، واحترق في كل برج منها سبعون كفورا، وكان يوما على الكافرين عسيرا، وذلك يوم الاثنين الثاني والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة، وكان الفرنج، قد تعبوا في عملها، سبعة أشهر، فاحترقت في يوم واحد ، ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً﴾ [الفرقان:٢٣] ثم أمر السلطان لذلك الشاب النحاس بعطية سنية، وأموال كثيرة، فامتنع أن يقبل شيئا من ذلك. وقال: إنما عملت ذلك ابتغاء وجه الله، ورجاء ما عنده سبحانه، فلا أريد ﴿مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً﴾ [الإنسان:٩] .

وأقبل الأسطول المصري، وفيه الميرة الكثيرة، لأهل البلد، فعبى الفرنج أسطولهم، ليقاتلوا أسطول المسلمين، نهض السلطان بجيشه، ليشغلهم عنهم، وقاتلهم أهل البلد أيضا، واقتتل الأسطولان في البحر، وكان يوما عسيرا، وحربا في البر والبحر، فظفرت الفرنج بشبيني واحد، من الأسطول الذي للمسلمين، وسلم الله الباقي، فوصل إلى البلد بما فيه من الميرة، وكانت حاجتهم قد اشتدت إليها جدا، بل إلى بعضها .

وأما ملك الألمان، المتقدم ذكره، فإنه أقبل في عدد، وعدد كثير جدا، قريب من ثلاثمائة ألف مقاتل، من نيته خراب البلد، وقتل أهلها من المسلمين، والانتصار لبيت المقدس، وأن يأخذ البلاد إقليما بعد إقليم، حتى مكة والمدينة، فما نال من ذلك شيئا، بعون الله، وقوته، بل أهلكهم الله عزّ وجلّ، في كل مكان وزمان فكانوا يتخطفون كما يتخطف الحيوان، حتى اجتاز ملكهم بنهر شديد الجرية، فدعته نفسه أن يسبح فيه، فلما صار فيه، حمله الماء إلى شجرة، فشجت رأسه، وأخمدت أنفاسه، وأراح الله منه العباد، والبلاد، فأقيم ولده الأصغر في الملك، وقد تمزق شملهم، وقلت منهم العدة، ثم أقبلوا، لا يجتازون ببلد إلا قتلوا فيه، فما وصلوا إلى أصحابهم، الذين على عكا، إلا في ألف فارس، فلم يرفعوا بهم رأسا، ولا لهم قدرا، ولا قيمة بينهم، ولا عند أحد من أهل ملتهم، ولا غيرهم، وهكذا شأن من أراد إطفاء نور الله، وإذلال دين الإسلام، وزعم العماد في سياقه أن الألمان وصلوا في خمسة آلاف، وأن ملوك الفرنج كلهم كرهوا قدومهم عليهم، لما يخافون من سطوة ملكهم، وزوال دولتهم بدولته، ولم يفرح به إلا المركيس صاحب صور، الذي أنشأ هذه الفتنة، وأثار هذه المحنة، فإنه تقوى به وبكيده، فإنه كان خبيرا بالحروب، وقد قدم بأشياء كثيرة، من آلات الحرب، لم تخطر لأحد ببال، ونصب دبابات أمثال الجبال، تسير بعجل، ولها زلوم من حديد تنطح السور فتخرقه وتثلم جوانبه، فمن الله العظيم بإحراقها، وأراح الله المسلمين منها، ونهض صاحب الألمان بالعسكر الفرنجي، فصادم به جيش المسلمين، [فجاءت جيوش المسلمين] برمتها إليه، فقتلوا من الكفرة خلقا كثيرا، وجما غفيرا، وهجموا مرة على مخيم السلطان بغتة، فنهبوا بعض الأمتعة، فنهض الملك العادل أبو بكر— وكان رأس الميمنة — فركب في أصحابه، وأمهل الفرنج، حتى توغلوا بين الخيام، ثم حمل عليهم بالرماح والحسام، فهربوا بين يديه، فما زال يقتل منهم جماعة بعد جماعة، وفرقة بعد فرقة

حتى كسوا وجه الأرض حللا، أزهى من الرياض الباسمة، وأحب إلى النفوس من الخدود الناعمة، وأقل ما قيل إنه قتل منهم خمسة آلاف، وزعم العماد أنه قتل منهم فيما بين الظهر إلى العصر عشرة آلاف، والله أعلم .

هذا وطرف الميسرة لم يشعر بما جرى، ولا درى، بل نائمون وقت القائلة في خيامهم، وكان الذين شاقوا وراءهم أقل من ألف، وإنما قتل من المسلمين عشرة أو دونهم، وهذه نعمة عظيمة، وقد أوهن هذا جيش الفرنج، وأضعفهم، وكادوا يطلبون الصلح، وينصرفون عن البلد، فاتفق قدوم مدد عظيم إليهم من البحر مع ملك يقال له : كيدهري، ومعه أموال كثيرة، فأنفق فيهم، وغرم عليهم، وأمرهم أن يبرزوا معه لقتال المسلمين، ونصب على عكا منجنيقين، غرم على كل واحد منهما ألفا وخمسمائة دينار، فأحرقهما المسلمون من داخل البلد، وجاءت كتب صاحب الروم، من القسطنطينية، يعتذر لصلاح الدين، من جهة ملك الألمان، وأنه لم يتجاوز بلده باختياره وأنه تجاوزه لكثرة جنوده ولكن ليبشر السلطان بأن الله سيهلكهم في كل مكان، وكذلك وقع، وأرسل إلى السلطان يخبره، بأنه يقيم للمسلمين عنده جمعة، وخطبا، فأرسل السلطان مع رسله، خطيبا، ومنبرا، وكان يوم دخولهم إليه يوما مشهودا، ومشهدا محمودا، فأقيمت الخطبة بالقسطنطينية، ودعي للخليفة العباسي، واجتمع فيها من هناك من المسلمين، من التجار، والمسلمين الأسرى، والمسافرين إليها، والحمد لله رب العالمين .

فصل

وكتب متولي عكا، من جهة السلطان صلاح الدين، وهو الأمير بهاء الدين قراقوش، في العشر الأول من شعبان إلى السلطان: إنه لم يبق عندهم في المدينة، من الأقوات، إلا ما يبلغهم إلى ليلة النصف من شعبان، فلما وصل الكتاب إلى السلطان ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ [يوسف : ٧٧] ، خوفا من إشاعة ذلك، فيبلغ العدو، فيقدموا على المسلمين، وتضعف القلوب، وكان قد كتب إلى أمير الأسطول، بالديار المصرية، أن يقدم بالميرة إلى عكا، فتأخر سيره، ثم وصلت ثلاث بطش، ليلة النصف، فيها الميرة ما يكفي أهل البلد طول الشتاء، وهي صحبة الحاجب لؤلؤ، فلما أشرقت على البلد، نهض إليها أسطول الفرنج ، يحول بينها وبين البلد ، ويتلف ما فيها ، فاقتتلوا في البحر قتالا شديدا ، والمسلمون في البر، يبتهلون إلى الله عز وجل في سلامتها ، والفرنج أيضا تصرخ برا وبحرا ، وقد ارتفع الضجيج، فنصر الله المسلمين ، وسلم مراكبهم، وطابت الريح للبطش، فسارت، فأحرقت المراكب الفرنجية المحيطة بالميناء، ودخلت البلد سالمة ، ففرح بها أهل البلد، والجيش فرحا شديدا، وكان السلطان قد جهز قبل هذه البطش الثلاث بطشة كبيرة، من بيروت ، فيها أربعمائة غرارة، وفيها من الجبن، والشحم ، والقديد، والنشاب، والنفط شيء كثير، وكانت هذه البطشة من بطش الفرنج المغنومة، وأمر من فيها من التجار، أن يلبسوا زي الفرنج، حتى أنهم حلقوا لحاهم، وشدوا الزنانير، واستصحبوا

في البطشة معهم شيئا من الخنازير، وقدموا بها على مراكب الفرنج، فاعتقدوا أنهم منهم، وهي سائرة كأنها السهم، إذا خرج من كبد القوس، فحذرهم الفرنج غائلة الميناء، من ناحية البلد، فاعتذروا بأنهم مغلوبون عنها، ولا يمكنهم حبسها من قوة الريح، وما زالوا كذلك، حتى ولجوا الميناء، فأفرغوا ما كان معهم من الميرة، والحرب خدعة، فعبرت الميناء، فامتلأ الثغر بها خيرا، فكفتهم إلى أن قدمت عليهم تلك البطش الثلاث المصرية، وكانت البلد يكتنفها برجان، يقال لأحدهما : برج الديان، فاتخذت الفرنج بطشة عظيمة لها خرطوم وفيه محركات، إذا أرادوا أن يضعوه على شيء من الأسوار، والأبرجة، قلبوه، فوصل إلى ما أرادوا، فعظم أمر هذه البطشة على المسلمين ، ولم يزالوا في أمرها محتالين ، حتى أرسل الله عليها شواظا من نار، فأحرقها، وأغرقها، وذلك أن الفرنج أعدوا فيها نفطا كثيرا، وحطبا جزلا، وأخرى خلفها، فيها حطب محض، فلما أراد المسلمون المحافظة على الميناء، أرسلوا النفط على بطشة الحطب، فاحترقت وهي سائرة بين بطش المسلمين واحترقت الأخرى وكان في بطشة أخرى لهم مقاتلة تحت قبو، قد أحكموه فيها، فلما أرسلوا النفط على برج الديان، انعكس الأمر عليهم، بقدرة الله تعالى، وذلك لشدة الهواء تلك الليلة، فما تعدت النار بطشتهم، فاحترقت، وتعدى الحريق إلى الأخرى فغرقت، ووصل إلى بطشة المقاتلة فتلفت، وهلك من فيها، فأشبهوا من سلف من أهل الكتاب من الكافرين، في قوله تعالى :﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحشر:٢] .

فصل

وفي ثالث رمضان، اشتد حصار الفرنج للمدينة، حتى نزلوا إلى الخندق فبرز إليهم أهل البلد، فقتلوا منهم خلقا كثيرا، وتمكنوا من حريق الكبش، والأسوار، وسرى حريقه إلى السقوف، وارتفعت له لهبة عظيمة، في عنان السماء، ثم اجتذبه المسلمون إليهم بكلاليب من حديد في سلاسل، فحصل عندهم، وألقوا عليه الماء البارد، فبرد بعد أيام، فكان فيه من الحديد مائة قنطار، ولله الحمد والمنة .

وفي الثامن والعشرين من رمضان، توفي الملك زين الدين، صاحب إربل، في حصار عكا مع السلطان، فتأسف الناس عليه، لشبابه، وغربته، وجودته، وعزى أخاه مظفر الدين فيه، وقام بالملك من بعده، وسأل من صلاح الدين أن يضيف إليه شهرزور، وحران، والرها، وسميساط، وغيرها، وتحمل مع ذلك خمسين ألف دينار نقدا، فأجيب إلى ذلك، وكتب له تقليدا، وعقد له لواء، وأضيف ما تركه إلى الملك المظفر تقي الدين عمر ابن أخي السلطان صلاح الدين .

فصل

وكان القاضي الفاضل بمصر يدبر الممالك بها ويجهز إلى السلطان ما يحتاج إليه من الأموال، وعمل الأسطول، والكتب السلطانية، فمنها كتاب يذكر فيه أن سبب هذا التطويل في الحصار،

كثرة الذنوب، وارتكاب المحارم بين الناس، فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته، ولا يفرج الشدائد إلا بالرجوع إليه، وامتثال أمره، فكيف لا يطول الحصار، والمعاصي في كل مكان فاشية، وقد صعد إلى الله منها، ما يتوقع بعده، الاستعاذة منها وفيه أنه قد بلغه أن بيت المقدس قد ظهر فيه المنكرات والفواحش والظلم في بلاده ما لا يمكن تلافيه إلا بكلفة كثيرة. ومنها كتاب يقول فيه، إنما أتينا من قبل أنفسنا، ولو صدقنا، لعجل الله لنا عواقب صدقنا، ولو أطعناه لما عاقبنا بعدونا ولو فعلنا ما نقدر عليه من أمره لفعل لنا ما لا نقدر عليه إلا به، فلا يختصم أحد إلا نفسه وعمله ولا يرج إلا ربه ولا يغتر بكثرة العساكر والأعوان، ولا فلان، الذي يعتمد عليه أن يقاتل ولا فلان، فكل هذه مشاغل عن الله، ليس النصر بها، وإنما النصر من عند الله، ولا نأمن أن يكلنا الله إليها، والنصر به، واللطف منه، ونستغفر الله تعالى من ذنوبنا، فلولا أنها تسد طريق دعائنا، لكان جواب دعائنا قد نزل، وفيض دموع الخاشعين قد غسل، ولكن في الطريق عائق، خار الله لمولانا في القضاء السابق واللاحق. ومن كتاب آخر، يتألم فيه لما عند السلطان من الضعف، في جسمه، بسبب ما حمل على قلبه، مما هو فيه من الشدائد، أثابه الله بقوله: وما في نفس المملوك شائنة، إلا بقية هذا الضعف، الذي في جسم مولانا، فإنه بقلوبنا، ونفديه بأسماعنا، وأبصارنا، ثم قال .

بنا معشرَ الخدامِ ما بِكَ من أذى وإن أشْفَقُوا مما أقولُ فَبِي وَحْدي

وقد أورد الشيخ شهاب الدين، صاحب « الروضتين » ها هنا كتبا عدة من الفاضل إلى السلطان، فيها فصاحة، وبلاغة، ومواعظ، وتحضيض على الجهاد، فرحمه الله من إنسان، ما أفصحه، ومن وزير، ما كان أنصحه، ومن عقل ما كان أرجحه .

فصل

وكتب الفاضل كتابا على لسان السلطان إلى ملك المغرب أمير المسلمين وسلطان جيش الموحدين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، يستنجده، في إرسال مراكب في البحر، تكون عونا للمسلمين على المراكب الفرنجية في عبارة طويلة، فصيحة، بليغة، مليحة، حكاها أبو شامة بطولها. وبعث السلطان صلاح الدين، مع الكتاب، سنية من التحف، والألطاف، صحبة الأمير الكبير شمس الدين أبي الحزم عبد الرحمن بن منقذ، وسار في البحر في ثامن ذي القعدة، فدخل على سلطان المغرب في العشرين من ذي الحجة، فأقام عنده إلى عاشوراء من المحرم من سنة ثمان وثمانين، ولم يفد هذا الإرسال شيئا، لأنه تغضب، إذ لم يلقب بأمير المؤمنين، وكانت إشارة الفاضل إلى عدم الإرسال إليه، ولكن وقع ما وقع، بمشيئة الله .

فصل

وفيها: حصل للناصر صلاح الدين، سوء مزاج، من كثرة ما يكابده من الأمور، فطمع العدو المخذول، في حوزة الإسلام، فتجرد جماعة منهم للقتال، وثبت آخرون على الحصار،

فأقبلوا في عدد كثير، وعدد، فرتب السلطان الجيوش، يمنة، ويسرة، وقلبا، وجناحين، فلما رأى العدو الجيش الكثيف، فروا، فقتلوا منهم خلقا كثيرا، وجما غفيرا .

فصل

ولما دخل فصل الشتاء وانشمرت مراكب الفرنج عن البلد، خوفا من الهلاك، بسبب اغتلام البحر، سأل من بالبلد من المسلمين من السلطان أن يريحهم مما هم فيه من الحصر العظيم، والقتال ليلا ونهارا، وأن يرسل إلى البلد بدلهم، فرق لهم السلطان، وعزم على ذلك، وكانوا قريبا من عشرين ألف مسلم ما بين أمير، ومأمور، فجهز جيشا آخر غيرهم، ولم يكن ذلك برأي جيد، ولكن ما قصد السلطان إلا خيرا، وأن هؤلاء يدخلون البلد بهمم حدة شديدة، ولهم عزم قوي، وهم في راحة بالنسبة إلى ما أولئك، ولكن أولئك الذين كانوا بالبلد، وخرجوا منه، كانت لهم خبرة بالبلد، وبالقتال، وكان لهم صبر، وجلد، وقد تمونوا فيها مؤنة تكفيهم سنة فانمحقت بسبب ذلك وقدم بطش من مصر فيه ميرة تكفي أهل البلد سنة كاملة فقدر الله العظيم ـــ وله الأمر من قبل ومن بعد ـــ أنها لما توسطت البحر، واقتربت من الميناء، هاجت عليها ريح عظيمة، فانقلبت تلك البطش، وتغلبت على عظمها، فاختبطت، واضطربت، وتصادمت، فتكسرت، وغرقت، وغرق ما كان فيها من الميرة والبحارة، فدخل بسبب ذلك وهن عظيم على المسلمين، واشتد الأمر جدا، ومرض السلطان، وازداد مرضا إلى مرضه، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وكان ذلك عونا للعدو المخذول على أخذ البلد ولا حول ولا قوة إلا بالله، وذلك في ذي الحجة من هذه السنة، وكان المقدم على الداخلين إلى عكا الأمير سيف الدين علي بن أحمد بن المشطوب .

وفي اليوم السابع من ذي الحجة: سقطت ثلمة عظيمة من سور عكا فبادر الفرنج إليها، فسبقهم المسلمون إلى سدها بصدورهم، وقاتلوا بنحورهم، وما زالوا يمانعون عنها، حتى بنوها أشد مما كانت، وأقوى، وأحسن. ووقع في هذه السنة، وباء عظيم في المسلمين، والكافرين، فكان السلطان يقول في ذلك .

اقْتُـــــلُوني وَمَـــالِكَـــــا   واقْتُـــلُوا مَالِكَــــا مَعِــــــي

واتفق موت ابن ملك الألمان ـــ لعنه الله ـــ في ثاني ذي الحجة، وجماعة من كبراء الكندهرية، وسادات الفرنج ـــ لعنهم الله ـــ، فحزن الفرنج على ابن ملك الألمان، وأوقدوا نارا عظيمة، في كل خيمة، وصار كل يوم، يهلك من الفرنج المائة، والمائتان، واستأمن السلطان جماعة منهم، من شدة ما هم فيه من الجوع، والضيق، والحصر، وأسلم خلق كثير منهم فلله الحمد والمنة. وفيها: قدم القاضي الفاضل من مصر على السلطان وكان قد طال شوق كل منهما إلى صاحبه، فأفضى كل منهما إلى صاحبه ما كان يسره ويكتمه من الآراء التي فيها مصالح المسلمين .

وفيها توفي من الأعيان :

ملك الألمان

وقد تقدم أنه قدم في مائتي ألف مقاتل ويقال : في ثلاثمائة ألف مقاتل فهلكوا في الطرقات، فلم يصل إلى الفرنج إلا في خمسة آلاف، وقيل : في ألفي مقاتل، وكان قد عزم على دمار الإسلام، واستنقاذ البلاد بكمالها، من أيدي المسلمين، انتصارا في زعمه إلى بيت المقدس، فأهلكه الله بالغرق، كما أهلك فرعون، ثم ملك بعده ولده الأصغر، فأقبل بمن بقي معه من الجيش إلى الفرنج، وهم في حصار عكا، ثم مات في هذه السنة، فلله الحمد والمنة .

محمد بن محمد بن عبد الله

أبو حامد قاضي القضاة بالموصل، كمال الدين الشهرزوري الشافعي، أثنى عليه العماد الكاتب، وأنشد له من شعره قوله :

قامتْ بإثباتِ الصفاتِ أدلةٌ ... قصمتْ ظهورَ أئمةِ التعطيلِ
وطلائعُ التنْزيهِ لما أقبلتْ ... هزَمتْ ذوي التشبيهِ والتمثيلِ
فالحقُّ ما صرْنَ إليه جميعنا ... بأدلَّةِ الأخبارِ والتنزيلِ
مَنْ لَمْ يَكنْ بالشرعِ مُقتدياً فقد ... ألقاهُ فرطُ الجهلِ في التضليلِ

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة

فيها: قدم ملك الفرنسيس، وملك انكلترا، وغيرهما من ملوك البحر الفرنج، على أصحابهم الفرنج إلى عكا، وتمالأوا على أخذ عكا في هذه السنة، كما سيأتي تفصيله، وقد استهلت هذه السنة والحصار الشديد على عكا من الجانبين، وقد استكمل دخول العدو إلى البلد، والملك العادل مخيم إلى جانب البحر، ليتكامل دخولهم، ودخول ميرتهم، وفي ليلة مستهل ربيع الأول منها خرج المسلمون من عكا فهجموا على مخيم الفرنج فقتلوا منهم خلقا كثيرا، وسبوا، وغنموا شيئا كثيرا، سبوا اثنتي عشرة امرأة، وانكسر مركب عظيم للفرنج، فغرق ما فيه منهم، وأسر باقيهم، وأغار صاحب حمص أسد الدين بن شيركوه على سرح الفرنج بأراضي طرابلس فاستاق منهم شيئا كثيرا من الخيول، والأبقار، والأغنام، وظفر الترك بخلق كثير من الفرنج فقتلوهم، ولم يقتل من المسلمين سوى طواشي صغير عثر به فرسه. وفي ثامن عشر ربيع الأول، وصل إلى الفرنج ملك الفرنسيين فيليب في ست بطش ملعونة، مشحونة بعبدة الصليب، وحين وصل إليهم، وقدم عليهم، لم يبق لأحد من ملوكهم معه كلام ولا حكم، لعظمته عندهم، وقدم معه باز عظيم أبيض، وهو الأشهب، هائل، فطار من يده، فوقع على سور عكا فأخذه أهلها، وبعثوه إلى السلطان صلاح الدين، فبذل الفرنجي فيه ألف دينار، فلم يجبه إلى ذلك، وقدم بعده كيدفرير، وهو من أكابر ملوكهم أيضا، ووصلت سفن ملك الإنكليز، ولم يجئ ملكهم،

لاشتغاله بجزيرة قبرص، وأخذها من يد صاحبها، وتواصلت ملوك الإسلام أيضا من بلدانها، في أول فصل الربيع، لخدمة الملك الناصر. قال العماد: وقد كان للمسلمين لصوص، يدخلون إلى خيام الفرنج، فيسرقون حتى أنهم كانوا يسرقون الرجال، فاتفق أن بعضهم أخذ صبيا رضيعا من مهده ابن ثلاثة أشهر فوجدت عليه أمه وجدا شديدا، واشتكت إلى ملوكهم، فقالوا لها: إن سلطان المسلمين رحيم القلب، وقد أذنا لك أن تذهبي إليه، فتشتكي أمرك إليه. قال العماد: فجاءت إلى السلطان، فأنهت إليه حالها فرق لها رقة شديدة، حتى دمعت عينه. ثم أمر بإحضار ولدها، فإذا هو قد بيع في السوق، فرسم بدفع ثمنه إلى المشتري، ولم يزل واقفا حتى جيء بالغلام، فأخذته أمه، وأرضعته ساعة، وهي تبكي من شدة فرحها، وشوقها إليه، ثم أمر بحملها إلى خيمتها على فرس مكرمة، رحمه الله تعالى، وعفا عنه .

فصل

في كيفية أخذ العدو المخذول عكا من يدي السلطان

لما كان شهر جمادى الأولى: اشتد حصار الفرنج، لعنهم الله، لمدينة عكا، وتمالأوا عليها، من كل فج عميق، وقدم عليهم ملك الإنكليز، في جم غفير، وجمع كثير، في خمسة وعشرين قطعة، مشحونة بالمقاتلة، وابتلي أهل الثغر منهم، ببلاء لا يشبه ما قبله، فعند ذلك حركت الكؤسات في البلد، وكانت علامة ما بينهم وبين السلطان، فحرك السلطان كؤساته، فاقترب من البلد وتحول إلى قريب منه ليشغلهم عن البلد وقد أحاطوا به من كل جانب، ونصبوا عليه سبعة مجانيق وهي تضرب في البلد ليلا ونهارا، ولا سيما على برج عين البقر، حتى أثرت به أثرا بينا، وشرعوا في ردم الخندق، بما أمكنهم من دواب ميتة، ومن قتل منهم، ومن مات أيضا ردموا به، وكان أهل البلد يلقون ما ألقوه فيه إلى البحر. وتلقى ملك الإنكليز بطشة عظيمة للمسلمين، قد أقبلت من بيروت، مشحونة بالأمتعة، والأسلحة، فأخذها، وكان واقفا في البحر، في أربعين مركبا، لا يترك شيئا يصل إلى البلد بالكلية، وكان بالبطشة ستمائة من المقاتلين الصناديد الأبطال، فهلكوا عن آخرهم، رحمهم الله. فإنه لما أحيط بهم، وتحققوا إما الغرق، أو القتل، خرقوا جوانبها كلها، فغرقت، ولم يقدر الفرنج على أخذ شيء منها، لا من الميرة، ولا من الأسلحة، وحزن المسلمون على هذا المصاب، حزنا عظيما، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولكن جبر الله سبحانه هذا البلاء، بأن أحرق المسلمون في هذا اليوم دبابة كانت أربع طبقات، الأولى من الخشب، والثانية من رصاص، والثالثة من حديد، والرابعة من نحاس، وهي مشرفة على السور، والمقاتلة فيها، وقد قلق أهل البلد منها، بحيث حدثتهم أنفسهم، من خوفهم من شرها، بأن يطلبوا الأمان من الفرنج، ويسلموا البلد، ففرج الله عن المسلمين، وأمكنهم من حريقها، اتفق لهم ذلك في هذا اليوم، الذي غرقت فيه البطشة المذكورة، فأرسل أهل البلد يشكون إلى

السلطان شدة الحصار، وقوته عليهم منذ قام ملك الإنكليز لعنه الله ومع هذا قد مرض هو وجرح ملك الإفرنسيين أيضا، ولا يزيدهم ذلك إلا شدة وغلظة، وعتوا وبغيا، وفارقهم المركيس، وسار إلى بلدة صور خوفا منهم أن يخرجوا ملكها من يده. وبعث ملك الإنكليز إلى السلطان صلاح الدين، يذكر له أن عنده جوارح، قد جاء بها من البحر، وهو على نية إرسالها إليه، ولكنها قد ضعفت، وهو يطلب دجاجا وطيرا لتقوى به، فعرف أنه إنما يطلب ذلك لنفسه، يلطفها به، فأرسل إليه شيئا كثيرا من ذلك كرما، ثم أرسل يطلب منه فاكهة وثلجا، فأرسل إليه أيضا، فلم يفد معه الإحسان، بل لما عوفي، عاد إلى شر مما كان، واشتد الحصار ليلا ونهارا، فأرسل أهل البلد يقولون للسلطان إما أن تعملوا معنا شيئا غدا، وإلا طلبنا من الفرنج الصلح، والأمان، فشق ذلك على السلطان، وذلك لأنه كان قد بعث إليها أسلحة الشام، والديار المصرية، وسائر السواحل، وما كان غنمه من وقعة حطين، ومن القدس فهي مشحونة بذلك فعند ذلك عزم السلطان على الهجوم على العدو، فلما أصبح، ركب في جيشه، فرأى الفرنج قد ركبوا من وراء خندقهم، والرجالة منهم قد ضربوا سورا حول الفرسان، وهم قطعة من حديد صماء، لا ينفذ فيهم شيء فأحجم عنهم، لما يعلم من نكول جيشه عما يريده وتحدوه عليه شجاعته رحمه الله .

هذا، وقد اشتد الحصار على البلد، ودخلت الرجالة منهم إلى الخندق، وعلقوا بدنة في السور، وحشوها، وأحرقوها، ودخلت الفرنج إلى البلد، فمانعهم المسلمون، وقاتلوهم أشد القتال، وقتلوا من رءوسهم ستة أنفس، فاشتد حنق الفرنج على المسلمين جدا بسبب ذلك، وجاء الليل، فحال بين الفريقين، فلما أصبح الصباح، خرج أمير المسلمين بالبلد سيف الدين بن المشطوب، فاجتمع بملك الإفرنسيين، وطلب منهم الأمان على أنفسهم، ويتسلمون منه البلد، فلم يجبهم إلى ذلك، وقال له: بعدما سقط السور جئت تطلب الأمان؟ فأغلظ له ابن المشطوب في الكلام، ورجع إلى البلد في حالة الله بها عليم، فلما أخبر أهل البلد بما وقع، خافوا خوفا شديدا، وأرسلوا إلى السلطان، يعلمونه بما وقع، فأرسل إليهم أن يسرعوا الخروج من البلد في البحر، ولا يتأخروا عن هذه الليلة، ولا يبقى بها مسلم، فتشاغل كثير ممن كان بها لجمع الأمتعة، والأسلحة، وتأخروا عن الخروج تلك الليلة، فما أصبح الخبر إلا عند الفرنج من مملوكين صغيرين سمعا بما رسم به السلطان، فهربا إلى قومهما، فأخبروهم بذلك، فاحتفظوا على البحر احتفاظا عظيما، فلم يتمكن أحد من أهل البلد أن يتحرك بحركة، ولا خرج منها شيء بالكلية، وهذان المملوكان، كانا أسيرين، قد أسرهما السلطان، من أولاد الفرنج، وعزم السلطان على كبس العدو في هذه الليلة، فلم يوافقه الجيش على ذلك، وقالوا لا نخاطر بعسكر المسلمين، فلما أصبح بعث إلى ملوك الفرنج يطلب منهم الأمان لأهل البلد، على أن يطلق عدتهم من الأسرى، الذين تحت يده من الفرنج، ويزيدهم صليب الصلبوت، فأبوا إلا أن يطلق لهم كل أسير تحت يده، ويطلق لهم جميع البلاد الساحلية، التي أخذت منهم، وبيت المقدس، فأبى ذلك ،

وترددت المراسلات في ذلك، والحصار يتزايد على أسوار البلد. وقد هدمت منه ثلم كثيرة، وأعاد المسلمون كثيرا منها، وسدوا ثغر تلك الأماكن بنحورهم، رحمهم الله، وصبروا صبرا عظيما، وصابروا العدو، ثم كان آخر الأمر، وصولهم إلى درجة الشهادة، وقد كتبوا إلى السلطان، في آخر أمرهم، يقولون له: يا مولانا لا تخضع لهؤلاء الملاعين، الذين قد أبوا عليك الإجابة، إلى ما دعوتهم فينا، فإنا قد بايعنا الله على الجهاد، حتى نقتل عن آخرنا وبالله المستعان .

فلما كان وقت الظهر في اليوم السابع من جمادى الآخرة من هذه السنة ما شعر الناس إلا وأعلام الكفار قد ارتفعت، وصلبانهم، ونارهم على أسوار البلد، وصاح الفرنج صيحة واحدة، فعظمت عند ذلك المصيبة على المسلمين، واشتد حزن الموحدين، وانحصر كلام الناس في إنا لله وإنا إليه راجعون، وغشي الناس بهتة عظيمة، وحيرة شديدة، ووقع في عسكر السلطان الصياح والعويل، ودخل المركيس لعنه الله، وقد عاد إليهم من صور بهدايا، فأهداها إلى الملوك، فدخل في هذا اليوم عكا، بأربعة أعلام الملوك، فنصبها في البلد، واحدا على المأذنة يوم الجمعة، وآخر على القلعة، وآخر على برج الداوية، وآخر على برج القتال، عوضا عن أعلام السلطان، وتحيز المسلمون الذين بها، إلى ناحية من البلد معتقلين، محتاط بهم، مضيق عليهم، وقد أسروا النساء، والأبناء، غنمت أموالهم، وقيدت الأبطال، وأهين الرجال، والحرب سجال، والحمد لله على كل حال .

فعند ذلك أمر السلطان الناس بالتأخر عن هذه المنـــزلة، وثبت هو مكانه، لينظر ماذا يصنعون؟ وما عليه يعولون؟ والفرنج في البلد مشغولون، مدهوشون، ثم سار السلطان إلى العسكر، وعنده من الهم ما لا يعلمه إلا الله، وجاءت الملوك الإسلامية، والأمراء، وكبراء الدولة، يعزونه فيما وقع، ويسلونه على ذلك، ثم راسل ملوك الفرنج في خلاص من بأيديهم من الأسارى فطلبوا منه عدتهم من أسراهم، ومائة ألف دينار، وصليب الصلبوت إن كان باقيا، فأرسل فأحضر المال والصليب، و لم يتهيأ له من الأسارى إلا ستمائة أسير، فطلب الفرنج منه أن يريهم الصليب من بعيد، فلما رفع، سجدوا له، وألقوا أنفسهم إلى الأرض، وبعثوا يطلبون منه ما أحضره من المال، والأسارى، فامتنع، إلا أن يرسلوا إليه الأسارى، أو يبعثوا له برهائن على ذلك، فقالوا: لا، ولكن أرسل لنا ذلك، وارض بأمانتنا، فعرف أنهم يريدون الغدر والمكر، فلم يرسل إليهم شيئا من ذلك، وأمر برد الأسارى إلى أهليهم بدمشق، ورد الصليب إلى دمشق مهانا، وأبرزت الفرنج خيامهم، إلى ظاهر البلد، وأحضروا ثلاثة آلاف من المسلمين، فأوقفوهم بعد العصر، وحملوا عليهم حملة رجل واحد فقتلوهم عن آخرهم، في صعيد واحد، رحمهم الله، وأكرم مثواهم، و لم يستبقوا بأيديهم من المسلمين إلا أميرا، أو صبيا، أو من يرونه في عملهم قويا، أو امرأة. وجرى الذي كان، وقضي الأمر الذي فيه تستفتيان. وكان مدة إقامة صلاح الدين على عكا، صابرا، مصابرا، مرابطا، سبعة وثلاثين شهرا، وجملة من قتل من الفرنج خمسين ألفا.

فصل

فيما حدث بعد أخذ الفرنج عكا

ساروا برمتهم قاصدين عسقلان، والسلطان بجيشه يسايرهم، ويعارضهم منــزلة منــزلة، والمسلمون يتخطفونهم، ويسلبونهم في كل مكان، وكل أسير أتى به إلى السلطان، يأمر بقتله في مكانه، وجرت خطوب بين الجيشين، ووقعات متعددات، ثم طلب ملك الإنكليز أن يجتمع بالملك العادل أخي السلطان يطلب منه الصلح والأمان، على أن يعاد لأهلها بلاد السواحل، فقال له العادل: إن دون ذلك قتل كل فارس منكم وراجل. فغضب اللعين، ونهض من عنده غضبان، ثم اجتمعت الفرنج على حرب السلطان عند غابة أرسوف، فكانت النصرة للمسلمين، فقتل من الفرنج عند غابة أرسوف، ألوف بعد ألوف، وقتل من المسلمين خلق كثير أيضا، وقد كان الجيش فر عن السلطان، في أول الوقعة، ولم يبق معه سوى سبعة عشر مقاتلا، وهو ثابت صابر، والكوسات تدق لا تفتر، والأعلام منشورة، ثم تراجع الناس، فكانت النصرة للمسلمين، ثم تقدم السلطان بعساكره، فنــزل ظاهر عسقلان، فأشار ذوو الرأي على السلطان بتخريب عسقلان، خشية أن يتملكها الكفار، ويجعلوها وسيلة إلى أخذ بيت المقدس، أو يجري عندها من الحرب والقتال، نظير ما كان عند عكا، أو أشد، فبات السلطان ليلته مفكرا في ذلك، فلما أصبح، وقد أوقع الله في قلبه، أن خرابها هو المصلحة، فذكر ذلك لمن حضره، وقال لهم: والله لموت جميع أولادي، أهون علي من تخريب حجر واحد منها، ولكن إذا كان خرابها فيه مصلحة للمسلمين، فلا بأس به. ثم طلب الولاة، وأمرهم بتخريب البلد، سريعا، قبل وصول العدو إليها، فشرع الناس في خرابه، وأهله ومن حضره يتباكون على حسنه، وطيب مقيله، وكثرة زروعه وثماره، ونضارة أنهاره، وأزهاره، وكثرة رخامه وحسن بنائه. وألقيت النار في سقوفه، وأتلف ما فيه من الغلات، التي لا يمكن تحويلها، ولا نقلها، ولم يزل الخراب، والحريق منه، من جمادى الآخرة، إلى سلخ شعبان من هذه السنة .

ثم رحل السلطان منها من ثاني رمضان، وقد تركها قاعا صفصفا ليس فيها معلمة [1] لأحد، ثم اجتاز بالرملة، فخرب حصنها، وخرب كنيسة لد، وزار بيت المقدس، وعاد إلى المخيم سريعا، وبعث ملك الإنكليز إلى السلطان، إن الأمر قد طال، وهلك الفرنج والمسلمون، وإنما مقصودنا ثلاثة أشياء لا سواها: رد الصليب، وبلاد الساحل، وبيت المقدس، لا نرجع عن هذه الثلاثة، ومنا عين تطرف، فأرسل إليه السلطان أشد جواب، وأشد مقال، فعزمت الفرنج على قصد بيت المقدس، فتقدم السلطان بجيشه إلى القدس، وسكن في دار القساقس، قريبا من قمامة ، في ذي القعدة، وشرع في تحصين البلد، وتعميق خنادقه، وعمل فيه بنفسه، وأولاده ،

(١) المعلمة : الأثر .

وعمل فيه الأمراء، والقضاة، والعلماء، والصالحون، وكان وقتا مشهودا، واليزك [١] حول البلد من ناحية الفرنج، وفي كل وقت يستظهرون على الفرنج، ويقتلون، ويأسرون، ويغنمون، ولله الحمد والمنة، وانقضت هذه السنة. والأمر على ذلك .

وفيها: على ما ذكره العماد الكاتب : تولي القضاء محيي الدين محمد بن الزكي بدمشق.
وفيها: عدى أمير مكة داود بن عيسى بن فليتة بن هاشم بن محمد بن أبي هاشم الحسني، فأخذ أموال الكعبة، حتى انتزع طوقا من فضة، كان على دائرة الحجر الأسود، كان قد لم شعثه، حين ضربه ذلك القرمطي بالدبوس، فلما بلغ السلطان خبره من الحجيج عزله، وولى أخاه بكيرا، ونقض القلعة، التي كان بناها أخوه على جبل أبي قبيس، وأقام داود بنخلة حتى توفي بها سنة سبع وثمانين .
وفيها توفي من الأعيان :

الملك المظفر

تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، كان عزيزا على عمه صلاح الدين، استنابه بمصر، وغيرها من البلاد، ثم أقطعه حماة، ومدنا كثيرة حولها، في بلاد الجزيرة، وكان مع عمه السلطان على عكا ثم استأذنه أن يذهب ليشرف على بلاده المجاورة للجزيرة، والفرات، فلما صار إليها، اشتغل بها، وامتدت عينه إلى أخذ غيرها، من أيدي الملوك المجاورين له، فقاتله، فاتفق موته، وهو كذلك، والسلطان عمه غضبان عليه، بسبب اشتغاله بذلك عنه، وحملت جنازته، حتى دفنت بحماة، وله مدرسة هناك هائلة كبيرة، وكذلك له بدمشق مدرسة مشهورة، وعليها أوقاف كثيرة، وقد أقام بالملك بعده ولده المنصور ناصر الدين محمد، فأقره صلاح الدين على ذلك، بعد جهد جهيد، ووعد ووعيد، ولولا السلطان العادل أخو صلاح الدين، تشفع فيه، لما أقره في مكان أبيه، ولكن سلم الله، توفي يوم الجمعة تاسع عشر رمضان، من هذه السنة، وكان شجاعا فاتكا .

الأمير حسام الدين محمد بن عمر بن لاشين

أمه ست الشام بنت أيوب، واقفة الشاميتين بدمشق، توفي ليلة الجمعة، تاسع عشر رمضان أيضا، ففجع السلطان بابن أخيه، وابن أخته، في ليلة واحدة، وقد كانا من أكبر أعوانه، ودفن بالتربة الحسامية، وهي التي أنشأتها أمه، بمحلة العونية، وهي الشامية البرانية .

الأمير علم الدين سليمان بن حيدر الحلبي

كان من أكابر الدولة الصلاحية، وفي خدمة السلطان حيث كان، وهو الذي أشار على السلطان بتخريب عسقلان، واتفق مرضه بالقدس، فاستأذن في أن يمرض بدمشق، فأذن له، فسار منها، فلما وصل إلى غباغب مات بها، في أواخر ذي الحجة .

---

(٢) جماعات تغير عليهم من أجل السلب والنهب والغنيمة .

وفي رجب منها: توفي الأمير الكبير نائب دمشق :

الصفي بن الفائض

وكان من أكبر أصحاب السلطان قبل الملك،ثم استنابه على دمشق، حتى توفي بها في هذه السنة.

وفي ربيع الأول توفي :

الطبيب الماهر أسعد بن المطران

وقد شرف بالإسلام، وشكره على طبه الخاص والعام .

الشيخ نجم الدين الجيوشاني

الذي بنى تربة الشافعي بمصر، بأمر السلطان صلاح الدين، ووقف عليها أوقافا سنية، وولاه تدريسها، نظرها، وقد كان السلطان يحترمه، ويكرمه، وقد ذكرته في (طبقات الشافعية)، وما صنفه في المذهب، من (شرح الوسيط) ، وغيره. ولما توفي الجيوشاني، طلب التدريس جماعة، فشفع الملك العادل عند أخيه، في شيخ الشيوخ أبي الحسن محمد بن حمويه، فولاه إياها، ثم عزله عنها، بعد موت السلطان، واستمرت عليه أيدي بني السلطان، واحدا بعد واحد، ثم خلعت بعد ذلك عادت إليها الفقهاء، والمدرسون .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة

استهلت والسلطان صلاح الدين مخيم بالقدس، وقد قسم السور بين أولاده، وأمرائه، وهو يعمل فيه بنفسه، ويحمل الحجر بين القربوسين [1] وبينه، والناس يقتدون بهم، والفقهاء والقراء يعملون، والفرنج ــ لعنهم الله ــ حول البلد، من ناحية عسقلان، وما والاها، لا يتجاسرون أن يقربوا البلد، من الحرس واليزك الذين حول القدس، إلا أنهم على نية محاصرة القدس مصممون، ولكيد الإسلام مجمعون، وهم الحرس تارة يغلبون، وتارة يغلبون، وتارة ينهبون، وتارة ينهبون. وفي ربيع الآخر، وصل إلى السلطان، الأمير سيف الدين المشطوب من الأسر، وكان نائبا على عكا حين أخذت، فافتدى نفسه منهم بخمسين ألف دينار، فأعطاه السلطان شيئا كثيرا منها، واستنابه على مدينة نابلس فتولي بها في شوال من هذه السنة. وفي ربيع الآخر، قتل المركيس صاحب صور لعنه الله، أرسل إليه ملك الإنكليز، اثنين من الفداوية، فقتلوه: أظهرا التنصر، ولزما الكنيسة، حتى ظفرا به، فقتلاه، وقتلا أيضا، فاستناب ملك الإنكليز عليها ابن أخيه بلام الكندهر، وهو ابن أخت ملك الإفرنسيين لأبيه، فهما خالاه، ولما صار إلى صور بنى بزوجة المركيس، بعد موته بليلة واحدة، وهي حبلى أيضا، وذلك لشدة العداوة التي

---

(١) القربوس : حنو السّرج، أى قسمه المقوّس المرتفع من قدّام المقعد ومن مؤخره .

كانت بين الإنكليز، وبينه، وقد كان السلطان صلاح الدين يبغضهما، ولكن المركيس، كان قد صانعه بعض شيء ، فلم يهن عليه قتله .

وفي تاسع جمادى الأولى: استولي الفرنج، لعنهم الله، على قلعة الداروم، فخربوها، وقتلوا خلقا كثيرا من أهلها، وأسروا طائفة من الذرية، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ثم أقبلوا جملة، نحو القدس، فبرز إليهم السلطان، في حزب الإيمان، فلما تراءى الجمعان، نكص حزب الشيطان راجعين، فرارا من القتال، والنـــزال، وعاد السلطان إلى القدس . ﴿ وَ رَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً، وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾ [الأحزاب:٢٥] .

ثم إن ملك الإنكليز، لعنه الله ـــ وهو أكبر ملوك الفرنج ذلك الحين ـــ ظفر ببعض فلول المسلمين، فكبسهم ليلا، فقتل منهم خلقا كثيرا، وأسر منهم خمسمائة أسير، وغنم منهم شيئا كثيرا من الأموال، والجمال، والخيل، والبغال، وكان جملة الجمال ثلاثة آلاف بعير، فتقوى الفرنج بذلك وساء ذلك السلطان مساءة عظيمة جدا، وخاف من غائلة ذلك، واستخدم الإنكليز الجمالة على الجمال، والخربندية [1] على البغال، والسياس على الخيل، وأقبل وقد قويت نفسه جدا، وصمم على محاصرة القدس، وأرسل إلى ملوك الفرنج، الذين بالساحل، فاستحضرهم، ومن معهم من المقاتلة، فتعبأ السلطان لهم، وتهيأ، وأكمل السور، وعمر الخنادق، ونصب المجانيق، وأمر بتغوير ما حول القدس من المياه، وأحضر السلطان أمراءه ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة: أبا الهيجاء المبسمين، والمشطوب، والأسدية، فاستشارهم، فيما قد دهمه، من هذا الأمر الفظيع، الموجع المؤلم، فأفاضوا في ذلك، وأشاروا كل برأيه، وأشار العماد الكاتب، بأن يتحالفوا على الموت عند الصخرة كما كان الصحابة يفعلون، فأجابوا إلى ذلك. هذا كله، والسلطان ساكت، واجم، مفكر، فسكت القوم كأنما على رءوسهم الطير، ثم قال: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله: اعلموا أنكم جند الإسلام اليوم، ومنعته، وأنتم تعلمون أن دماء المسلمين، وأموالهم، وذراريهم في ذممكم معلقة، والله عزّ وجلّ سائلكم يوم القيامة عنهم، وأن هذا العدو ليس له من المسلمين من يلقاه، عن العباد، والبلاد غيركم، فإن وليتم والعياذ بالله، طوى البلاد، وأهلك العباد، وأخذ الأموال، والأطفال، والنساء، وعبد الصليب في المساجد، وعزل القرآن منها والصلاة، وكان ذلك كله في ذممكم، فإنكم أنتم الذين تصديتم لهذا كله، وأكلتم بيت مال المسلمين، لتدفعوا عنهم عدوهم، وتنصروا ضعيفهم، فالمسلمون في سائر البلاد متعلقون بكم والسلام .

فانتدب لجوابه سيف الدين المشطوب وقال: يا مولانا، نحن مماليكك، وعبيدك، وأنت الذي أعطيتنا، وكبرتنا، وعظمتنا وليس لنا إلا رقابنا، ونحن بين يديك والله ما يرجع أحد منا

---

(١) المقصود بهم : البغّالون .

عن نصرك حتى يموت. فقال الجماعة مثل ما قال، ففرح السلطان بذلك، وطاب قلبه، ومد لهم سماطا حافلا، وانصرفوا من بين يديه على ذلك. ثم بلغه بعد ذلك، أن بعض الأمراء قال: إنا نخاف، أن يجري علينا في هذا البلد، مثل ما جرى على أهل عكا، ثم يأخذون بلاد الإسلام بلدا بلدا، والمصلحة، أن نلتقيهم بظاهر البلد، فإن هزمناهم، أخذنا بقية بلادهم، وإن تكن الأخرى، سلم العسكر، ومضى بحاله، ويأخذون القدس ونحفظ بقية بلاد الإسلام، بدون القدس مدة طويلة، وبعثوا إلى السلطان، يقولون له: إن كنت تريدنا، نقيم بالقدس، تحت حصار الفرنج. فكن أنت معنا، أو بعض أهلك، حتى يكون الجيش تحت أمرك، فإن الأكراد لا تطيع الترك ، والترك لا تطيع الأكراد. فلما بلغه ذلك، شق عليه مشقة عظيمة، وبات ليلته أجمع مهموما كئيبا، يفكر فيما قالوا، ثم انجلى الأمر، واتفق الحال، على أن يكون الملك الأمجد صاحب بعلبك، مقيما عندهم، نائبا عنه بالقدس، وكان ذلك نهار الجمعة، فلما حضر إلى صلاة الجمعة، وأذن المؤذن للظهر، قام فصلى ركعتين بين الأذانين، وسجد، وابتهل إلى الله تعالى، ابتهالا عظيما، وتضرع إلى ربه، وتمسكن، وسأله فيما بينه وبينه، كشف هذه الضائقة العظيمة .

فلما كان يوم السبت، من الغد: جاءت الكتب من الحرس الذين حول البلد، بأن الفرنج قد اختلفوا فيما بينهم، فقال ملك الإفرنسيين: إنما جئنا من البلاد البعيدة، وأنفقنا الأموال العديدة، في تخليص بيت المقدس، ورده إلينا، وقد بقي بيننا وبينه مرحلة. فقال الإنكليز: إن هذا البلد، شق علينا حصاره، لأن المياه حوله قد عدمت، وإلى أن يأتينا الماء من المشقة البعيدة، يعطل الحصار، ويتلف الجيش. ثم اتفق الحال بينهم، على أن حكموا منهم عليهم ثلاثمائة منهم، فردوا أمرهم إلى اثني عشر منهم، فردا أمرهم إلى ثلاثة منهم، فباتوا ليلتهم ينظرون، ثم أصبحوا، وقد حكموا عليهم بالرحيل، فلم يمكنهم مخالفتهم، فسحبوا راجعين، لعنهم الله أجمعين، فساروا حتى نزلوا على الرملة، وقد طالت عليهم الغربة والزملة وذلك في بكرة الحادي والعشرين من جمادى الآخرة، وبرز السلطان بجيشه إلى خارج القدس، وسار نحوهم خوفا أن يسيروا إلى مصر لكثرة ما معهم من الظهر، والأموال، وكان الإنكليز يلهجون بذلك كثيرا، فخذلهم الله عن ذلك، وترددت الرسل من الإنكليز إلى السلطان، في طلب الأمان، ووضع الحرب بينه وبينهم ثلاث سنين، وعلى أن يعيد لهم عسقلان، ويهب لهم كنيسة بيت المقدس، وهي القمامة، وأن يمكن النصارى من زيارتها، وحجها بلا شيء ، فامتنع السلطان من إعادة عسقلان، وأطلق لهم قمامة، وفرض على الزوار مالا يؤخذ من كل منهم فامتنع الإنكليز إلا أن تعاد لهم عسقلان، ويعمر سورها كما كانت، فصمم السلطان على عدم الإجابة... ثم ركب السلطان، حتى وافى يافا فحاصرها حصارا شديدا، فافتتحها، وأخذوا الأمان لكبيرها وصغيرها، فبينما هم كذلك، إذ أشرفت عليهم مراكب الإنكليز، على وجه البحر، فقويت رؤوسهم، واستعصت نفوسهم، فهجم اللعين، فاستعاد البلد، وقتل من تأخر بها من المسلمين صبرا بين يديه، وتقهقر السلطان

عن منـــزلة الحصار، إلى ما وراءها، خوفا على الجيش من معرة الفرنج، فجعل ملك الإنكليز يتعجب من شدة سطوة السلطان، وكيف فتح مثل هذا البلد العظيم في يومين، وغيره لا يمكنه فتحه في عامين، ولكن ما ظننت، أنه مع شهامته، وصرامته، يتأخر من منـــزلته، بمجرد قدومي، وأنا ومن معي لم نخرج من البحر، إلا جرائد، بلا سلاح، ثم ألح في طلب الصلح، وأن تكون عسقلان داخلة في صلحهم، فامتنع السلطان، ثم إن السلطان كبس في تلك الليالي الإنكليز وهو في سبعة عشر مقاتلا، وحوله قليل من الرجالة، فأكب بجيشه حوله، وحصره حصرا لم يبق معه نجاة، لو صمم معه الجيش، ولكنهم نكلوا كلهم عن الحملة، فلا قوة إلا بالله، وجعل السلطان يحرضهم غاية التحريض، فكلهم يمتنع كما يمتنع المريض عن شرب الدواء .

هذا وملك الإنكليز قد ركب في أصحابه، وأخذ عدة قتاله، وأهبة نزاله،و استعرض الميمنة إلى آخر الميسرة، يعني ميمنة المسلمين وميسرتهم، فلم يتقدم إليه أحد من الفرسان، ولا نهره بطل من الشجعان فعند ذلك كر السلطان راجعا، وقد أحزنه أنه لم ير من الجيش مطيعا، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ولو أن له بهم قوة، لما ترك أحد منهم يتناول من بيت المال فلسا. ثم حصل لملك الإنكليز بعد ذلك مرض شديد، فبعث إلى السلطان، يطلب فاكهة، وثلجا، فأمده بذلك، من باب الكرم، ثم عوفي لعنه الله، وتكررت الرسل منه، يطلب من السلطان المصالحة، لكثرة شوقه إلى أولاده وبلاده، وطاوع السلطان على ما يقول، وترك طلب عسقلان، ورضي بما رسم به السلطان، وكتب كتاب الصلح بينهما في سابع عشر شعبان، وأكدت العهود، والمواثيق من كل ملك من ملوكهم، وحلف الأمراء من المسلمين، وكتبوا خطوطهم، واكتفي من السلطان بالقول المجرد، كما جرت به عادة السلاطين، وفرح كل من الفريقين فرحا شديدا، وأظهروا سرورا كثيرا، ووقعت الهدنة على وضع الحرب ثلاثين سنة وستة أشهر، وعلى أن يقرهم على ما بأيديهم من البلاد الساحلية، وللمسلمين ما يقابلها من البلاد الجبلية، وما بينهما من المعاملات تقسم على المناصفة، وأرسل السلطان مائة نقاب صحبة أمير، لتخريب سور عسقلان، وإخراج من بها من الفرنج والألمان .

وعاد السلطان إلى القدس الشريف، فرتب أحواله، ووطدها، وسدد أموره، وأكدها، وزاد وقف المدرسة سوقا بدكاكينها، وأرضا ببساتينها، وزاد وقف الصوفية، وعزم على الحج عامه ذلك، فكتب إلى الحجاز، واليمن، ومصر، والشام، ليعلموا بذلك، ويتأهبوا له، فكتب إليه القاضي الفاضل ينهاه عن ذلك خوفا على البلاد من استيلاء الفرنج عليها، ومن كثرة المظالم بها، وفساد الناس، والعسكر، وقلة نصحهم، وأن النظر في أحوال المسلمين، خير لك عامك هذا، والعدو مخيم بعد بالشام، وأنت تعلم أنهم يهادنون، ليتقووا، ويكثروا، ثم يمكروا، ويغدروا، فسمع السلطان منه، وشكر نصحه، وترك ما عزم عليه، وكتب به إلى سائر الممالك، واستمر مقيما بالقدس جميع شهر رمضان في صيام وصلاة، وقرآن، وكلما وفد أحد من رؤساء الفرنج

للزيارة، فعل معه غاية الأكرام، تأليفا لقلوبهم، ولم يبق أحد من ملوكهم إلا جاء لزيارة القمامة[1] متنكرا، ويحضر سماط السلطان، فيمن حضر من جمهورهم، بحيث لا يرى. والسلطان لا يعلم ذلك جملة ولا تفصيلا، ولهذا كان يعاملهم بالإكرام، ويريهم صفحا جميلا، وبرا جزيلا.

فلما كان في خامس شوال: ركب السلطان في العساكر، فبرز من القدس، قاصدا دمشق، واستناب على القدس عز الدين جوردبك، وعلى قضائها بهاء الدين ابن يوسف بن رافع بن تميم الشافعي، فاجتاز على وادي الجيب، وبات على بركة الداوية، ثم أصبح في نابلس، فنظر في أحوالها، ثم ترحل عنها، فجعل يمر بالقلاع، والحصون، والبلدان فينظر في أحوالها، ويكشف المظالم عنها، وفي أثناء الطريق، جاء إلى خدمته بيمند صاحب إنطاكية فأكرمه، وأحسن إليه، وأطلق له أموالا جزيلة، وخلعا، وكان العماد الكاتب في صحبته، فأخبر عن منازله، منـــزلة، منـــزلة، إلى أن قال: وعبر يوم الاثنين، عين الحر إلى مرج بيوس، وقد زال البوس، وهناك وفد عليه أعيان دمشق، وأماثلها، ونزل يوم الثلاثاء على العرادة، وجاءه هناك التحف والمتلقون على العادة، وأصبحنا يوم الأربعاء، سادس عشر شوال بكرة، بجنة دمشق داخلين، بسلام آمنين، وكانت غيبة السلطان عنها أربع سنين، فأخرجت دمشق أثقالها، وأبرزت نساءها، وأطفالها، ورجالها، وكان يوم الزينة، وخرج أكثر أهل المدينة، واجتمع أولاده الكبار، والصغار، وقدم عليه رسل الملوك، من سائر الأمصار، وأقام بقية عامه في اقتناص الصيد، وحضور دار العدل، والعمل بالإحسان، والفضل. ولما كان عيد الأضحى، امتدحه بعض الشعراء، بقصيدة يقول فيها :

وأبيهـــا لـــولا تَغَـــزُّلُ عينيـــــ ـــــها لما قلـــتُ في التغـــزُّل شعْـــرا
ولكانتْ مـــدائحُ الملـــــك النـــا صر وإلى ما فيـــه أعمـــلُ فكَـــرا
ملـــكُ طبَّـــقَ الممــــالكَ بالعـــد ل مثلمـــا أوســـعَ البريـــةَ بـــرًّا
فيحلُّ الأعيـــادَ صومــــًا وفطـــراَ ويلقى الهنَـــــا بَـــرًّا وبحـــرًا
يأمـــرُ النــــاسَ طاعـــــةَ الله إنْ أضْحَى مليكُ علىَ المنـــاهي مصـــراَ
نلـــتَ ما تسعي من الدين والـــدنيا فتيهـــاً على الملـــــوكِ وفَخْـــرًا
قد جمعتَ المجدين أصلاً وفرعَـــاً وملكتَ الـــدارَيْنِ دنيـــا وأخـــرى

ومما وقع في هذه السنة من الحوادث: غزوة عظيمة، بين صاحب غزنة شهاب الدين ملكها السبكتكيني، وبين ملك الهند وأصحابه الذين كانوا قد كسروه في سنة ثلاث وثمانين، فأظفره الله بهم هذه السنة فكسرهم، وقتل خلقا منهم، وأسر خلقا، وكان من جملة من أسره ملكهم الأعظم، وثمانية عشر فيلا، من جملتها الذي كان جرحه، ثم أحضر الملك بين يديه، فأهانه، ولم يكرمه، واستحوذ على حصنه، وأخبر بما فيه من كل جليل، وحقير، ثم قتله بعد ذلك، وعاد إلى غزنة، مؤيدا، منصورا، مسرورا، محبورا. وفيها: اتهم أمير الحج ببغداد وهو طاشتكين وقد كان

---

(١) القمامة : كنيسة القيامة وقد سبق ص ٧١٢ من نفس الجزء .

على إمرة الحجيج من مدة عشرين سنة، وكان في غاية حسن السيرة، واتهم بأنه يكاتب صلاح الدين بن أيوب في أخذ بغداد فإنه ليس بينه وبينها أحد يمانعه عنه وقد كان مكذوبا عليه، ومع هذا أهين وحبس وصودر .

فصل

وممن توفي فيها من الأعيان :

القاضي شمس الدين محمد بن محمد بن موسى

المعروف بابن الفراش، كان قاضي العساكر بدمشق،ويرسله السلطان إلى ملوك الآفاق، ومات بملطية .

سيف الدين علي بن أحمد المشطوب

كان من أصحاب أسد الدين شيركوه. حضر معه الوقعات الثلاث بمصر، ثم صار من كبراء أمراء صلاح الدين، وهو الذي كان نائبا على عكا لما أخذها الفرنج، فأسروه في جملة من أسروا، فافتدى نفسه بخمسين ألف دينار، وجاء إلى السلطان وهو بالقدس، فأعطاه أكثرها، وولاه نابلس. توفي يوم الأحد، ثالث وعشرين شوال، بالقدس، ودفن في داره .

صاحب بلاد الروم عز الدين قلج أرسلان بن مسعود

ابن قلج أرسلان، وكان قد قسم جميع بلاده بين أولاده، طمعا في طاعتهم له، فخالفوه، وتجبروا، وعتوا عليه، وخفضوا قدره، وارتفعوا، ولم يزل كذلك، حتى توفي في عامه هذا. وفي ربيع الآخر، توفي الشاعر أبو المرهف .

نصر بن منصور النميري

سمع الحديث، واشتغل بالأدب، أصابه جدري، وهو ابن أربع عشرة سنة، فنقص بصره جدا، وكان لا يبصر الأشياء البعيدة، ويرى القريب منه، ولكن كان لا يحتاج إلى قائد، فارتحل إلى العراق، لمداواة عينيه، فآيسته الأطباء من ذلك، فاشتغل بحفظ القرآن، ومصاحبة الصالحين، فأفلح، وله ديوان شعر كبير حسن، وقد سئل مرة عن مذهبه واعتقاده فأنشأ يقول :

أُحِبُّ عَلِيًّا والْبَتُولَ وولَدَيْهِمَا ... ولا أجحدُ الشيخين فَضْلَ التقدمِ
وأَبرأُ ممَّنْ نالَ عثمانَ بالأذى ... كما أتبرأُ منْ وَلَاءِ ابنِ ملجمِ
ويُعْجِبُنِي أهلُ الحديثِ لِصِدْقِهِمْ ... فَلَسْتُ إلى قومٍ سِوَاهُمْ بِمُنْتَهِي

توفي ببغداد، ودفن بمقابر الشهداء، بباب حرب، رحمه الله تعالى .

بحمد الله تعالى قد تم طبع الجزء الثانى عشر من البداية والنهاية للعلامه ابن كثير

ويليه الجزء الثالث عشر وأوله سنة تسع وثمانين وخمسمائة هجرية

على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية

الفهـــرس

فهــــرس الجزء الحادى عشر

فهـــــرس الجزء الثاني عشر